مَجْمُوعُ الشُّرُوحَاتِ عَلَى الْـمُتُونِ الْـمُهِمَّةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ

(الْجُزْءُ الثَّانِي)

وَيَحْتَوِي سَبْعَةَ كُتُبٍ:

- الْخُلَاصَةُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ.
- الرَّدُّ عَلَى الْقُرْآنِيِّينَ.
- الْقِيَامَةُ وَأَشْرَاطُهَا.
- تَهْذِيبُ «مُذَكِّرَةِ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ».
- تَهْذِيبُ «شَرْحِ أُصُولِ التَّفْسِيرِ».
- زَادُ الْأَتْقِيَاءِ مِنْ قَصَصِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ.
- سِلْسِلَةُ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ.

جمعها وهذبها ووضحها الفقير إلى عفو ربه:

هَيْثَم بْنِ مُحَمَّدٍ سَرْحَان

الـمُدَرِّسُ بِمَعْهَدِ الْحَرَمِ بِالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ -سَابِقًا- وَالـمُشْرِفُ عَلَى مَعْهَدِ السُّنَّةِ

mahadsunnah.com

غفر الله له ولوالديه ولمن أعانه على إخراج هذا الكتاب

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

[طبعةٌ إلكترونيَّةٌ - غير مُعدَّةٍ للطِّباعة بعدُ]

١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٥م

الكتاب الأوَّل:

الْخُلَاصَةُ
فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ

إعدادِ الفقير إلى عفو ربِّه:
هيثم بن محمَّد سرحان
المُدرِّس بمعهد الحرم بالمسجد النَّبويِّ -سابقًا-
والمُشرِف على معهد السُّنَّة

الْفِهْرِسُ

أَقْسَامُ هَذِهِ الْخُلَاصَةِ أربَعَةٌ:	
الْقِسْمُ الأَوَّلُ: الـمُقَدِّمَةُ	[١] البَسملةُ والخُطبَةُ. [٢] المَبادِئُ العشرَةُ.
الْقِسْمُ الثَّاني الْقُرْآنُ:	[١] القرآنِ تعريفُه وأسماؤُه وأوصافُه. [٢] سُوَرُ القُرآنِ وآياتُه. [٣] الوَحيُ وما يتعلَّقُ به. [٤] فروقاتٌ مهِمَّةٌ. [٥] أسبابُ النُّزولِ. [٦] كيفِيَّةُ نُزولِ القُرآنِ وتَرتيبُه. [٧] كِتابَةُ القُرآنِ وجَمعُه. [٨] القِراءاتُ. [٩] المَكِّيُّ والمدَنِيُّ. [١٠] الإعجازُ. [١١] آدابُ قِراءَةِ القُرآنِ. [١٢] النَّاسِخُ والمَنسوخُ.
الْقِسْمُ الثَّالثُ التَّفْسِيرُ:	[١] التَّفسير. [٢] المَرجعُ في التَّفسيرِ. [٣] الاختِلافُ في التَّفسيرِ. [٤] شروطُ المُفَسِّرِ. [٥] قَواعِدُ التَّفسيرِ. [٦] ترجمَةُ القُرآنِ. [٧] المُشتَهِرونَ بالتَّفسيرِ. [٨] كُتُبُ التَّفسيرِ.
الْقِسْمُ الرَّابعُ مَسَائِلُ مُتَفَرِّقَةٌ:	[١] المُحكَمُ والمُتَشابهُ. [٢] قَصَصُ القرآنِ. [٣] الإسرائيلِيَّاتُ. [٤] المَجازُ. [٦] القسَمُ.

تنبيهٌ:	ويُمكِنُ ضَبطُ عُلومِ القُرآنِ بحسَبِ التَّرتيبِ الزَّمَنِيِّ في: [١] نُزولُ القُرآنِ (ومِنه الوَحيُ، وأسبابُ النُّزولِ، وكيفيَّةُ النُّزولِ). [٢] تَرتيبُه. [٣] قِراءَتُه وحِفظُه. [٤] كِتابَتُه وجَمعُهُ. [٥] تَفسيرُه. [٦] باقي المَسائِلِ علىٰ اختِلافِها.

الْقِسْمُ الأَوَّلُ: الْـمُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ.

أمَّا بعد؛ فهذه:

- خُلاصةٌ يسيرَةٌ في علوم القرآنِ.
- مع متنِ «منظومَةِ التَّفسيرِ» لعزِّ الدِّينِ الزَّمزميِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت ٩٧٦هـ).
- نضعُها بين يدَي القارئِ لعلَّها تكونُ مدخلًا لمن أراد معرِفَةَ مُهمَّاتِ هذا العلمِ الجَليلِ من صِغارِ الطَّلبَةِ والمُبتَدئينَ، وقد انتهجنا في هذه الخُلاصَةِ طريقة:
- جدولة المُحتوىٰ تسهيلًا له وتيسيرًا.
- إدراج اختِباراتٍ تُساعِدُ الطَّالِبَ علىٰ تَقييم تَحصيلِه.

ومَن أراد الاستزادة مِن هذا الفنِّ الجَليلِ فعليه بكتاب «أصولٌ في التَّفسيرِ» للعلَّامة محمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ بشَرح المؤلِّف نفسه، وقد عملنا علىٰ تهذيبه وجدولته تسهيلًا علىٰ الطَّالب.

نسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به الكاتب والقارئ، وصلَّىٰ اللهُ وسلَّم وبارَكَ علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، والحمد لله ربِّ العالمين.

الْـمَبَــادِئُ الْعَشَــرَةُ لِعُلُــومِ الْقُـرْآنِ:

الْحَدُّ (التَّعْرِيفُ):	المَباحِثُ الكُلِّيَّةُ الَّتي تتعلَّقُ بالقُرآنِ الكريمِ مِن ناحِيَةِ نُزولِه، وترتيبِه وجَمعِه، وكِتابَتِه، وتَفسيرِه، وإعجازِه، وناسِخِه ومَنسوخِه، وغيرِ ذلِكَ.
الْـمَوضوعُ:	القرآنُ الكريمُ.
الثَّمَرَةُ:	[١] تلاوةُ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وفهمُه كما أراد الله. [٢] التَّدبُّر والتَّفكُّر في كلامِ الله عَزَّوَجَلَّ. [٣] حِفظُه عن التَّغييرِ. [٤] الاستنباطُ الصَّحيحُ للأحكامِ. [٥] الدِّفاعُ عن القرآنِ الكريمِ. [٦] مَعرِفَةُ فَضلِ السَّلفِ باجتهادِهم وعنايتِهم بالقُرآنِ. [٧] مَدخَلٌ لدراسةِ التَّفسير.
الْفَضْلُ:	مِن أشرَفِ العُلومِ وأفضَلِها؛ لتعَلُّقِه بأشرَفِ الكتُبِ وأجَلِّها.
النِّسْبَةُ:	جُملَةٌ مِن المَباحِثِ المُتعلِّقَةِ بالقُرآنِ الكريم.
الْوَاضِعُ:	أوَّلُ مَن ألَّفَ فيه أبو الحُسَنِ الحوفِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ في «البرهانِ»، وقيلَ غيرُ ذلِكَ، وصرَّحَ قبلَه الشَّافعِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ بجُملَةٍ مِن قَواعِدِ التَّفسيرِ.
الِاسْمُ:	يُسمَّىٰ (عُلومَ القرآنِ) بالجَمعِ، ويُسمَّىٰ كذلِكَ (أُصولَ التَّفسيرِ).
الِاسْتِمْدَادُ:	[١] القرآن. [٢] السُّنَّة. [٣] كلام الصَّحابَةِ. [٤] كلامُ التَّابعينَ. [٥] الْمَعنىٰ الشَّرعِيُّ واللُّغويُّ.
الْحُكْمُ:	[١] **فرضُ عَينٍ**: ما تعلَّق منه بتصحيحِ عقيدةِ وعبادةِ المرءِ، وغيرِهما من فروضِ الأعيانِ. [٢] **فرضُ كِفايَةٍ**: ما عدا ذلِكَ.
الْمَسَائِلُ:	[١] مَواطِنُ النُّزولِ، وأوقاتُه، ووَقائعُه. [٢] السَّندُ. [٣] الأداءُ. [٤] الألفاظُ. [٥] المَعاني المُتعَلِّقَةُ بالأحكامِ. [٦] المَعاني المُتعلِّقَةُ بالألفاظِ. [٧] ما يتعلَّقُ بالأشخاصِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] اشتمل القرآنُ على كلِّ العُلوم النَّافعةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢] طَريقُ العلم الحقيقيِّ ما كان مَبنيًّا علىٰ علمِ الوَحي: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣] هل اهتمَّ السَّلفُ بعُلومِ القرآنِ: ❍ نعم. ❍ لا. ❍ بعضُهم دونَ بَعضٍ.
[٤] عُلومُ القُرآنِ أفضَلُ مِنْ كلِّ علم: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥] اعتمَدَ الصَّحابَةُ في تَحصيل عُلوم القُرآنِ علىٰ: ❍ الفهم السديد. ❍ تذوق بيان القرآن الكريم. ❍ إعجاز القرآن الكريم. ❍ جميع ما ذكر.
[٦] يُرادُ بعُلومِ القُرآنِ: المَباحِثُ الَّتي تتعلَّقُ بالقُرآنِ الكَريمِ مِن ناحيَةِ نُزولِه، وإعجازِه، وجَمعِه، وترتيبِه، وناسِخِه، ومَنسوخِه، وقِراءَتِه... ❍ صح. ❍ خطأ.
[٧] في تَلقِّي التَّابعينَ عُلومَ القُرآنِ الكَريمِ اعتَمَدوا علىٰ: ❍ الرِّواية والتَّلقين. ❍ الكتابة والتَّدوين. ❍ أ، ب. ❍ تذوُّق بيانِ القرآن الكريم.
[٨] يُعَدُّ أوَّلُ عِلم مِن عُلوم القُرآنِ تمَّ تَدوينُه: ❍ علم الحديث. ❍ علم التَّفسير. ❍ علم الفقه والأصول. ❍ علم الكلام.
[٩] يُقالُ: (عُلومُ القُرآن) بالجَمع، ولا يُقالُ: عِلمُ القُرآنِ. ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٠] عُلومُ القُرآنِ بالجَمعِ لأنَّ كُلَّ العُلومِ مُستَمَدَّةٌ منه: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١١] نقولُ: (علومُ القرآنِ) بالجَمعِ، وفي بقيَّةِ العُلوم نَقولُ: عِلمُ الفِقهِ، وعِلمِ النَّحوِ، وعِلمُ الفَرائِضِ، وهكذا... ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٢] تعدَّدت عُلومُ القرآنِ؛ لأنَّه مُباركٌ: ❍ لتَسهيلِ الدِّراسَةِ. ❍ للتَّشويقِ. ❍ الجميع.
[١٣] مِن فوائِدِ عُلوم القُرآنِ: الثَّقافَةُ العاليَةُ في القُرآنِ الكَريمِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٤] صِل مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسبُه مِن اليُسرىٰ:

الحَدُّ	منه ما هو فرضُ عينٍ، ومنه ما هو فرض كفايةٍ.
الوَاضِعُ	المَباحثُ الكُلِّيَّةُ الَّتي تتعلَّقُ بالقُرآنِ الكريمِ.
المَوضوعُ	أبو الحُسَنِ الحوفِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «البرهانِ».
الحُكْمُ	عُلومَ القرآنِ، وأُصولَ التَّفسيرِ.
الاِسْمُ	القرآنُ الكريمُ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

تَعْرِيفُهُ شرعًا:	«كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ حَقِيقَةً، الْمُنَزَّلُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمَبْدُوءُ بِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ، الْمَخْتُومُ بِسُورَةِ النَّاسِ».
يُنسَبُ القرآنُ إلى:	[١] الله عَزَّ وَجَلَّ: لأنَّه كلامُه حقيقةً لفظًا ومعنًى. [٢] جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ﴾ [التَّكوير]. [٣] النَّبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقَّة].
مِن أسمائه:	[١] القُرآنُ: بمَعنىٰ القارِئِ الجامعِ، والمَقروءِ المَجموعِ. [٢] الذِّكْرُ: فيه المَواعِظُ والزَّواجِرُ، وما يحتاجُه النَّاسُ في أمورِ دُنياهم وآخِرَتِهم، وهو ذو الشَّرفِ والقَدرِ العالي. [٣] الفُرقانُ: فرَّقَ بين الحَقِّ والباطل. [٤] الكتابُ: جمعَ أنواعًا من القَصصِ، والأحكامِ، والأخبارِ... [٥] التَّنزيلُ: المُنزَّلُ من اللهِ تعالىٰ إلىٰ النَّاسِ.
مِن أوصافه أنَّه:	[١] عَظيمٌ: ﴿وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحجر]. [٢] كتابٌ مُبارَكٌ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾ [ص:٢٩]. [٣] كَريمٌ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ [الواقعة]. [٤] يَهدي للأقوَمِ: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]. [٥] شَديدُ التَّأثيرِ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]. [٦] ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ [النَّحل:٨٩].

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَق:

[١] مِن صفاتِ القرآنِ الكريم: ❍ النُّور. ❍ العزيز. ❍ المُبارك. ❍ المجيد. ❍ المَوعظة. ❍ الكريم. ❍ المُبين. ❍ المُهيمن. ❍ البلاغُ. ❍ الحكيم. ❍ الجميع.

[٢] المَطلوبُ مِن القُرآنِ هو فَهمُ مَعانيه، والعَملُ به، فإن لم تكُن هذه همَّةَ حافِظِه لم يكُن مِن أهلِ العلمِ والدِّين: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣] لماذا نقولُ إنَّ القُرآنَ كلامُ اللهِ حقيقةً؟ ❍ لنفي المَجازِ. ❍ لإثباتِ الصِّفاتِ لله عَزَّوَجَلَّ. ❍ ألا له الخَلقُ والأمرُ. ❍ لإثباتِ صِفةِ الكَلام. ❍ الجميع.

[٤] لابُدَّ مِن قيدٍ في تعريفِ القُرآنِ بأنَّه المُنزَّلُ علىٰ رَسولِه مُحمَّدٍ ﷺ حتَّىٰ يخرُجَ بقيَّةُ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] (مِنه بدأَ) أي أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ هو الَّذي تكلَّمَ به ابتداءً، (وإليه يَعودُ): ❍ وصفًا. ❍ قبضًا آخرَ الزَّمانِ حين يتركُ النَّاسُ العمَلَ به. ❍ الجميع.

[٦] في تسميَةِ القُرآنِ الكريمِ بالذِّكرِ أسرارٌ منها: ❍ ما فيه مِن الشَّرَفِ العَظيم. ❍ ما فيه مِن الأخبارِ وقَصَصِ الأوَّلين مع أقوامِهم. ❍ ما فيه مِن المَواعِظِ والتَّحذير. ❍ جميعُ ما ذُكِرَ.

[٧] في تسمِيَةِ القُرآنِ بالفُرقانِ دلالةٌ علىٰ أنَّه: ❍ فرَّقَ بين الحقِّ والباطل. ❍ فرَّقَ بين المُؤمنِ والكافِر. ❍ مَفروقٌ بعضُه عن بَعضٍ في النُّزول. ❍ جميع ما ذُكِرَ.

[٨] القُرآنُ الكريمُ مَنقولٌ إلينا: ❍ بالمَشهور. ❍ بالآحاد. ❍ بالتَّواتُر.

[٩] أجمَعَت الأمَّةُ علىٰ أنَّ المُرادِ بالحِفظِ في: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]: ❍ الحفظُ في الصُّدور. ❍ حِفظُه علىٰ المُكلَّفين للعَمَل به. ❍ مُجرَّدُ تِلاوَتِه.

[١٠] من أسمَاءِ القُرآنِ الكَريم: الحِكمَةُ. ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] أوصافُ القُرآنِ الكَريمِ عَديدَةٌ، ومِنها: الذِّكرُ، والفُرقانُ. ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٢] صِل مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسبُه مِن اليُسرىٰ:

جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ [الحاقَّة].
مُحمَّدٌ ﷺ	﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ﴾ [التَّكوير].

[١٣] كثرَةُ الأسماءِ تدُلُّ علىٰ (❍ شرَفِ المُسَمَّىٰ ❍ كَمالِه في أمرٍ مِن الأُمورِ. ❍ الجميع)، وكثرَةُ أسماءِ القرآنِ دلَّت علىٰ (❍ شرَفِه ❍ فَضيلَتِه ❍ الجميع).

مُلَخَّصٌ عن سُوَرِ القرآنِ وآياتِه:

عددُ سُوَرِ القرآنِ:	١١٤	أعظَمُ سورَةٍ في القرآنِ:	الفاتِحة
عددُ آياتِ القرآنِ:	٦٢٣٦	سورَةٌ بلا بسمَلَةٍ:	التَّوبَةُ
عددُ أجزاءِ القرآنِ:	٣٠	سورَةٌ فيها بسمَلَتان:	النَّمل
عددُ أحزابِ القرآنِ:	٦٠	عددُ السُّوَرِ المكِّيَّة:	٨٦
عددُ الأرباعِ في الحِزبِ:	٤ أرباعٍ	عددُ السُّوَرِ المدنيَّة:	٢٨
عدد الأثمان في الحِزبِ:	٨ أثمانٍ	عَدَدُ السَّجدات:	١٥
عددُ الأثمانِ في القرآنِ:	٤٨٠ ثُمنًا	سُوَرٌ تبدَأُ بالحمدِ:	٥
أوَّلُ سورَةٍ في المصحَف:	الفاتِحة	سُوَرٌ تبدَأُ بالتَّسبيح:	٧
آخِرُ سورَةٍ في المصحَف:	النَّاس	سُوَرٌ تبدَأُ بالقسَم:	١٥
أقصر السُّوَرِ:	العصر والنَّصرُ والكوثر	سُوَرٌ تبدَأُ بـ(إنَّا):	٤
عددُ آياتِ أقصَرِ سورَةٍ:	٣	أوَّلُ آيَةٍ نزَلَت:	أوائِلُ العلَقِ
أطوَلُ سورَةٍ:	البقرة	آخِرُ آيَةٍ نزَلَت:	البقرة ٢٨١
عددُ آياتِ أطوَلِ سورَةٍ	٢٨٦	آخِرُ سُورَةٍ نزَلَت:	النَّصر
أعظَمُ آيةٍ:	آيةُ الكُرسيِّ	أوَّلُ سُوَرِ الـمُفَصَّل:	المُرسَلات
أطوَلُ آيةٍ:	آيَةُ الدَّينِ	آخِرُ سُوَرِ الـمُفَصَّلِ:	النَّاس

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] التَّحزيبُ بالسُّوَرِ التَّامَّةِ أولىٰ من التَّحزيبِ بالآياتِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢] القُرآنُ يتعاظَمُ مِن حيثُ المَعاني والتَّأثيرُ لَا مِن حيثُ القائِلُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣] صِل مِن الحقلِ (أ) بما يُناسِبُه مِن الحقلِ (ب):

(أ):	(ب):
عددُ سُوَرِ القرآنِ:	٣٠
عددُ أحزابِ القرآنِ:	٦٠
عددُ أجزاءِ القرآنِ:	٤٨٠
عددُ الأثمانِ في القرآنِ:	١١٤

[٤] صِل مِن الحقلِ (أ) بما يُناسِبُه مِن الحقلِ (ب):

(أ):	(ب):
سُوَرٌ تبدَأُ بالحمدِ:	٤
سُوَرٌ تبدَأُ بالتَّسبيحِ:	١
سُوَرٌ تبدَأُ بالقسَمِ:	٧
سُوَرٌ تبدَأُ بغَيرِ بسملَةٍ:	١٥
سُوَرٌ تبدَأُ بـ(إِنَّا):	٥

[٥] صِل مِن الحقلِ (أ) بما يُناسِبُه مِن الحقلِ (ب):

(أ):	(ب):
عددُ السُّوَرِ المكِّيَّةِ:	٢٨
عددُ السُّوَرِ المدنِيَّةِ:	١٥
عدَدُ السَّجداتِ:	٨٦
عددُ آياتِ أقصَرِ سورَةٍ:	٢٨٦
عدَدُ آياتِ أطوَلِ سورَةٍ	٣

الوَحيُ وما يتعلَّقُ به:

أنواعُ الوَحيِ:	[١] شرعِيٌّ: وحيُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ للرُّسُلِ بالشَّرائِعِ، ومَراتِبُه سبعةٌ. [٢] لُغوِيٌّ: وهو الَّذي يكونُ لكُلِّ المَخلوقاتِ، وهو ستَّةُ أنواعٍ.
مَراتِبُ نُزولِ الوَحيِ الشَّرعيِّ على النَّبيِّ ﷺ:	[١] الرُّؤيا الصَّادِقَةُ: وكانت مَبدأَ وَحيِه ﷺ. [٢] إلقاءُ الـمَلَكِ في رُوعِه ﷺ: دونَ أن يَراهُ النَّبيُّ ﷺ. [٣] الـمَلكُ في صورَةِ رَجُلٍ: فيُخاطِبُه حتَّىٰ يَعِيَ عنه ما يقولُ. [٤] في مِثلِ صَلصَلَةِ الجَرَسِ: وهو أشدُّه عليه ﷺ. [٥] أن يَرى الـمَلَكَ على صورَتِه: وقَعَ له ﷺ مرَّتينِ. [٦] الوَحيُ الـمُباشِرُ: فوقَ السَّماءِ ليلَةَ المِعراجِ؛ كفرضِ الصَّلاةِ. [٧] كلامُ اللهِ له بلا واسِطَةٍ: ليلة المِعراجِ؛ كما كلَّمَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
أنواعُ الوَحيِ اللُّغويِّ:	[١] الإلهامُ الفطريُّ للإنسانِ السَّليمِ: كالوَحي إلىٰ أمِّ موسَىٰ. [٢] الالهامُ الغَريزيُّ للحيوانِ: كالوَحي للنَّحلِ. [٣] الأمرُ الكَونيُّ للجَماداتِ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزَّلزلة]. [٤] ما يُلقيه للمَلائكَةِ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾[الأنفال:١٢]. [٥] الإشارَةُ السَّريعَةُ بجارِحَةٍ: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾ [مريم:١١]. [٦] وسوَسَةُ الشَّيطانِ: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:١١٢].
ابتِداءُ نزولِ الوحيِ على النَّبيِّ ﷺ:	[١] الرُّؤيـا الصَّادقـةُ: عـن عائشـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَوَّلُ مَـا بُدِئَ بِهِ رَسُـولُ اللهِ ﷺ مِـنَ الْوَحْـيِ الرُّؤْيَـا الصَّالِحَـةُ فِي النَّـوْمِ». مُتَّفَقٌ عليه. [٢] نُـزولُ القـرآنِ: وكان ابتـداءُ نزولِـه لـمَّـا بلـغ أربعين سـنةً، في ليلَةِ القَـدرِ، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[القـدر]، وهـي في رَمضـانَ، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقـرة: ١٨٥].

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] المُرادُ بقولِه تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[القصص:٧]: ❍ الوَحيُ اللُّغويُّ. ❍ الوَسوَسةُ بالشَّرِّ. ❍ الوَحيُ الشَّرعِيُّ. ❍ جميعُ ما ذُكِر.

[٢] قالَ النَّبيُّ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ (❍ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ ❍ الرُّؤْيَةِ فِي الْمَنَامِ ❍ صُورَةِ رَجُلٍ) وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ».

[٣] أحيانًا كانَ جبريلُ عليه السلام يأتي في صورةِ رَجُلٍ، وكثيرًا ما يأتي في صورَةِ: ❍ عُمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه. ❍ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه. ❍ دِحيَةَ الكَلبيِّ رضي الله عنه.

[٤] كان جِبريلُ عليه السلام يُعارِضُ الرَّسولَ ﷺ القُرآنَ في كلِّ عام مرَّةً، وفي السَّنةِ الَّتي تُوُفِّيَ فيها عارَضَه: ❍ مرَّتين. ❍ ثلاثَ مرَّاتٍ. ❍ أربعَ مرَّاتٍ.

[٥] الرُّؤيا الصَّالِحَةُ للأنبياءِ تُعَدُّ: ❍ إلهامًا فِطريًّا. ❍ وحيًا يجب اتِّباعُه.

[٦] حالاتُ الوَحيِ للنَّبيِّ ﷺ: ❍ ٥. ❍ ٦. ❍ ٧.

[٧] مِن آثارِ الوَحيِ ومَظاهِرِه علىٰ النَّبيِّ ﷺ: ❍ البِشرُ والسَّعادَةُ. ❍ ثِقَلُ جِسمِه حتَّىٰ يكادَ يرُضُّ فَخِذَه. ❍ الهمُّ والغمُّ والحُزنُ.

[٨] صِل الوَحيَ بنَوعِه:

(أ):	(ب):
مَبدَأُ وَحيه ﷺ:	يأتيه المَلَكُ في صورَةِ رجُلٍ.
يُخاطِبُه فيَعي عنه ويَراهُ النَّاسُ:	مثلَ صلصَلَةِ الجرَسِ.
أشَدُّ الوَحيِ عليه ﷺ:	أن يَرىٰ جِبريلَ علىٰ صورَتِه.
وقَعَ له مرَّتَينِ فقط فيما يُعلَمُ:	الرُّؤيا الصَّادِقَةُ.
﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾:	ما يُلقىٰ إلىٰ المَلائِكَةِ.
﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾:	الإشارَةُ السَّريعَةُ بجارِحَةٍ.
﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟﴾:	وسوسة الشَّيطانِ.
﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾:	الأمرُ الكَونيُّ للجَماداتِ.
الوَحيُ إلىٰ النَّحل:	الإلهامُ الفِطريُّ للإنسانِ السَّليم.
الوَحيُ إلىٰ أمِّ موسَىٰ عليها السلام:	الإلهامُ الغَريزيُّ للحَيوانِ.

فُروقاتٌ مهمَّةٌ:

القرآنُ الكريمُ:	الكتُبُ السَّماويَّةُ:
آيةٌ للنَّبيِّ ﷺ، وتَشريعٌ له ولأمَّتِه.	تشريعٌ فقط.
تعهَّدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بحِفظِه، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحجر].	أمرَهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بحِفظِها، ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[المائدة:٤٤].
حَفِظَه كثيرٌ مِن الأمَّةِ في الصُّدورِ.	لم يَحفظها إلَّا الأنبياءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
ناسخٌ لكلِّ الكتبِ الَّتي سبقَته.	كلُّها مَنسوخٌ بالقرآنِ العَظيمِ.
بلغَةٍ عربيَّةٍ فَصيحَةٍ.	المَعلومُ مِنها كانَ بغَيرِ العربيَّةِ.
نزلَ مُنجَّمًا بحسَبِ حاجَةِ النَّاسِ.	لا يثبُتُ أنَّ كِتابًا مِنها نزلَ مُنجَّمًا.
سُمِّيَ قرآنًا بمَعنىٰ: قارئٍ، ومَقروءٍ.	لا تُسمَّىٰ قرآنًا إلَّا بالمَعنىٰ اللُّغويِّ.
شَمِلَ كلَّ جَوانِبِ الحياةِ.	
نزَلَ لكلِّ الثَّقلين إلىٰ يوم القيامةِ.	
مُصدِّقٌ لجَميع الكُتُبِ ومُهيمِنٌ عليها.	
فيه ما لم ينزِلْ مثلُه في بقيَّةِ الكُتبِ؛ كالفاتحةِ، وفيه بعضُ ما نزلَ فيها.	

القرآنُ الكريمُ:	الحَديثُ القُدسيُّ والحَديثُ النَّبويُّ:
تحدَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ النَّاسَ أن يأتوا بمثلِه.	لم يَقع به التَّحدِّي.
لفظُه ومَعناه من اللهِ، وهو مُتعبَّدٌ بتِلاوَتِه.	ليس مُتعبَّدًا بتِلاوَتِه.
مُعجِزٌ بأقصَرِ سورةٍ منه.	ليس مُعجِزًا، ومنه الصَّحيحُ والضَّعيفُ.
مَنقولٌ بطريقِ التَّواتُر، فكلُّه قَطعِيُّ الثُّبوتِ.	منها ما هو مُتواترٌ، ومنها ما هو آحادٌ.
لا تصحُّ الصَّلاةُ إلَّا به.	لا يُتلىٰ في الصَّلاة.
ثوابُ تلاوتِه عَظيمٌ.	فيه ثوابٌ، لكنَّه أقلُّ من ثوابِ القُرآنِ.
الجُنُبُ لا يمَسُّ القرآنَ.	الجُنُبُ له أن يمَسَّ كُتُبَ الحَديثِ.

تَنْبِيهٌ في رُكْنِيَّةِ الإِيمانِ بالكُتُبِ:	نُؤمِنُ أنَّها كلامُ اللهِ، مُنزَّلَةٌ غيرُ مَخلوقَةٍ، وأنَّ اللهَ أنزَلَ مع كلِّ رسولٍ كِتابًا، نؤمِنُ بها وبما أعلَمَنا اللهُ مِن أسمائِها، وأخبارِها، وأحكامِها ما لم تُنسَخ، وأنَّ القرآنَ ناسِخٌ لها، ومع ذلِكَ لا يُشرَعُ مُطالَعةُ غيرِ الكِتابِ والسُّنَّةِ المَحفوظَينِ بحِفظِ اللهِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] مِن خَواصِّ القُرآنِ: ❍ التَّحدِّي به. ❍ أنَّه مُختَصٌّ بالنُّزولِ علىٰ مُحمَّدٍ ﷺ. ❍ أنَّه أفضَلُ الكُتُبِ المُنزَّلَةِ. ❍ كثرَةُ أسمائِه. ❍ أنَّه لا يُقرَأُ في الصَّلاةِ إلَّا هو. ❍ أنَّه لا يمَسُّه إلَّا طاهِرٌ. ❍ أنَّه لا يَقرَأُه الجُنُبُ. ❍ خَصائِصُ ألفاظِه ومَعانيه. ❍ الجميع.

[٢] ليسَ هناك اختِلافٍ بين القُرآنِ والحَديثِ القُدسِيِّ؛ لأنَّهما: ❍ يتَّفقانِ علىٰ أنَّ الكلامَ فيهما كلامُ اللّٰه باللَّفظِ والمَعنىٰ. ❍ يتَّفقانِ علىٰ أنَّهما مُتعبَّدٌ بتِلاوَتِهما. ❍ يتَّفقانِ علىٰ أنَّهما بلَغا مَبلَغَ التَّواتُرِ. ❍ ليسَ شيءٌ ممَّا ذُكِرَ صحيحًا.

[٣] الحديثُ القُدسِيُّ هو: ما يَرويهِ النَّبيُّ ﷺ عن جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤] يَجوزُ مَسُّ الحَديثِ القُدسِيِّ لغَيرِ الطَّاهرِ. ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] يَحرُمُ روايَةُ القُرآنِ الكَريمِ بالمَعنىٰ. ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] القُرآنُ الكَريمُ لفظًا ومعنىٰ مِن عندِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، والحَديثُ القُدسِيُّ مَعناه مِن اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولَفظُه مُختَلَفٌ فيه. ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] صِلِ الحقلِ (أ) بما يُناسِبُه مِن الحقلِ (ب):

(أ):	(ب):
تعهَّدَ اللهُ بحِفظِ القُرآنِ:	﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾.
أمرَ اللهُ أهلَ الكُتُبِ بحِفظِها:	﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾.
القُرآنُ ناسِخٌ لكلِّ الكُتُبِ.	﴿فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ﴾.
تحدَّىٰ اللهُ النَّاسَ أن يأتوا بمِثلِه:	﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾.

[٨] لم يقَع به التَّحدِّي: ❍ القُرآنُ الكَريمُ. ❍ الحَديثُ القُدسِيُّ.

[٩] لا تصِحُّ الصَّلاةُ إلَّا به: ❍ القُرآنُ الكَريمُ. ❍ الحَديثُ القُدسِيُّ.

أسبابُ النُّزولِ:

ينقَسِمُ نُزولُ القرآنِ إلى:	[١] ابتِدائيٌّ: وهو مَا لَمْ يَتَقَدَّمْ نُزُولَهُ سَبَبٌ مُباشِرٌ يَقْتَضِيهِ، وإنَّما يَنزِلُ لهدايَةِ الخَلقِ وبَيانِ الأحكامِ والأخبارِ. [٢] سَبَبيٌّ: والأسبابُ ثلاثةٌ: [أ] أن يُجيبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ على سُؤالٍ. [ب] أن يَنزِلَ القرآنُ بيانًا لحادِثَةٍ وقعَت، أو تَحذيرًا للمُسلمين. [ج] أن يَنزِلَ القرآنُ مُبَيِّنًا حُكمَ فِعلٍ واقِعٍ.
فَوائِدُ مَعرِفَةِ أسبابِ النُّزولِ:	[١] بَيَانُ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِنَ اللهِ. [٢] بَيَانُ عِنَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِرَسُولِهِ. [٣] بَيَانُ عِنَايَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ. [٤] فَهْمُ الْآيَةِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الصَّحِيحِ.
مِن كُتُبِ أسبابِ النُّزولِ:	[١] «أسبابُ نُزولِ القُرآنِ» للواحِدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت٤٦٨هـ). [٢] «العُجابُ في بَيانِ الأسبابِ» لابنِ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ (ت٨٥٢هـ). [٣] «لُبابُ النُّقولِ في أسبابِ النُّزولِ» للسُّيوطِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت٩١١هـ). [٤] «الصَّحيحُ المُسنَدُ مِن أسبابِ النُّزولِ» للوادِعِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

بَعضُ أسبابِ النُّزولِ:	الأنفالُ:	نَزَلَت في بَدرٍ وقَسمِ الغَنائِمِ ومُعامَلَةِ الأسرىٰ.
	براءَةُ:	نَزَلَت في غَزوَةِ تَبوكَ، وما حصَلَ مِنَ المُنافِقينَ، والمُشرِكينَ، والثَّلاثَةُ المُخلَّفينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُم.
	الأحزابُ:	نَزَلَت في غزوَةِ الخَندَقِ وما أصابَ المُؤمنينَ فيها.
	الفَتحُ:	نَزَلَت في صُلحُ الحَديبِيَةِ وبيعَةِ الرِّضوانِ.
	المُجادلة:	نَزَلَت في خَولَةَ بنتِ ثعلبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنها وزَوجِها.
	الحَشرُ:	نَزَلَت في يَهودِ بني النَّضيرِ، كادوا بالنَّبيِّ ﷺ بعد أن عاهَدهم، فأجلاهم ﷺ مِنَ المدينَةِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَق:

[١] أسبابُ النُّزول تتوقَّفُ علىٰ: ❍ النَّقلِ والسَّماع. ❍ الاجتهادِ. ❍ معرفة المكِّيِّ والمدنيِّ.

[٢] أسبابُ النُّزولِ المرويَّة عن الصَّحابيِّ في حكم الرَّفع دائمًا: ❍ صح. ❍ خطأٌ.

[٣] صِل فوائِدَ النُّزولِ مِن الحقلِ (أ) بأمثلَتِها مِن الحقلِ (ب):

(أ)	(ب)
فهم الآية على الوجه الصَّحيح:	آية التَّيمُّم.
عناية الله برسوله والدِّفاع عنه:	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ﴾.
عناية الله بعباده في تفريج كُربهم:	﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾.

[٤] ذِكرُ سبَبِ النُّزولِ: ❍ يَقتَضي الاختِصاصَ. ❍ لا يقتَضيه.

[٥] سبَبُ النُّزولِ: ❍ يُعينُ علىٰ فَهمِ الآيَةِ. ❍ ليسَ له علاقةٌ بفَهمِ الآيَةِ.

[٦] قولُ: (نزَلَتِ هذه الآيةُ في كذا) يُرادُ به: ❍ أنَّه سببُ نُزولٍ. ❍ أنَّ ذلِكَ داخِلٌ في الآيَةِ. ❍ الجميع.

[٧] سبَبُ النُّزولِ (❍ لا يعني ❍ يعني) تَخصيصَ اللَّفظِ بما نزَلَ فيه، و(❍ يُؤكِّدُ ❍ لا يؤكد) دُخولَ المُخاطَبِ فيه قطعًا.

[٨] أعلَمُ الصَّحابَةِ بأسبابِ النُّزولِ: ❍ ابنُ عبَّاسٍ. ❍ ابنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

[٩] العِبرَةُ بعُمومِ اللَّفظِ لا بخُصوصِ السَّبَبِ: ❍ صح. ❍ خطأٌ.

[١٠] صِل الحقلَ (أ) بما يُناسِبُه مِن الحقلِ (ب):

(أ):	(ب):
سورَةُ الإخلاصِ:	نزَلَت في بَدرٍ.
آيَةُ الظِّهارِ:	نزَلَت في أوسِ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
آيَةُ التَّيَمُّمِ:	نزَلَت في صُلحُ الحَديبيَةِ وبيعَةِ الرِّضوانِ.
سورَةُ الحَشرِ:	نزَلَت في عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لمَّا فقَدَت عِقدَها وحبَسَتِ الجيشَ، ولم يَجِدوا الماء للوُضوءِ.
سورَةُ الأنفالِ:	نزَلَت في يَهودِ بني النَّضيرِ.
سورَةُ الفَتحِ:	نزلَت جوابًا لقُرَيشٍ لمَّا قالوا: «**انْسِبْ لَنا رَبَّكَ**».

كَيْفِيَّةُ نُزولِ الْقُرآنِ وتَرتيبُه:

كيفَ نزَلَ القُرآنُ؟	[١] **جُملَةً واحِدَةً:** مِن اللَّوحِ المَحفوظِ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا في ليلَةِ القَدرِ مِن شَهرِ رَمضانَ، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾[القدر]. [٢] **مُنجَّمًا:** مِن السَّماءِ الدُّنيا علىٰ النَّبيِّ ﷺ، حسَبَ الحاجَةِ والمُناسبَةِ، ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[الإسراء:١٠٦].
الْحِكْمَةُ مِن نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُفَرَّقًا:	[١] تَثْبيتُ قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ، قالَ اللهُ تَعالىٰ مُجيبًا الكُفَّارَ لَمَّا اعتَرضوا: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾[الفرقان:٣٢]. [٢] أَنْ يَسْهُلَ عَلَىٰ النَّاسِ حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ. [٣] تَنْشِيطُ الْهِمَمِ لِقَبُولِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَتَنْفِيذِهِ. [٤] التَّدَرُّجُ فِي التَّشْرِيعِ حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَىٰ دَرَجَةِ الْكَمَالِ.
مَعنى التَّرتيبِ:	تِلَاوَةُ القُرآنِ تَالِيًا بَعْضُهُ بَعْضًا، حَسَبَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، وَمَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ.
أنواعُ التَّرتيبِ وحُكمُ كُلِّ نَوعٍ:	[١] **تَرتيبُ الحُروفِ في الكَلِمَةِ:** وهذا واجبٌ بالنَّصِّ والإجماعِ، لا يتجرَّأُ عليه أحدٌ. [٢] **تَرتيبُ الكَلِماتِ:** وهو كذلك واجبٌ بإجماعٍ. [٣] **تَرتيبُ الآياتِ:** وهو واجبٌ علىٰ القولِ الرَّاجحِ. [٤] **تَرتيبُ السُّوَرِ:** وهو غيرُ واجبٍ؛ لأنَّ التَّرتيبَ ثَبَتَ بالاجتهادِ.
حكمُ مُخالفةِ تَرتيبِ السُّوَرِ:	[١] **أمامَ عوامِّ النَّاسِ:** لا ينبغي فِعلُه؛ لما فيه مِن التَّشويشِ وإثارَةِ الفِتنَةِ بينَ العامَّةِ الَّذينَ يَجهلونَ حُكمَ ترتيبِ السُّوَرِ. [٢] **في مجالِ التَّعليمِ:** لا بأسَ به، وجرَت العادَةُ بتَعليمِ الصِّبيانِ بدءًا من سورَةِ النَّاسِ.
لَطِيفَةٌ:	كلُّ سُوَرِ القُرآنِ أسماؤُها فيها إلَّا الفاتِحَةُ، والأنبياءُ، والإخلاصُ.

تَنْبِيهٌ:	سُمِّيَت الآيَةُ بذلِكَ لأنَّها آيَةٌ للنَّبيِّ ﷺ عجزَ الخَلقُ عن مِثلِها. وسُمِّيَت السُّورَةِ بذلِكَ لأنَّها كالسُّورِ: [١] المُحيطِ، لا يَدخُلُها ما ليسَ مِنها، ولا يَخرُجُ مِنها ما هو مِنها. [٢] لشَرَفِها وارتِفاعِها.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] ترتيبُ المُصحَفِ: ❍ تَوقيفيٌّ. ❍ اجتِهاديٌّ.

[٢] الحكمةُ مِن نزولِ القرآنِ مُفرَّقًا: ❍ تَثْبيتُ قَلْبِ النَّبيِّ ﷺ. ❍ تسهيلُ حِفظِهِ. ❍ تَنشيطُ الهِمَمِ لقَبولِه. ❍ التَّدرُّجُ في التَّشريعِ. ❍ الجميع.

[٣] نُزولُ القرآنِ الكريمِ علىٰ النَّبيِّ ﷺ كان: ❍ مُنجَّمًا. ❍ جُملةً واحدةً. ❍ في رمضانَ من كلِّ عامٍ.

[٤] جُعِلَت الصُّحُفُ عندَ حفصَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بعد موتِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأنَّها: ❍ أمُّ المُؤمِنينَ. ❍ كانَت ذاتَ دِيانَةٍ، وأمانَةٍ، وعَقلٍ، وحُسنِ تصَرُّفٍ. ❍ الجميع.

[٥] أوَّلُ ما نزَلَ علىٰ الإطلاقِ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ وهي مُتعلِّقَةٌ بالنُّبوَّةِ: ❍ صح. ❍خطأ.

[٦] أوَّلُ سورةٍ نزلَت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ مُتعلِّقةٌ بالرِّسالةِ: ❍ صح. ❍خطأ.

[٧] مِن حِكَمِ نُزولِ القُرآنِ مُفرَّقًا تيسيرُ حِفظِهِ وفَهمِه: ❍ صح. ❍خطأ.

[٨] ترتيبُ الآياتِ في القُرآنِ توقيفيٌّ عن الرَّسولِ ﷺ: ❍ صح. ❍خطأ.

[٩] سُمِّيَت الآيَةُ بذلِكَ لأنَّها آيَةٌ للنَّبيِّ ﷺ: ❍ صح. ❍خطأ.

[١٠] سُمِّيَت سورَةً لأنَّها كالسُّورِ: ❍ في شَرَفِها وعُلُوِّها. ❍ تُحيطُ بما فيها. ❍ كلاهما.

[١١] ألَّفَ العُلماءُ في: ❍ مُناسَباتِ الآياتِ والسُّوَرِ. ❍ المُناسَباتِ بين فَواصِلِ القُرآنِ. ❍ أسرارِ ترتيبِ القُرآنِ. ❍ الجميع.

[١٢] صل نوعَ التَّرتيبِ في القرآنِ بحُكمِه:

تَرتيبُ الحُروفِ:	واجبٌ بإجماعٍ.
تَرتيبُ الكلِماتِ:	غيرُ واجبٍ، لكن لا يَنبَغي مُخالَفةُ التَّرتيبِ المَشهورِ.
تَرتيبُ الآياتِ:	واجبٌ بالنَّصِّ والإجماعِ، ولا يتجرَّأُ عليه أحدٌ.
تَرتيبُ السُّوَرِ:	واجبٌ علىٰ القولِ الرَّاجحِ.

كِتَابَةُ الْقُرْآنِ وَجَمْعُه:

فائِدَةٌ:	أوَّلُ مَن حفِظَ القرآنَ جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمَّ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، ثمَّ الصَّحابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وجمَعَه مِنهم في حياةِ النَّبيِّ ﷺ أربعةٌ: «**أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ**». مُتَّفقٌ عليه.
مَراحِلُ كِتابَةِ القُرآنِ ثلاثةٌ:	[١] **في عهدِ النَّبيِّ ﷺ:** كان الاعتماد على الحفظ أكثر من الكتابة، وكتب الصَّحابة أجزاءً مُتفرِّقةً من القرآن. [٢] **في عهد أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** جُمِعَت الصُّحُفُ بمَشورَةِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [٣] **في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** جُمِعَ القرآنُ في مُصحفٍ واحدٍ بمَشورَةِ حُذَيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأُرسِلَت نُسَخٌ مِنه إلى الأمصارِ.
من أسباب الاعتماد على الحفظ في العهد النَّبويِّ:	[١] **قوَّة الذَّاكرَة:** كان الصَّحابيُّ لا يكاد ينسى شيئًا حفظه. [٢] **سُرعَةُ الحِفظ:** يسمع الحديث الطَّويلَ فيحفظه من أوَّل مرَّةٍ. [٣] **قلَّةُ الكتَبَة:** «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ**». مُتَّفقٌ عليه. [٤] **قلَّة وَسائِلِ الكِتابَة:** كالعُسُبِ، والرِّقاعِ، والحِجارَةِ، والعِظامِ.
سبَبُ جمعِ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القرآنَ:	استُشهِدَ كثيرٌ من الصَّحابَةِ القُرَّاءِ في اليَمامَةِ، فخَشِيَ أبو بكرٍ أن يضيعَ القُرآنُ، فأمَرَ زيدًا فتتبَّع القُرآنَ يَجمَعُه «**مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللَّهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**». أخرَجه البُخاريُّ.
سببُ جَمعِ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ على مُصحفٍ واحدٍ:	في الحديث المُتَّفق عليه: «**إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ**»، فقد كان كلُّ مِن الصَّحابَةِ يقرَأُ بما سمِعَ من النَّبيِّ ﷺ، فخَشِيَ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يؤَدِّي هذا إلى اختِلافِ القُلوبِ والآراءِ، فيَتَنازَعَ النَّاسُ ويتفرَّقوا، فأمَرَ زَيدَ بْنَ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومَن معه فجَمَعوا الصُّحُفَ في مُصحَفٍ واحِدٍ حُمِلَ النَّاسُ جَميعًا عليه، فكُلُّ القِراءاتِ المُتَواتِرَةِ لا تَخرُجُ عن هذا المُصحَفِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] أوَّلُ من أشارَ بجَمع القرآنِ الكريمِ: ❍ أبو بكرٍ. ❍ عمرُ. ❍ عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.
[٢] كانت كتابةُ القرآن علىٰ عهدِ النَّبيِّ ﷺ علىٰ: ❍ الأحجارِ. ❍ العُسُبِ. ❍ العِظام. ❍ الرِّقاعِ. ❍ الجُلودِ. ❍ جميع ما ذُكِرَ.
[٣] جُمِع القرآنُ في عهدِ: ❍ النَّبيِّ ﷺ. ❍ أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ❍ عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ❍ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ❍ الجميع إلَّا الأخير.
[٤] كُتِبَ القرآنُ الكريمُ كلُّه في حياةِ النَّبيِّ ﷺ: ❍ مَجموعًا في مُصحَفٍ واحدٍ. ❍ مُفرَّقًا في الرِّقاعِ واللِّخافِ. ❍ لم يُكتَب مِنه شيءٌ.
[٥] أوَّلُ مَن جمَعَ القرآن الكريمَ في مَكانٍ واحدٍ في الصُّحُفِ: ❍ النَّبيُّ ﷺ. ❍ عمر بنُ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. - أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
[٦] بقيت الصُّحُفُ بعد وفاةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عند عمر بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثمَّ بعد وفاتِه انتقلَت إلىٰ: ❍ عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. ❍ حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. ❍ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
[٧] الجَمعُ الثَّاني للقرآن الكريم كانَ في عهدِ: ❍ عمرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ❍ عثمانَ بن عفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. - عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
[٨] لم يأذَن الرَّسولُ ﷺ في كتابةِ شيءٍ عنه سِوىٰ القُرآن خشيَةَ أن يلتَبِسَ بغَيرِه: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٩] بدأ تدوينُ الحَديثِ في القَرنِ الثَّاني للهِجرَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٠] حِفظُ القُرآنِ واجبٌ علىٰ الأمَّةِ الإسلاميَّةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١١] الاعتمادُ علىٰ الحِفظِ في النَّقلِ مِن خَصائِصِ أمَّةِ محمَّدٍ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٢] إذا احتيجَ إلىٰ تَعطيلِ بَعضِ أوراقِ المُصحَفِ فإنَّها تُتلَفُ بـ: ❍ حَرقِها؛ كما فعَلَ عُثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ❍ وَضعِها في شِقٍّ. ❍ تمزيقِها.
[١٣] القراءاتُ المُتواتِرَةُ: ❍ كلُّها لا تَخرُجُ عن مُصحَفِ عُثمانَ. ❍ مِنها ما يُوافِقُ مُصحَفَ عُثمانَ، ومِنها ما يُخالِفُه في أُمورٍ.
[١٤] تميَّزَ العَهدُ النَّبويُّ بـ: ❍ قوَّةِ الذَّاكِرَةِ. ❍ سُرعَةِ الحِفظِ. ❍ قلَّةِ وسائِلِ الكِتابَةِ. ❍ كثرَةِ الكتَبَةِ. ❍ الجميع. ❍ الجميع إلَّا الأخير.
[١٥] أمَرَ النَّبيُّ ﷺ مَن كتَبَ شيئًا غيرَ القرآنِ أن يَمحُوَه: ❍ صح. ❍ خطأ.

الْقِرَاءَاتُ:

أنواعُ القِراءاتِ:	[١] **مُتَواتِرَةٌ:** الَّتي وافقَت اللُّغَةَ العربيَّةَ، ووافَقَ رَسمُها أحَدَ المَصاحِفِ العُثمانيَّةِ، ونُقِلَت إلينا بالتَّواتُرِ. [٢] **شاذَّةٌ:** الَّتي لم تُوافِقِ العَربيَّةَ، أو لم يُوافِق رَسمُها المَصاحِفَ العُثمانيَّةَ، أو لم تُنقَل إلينا بالتَّواتُرِ وإن صحَّ سَندُها.
القِرَاءَةُ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ لَا اجْتِهَادَ فِيهَا:	قال العلَّامةُ بدرُ الدِّينِ الزَّركَشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «البرهان في علوم القرآن» (١/ ٣٢٢): «**وَقَدِ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَىٰ صِحَّةِ قِرَاءَةِ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ، وَأَنَّهَا سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، وَلَا مَجَالَ لِلاجْتِهَادِ فِيهَا**».
القُرَّاءُ العشرَةُ المُجمَعُ عليهم:	[١] **نافِعُ** بن عبد الرَّحمنِ المدنيُّ، وعنه: [أ] **ورشٌ**. [ب] **قالونُ**. [٢] **عاصِمُ** بنُ أبي النَّجودِ الكوفِيُّ، وعنه: [أ] **حفصٌ**. [ب] **شُعبةُ**. [٣] عبدُ الله **بنُ كثيرٍ** المَكِّيُّ. [٤] عبدُ اللهِ **بنُ عامرٍ** الشَّامِيُّ. [٥] **أبو عمرِو** بنُ العَلاءِ البَصريُّ. [٦] **حمزةُ** بن حبيبٍ الكوفِيُّ. [٧] عليُّ بنُ حمزةَ **الكِسائِيُّ** الكوفِيُّ. [٨] **أبو جعفرٍ** المدنِيُّ. [٩] **يَعقوبُ** بنُ إسحاقَ الحَضرمِيُّ [١٠] **خلفُ** بنُ هشامٍ.
فَوائِدُ مهمَّةٌ:	أقوىٰ العشرَةِ سنَدًا في القراءة: نافعٌ المدنِيُّ، وعاصِمٌ الكُوفِيُّ. وأفصَحُهم: أبو عمرٍو البَصرِيُّ، وأبو الحسَنِ الكِسائِيُّ.
أقسامُ النَّاسِ في سماعِ القرآنِ:	[١] مُعرِضٌ مُمتنِعٌ عن سماعِه. [٢] يسمعُ الصَّوتَ ولا يفقهُ المَعنىٰ. [٣] يفقهُه لكنَّه لا يقبَلُه. [٤] يسمعُه سماعَ فقهٍ وقَبولٍ.
أنواعُ هجرِ القرآنِ (ذكرَها ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ):	[١] هجرُ سَماعِه، والإيمانِ به، والإصغاءِ إليه. [٢] هجرُ العملِ به والوقوفِ عند حلالِه وحرامِه وإن قرأه وآمنَ به. [٣] هجرُ تحكيمِه والتَّحاكُمِ إليه في أصولِ الدِّينِ وفروعِه. [٤] هجرُ تدبُّرِه، وتفهُّمِه، ومعرفةِ ما أرادَ اللهُ منه. [٥] هجرُ التَّداوي به في جميعِ أمراضِ القُلوبِ وأدوائِها.

تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ فِي الْقِرَاءَةِ:	يُشرَعُ للمُؤمِنِ أن يجتَهِدَ في القِراءَةِ، ويتحرَّىٰ الصَّوابَ، ويقرَأَ علىٰ مَن هو أعلَمُ مِنه حتَّىٰ يَستَفيدَ ويَستدرِكَ أخطاءَه، وهو مَأجورٌ ومُثابٌ، وله أجرُه مرَّتَين إذا اجتَهَدَ وتحَرَّىٰ الحَقَّ؛ لقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**الْمَاهِرُ فِي الْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ**». أخرَجه مسلِمٌ .

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] لا يجوزُ للقُرَّاءِ الاجتِهادُ في القِراءاتِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢] كلُّ قراءةٍ لا تتوفَّرُ فيها شُروطُ القِراءَةِ الصَّحيحةِ تُعَدُّ قراءةً: ❍ شاذَّةً. ❍ مُتواترَةً. ❍ مَشهورةً.

[٣] القُرَّاءُ السَّبعةُ مِنهم (❍ ٣ ❍ ٤ ❍ ٢) كوفيُّونَ، والبقيَّةُ مِن (❍ مكَّةَ ❍ المدينةِ ❍ الشَّامِ ❍ البصرَةِ ❍ الكوفَةِ ❍ الجَميعِ ❍ الجَميعِ إلَّا الأخير).

[٤] القِراءَة اصطلاحًا: مذهبٌ مِن مَذاهِبِ النُّطقِ في القُرآنِ، يذهَبُ به إمامٌ مِن الأئمَّةِ القُرَّاءِ يُخالِفُ به غيرَه. ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] القِراءاتُ ثابتةٌ بأسانيدِها إلىٰ الرَّسولِ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] في عهدِ التَّابعينَ علىٰ رأسِ المِئةِ الأولىٰ اعتَنَوا بضبطِ القِراءَةِ حتَّىٰ صارَت عِلمًا: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] اختيارُ القُرَّاءِ السَّبعِ إنَّما هو للعُلماءِ المُتأخِّرين في المِئةِ الثَّالثَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٨] مِن أنواعِ القِراءاتِ القِراءَةُ الشَّاذَّةُ، وهي الَّتي لم يصِحَّ سنَدُها، ولا يُقرَأُ بها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] مِن أنواعِ القِراءاتِ القِراءَةُ المَوضوعةُ، وهي الَّتي لا أصلَ لها، ولا يُقرَأُ بها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] مِن أنواعِ القِراءاتِ القِراءَةُ المُدرَجَةُ، وهي الَّتي زيدَ فيها علىٰ وَجهِ التَّفسيرِ، ولا يُقرَأُ بها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] مِن فوائِدِ اختلافِ القِراءاتِ أنَّها دليلٌ علىٰ صِيانَةِ كِتابِ اللهِ مِن التَّبديلِ والتَّحريفِ رغمَ هذه الأوجُهِ الكَثيرَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٢] مِن أنواعِ القِراءاتِ: ❍ التَّامُّ. ❍ المُتواتِرُ. ❍ الكافي.

الـمَكِّيُّ والـمَدَنيُّ:

تَقسيمُ القُرآنِ إلى مَكِّيٍّ ومَدَنيٍّ:		اقتَصَرَ العُلَماءُ على قِسمَينِ باعتبارِ الزَّمان: [١] الـمَكِّيُّ: ما نزل قبل الهجرة ولو بغير مكَّة. [٢] الـمَدَنيُّ: ما نزل بعد الهجرة ولو بمكَّة.
الفرق بين الـمكِّيِّ والـمدنيِّ من وجهين:	[١] الأسلوبُ:	[أ] الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ قُوَّةُ الْأُسْلُوبِ، وَشِدَّةُ الْخِطَابِ.
		[ب] الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ قِصَرُ الْآيَاتِ، وَقُوَّةُ الْمُحَاجَّةِ.
	[٢] الموضوعُ:	[أ] الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ تَقْرِيرُ التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ، أَمَّا الْمَدَنِيُّ فَالْغَالِبُ فِيهِ تَفْصِيلُ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ.
		[ب] الغالبُ في المدنيِّ الْإِفَاضَةُ فِي الْجِهَادِ وَالْمُنَافِقِينَ.
قاعِدَةٌ:		الأصلُ أنَّ السُّوَرَ المكِّيَّةَ كلُّها مكِّيَّةٌ، وأنَّ المدنيَّةَ كلُّها مدنيَّةٌ، ولا يُسَلَّمُ كونُ آيةٍ منها مُستثناةً إلَّا إذا ثبت بسندٍ صحيحٍ.
مِن العلاماتِ الَّتي يُعرَفُ بها المَكِّيُّ والمَدَنيُّ أنَّ كل سورَةٍ:		[١] بدأت بحُروفٍ مُقطعَّةٍ فهي مكِّيَّةٌ إلَّا البقرَةَ وآلَ عِمرانَ. [٢] فيها (كلَّا) فهي مكِّيَّةٌ إلَّا التَّكاثُر. [٣] فيها سَجدةٌ فهي مكِّيَّةٌ. [٤] مَبدوءَةٍ بقَسَمٍ فهي مكِّيَّةٌ. [٥] مُفتَتَحَةٍ بالحَمدِ فهي مكِّيَّةٌ. [٦] فيها قصَصُ الأنبياءِ مُفصَّلةً فهي مكِّيَّةٌ إلَّا البقرَةَ. [٧] فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وليسَ فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فهي مكِّيَّةٌ. [٨] فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) وليس فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فهي مدَنيَّةٌ. [٩] فيها ذِكرُ المُنافقين فهي مدَنيَّةٌ إلَّا سورةَ العَنكبوتِ فيها خِلافٌ. [١٠] فيها حَدٌّ أو بيانُ فريضَةٍ فهي مدَنيَّةٌ.
فوائد معرفة الـمكِّيِّ والـمدنيِّ:		[١] ظُهُورُ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ. [٢] ظُهُورُ حِكْمَةِ التَّشْرِيعِ. [٣] تَرْبِيَةُ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ وَتَوْجِيهُهُمْ. [٤] تَمْيِيزُ النَّاسِخِ والْمَنْسُوخِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] السُّوَرُ المكِّيَّةُ: ❍ تعمُّ جَميعَ الأُمَم. ❍ تختَصُّ بالمُشرِكينَ.

[٢] السُّوَرُ المَكِّيَّةُ فيها الحَديثُ عن المُنافِقينَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣] المُرسَلات والنَّبأُ: ❍ مدنيَّةٌ. ❍ بعضُها مكِّيٌّ وبعضُها مدنيٌّ. ❍ مكِّيَّةٌ.

[٤] أشمَلُ وأحسَنُ الأقوالِ والتَّعاريفِ في المُرادِ بالمَكِّيِّ والمدنِيِّ هو اعتبارُ: ❍ المُخاطَبِ. ❍ زمَنِ النُّزولِ. ❍ مَكانِ النُّزولِ.

[٥] وضَعَ العُلَماءُ عدَّة ضوابِطَ تُعرَفُ بها السُّوَرُ المكِّيَّةُ، ومنها كلُّ سورَةٍ فيها: ❍ فريضةٌ. ❍ سجدَةٌ. ❍ ذِكرُ المُنافِقينَ.

[٦] كلُّ سورَةٍ فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وليس فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) مِن ضَوابِطِ السُّوَرِ: ❍ المدنيَّةِ. ❍ الَّتي نزلَت بين مكَّةَ والمَدينَةِ. ❍ المكِّيَّةِ.

[٧] للسُّوَرِ المكِّيَّةِ أساليبُ خاصَّةٌ، ومنها: ❍ قِصَرُ آياتِها. ❍ طولُ سُوَرِها. ❍ النِّداءُ بـ(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ).

[٨] مِن مَوضوعاتِ السُّوَرِ المكِّيَّةِ: ❍ القِيامَةُ وأهوالُها. ❍ الفَرائِضُ والحُدودُ. ❍ العِباداتُ والمُعامَلاتُ.

[٩] مِن المدنيَّةِ كلُّ سورَةٍ فيها: ❍ لفظُ (كَلَّا). ❍ فريضَةٌ أو حدٌّ. ❍ سجدَةٌ.

[١٠] السُّوَرُ الَّتي فيها مُجادَلَةُ أهلِ الكتابِ تُعَدُّ مِن السُّوَرِ: ❍ المكِّيَّةِ. ❍ الَّتي نزَلَت بين مكَّةَ والمَدينَةِ. ❍ المَدنيَّةِ.

[١١] مِن السُّوَرِ الَّتي ذُكِرَ فيها الجِهادِ وألحَّ عليه: ❍ الفاتِحةُ. ❍ النَّبأُ. ❍ الأنفالُ.

[١٢] مِن مُميِّزاتِ السُّوَرِ المدنيَّةِ وخَصائِصِها: أساليبُها، ومِن أهمِّها: ❍ قِصَرُ الفَواصِلِ. ❍ طولُ الآياتِ. ❍ كثرَةُ القسَمِ.

[١٣] آخِرُ سورَةٍ نزَلَت بتَمامِها هي: ❍ الزَّلزلَةُ. ❍ الإخلاصُ. ❍ النَّصرُ.

[١٢] بيِّن نوع الصُّورَةِ فيما يلي:

السُّورَةُ	مكِّيَّةٌ	مدنِيَّةٌ	السُّورَةُ	مكِّيَّةٌ	مدنِيَّةٌ	السُّورَةُ	مكِّيَّةٌ	مدنِيَّةٌ
الفاتِحَةُ	❍	❍	النَّحلُ	❍	❍	يوسُفُ	❍	❍
البَقَرَةُ	❍	❍	الإخلاصُ	❍	❍	الإسراءُ	❍	❍
المائِدَةُ	❍	❍	النَّصرُ	❍	❍	النَّبَأُ	❍	❍

إِعْجَازُ الْقُرْآنِ:

قَالَ شَيخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ:	«وَكَوْنُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مُعْجِزَةٌ لَيْسَ هُوَ مِنْ جِهَةِ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَطْ، أَوْ نَظْمِهِ وَأُسْلُوبِهِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ إِخْبَارِهِ بِالْغَيْبِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ صَرْفِ الدَّوَاعِي عَنْ مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ سَلْبِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ، بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مُعْجِزَةٌ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ».
مِنْ وُجوهِ الإعجازِ في القُرآنِ الكَريمِ:	[١] **اللَّفظُ**. [٢] **النَّظمُ**. [٣] **الْبَلَاغَةُ**: فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى. [٤] **الْمَعاني**: الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ اللهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، والْغَيْبِ الْمَاضِي، وَالْمُسْتَقْبَلِ، والْمَعَادِ...
بَعضُ أنواعِ الإعجازِ القُرآنيِّ:	[١] البَيانِيُّ. [٢] العِلمِيُّ. [٣] التَّشريعِيُّ. [٤] الغَيبِيُّ. [٥] الدَّعوِيُّ. [٦] التَّربَوِيُّ.
قالَ القُرطُبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:	«وُجُوهُ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ عَشَرَةٌ: **مِنْهَا**: النَّظْمُ الْبَدِيعُ الْمُخَالِفُ لِكُلِّ نَظْمٍ مَعْهُودٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ... **وَمِنْهَا**: الْأُسْلُوبُ الْمُخَالِفُ لِجَمِيعِ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ. **وَمِنْهَا**: الْجَزَالَةُ الَّتِي لَا تَصِحُّ مِنْ مَخْلُوقٍ بِحَالٍ... **وَمِنْهَا**: التَّصَرُّفُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهٍ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ عَرَبِيٌّ... **وَمِنْهَا**: الْإِخْبَارُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى وَقْتِ نُزُولِهِ... **وَمِنْهَا**: الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ، الْمُدْرَكُ بِالْحِسِّ فِي الْعَيَانِ... **وَمِنْهَا**: الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إِلَّا بِالْوَحْيِ... **وَمِنْهَا**: مَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ قِوَامُ جَمِيعِ الْأَنَامِ، فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَفِي سَائِرِ الْأَحْكَامِ. **وَمِنْهَا**: الْحِكَمُ الْبَالِغَةُ الَّتِي لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ تَصْدُرَ فِي كَثْرَتِهَا وَشَرَفِهَا مِنْ آدَمِيٍّ. **وَمِنْهَا**: التَّنَاسُبُ فِي جَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ غَيْرِ اخْتِلَافٍ».

قَالَ الزَّرْكَشِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَهْلُ التَّحْقِيقِ عَلَىٰ أَنَّ الْإِعْجَازَ:	وَقَعَ بِجَمِيعِ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَقْوَالِ، لَا بِكُلِّ وَاحِدٍ عَلَىٰ انْفِرَادِهِ... **فَمِنْهَا**: الرَّوْعَةُ الَّتِي لَهُ فِي قُلُوبِ السَّامِعِينَ وَأَسْمَاعِهِمْ... **وَمِنْهَا**: أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ غَضًّا طَرِيًّا... **وَمِنْهَا**: جَمْعُهُ بَيْنَ صِفَتَيِ الْجَزَالَةِ وَالْعُذُوبَةِ... **وَمِنْهَا**: جَعْلُهُ آخِرَ الْكُتُبِ غَنِيًّا عَنْ غَيْرِهِ...».

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْآيَاتُ وَالْبَرَاهِينُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَهِيَ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ آيَاتِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيُسَمِّيهَا مَنْ يُسَمِّيهَا مِنَ النُّظَّارِ (❍ مُعْجِزَاتٍ ❍ آيَاتٍ)، وَتُسَمَّىٰ (❍ دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ ❍ أَعْلَامَ النُّبُوَّةِ ❍ الجميع)، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ إِذَا سُمِّيَتْ بِهَا آيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَىٰ الْمَقْصُودِ مِنْ لَفْظِ (❍ الْمُعْجِزَاتِ ❍ الآيَاتِ)، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَفْظُ (❍ الْمُعْجِزَاتِ ❍ الآيَاتِ) مَوْجُودًا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنَّمَا فِيهِ لَفْظُ (❍ الآيَةِ ❍ الْبَيِّنَةِ ❍ الْبُرْهَانِ ❍ الجميع)».

[٢] مِن أعظَم ما قالَه كافِرٌ في القرآنِ قَولُ الوَلِيدِ بن المُغيرَة: «فَوَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَىٰ، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَاتَحْتَهُ»: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣] علمَت العرَبُ أنَّه شتَّانَ بين آياتِ القرآنِ والشِّعرِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤] القُرآنُ الكَريمُ هو مُعجِزَةُ الإسلام الخالِدَةُ الَّتي لا يَزيدُها التَّقدُّمُ العِلمِيُّ إلَّا رُسوخًا في الإعجازِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] أوجُهُ الدَّلالَةِ علىٰ مَصدَريَّةِ القُرآنِ وكَونِه مِن عندِ اللهِ ليسَت مَحصورَةً في تحدِّيه للعَرَبِ أن يأتُوا بمِثلِه، أو بعَشرِ سُوَرٍ، أو بسورةٍ، وإنَّما هي أوجُهٌ مُتضافِرَةٌ، ودلالاتٌ غيرُ مُنحَصِرَةٍ (❍ صح ❍ خطأ)، فكانَ القُرآنُ نفسُه مَثارَ عَجَبِ العرَبِ وإعجابِهم، حتَّىٰ إنَّهم ربَّما خرُّوا سُجَّدًا لسَماعِه (❍ صح ❍ خطأ).

[٦] غيرُ العرَبِ أقدَرُ علىٰ الإتيانِ بمِثلِ القُرآنِ الكَريم: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] تتفاوَتُ آياتُ القُرآنِ وسُوَرُه في بَلاغَتِها وفَصاحَتِها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٨] يَقتَصِرُ إعجازُ القُرآن علىٰ عهد الرَّسولِ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

آدَابُ قِرَاءَةِ القُرآنِ:

حالُ النَّبيِّ ﷺ مع القُرآنِ: قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ:	«كانَ له ﷺ حِزبٌ يَقرَؤُه ولا يُخِلُّ به، وكانَت قِراءَتُه تَرتيلًا، لا هذًّا ولا عجلَةً، بل قِراءةً مُفسَّرَةً حَرفًا حَرفًا، وكانَ يُقَطِّعُ قِراءَتَه آيَةً آيَةً، وكان يمُدُّ عند حُروفِ المَدِّ.. وكانَ يستَعيذُ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ في أوَّلِ قِراءَتِه.. وكانَ تعوُّذُه قبلَ القِراءَةِ، وكانَ يُحِبُّ أن يسمَعَ القُرآنَ مِن غيرِه.. وكانَ يقرَأُ القُرآنَ قائِمًا وقاعِدًا ومُضطَجِعًا، ومُتوَضِّئًا ومُحْدِثًا [أي: حَدَثًا أَصْغَرَ]، ولم يَكُن يمنَعُه مِن قِراءَتِه إلَّا الجَنابَةُ، وكانَ ﷺ يتغَنَّىٰ به، ويُرَجِّعُ صَوتَه به أحيانًا».
أَهَمُّ آدابِ قِراءَةِ القُرآنِ:	[١] الإخلاصُ للهِ عَزَّوَجَلَّ، فلا يَقرَأُ ليُقالَ: قارِئٌ، ولا لغَيرِ ذلِكَ. [٢] تَعظيمُ القُرآنِ، وحُضورُ القَلبِ بخُلُوِّه مِن حَديثِ النَّفسِ. [٣] أن يتدبَّرَ ما يقرَأُه ويتفهَّمَ مَعانِيَه الَّتي أرادَها اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنه. [٤] أن يُنظِّفَ فمَه بالسِّواكِ تكريمًا للقُرآنِ. [٥] أن يَستَعيذَ باللهِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ قبلَ القِراءَةِ. [٦] أن يُردِّدَ ما يَشاءُ مِن الآياتِ بقَصدِ التَّأمُّلِ في مَعناها. [٧] البُكاءُ عندَ قِراءَةِ القُرآنِ، وعندَ الاستِماعِ إليه. [٨] التَّفاعُلُ مع الآياتِ بسُؤالِ اللهِ والاستِعاذَةِ به ونَحوِ ذلِكَ. [٩] أن يتجنَّبَ الضَّحِكَ، واللَّهوَ، والعَبَثَ بالأيدي، ونحوَ ذلِكَ. [١٠] الإمساكُ عن القِراءَةِ عندَ التَّثاؤُبِ؛ لأنَّه مُخاطِبٌ ربَّه. [١١] تَحسينُ الصَّوتِ بالقُرآنِ؛ لكَونِه أَوْقَعَ في القُلوبِ. [١٢] التِزامُ أحكامِ التِّلاوَةِ حسَبَ ما قرَّرَه أهلُ القِراءاتِ. [١٣] القِراءَةُ علىٰ شَيخٍ مرَّةً كلَّ سنةٍ؛ كما كانَ ﷺ يُدارِسُ جِبريلَ.
أهمِّيَّةُ سَماعِ القُرآنِ:	مِن هَدي النَّبيِّ ﷺ سَماعُ القُرآنِ مِن غَيرِه، ففي «الصَّحيحين» أنَّه ﷺ قالَ لابنِ مَسعودٍ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ**»، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾.

قِراءَةُ الحائضِ للقُرآنِ:	قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لَيْسَ فِي مَنْعِ الْحَائِضِ مِنَ الْقِرَاءَةِ نُصُوصٌ صَرِيحَةٌ صَحِيحَةٌ... وَمَعْلُومٌ أَنَّ النِّسَاءَ كُنَّ يَحِضْنَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْهَهُنَّ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ؛ كَمَا لَمْ يَكُنْ يَنْهَهُنَّ عَنِ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ**».

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] تكلُّفُ القِراءَةِ علىٰ ألحانِ الغِناءِ: ❍ جائزٌ. ❍ يُنهىٰ عنه.

[٢] حُكم قَولِ (نَسيتُ القُرآنَ): ❍ جائزٌ. ❍ غيرُ جائزٍ؛ بل يَقول: (أُنسيتُ).

[٣] استِعمالُ السِّواكِ عند تِلاوَةِ القُرآنِ: ❍ واجبٌ. ❍ مُستَحَبٌّ. ❍ مَكروهٌ.

[٤] حُكمُ قِراءَةِ القُرآنَ مع الحدثِ الأصغَرِ: ❍ حرامٌ. ❍ مَكروهٌ كراهَةَ تنزيهٍ.

[٥] حُكمُ قِراءَةِ القُرآنِ للجُنُبِ: ❍ حرامٌ. ❍ جائزٌ. ❍ مُستَحَبٌّ.

[٦] أكمِلِ الحَديثَ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَّكِئُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ ثُمَّ**: ❍ **يُصَلِّي**». ❍ **يَقْرَأُ الْقُرْآنَ**».

[٧] حُكمُ الاستِعاذَةِ عندَ تِلاوَةِ القُرآنِ: ❍ مُستَحَبَّةٌ. ❍ واجِبةٌ. ❍ مَكروهةٌ.

[٨] مِنَ الأحوالِ الَّتي تُكرَهُ فيها قِراءَةُ القُرآنِ حالَةُ: ❍ الحُزنِ. ❍ الطَّوافِ. ❍ النُّعاسِ.

[٩] لَا يُمْكِنُ الِاتِّعَاظُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ (❍ صح ❍ خطأ)، والحِكمَةُ مِن إنزالِ القُرآنِ (❍ التَّدَبُّرُ ❍ الاتِعاظُ ❍ الجميع).

[١٠] مِن أهمِّ فوائِدِ مَعرِفَةِ الوَقفِ والابتِداءِ البُعدُ عن اللَّبسِ والوُقوعِ في الخطَأ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] لا يوجَدُ نصٌّ صحيحٌ في مَنعِ الحائضِ مِن قِراءَةِ القُرآنِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٢] الأفضَلُ مع القرآنِ: ❍ القِراءَةُ. ❍ السَّماعُ. ❍ ما كانَ أنفعَ للمُسلِمِ، والقِراءَةُ هي الأفضَلُ في الأصلِ.

[١٣] تحرُمُ قِراءَةُ القرآنِ: ❍ في حالَةِ الجَنابَةِ. ❍ أثناءَ قِراءَةِ الإمامِ جهرًا إلَّا الفاتِحَةَ. ❍ في الرُّكوعِ. ❍ في السُّجودِ. ❍ في الخَلاءِ والأماكِنِ القَذِرَةِ. ❍ الجَميع.

[١٤] ينبَغي لحافِظِ القُرآنِ تعاهُدُ حِفظِه لقَولِه ﷺ: «تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا»: ❍ صح. ❍ خطأ.

النَّاسِخُ وَالْـمَنْسُوخُ:

تَعريفُ النَّسخِ:		**اصطلاحًا:** (رَفْعُ حُكمِ دَليلٍ شَرعِيٍّ أو لفظِه بدَليلٍ من الكتاب والسُّنَّة) لا مِن غَيرِهما.
حُكمُه:		جائزٌ عقلًا، واقعٌ شرعًا.
مِن حِكَمِ النَّسخِ:		[١] مُراعاة مَصالح العباد. [٢] التَّطوُّر في التَّشريع حتَّىٰ يبلغ الكمال. [٣] اختِبارُ المُكلَّفين في: قَبولِهم التَّحوُّلَ، وقِيامِهم بالشُّكرِ.
شُروطُ النَّسخِ:		[١] **تعذُّرُ الجَمعِ بين الدَّليلين:** فإن أمكَنَ الجمعُ فلا نسخَ.
		[٢] **العِلمُ بتأخُّر النَّاسخ بـ:** النَّصِّ، أو خبر الصَّحابيِّ، أو التَّاريخ.
		[٣] **ثُبوتُ النَّاسخِ:** والأرجَحُ أنَّه لا يُشترَطُ كَونُ ثُبوتِه أقوىٰ.
ينقَسِمُ النَّسخُ باعتِبارِ:	**النَّصِّ المَنسوخِ:**	[أ] ما نُسِخَ حُكمُه وبقي لفظُه، وهو كثيرٌ في القرآنِ. [ب] ما نُسِخَ لفظُه وبقي حُكمُه؛ كنَسخ آيةِ الرَّجم. [ج] ما نُسِخَ حُكمُه ولفظُه؛ كنَسخِ الرَّضعاتِ العَشرِ.
	النَّاسِخِ:	[أ] نَسخُ القُرآنِ بالقُرآنِ. [ب] نَسخُ القُرآنِ بالسُّنَّةِ. [ج] نَسخُ السُّنَّةِ بالقُرآنِ. [د] نَسخُ السُّنَّةِ بالسُّنَّةِ.
	خِفَّةِ الحُكمِ:	[أ] إلىٰ أخفَّ. [ب] إلىٰ أثقَلَ. [ج] إلىٰ مُساوٍ.
صُوَرٌ يمتَنِعُ فيها النَّسخُ:	**[١] الأخبار:**	[أ] **خبَرٌ مَحضٌ:** يمتَنِعُ نَسخُه.
		[ب] **حُكمٌ في صورَةِ الخبَرِ:** لا يمتنع نسخُه.
	[٢] ما هو مَصلَحةٌ مُطلَقَةٌ:	[أ] **الأمرُ:** كالتَّوحيدِ ونَحوِه، فهو مُمتَنِعُ النَّسخِ.
		[ب] **النَّهيُ:** فهو مُمتَنِعُ النَّسخِ كذلِكَ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] ممَّا يُعرَفُ به النَّاسخ والمَنسوخ تصريح الرَّاوي بتاريخ السَّماع: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢] يَستدلُّ بخُطبة عُمر وتلاوتِه آية الرَّجم القائلون بجواز نسخ التِّلاوة دون الحكم: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣] يصحُّ نسخ المُتواتر بالآحاد. ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤] النَّسخُ لغةً: ❍ الإزالَةُ. ❍ النَّقلُ. ❍ كلاهما.

[٥] النَّسخُ اصطِلاحًا: ❍ رَفعُ الحُكم الشَّرعِيِّ الثَّابتِ بدَليل. ❍ رَفعُ لَفظِ الدَّليلِ الشَّرعِيِّ بعدَ ثُبوتِه. ❍ يَكونُ بدَليل مِن الكِتابِ والسُّنَّةِ فقط. ❍ الجميع.

[٥] حُكمُ النَّسخ: ❍ جائِزٌ عَقلًا وشَرعًا. ❍ جائِزٌ عَقلًا مُمتَنِعٌ شَرعًا. ❍ مُمتَنِعٌ عَقلًا وشَرعًا.

[٦] يمتَنِعُ النَسخُ في: ❍ الخبَرِ المَحضِ؛ لأنَّه نسخَه تَكذيبٌ له. ❍ المَأمورِ به إذا كانَ مَصلَحَةً في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ. ❍ المَنهِيِّ عنه إذا كان في تَركِه مَصلحَةٌ في كلِّ زَمانٍ ومَكانٍ. ❍ الجميع.

[٧] يُشتَرَطُ لثُبوتِ النَّسخ: ❍ أن لا يُمكِنَ الجَمعُ بين الدَّليلَين؛ لأنَّ إعمالَ الجَميع أولىٰ مِن إعمالِ البَعضِ. ❍ أن يُعلَمَ تأخُّرُ النَّاسِخ عن المَنسوخ بطَريقٍ مِن الطُّرُقِ. ❍ أن يثبُتَ الدَّليلُ النَّاسِخُ ولو بدرَجَةٍ أقلَّ مِن المَنسوخ. ❍ الجميع.

[٨] يَكونُ العِلمُ بتأَخُّرِ النَّاسِخ بـ: ❍ نصٍّ مِن الكِتابِ أو السُّنَّةِ. ❍ خبَرِ الصَّحابِيِّ الَّذي عايَنَ التَّنزيلَ وعلِمَ أسبابَه وأزمِنَتَه. ❍ ثُبوتِ تاريخِ كلٍّ مِن النَّاسِخِ والمَنسوخِ. ❍ خبَرِ التَّابِعِيِّ. ❍ الجميع إلَّا الأخير.

[٩] مِن حِكَم النَّسخِ اختِبارُ مَدىٰ قَبولِ المُكلَّفين للنَّسخِ، والتِزامِهم بما ثبت بالدَّليلِ الصَّحيح: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] مِن حِكَم نسخِ الحُكم دونَ اللَّفظِ بَقاءُ ثَوابِ التِّلاوَةِ، وتَذكيرُ الأمَّةِ بحِكمَةِ النَّسخ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] اربط الآيَةَ اليُمنىٰ بالآيَةِ النَّاسِخَةِ لها:

﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾	﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾
﴿فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾	﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾
﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾	﴿فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ

مَعنى التَّفسيرِ:	**اصطِلاحًا:** (بَيَانُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)، وأمَّا ما سِوىٰ القُرآنِ فيُسمَّىٰ في الواقِعِ شَرحًا، والتَّفسيرُ أوَّلُ علمٍ عُلِّمَه النَّبيُّ ﷺ.
حُكمُ تعَلُّمِ التَّفسيرِ:	[١] **واجبٌ عينيٌّ:** وهو ما لا يَسوغُ جَهلُه. [٢] **واجبٌ كفائيٌّ:** وهو ما زادَ علىٰ ذلِكَ.
هل فَهمُ مَعنى القُرآنِ صَعبٌ؟	فهمُه ليس صعبًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾[القمر]، وهذا التَّيسيرُ يتضَمَّنُ: [١] ألفاظَه للحِفظِ. [٢] مَعانيَه للفَهمِ. [٣] أوامِرَه ونَواهيه للامتِثالِ.
الغَرَضُ مِن تَعَلُّمِ التَّفسيرِ:	[١] **تَصديقُ الأخبارِ والانتِفاعُ بها.** [٢] **تَطبيقُ الأحكامِ على مُرادِ اللَّهِ:** فتعبد الله علىٰ بصيرةٍ.
هل فَسَّرَ النَّبيُّ ﷺ القرآنَ كاملًا؟	قالَ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَلْفَاظَهُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ [النَّحل:٤٤] يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا**».
الـمُفسِّرُ لكلامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بمَثابَةِ:	[١] **الـمُترجِمِ عنه:** فليحذَر أن يَقولَ الكَذِبَ علىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. [٢] **الشَّاهِدِ عليه:** أنَّه أرادَ بكَلامِه كذا وكذا.
مِن أمثِلَةِ التَّفسيرِ الخاطِئِ:	فسَّر بعضهم قَولَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ﴾[الرَّحمن:٣٤] بوُصولِ النَّاس إلىٰ الفضاءِ، وهذا تحريفٌ؛ لأنَّ السِّياقَ فيه تَحَدٍّ وتَعجيزٌ.

المَرجِعُ في تَفسيرِ القُرآنِ:	[١] **القـرآنُ:** وهـو أولىٰ ما يُفسَّـرُ به، مِثالُـه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ﴾، فُسِّـرت بقَولِه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾[يونس]، ويَنقَسِـمُ تَفسيرُ القُرآنِ بالقُـرآنِ إلىٰ: [أ] **قَطعيٍّ:** وهو ما يُقطَعُ فيه بكَونِ الآيَةِ مُفَسِّرَةً للأُخرىٰ. [أ] **ظَنِّيٍّ:** وهو ما كانَ فيه اجتِهادٌ مِن المُفَسِّرِ.
	[٢] **السُّـنَّةُ:** فالنَّبـيُّ ﷺ مُبلِّـغٌ عـنِ ربِّـه، وهـو أعلَـمُ النَّاسِ بمُـرادِه، مِثالُـه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾[يونـس:٢٦]، فُسِّـرَت بمـا عند مُسـلمٌ: «**فَمَـا أُعْطُـوا شَـيْئًا أَحَـبَّ إِلَيْهِـمْ مِنَ النَّظَـرِ إِلَـىٰ رَبِّهِمْ**». ويَنقَسِمُ تَفسيرُ القُرآنِ بالسُّنَّةِ إلىٰ: [أ] **تَفسيرٍ نبَويٍّ:** وهو ما صرَّحَ فيه النَّبيُّ ﷺ بالآيَةِ وتَفسيرِها. [أ] **تَفسيرٍ بالسُّنَّةِ:** وهو ما كانَ فيه اجتِهادٌ مِن المُفَسِّرِ.
	[٣] **كلامُ الصَّحابـةِ:** فالقُـرآنُ نَزَلَ في عَصرِهـم وبلُغَتِهم، والمَرجعُ إلىٰ المُشـتَهِرينَ بالتَّفسـير منهم، فهم درجـاتٌ في العِلمِ.
	[٤] **كلامُ التَّابِعـينَ:** فهـم الَّذيـن أخَـذوا التَّفسـيرَ عـنِ الصَّحابَـةِ، وهم أفضَـلُ ممَّـن بعدَهم، وأسـلَمُ مِـن الأهـواءِ، ولم تكُـنِ اللُّغَـةُ العَربيَّةُ تغيَّـرَت في زَمانِهـم، وإجماعُهـم حُجَّـةٌ علىٰ مَـن بعدَهم.
	[٥] **ما تَقتَضيه الكَلماتُ مِن الـمَعاني الشَّرعيَّةِ واللُّغويَّةِ:** والأصلُ تَقديمُ الشَّـرعِيِّ علـىٰ اللُّغَـوِيِّ إلَّا لدَليلٍ يدُلُّ علـىٰ إرادَةِ اللُّغوِيِّ.
أقسامُ الاختلافِ الوارِدِ في التَّفسيرِ بالـمَأثورِ:	[١] **الاختلافُ في اللَّفظِ دونَ الـمَعنى:** فلا تأثيرَ له علىٰ المَعنىٰ . [٢] **الاختـلافُ في اللَّفظِ والمَعنى، والآية تحتملُ الـمَعنيين:** فتُحملُ الآيَةُ علـىٰ المَعنَيينِ معًـا؛ لأنَّه لا تَضـادَّ بينَهما. [٣] **الاختـلافُ في اللَّفـظِ والمَعنـى، والآيةُ لا تحتمـلُ الـمَعنيين:** فيُرجَّحُ بينَهمـا بمـا يَقتَضيـه السِّـياقُ، وغيـرُ ذلِـكَ مِـن القَرائِـنِ.

شُرُوطُ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ:	[١] سَلامَةُ العَقيدَةِ. [٢] التَّجرُّدُ عن الهَوىٰ. [٣] العِلمُ بأُصولِ التَّفسيرِ. [٤] العِلمُ بالحَديثِ رِوايَةً ودِرايَةً. [٥] العِلمُ بأصولِ الدِّينِ. [٦] العِلمُ بأصولِ الفِقهِ. [٧] العِلمُ باللُّغَةِ وعُلومِها.
قاعدَتانِ مهمَّتانِ:	**الأولى**: بابُ بَيانِ مَعاني القُرآنِ بيَّنه القرآنُ، والسُّنَّةُ، والصَّحابةُ، والتَّابعون، فإذا اختلف الصَّحابَةُ والتَّابعونَ علىٰ قَولين فلا يجوزُ إحداثُ قولٍ ثالثٍ، بخِلافِ بابِ الاستِدلالِ والاستِنباطِ. **الثَّانِيَةُ**: بابُ بيانِ المَعاني أضيَقُ من بابِ الاستدلالِ في تَفسيرِ القُرآنِ الكَريمِ.
فَوائِدُ:	[١] الاختِلافُ في تَفسيرِ القُرآنِ الكَريمِ أقلُّ بكثيرٍ من الاختِلافِ في الأحكامِ الفِقهيَّةِ؛ لأنَّ تفسيرَ القُرآنِ هو تبيينُ مَعاني ألفاظِهِ ومُرادِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ منها، بينَما الأحكامُ الفِقهيَّةُ مَبنيَّةٌ علىٰ الاجتهادِ. [٢] فُسِّرَ القرآنُ الكريمُ للهدايَةِ لا لمُجرَّدِ معرفةِ الألفاظِ؛ لأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنزلَه هدايةً للنَّاسِ ليُخرِجَهم به من الظُّلُماتِ إلىٰ النُّورِ، ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[إبراهيم].
قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:	«التَّفْسِيرُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: [١] وَجهٌ: تَعرِفُهُ العَرَبُ مِن كَلامِهَا، [٢] وَتَفسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، [٣] وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، [٤] وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ».
قَواعِدُ التَّفسيرِ:	هي: **(الأُمورُ الكُلِّيَّةُ المُنضَبِطَةُ الَّتي يَستَخْدِمُها المُفَسِّرُ في تَفسيرِه)**، وتَنقَسِمُ إلىٰ: [١] **قَواعِدَ عامَّةٍ**: وهي الَّتي يُمكِنُ أن يُعمِلَها المُفسِّرُ عندَما يُفسِّرُ آيَةً مِن القُرآنِ. [٢] **قَواعِدَ تَرجيحِيَّةٍ**: وهي الَّتي يُعمِلُها عند التَّرجيحِ بينَ الأقوالِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] أَجَلُّ العُلومِ وَأَشْرَفُهَا: ❍ التَّفسيرُ. ❍ الفقهُ.
[٢] التَّفسيرُ هوَ: ❍ بيانُ القصصِ القُرآنيِّ. ❍ معرفةُ أحكامِ القرآن. ❍ معرفةُ مَعاني القرآن.
[٣] القائلُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ فسَّر القرآن كلَّه: ❍ ابنُ الجوزيِّ. ❍ ابن تيميَّة. ❍ الرَّازيُّ.
[٤] القواعدُ والأسس التَّي يقوم عليها التَّفسيرُ تُسمَّىٰ: ❍ أصولَ التَّفسير. ❍ علومَ القرآنِ. ❍ مناهجَ التَّفسير. ❍ جميعَ ما ذُكر.
[٥] أقوالُهم في التَّفسير حجَّةٌ إذا اتَّفقوا، من هم: ❍ الصَّحابةُ. ❍ التَّابعون. ❍ كلاهما. ❍ لا شيء ممَّا ذُكِر.
[٦] مُفَسِّرُ القرآنِ بمثابَةِ: ❍ المُترجِمِ عن اللهِ. ❍ الشَّاهِدِ عليه. ❍ الجميع.
[٧] الْمَرْجِعُ فِي التَّفْسِيرِ إِلَىٰ: ❍ القرآنِ. ❍ السُّنَّةِ. ❍ أقوالِ الصَّحابَةِ. ❍ أقوالِ التَّابعينَ. ❍ المَعاني اللُّغَويَّةِ والشَّرعِيَّةُ. ❍ الجَميع.
[٨] كانَ النِّزاعُ بينَ الصَّحابَةِ في التَّفسيرِ: ❍ كثيرًا. ❍ قليلًا. ❍ لم يكُن بينهم نِزاعٌ.
[٩] كانَ الصَّحابَةُ يقرؤون القرآنَ عشرَ آياتٍ لا يتجاوَزونَها حتَّىٰ يتعلَّموا ما فيها مِن العِلمِ والعمَلِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٠] أجمَعَ العُلماءُ علىٰ أنَّ تعلُّم التَّفسيرِ: ❍ فرضُ عينٍ. ❍ سُنَّةٌ. ❍ فرضُ كفايَةٍ. ❍ مِنه ما هو فرضُ عينٍ ومنه ما هو فرضُ كِفايَةٍ.
[١١] يُحمَلُ قولُه تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ علىٰ المَعنىٰ (❍ اللُّغَوِيِّ ❍ الشَّرعِيِّ) للصَّلاةِ.
[١٢] الخِلافُ الوارِدُ في التَّفسيرِ بالمأثورِ يكونُ: ❍ في اللَّفظِ فقط. ❍ في المَعنىٰ فقط، والمَعنَيانِ مُحتَمَلانِ. ❍ في اللَّفظِ والمَعنىٰ والمَعنَيانِ غيرُ مُحتَمَلينِ. ❍ الجميع.
[١٣] صِلِ الآيَةِ بتفسيرِها مِن القرآنِ أو السُّنَّةِ:

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢﴾	﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾
﴿مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢﴾	«نَهرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ»
﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾	فَسَّرَ النَّبيُّ ﷺ الْقُوَّةَ بِالرَّمْيِ.
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾	﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾

تَرْجَمَةُ الْقُرْآنِ:

مَعنى التَّرجَمَةِ:	التَّعْبِيرُ عَنِ الْكَلَامِ بِلُغَةٍ أُخْرَىٰ.
تَرجَمَةُ القرآنِ نوعانِ:	[١] **حَرفِيَّةٌ:** أَنْ يُوضَعَ تَرْجَمَةُ كُلِّ كَلِمَةٍ بِإِزَائِهَا، وهي مُسْتَحِيلَةٌ لأَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِي اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ إِلَيْهَا شُرُوطٌ لَا يُمْكِنُ تَحَقُّقُهَا: [أ] وُجُودُ مُفْرَدَاتٍ فِيها بِإِزَاءِ الحُرُوفِ العربيَّةِ. [ب] وُجُودُ أَدَوَاتٍ لِلْمَعَانِي مُسَاوِيَةٍ أَوْ مُشَابِهَةٍ للعربيَّةِ. [ج] تَمَاثُلُ اللُّغَتَيْنِ الْمُتَرْجَمِ مِنْهَا وَإِلَيْهَا فِي تَرْتِيبِ الْكَلِمَاتِ. وحتَّىٰ إن تحقَّقت الشُّروطُ فإنَّ التَّرجَمَةَ الحَرفيَّةَ تبقىٰ مُحَرَّمةً. [٢] **مَعنويَّةٌ تفسيريَّةٌ:** أَنْ يُعَبَّرَ عَنْ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ، وهذا: [أ] جائزٌ في الأصلِ؛ لأنَّه لا مَحذورَ فيه. [ب] ويصيرُ واجِبًا إذا توقَّفَ عليه إبلاغُ الشَّرعِ.
شروطُ جَوازِ التَّرجمةِ المَعنويَّةِ أَربَعَةٌ:	**ثلاثةٌ تعودُ إلى حُكمِ التَّرجمةِ والرَّابعُ لا يعودُ إليها:** [١] أَلَّا تُجْعَلَ بَدِيلًا عَنِ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ يُسْتَغْنَىٰ بِهَا عَنْهُ. [٢] أَنْ يَكُونَ الْمُتَرْجِمُ عَالِمًا بِمَدْلُولَاتِ الْأَلْفَاظِ. [٣] أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمَعَانِي الْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ. [٤] أن يكونَ المُترجِمُ مَأمونًا، أي: (مُسْلِمًا مُسْتَقِيمًا).
تَنبيهاتٌ مُهِمَّةٌ:	[١] يَنبَغي إضافَةُ صَفحَةِ القُرآنِ بالعَرَبيَّةِ مع التَّرجَمَةِ؛ لِيَكونَ أنفَعَ للقارِئِ. [٢] ينبَغي الحَذَرُ كُلَّ الحَذَرِ مِن نَشرِ تَرجَماتٍ غيرِ مَوثوقَةٍ، أو غيرِ مُراجَعَةٍ مِن المُختَصِّينَ، فإنَّ في بَعضِها أخطاءً فادِحَةً. [٢] ينبَغي تَحديدُ تَفسيرٍ واحِدٍ مُعتَمَدٍ يُرجَعُ إليه في التَّرجَمَةِ كتَفسيرِ السَّعدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] إذا فُسِّرَ القرآنُ الكريمُ أو تُرجِمَ فإنَّه تَفسيرَه وترجمَتَه: ❍ يُسَمَّيان قرآنًا. ❍ لا يُسَمَّيان قرآنًا.

[٢] المَقصودُ بترجمة القرآنِ التَّعبيرُ عنه بلُغَةٍ أُخرىٰ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣] مِن أنواعِ ترجمةِ القُرآنِ: ❍ التَّرجمَةُ الحرفِيَّةُ، وهي مُستَحيلةٌ. ❍ التَّرجمَةُ المَعنويَّةُ، وهي جائزةٌ في الأصلِ، وقد تَجِبُ. ❍ كلاهما صحيحٌ.

[٤] (❍ تجوزُ ❍ لا تجوزُ) الصَّلاةُ بالتَّفسيرِ، ولا بغَيرِ العربيَّةِ.

[٥] (❍ لا يُمكِنُ ❍ يُمكِنُ) ترجمَةُ القُرآنِ ترجمَةً تُماثِلُه في دِقَّةِ تَعبيره، وعُلُوِّ أسلوبِه، وجَمالِ سَبكِه، وإحكامِ نَظمِه، وتَقومُ مَقامَه في إعجازِه، وتَحقيقِ جَميعِ مَقاصِدِه.

[٦] (❍ يُمكِنُ ❍ لا يُمكِنُ) أن يُعبِّرَ العالِمُ عمَّا فهِمَه مِن مَعاني القُرآنِ حسَبَ وُسعِه وطاقَتِه بلُغَةٍ أخرىٰ ليُبيِّنَ لأهلِها ما أدركَه فِكرُه مِن هِدايَةِ القُرآنِ، وما استنبَطَه مِن أحكامِه، أو وقَفَ عليه مِن عِبَرِه ومَواعِظِه، لكِن (❍ لا يُعتبَرُ ❍ يُعتبَرُ) شَرحُه لِتلكَ اللُّغَةِ غيرِ العَربيَّةِ قُرآنًا، ولا يُنزَّلُ مَنزِلَتَه مِن جَميعِ النَّواحي؛ بل هو نَظيرُ تَفسيرِ القُرآنِ باللُّغَةِ العربيَّةِ في تَقريبِ المَعاني، والمُساعَدَةِ علىٰ الاعتِبارِ واستِنباطِ الأحكامِ، و(❍ لا يُسمَّىٰ ❍ يُسمَّىٰ) ذلِكَ التَّفسيرُ قُرآنًا، وعلىٰ هذا (❍ يجوزُ ❍ لا يَجوزُ) للجُنُبِ والكُفَّارِ مسُّ ترجمَةِ مَعاني القُرآنِ بغَيرِ اللُّغَةِ العربيَّةِ.

[٧] يعتَمِدُ المُترجِمُ علىٰ: ❍ ترجَمَةِ القُرآنِ. ❍ يرجِعُ مُباشرَةً إلىٰ التَّفسيرِ بالعربيَّةِ.

[٨] ترجمَةُ مَعاني القُرآنِ أي: تَفسيرِه، أمَّا ترجَمَةُ ألفاظِه فلا تَجوزُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] (❍ ينبَغي ❍ لا يَنبَغي) الحذَرُ مِن ترجمَاتِ المُستشرِقينَ لمَعاني القُرآنِ.

[١٠] ينبغي أن يكونَ المُترجِمُ مُتقِنًا لـ: ❍ العربيَّةِ كلُغَةِ المَصدَرِ. ❍ اللُّغَةِ المُترجَمِ إليها.

[١١] التَّرجماتُ السَّقيمَةُ للقُرآنِ لابُدَّ مِن تَقويمِها وعدَمِ تَركِها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٢] الأولىٰ أن نحُثَّ النَّاسَ علىٰ تعَلُّمِ اللُّغَةِ العربيَّةِ لفَهمِ مَعاني القُرآنِ وتدبُّرِه، وما لا يُدرَكُ كلُّه لا يُترَكُ جُلُّه، وهو القِراءَةُ في التَّرجمَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٣] التَّرجمَةُ إن حجَبَت بعضَ إعجازِ القُرآنِ اللَّفظِيِّ فلا يُمكِنُ أن تحجُبَ إعجازَه المَعنَويَّ: ❍ صح. ❍ خطأ.

الـمُشْتَهِرُونَ بِالتَّفْسِيرِ:

المُشْتَهِرونَ بالتَّفسيرِ مِن الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم:	[١] الخُلَفاءُ الرَّاشِدونَ: أبو بكرٍ، وعُمرُ، وعُثمانُ، وعليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنهُم. [٢] مُعاوِيَةُ بنُ أبي سُفيانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما. [٣] عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما. [٤] عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ. [٥] أُبيُّ بنُ كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ.
المُشتَهِرون بالتَّفسيرِ من التَّابعينَ: مدرسةُ التَّفسيرِ بمكَّةَ (ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما):	[أ] سعيدُ بن جُبيرٍ. [ب] مُجاهد بن جبر. [ج] عِكرمة بن عبد الله مَولىٰ ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما. [د] طاوسُ بنُ كيسانَ. [هـ] عطاءُ بن أبي رباحٍ.
مدرسةُ التَّفسيرِ بالمدينةِ (أُبيُّ بن كعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ):	[أ] أبو العالية رُفيعُ بن مِهرانَ الرِّياحيُّ. [ب] محمَّد بن كعبٍ القرظيُّ. [ج] زيدُ بن أسلَمَ.
مدرسةُ التَّفسيرِ بالعراقِ (ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ):	[أ] علقمة بن قيسٍ. [ب] قتادةُ بن دِعامةَ. [ج] الأسود بن يزيد. [د] مُرَّةُ الهمدانيُّ. [هـ] عامرٌ الشَّعبيُّ. [و] الحسن البصريُّ. [ز] مَسروقُ بن الأجدَعِ.
قاعدةٌ مهمَّةٌ في تفسيرِ الصَّحابةِ:	يُقبَلُ قَولُ الصَّحابيِّ في الـمُغَيَّباتِ بشَرطَينِ: [١] ألَّا يَكونَ في الخبرِ شُبهَةُ كَونِه من الإسرائيليَّاتِ. [٢] ألَّا يكونَ الرَّاوي ممَّن عُرِفَ بالأخذِ عن بَني إسرائيلَ.
تنبيهٌ:	ما مِن آيةٍ مِن القرآنِ إلَّا فسَّرَها الصَّحابَةُ والتَّابِعونَ، لكِنَّ كِتابَ اللهِ لا تَزالُ تَظهَرُ غرائِبُهُ وعَجائِبُه لمَن بعدَهم بما يفتَحُه اللهُ عليهم.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] مدرسةُ المدينة قامت على: ❍ أبيِّ بن كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ❍ عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ❍ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ❍ أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٢] مَن هو الصَّحابيُّ الَّذي قال فيه النَّبيُّ: «**اللَّهُمَّ فَقِّههُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»؟
❍ ابن عبَّاسٍ. ❍ أبيُّ بن كعبٍ. ❍ عثمان بن عفَّان. ❍ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

[٣] أكثرُ مَن رُوي عنه التَّفسير مِن هؤلاء: ❍ أبو بكرٍ. ❍ عمر. ❍ ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

[٤] أقوالُ التَّابعين في التَّفسير: ❍ ليست حجَّةً. ❍ حجَّةٌ على مَن بعدهم.

[٥] السَّلفُ هم: ❍ الصَّحابةُ. ❍ التَّابعون. ❍ أهلُ القرون الثَّلاثة المُفضَّلةِ.

[٦] اشتهر ابنُ مسعودٍ بمعرفة: ❍ النَّاسخِ والمَنسوخِ. ❍ أسبابِ النُّزولِ. ❍ لغاتِ العربِ.

[٧] التَّفسيرُ المَنقولُ عن الصَّحابة له حُكمُ: ❍ المَرفوعِ. ❍ المَوقوفِ.
❍ المَقطوعِ. ❍ يختلفُ؛ لأنَّ له أنواعًا مُختلفةً.

[٨] اذا اختلفَ الصَّحابةُ في التَّفسيرِ فأقوالُهم: ❍ ليست بحجَّةٍ. ❍ حُجَّةٌ. ❍ يُرجَّح بينَها. ❍ لا شيء ممَّا ذُكِرَ.

[٩] علقمة بن قيسٍ النَّخعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ من تلاميذِ مدرسة: ❍ الكوفةِ. ❍ المدينةِ. ❍ مكَّةَ.

[١٠] مُجاهد بن جَبْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ من تلاميذ مدرسة: ❍ الكوفةِ. ❍ المدينةِ. ❍ مكَّةَ.

[١١] أغلب اختلاف الصَّحابة في التَّفسير من بابِ اختلافِ: ❍ التَّنوُّعِ. ❍ التَّضادِّ.

[١٢] تحرَّجَ السَّلفُ مِن الكَلامِ في التَّفسيرِ بما لا عِلمَ لهم بهِ، أو إحداثِ قولٍ فيه:
❍ صح. ❍ خطأ.

[١٣] مِن الأقوالِ المَأثورةِ: (عَرَضْتُ الْقُرْآنَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ أَسْأَلُهُ عَنْهَا)، وهو قولُ: ❍ عِكرِمةَ. ❍ سعيدِ بن جُبيرٍ. ❍ مُجاهدٍ.

[١٤] يَقولُ الثَّورِيُّ: (إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ ... فَحَسْبُكَ بِهِ)، المَقصودُ هو:
❍ عِكرِمَةُ. ❍ سعيدُ بنُ جُبَيرٍ. ❍ مُجاهِدٌ.

[١٤] يُقبَلُ قولُ الصَّحابيِّ في المُغيَّباتِ بشَرطِ: ❍ ألَّا يَكونَ في الخبرِ شُبهَةُ كَونِه من الإسرائيليَّاتِ. ❍ ألَّا يكونَ الرَّاوي ممَّن عُرِفَ بالأخذِ عن بَني إسرائيلَ.
❍ الجَميع.

[١٢] الصَّحابَةُ والتَّابِعونَ فسَّروا القرآنَ كاملًا: ❍ صح. ❍ خطأ.

مَعْلُومَاتٌ عَنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ:

أشهَرُ كُتب التَّفسيرِ بالمَأثورِ:	▪ «جامعُ البيان في تفسير القرآن» لابن جريرٍ الطَّبريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. ▪ «مَعالمُ التَّنزيلِ» لأبي محمَّدٍ الحسين البغويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. ▪ «تفسيرُ القرآنِ العظيم» لأبي الفداء الحافظ ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ. ▪ «تيسيرُ الكَريمِ الرَّحمَنِ» للسِّعدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.
أشهَرُ كُتب التَّفسيرِ بالرَّأيِ الجائزِ:	▪ «البحرُ المُحيط» لأبي حيَّان الأندلسيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ. ▪ «تفسيرُ الجلالين» للمَحليِّ والسُّيوطيِّ -رحِمَهما اللهُ-.
تَنْبِيهٌ:	لا ينبغي مُطالعةُ كُتُبِ التَّفسير بالرَّأي إلَّا لطالبِ العِلمِ المُتمكِّنِ، الَّذي يعرِفُ مَذاهِبَ أهلِ الزَّيغِ والضَّلالِ فيَحذرُها، وأمَّا العامِّيُّ وطالبُ العِلمِ المُبتدئُ فينبَغي لهما هَجرُها كما يهجُرانِ أصحابَها؛ لئلَّا تعلَقَ الشُّبَهُ بالذِّهنِ فيَقعا فيها.
كَيفيَّةُ القراءَةِ في كُتُبِ التَّفسيرِ:	▪ البَدءُ بدراسَةِ كتُبِ التَّفسيرِ بالمَأثورِ. ▪ البَدءُ بالمُختَصراتِ قبلَ المُطوَّلاتِ؛ لئلَّا يشتَّتَ ذِهنَه. ▪ الدِّراسةُ علىٰ مدرسةٍ واحدةٍ حتَّىٰ لا تختلط عليه المَعلوماتُ. ▪ البَدءُ بتفسيرِ السُّورِ المُشوِّقةِ له؛ كسورة القصص. ▪ التَّنويعُ في التَّلقِّي؛ فيشتغِلُ تارةً بالقراءةِ، وتارةً بالاستماع للتَّفسير الصَّوتيِّ، وتارةً بالجمع بينهما. ▪ تدوينُ الفَوائدِ؛ فالتَّدوين لها كالقيد للصَّيدِ يمنعُ انفلاتَه. ▪ التَّدبُّر في آيات القرآن؛ لأنَّ ذلك يُنمِّي ملكَةَ الاستنباطِ لديه، فيفتح الله بذلك عليه الفُتوحَ. ▪ مُحاولة استنباطِ الفوائدِ دون نشرِها، وذلك ليتدرَّبَ علىٰ الاستنباط، ثمَّ يرجع بعدها للتَّفسير ليتأكَّد من سلامة استنباطِه.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] نوعٌ مِن التَّفسير يغلب عليه الاختصارُ في القول مع الوفاء بالمَعنىٰ: ❍ تفسيرُ أتباع التَّابعين. ❍ التَّفسيرُ الفقهيُّ. ❍ تفسيرُ المُتأخِّرين. ❍ التَّفسيرُ النَّبويُّ.

[٢] تفسيرُ آيات الأحكام والاستنباط منها يُسمَّىٰ: ❍ التَّفسيرَ بالمأثور. ❍ التَّفسير الفقهيَّ. ❍ التَّفسيرَ العلميَّ.

[٣] عند تعارض أقوال المُفسِّرين: ❍ نجمعُ بينها. ❍ نُرَجِّحُ. ❍ نتوَقَّفُ.

[٤] اعتنىٰ ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ في تفسيره بـ: ❍ المَأثورِ. ❍ المَأثورِ والنَّقد والتَّرجيح بين الأقوال. ❍ الأحكام الفقهيَّة.

[٥] توسيعُ دلالة بعضِ الآيات بما ثبت في الحقائق العلميَّة يُسمَّىٰ بالتَّفسيرِ: ❍ العقليِّ. ❍ البيانيِّ. ❍ العلميِّ.

[٦] مِن أهَمِّ المُؤلَّفاتِ في التَّفسيرِ بالمَأثورِ: ❍ جامِعُ البَيانِ للطَّبريِّ. ❍ مَفاتيحُ الغَيبِ للرَّازيِّ. ❍ الكشَّافُ للزَّمخشريِّ.

[٧] الأَولىٰ: ❍ الاقتِصارُ علىٰ تفسيرٍ واحِدٍ. ❍ الأخذُ مِن تَفاسيرَ مُتَعَدِّدَةٍ.

[٨] ينبَغي البَدءُ بالتَّفاسيرِ: ❍ السَّهلَةِ القَريبَةِ. ❍ المُطَوَّلَةِ.

[٩] يوصي العُلماءُ بتَفسيرِ العلَّامَةِ عبدِ الرَّحمنِ السِّعدِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] لا تكثُر الأقوال والاختلافات، أبدا؛ في التفسيرُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] كُتُبُ التَّفسيرِ بالرَّأيِ: ❍ يُمكِنُ مُطالَعَتُها لكُلِّ أحدٍ. ❍ تُمنَعُ مُطالَعَتُها مُطلقًا. ❍ يُمكِنُ مُطالَعَتُها لطالبِ العِلمِ المُتمكِّنِ.

[١٢] صِلِ كِتابَ التَّفسيرِ بمُؤَلِّفِه:

«جامعُ البيان في تفسير القرآن»:	أبو محمَّدٍ الحسين البغويُّ رَحِمَهُ اللهُ.
«مَعالمُ التَّنزيلِ»:	أبو الفداء الحافظ ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ.
«تفسيرُ القرآن العظيم»:	أبو حيَّانَ الأندَلُسِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.
«تيسيرُ الكَريمِ الرَّحمَنِ»:	ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ رَحِمَهُ اللهُ.
«البحرُ المُحيط»:	المَحلِّيُّ والسُّيوطِيُّ رحِمَهما اللهُ.
«تفسيرُ الجلالين»:	عبد الرَّحمنِ بنُ ناصرٍ السِعديُّ رَحِمَهُ اللهُ.

الْقِسْمُ الرَّابِعُ: مَسَائِلُ مُتَفَرِّقَةٌ

الـمُحْكَم والـمُتَشَابِهُ:

وُصِفَ القُرآنُ بأنَّه:	[١] **مُحكَمٌ كلُّه**: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾[هود:١] أي: أُتقِنَت في الألفاظِ والمَعاني، فهو صادِقٌ في أخبارِه عَدلٌ في أحكامِه. [٢] **مُتَشابِهٌ كلُّه**: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾[الزُّمَر:٢٣] أي: يُشبِه بعضُه بعضًا في: الكَمالِ، والجَودَةِ، والإحكام، والأحكام... [٣] **منه الـمُحكَمُ ومنه الـمُتَشابِهُ**: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾[آل عمران:٧]، فالمُحكم هو الواضِحُ الجَلِيُّ، والمُتشابِهُ هو الخَفِيُّ الَّذي يَفهَمُ حقيقتَه الرَّاسِخُ دونَ غيرِه.
هل يتَفاضَلُ القُرآنُ؟	[١] **من حيثُ الـمُتكلِّمُ به**: لا يتفاضل؛ لأنَّ المُتكلِّم به واحدٌ. [٢] **من حيثُ الأسلوبُ والـمَعنى**: يتفاضل؛ لما عند مُسلمٍ: «**أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قال: آية الكرسيِّ.
الحِكمَةُ مِن وُجودِ التَّشابُهِ الخاصِّ:	لو كانَ القُرآنُ كلُّه مُحكَمًا لَما تحقَّقَ الامتِحانُ والابتِلاءُ، ولو كانَ كُلُّه مُتَشابِهًا لم يُمكِنِ العَمَلُ بمَضمونِه، ولا بِناءُ العَقيدَةِ عليهِ.
أنواعُ التَّشابُهِ في القُرآنِ:	[١] **حَقيقيٌّ**: وهو مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَهُ الْبَشَرُ؛ كحَقائِقِ صِفاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وكَيفِيَّتِها، فلا يَجوزُ السُّؤالُ عنه لتَعَذُّرِ الوُصولِ إليه. [٢] **نِسبِيٌّ**: وهو مَا يَكُونُ مُشْتَبِهًا عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، فيجوزُ أن يُسأَلَ عنه أهلُ العلمِ دونَ غيرِهم مِن الجُهَّالِ.
تَنبيهٌ:	لا يوجَدُ في القُرآنِ شيءٌ مَجهولٌ لا يتبيَّنُ مَعناه لأحدٍ مِن النَّاسِ، قالَ تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ كلِّهم ﴿وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨].

أمثِلَةُ التَّشابُه الخاصِّ في القُرآنِ:	أمثِلَتُه كثيرَةٌ جدًّا، وقد جمَعَ الشَّيخُ محمَّدٌ الأمينُ الشِّنقيطيُّ رَحِمَهُ اللهُ جُملَةً مِنها في كِتابِه: «**دَفْعُ إِيهَامِ الِاضْطِرَابِ عَنْ آيَاتِ الْكِتَابِ**»، وردَّها إلىٰ المُحكَمِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] نصوص الصِّفات من المُحكَم الَّذي اتَّضح معناه من حيث المعنىٰ ومن المُتَشابه المُطلَق الَّذي لايعلمه إلَّا الله من حيث الكيفيَّة: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢] معنىٰ المُحكَم إذا ذُكِر وحده: ❍ ما اتَّضح معناه. ❍ ما ليس فيه خللٌ.

[٣] معنىٰ المُتَشابه إذا ذُكر وحده: الَّذي يُشبه بعضه بعضًا في جودته وكماله: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤] التَّشابُه النِّسبيُّ يخفىٰ علىٰ كلِّ أحدٍ، والمُطلَق يخفىٰ علىٰ أحدٍ دون أحدٍ. ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] لا يوجد في القرآن ما لا يمكن الوصول إلىٰ معناه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] ليس في القرآن شيءٌ مُتَشابهٌ علىٰ جميع النَّاس من حيث المعنىٰ (❍ صح ❍ خطأ)، وأمَّا بالنِّسبة للحقائق فما أخبر الله به من أمر الغيب مُتَشابهٌ علىٰ (❍ بعض ❍ جميع) النَّاس.

[٧] من شرِّ أقوال أهل البدع أنَّ آيات الصِّفات لا يُفهم معناها؛ لأنَّ فيه تجهيلًا للنَّبيِّ ﷺ والصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، وتكذيبًا للقرآن، واستطالةً للفلاسفة: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٨] من علامة أهل الباطل أنَّهم يقبلون المُحكَم وينكرون المُتَشابه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] التَّشابُهُ في القرآنِ: ❍ حَقيقِيٌّ. ❍ نِسبيٌّ. ❍ الجميع.

[١٠] لوكانَ القُرآنُ كلُّه مُحكَمًا (❍ لَما تحقَّقَ الامتِحانُ ❍ لم يُمكِنِ العَملُ بمَضمونِه)، ولو كانَ كُلُّه مُتَشابهًا (❍ لَما تحقَّقَ الامتِحانُ ❍ لم يُمكِنِ العَملُ بمَضمونِه).

[١١] الإحكامُ في كلِّ القرآنِ يُفسِّرُه ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾: ❍ صح. ❍ خطأ.

قَصَصُ القُرْآنِ:

تعريفُ القَصَصِ:	الإِخْبَارُ عَنْ قَضِيَّةٍ ذَاتِ مَرَاحِلَ، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.
صِفاتُ قَصَصِ القُرْآنِ:	[١] **أصدَقُ القَصَصِ:** ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النِّساء]. [٢] **أحسَنُها:** ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]. [٣] **أنفَعُها:** ﴿فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].
قَصَصُ القرآنِ على ثلاثةِ أقسامٍ:	[١] **عن الأنبياءِ والمُرسَلينَ السَّابقينَ:** كقَصَصِ نوحٍ عليه السلام وغيرِه. [٢] **عن أفرادٍ وطَوائفَ قبلَ النَّبيِّ ﷺ:** كَقِصَّةِ مَرْيَمَ، وَلُقْمَانَ... [٣] **عن حَوادِثَ وأقوامٍ في عَهدِ النَّبيِّ ﷺ:** كَقِصَّةِ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ...
من أمثِلَةِ التَّفضيلِ الوَجهيِّ بين قَصَصِ القرآنِ:	[١] **قِصَّةُ موسَى عليه السلام:** أفضَلُ القَصَصِ مُطلَقًا، وأكثَرُها ذِكرًا. [٢] **قِصَّةُ يوسُفَ عليه السلام:** أحسَنُ القَصَصِ باعتِبارِ صَبرِه عليه السلام وتقواه عندَ الابتِلاءِ، وباعتِبارِ حُسنِ عاقِبَتِه في الدُّنيا. [٣] **قِصَّةُ ذي القَرنَينِ:** أحسَنُ قَصَصِ المُلوكِ. [٤] **قِصَّةُ أهلِ الكَهفِ:** أحسَنُ قَصَصِ أولياءِ اللهِ في زمَنِ الفَترَةِ.
الحِكْمَةُ من قَصَصِ القُرْآنِ:	[١] بَيَانُ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْقَصَصُ. [٢] بَيَانُ عَدْلِهِ تَعَالَىٰ بِعُقُوبَةِ الْمُكَذِّبِينَ، وفَضْلِهِ بِمَثُوبَةِ الْمُؤْمِنِينَ. [٣] تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لَهُ. [٤] تَرْغِيبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِيمَانِ بِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، وَالِازْدِيَادِ مِنْهُ. [٥] تَحْذِيرُ الْكَافِرِينَ مِنَ الِاسْتِمْرَارِ فِي كُفْرِهِمْ. [٦] إِثْبَاتُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ.
الحِكْمَةُ من تَكْرَارِ الْقَصَصِ في القُرآنِ:	[١] بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ الْقِصَّةِ. [٢] تَوْكِيدُ الْقِصَّةِ لِتَثْبُتَ فِي الْقُلُوبِ. [٣] مُرَاعَاةُ الزَّمَنِ وَحَالِ الْمُخَاطَبِينَ. [٤] بَيَانُ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ فِي ظُهُورِ الْقَصَصِ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ. [٥] ظُهُورُ صِدْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ مِنَ اللهِ؛ لعدَمِ التَّناقُضِ مع التَّكرارِ.

تَنْبِيهٌ:	قَصَصُ القُرآنِ كَثيرةٌ جدًّا، وكلُّها نافعةٌ، وألَّف فيها الكَثيرُ، لكن خلَطَ بعضُهم الحابِلَ بالنَّابِلِ، فيجب الحَذَرُ مِنها.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] قصَّةُ (❍ موسىٰ عليه السلام ❍ يوسُفَ عليه السلام) هي أعظَمُ قصَصِ القُرآنِ.

[٢] كان الهدَفُ الحَقيقيُّ مِن تناوُلِ القُرآنِ للقِصَّةِ: ❍ العظة والعبرة وهو الأعم. ❍ بيان الأحكام فيمن يرىٰ أن شرع من قبلنا شرع لنا. ❍ سرد تاريخ الأمم والأنبياء والأشخاص. ❍ أ، ب.

[٣] قصَصُ القُرآنِ (❍ أحسَنُ ❍ أصدَقُ ❍ أنفَعُ ❍ الجميع) القصَصِ.

[٤] لماذا سُمِّيَت قِصَّةُ يوسُفَ عليه السلام بأحسَنِ القصَصِ؟ ❍ لأنَّها تحتوي علىٰ عالَمٍ كامِلٍ مِن العِبَرِ والحِكَمِ. ❍ لأنَّ يوسُفَ تجاوَزَ عن إخوَتِه وصبَرَ عليهم. ❍ لأنَّ فيها ذِكرَ الأنبياءِ والصَّالِحينَ، والعفَّةِ، والغِوايَةِ، وسِيَرِ المُلوكِ والمَمالِكِ، والرِّجالِ والنِّساءِ، وحِيَلِ النِّساءِ ومَكْرِهِنَّ، وفيها ذِكرُ التَّوحيدِ، والفِقْهِ، وتَعبيرِ الرُّؤىٰ. ❍ لأنَّ مَآلَ مَن كانَ فيهَا إلىٰ السَّعادَةِ. ❍ الجميع.

[٥] القُرآنُ العزيزُ ليس كتابَ تاريخ تُسرَدُ فيه القَصَصُ، وتُذكَرُ فيه الوَقائِعُ بالتَّرتيبِ، وإنَّما هو كِتابُ هِدايَةٍ ورَحمَةٍ للعالَمينَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] قصَصُ القُرآنِ الكَريمِ لا يُرادُ بِها سَردُ تاريخِ الأُمَمِ أو الأشخاصِ، وإنَّما هي عِبرَةٌ للنَّاسِ (❍ صح ❍ خطأ)، وأهمُّ العِبَرِ فيها (❍ التَّنبيه علىٰ سُنَنِ اللهِ تعالىٰ في الاجتِماعِ البَشَرِيِّ ❍ تأثيرُ أعمالِ الخَيرِ والشَّرِّ في الحَياةِ الإنسانِيَّةِ ❍ الجميع).

[٧] القُرآنُ (❍ لم يُبنَ ❍ بُنِيَ) علىٰ قانون التَّاريخ.

[٨] لم تُذكَرْ قصَصُ الأنبياءِ في القرآنِ بكامِلِ تَرتيبِها وتَفاصيلِها، وإنَّما يُذكَرُ مَوضِعُ العِبرَةِ مِنها فقط؛ إلَّا قصَّةَ يوسُفَ عليه السلام: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] صِلِ القِصَّةَ بوَجهِ أفضَلِيَّتِها:

قصَّةُ موسىٰ عليه السلام:	أحسَنُ قصَصِ المُلوكِ.
قصَّةُ يوسُفَ عليه السلام:	أحسَنُ القصَصِ باعتِبارِ الصَّبرِ والتَّقوىٰ وحُسنِ العاقِبَةِ.
قصَّةُ ذي القَرنَينِ:	أحسَنُ قصَصِ أولياءِ اللهِ زمَنَ الفَترَةِ.
قصَّةُ أهلِ الكَهفِ:	أفضَلُ القصَصِ مُطلقًا.

الإِسْرَائِيلِيَّاتُ:	
مَعْنَى الإِسْرَائِيلِيَّاتِ:	هي الْأَخْبَارُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، ويجِبُ الحذَرُ مِنها، خُصوصًا إذا تضمَّنَت عيبًا أو لَمزًا لأحدٍ مِن الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
أَنْوَاعُ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ:	[١] **ما أقرَّه الإسلامُ وصدَّقَه**: فهو حقٌّ يجِبُ قَبولُه وتَصديقُه. [٢] **ما أنكَرَه الإسلامُ وكذَّبَه**: فهو باطلٌ يجِبُ إنكارُه وتكذيبُه. [٣] **ما لم يُقِرَّه الإسلامُ، ولم يُنكِرْه**: فالواجِبُ التَّوقُّفُ فيه.
حُكْمُ سُؤَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:	سُؤَالُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَنْ أُمُورِ الدِّينِ لا يَجوزُ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللَّهِ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ؟!**».
مَواقف العُلَماءِ في اعتبارِ الإسرائيليَّاتِ:	[١] مَنْ أَكْثَرَ مِنْهَا مَقْرُونَةً بِأَسَانِيدِهَا، وَرَأَىٰ أَنَّهُ بِذِكْرِ أَسَانِيدِهَا خَرَجَ مِنْ عُهْدَتِهَا؛ كابنِ جَريرٍ الطَّبَريِّ رَحِمَهُ اللهُ. [٢] مَنْ أَكْثَرَ مِنْهَا مُجَرَّدَةً مِنَ الْأَسَانِيدِ؛ كالبَغَوِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، وهذا أقلُّ رتبةً مِن الأوَّلِ. [٣] مَنْ ذَكَرَ كَثِيرًا مِنْهَا، وَتَعَقَّبَ الْبَعْضَ مِمَّا ذَكَرَهُ بِالتَّضْعِيفِ أَوِ الْإِنْكَارِ؛ كابنِ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ، وهذا أحسَنُ مِن الَّذي قَبلَه. [٤] مَنْ بَالَغَ فِي رَدِّهَا جُملَةً واحِدَةً؛ كبعضِ المُعاصِرينَ.
تنبيهاتٌ في التَّعامُلِ مع الإسرائيليَّاتِ:	▪ لا ينبغي أن تُذكَرَ الإسرائيليَّاتُ إلَّا نادرًا، مع ضرورةِ التَّنبيهِ علىٰ صِحَّتِها، وفي الصَّحيحِ مَندوحَةٌ عن الضَّعيفِ. ▪ يُمكِنُ أن يُحدَّث بالإسرائيليَّاتِ في الآدابِ والزُّهدِ والورَعِ، أو بقصَصٍ تُناسِبُ أشياءَ في القرآنِ أو السُّنَّةِ فقط. ▪ يجوزُ الاستِفادَةُ من الإسرائيليَّاتِ في إيضاحِ المَعنىٰ وتعضيدِه، وتَفصيلِ ما جاءَ مُجملًا في الكِتابِ والسُّنَّةِ، ولأجلِ الاتِّعاظِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] روايـةُ القليـل من الإسـرائيليَّات تميَّـز به منهجُ: ❍ التَّابعيـنَ. ❍ الصَّحابةِ. ❍ المدرسـةِ العقليَّةِ. ❍ لا شـيء ممَّا ذُكِر.

[٢] اتَّسمَت روايةُ الصَّحابة للاسرائيليَّات بـ: ❍ الكثرةِ. ❍ القلَّةِ. ❍ التَّوسُّطِ.

[٣] الأخبـارُ المَنقولـةُ عـن أهـل الكتاب تُسـمَّىٰ: ❍ المَوقوفـاتِ. ❍ المَقطوعاتِ. ❍ الإسرائيليَّاتِ.

[٤] أخبارُ بَني إسرائيلَ علىٰ: ❍ قِسمَين. ❍ ثلاثةِ أقسام. ❍ أربعَةِ أقسام.

[٥] مـا صدَّقَـهُ شَـرعُنا مِن أخبـارِ بَني إسـرائيلَ فإنَّنا: ❍ نَستَغني عنهُ بما جَاءَ في شَـرعِنا. ❍ نأخُـذُ مِنـه مـا نَحتـاجُ إليـه للتَّوضيـحِ وبَيـانِ المُجمَـلِ. ❍ نأخُـذُ مِنـه ما نَحتـاجُ إليه للاتِّعـاظِ والاسـتِفادَةِ. ❍ الجميعُ.

[٦] ما سـكَتَ عنهُ شَـرعُنا مِن أخبارِ بَني إسـرائيلَ: ❍ نُصَدِّقُه. ❍ نُكذِّبُه. ❍ لا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُـه، ويَجوزُ حِكايَتُهُ للعِبـرَةِ والاتِّعاظِ والاعتِضادِ.

[٧] انقسَمَ النَّاسُ تِجاهَ الإسرائيلِيَّاتِ إلىٰ طرَفَينِ ووَسَطٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٨] غالِـبُ مـا يُـروىٰ عـن بَنـي إسـرائيلَ ليـسَ بـذي فائـدَةٍ في الدِّيـنِ؛ كتَعيينِ لَـونِ كَلبِ أصحـابِ الكَهـفِ ونَحـوِه: ❍ صـح. ❍ خطـأ.

[٩] يجِـبُ الحـذَرُ مِـن الإسـرائيليَّاتِ، خصوصًا إذا كانـت تتضمَّنُ عيبًا أو لمـزًا لأحَدٍ مِن الأنبيـاءِ؛ مثـلَ مـا ورَدَ في قصَّـةِ داودَ وسُـليمانَ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] بنو إسرائيلَ هم: ❍ اليَهودُ. ❍ النَّصارىٰ. ❍ الجَميع.

[١١] يُخشـىٰ أن يتَّجِـهَ النَّـاسُ إلـىٰ الإسـرائيليَّاتِ ويَدَعوا ما جـاءَ في القُرآنِ والسُّـنَّةِ: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[١٢] حُكمُ سُؤالِ أهلِ الكتابِ عن شيءٍ من أُمورِ الدِّينِ: ❍ يَجوزُ. ❍ لا يَجوزُ.

[١٣] لا ينبغـي أن تُذكَـرَ الإسـرائيليَّاتُ إلَّا نـادرًا، فنتوسَّـطُ فيهـا مـع ضـرورةِ التَّنبيهِ علىٰ الصَّحيـحِ مِنهـا والباطِـل: ❍ صـح. ❍ خطـأ.

[١٤] لا تجِـدُ مُحتاجًـا إلـىٰ غيـرِ آثـارِ الرَّسـولِ ﷺ إلَّا مَن هـو ضَعيـفُ المَعرِفَـةِ والاتِّباعِ للآثـارِ: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[١٥] القائِـلُ: «**كَيْـفَ تَسْـأَلُونَ أَهْـلَ الْكِتَـابِ عَنْ شَـيْءٍ...**» هـو: ❍ ابُـن عبَّاسٍ رضي الله عنهما. ❍ ابُـن مَسـعودٍ رضي الله عنه. ❍ ابـنُ جَريـرٍ الطَّـبريُّ رحمه الله.

الْـمَجَازُ فِي الْقُرْآنِ:

ينقسِمُ الكَلامُ مِن حيثُ:	[١] **التَّركيبُ إلى:** [أ] اسمٍ، [ب] وفِعلٍ، [ج] وحَرفٍ. [٢] **إمكانُ وَصفِه بالصِّدقِ إلى:** [أ] خبَرٍ، [ب] وإنشاءٍ. [٣] **الاستِعمالُ إلى:** [أ] حَقيقَةٍ، وهو: (**استِعمالُ اللَّفظِ في ما وُضِعَ له لغةً**)، [ب] ومَجازٍ، وهو: (**صَرفُ اللَّفظِ عن مَعناه الظَّاهِرِ إلى مَعنًى مَرجوحٍ بقَرينَةٍ**).
اختُلِفَ في وُجودِ الـمَجازِ على ثَلاثةِ أقوالٍ، والرَّاجِحُ:	**أنَّه لا مَجازَ في القُرآنِ ولا في غَيرِه**، قال به أبو إسحاقَ الإسفرايينيُّ، ومِن المُتأخِّرين العلَّامة محمَّدٌ الأمين الشِّنقيطيُّ، وبيَّن شيخُ الإسلام وابنُ القيِّم أنَّه اصطلاحٌ حادثٌ بعد انقِضاءِ القُرونِ الثَّلاثَةِ المُفضَّلةِ، ونصَرَه بأدلَّةٍ قويَّةٍ تُبيِّن أنَّه هو الصَّوابُ.
الأدلَّةُ على أنَّه لا مَجازَ في الكِتابِ ولا في السُّنَّةِ ولا في اللُّغةِ:	[١] القَولُ بالمَجازِ بِدعَةٌ حدَثَت بعدَ انقِراضِ القُرونِ المُفضَّلةِ. [٢] المَجازُ طاغوتُ الفِلاسفةِ (أقوى حُجَّةٍ لهم). [٣] سدُّ البابِ أمامَ مَن يُريدُ التَّلاعُبَ بالنُّصوصِ. [٤] مِن أقوى الأدلَّةِ على بُطلانِه أنَّه يُمكِنُ نفيُه. [٥] أهلُ اللُّغةِ لم يُصرِّحوا أنَّ العرب عرَفوا هذا التَّقسيمَ. [٦] لو أثبَتنا المَجازَ في اللُّغةِ لَزِمَ إثباتُه في بَعضِ القُرآنِ، ولو أثبتناه في بَعضِ القُرآنِ لَزِمَ إثباتُه في كلِّ القُرآنِ.
قَواعِدُ مُهمَّةٌ في الـمَجازِ:	[١] القولُ بنَفيِ المَجازِ عليه السَّلفُ الصَّالحُ، والقُرونُ المُفضَّلةُ، ثمَّ إن وجَدنا من أهلِ السُّنَّةِ مَن يُثبِتُ المَجازَ في اللُّغة فإنَّه بلا شكٍّ يَنفيه في آياتِ الأسماءِ والصِّفاتِ. [٢] لو كانَ في إثباتِ المَجازِ، أو دَعوى أنَّ في القرآنِ شيئًا غيرَ عربيٍّ... مَطعنًا في كِتابِ اللهِ لاحتَجَّ بذلِكَ مُشرِكو العرَبِ.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] المَجـازُ: ❍ اسـتِعمالُ اللَّفـظِ فيمـا وُضِعَ له. ❍ صَـرفُ اللَّفظِ عن مَعنـاه الظَّاهِرِ. ❍ كلاهمـا صحيحٌ.

[٢] مِـن أمثِلَـةِ المَجـازِ عنـدَ القائِلِيـنَ بـه: ❍ رأيـتُ أسـدًا في الغابَـةِ. ❍ فُلانٌ أسـدٌ في الحُـروبِ. ❍ كلاهمـا صحيـحٌ.

[٣] القَولُ بالمَجازِ كانَ مَوجودًا في عَصرِ الصَّحابَةِ والتَّابِعينَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤] الَّذيـن قالـوا بالمَجازِ وتَوسَّـعوا في اسـتِعمالِه والاسـتِدلالِ به هم الفَلاسِـفَةُ المَلاحِدَةُ ومَـن تَبِعَهـم: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[٥] إذا وَجَدنـا مِـن أهـلِ السُّـنَّةِ مَن يَقـولُ بإثباتِ المَجـازِ فإنَّ لابُـدَّ أن يَقولَ بـه كذلِكَ في أدِلَّـةِ الأسـماءِ والصِّفـاتِ: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[٦] لمَّا لم يحتَجَّ مُشرِكو العرَبِ بالمَجازِ علىٰ النَّبيِّ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] مِن الأدِلَّةِ علىٰ بُطلانِ القَولِ بالمَجازِ أنَّه يُمكِنُ نَفيُه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٨] المَجـازُ عنـدَ القائِليـنَ بـه مِـن أقسـامِ الـكلامِ باعتِبـارِ: ❍ التَّركيـبِ. ❍ إمـكانِ وَصفِـه بالصِّـدقِ. ❍ الاسـتِعمالِ. ❍ الجَميـعِ.

[٩] السَّلَفُ والقُرونُ المُفضَّلَةُ علىٰ نَفيِ المَجازِ مُطلَقًا: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] لـم يقُـلْ أحَـدٌ مِـن أهـلِ السُّـنَّةِ بإثبـاتِ المَجـازِ في آيـاتِ الأسـماءِ والصِّفـاتِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] الخبَـرُ هـو مـا يُمكِـنُ وَصفُـه بالصِّدقِ والكـذِبِ لذاتِـه، ويُسـتَثنىٰ ما جـاءَ في القرآنِ والسُّـنَّةِ مِـن الأخبـارِ: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[١٢] أجمَـعَ عُلمـاءُ اللُّغَـةِ علـىٰ أنَّ العـرَبَ قسَّـمُوا الـكلامَ إلـىٰ حَقيقَـةٍ ومَجـازٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٣] اختارَ العلَّامة محمَّدٌ الأمين الشِّنقيطيُّ نفيَ المَجازِ مُطلَقًا: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٤] ينقَسِمُ الكلامُ مِن حيثُ:

التَّركيبُ إلى:	[١] خَبرٍ، [٢] وإنشاءٍ.
إمكانُ وَصفِه بالصِّدقِ وعدَمِه إلى:	[١] اسمٍ، [٢] وفِعلٍ، [٣] وحرفٍ.
الاستِعمالُ إلى:	[١] حَقيقَةٍ، [٢] ومَجازٍ.

الْقَسَمُ:	
تعريفه:	هو: (تأكيدُ الشَّيءِ بذِكرِ مُعظَّمٍ علىٰ وجهٍ مَخصوصٍ).
يجوزُ القَسَمُ بـ:	[١] **الله:** وهذا هو الأكثَرُ. [٢] **ما يَختصُّ به من الأسماءِ:** كالرَّحمَنِ والرَّحيمِ ونحوِها. [٣] **الصِّفاتِ المعنويَّةِ:** كالعِلمِ، والقُدرَةِ، ونَحوِهما. [٤] **الصِّفاتِ الخبريَّةِ:** الَّتي يُعبَّر بها عن ذاته عَزَّوَجَلَّ؛ كالوَجهِ، وأمَّا ما لا يُعبَّرُ به عن الذَّاتِ فلا يجوزُ القَسَمُ به؛ كاليَدِ والعَينِ.
أركانُ القَسَمِ:	[١] **المُقسِمُ:** وهو اللهُ جلَّ جلالُه، أو العَبدُ. [٢] **المُقسَمُ به:** وهو الشَّيءُ المُعظَّمُ عند الحالِفِ، فالعَبدُ لا يَحلِفُ إلَّا باللهِ، واللهُ عَزَّوَجَلَّ يَحلِفُ بنَفسِه وبمَخلوقاتِه العَظيمَةِ. [٣] **المُقسَمُ عليه:** وهو جَوابُ القسَمِ، ولا يَكونُ إلَّا شيئًا عظيمًا. [٤] **أداةُ القَسَمِ:** وهي حروفُ القسَمِ: الواوُ، والباءُ، والتَّاءُ.
أنواعُ القَسَمِ:	[١] ظاهِرٌ. [٢] مُضمَرٌ.
أُصولٌ مُهِمَّةٌ:	[١] **الأصلُ في القَسَمِ ذِكرُ المُقسَمِ به:** لكن قد: [أ] **يُحذَفُ وحدَه:** كما في قَولِك: (أَحْلِفُ عَلَيْكَ لَتَجْتَهِدَنَّ). [ب] **يُحذَفُ هو والعامِلُ معًا:** ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ﴾[التَّكاثر:٨]. [٢] **الأصلُ في القَسَمِ ذِكرُ المُقسَمِ عليه:** لكن قد: [أ] **يُحذَفُ جوازًا:** كما في ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾[ق] فالمُقسَمُ عليه مَحذوفٌ تقديرُه: (لَيَهْلِكُنَّ). [ب] **يُحذَفُ وُجوبًا:** إذا تقدَّمَه ما يُغني عنه مثل: (زيدٌ قائمٌ واللهِ)، أو اكتنَفَه ما يُغني عنه مثل: (زيدٌ واللهِ قائمٌ).
قاعدةٌ:	كلُّ قَسَمٍ في القُرآنِ لابُدَّ أن يَكونَ بينَه وبينَ المُقسَمِ عليه مُناسبَةٌ، لكنَّ المُناسبَةَ قد تكونُ ظاهِرَةً، وقد تكونُ خفِيَّةً.

للقسَمِ فائِدَتانِ:	[١] **بَيَانُ عَظَمَةِ الْـمُقْسَم بِهِ**: ولهذا لا يَجوزُ الحَلِفُ بغَيرِ اللهِ. [٢] **بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ الْـمُقْسَم عَلَيْهِ**: ولهذا فإنَّ حَلِفَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بمَخلوقٍ مِن مَخلوقاتِه يدلُّ علىٰ عظَمَتِه.

أَسْئِلَةٌ عَلَى مَا سَبَقَ:

[١] للهِ عَزَّوَجَلَّ أن يُقسِمَ بما شاءَ مِن مَخلوقاتِه مِن حيَوانٍ وجَمادٍ وإن لم يُعلَم وَجهُ الحِكمَةِ في ذلِكَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢] يَجوزُ الحَلِفُ بـ: ❍ اللهِ تَعالىٰ. ❍ ما يختَصُّ باللهِ مِن أسماءٍ. ❍ صِفاتِ اللهِ المَعنَوِيَّةِ. ❍ صِفاتِ اللهِ الخبَرِيَّةِ الَّتي يُعبَّرُ بها عن ذاتِه. ❍ صِفاتِ اللهِ الخبَرِيَّةِ الَّتي لا يُعبَّرُ بها عن ذاتِه. ❍ الجَميع إلَّا الأخير.

[٣] مِن أركانِ القَسَم: ❍ المُقسَمُ به. ❍ أداةُ القسَمِ. ❍ المُقسَمُ عليه. ❍ المُقسِمُ. ❍ الجَميع.

[٤] في قولِه تَعالىٰ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ﴾[التَّكاثر:٨]: ❍ ذِكرَ المُقسَمُ له. ❍ حُذِفَ المُقسَمُ به وذُكِرَ عامِلُه. ❍ حُذِفَ المُقسَمُ به وعامِلُه.

[٥] في قولِه تَعالىٰ: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾[ق]: ❍ حُذِفَ المُقسَمُ عليه وُجوبًا. ❍ حُذِفَ المُقسَمُ عليه جَوازًا. ❍ ذُكِرَ المُقسَمُ عليه.

[٦] مِن فَوائِدِ القسَمِ: ❍ بيانُ عظَمَةِ المُقسَم به. ❍ بيانُ أهمِّيَّةِ المُقسَمِ عليه. ❍ كلاهما.

[٧] أدواتُ القسَمِ هي: ❍ الواوُ. ❍ الباءُ. ❍ التَّاءُ. ❍ الجميع.

[٨] حُكمُ الحَلِفِ علىٰ المُصحَفِ: ❍ جائِزٌ. ❍ لا يَجوزُ؛ لعدَمِ الدَّليلِ عليه.

[٩] كلُّ قسَمٍ في القُرآنِ لابُدَّ أن يَكونَ بينَه وبينَ المُقسَمِ عليه مُناسَبَةٌ ظاهِرَةٌ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] أقسَمَ اللهُ تَعالىٰ بنَفسِه المُقَدَّسَةِ في القُرآنِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] ليس لنا أن نُقسِمَ بغيرِ اللهِ، وهذا ثابتٌ بـ: ❍ النَّصِّ. ❍ الإجماع. ❍ الجميع.

[١٢] أقسَمَ اللهُ تَعالىٰ في مَواضِعَ كثيرَةٍ مِن القرآنِ بـ: ❍ نَفسِه. ❍ القرآنِ الكَريمِ. ❍ العَظيمِ مِن مَخلوقاتِه. ❍ الجَميع.

[١٣] أقسَمَ اللهُ تَعالىٰ بالنُّجومِ، وسمَّاه قسمًا عظيمًا: ❍ صح. ❍ خطأ.

مَنظومَةُ التَّفسِيرِ

قالَ العلَّامَةُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ
الْبَيْضَاوِيُّ الشِّيرَازِيُّ الْأَصْلِ، ثُمَّ الْمَكِّيُّ الزَّمْزَمِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٩٧٦هـ)
فِي «مَنْظُومَةُ التَّفْسِيرِ»:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١	تَبَارَكَ الْمُنْزِلُ لِلْفُرْقَانِ	عَلَىٰ النَّبِيِّ عَطِرِ الْأَرْدَانِ
٢	مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ صَلَّىٰ اللهُ	مَعَ سَلَام دَائِمًا يَغْشَاهُ
٣	وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وبَعْدُ	فَهَذِهِ مِثْلُ الْجُمَانِ عِقْدُ
٤	ضَمَّنْتُهَا عِلمًا هُوَ التَّفْسِيرُ	بِدَايَةً لِمَنْ بِهِ يَحِيرُ
٥	أَفْرَدْتُها نَظْمًا مِنَ النُّقَايَهْ	مُهَذِّبًا نِظَامَهَا فِي غَايَهْ

حَدُّ عِلْمِ التفسير

٦	عِلْمٌ بِهِ يُبْحَثُ عَنْ أَحْوَالِ	كِتَابِنَا مِنْ جِهَةِ الْإِنْزَالِ
٧	ونَحْوِهِ، بِالْخَمْسِ وَالْخَمْسِينَا	قَدْ حُصِرَتْ أَنْوَاعُهُ يَقِينَا
٨	وقَدْ حَوَتْهُ سِتَّةٌ عُقُودُ	وَبَعْدَهَا خَاتِمَةٌ تَعُودُ
٩	وَقَبْلَهَا لَابُدَّ مِنْ مُقَدِّمَهْ	بِبَعْضِ مَا خُصِّصَ فِيهِ مُعْلِمَهْ

مُقَدِّمَةٌ

١٠	فَذَاكَ مَا عَلَىٰ مُحَمَّدٍ نَزَلْ	وَمِنْهُ الِاعْجَازُ بِسُورَةٍ حَصَلْ
١١	وَالسُّورَةُ الطَّائِفَةُ الْمُتَرْجَمَهْ	ثَلَاثُ آيٍ لِأَقَلِّهَا سِمَهْ
١٢	وَالْآيَةُ الطَّائِفَةُ الْمَفْصُولَهْ	مِنْ كَلِمَاتٍ مِنْهُ، وَالْمَفْضُولَهْ

١٣	مِنْهُ عَلَىٰ الْقَوْلِ لَهُ كَـ«تَبَّتِ»	وَالْفَاضِلُ الَّذْ مِنْهُ فِيهِ أَتَتِ
١٤	بِغَيْرِ لَفْظِ الْعَرَبِيِّ تَحْرُمُ	قِراءَةٌ وأَنْ بِهِ يُتَرْجَمُ
١٥	كَذَاكَ بِالْمَعْنَىٰ، وَأَنْ يُفَسَّرَا	بِالرَّأْيِ لَا تَأْوِيلَهُ فَحَرِّرَا

الْعِقْدُ الأَوَّلُ:

مَا يَرْجِعُ إِلَى النُّزُولِ زَمَانًا وَمَكَانًا، وَهُوَ اثْنَا عَشَرَ نَوْعًا

الأَوَّلُ وَالثَّانِي: الْمَكِّيُّ وَالْمَدَنِيُّ

١٦	مَكِّيُّهُ مَا قَبْلَ هِجْرَةٍ نَزَلْ	وَالْمَدَنِي مَا بَعْدَهَا، وَإِنْ تَسَلْ
١٧	فَالْمَدَنِي أَوَّلَتَا الْقُرْآنِ مَعْ	أَخِيرَتَيْهِ، وَكَذَا الْحَجُّ تَبَعْ
١٨	مَائِدَةٌ، مَعْ مَا تَلَتْ، أَنْفَالُ	بَرَاءَةٌ، وَالرَّعْدُ، وَالْقِتَالُ
١٩	وَتَالِيَاهَا، وَالْحَدِيدُ، النَّصْرُ	قِيامَةٌ، زَلْزَلَةٌ، وَالْقَدْرُ
٢٠	وَالنُّورُ، وَالْأَحْزَابُ، وَالْمُجَادِلَهْ	وَسِرْ إِلَىٰ التَّحْرِيمِ وَهْيَ دَاخِلَهْ
٢١	وَمَا عَدَا هَذَا هُوَ الْمَكِّيُّ	عَلَىٰ الَّذِي صَحَّ بِهِ الْمَرْوِيُّ

النَّوْعُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ: الْحَضَرِيُّ وَالسَّفَرِيُّ

٢٢	وَالسَّفَرِي كَآيَةِ التَّيَمُّمِ	مَائِدَةٌ بِذَاتِ جَيْشٍ فَاعْلَمِ
٢٣	أَوْ هِيَ بِالْبَيْدَاءِ، ثُمَّ الْفَتْحُ فِي	كُرَاعِ الغَمِيمِ يَا مَنْ يَقْتَفِي
٢٤	وبِمِنَىٰ ﴿اتَّقُوا﴾ وَبَعْدُ ﴿يَوْمًا﴾	وَ﴿تُرْجَعُونَ﴾ أَوْلِ هَذَا الْخَتْمَا
٢٥	وَيَوْمَ فَتْحٍ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ﴾	لِآخِرِ السُّورَةِ يَا سَؤُولُ
٢٦	وَيَوْمَ بَدْرٍ سُورَةُ الْأَنْفَالِ مَعْ	﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ وَمَا بَعْدُ تَبَعْ

٢٧	إِلَىٰ ﴿الْحَمِيدِ﴾، ثُمَّ ﴿إِنْ عَاقَبْتُمْ	فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ﴾
٢٨	بِأُحُدٍ، وَعَرَفَاتٍ رَسَمُوا	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
٢٩	وَمَا ذَكَرْنَا هَا هُنَا الْيَسِيرْ	وَالْحَضَرِي وُقُوعُهُ كَثِيرُ

الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ: اللَّيْلِيُّ وَالنَّهَارِيُّ

٣٠	وَسُورَةُ الْفَتْحِ أَتَتْ فِي اللَّيْلِ	وَآيَةُ الْقِبْلَةِ أَيْ: ﴿فَوَلِّ﴾
٣١	وَقَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ﴾	بَعْدُ ﴿لِأَزْوَاجِكَ﴾ وَالْخَتْمُ سَهُلْ
٣٢	أَعْنِي الَّتِي فِيهَا الْبَنَاتُ لَا الَّتِي	خُصَّتْ بِهَا أَزْوَاجُهُ فَأَثْبِتِ
٣٣	وَآيَةُ ﴿الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ﴾	أَيْ: ﴿خُلِّفُوا﴾ بِتَوْبَةٍ يَقِينَا
٣٤	فَهَذِهِ بَعْضُ لِلَيْلِيٍّ عَلَى	أَنَّ الْكَثِيرَ بِالنَّهَارِ نَزَلَا

السَّابِعُ وَالثَّامِنُ: الصَّيْفِيُّ وَالشِّتَائِيُّ

٣٥	صَيْفِيَّةٌ كَآيَةِ الْكَلَالَةِ	وَالشِّتَائِي كَالْعَشْرِ فِي عَائِشَةِ

التَّاسِعُ: الْفِرَاشِيُّ

٣٦	كَآيَةِ الثَّلَاثَةِ الْمُقَدَّمَهْ	فِي نَوْمِهِ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَهْ
٣٧	يَلْحَقُهُ النَّازِلُ مِثْلُ الرُّؤْيَا	لِكَوْنِ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيَا

الْعَاشِرُ: أَسْبَابُ النُّزُولِ

٣٨	وَصَنَّفَ الْأَئِمَّةُ الْأَسْفَارَا	فِيهِ فَيَمِّمْ نَحْوَهَا اسْتِفْسَارَا
٣٩	مَا فِيهِ يُرْوَىٰ عَنْ صَحَابِيٍّ رُفِعْ	وَإِنْ بِغَيْرِ سَنَدٍ فَمُنْقَطِعْ
٤٠	أَوْ تَابِعِي فَمُرْسَلٌ، وَصَحَّتِ	أَشْيَا كَمَا لِإِفْكِهِمْ مِنْ قِصَّةِ
٤١	وَالسَّعْيِ وَالْحِجَابِ مِنْ آيَاتِ	خَلْفَ الْمَقَامِ الْأَمْرُ بِالصَّلَاةِ

الْحَادِي عَشَرَ: أَوَّلُ مَا نَزَلَ

٤٢ اقْـرَأْ عَلَـى الْأَصَـحِّ، فَالْمُدَّثِّـرُ ... أَوَّلُـهُ، وَالْعَكْـسُ قَـوْمٌ يَكْثُـرُ

٤٣ أَوَّلُـــهُ التَّطْفِيـفُ، ثُـمَّ الْبَقَـرَهْ ... وَقِيْـلَ بِالْعَكْـسِ بِـدَارِ الْهِجْـرَهْ

الثَّانِي عَشَرَ: آخِرُ مَا نَزَلَ

٤٤ وَآيَـــةُ الْكَلَالَـــةِ الْأَخِيـــرَهْ ... قِيـلَ: الرِّبَـا أَيْضًـا، وَقِيـلَ: غَيْـرَهْ

الْعِقْدُ الثَّانِي:

مَا يَرْجِعُ إِلَى السَّنَدِ، وَهِيَ سِتَّةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ، وَالثَّانِي، وَالثَّالِثُ: الْمُتَوَاتِرُ، وَالآحَادُ، وَالشَّاذُّ

٤٥ وَالسَّـبْعَةُ الْقُـرَّاءُ مَـا قَـدْ نَقَلُـوا ... فَمُتَوَاتِـــرٌ، وَلَيْـــسَ يُعْمَـــلُ

٤٦ بِغَيْـرِهِ فِـي الْحُكْـمِ مَـا لَـمْ يَجْـرِ ... مَجْـــرَى التَّفَاسِـــيرِ، وَإِلاَّ فَادْرِ

٤٧ قَوْلَيْـنِ: إِنْ عَارَضَـهُ الْمَرْفُـوعُ ... قَدِّمْـــهُ، ذَا الْقَـولُ هُـوَ الْمَسْـمُوعُ

٤٨ وَالثَّانِيْ: الْآحَـــادُ كَالثَّلَاثِـــةِ ... تَتْبَعُهَـــا قِـــرَاءَةُ الصَّحَـــابَةِ

٤٩ وَالثَّالِـثُ: الشَّـاذُّ الَّـذِي لَـمْ يَشْـتَهِرْ ... مِمَّـــا قَـــرَاهُ التَّابِعُونَ وَاسْـتُطِرْ

٥٠ وَلَيْـــسَ يُقْـــرَأُ بِغَيْـــرِ الْأَوَّلِ ... وَصِحَّـــةُ الْإِسْـنَادِ شَـرْطٌ يَنْجَلِي

٥١ لَـهُ كَشُـــهْرَةِ الرِّجَـــالِ الضَّبْطِ ... وِفَـــاقُ لَفْـــظِ العَرَبِي وَالْخَطِّ

النَّوْعُ الرَّابِعُ: قِرَاءَاتُ النَّبِيِّ ﷺ الْوَارِدَةُ عَنْهُ

٥٢ وَعَقَـدَ الْحَاكِـمُ فِـي «الْمُسْـتَدْرَكِ» ... بَابًـا لَهَـا، حَيْـثُ قَـرَا بِـ﴿مَلِـكِ﴾

٥٣ كَذَا ﴿الصِّرَاطُ، رُهُنٌ﴾، وَ﴿نُنْشِزُ﴾ ... كَـذَاكَ ﴿لَا تَجْزِي﴾ بِتَـا يَـا مُحْـرِزُ

٥٤ أَيْضًا بِفَتْحِ يَاءِ ﴿أَنْ يَغُلَّا﴾ ... وَ﴿الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ﴾ بِرَفْعِ الْأُوْلَىٰ

٥٥ ﴿دَرَسْتَ، تَسْتَطِيعُ، مِنْ أَنْفَسِكُمْ﴾ ... بِفَتْحِ فَا مَعْنَاهُ مِنْ أَعْظَمِكُمْ

٥٦ ﴿أَمَامَهُمْ﴾ قَبْلَ ﴿مَلِكٌ، صَالِحَةٍ﴾ ... بَعْدَ ﴿سَفِينَةٍ﴾ وَهَذِي شَذَّتِ

٥٧ ﴿سَكْرَىٰ ومَا هُمْ بِسَكْرَىٰ﴾ أَيْضَا ... ﴿قُرَّاتُ أَعْيُنٍ﴾ لِجَمْعِ تُمْضَىٰ

٥٨ ﴿واتَّبَعَتْهُمْ﴾ بَعْدَ ﴿ذُرِّيَتِهِمْ﴾ ... ﴿رَفَارِفًا﴾ ﴿عَبَاقِرِيَّ﴾ جَمْعُهُمْ

النَّوْعُ الْخَامِسُ وَالسَّادِسُ: الرُّوَاةُ وَالْحُفَّاظُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ الَّذِينَ اشْتَهَرُوا بِحِفْظِ الْقُرْآنِ وَإِقْرَائِهِ

٥٩ عَلِيٌّ، عُثْمَانُ، أُبَيٌّ، زَيْدُ ... وَلِابْنِ مَسْعُودٍ بِهَذَا سَعْدُ

٦٠ كَذَا أَبُو زَيْدٍ، أَبُو الدَّرْدَا، كَذَا ... مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَخَذَا

٦١ عَنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةٍ مَعَ ابْنِ ... عَبَّاسٍ، ابنُ سَائِبٍ، وَالْمَعْنِي

٦٢ بِذَيْنِ عَبْدُ اللهِ، ثُمَّ مَنْ شُهِرْ ... مِنْ تَابِعِيٍّ فَالَّذِي مِنْهُمْ ذُكِرْ

٦٣ يَزِيْدُ أَيْ مَنْ أَبُهُ الْقَعْقَاعُ ... وَالْأَعْرَجُ بْنُ هُرْمُزٍ قَدْ شَاعُوا

٦٤ مُجَاهِدٌ، عَطَا، سَعِيدٌ، عِكْرِمَهْ ... وَالْحَسَنُ، الْأَسْوَدُ، زِرٌّ، عَلْقَمَهْ

٦٥ كَذَاكَ مَسْرُوقٌ، كَذَا عَبِيْدَهْ ... رُجُوعُ سَبْعَةٍ لَهُمْ لَابُدَّهْ

الْعِقْدُ الثَّالِثُ: مَا يَرْجِعُ إِلَى الْأَدَاءِ، وَهِيَ سِتَّةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي: الْوَقْفُ، وَالِابْتِدَاءُ

٦٦ وَالِابْتِدَا بِهَمْزِ وَصْلٍ قَدْ فَشَا ... وَحُكْمُهُ عِنْدَهُمُ كَمَا تَشَا

٦٧ مِنْ قُبْحٍ، اوْ مِنْ حُسْنٍ، اوْ تَمَام ... أَوِ اكْتِفَا بِحَسَبِ الْمَقَام

٦٨ وَبِالسُّكُونِ قِفْ عَلَىٰ الْمُحَرَّكَهْ ... وَزِيدَ الِاشْمَامُ لِضَمِّ الْحَرَكَهْ

٦٩ وَالـرَّوْمُ فِيـــهِ مِثْـلُ كَسْرٍ أُصِّـلَا ... وَالْفَتْـــحُ ذَانِ عَنْـهُ حَتْمًـا حُظِـلَا
٧٠ فِـي الْهَـا الَّتِـي بِالتَّـاءِ رَسْـمًا خُلْفُ ... وَ﴿وَيْـكَأَنَّ﴾ لِلْكِسَـــــائِي وَقْفُ
٧١ مِنْهَـا عَلَـىٰ الْيَـا، وَأَبُـو عَمْـرٍو عَلَىٰ ... كَافٍ لَهَـا، وبَعْضُهُـــمْ قَـدْ حَمَـلَا
٧٢ وَوَقَفُـــوا بِـلَامِ نَحْــــوِ: ﴿مَالِ ... هَـٰذَا الرَّسُـولِ﴾ مَـا عَـدَا المَوَالِـي
٧٣ السَّابِقِيــــنَ، فَعَلَـىٰ مَـا وَقَفُـوا ... وَشِـــبْهِ ذَا المِثَــالِ نَحْـوَهُ قِفُـوا

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الإِمَالَةُ

٧٤ حَمْــزَةُ وَالْكِسَــائِي قَــدْ أَمَــالَا ... مَـا الْيَـاءُ أَصْلُـهُ اسْـمًا اوْ أَفْعَـالَا
٧٥ أَنَّـىٰ بِمَعْنَـىٰ كَيْـفَ مَـا بِاليَـا رُسِـمْ ... حَتَّـىٰ إِلَـىٰ لَـدَىٰ عَلَـىٰ زَكَـىٰ الْتُـزِمْ
٧٦ إِخْرَاجُــــهَا، سِـوَاهُمَا لَـمْ يُمِـلِ ... إِلاَّ بِبَعْـــضٍ لِمَحَلِّهَـــا اعْـدِلِ

النَّوْعُ الرَّابِعُ: الْمَدُّ

٧٧ نَوْعَـانِ مَـا يُوصَـلُ، أَوْ مَـا يُفْصَـلُ ... وَفِيهِمَـا حَمْـزَةُ، وَرْشٌ أَطْـوَلُ
٧٨ فَعَاصِـــمٌ، فَبَعْـدَهُ ابْــنُ عَامِـرِ ... مَـعَ الْكِسَـائِي، فَأَبُـو عَمْـرٍو حَـرِي
٧٩ وَحَـرْفَ مَـدٍّ مَكَّنُـوا فِـي الْمُتَّصِـلْ ... طُـرًّا، وَلَكِـنْ خُلْفُهُمْ فِـي الْمُنْفَصِلْ

النَّوْعُ الْخَامِسُ: تَخْفِيفُ الْهَمْزِ

٨٠ نَقْـــلُ فَإِسْـقَاطٌ وإِبْـدالٌ بِمَـدْ ... مِـنْ جِنْـسِ مَـا تَلَتْـهُ كَيْفَمَـا وَرَدْ
٨١ نَحْـوُ ﴿أَئِنَّـا﴾ فِيـهِ تَسْـهِيلٌ فَقَـطْ ... وَرُبَّ هَمْـــزٍ فِي مَواضِــــعِ سَقَطْ
٨٢ وكُـــــلُّ ذَا بِالرَّمْــــزِ والإِيمَـاءِ ... إِذْ بَسْـــطُهَا فِـي كُتُـــبِ الْقُـرَّاءِ

النَّوْعُ السَّادِسُ: الإِدْغَامُ

٨٣ فِـي كِلْمَـةٍ أَو كِلْمَتَيْـنِ إِنْ دَخَـلْ ... حَـرْفٌ بِمِثْـلٍ هُـوَ الِادْغَـامُ يُقَـلْ
٨٤ لَكِـنْ أَبُـو عَمْـرٍو بِهَـا لَـمْ يُدْغِمَـا ... إِلَّا بِمَوضِعَيْـنِ نَصًّـا عُلِمَـا

الْعِقْدُ الرَّابِعُ: مَا يَرْجِعُ إِلَى الْأَلْفَاظِ، وَهِيَ سَبْعَةٌ:

الْأَوَّلُ وَالثَّانِي: الْغَرِيبُ وَالْمُعَرَّبُ

٨٥ يُرْجَعُ لِلنَّقْلِ لَدَى الْغَرِيبِ ... مَا جَاءَ كَالْمِشْكَاةِ فِي التَّعْرِيبِ

٨٦ ﴿أَوَّاهُ﴾، و﴿السِّجِلُّ﴾، ثُمَّ ﴿الْكِفْلُ﴾ ... كَذَلِكَ ﴿الْقِسْطَاسُ﴾ وَهُوَ الْعَدْلُ

٨٧ وَهَذِهِ وَنَحْوَهَا قَدْ أَنْكَرَا ... جُمْهُورُهُمْ بِالْوِفْقِ، قَالُوا: إِحْذَرَا

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الْمَجَازُ

٨٨ مِنْهَا اخْتِصَارُ الْحَذْفِ، تَرْكُ الْخَبَرِ ... وَالْفَرْدُ جَمْعٌ إِنْ يُجَزْ عَنْ آخَرِ

٨٩ وَاحِدُهَا مِنَ الْمُثَنَّى وَالَّذِي ... عَقَلَ عَنْ ضِدٍّ لَهُ أَوْ عَكْسُ ذِي

٩٠ سَبَبٌ، الْتِفَاتٌ، التَّكْرِيرُ ... زِيَادَةٌ، تَقْدِيمٌ، اوْ تَأْخِيرُ

النَّوْعُ الرَّابِعُ: الْمُشْتَرَكُ

٩١ قُرْءٌ، وَوَيْلٌ، نِدٌّ، وَالْمَوْلَى، جَرَى ... تَوَّابٌ، الْغَيُّ، مُضَارِعٌ، وَرَا

النَّوْعُ الْخَامِسُ: الْمُتَرَادِفُ

٩٢ مِنْ ذَاكَ مَا قَدْ جَاءَ كَالْإِنْسَانِ ... وَبَشَرٍ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

٩٣ وَالْبَحْرِ وَالْيَمِّ، كَذَا الْعَذَابُ ... رِجْسٌ ورِجْزٌ، جَاءَ يَا أَوَّابُ

النَّوْعُ السَّادِسُ: الِاسْتِعَارَةُ

٩٤ وَهِيَ تَشْبِيهٌ بِلَا أَدَاةِ ... وَذَاكَ كَالْمَوْتِ وَكَالْحَيَاةِ

٩٥ فِي مُهْتَدٍ وَضِدِّهِ كَمِثْلِ ... هَذَيْنِ مَا جَاءَ كَسَلْخِ اللَّيْلِ

النَّوْعُ السَّابِعُ: التَّشْبِيهُ

٩٦ وَمَا عَلَى اشْتِرَاكِ أَمْرٍ دَلَّا ... مَعْ غَيْرِهِ التَّشْبِيهُ حَيْثُ حَلَّا

٩٧ وَالشَّرْطُ هَهُنَا اقْتِرَانُهُ مَعَا ... أَدَاتِهِ وَهُوَ كَثِيرٌ وَقَعَا

الْعِقْدُ الْخَامِسُ: مَا يَرْجِعُ إِلَى مَبَاحِثِ الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالأَحْكَامِ، وَهُوَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَوْعًا:

النَّوْعُ الأَوَّلُ: الْعَامُّ الْبَاقِي عَلَى عُمُومِه

٩٨ وَعَــــزَّ إِلَّا قَوْلَــــــــهُ: ﴿وَاللهُ ... بِـكُلِّ شَـيْءٍ﴾ أَيْ: ﴿عَلِيْـمٌ﴾ ذَا هُو

٩٩ وَقَولَـهُ: ﴿خَلَقَكُـمْ مِـنْ نَفْسٍ ... وَاحِـــدَةٍ﴾ فَخُــذْهُ دُونَ لَبْـسِ

النَّوْعُ الثَّانِي وَالثَّالِثُ: الْعَامُّ الْمَخْصُوصُ، وَالْعَامُّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ

١٠٠ وَأَوَّلٌ شَـــاعَ لِمَـــنْ أَقَاسَـــا ... والثَّانِ نَحْـوُ ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَـا﴾

١٠١ وَأَوَّلٌ حَقِيْقَـــةٌ، وَالثَّانِـــي ... مَجَـــازٌ الْفَــــرْقُ لِمَنْ يُعَانِــي

١٠٢ قَرِيْنَـــةُ الثَّانِـي تُـرَىٰ عَقْلِيَّـهْ ... وَأَوَّلٌ قَطْعًــا تُــرَىٰ لَفْظِيَّـــهْ

١٠٣ وَالثَّـــانِ جَازَ أَنْ يُـرَادَ الْوَاحِـدُ ... فِيــــهِ، وَأَوَّلٌ لِهَـــذَا فَاقِـــدُ

النَّوْعُ الرَّابِعُ: مَا خُصَّ مِنْهُ بِالسُّنَّةِ

١٠٤ تَخْصِيصُــــهُ بِسُـــنَّةٍ قَـدْ وَقَعَـا ... فَـلَا تَمِـلْ لِقَـولِ مَـنْ قَـدْ مَنَعَـا

١٠٥ آحَـــادُهَا وَغَيْـــرُهَا سَـــوَاءُ ... فَبِالْعَرَايَـــا خُصَّـــتِ الرِّبَـــاءُ

النَّوْعُ الْخَامِسُ: مَا خُصَّ بِهِ مِنَ السُّنَّةِ

١٠٦ وَعَـزَّ لَـمْ يُوْجَـدْ سِـوَىٰ أَرْبَعَـةِ ... كَآيَـةِ الأَصْـوَافِ، أَوْ كَالْجِزْيَـةِ

١٠٧ وَالصَّلَـــوَاتِ حَافِظُـوا عَلَيْهَـا ... وَالْعَامِلِيـــنَ ضُمَّـــــهَا إِلَيْهَـا

١٠٨ حَدِيـثُ مَـا أُبِيـنَ فِـي أُولَاهَـا ... خُـصَّ، وأَيْضًـا خُـصَّ مَـا تَلَاهَـا

١٠٩ لِقَولِـــهِ: أُمِـــرْتُ أَنْ أُقَاتِـــلَا ... مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ لِمَـا أَرَدْتُ قَابِـلَا

١١٠ وَخَصَّـتِ البَاقِيَـةُ النَّهْـيَ عَـنِ ... حِـلِّ الصَّـلَاةِ، وَالـزَّكَاةِ لِلْغَنِـي

النَّوْعُ السَّادِسُ: الْمُجْمَلُ

١١١ مَـا لَـمْ يَكُـنْ بِوَاضِـحِ الدَّلَالَـةِ ... كَالْقُـــرْءِ إِذْ بَيَانُـــهُ بِالآيَـــةِ

النَّوْعُ السَّابِعُ: الْمُؤَوَّلُ

١١٢ عَـنْ ظَاهِـرٍ مَـا بِالدَّلِيـلِ نُـزِّلَا ... كَالْيَـدِ للهِ هُـوَ اللَّـذْ أُوِّلَا

النَّوْعُ الثَّامِنُ: الْمَفْهُومُ

١١٣ مُوَافِـقٌ مَنْطُوقَـهُ؛ كَـأُفِّ ... وَمِنْـهُ ذُو تَخَالُـفٍ فِـي الْوَصْـفِ

١١٤ وَمِثْـلُ ذَا: شَـرْطٌ، وغَايَـةٌ، عَـدَدْ ... وَنَبَـأُ الْفَاسِـقِ لِلْوَصْـفِ وَرَدْ

١١٥ وَالشَّـرْطُ ﴿إِنْ كُـنَّ أُولاتِ حَمْلٍ﴾ ... وَغَايَـةٌ جَـاءَتْ بِنَفْـيِ حِـلِّ

١١٦ لِزَوْجِهَـا قَبْـلَ نِكَـاحِ غَيْرِهِ ... وَكَالثَّمَـانِينَ لِعَـدٍّ أَجْـرِهِ

التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ: الْمُطْلَقُ وَالْمُقَيَّدُ

١١٧ وَحَمْـلُ مُطْلَـقٍ عَلَـىٰ الضِّـدِّ إِذَا ... أَمْكَـنَ فَالحُكْـمُ لَـهُ قَـدْ أُخِـذَا

١١٨ كَالْقَتْـلِ وَالظِّهَـارِ حَيْـثُ قُيِّـدَتْ ... أُولَاهُمَـا مُؤْمِنَـةٌ إِذْ وَرَدَتْ

١١٩ وَحَيْـثُ لا يُمْكِـنُ كَالقَضَـاءِ فِـي ... شَـهْرِ الصِّيَـامِ حُكْمَـهُ لا تَقْتَفِـي

النَّوْعُ الْحَادِي عَشَرَ وَالثَّانِي عَشَرَ: النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ

١٢٠ كَـمْ صَنَّفُـوا فِـي ذَيْـنِ مِـنْ أَسْـفَارِ ... وَاشْـتَهَرَتْ فِـي الضَّخْـمِ وَالْإِكْثَـارِ

١٢١ وَنَاسِـخٌ مِـنْ بَعْـدِ مَنْسُـوخٍ أَتَـىٰ ... تَرْتِيبُـهُ إِلَّا الَّذِي قَـدْ ثَبَتَـا

١٢٢ مِـنْ آيَـةِ الْعِـدَّةِ لَا يَحِـلُّ ... لَـكَ النِّسَـاءُ صَـحَّ فِيـهِ النَّقْـلُ

١٢٣ وَالنَّسْـخُ لِلْحُكْـمِ وَلِلتِّـلاوَةِ ... أَوْ بِهِمَـا؛ كَآيَـةِ الرَّضَاعَـةِ

النَّوْعُ الثَّالِثَ عَشَرَ وَالرَّابِعَ عَشَرَ: الْمَعْمُولُ بِهِ مُدَّةً مُعَيَّنَةً، وَمَا عَمِلَ بِهِ وَاحِدٌ

١٢٤ كَآيَـةِ النَّجْـوَىٰ الَّـذِي لَـمْ يَعْمَـلِ ... مِنْهُـمْ بِهَـا مُـذْ نَزَلَـتْ إِلَّا عَلِـي

١٢٥ وَسَـاعَةً قَـدْ بَقِيَـتْ تَمَامَـا ... وَقِيـلَ: لَا؛ بَـلْ عَشْـرَةً أَيَّامَـا

الْعِقْدُ السَّادِسُ: مَا يَرْجِعُ إِلَى الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالأَلْفَاظِ، وَهِيَ سِتَّةٌ:

النَّوْعُ الأَوَّلُ وَالثَّانِي: الْفَصْلُ وَالْوَصْلُ

١٢٦ الْفَصْـلُ وَالْوَصْـلُ، وَفِي المَعَانِـي ... بَحْثُهُمَـــا وَمِنْـــهُ يُطْلَبَـــانِ

١٢٧ مِثَـالُ أَوَّلٍ ﴿إِذَا خَلَـــوْا﴾ إِلَـى ... آخِرِهَـــا وَذَاكَ حَيْـــثُ فُصِـــلَا

١٢٨ مَـا بَعْدَهـا عَنْهَـا، وتِلْـكَ ﴿اللهُ﴾ ... إِذْ فُصِلَــــتْ عَنهَـا كَمَـا تَـرَاهُ

١٢٩ وَ﴿إِنَّ الْأَبْـرَارَ لَفِـي نَعِيـــمٍ﴾ ... فِي الْوَصْلِ وَالْفُجَّارَ فِي جَحِيمِ

النَّوْعُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ وَالْخَامِسُ: الإِيجَازُ وَالإِطْنَابُ، وَالْمُسَاوَاةُ

١٣٠ وَلَكُـمُ الْحَيَـاةُ فِـي الْقِصَـاصِ قُـلْ ... مِثَـالُ الِإيْجَـازِ وَلَا تَخْفَـىٰ الْمُثُـلْ

١٣١ لِمَـا بَقِـي كَــ﴿لَا يَحِيـقُ الْمَكْـرُ﴾ ... وَلَـكَ فِـي إِكْمَـالِ هَـذِي أَجْـرُ

١٣٢ نَحْـوُ ﴿أَلَـمْ أَقُـلْ لَـكَ﴾ الإِطْنَابُ ... وَهْـيَ لَهَـا لَـدَىٰ الْمَعَانِـي بَـابُ

النَّوْعُ السَّادِسُ: الْقَصْرُ

١٣٣ وَذَاكَ فِـي الْمَعَانِـي بَحْثُـهُ كَـ﴿مَـا ... مُحَمَّـــدٌ إِلَّا رَسُـــولٌ﴾ عُلِـــمَا

الْخَاتِمَةُ: اشْتَمَلَتْ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ: الأَسْمَاءِ، وَالْكُنَى، وَالأَلْقَابِ، وَالْمُبْهَمَاتِ

أَسْمَاءُ الأَنْبِيَاءِ

١٣٤ إِسْـحَاقُ، يُوسُـفٌ، وَلُـوطٌ، عِيسَـىٰ ... هُـودٌ، وَصَالِـحٌ، شُـعَيْبٌ، مُوسَـىٰ

١٣٥ هَـــارُونُ، دَاوُدُ، ابْنُـــهُ، أَيُّـوبُ ... ذُو الْكِفْـلِ، يُونُـسُ، كَـذَا يَعْقُـوبُ

١٣٦ آدَمُ، إِدْرِيسُ، وَنُوحٌ، يَحْيَىٰ ... وَالْيَسَعُ، ابْرَاهِيمُ، أَيْضًا إِلْيَا
١٣٧ وَزَكَرِيَّا أَيْضًا اسْمَاعِيلُ ... وَجَاءَ فِي مُحَمَّدٍ تَكْمِيلُ

أَسْمَاءُ الْمَلَآئِكَةِ

١٣٨ هَارُوتُ، مَارُوتُ، وجِبْرَائِيلُ ... قَعِيدٌ، السِّجِلُّ، مِيكَائِيلُ

أَسْمَاءُ غَيْرِهِمْ، وَالْكُنَى، وَالأَلْقَابُ

١٣٩ لُقْمَانُ، تُبَّعٌ، كَذَا طَالُوتُ ... إِبْلِيسُ، قَارُونُ، كَذا جَالُوتُ
١٤٠ وَمَرْيَمٌ، عِمْرَانُ أَيْ: أَبُوهَا ... أَيْضًا كَذَا هَارُونُ أَيْ: أَخُوهَا
١٤١ مِنْ غَيْرِ زَيْدٍ مِنْ صِحَابٍ عَزَّا ... ثُمَّ الْكُنَىٰ فِيهِ كَعَبْدِ الْعُزَّىٰ
١٤٢ كَنَّىٰ أَبَا لَهَبٍ، الْأَلْقَابُ ... قَدْ جَاءَ ذُو الْقَرْنَيْنِ يَا أَوَّابُ
١٤٣ وَإِسْمُهُ إِسْكَنْدَرُ، الْمَسِيحُ ... عِيسَىٰ وذَا مِنْ أَجْلِ مَا يَسِيحُ
١٤٤ فِرْعَوْنُ ذَا الْوَلِيدُ، ثُمَّ الْمُبْهَمُ ... مِنْ آلِ فِرْعَونَ الَّذِي قَدْ يَكْتُمُ
١٤٥ إِيمَانَهُ وَإِسْمُهُ حِزْقِيلُ ... وَمَنْ عَلَىٰ يَاسِينَ قَدْ يُحِيلُ
١٤٦ أَعْنِي الَّذِي يَسْعَىٰ اسْمُهُ حَبِيبُ ... وَيُوشَعُ بْنُ نُونَ يَا لَبِيبُ
١٤٧ وَهُوَ فَتَىٰ مُوسَىٰ لَدَىٰ السَّفِينَةِ ... وَمَنْ هُمَا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ
١٤٨ كَالِبُ مَعْ يُوشَعَ، أُمُّ مُوسَىٰ ... يوْحَانِذُ اسْمُهَا كُفِيتَ الْبُوسَا
١٤٩ وَمَنْ هُوَ الْعَبْدُ لَدَىٰ الْكَهْفِ الْخَضِرْ ... وَمَنْ لَهُ الدَّمُ لَدَيْهَا قَدْ هُدِرْ
١٥٠ أَعْنِي الْغُلَامَ وَهُوَ حَيْسُورُ، الْمَلِكْ ... فِي قَوْلِهِ: ﴿كَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ﴾
١٥١ هُدَدُ، وَالصَّاحِبُ لِلرَّسُولِ فِي ... غَارٍ هُوَ الصِّدِّيقُ أَعْنِي الْمُقْتَفِي
١٥٢ إِطْفِيرُ الْعَزِيزُ أَو قِطْفِيرُ ... وَمُبْهَمٌ وُرُودُهُ كَثِيرُ
١٥٣ وَكَادَ أَنْ يَسْتَوْعِبَ التَّحْبِيرُ ... جَمِيعَهَا فَاقْصِدْهُ يَا نِحْرِيرُ
١٥٤ فَهَاكَهَا مِنِّي لَدَىٰ قُصُورِي ... وَلَا تَكُنْ بِحَاسِدٍ مَغْرُورِ
١٥٥ إِلَّا إِذَا بِخَلَلٍ ظَفِرْتَا ... فَأَصْلِحِ الْفَاسِدَ إِنْ قَدِرْتَا

١٥٦ وَوَجَبَـتْ مِـنْ بَعْـدِ ذَا صَلَاتِـي عَلَـىٰ النَّبِـي وَآلِـهِ الْهُدَاةِ
١٥٧ وَصَحْبِـهِ مُعَمِّمًـا أَتْبَاعَـهْ عَلَـىٰ الْهُـدَىٰ إِلَـىٰ قِيَامِ السَّـاعَهْ

الكتاب الثَّاني:

تَهْذِيبُ:
شَرْحِ: «أُصُولٌ فِي التَّفْسِيرِ»

للشَّيخِ العلَّامة: مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ الْعُثَيْمِينِ رَحِمَهُ اللَّهُ

من إعدادِ الفقيرإلى عفو ربِّه:

هيثم بن محمَّد سرحان

المُدرِّس بمعهد الحرم بالمسجد النَّبويِّ -سابقًا-

والمُشرِف على معهد السُّنَّة

الـمُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب].

أمَّا بعد؛ فإنَّ أجلَّ العلوم وأشرفها علم الشَّريعة الَّذي به قِوام الدِّين، وإنَّ أهمَّ ما ينبغي للمُسلمِ العنايةُ به من عُلوم الشَّريعةِ بعد توحيدِ الله عَزَّوَجَلَّ علمُ التَّفسير الَّذي به يفهم المسلم كلامَ ربِّه عَزَّوَجَلَّ، قال ابن عبد البرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَوَّلُ الْعِلْمِ حِفْظُ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَتَفَهُّمُهُ، وَكُلُّ مَا يُعِينُ عَلَىٰ فَهْمِهِ فَوَاجِبٌ مَعَهُ)، وقال ابن عطيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب التَّفسير: (عَلِمْتُ أَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ عَلَىٰ قَدْرِ شَرَفِ الْمَعْلُوم، فَوَجَدْتُ أَمْتَنَهَا حِبَالًا، وَأَرْسَخَهَا جِبَالًا، وَأَجْمَلَهَا آثَارًا، وَأَسْطَعَهَا أَنْوَارًا = عِلْمَ كِتَابِ اللهِ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، الَّذِي اسْتَقَلَّ بِالسُّنَّةِ وَالْفَرْضِ، وَنَزَلَ بِهِ أَمِينُ السَّمَاءِ إِلَىٰ أَمِينِ الْأَرْضِ، هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي جُعِلَ لِلشَّرْعِ قِوَامًا، وَاسْتَعْمَلَ سَائِرَ الْمَعَارِفِ خُدَّامًا).

ثمَّ إنَّ الله جلَّ في عُلاه أنزل القرآن العظيم علىٰ نبيِّه محمَّدٍ ﷺ أفصح الخلق، وأمره بالبيان فقال: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى

وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ [النَّحل]، فقام النَّبيُّ ﷺ بأحسن البيان وأتمِّه، ففهم ذلك عنه الصَّحابة الأكرمون رضي الله عنهم، ثمَّ التَّابعون ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، وقد اعتنىٰ العلماء سلفًا وخلفًا بعلم التَّفسير، وألَّفوا فيه المُؤلَّفات الكثيرة، واعتنىٰ جملةٌ منهم ببيان القواعد الَّتي يُبنىٰ عليها فهم كلام الله عز وجل، حتَّىٰ لا يُحمَّل القرآن ما لا يحتمل من المعاني الباطلة الَّتي يروِّج لها أهل الزَّندقة والإلحاد، ومن المُؤلَّفات المُختصرة في هذا الباب الَّتي تلقَّاها العلماء بالقبول رسالةٌ قيِّمةٌ للشَّيخ العلَّامة محمَّد بن صالح العثيمين رحمه الله (ت ١٤٢١هـ) سمَّاها: «أصولٌ في التَّفسير»، بيَّن فيها أهمَّ الأصول الَّتي يُبنىٰ عليها علم التَّفسير، ثمَّ شرحها رحمه الله شرحًا وافيًا طُبع في مُجلَّدٍ كامل، فرأينا أن نخرج هذا الكتاب لطالب العلم ومُريده في حُلَّة جديدةٍ، قصدنا فيها التَّوسُّط في البسط بين المتن وشرحه، وانتهجنا فيها طريقة جدولة المُحتوىٰ تسهيلًا له وتيسيرًا، مع بعض الإضافات اليسيرة حسب ما تقتضيه الحاجة لتوضيح مقصود المُؤلِّف رحمه الله من الكلام.

نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به الكاتب والقارئ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ رسوله الأمين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، والحمد لله ربِّ العالمين.

مُلَخَّصٌ في عُلُومُ الْقُرْآنِ

قال جلالُ الدِّينِ البُلقينيُّ رَحِمَهُ اللهُ:
عُلُومُ الْقُرْآنِ مَا حَوَاهُ الْقُرْآنُ الشَّرِيفُ مِنْ أَنْوَاعِ عِلْمِهِ الْمَنِيفِ، وَيَنْحَصِرُ فِي أُمُورٍ سِتَّةٍ:

[١] **مَوَاطِنُ النُّزُولِ وَأَوْقَاتُهُ وَوَقَائِعُهُ**:	**اثْنَا عَشَرَ نَوْعًا**: الْمَكِّيُّ، الْمَدَنِيُّ، السَّفَرِيُّ، الْحَضَرِيُّ، اللَّيْلِيُّ، النَّهَارِيُّ، الصَّيْفِيُّ، الشِّتَائِيُّ، الفِرَاشِيُّ، النَّوْمِيُّ، أَسْبَابُ النُّزُولِ، أَوَّلُ مَا نَزَلَ وآخِرُ مَا نَزَلَ.
[٢] **السَّنَدُ**:	**سِتَّةُ أَنْوَاعٍ**: الْمُتَوَاتِرُ، الْآحَادُ، الشَّاذُّ، قِرَاءَاتُ النَّبِيِّ ﷺ، الرُّوَاةُ، الْحُفَّاظُ.
[٣] **الْأَدَاءُ**:	**سِتَّةُ أَنْوَاعٍ**: الْوَقْفُ، الِابْتِدَاءُ، الْإِمَالَةُ، الْمَدُّ، تَخْفِيفُ الْهَمْزَةِ، الْإِدْغَامُ.
[٤] **الْأَلْفَاظُ**:	**سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ**: الْغَرِيبُ، الْمُعَرَّبُ، الْمَجَازُ، الْمُشْتَرَكُ، الْمُتَرَادِفُ، الِاسْتِعَارَةُ، التَّشْبِيهُ.
[٥] **الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْأَحْكَامِ**:	**أَرْبَعَةَ عَشَرَ نَوْعًا**: االْعَامُّ الْبَاقِي عَلَىٰ عُمُومِهِ، الْعَامُّ الْمَخْصُوصُ، الْعَامُّ الَّذِي أُرِيدَ بِهِ الْخُصُوصُ، مَا خَصَّ فِيهِ الْكِتَابُ السُّنَّةَ، ما خصَّصت فِيهِ السُّنَّةُ الْكِتَابَ، الْمُجْمَلُ، الْمُبَيَّنُ، الْمُؤَوَّلُ، الْمَفْهُومُ، الْمُطْلَقُ، الْمُقَيَّدُ، النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ، نَوْعٌ مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَهُوَ مَا عُمِلَ بِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ مُدَّةً مُعَيَّنَةً وَالْعَامِلُ بِهِ وَاحِدٌ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ.
[٦] **الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْأَلْفَاظِ**:	**خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ**: الْفَصْلُ، الْوَصْلُ، الْإِيجَازُ، الْإِطْنَابُ، الْقَصْرُ.

وَبِذَلِكَ تَكَمَّلَتِ الْأَنْوَاعُ **خَمْسِينَ**، وَمِنَ الْأَنْوَاعِ مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ الْحَصْرِ: الْأَسْمَاءُ، الْكُنَىٰ، الْأَلْقَابُ، الْمُبْهَمَاتُ؛ فَهَذَا نِهَايَةُ مَا حُصِرَ مِنَ الْأَنْوَاعِ.

تاريخُ علومِ القرآنِ:

[١] عهدُ ما قبلَ التّدوين:
كان رسولُ الله ﷺ وأصحابُه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم يعرفون عن القرآن وعلومِه ما عرفه العلماءُ من بعدُ، ولكنَّ مَعرفتَهم لم تُدوَّنْ، ولم تُجمَعْ في كتابٍ؛ لعدم حاجتِهم إلىٰ ذلك.

[٦] عهدُ التَّمهيد لكتابة علوم القرآن:
بدأ ذلك بما تمَّ في عهد الخليفة الثَّالث عثمان بن عفَّانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من جمع القرآن في مُصحَفٍ إمامٍ، ونسخ عدَّةٍ نسخٍ منه لإرسالها إلىٰ الأقطار الإسلاميَّة، والَّذي كانَ الأساسَ لمَّا يُسمَّىٰ: «علمَ رَسمِ القرآن».
ثمَّ في عهد عليٍّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وُضع الأساسُ لما يُسمَّىٰ «علمَ النَّحوِ» بعد أن أمر عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أبا الأسودِ الدُّؤَلِيَّ أن يضع بعض القواعد لحماية لغة القرآن من العُجمةِ، وتفشِّي اللَّحنِ بين النَّاس.
ثمَّ في العهد الأمويِّ ساهم عددٌ من الصَّحابةِ والتَّابعين في وضع الأساس لما يُسمَّىٰ «علمَ التَّفسير»، و«علمَ أسباب النُّزول»، و«علمَ النَّاسخ والمَنسوخ»، و«علمَ غريب القرآنِ».

[٣] عهدُ التّدوين:
وفي هذا العهد أُلِّفت الكتبُ في أنواع علوم القرآن، واتَّجهت الهِممُ أوَّل الأمر إلىٰ التَّفسير باعتبارِه أمَّ العلوم القُرآنيَّةِ، ثمَّ في علوم القرآنِ الأخرىٰ.

العلومُ الـمُتعلِّقةُ بالقرآن تنقسمُ إلى:

[١] علوم التّنزيل:
وتشمل مَواطِنَ النُّزُولِ وَأَوْقَاتَهُ وَوَقَائِعَهُ.

[٢] علوم الكتاب:
وتشمل كلَّ ما يتعلَّقُ بالسَّندِ، والأداءِ، والألفاظِ، والمَعاني.

[٣] أصولِ التّفسير:
وموضوعُها القواعدُ الَّتي يُبنىٰ عليها تفسيرُ القرآن.

لعلومِ القرآنِ فوائدُ كثيرةٌ، مِنها:

[١] تلاوةُ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كما أراد الله.

[٢] فهمُ كلامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كما أرادَ اللهُ.

[٣] التَّدبُّر والتَّفكُّر في كلامِ الله عَزَّوَجَلَّ.

[٤] حِفظُ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ عن الزِّيادة أو النُّقصان أو التَّغيير.

[٥] استنباطُ الأحكامِ الشَّرعيَّةِ علىٰ الوجهِ الصَّحيحِ.

[٦] الدِّفاعُ عن القرآنِ الكريمِ.

[٧] فضلُ السَّلفِ باجتهادِهم وعنايتِهم بالقُرآنِ.

[٨] مَدخَلٌ لدراسةِ التَّفسيرِ؛ كما أنَّ المُصطلح مَدخلٌ لدراسةِ علم الحَديثِ.

حُكم تعلُّمِ علومِ القرآنِ:

[١] **فرضُ عينٍ:** ما تعلَّق منها بتصحيحِ عقيدةِ وعبادةِ المرءِ، وغيرِهما من فروض الأعيانِ.

[٣] **فرضُ كفايةٍ:** ما عدا ذلكَ.

الـمُشتَهِرونَ بالتَّفسيرِ من الصَّحابةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ:

[١] الخُلَفاءُ الرَّاشِدونَ: أبو بكرٍ، وعُمرُ، وعُثمانُ، وعليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

[٢] مُعاوِيَةُ بنُ أبي سُفيانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

[٣] عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

[٤] عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

[٥] أُبيُّ بنُ كَعبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

الـمُشتَهِرونَ بالتَّفسيرِ مِن التَّابعينَ:

[١] مدرسةُ التَّفسيرِ بمكَّةَ
(**ابن عبَّاسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا):
[أ] سعيدُ بن جُبيرٍ.
[ب] مُجاهد بن جبر.
[ج] عِكرمة بن عبد الله مَولى ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.
[د] طاوس بنُ كيسانَ.
[هـ] عطاء بن أبي رباحٍ.

[٢] مدرسةُ التَّفسيرِ بالمدينة
(**أبيُّ بن كعبٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا):
[أ] أبو العالية رُفَيعُ بن مِهرانَ الرِّياحيُّ.
[ب] محمَّد بن كعبٍ القرظيُّ.
[ج] زيدُ بن أسلَمَ.

[٣] مدرسةُ التَّفسيرِ بالعراقِ
(**ابن مسعودٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا):
[أ] علقمة بن قيسٍ.
[ب] مَسروقُ بن الأجدَعِ.
[ج] الأسود بن يزيد.
[د] مُرَّةٌ الهمدانيُّ.
[هـ] عامرٌ الشَّعبيُّ.
[و] الحسن البصريُّ.
[ز] قتادةُ بن دِعامةَ.

أقسامُ كُتُبِ التَّفسيرِ مِن حيثُ الـمَنهجُ:

[١] التَّفسيرُ بالمَأثورِ.
[٢] التَّفسيرُ بالرَّأيِ الجائزِ.
[٣] التَّفسيرُ بالرَّأيِ غير الجائزِ.

	[١] **أشهَرُ كُتبِ التَّفسيرِ بالمَأثورِ:**
١	«جامعُ البيان في تفسير القرآن» لابن جريرٍ الطَّبريِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٢	«بحرُ العلوم» لأبي اللَّيث السَّمرقنديِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٣	«الكشفُ والبيان عن تفسير القرآن» لأبي إسحاق الثَّعلبيِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٤	«مَعالمُ التَّنزيلِ» لأبي محمَّدٍ الحسين البغويِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٥	«المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لابن عطيَّة الأندلُسيِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٦	«تفسيرُ القرآن العظيم» لأبي الفداء الحافظ ابن كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ.
٧	«الجواهرُ الحِسان في تفسير القرآن» لعبدالرَّحمنِ الثَّعالبيِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٨	«الدُّرُّ المَنثور في التَّفسير المأثور» لجلال الدِّين السُّيوطيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

[٢] أشهَرُ كُتبِ التَّفسيرِ بالرَّأيِ الجائزِ:

١	«مَفاتِحُ الغيب» للفخر الرَّازيِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٢	«أنوارُ التَّنزيل وأسرار التَّأويل» لعبد الله بن عمر البَيضاويِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٣	«مَداركُ التَّنزيل وحقائق التَّأويل» لأبي البركاتِ النَّسفيِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٤	«لُبابُ التَّأويل في مَعاني التَّنزيل» لعلاء الدِّين الخازن رَحِمَهُ اللهُ.
٥	«البحرُ المُحيط» لأبي حيَّان الأندلسيِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٦	«غرائبُ القرآن ورغائب الفرقان» لنظام الدِّين النَّيسابوريِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٧	«تفسيرُ الجلالين» لجَلال الدِّين المَحليِّ وجَلال الدِّين السُّيوطيِّ -رحمهما الله-.
٨	«السِّراجُ المُنير في الإعانة علىٰ معرفة بعض معاني كلام ربِّنا الحكيم الخبير» للخَطيب الشِّربينيِّ رَحِمَهُ اللهُ.
٩	«إرشادُ العقل السَّليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم» لأبي السُّعود أفندي رَحِمَهُ اللهُ.
١٠	«روحُ المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المَثاني» لشهاب الدِّين الألوسيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

[٣] أشهَرُ كُتبِ التَّفسيرِ بالرَّأيِ غيرِ الجائزِ:

١	«تنزيهُ القرآن عن المَطاعن» للقاضي عبدالجبَّار المُعتزليِّ.
٢	«الأمالي» للشَّريف المُرتَضىٰ الشِّيعيِّ.
٣	«الكشَّاف عن حقائق غَوامض التَّنزيل، وعيونُ الأقاويل في وجوه التَّأويل» لمحمود بن عمر الزَّمخشريِّ المُعتزليِّ.

تَنْبِيهٌ:

لِيَنتبِه القارئُ إلىٰ أنَّه لا ينبغي مُطالعةُ كتب التَّفسير بالرَّأي إلَّا لطالب العلم المُتمكِّن، الَّذي يعرف مَذاهب أهل الزَّيغِ والضَّلالِ فيحذرُها، وأمَّا العامِّيُّ وطالبُ العلم المُبتدئُ فينبغي له هَجرُها كما يهجُرُ أصحابَها؛ لئلَّا تعلق الشُّبَه بذهنِه فيقعُ فيها.

مِن أهَمِّيَّةِ عِلمِ التَّفسيرِ:

[١] أنَّ شرَفَ العِلمِ بشَرَفِ مَوضوعِه، ومَوضوعُ علم التَّفسير هو القرآنُ، وهو كلامُ الله عَزَّوَجَلَّ.

[٢] أنَّ التَّفسيرَ يوصِلُ إلىٰ تدبُّرِ القُرآن، والتَّدبُّر مَأمورٌ به، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمَّد].

[٣] أنَّ التَّفسيرَ يوصِلُ إلىٰ عِبادة الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الشَّكل الصَّحيح، وذلِكَ بفَهمِ آياتِ الأحكامِ.

[٤] أنَّ التَّفسيرَ يُساعد علىٰ فهم القرآنِ، ومِنه مَعرفةُ الله عَزَّوَجَلَّ وأسمائِه وصفاتِه، وفي ذلِكَ زِيادة الإيمانِ.

كيفيَّةُ القِراءَةِ والدِّراسَةِ للتَّفسيرِ:

- البَدءُ بدراسَةِ كتُبِ التَّفسيرِ بالمَأثورِ.
- البَدءُ بالمُختَصراتِ قبلَ المُطوَّلاتِ؛ لئلَّا يشتَّتَ ذِهنُه، فإذا بدأَ بالمُختصراتِ فإنَّه يُحصِّلُ الأصولَ فيضبطُها، فيكونُ ذلك أدعىٰ لأن يفهم المُطوَّلاتِ.
- الدِّراسةُ علىٰ مدرسةٍ واحدةٍ حتَّىٰ لا تختلط عليه المَعلوماتُ.
- البَدءُ بتفسيرِ السُّورِ المُشوِّقةِ له؛ كسورة القصص.
- التَّنويعُ في التَّلقِّي؛ فيشتغِلُ تارةً بالقراءةِ، وتارةً بالاستماع للتَّفسير الصَّوتيِّ، وتارةً بالجمع بينهما.
- تدوينُ الفَوائِدِ؛ فالتَّدوين لها كالقيد للصَّيدِ يمنعُ انفلاتَه.
- التَّدبُّر في آيات القرآن؛ لأنَّ ذلك يُنمِّي ملكَةَ الاستنباطِ لديه، فيفتح الله بذلك عليه الفُتوحَ.
- مُحاولة استنباطِ الفوائِدِ دون نشرِها، وذلك ليتدرَّبَ علىٰ الاستنباط، ثمَّ يرجع بعدها للتَّفسير ليتأكَّد من سلامة استنباطِه.

سورةٌ جمَعَت جميعَ عُلومِ القرانِ الكَرِيم:

قالَ بَعضُهم: إنَّ سورَةَ الفاتِحَةِ جمَعَت كلَّ علومِ القرآنِ؛ بل إنَّ آيَةً واحِدَةً مِنها هي قولُه تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة] جمعَت علومَ القرآنِ كلَّها.

ينقسِمُ الكلامُ مِن حيثُ:

- [١] **التَّركيبُ إلى:**
  - [أ] اسمٍ.
  - [ب] وفعلٍ.
  - [ج] وحرفٍ.
- [٢] **إمكانُ وَصفِه بالصِّدقِ إلى:**
  - [أ] خبرٍ.
  - [ب] وإنشاءٍ.
- [٣] **الاستِعمالُ إلى:**
  - [أ] حقيقةٍ.
  - [ب] ومَجازٍ.

الخِلافُ في وُجودِ الـمَجازِ على ثلاثةِ أقوالٍ:

- [١] **الـمَجازُ ثابتٌ في القُرآنِ وغَيرِه:** هو المَشهورُ عند أكثرِ المُتأخِّرين.
- [٢] **لا مَجازَ في القُرآنِ:** قال به بعضُ أهلِ العلمِ.
- [٣] **لا مَجازَ في القُرآنِ ولا في غَيرِه:** قال به أبو إسحاقَ الإسفرايينيُّ، ومن المُتأخِّرين العلَّامة محمَّدٌ الأمين الشِّنقيطيُّ، وبيَّن شيخُ الإسلام وابنُ القيِّم أنَّه اصطلاحٌ حادثٌ بعد انقضاء القرون الثَّلاثة المُفضَّلةِ، ونصَرَه بأدلَّةٍ قويَّةٍ كثيرةٍ تُبيِّن لمَن اطَّلع عليها أنَّ **هذا القول هو الصَّواب**.

لا يُوجدُ عاقلٌ يفهمُ العربيَّة إلَّا ويفهم المُرادَ مِن الكلام دون الحاجةِ إلىٰ القول بالمَجازِ، فإذا قيل: حَمزةُ أسدٌ؛ فلا يفهم العربيُّ إلَّا وَصفَ حَمزة بالشَّجاعة، لا الحيوانِ.

الأدلَّة على أنَّه لا مَجازَ في الكتابِ ولا في السُّنَّةِ ولا في اللُّغةِ:

[٦]	[٥]	[٤]	[٣]	[٢]	[١]
لو أثبتنا المَجازَ في اللُّغةِ لَلزم إثباتُه في بعض القرآن، ولو أثبتناه في بعض القُرآن للزم إثباتُه في كلِّ القُرآن.	أهلُ اللُّغةِ لم يُصرِّحوا أبدًا بأنَّ العرب قسَّموا لُغتَهم إلىٰ حقيقةٍ ومَجازٍ.	مِن أقوىٰ الأدلَّة علىٰ بُطلانِه أنَّه يُمكنُ نفيُه.	سدُّ الباب أمام من يريد التَّلاعُبَ في النُّصوصِ.	المَجازُ طاغوتُ الفِلاسفةِ (أقوىٰ حُجَّةٍ لهم).	القول بالمَجازِ بدعةٌ حدثت بعد انقراض القُرون المُفضَّلةِ.

قاعدة (١): القولُ بنَفي المَجازِ عليه السَّلفُ الصَّالحُ، والقُرونُ المُفضَّلةُ، ثمَّ إن وجدنا من العُلماءِ مَن يقولُ بالمَجازِ في اللُّغة فإنَّه ينفي المَجازَ في آياتِ الأسماءِ والصِّفاتِ، فنجد في كتب شيخ الاسلام أحيانًا ذِكرَ المَجازِ، وكذلك فِعلُ الشَّيخ ابنِ عُثيمينَ في بعض كُتُبِه؛ مع أنَّ كلاهما يَنفي وُجودَ المَجازِ!

قاعدة (٢): ذِكرُ المَسألةِ مُفصَّلةً ثمَّ الرَّدُّ عليها يعني عدم الإقرارِ بها، وإنَّما يتمُّ توضيحُ هذا التَّقسيمِ لمَن يقولُ به، حتَّىٰ لا يقع أحدٌ في التَّأويلِ في الصِّفاتِ.

تنبيهٌ مُهمٌّ: لا مَجالَ للطَّعنِ في كتابِ اللهِ تعالىٰ بمثل هذه الشُّبَهِ؛ كالقول بالمَجازِ، أو أنَّ في القرآنِ شيئًا غيرَ عربيٍّ، أو خِلافَ الأفصَحِ، ولو كانت مَجالًا للطَّعنِ في القرآنِ لَمَا تركَها أسلافُ هؤلاء مِن مُشرِكي مكَّةَ ومَن بعدَهم، وهم أهلُ اللُّغةِ، ولم يتركوا مَجالًا لأحدٍ للطَّعنِ في النَّبيِّ ﷺ، وفي كِتابِ ربِّه إلَّا قالوه، ولو أنَّهم وجدوا هذه الشُّبهة قائمةً لقالوها، والشَّرعُ مُقدَّمٌ علىٰ اللُّغةِ؛ بل إنَّ اللُّغةَ العربيَّةَ لم يَكُن لها شأنٌ إلَّا بعدَ نُزولِ القرآنِ بها، فكيف تُقدَّمُ عليه؟!

القُرَّاءُ السَّبعَةُ هم:

- [١] نافِعُ بن عبد الرَّحمنِ بنِ أبي نُعيمٍ المدنيُّ.
- [٢] عاصِمُ بنُ أبي النَّجودِ الأسدِيُّ الكوفِيُّ.
- [٣] عبدُ الله بنُ كثيرٍ الدَّارِيُّ المَكِّيُّ.
- [٤] عبدُ اللهِ بنُ عامرٍ اليَحصُبيُّ الشَّامِيُّ.
- [٥] أبو عمرِو بنُ العَلاءِ البَصرِيُّ.
- [٦] حمزةُ بن حبيب الزَّيَّاتُ الكوفِيُّ.
- [٧] أبو الحسنِ عليُّ بنُ حمزةَ الكِسائِيُّ الكوفِيُّ.

يروي عنه (عن نافع):

- [١] ورشٌ، واسمُه عثمانُ بنُ سَعيدٍ.
- [٢] قالونُ، واسمُه عيسىٰ بنُ مينا.

يروي عنه (عن عاصم):

- [١] رَبيبُه حفصُ بنُ سُليمانَ الأسدِيُّ.
- [٢] شُعبةُ بنُ عيَّاشٍ الأسدِيُّ الكوفِيُّ.

الإجماعُ على القُرَّاءِ السَّبعَةِ:

قـال العلَّامـةُ بـدرُ الدِّيـن الزَّركَشِـيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «البرهـان في علـوم القـرآن» (١/ ٣٢٢): «وَقَـدِ انْعَقَـدَ الْإِجْمَـاعُ عَلَـىٰ صِحَّةِ قِرَاءَةِ هَـؤُلَاءِ الْأَئِمَّـةِ، وَأَنَّهَا سُـنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ، وَلَا مَجَـالَ لِلِاجْتِهَادِ فِيهَا» .

ما هي القِراءَةُ المُتَواتِرَةُ؟

قـال الإمـامُ ابنُ الجـزَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «مُنجِـد المُقرِئيـن» (ص١٨): «كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَـتِ الْعَرَبِيَّةَ مُطْلَقًـا، وَوَافَقَـتْ أَحَـدَ الْمَصَاحِـفِ الْعُثْمَانِيَّـةِ وَلَـوْ تَقْدِيـرًا، وَتَوَاتَـرَ نَقْلُهَـا = هَـذِهِ الْقِرَاءَةُ الْمُتَوَاتِـرَةُ الْمَقْطُـوعُ بِهَا».

لـماذا يُقالُ: علومُ القرآنِ، ولا يُقالُ: عِلمُ القرآنِ؟

يُقـالُ: (علـومُ القـرآن الكريمِ) بالجَمعِ، ولا يُسـتعمَلُ الجَمـعُ في غيرِه مِن العُلـوم، فيُقالُ: علـمُ الفقـهِ، وعلـمُ الفرائِضِ، وغيرُ ذلك، والسَّـببُ أنَّ كلَّ العلومُ مُسـتمَدَّةٌ مـن القرآنِ.

ومـن بركـة القـرآنِ الكريـمِ أنَّ كلَّ كتابٍ ألَّفَـه علماءُ الشَّـريعَةِ فهو يخدِمُ كتـابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ويرجـع إليه.

فِهْرِسْتُ الْكِتَابِ

أقسامُ الكتابِ:	أقسامُ الكتابِ:	[١] البسملة.	[٢] خطبة الحاجة.	[٣] أهمِّيَّةُ التَّفسير.	[٤] سبب التَّأليفِ.	[٥] مُحتوىٰ الكتاب إجمالًا.	
	القسمُ الأوَّلُ: القرآنُ، وفيه:	[١] نزولُ القرآنِ.	[٢] أوَّلُ ما نزل منه.	[٣] النُّزولُ الابتدائيُّ والسَّببيُّ.	[٤] المَكِّيُّ والمدنيُّ.	[٥] كتابةُ القرآن وجمعُه.	
	القسمُ الثَّاني: التَّفسيرُ، وفيه:	[١] الواجبُ علىٰ المُسلم في التَّفسير.	[٢] المَرجعُ في تفسير القرآن.	[٣] الاختلافُ الواردُ في التَّفسير المَأثور.	[٤] ترجمةُ القرآن.	[٤] المُشتهرون بالتَّفسير من الصَّحابة.	[٥] المُشتهرون بالتَّفسير من التَّابعين.
	القسمُ الثَّالثُ: مسائلُ مُتفرِّقةٌ، وفيه:	[١] المُحكَمُ والمُتَشابهُ من القرآن.	[٢] موهمُ التَّعارض في القرآن.	[٣] القَسَمُ في القرآن.	[٤] قصصُ القرآن.	[٤] الإسرائيليَّاتُ والمَوقف منها.	[٥] الضَّميرُ في القرآن.

مُقَدِّمَةُ الـمُؤَلِّفِ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا.

بدأ الـمُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ كتابَه بالبسملة؛ لأمورٍ:

- [١] اقتداءً بكتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.
- [٢] واستنادًا إلىٰ سُنَّة الرَّسولِ ﷺ.
- [٣] وعملًا بما كان عليه السَّلفُ.
- [٤] وتيمُّنًا وتبرُّكًا بالبَداءةِ باسمِ اللهِ.

(الحَمْدُ للهِ، نَحْمَدُهُ):

- [١] **الحمدُ**: (وصفُ المَحمود بالكمالِ مع المحبَّة والتَّعظيم)، والحمدُ يكون:
  - [أ] لكمالِ الـمَحمودِ.
  - [أ] لإحسانِه وإنعامِه.
- [٢] **اللَّام**: تفيد:
  - [أ] **الاستحقاق**: فالله عَزَّوَجَلَّ أحقُّ من يُحمَدُ.
  - [أ] **الاختصاص**: (أل) تفيد الاستغراق لجميع المَحامد، والله عَزَّوَجَلَّ هو المُختصُّ بها كلِّها.
- [٣] **نَحْمَدُهُ**: جملةٌ توكيديَّةٌ.

(وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَتَتُوبُ إِلَيْهِ):

[١] (وَنَسْتَعِينُهُ): نطلبُ منه العَونَ، وهو المُساعدة.

[٢] (وَنَسْتَغْفِرُهُ): نطلب منه المَغفرة، وهي ستر الذُّنوب والتَّجاوز عنها.

[٣] (وَتَتُوبُ إِلَيْهِ): لم تأتِ في الحديث، لكن ذُكرت تقليدًا للعلماء السَّابقين.

(وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا):

أي: نعتصم بالله منها، والنَّفس لها شرورٌ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾[يوسف:٥٣]، فالمَعصوم من عصمه الله عَزَّوَجَلَّ من شرور نفسه.
والنُّفوس الَّتي جاءت في القرآن وُصفت بثلاثة أوصافٍ:

[١] الـمُطمئنَّة: الَّتي تأمرُ بالخير وتنهىٰ عن الشَّرِّ، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧﴾[الفجر].

[٢] الأمَّارةُ بالسُّوء: الَّتي تأمرُ بالشَّرِّ وتنهىٰ عن الخير، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[يوسف:٥٣].

[٣] اللَّوَّامة: قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢﴾[القيامة]، وهو وصفٌ للمُطمئنَّة والأمَّارة بالسُّوء معًا.

(وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا):

فالعمل السَّيِّء له آثارٌ سيِّئةٌ، قال تعالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦۚ﴾ [المائدة:١٣]، فعاقبهم الله بهذه العُقوباتِ لأنَّهم نقضوا الميثاقَ، وما حصل الشَّرُّ إلَّا بسيِّئات الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤١﴾[الرُّوم].

﴿مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ﴾ تشمل:

[١] مَن يَهدِيهِ اللهُ تقديرًا:
أي: يقدِّر له الهداية، فلابدَّ أن يهتدي ولو وُجدت عوامل تقتضي أن يضلَّ.

[٢] مَن يَهدِيهِ اللهُ تحقيقًا:
فمن هداه الله تحقيقًا فاهتدىٰ؛ فلا يستطيع أحدٌ أن يضلَّه.

فوجب علىٰ الإنسان ألَّا يطلب الهداية إلَّا من الله عَزَّوَجَلَّ.

﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ﴾ تشمل:

[١] مَن يُضلُّهُ اللهُ تقديرًا:
أي: يريد إضلالَه، فلابدَّ أن يضلَّ.

[٢] مَن يُضلُّهُ اللهُ تحقيقًا: فمن أضلَّه الله تحقيقًا فلا يستطيع أحدٌ أن يهديه، ولا أدلَّ علىٰ ذلك من حرصه ﷺ علىٰ هداية عمِّه أبي طالبٍ الَّذي صدَّقَه بلسانِه، ونصرَه بفعلِه، لكن لم يُؤمن قلبُه، فمات كافرًا -والعياذُ بالله-.

﴿وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ﴾:

[١] ﴿أَشْهَدُ﴾: أي: أقِرُّ إقرار مُشاهدةٍ، والمُشاهد للشَّيء يراه حسًّا.

[٢] ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾: أي: (لا معبود حقٌّ إلَّا الله)، فخبر (لا) النَّافية (حقٌّ) مَحذوفٌ، واسم الجلالة (اللهُ) بعد (إلَّا) بدلٌ منه.

[٣] ﴿وَحْدَهُ﴾: توكيدٌ لإثبات (إلَّا الله).

[٤] ﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾: توكيدٌ للنَّفي (لا إله).

هذه الجملة هي كلمة الإخلاص الَّتي لو وُزنت بها السَّموات والأرض لرجحت بهنَّ؛ كما في الحديث الَّذي أخرجه أحمد.

(وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ):

[١] **(مُحَمَّدًا)**: هو ابن عبد الله بن عبد المُطَّلب، الهاشميُّ القُرشيُّ، لا يوجد من بني إسماعيل نبيٌّ سواهُ.

[٢] **(عَبْدُهُ)**: أي: العابد المُتذلِّل لله عَزَّوَجَلَّ، وليس له حقٌّ من الرُّبوبيَّة، وفيه الرَّدُّ علىٰ من غلا فيه ﷺ.

[٣] **(وَرَسُولُهُ)**: أي: المُرسَل من الله عَزَّوَجَلَّ، فليس بكاذب، وفيه الرَّدُّ علىٰ من قدح فيه ﷺ، أو قال: إنَّ رسالته ليست عامَّةً، ولم يقل المُؤلِّف: (إلىٰ النَّاس كافَّةً)؛ حذفًا لما هو مَعلومٌ.

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ):

[١] **(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ)**: أحسنُ ما يُقال فيها أنَّها: (ثناء الله عليه أي: مدحه ووصفه بصفات الكمال (في الملأ الأعلىٰ).

[٢] **(وَعَلَى آلِهِ)**: يُطلق الآل علىٰ:

[أ] **جميع أتباعه ﷺ على دينه**: إذا ذُكرت مُفردةً.

[ب] **قرابته ﷺ المُؤمنون به**: إذا ذُكرت مع الصَّحب والأتباع.

[٣] **(وَأَصْحَابِهِ)**: الَّذين اجتمعوا به مؤمنين به -ولو لحظةً-، وماتوا علىٰ ذلك.

[٤] **(وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ)**: من قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [التَّوبة:١٠٠]، قُيِّدت التَّبعيَّة بالإحسان بحيث يترسَّم خُطاهم قولًا، وفعلًا، وتركًا.

(وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا):

ثنَّىٰ بالسَّلام؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب]، أمَّا في التَّشهُّد فيُبدأ بالسَّلام لأنَّه ﷺ علَّمهم السَّلام قبل الصَّلاة.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ مِنَ المُهِمِّ فِي كُلِّ فَنٍّ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ مِنْ أُصُولِهِ مَا يَكُونُ عَوْنًا لَهُ عَلَىٰ فَهْمِهِ، وَتَخْرِيجِهِ عَلَىٰ تِلْكَ الْأُصُولِ، لِيَكُونَ عِلْمُهُ مَبْنِيًّا عَلَىٰ أُسُسٍ قَوِيَّةٍ، وَدَعَائِمَ رَاسِخَةٍ، وَقَدْ قِيلَ: مَنْ حُرِمَ الْأُصُولَ حُرِمَ الْوُصُولَ.

وَمِنْ أَجَلِّ فُنُونِ الْعِلْمِ؛ بَلْ هُوَ أَجَلُّهَا وَأَشْرَفُهَا، عِلْمُ التَّفْسِيرِ، الَّذِي هُوَ تَبْيِينُ مَعَانِي كَلَامِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَقَدْ وَضَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ لَهُ أُصُولًا كَمَا وَضَعُوا لِعِلْمِ الْحَدِيثِ أُصُولًا، وَلِعِلْمِ الْفِقْهِ أُصُولًا.

وَقَدْ كُنْتُ كَتَبْتُ مِنْ هٰذَا الْعِلْمِ مَا تَيَسَّرَ لِطُلَّابِ الْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ فِي جَامِعَةِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعُودٍ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَطَلَبَ مِنِّي بَعْضُ النَّاسِ أَنْ أُفْرِدَهَا فِي رِسَالَةٍ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَيْسَرَ وَأَجْمَعَ، فَأَجَبْتُهُ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَنْفَعَ بِهَا).

لـماذا كان علمُ التَّفسير أجَلَّ العلوم وأشرفَها؟

لأنَّ العلم يشرُف بمَوضوعه، ومَوضوع علم التَّفسير كلامُ الله عَزَّوَجَلَّ، وهو أشرف مَوضوعٍ، فالاهتمام به أهمُّ من الاعتناء بغيره.

على ماذا اعتمدَ الـمُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ في تأليفه لهذه الرِّسالةِ؟

اعتمد علىٰ «مُقدِّمة التَّفسير» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ، ولـمَّا كان كلام شيخ الإسلام مُرسَلًا احتيج إلىٰ أن يُجمَع ويُبسَط ويُسهَّل للطَّالب.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَيَتَلَخَّصُ ذَلِكَ فِي مَا يَأْتِي:

❁ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ:

١) مَتَىٰ نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؟ وَمَنْ نَزَلَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟

٢) أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ.

٣) نُزُولُ الْقُرْآنِ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ: سَبَبِيٌّ وَابْتِدَائِيٌّ.

٤) الْقُرْآنُ مَكِّيٌّ وَمَدَنِيٌّ، وَبَيَانُ الْحِكْمَةِ مِنْ نُزُولِهِ مُفَرَّقًا وَتَرْتِيبُ الْقُرْآنِ.
٥) كِتَابَةُ الْقُرْآنِ وَحِفْظُهُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ.
٦) جَمْعُ الْقُرْآنِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

۞ التَّفْسِيرُ:
١) مَعْنَىٰ التَّفْسِيرِ لُغَةً وَاصْطِلَاحًا، وَبَيَانُ حُكْمِهِ وَالْغَرَضِ مِنْهُ.
٢) الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.
٣) الْمَرْجِعُ فِي التَّفْسِيرِ إِلَىٰ مَا يَأْتِي:
- كَلَامُ اللهِ تَعَالَىٰ بِحَيْثُ يُفَسَّرُ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ.
- سُنَّةُ الرَّسُولِ ﷺ لِأَنَّهُ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمُرَادِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي كِتَابِ اللهِ.
- كَلَامُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَاسِيَمَا ذَوِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْعِنَايَةِ بِالتَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ وَفِي عَصْرِهِمْ.
- كَلَامُ كِبَارِ التَّابِعِينَ الَّذِينَ اعْتَنَوا بِأَخْذِ التَّفْسِيرِ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
- مَا تَقْتَضِيهِ الْكَلِمَاتُ مِنَ الْمَعَانِي الشَّرْعِيَّةِ أَوِ اللُّغَوِيَّةِ حَسْبَ السِّيَاقِ، فَإِنِ اخْتَلَفَ الشَّرْعِيُّ وَاللُّغَوِيُّ، أُخِذَ بِالْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيِّ، إِلَّا بِدَلِيلٍ يُرَجِّحُ اللُّغَوِيَّ.

٤) أَنْوَاعُ الاخْتِلَافِ الْوَارِدِ فِي التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ.
٥) تَرْجَمَةُ الْقُرْآنِ، تَعْرِيفُهَا، أَنْوَاعُهَا، حُكْمُ كُلِّ نَوْعٍ.

۞ أَقْسَامُ الْقُرْآنِ مِنْ حَيْثُ الْإِحْكَامُ وَالتَّشَابُهُ، مَوْقِفُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَالزَّائِغِينَ مِنَ الْمُتَشَابِهِ، التَّشَابُهُ: حَقِيقِيٌّ وَنِسْبِيٌّ، الْحِكْمَةُ فِي تَنَوُّعِ الْقُرْآنِ إِلَىٰ مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ.

۞ مُوهِمُ التَّعَارُضِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَالْجَوَابُ عَنْهُ، وَأَمْثِلَةٌ مِنْ ذَلِكَ.

۞ الْقَسَمُ: تَعْرِيفُهُ، أَدَاتُهُ، فَائِدَتُهُ.

۞ الْقَصَصُ: تَعْرِيفُهَا، الْغَرَضُ مِنْهَا، الْحِكْمَةُ مِنْ تَكْرَارِهَا وَاخْتِلَافِهَا فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ وَالْأُسْلُوبِ.

۞ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ الَّتِي أُقْحِمَتْ فِي التَّفْسِيرِ، وَمَوْقِفُ الْعُلَمَاءِ مِنْهَا.

۞ الضَّمِيرُ: تَعْرِيفُهُ، مَرْجِعُه، الْإِظْهَارُ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ وَفَائِدَتُهُ، الِالْتِفَاتُ وَفَائِدَتُهُ، ضَمِيرُ الْفَصْلِ وَفَائِدَتُهُ).

الْفَصْلُ الْأَوَّلُ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ

أَوَّلاً: تَعْرِيفُ الْقُرْآنِ وصِفاتُه

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْقُرْآنُ فِي اللُّغَةِ: مَصْدَرُ قَرَأَ بِمَعْنَى تَلَا، أَوْ بِمَعْنَى جَمَعَ، تَقُولُ: قَرَأَ قَرْءًا وَقُرْآنًا، كَمَا تَقُولُ: غَفَرَ غَفْرًا وَغُفْرَانًا، فَعَلَى الْمَعْنَى الْأَوَّلِ: (تَلَا) يَكُونُ مَصْدَرًا بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ، أَيْ: بِمَعْنَى مَتْلُوٌّ، وَعَلَى الْمَعْنَى الثَّانِي: جَمْعٌ يَكُونُ مَصْدَرًا بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ، أَيْ: بِمَعْنَى جَامِعٍ؛ لِجَمْعِهِ الْأَخْبَارَ وَالْأَحْكَامَ.
وَالْقُرْآنُ فِي الشَّرْعِ: (كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، الْمُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمَبْدُوءُ بِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ، الْمَخْتُومُ بِسُورَةِ النَّاسِ)، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإنسان]، وَقَالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]).

تعريفُ القرآنِ:

- [١] **لغةً**: مَصدرُ (قَرَأَ)، وله معنيان:
  - [أ] **تَلا**: ومنه قولُه تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النَّحل:٦١]، فقُرآنٌ بمعنى: مَقروءٍ، أي: مَتلُوٍّ.
  - [ب] **جَمَعَ**: ومنه القَريةُ، سُمِّيت بذلك لأنَّها تجمع السُّكَّان، فقُرآنٌ بمعنى:
    - **قارئ**: أي: جامع للأخبار النَّافعة، والأحكام العادلة.
    - **مَقروء**: أي: مَجموعٍ.
- [٢] **شرعًا**: (كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، الْمُنَزَّلُ عَلَى رَسُولِهِ وَخَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمَبْدُوءُ بِسُورَةِ الْفَاتِحَةِ، الْمَخْتُومُ بِسُورَةِ النَّاسِ).

القرآنُ الكريمُ:

[١] كلامُ الله: لفظًا ومعنًى، نؤمن بأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ تكلَّم بهذا القرآن الَّذي نقرؤه كلامًا مَسموعًا مَنقولًا إلينا، فالله عَزَّوَجَلَّ هو المُبلِّغُ عنه.

[٢] ويُنسَبُ إلى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: لأنَّه هو الرَّسول الملكيُّ المُبلِّغ عن الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠﴾ [التَّكوير].

[٣] ويُنسَبُ إلى النَّبيِّ ﷺ: لأنَّه هو الرَّسول الإنسيُّ المُبلِّغ عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١﴾ [الحاقَّة].

لماذا قال المؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (خاتَمِ أنبيائه)، ولم يقل: (خاتَمِ رُسُلِه)؟

[١] لأنَّ نفي النَّبيِّ يقتضي نفي الرَّسول من باب أولىٰ، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ.

[٢] لأنَّه تعالىٰ وصفه بقوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب:٤٠].

وقد أجمع المسلمون أنَّه لا نبيَّ بعد محمَّدٍ ﷺ.

من صِفاتِ القرآنِ الكريمِ أنَّه:

[١] مَحفوظٌ في الصُّدور.

[٢] مَكتوبٌ في السُّطور.

[٣] مَنقولٌ بالتَّواتر القطعيِّ اليقينيِّ، فلا نقص فيه ولا زيادة، فمن أنكر منه حرفًا واحدًا مُجمعًا فيه بين القرَّاء فقد كفر، أجمع علىٰ هذا المسلمون، ولم يخالف إلَّا الرَّافضة الَّذين ادَّعوا فيه النَّقصَ وزادوا عليه ما ليس منه.

تنبيهٌ: لا يضرُّ اختلاف القراءات المُتواترة في بعض الأحرف التَّركيبيَّة؛ نحو (مَلِكِ) و(مَالِكِ)، أو المعنويَّة؛ نحو: (فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا) و(وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا).

أسماءُ القرآنِ الكريمِ ومَعناها:

القُرآنُ	– القارِئُ: الجامِعُ للأخبارِ النَّافعة، والأحكام العادلة. – المَقروءُ: المَجموعُ في المَصاحِفِ، وفي الصُّدورِ.
الذِّكرُ	– المُتضمِّنُ للعديدِ من المَواعِظِ والزَّواجِرِ. – المُشتمِلُ علىٰ ما يحتاجُه النَّاسُ في أمورِ دُنياهم وآخِرَتِهم. – ذو الشَّرفِ والقَدرِ العالي.
الفُرقانُ	فرَّقَ بين الحَقِّ والباطل.
الكِتابُ	جمعَ أنواعًا عديدةً من القَصصِ، والأحكامِ، والأخبارِ، والآياتِ، علىٰ شكلٍ مَخصوصٍ.
التَّنزيلُ	المُنزَّلُ من اللهِ تعالىٰ إلىٰ النَّاسِ.

كثرَةُ الأسماءِ تدُلُّ على شرَفِ المُسَمَّى أو كَمالِه في أمرٍ من الأمورِ:

[١] كثرَةُ أسماءِ اللهِ تعالىٰ دلَّت علىٰ عِظَمِ المَوصوفِ والمُسمَّى، وكمالِه، وكثرَةِ التَّعلُّقِ به.

[٢] كثرَةُ أسماءِ النَّبيِّ ﷺ دلَّت علىٰ عُلُوِّ رُتبَتِه وسُمُوِّ درجَتِه.

[٣] كثرَةُ أسماءِ القُرآنِ الكَريمِ دلَّت علىٰ شرَفِه وفَضيلَتِه.

[٤] كثرَةُ أسماءِ الأسَدِ دلَّت علىٰ كمالِ قوَّتِه.

[٥] كثرَةُ أسماءِ يومِ القيامَةِ دلَّت علىٰ كمالِ شِدَّتِها وصُعوبَتِها.

[٦] كثرَةُ أسماءِ الدَّاهِيَةِ دلَّت علىٰ شدَّةِ نِكايَتِها.

المَوضوعاتُ الرَّئيسيَّةُ في القرآنِ:

[١] التَّوحيدُ.

[٢] الأخبارُ.

[٣] الأحكامُ.

القرآنُ الكريمُ أعظمُ آيةٍ دالَّةٍ على نبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ:

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْآيَاتُ وَالْبَرَاهِينُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَهِيَ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ آيَاتِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِياءِ، وَيُسَمِّيهَا مَنْ يُسَمِّيهَا مِنَ النُّظَّارِ (مُعْجِزَاتٍ)، وَتُسَمَّىٰ (دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ) وَ(أَعْلَامَ النُّبُوَّةِ) ، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ إِذَا سُمِّيَتْ بِهَا آيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَىٰ الْمَقْصُودِ مِنْ لَفْظِ الْمُعْجِزَاتِ، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَفْظُ (الْمُعْجِزَاتِ) مَوْجُودًا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنَّمَا فِيهِ لَفْظُ (الْآيَةِ) وَ(الْبَيِّنَةِ) وَ(الْبُرْهَانِ)».

القرآنُ الكريمُ مُعجِزٌ:

قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَوْنُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مُعْجِزَةٌ لَيْسَ هُوَ مِنْ جِهَةِ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَطْ، أَوْ نَظْمِهِ وَأُسْلُوبِهِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ إِخْبَارِهِ بِالْغَيْبِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ صَرْفِ الدَّوَاعِي عَنْ مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ سَلْبِ قُدْرَتِهِمْ عَلَىٰ مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ، بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مُعْجِزَةٌ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ»، ومن إعجازِ القرآنِ أنَّه لم يُحفَظ عن أحدٍ من مُشركي العربِ أنَّه لم يفهمه كما حصل من الأُمَمِ السَّابقَةِ؛ كقولِ قومِ شُعيبٍ: ﴿مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾[هود:٩١]، قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[الحاقة]؛ لإصرارهم علىٰ الكُفرِ وعدم الإيمانِ، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[الحاقة]؛ لأنَّ التَّفريقَ بينه وبين كلامِ الكُهَّانِ يحتاجُ إلىٰ تذكُّرٍ.

مِن وجوهُ الإعجازِ في القرآنِ الكريمِ:

[١] **اللَّفظُ.**

[٢] **النظْمُ.**

[٣] **الْبَلَاغَةُ:** فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَىٰ الْمَعْنَىٰ.

[٤] **المَعاني:** قالَ رَحِمَهُ اللهُ: «مِنْ جِهَةِ مَعَانِيهِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنْ جِهَةِ مَعَانِيهِ، الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ الْغَيْبِ الْمَاضِي، وَعَنِ الْغَيْبِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَمِنْ جِهَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْمَعَادِ، وَمِنْ جِهَةِ مَا بَيَّنَ فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ الْيَقِينِيَّةِ، وَالْأَقْيِسَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَمْثَالُ الْمَضْرُوبَةُ»

أقسامُ النَّاسِ في سماعِ القُرآنِ (سماعَ فِقهٍ وقَبولٍ):

[١] مُعرِضٌ مُمتنعٌ عن سماعِه.

[٢] يسمعُ الصَّوتَ ولا يفقهُ المَعنىٰ.

[٣] يفقهُه لكنَّه لا يقبَلُه.

[٤] يسمعُه سماعَ فقهٍ وقَبولٍ.

أنواعُ هَجرِ القرآنِ (ذكَرَها ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ):

[١] هجرُ سَماعِه، والإيمانِ به، والإصغاءِ إليه.

[٢] هجرُ العملِ به والوقوفِ عند حلالِه وحرامِه، وإن قرأه وآمنَ به.

[٣] هجرُ تحكيمِه والتَّحاكُمِ إليه في أصولِ الدِّينِ وفروعِه.

[٤] هجرُ تدبُّرِه، وتفهُّمِه، ومعرفةِ ما أرادَ المُتكلِّمُ به منه.

[٥] هجرُ الاستشفاءِ والتَّداوي به في جميعِ أمراضِ القُلوبِ وأدوائِها.

القرآنِ الكريم لا يُشبِه شيئًا من كلامِ العَرَبِ:

القرآنُ الكَريمُ كلامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ أحكَمَ آياتِه، وفصَّلَها، وبيَّنَها، بكلامٍ عربيٍّ مُبينٍ، وليس هو علىٰ طريقةِ ما عرفَه العربُ من الشِّعرِ، ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩]، ولا علىٰ طريقةِ النَّثرِ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾ [يس]، فهو قسمٌ خاصٌّ، لا يُشبِهُ الشِّعرَ والنَّثرَ ولا يُشبِهانِه، ولهذا جاءَ في «المُستدرَكِ» أنَّ الوليدَ بنَ المُغيرةِ لمَّا سمِعَه قالَ: «**وَاللهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمُ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيدَةٍ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَوَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَىٰ، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ**».

تنبيه: اجتمعَ في القرآنِ الكَريمِ أنَّه مُعجزَةٌ وتَشريعٌ، بخِلافِ باقي الكُتُبِ المُنزَّلَةِ ففيها تَشريعٌ فقط كما في التَّوراةِ، وإنَّما أوتيَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ العصىٰ وغيرَها من الآياتِ.

الفَرقُ بين القرآنِ الكريمِ والـمُصحَفِ:
القُرآنُ الكَريمُ لا يُضافُ إلَّا إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه كلامُه، ولا يُجمَع، أمَّا المُصحَفُ فهو الصُّحُفُ الَّتي كُتِبَ فيها القُرآنُ، ويُمكِنُ إضافتُها إلىٰ مَن كتبَها أو جمَعَها، مِثلَ: مُصحَفِ عُثمانَ وتُجمَع أيضًا علىٰ مَصاحِفَ.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ حَمَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مِنَ: التَّغْيِيرِ، وَالزِّيَادَةِ، وَالنَّقْصِ، وَالتَّبْدِيلِ؛ حَيْثُ تَكَفَّلَ عَزَّوَجَلَّ بِحِفْظِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر]، وَلِذَلِكَ مَضَتِ الْقُرُونُ الْكَثِيرَةُ وَلَمْ يُحَاوِلْ أَحَدٌ مِنْ أَعْدَائِهِ أَنْ يُغَيِّرَ فِيهِ، أَوْ يَزِيدَ، أَوْ يَنْقُصَ، أَوْ يُبَدِّلَ = إِلَّا هَتَكَ اللهُ تَعَالَىٰ سِتْرَهُ، وَفَضَحَ أَمْرَهُ).

تغييرُ القرآنِ الكريمِ منه:

[١] **الـمَعنويُّ**: وهو واقعٌ كما هو مَعروفٌ في كتب التَّاريخ وكلام العلماء، وحِفظُ الله عَزَّوَجَلَّ له بأن يُيسِّر من عباده مَن يُبيِّنُ بُطلانَه وعَواره.

[٢] **اللَّفظيُّ**: وهو المقصود في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحِجر]، وهو أنواعٌ:

[١] تغيير الحركات والنُّقط.

[٢] زيادة كلمةٍ أو حرفٍ.

[٣] نقص كلمةٍ أو حرفٍ.

[٤] تبديل كلمةٍ بكلمةٍ.

فمن ادَّعىٰ شيئًا من ذلك لزم من قوله:

[١] **وصفُ اللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ **بالعجز**: ومن وصفَ الله بالعجزِ فهو كافرٌ حلالُ الدَّم.

[٢] **تكذيبُ اللَّهِ** عَزَّوَجَلَّ: لأنَّه مُكذِّبٌ لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحِجر]، ومُكذِّبُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ كافرٌ.

[٣] **تكذيبُ النَّبيِّ** ﷺ: فالمسلمون أجمعوا أنَّه ﷺ بلَّغ القرآنَ كاملًا.

حكمُ استعمالِ القُرآنِ لغيرِ ما أُنزِلَ له وللمِزاحِ:

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:)وَلَيْسَ لِأَحَدٍ اسْتِعْمَالُ الْقُرْآنِ لِغَيْرِ مَا أَنْزَلَهُ اللهُ لَهُ؛ وَبِذَلِكَ فَسَّرَ الْعُلَمَاءُ الْحَدِيثَ الْمَأْثُورَ: «لَا يُنَاظَرُ بِكِتَابِ اللهِ»، أَيْ: لَا يُجْعَلُ لَهُ نَظِيرٌ يُذْكَرُ مَعَهُ؛ كَقَوْلِ الْقَائِلِ لِمَنْ قَدِمَ لِحَاجَةٍ: لَقَدْ ﴿جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾[طه]، وَقَوْلِهِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾[يونس:٤٨]؟! أَوْ: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[التَّوبة].

ثُمَّ إِنْ خَرَّجَهُ مَخْرَجَ الِاسْتِخْفَافِ بِالْقُرْآنِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِ كَفَرَ صَاحِبُهُ.

وَأَمَّا إِنْ تَلَا الْآيَةَ عِنْدَ الْحُكْمِ الَّذِي أُنْزِلَتْ لَهُ، أَوْ كَانَ مَا يُنَاسِبُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ فَحَسَنٌ؛ كَقَوْلِهِ لِمَنْ دَعَاهُ إِلَىٰ ذَنْبٍ تَابَ مِنْهُ: ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾[النُّور:١٦]، وَقَوْلِهِ عِنْدَ مَا أَهَمَّهُ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف:٨٦]».

وسُئِلَ الشَّيخُ العُثيمينُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن استعمالِ آياتِ القرآنِ علىٰ سَبيلِ المِزاحِ فقالَ: «أمَّا من قالَ هذا علىٰ سبيلِ الاستهزاءِ والسُّخريةِ فإنَّه علىٰ خطرٍ عظيمٍ، وقد يُقالُ: إنَّه خرجَ من الإسلامِ؛ لأنَّ القرآنَ لا يجوزُ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ أن يُتَّخذَ هُزُوًا، وكذلك الأحكامُ الشَّرعيَّةُ؛ كما قالَ الله تباركَ وتعالىٰ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[التَّوبة]، ولهذا قالَ العلماءُ -رحمهم اللهُ-: من قالَ كلمةَ الكُفرِ ولو مازحًا فإنَّه يكفُرُ! ويجبُ عليه أن يتوبَ، وأن يعتقِدَ أنَّه تابَ من الرِّدَّةِ، فيُجدِّدُ إسلامَه، فآياتُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ورسولِه أعظمُ مِن أن تُتَّخذَ هُزُوًا أو مَزحًا.

أمَّا من استشهدَ بآيةٍ علىٰ واقعةٍ جرت وحدثت فهذا لا بأسَ به، فإنَّ رسولَ الله ﷺ استشهدَ بالآياتِ علىٰ الوقائعِ، فاستشهد بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾[التغابن:١٥] حينما جاء الحسَنُ والحُسَينُ يتعثَّرانِ في أثوابِهما، فنزَلَ من المِنبرِ ﷺ وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ﴾[التَّغابن:١٥]، فالاستشهادُ بالآياتِ علىٰ الوقائعِ لا بأسَ به».

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَوْصَافٍ كَثِيرَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ، وَبَرَكَتِهِ، وَتَأْثِيرِهِ، وَشُمُولِهِ، وَأَنَّهُ حَاكِمٌ عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا﴾ [ق]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص]، وَقَالَ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام]، وَقَالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر]، ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة]، وَقَالَ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنعام]، وَقَالَ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨]).

السَّبعُ المَثاني هي الفاتحةُ، آياتُها سبعٌ، وفيها:

- [١] الخبر.
- [٢] الدُّعاء.
- [٣] التَّاريخ.
- [٤] تقسيم النَّاس بالهداية.

بعضُ أسماء سورة الفاتحة:

فاتحةُ الكتاب، والسَّبعُ المَثاني، والقرآنُ العظيمُ، والرُّقية، وأمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والصَّلاةُ، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وهذه هي الَّتي جاءت بها الأدلَّة، وسُمِّيت بغيرها.

وصف اللّٰه عَزَّوَجَلَّ القرآنَ بالعظمةِ؛ فقال:

[١] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ٨٧﴾ [الحجر].

[٢] ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ١﴾ [ق]، والمَجدُ هو: (العظمة والسُّلطان).

يُفهم من عظمةِ القرآنِ:

[١] تعظيمُ القرآن نفسِه.

[٢] أنَّ من تمسَّك به نال العظمة والمجدَ، وصارَ له السُّلطة علىٰ غيره، وتاريخ الأمَّة الإسلاميَّة يشهد بهذا.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

[١] وصفَ اللّٰهُ عَزَّوَجَلَّ القرآنَ بأنَّه مُباركٌ:

[أ] **في أجره وثوابه**: فمن قرأ القرآن فله بكلِّ حرفٍ عشر حسناتٍ. أخرجه التِّرمذيُّ.

[ب] **في تأثيره**: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا﴾ [الحشر].

[ج] **في أثره**: ومنه النَّصر علىٰ العدوِّ، وصلاح القلب، وإقبال العبد علىٰ ربِّه، وتليين القلب.

[٢] وبيَّن الحكمةَ من إنزالِه:

[أ] ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾: فالَّذي يقرأ القرآن بحضور قلبٍ وتدبُّرٍ يتأثَّر به تأثُّرًا عظيمًا، وفيه أنَّ معانيَ آيات الصِّفات مَعلومةٌ.

[ب] ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: فالتَّدبر مُطلقٌ، والتَّذكُّر خاصٌّ بأولي الألباب، أي: العقول، فهم الَّذين يتذكَّرون ويتَّعظون بالقرآن.

مَعنى كون القرآنِ الكريمِ كتابًا أنَّه مَكتوبٌ في:

[١] **اللَّوح المَحفوظ**: في الملأ الأعلىٰ.

[٢] **الصُّحف**: الَّتي بأيدي السَّفرة الكرام البررة.

[٣] **المَصاحف**: الَّتي في أيدينا.

﴿فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾:

[١] ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾: الاتِّباع فرع معرفة المعنىٰ؛ فترجع إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

[٢] ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: حُذف المَفعول، وتقديره: اتَّقوا مُخالفته، وهي ضدُّ الاتِّباع، فيشمل كلَّ شرائع القرآن.

[٣] ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: (لعلَّ) تأتي في اللُّغة للتَّرجِّي والتَّعليل، وهي هنا للتَّعليل؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ لا يعسر عليه شيءٌ.

[٤] ﴿تُرْحَمُونَ﴾: أُضمِر الرَّاحم، والفاعل يُحذف للعلم به، والفاعل هنا هو الله عَزَّوَجَلَّ، أو لإفادة العموم، فيكون المَعنىٰ: مَن رَحِمَه اللهُ يسَّر له مَن يرحمُه مِن الخلق، فيكون مَرحومًا من الله عَزَّوَجَلَّ ومن الخلقِ.

﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧﴾ مُؤكَّدةٌ بثلاث مُؤكِّداتٍ:

[١] **القسم**: في قوله تعالىٰ قبلها: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة]، و(لا) هنا للتَّنبيه، وليست نافيةً.

[٢] **إنَّ**.

[٣] **اللَّام**.

وصفَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ القُرآنَ بأنَّه كريمٌ:

أي: كثير الخير، يفتح المَدارك، ويوسِّع العلوم، فيه من المعاني والعلوم العظيمة ما لا يوجد في غيره، فهو كريمٌ في ألفاظه، ومعانيه، وآثاره، وغيرها.

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾:

[١] أي: للخَصلة الَّتي هي أقوم، و(أقوم) صيغة تفضيل، فكلُّ خُلُقٍ فاضلٍ فالقرآن يهدي إلىٰ أعلاه، وكلُّ مُعاملةٍ حسنة فالقرآن يهدي إلىٰ أحسنها، وكلُّ عبادةٍ مُستقيمةٍ فالقرآن يهدي إلىٰ أقومها....

[٢] فيه إشارةٌ إلىٰ أنَّ الدِّين الإسلاميَّ يبدأ بالأهمِّ فالمهمِّ، والأصلح فالصَّالح، ويدفع الأسوأ بالسَّيِّء.

[١] وصف اللّٰه عَزَّوَجَلَّ القرآن بشدَّة التَّأثير فقال:

[١] (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ): والجبل أصمُّ صُلبٌ شديدٌ.

[٢] (لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا): أي: ذليلًا.

[٣] (مُّتَصَدِّعًا): أي: مُتفتِّتًا ليِّنًا.

[٤] (مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ): الخشية خوفٌ مَقرونٌ بعلمٍ.

[٥] (وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ): أي: لأجل أن يتفكَّروا.

هنا قاعدتان مهمَّتان:

[١] **قاعدةٌ أصوليَّةٌ**: (كلُّ مثلٍ في القرآن فهو إثباتٌ للقياس)؛ لأنَّ المقصود انتقال الذِّهن من هذا لهذا.

[٢] **قاعدةٌ عقديَّةٌ**: في الآية دلالةٌ علىٰ أنَّ الجبال لها فهمٌ وإدراكٌ، قال ﷺ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**». مُتَّفقٌ عليه.

قاعدةٌ أخرى مُهمَّةٌ:

(كلُّ مَثلٍ في القرآن يُمكنُ الوصولُ إلىٰ مَعناهُ؛ إلَّا مثلًا سيق للتَّنفير)، مثل قوله تعالىٰ: ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ ﴾[الصَّافَّات]، ورؤوس الشَّياطين غيرُ مَعلومة الهيئة.

وصفَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ القُرآنَ بأنَّه يزيد الـمُؤمنين إيمانًا، ويزيد الكافرين رجسًا:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ فَمِنۡهُم﴾ أي: من المُنافقين، ﴿مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗا﴾ استفهامٌ للتَّحديِّ؛ إمَّا لكونهم لم ينتفعوا بهذه الآيات، أو لأنَّهم يُكابرون، فانقسم النَّاس مع القرآن قسمين:

[١] (فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ):

- [أ] (فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا): وزيادة إيمانهم بأنَّ السُّورة إذا نزلت بخبرٍ صدَّقوه، وإذا نزلت بأمرٍ أو نهيٍ امتثلوه.
- [ب] (وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ): أي: يبشِّر بعضهم بعضًا بما نزل، وبحكمه، فكلَّما نزلت آيةٌ دلَّت أنَّ الله أراد بالأمَّة خيرًا.

[٢] (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ):

- [أ] (فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ): والرِّجس هنا معنويٌّ؛ لمجيئه للتَّوكيد، زادهم الله رجسًا لأنَّهم كذَّبوا الخبر وخالفوا الطَّلب.
- [ب] (وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ): استمرُّوا علىٰ الرِّجس إلىٰ الموت.

فيه تحذيرٌ عظيمٌ لمن ردَّ الشَّرع أوَّل مرَّةٍ أنَّه خطرٌ عليه أن يستمرَّ معه هذا الرَّدُّ حتَّىٰ يموت علىٰ الكفر -عياذًا بالله-.

الـمرض:

(**علَّةٌ تقتضي خروج البدن عن الاعتدال الطَّبيعيِّ**)، ومرض القلب في كلِّ موضعٍ بحسبه:

- [١] **مرض شهوةٍ**: ﴿فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾ [الأحزاب:٣٢].
- [٢] **مرض شبهةٍ**: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ [التَّوبة]، أي: مرض الشَّكِّ والجحود، عُرف هذا بمُقابله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

فائدةٌ نحويَّةٌ في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم﴾:

(**كُلَّما أتت «ما» بعد «إذا» فهي زائدةٌ**)، قال النَّاظم:

يَا طَالِبًا خُذْ فَائِدَهْ بَعْدَ (إِذَا) (مَا) زَائِدَهْ

مِن تأثيرِ القرآنِ أنَّه إنذارٌ لـمن بلغه، قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ﴾:

[١] ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾: أي: المُخاطبون.

[٢] ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾: أي: كلُّ من بلغه القرآن.

فكلُّ من بلغه القرآن وعرف معناه فلابدَّ أن يتأثَّر به ولو كان كافرًا، ولهذا كان أهل مكَّة يجتمعون علىٰ النَّبيِّ ﷺ إذا قرأ القرآن ليسمعوه مِن فِيهِ.

واستدلَّ بعض العلماء بهذه الآية علىٰ أنَّ كلَّ من بلغه القرآن فقد قامت عليه الحجَّة ولو لم يفهمه، وهو قولٌ ضعيفٌ، وإنَّما تقوم الحجَّة إذا قيل له: (هذا كلام الله الواجبُ اتِّباعُه)، ولا يُقال: لابدَّ من التَّفصيل؛ لأنَّه قد يكون صعبًا.

قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ﴾، **أي:**

[١] **جاهدهم بآياتِ القُرآنِ**: أي: اتلُ عليهم القرآن، وضيِّق عليهم به، فإنَّهم يضيقون به ذرعًا.

[٢] **جاهدهم بأحكامِ القرآن وحِكَمِه**: واتَّبع ما جاء في القرآنِ من قِتالهم وجِهادهم حتَّىٰ تكونَ كلمةُ الله هي العُليا.

﴿جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ أي: لا تَتَأَنَّ وتمُدَّ إليهم يدَ الضَّعفِ بل القوَّة؛ لأنَّهم يريدون أن يمدُّوا لكم يد القوَّة.

وصفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ القُرآنَ بأنَّه تِبيانٌ لكلِّ شيءٍ:

قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النَّحل]، فالقرآن الكريم مَصدرُ الشَّريعة الإسلاميَّة، وهو:

- [١] **هدًى**: لجميع النَّاس.
- [٢] **رحمةٌ**: للمُسلمين.
- [٣] **بُشرَى**: لهم إذا تمسَّكوا به.

ممَّا وصفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ به القُرآنَ:

[١] ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾: الباء تفيد:

- [أ] **الـمُلابسة**: فهو نازلٌ نزول حقٍّ.
- [ب] **التَّعدية**: أي: أتىٰ بالحقِّ، فأخبارُه صدقٌ، وأحكامُه عدلٌ.

[٢] ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: من وجهين:

- [أ] أنَّ الكتب السَّابقة ذكرت منه شيئًا؛ فنزل مِصداقًا لها.
- [ب] أنَّه يقول: إنَّها حقٌّ وصدقٌ؛ فيجب الإيمان بها.

[٣] ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾: الهيمنة هي السَّيطرة والسُّلطة، أي: القرآن ناسخٌ لما سبقه من الكتب.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، الفاء للسَّببيَّة، أي: لأنَّه مُهيمنٌ احكم بينهم بما أنزل الله.

القرآنُ أتىٰ ناسخًا ومُهيمنًا علىٰ ما سبق من الكُتب، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[المائدة:٤٨]، ولهذا قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْدَثُ، تَقْرَؤُونَهُ مَحْضًا لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ بَدَّلُوا كِتَابَ اللهِ وَغَيَّرُوهُ، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمُ الْكِتَابَ، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا؟ أَلَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ لَا وَاللهِ، مَا رَأَيْنَا مِنْهُمْ رَجُلًا يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ**». رواه البخاريُّ (٧٣٦٢). وقوله: «**مَحْضًا لَمْ يُشَبْ**» أي: لم يُخالِطْهُ غيرُه.

فُروقاتٌ مهمَّةٌ:

القرآن الكريمُ:	الكتب السماوية:
آيةٌ للنَّبيِّ ﷺ، وتَشريعٌ له ولأمَّتِه.	تشريعٌ فقط.
تعهَّدَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بحفظِه، ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[الحجر].	أمرَهم اللهُ عَزَّوَجَلَّ بحفظِها، ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾[المائدة:٤٤].
حَفظَه كثيرٌ مِن الأمَّةِ في الصُّدورِ.	لم يَحفظها إلَّا الأنبياءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
ناسخٌ لكلِّ الكتبِ الَّتي سبقَته.	كلُّها مَنسوخٌ بالقرآنِ العَظيم.
بلغَةٍ عربيَّةٍ فَصيحَةٍ.	المَعلومُ مِنها كانَ بغَيرِ العربيَّةِ.
نزَلَ مُنجَّمًا بحسَبِ حاجَةِ النَّاسِ.	لم يَنزل مِنها مُنجَّمًا سوىٰ الزَّبورِ.
سُمِّيَ قرآنًا بمَعنىٰ: مَقروءٍ.	لم يُسَمَّ كِتابٌ مِنها قرآنًا إلَّا الزَّبورُ.
شَمِلَ كلَّ جَوانِبِ الحياةِ.	
نزَلَ لكلِّ الثَّقلين إلىٰ يوم القيامةِ.	
مُصدِّقٌ لجَميعِ الكُتُبِ ومُهيمِنٌ عليها.	
فيه ما لم ينزل مثلُه في بقيَّةِ الكُتبِ؛ كسورة الفاتحةِ، وبعضُ ما نزَلَ في الكُتبِ السَّابقةِ.	

القرآن الكريمُ:	الحَديثُ القُدسيُّ والحَديثُ النَّبويُّ:
تحدَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ النَّاسَ أن يأتوا بمثلِه.	لم يَقع به التَّحدِّي.
لفظُه ومَعناه من اللهِ، وهو مُتعبَّدٌ بتِلاوَتِه.	ليس مُتعبَّدًا بتِلاوَتِه.
مُعجِزٌ بأقصَرِ سورةٍ منه.	ليس مُعجِزًا، ومنه الصَّحيحُ والضَّعيفُ.
مَنقولٌ بطريقِ التَّواتُرِ، فكلُّه قَطعِيُّ الثُّبوتِ.	منها ما هو مُتواترٌ، ومنها ما هو آحادٌ.
لا تصحُّ الصَّلاةُ إلَّا به.	لا يُتلىٰ في الصَّلاة.
ثوابُ تلاوتِه عَظيمٌ.	فيه ثوابٌ، لكنَّه أقلُّ من ثوابِ قراءةِ القُرآنِ.
الجُنُبُ لا يمَسُّ القرآنَ.	الجُنُبُ له أن يمَسَّ كُتُبَ الحَديثِ.

عددُ سُوَرِ القرآنِ:	١١٤
عددُ آياتِ القرآنِ:	٦٢٣٦
عددُ أجزاءِ القرآنِ:	٣٠
عددُ أحزابِ القرآنِ:	٦٠
عددُ أرباعِ الحِزبِ:	٤
عدد الأثمان في الحِزبِ:	٨
عددُ الأثمانِ في القرآنِ:	٢٤٠

أقصر سورَةٍ في القرآنِ:	الكوثر
عددُ آياتِ أقصَرِ سورَةٍ:	٣
أطوَلُ سورَةٍ في القرآنِ:	البقرة
أعظَمُ آيةٍ:	الكرسي
أطوَلُ آيةٍ:	الدَّين
عددُ السُّوَرِ الـمكِّيَّةُ:	٨٦
عددُ السُّوَرِ الـمدنِيَّةِ:	٢٨

ثَانِيًا: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَصْدَرُ التَّشْرِيعِ

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَصْدَرُ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي بُعِثَ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان]، وَقَالَ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾﴾ [إبراهيم].

وَسُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ مَصْدَرُ تَشْرِيعٍ أَيْضًا كَمَا قَرَّرَهُ الْقُرْآنُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النِّسَاء]، وَقَالَ: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب]، وَقَالَ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾ [الحشر]، وَقَالَ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران]).

القوانينُ الوضعيَّة لا تخلو من حالين:

[١] **أن تكون موافقةً للشَّرع**: فنقول: إنَّ الَّذي شرعها هو الشَّرع، ولا كرامة ولا منَّة للقوانين الوضعيَّة.

[٢] **أن تكون مُخالفةً للشَّرع**: فيجب نبذُها وطرحُها، وأن نعلم أنَّها باطلةٌ، ولا يمكن أن يُصلحَ الخلقَ قانونٌ وضعه البشر.

الرَّدُّ على من زعمَ أنَّ قانونَه يصلحُ للخلقِ من وجوهٍ:

[١] أنَّه قاصرٌ في نفسه، وعقله، ومعرفة ما يُصلحُ الخلقَ.

[٢] أنَّه إن عرف ذلك فإنَّما يعرفه فيما حوله من الأماكن، لا فيما بعُد عنه.

[٣] أنَّه إن عرف المَصالح فإنَّما يعرفها في الزَّمن الَّذي يعيش فيه، لا فيما بعده.

النَّاظر في:

[١] **القرآن**: ينظرُ من وجهٍ واحدٍ فقط، وهو دَلالتُه على الحُكم.

[٢] **السُّنَّة**: ينظر من وجهين:

[أ] جهة ثبوتها عن النَّبيِّ ﷺ.

[ب] جهة دلالتها على الحكم.

من أدلَّة كون القرآن مصدرًا للتَّشريع:

[١] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾

[الفرقان]: الفُرقان هو القرآن، سُمِّي بذلك لأنَّه يُفرِّق بين الحقِّ والباطل، وفي قوله: ﴿لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ دليلٌ على عموم رسالة النَّبيِّ ﷺ.

[٢] ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ **[إبراهيم]**: فالكتاب الَّذي يجب أن نسير عليه هو القرآن، وعلَّل ذلك بقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾، ثمَّ بيَّن مآل الكافرين الَّذي لا يهتدون بالقرآن: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢﴾، ويشمل:

[أ] من أنكر أنَّ القرآن أُنزل على مُحمَّدٍ ﷺ.

[ب] من أثبت نُزولَه، لكن أنكر كونَه للعالمين.

تنبيهٌ:

القرآنُ الكريمُ له أسماءُ وأوصافٌ.

وأشهرُ أسمائِه: القرآنُ، والفُرقانُ، والذِّكرُ، والكتابُ.

وأشهرُ أوصافِه أنَّه: هدًى، ونورٌ، وشفاءٌ، ورحمةٌ، ومَوعظةٌ، وبُشرَى، ومُبارَكٌ، وعزيزٌ، وكريمٌ، وبشيرٌ، ومجيدٌ، ونذيرٌ.

بدأ المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ كتابَه بالبسملة؛ لأمورٍ:

[١] ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النِّساء:٨٠]: والطَّاعة هنا فيما لم يرد به القرآنُ، فطاعتُه ﷺ طاعة لله عَزَّوَجَلَّ، ومن لم يطعه ﷺ فقد برئ منه النَّبيُّ ﷺ، ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾.

[٢] ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ [الأحزاب]: فمن عصى النَّبيَّ ﷺ فيما لم يرد به القرآنُ فقد ضلَّ.

[٣] ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر]: وردت في الفيء وقسمته، لكن تشمل كلَّ ما أتى به النَّبيُّ ﷺ من شريعة الله عَزَّوَجَلَّ.

[٤] ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران]: وتُسمَّى آية المِحنة، أي: امتحان واختبار من ادَّعى حبَّ الله عَزَّوَجَلَّ، فميزانُ الصِّدق هو اتِّباعُ النَّبيِّ ﷺ. وفيها أنَّ الشَّأن أن يحبَّك الله، لا أن تدَّعي حُبَّه، وأنَّ من اتَّبع النَّبيَّ ﷺ حصلت له فائدتان: محبَّةُ الله، ومغفرة الذُّنوب.

ومن أدلَّةِ حُجِّيَّةِ السُّنَّةِ كذلك قولُه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النِّساء]، وقولُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٢٤].

دلالةُ الإجماع على حُجِّيَّة السُّنَّة:

قال الشَّافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَا أعلمُ مِن الصَّحابَة وَلَا التَّابِعينَ أحدًا أُخبر عَن رَسُول اللهِ ﷺ إِلَّا قَبلَ خَبرَه، وانتهىٰ إِلَيْـه، وَأثبت ذَلِك سنَّةً ... وصنَعَ ذَلك الَّذين بعدَ التَّابِعين، وَالَّذين لَقِيناهُمْ كلُّهم يثبِتُ الْأَخْبَار، ويجعلها سنَّةً يُحمَدُ مَن تبعَها ويُعابُ مَن خالفَها، فَمن فَارق هَذَا الْمَذْهَب كَانَ عندنَا مُفارقًا سَبِيلَ أَصْحَابِ رَسُول الله ﷺ وَأهلِ الْعلم بعدهمْ إِلَىٰ الْيَوْم، وَكَانَ من أهل الْجَهَالَةِ).

ثَالِثًا: نُزُولُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (نَزَلَ الْقُرْآنُ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾[القدر]، وَقَالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾[الدُّخان]، وَقَالَ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ﴾[البقرة: ١٨٥].

وَكَانَ عُمُرُ النَّبِيِّ ﷺ أَوَّلَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً عَلَىٰ الْمَشْهُورِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدْ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَعَطَاءٍ وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ وَغَيْرِهِمْ، وَهَٰذِهِ السِّنُّ هِيَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا بُلُوغُ الرُّشْدِ، وَكَمَالُ الْعَقْلِ، وَتَمَامُ الْإِدْرَاكِ.

وَالَّذِي نَزَلَ بِالْقُرْآنِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ جِبْرِيلُ، أَحَدُ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ الْكِرَامِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشُّعراء]).

ابتداءُ نزولِ الوحي:

[١] **ابتداءُ نزولِ الوحي**: قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ». مُتَّفَقٌ عليه. وابتداءُ الرُّؤيا كان في شهر ربيعٍ الأوَّل.

[٢] **نزول القرآن**: وكان ابتداءُ نزولِه لمَّا بلغ أربعين سنةً، في:

[أ] **ليلة القدر**: قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾[القدر]، وَقَالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾[الدُّخان].

[ب] **وهي في رمضان**: قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[البقرة: ١٨٥].

صفةُ نُزولِ القُرآنِ أوّلَ ما نزلَ:

قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ: التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[العلق]، **فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، ثُمَّ قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ؛ مَا لِي؟! وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي، قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، وَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ...**». مُتَّفَقٌ عليه.

سنُّ بلوغ الرُّشد أربعون سنةً:

وبهذا فسَّر بعض العُلماء قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾[القصص:١٤].

لطيفةٌ:

سبق أنَّ ابتداءَ الرُّؤيا كان في شهر ربيعٍ الأوَّل، وأنَّ ابتداء نزول القرآن كان في رمضان، وبينهما ستَّة أشهرٍ، ولبث ﷺ بعد نزول الوحي ثلاثةً وعشرين سنةً ونصف السَّنَة، قال بعض العلماء: هذا هو السِّرُّ في قول النَّبيِّ ﷺ: «**الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**». مُتَّفَقٌ عليه.

ولا تنافي بين هذا وبين قولنا: إنَّه ﷺ نُبِّئ بـ(اقرأ)؛ لأنَّ الرُّؤيا تكون من غير النَّبيِّ.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ ... بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشُّعراء]:

[٦] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾:	[٥] ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾:	[٤] ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾:	[٣] ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾:	[٢] ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:	[١] ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ﴾:
نزل بلغةٍ عربيَّةٍ، وهو بيِّنٌ في نفسه، مُبيِّنٌ لغيره.	تعليل نزول القرآن.	نزَّله على محلِّ العقل الَّذي هو القلب.	هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووصفُه بالأمانة مُناسبٌ؛ لأنَّ القرآن هو أعظم أمانةٍ.	إشارةٌ إلىٰ أنَّ القرآن مُنزَّلٌ لكلِّ العالمين.	جملةٌ مُؤكَّدةٌ بمُؤكِّدين: (إنَّ) و(اللَّام).

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَقَدْ كَانَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ الْعَظِيمَةِ مِنَ: الْكَرَمِ، وَالْقُوَّةِ، وَالْقُرْبِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالْمَكَانَةِ، وَالِاحْتِرَامِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ، وَالْأَمَانَةِ، وَالْحُسْنِ، وَالطَّهَارَةِ = مَا جَعَلَهُ أَهْلًا لِأَنْ يَكُونَ رَسُولَ اللهِ تَعَالَىٰ بِوَحْيِهِ إِلَىٰ رُسُلِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾ [التَّكوير]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧﴾ [النَّجم]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾ [النَّحل].

وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَىٰ لَنَا أَوْصَافَ جِبْرِيلَ الَّذِي نَزَلَ بِالْقُرْآنِ مِنْ عِنْدِهِ، وَتَدُلُّ عَلَىٰ عِظَمِ الْقُرْآنِ، وَعِنَايَتِهِ تَعَالَىٰ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْسَلُ مَنْ كَانَ عَظِيمًا إِلَّا بِالْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ).

تنبيهٌ:

قال شيخُ الإسلام في «مَجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٢٨): (ومَذهبُ سلفِ الأمَّةِ، وأئمَّتها، وخلفِها؛ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سمع القرآنَ من جبريلَ، وجبريلُ سمِعَه من الله عَزَّ وَجَلَّ)، ولهذا فإنَّه يجبُ تعديلُ الاجازاتِ في القرآنِ الَّتي فيها: عن جبريل عن اللَّوح المَحفوظِ!

وردت أهمُّ صفات جبريل عليه السلام في ثلاثة مواضع من القرآن:

[١] ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩﴾ فيها: الكرم، ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ فيها: القوَّة، ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ فيها: قُربُه من الله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿مَكِينٖ ٢٠﴾ أي: ذو مكانةٍ، ﴿مُّطَاعٖ﴾ فيها: أنَّه ذو احترامٍ، ﴿ثَمَّ أَمِينٖ ٢١﴾[التَّكوير]، فيها: الأمانة.

[٢] ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ فيها شدَّة قوَّته، ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ أي: على هيئةٍ حسنةٍ، ﴿فَٱسۡتَوَىٰ ٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٧﴾ [النَّجم].

[٣] ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ١٠٢﴾[النَّحل]، فيها دليلٌ علىٰ اتِّصافِه بالطَّهارة.

كونُ الله عَزَّ وَجَلَّ يصف جبريل عليه السلام بهذه الأوصاف العظيمة دليلٌ علىٰ عِظم ما أُرسل به؛ لأنَّه لا يُرسَل بالأمور العظيمة إلَّا من هو عظيمٌ.

تَرْجَمَةُ جِبْرِيـــلَ عليه السلام:

- اسمُه: جِبريلُ أو جَبرائيلُ، والجبر هو العبد، أُضيف إلىٰ إيل وهو بالنَّبطيَّة: اسمُ الله.
- لقبُه: الرُّوح الأمينُ، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾[الشُّعراء].
- وظيفتُه: مُوكَّلٌ بالوحي، ينزل به من عند الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ من يشاءُ من عباده المُرسَلين.
- صِفاتُه الخَلقيَّة: قال تعالىٰ: ﴿ذُو مِرَّةٖ﴾ أي: هيئةٍ حسنةٍ، وعند الشَّيخين: «**لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**»، و«**سَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ**» أي: ملأها، وعند ابن أبي عاصم: «**جَنَاحَاهُ لُؤْلُؤٌ، وَبَاطِنُ قَدَمَيْهِ أَخْضَرُ**»، وعند ابن حبَّان: «**يَنْثُرُ مِنْ رِيشِهِ تَهَاوِيلَ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ**»، وكان يتصوَّر في صورة دِحية الكلبيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في الحديث.
- مَرتبتُه: هو أفضلُ الملائكة ومُقدَّمُهم، ولمَّا اتَّخذه اليهودُ عدُوًّا قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة]، وقد سأل جبريلُ عليه السلام النَّبيَّ ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟**»، قال: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**»، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: «**وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ**»، ومنهم جبريلُ عليه السلام.

الوَحيُ نوعانِ:

[١] **شرعيٌّ**: وهو وحيُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ للرُّسُلِ بالشَّرائِعِ، ومَراتِبُه سبعةٌ.

[٢] **لُغويٌّ**: وهو الَّذي يكونُ لكُلِّ المَخلوقاتِ، وهو ستَّةُ أنواعٍ.

مَراتِبُ نُزولِ الوَحيِ الشَّرعيِّ على النَّبيِّ ﷺ:

[١] **الرُّؤيا الصَّادِقةُ**: وكانت مَبدأَ وَحيِه ﷺ.

[٢] **إلقاءُ الـمَلَكِ في رَوعِه ﷺ**: دونَ أن يَراهُ.

[٣] **الْمَلَكُ في صورةِ رَجُلٍ**: فيُخاطِبُه حتَّى يَعِيَ عنه ما يقولُ.

[٤] **في مِثلِ صَلصَلةِ الجَرَسِ**: وهو أشدُّه عليه ﷺ.

[٥] **أن يَرى المَلَكَ على صورَتِه**: وقَعَ له ﷺ مرَّتينِ.

[٦] **الوَحيُ الـمُباشِرُ**: فوقَ السَّماءِ ليلَةَ المِعراجِ.

[٧] **كلامُ اللهِ له ﷺ بلا واسِطةٍ**: كما في حَديثِ الإسراءِ.

أنواعُ الوَحيِ اللُّغويِّ:

[١] **الإلهامُ الفطريُّ للإنسانِ السَّليمِ الفطرَةِ**: وهو ما يُلقيه اللهُ في نفسِه؛ كالوَحيِ إلىٰ أمِّ موسَىٰ.

[٢] **الالهامُ الغريزيُّ للحيوانِ**: كالوَحيِ للنَّحلِ.

[٣] **الأمرُ الكَونيُّ للجَماداتِ**: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزَّلزلة].

[٤] **ما يُلقيه للمَلائكَةِ**: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الأنفال: ١٢].

[٥] **الإشارَةُ السَّريعَةُ بجارِحَةٍ من الجَوارحِ**: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ﴾ [مريم: ١١].

[٦] **وسوَسةُ الشَّيطانِ**: ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [الأنعام: ١١٢].

رَابِعًا: أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِطْلَاقِ قَطْعًا: الْآيَاتُ الْخَمْسُ الْأُولَىٰ مِنْ سُورَةِ الْعَلَقِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]).

فائدةُ مَعرفةِ أوَّلِ ما نزلَ:

معرفة أوَّل ما نزل من القرآن وآخر ما نزل منه من مهمَّات معرفة المُتقدِّم والمُتأخِّر، وهو مُهمٌّ لمعرفة النَّاسخ والمَنسوخ.

من مَعاني هذه الآياتِ الخَمسِ:

[١] ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾: أمر جبريلُ النَّبيَّ ﷺ أن يقرأ، فأجاب بأنَّه لا يُحسن القراءة؛ لأنَّه ﷺ أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب.

[٢] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾: ذكر عَزَّ وَجَلَّ ابتداء خلق الإنسان، والعلقة دودةٌ حمراء، وهي أوَّل الدَّم، وعدل عن النُّطفة إلىٰ العلقة لأنَّ الانتقال من النُّطفة إلىٰ العلقة دليلٌ علىٰ ابتداء الخلق.

[٣] ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣﴾: الواو للاستئناف، والأكرم اسم تفضيلٍ من الكرم.

[٤] ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤﴾: أي: علَّم بالقلم كيف نكتب به، وهذا أولىٰ من تقدير محذوفٍ؛ لأنَّ الأصل عدم الحذف، فإذا دار الكلام بين الحذف وعدمه، حُمل علىٰ العدم.

[٥] ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾: أي: علَّم كلَّ إنسانٍ ما لم يعلمه.

لـماذا افتُتِحَ القُرآنُ بالفاتحةِ، ولم يُفتتحْ بهذه الآياتِ الخمسِ؟

لأنَّ الفاتحة هي أمُّ القرآن، فهي كالعنوان له، وما بعدها تفصيلٌ له، ولهذا لا تكاد تجد معنًى من القرآن إلَّا وقد تضمَّنته الفاتحة إيماءً.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ مُدَّةً، ثُمَّ نَزَلَتِ الْآيَاتُ الْخَمْسُ الْأُولَىٰ مِنْ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾[المُدَّثر]).

الحِكمة من فُتورِ الوَحي:

ليشتدَّ شوق النَّبيِّ ﷺ إليه؛ كما وقع فعلًا، فإنَّه لمَّا فتر الوحي صار النَّبيُّ ﷺ يخرج ليتطلَّع إلىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد اختلف العلماء في مدَّة الفترة.

وفيه حرص النَّبيِّ ﷺ علىٰ الدَّعوة مع ما يُلاقيه من شدَّةٍ عند نزول الوحي.

من مَعاني هذه الآياتِ الخَمسِ:

[١] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾: أصلُها (المُتَدَثِّرُ)، أي: لابس الدِّثار، ثمَّ قُلبت التَّاء دالًا لعلَّةٍ صرفيَّةٍ.

[٢] ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾: أمره الله عَزَّوَجَلَّ أن يقوم ويُنذر النَّاس، وألَّا يركن إلىٰ الكسل والخمول، وبها صار رسولًا.

[٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾: مَفعولٌ مُقدَّمٌ، والفاء لتزيين اللَّفظ، وقيل: للعطف.

[٤] ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾: هي الثِّياب المَعنويَّة كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ [الأعراف:٢٦]، وقيل: طهِّر الثِّياب الحسِّيَّة من النَّجاسة.

[٥] ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾: الرُّجز: الأوثان، أمره عَزَّوَجَلَّ بهجرها.

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» -صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي بَدْءِ الْوَحْيِ قَالَتْ: حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، يَعْنِي: لَسْتُ أَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: ثُمَّ قَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾[العلق].

وَفِيهِمَا عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ»، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾[الْمُدَّثِّر]»).

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ**» أي: الشَّرعُ والقرآنُ، «**وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ**» في جبل حِراءٍ على يمين الدَّاخل إلىٰ مكَّة من جهة الشَّرائع، ويُسمِّيه أهل الحجاز جبل النُّور، والتَّسمية الأولىٰ أحسن، «**فَجَاءَهُ الْمَلَكُ**» أي: جبريل، و(أل) للعهد الذِّهنيِّ.

القولُ بأنَّ السُّنَّة هي المَصدرُ الثَّاني للتَّشريع يحتمل أن يُرادَ به:

[١] أنَّنا لا نقبلها إلَّا في المرتبة الثَّانية: فهذا غلطٌ؛ لأنَّها بمنزلة القرآن.

[٢] أنَّها المَصدر الثَّاني من حيث العدد لا من حيث التَّرتيبُ: فلا بأس.

هل حكمُ ما أنزل اللَّهُ مُتعلِّقٌ بتوحيد الرُّبوبيَّة أم بتوحيد الألوهيَّة؟

[١] تعلُّقه بتوحيد الرُّبوبيَّة أقوىٰ؛ لأنَّ الَّذي يملك الحكم والتَّشريع هو الله، وفي حديث عديِّ بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَلَيْسَ إِنَّهُمْ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟**»، قلتُ: نعم، قال ﷺ: «**فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**». أخرجه التِّرمذيُّ.

[٢] وله تعلُّقٌ بتوحيد الألوهيَّة؛ لأنَّ من الشَّرائع أن يتعبَّد إلىٰ الله، وشرطا العبادة: الإخلاصُ والمُتابعةُ.

هل ما كان مَعلومًا مِن الدِّين بالضَّرورة يحتاجُ إلى إقامةِ الحُجَّة؟

نعم، ولهذا قال العلماء -رحمهم الله-: من أنكر وجوب الصَّلوات الخمس وهو حديثُ عهدٍ بإسلامٍ، أو في باديةٍ بعيدةٍ؛ فإنَّه لا يُحكم بكُفره حتَّىٰ يُبلَّغ.

ثمَّ إنَّ القول بأنَّ هذا مَعلومٌ مِن الدِّين بالضَّرورة أمرٌ نسبيٌّ، قد يرىٰ بعض العلماء أنَّ هذا من المَعلوم مِن الدِّين بالضَّرورة، ويرىٰ آخرون خِلاف ذلك.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَثَمَّةَ آيَاتٌ يُقَالُ فِيهَا: أَوَّلُ مَا نَزَلَ؛ وَالْمُرَادُ أَوَّلُ مَا نَزَلَ بِاعْتِبَارِ شَيْءٍ مُعَيَّنٍ، فَتَكُونُ أَوَّلِيَّةً مُقَيَّدَةً، مِثْلُ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ سَأَلَهُ: أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ أَوَّلَ؟ قَالَ جَابِرٌ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾، قَالَ أَبُو سَلَمَةَ: أُنْبِئْتُ أَنَّهُ ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾، فَقَالَ جَابِرٌ: لَا أُخْبِرُكَ إِلَّا بِمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «جَاوَرْتُ فِي حِرَاءٍ، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ»، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: «فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا، وَأُنْزِلَ عَلَيَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾».

فَهٰذِهِ الْأَوَّلِيَّةُ الَّتِي ذَكَرَهَا جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاعْتِبَارِ أَوَّلِ مَا نَزَلَ بَعْدَ فَتْرَةِ الْوَحْيِ، أَوْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ فِي شَأْنِ الرِّسَالَةِ؛ لِأَنَّ مَا نَزَلَ مِنْ سُورَةِ اقْرَأْ ثَبَتَتْ بِهِ نُبُوَّةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا نَزَلَ مِنْ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ ثَبَتَتْ بِهِ الرِّسَالَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾، وَلِهٰذَا قَالَ أَهْلُ الْعِلْمِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نُبِّئَ بِاقْرَأْ، وَأُرْسِلَ بِالْمُدَّثِّرِ).

أوَّليَّة النُّزول قسمان:

[١] أوَّليَّةٌ مُطلقةٌ:

وهي الآيات الخمس من سورة العلق.

[٢] أوَّليَّةٌ نسبيَّةٌ (إضافيَّةٌ):

فيُقال مثلًا في حديث جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أوَّل ما نزل بعد فترة الوحي)، أو: (أوَّل ما نزل باعتبار الرِّسالة).

خَامِسًا: نُزُولُ الْقُرْآنِ ابْتِدَائِيٌّ وَسَبَبِيٌّ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَنْقَسِمُ نُزُولُ الْقُرْآنِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:
الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: **ابْتِدَائِيٌّ**، وَهُوَ مَا لَمْ يَتَقَدَّمْ نُزُولَهُ سَبَبٌ يَقْتَضِيهِ، وَهُوَ غَالِبُ آيَاتِ الْقُرْآنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [التَّوبة] الْآيَاتُ، فَإِنَّهَا نَزَلَتِ ابْتِدَاءً فِي بَيَانِ حَالِ بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ، وَأَمَّا مَا اشْتَهَرَ مِنْ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي ثَعْلَبَةَ بْنِ حَاطِبٍ فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ ذَكَرَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَرَوَّجَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْوُعَّاظِ = فَضَعِيفٌ لَا صِحَّةَ لَهُ).

يَنقسمُ القرآنُ باعتبار سببِ نُزولِه إلى:

- [١] **ابتدائيٌّ**: (مَا لَمْ يَتَقَدَّمْ نُزُولَهُ سَبَبٌ يَقْتَضِيهِ).
- [٢] **سببيٌّ**: (مَا تَقَدَّمَ نُزُولَهُ سَبَبٌ يَقْتَضِيهِ)، والأسباب ثلاثةٌ:
  - [أ] (سُؤَالٌ يُجِيبُ اللهُ عَنْهُ).
  - [أ] (حَادِثَةٌ وَقَعَتْ تَحْتَاجُ إِلَىٰ بَيَانٍ وَتَحْذِيرٍ).
  - [أ] (فِعْلٌ وَاقِعٌ يُحْتَاجُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ حُكْمِهِ).

مثَّل المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ للابتدائيِّ بآيةِ التَّوبة:

وهي قولُه تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم﴾ أي: من المُنافقين، ﴿مَّنْ﴾ مُبتدأٌ مُؤخَّرٌ، ﴿عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ جُملةٌ مُؤكَّدةٌ بثلاث مُؤكِّداتٍ: (اللَّام)، و(القسم المُقدَّر)، و(النُّون)، وهذا نذرُ طاعةٍ مُعلَّقٌ بشرطٍ.
واختار رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الآية من بين غالب القرآن ليبيِّن القصَّة الَّتي تُذكر في سبب نزولها.

القصَّةُ ضعيفةٌ لا تصحُّ، أخرجها الطَّبرانيُّ بسندٍ فيه عليُّ بن يزيد الألهانيُّ، وهو متروكٌ.

نذر الطَّاعة نوعان:

[١] **مُطلَقٌ**: مثل أن يقول: لله عليَّ نذرٌ أن أصلِّي ركعتين.

[٢] **مُعلَّقٌ**: مثل أن يقول: إن شفىٰ الله مريضي فللَّه عليَّ نذرٌ أن أتصدَّق بكذا.

وهو آكد في وجوب الوفاء؛ لأنَّه علىٰ اندفاع نقمةٍ أو حصول نعمةٍ، فهو نذرٌ يتضمَّن العهد والشُّكر لله عَزَّوَجَلَّ، وقد أعطاك عَزَّوَجَلَّ ما عاهدته عليه فوجب عليك أن توفِّي بعهدك.

تتمَّةُ آيةِ التَّوبة:

قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾، في هذه الآية التَّحذير من نذر الطَّاعة المُعلَّق وإخلافه، ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ يعني: إلىٰ الموت -والعياذ بالله-، ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾[التَّوبة].

وممَّا يؤيِّد بطلان القصَّة ما جاء فيها من إعراض النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكرٍ وعمر وعثمان عنه، وعدم قبول توبته، وهذا غير ممكنٍ؛ لأنَّ الرَّجل مهما أذنب من الذُّنوب إذا تاب ورجع إلىٰ الله فإنَّ الله يقبل منه، فهذه القصَّة مُخالفةٌ لما عُلم من الدِّين بالضَّرورة وهو قبول توبة الله تعالىٰ من التَّائبين.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**الْقِسْمُ الثَّانِي**: **سَبَبِيٌّ**، **وَهُوَ مَا تَقَدَّمَ نُزُولَهُ سَبَبٌ يَقْتَضِيهِ، وَالسَّبَبُ:**
أ. إِمَّا سُؤَالٌ يُجِيبُ اللهُ عَنْهُ، مِثْلُ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩]).

مِن مَعاني هذه الآية:

[١] ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾: الظَّاهر أنَّ السَّائلين هم الصَّحابة، ويحتمل غيرهم.

[٢] ﴿عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِ﴾: جمع هلالٍ، وهو القمر يُرى في أوَّل ليلةٍ، وثاني ليلةٍ، وثالث ليلةٍ، والحكم هنا يتعلَّق برؤيته أوَّل ليلةٍ.

[٣] ﴿قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ﴾: أي: كلِّ النَّاس من العرب والعجم، منذ خلق الله الأهلَّة إلىٰ أن يشاء الله.

[٤] ﴿وَٱلۡحَجِّ﴾: نصَّ علىٰ الحجِّ؛ لأنَّ ميقاته أشهرٌ، والأشهر ميقات رمضان كذلك، لكن ذكر الحجَّ لأنَّه يحتاج إلىٰ سفرٍ وعناءٍ، ولأنَّه عدَّة أشهرٍ.

سببُ اختيارِ هذا المثالِ:

هو دفع ما قاله البلاغيُّون في أسلوب الحكيم، وهو: **(أن يُجاب السَّائل بخلاف ما يتوقَّع إشارةً إلىٰ ما كان ينبغي أن يسأل عنه)**، قالوا: إنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ سألوا عن الأهلَّة وسبب بُدُوِّ الهلال صغيرًا ثمَّ يكبر، فصرف الله عَزَّ وَجَلَّ الجواب عمَّا سُئله إلىٰ بيان فائدة الأهلَّة.

والجواب عن قولهم -عفا الله عنهم-: أنَّ قولهم هذا ليس له أصلٌ، فالصَّحابة إنَّما سألوا عن الحكمة من الأهلَّة، فأُجيبوا ببيانها.

مِن فوائدِ هذه الآية:

[١] إثباتُ علم الله عَزَّ وَجَلَّ، وسَعة سمعِه.

[٢] أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يتركوا شيئًا يحتاج إليه النَّاس -إذا لم يُبيَّن لهم ابتداءً- إلَّا سألوا عنه، وبذلك كمُل الدِّينُ.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ب. (أَوْ حَادِثَةٌ وَقَعَتْ تَحْتَاجُ إِلَىٰ بَيَانٍ وَتَحْذِيرٍ، مِثْلُ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التَّوبة: ٦٥-٦٦] الآيَتَيْنِ، نَزَلَتَا فِي رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَالَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ، يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ؛ فَجَاءَ الرَّجُلُ يَعْتَذِرُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَيُجِيبُهُ: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التَّوبة]).

في هذه القصَّة بيان أنَّ المُنافقين لا يألون جهدًا في القدح في الإسلام والمسلمين، لكنَّهم يختفون لجُبنهم، وعدم صراحتهم، وخيانتهم، وخداعهم، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾، يعني: نخوض في الحديث، ونلعب في الأفكار، ولسنا نقصد ذلك علىٰ وجه الجدِّ!

الأوصافُ الَّتي وصف المُنافق بها النَّبيَّ ﷺ وأصحابَه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهم منها برآءٌ:

[١] «أَرْغَبَ بُطُونًا»: أي: ليس لهم همٌّ إلَّا بطونُهم.

[٢] «أَكْذَبَ أَلْسُنًا»: والكذب هو: الإخبار بخلاف الواقع.

[٣] «أَجْبَنَ عِنْدَ اللِّقَاءِ»:: والجُبن هو: الشُّحُّ بالنَّفس، والبُخل هو: الشُّحُّ بالمال.

والمُنافقون هم أحقُّ النَّاس بهذه الأوصاف!

في هذه الآية دليلٌ علىٰ أنَّ المُستهزئ بالله وآياته ورسوله كافرٌ، حتَّىٰ وإن لم يقله علىٰ وجه الجدِّ؛ بل إنَّ كُفر المُستهزئ أشدُّ من كفر القائل علىٰ الجدِّ؛ لأنَّ المُستهزئ جمع بين الكفر والاستهزاء.

الـمُراد بقوله تعالى: ﴿وَءَايَٰتِهِۦ﴾:

[١] الجنسُ: فتشمل الآية الواحدة، فمن استهزأ بآيةٍ واحدةٍ فقد كفر.

[٢] الجمع: فيكون من استهزأ بآيةٍ واحدةٍ داخلًا في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ﴾[البقرة:٨٥]، فيكون كافرًا؛ لأنَّ من آمن ببعض القرآن وكفر ببعضه كان كافرًا بالجميع.

الـمُستهزئُ إمَّا أن يستهزئَ بـ:

[١] الشَّرع:

فهذا يكفر مُطلقًا، بلا تفصيلٍ.

[٢] مَن تلبَّس بالشَّرع (كمَن يُقصِّرُ ثوبَه مثلًا)، فهذا فيه تفصيلٌ:

[أ] يكفرُ: إذا استهزأ به لأنَّه فعل ذلك؛ فهذا استهزاءٌ بما فعله من الشَّريعة.

[ب] لا يكفرُ: إذا استهزأ به لشخصه، لكنَّه علىٰ خطرٍ أن يلقي الشَّيطان في قلبه كراهية هذا الشَّخص لكونه تلبَّس بهذه الشَّريعة.

مسألتان مُهمَّتان في الاستهزاء:

[١] من استهزأ بالله، ورسوله، وآياته، هل تُقبل توبتُه؟

تُقبلُ توبتُه، والدَّليلُ: ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦﴾ [التَّوبة]، فالطَّائفة المعفوُّ عنها هي التَّائبةُ.

[٢] من سبَّ الرَّسولَ ﷺ بعد وفاته، هل تُقبلُ توبتُه؟

تُقبلُ توبتُه؛ لكنَّه يُقتل أخذًا بالثَّأر للرَّسول ﷺ، فيُغسَّل، ويُصلَّى عليه.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ج. (أَوْ فِعْلٌ وَاقِعٌ يُحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ حُكْمِهِ، مِثْلُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١...﴾[المجادلة]).

سببُ نزولِ هذه الآيةِ:

أنَّ رجلًا ظاهر من امرأته، فقال لها: (أنتِ عليَّ كظهر أمِّي)، وكانوا في الجاهليَّة يرون الظِّهار طلاقًا بائنًا، فلم تصبر المرأة، فجاءت تشتكي إلى الرَّسول ﷺ، فأنزل الله هذه الآية في بيان حكمِها.

مِن فوائدِ هذه الآيةِ:

بيان إحاطة سمع الله عَزَّوَجَلَّ بكلِّ شيءٍ، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ كُنْتُ فِي الْحُجْرَةِ**» أي: في طرف الحُجرة «**وَإِنَّ بَعْضَ حَدِيثِهَا لَيَخْفَى عَلَيَّ، وَاللهُ -جَلَّ وَعَلَا- سَمِعَهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ**». أخرجه أحمد وبعض أصحاب «السُّنن».

بل إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يسمع السِّرَّ، والنَّجوى، ويعلم ما توسوس به النَّفس وتتحدَّث به.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(فَوَائِدُ مَعْرِفَةِ أَسْبَابِ النُّزُولِ:

مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُولِ مُهِمَّةٌ جِدًّا؛ لِأَنَّهَا تُؤَدِّي إِلَى فَوَائِدَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا:

١. بَيَانُ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُسْأَلُ عَنِ الشَّيْءِ، فَيَتَوَقَّفُ عَنِ الْجَوَابِ أَحْيَانًا حَتَّى يَنْزِلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ، أَوْ يَخْفَى الْأَمْرُ الْوَاقِعُ، فَيَنْزِلُ الْوَحْيُ مُبَيِّنًا لَهُ).

مِن فوائدِ مَعرفةِ أسبابِ النُّزولِ:

[١] (بَيَانُ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِن اللهِ تَعالَىٰ).

[٢] (بَيَانُ عِنَايَةِ اللهِ تَعالَىٰ بِرَسُولِهِ ﷺ فِي الدِّفَاعِ عَنْهُ).

[٣] (بَيَانُ عِنَايَةِ اللهِ تَعالَىٰ بِعِبَادِهِ فِي تَفْرِيجِ كُرُبَاتِهِمْ، وَإِزَالَةِ غُمُومِهِمْ).

[٤] (فَهْمُ الْآيَةِ عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ).

الفائدة الأولى (بَيَانُ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ مِن اللهِ تَعالَى):

ووجه ذلك أنَّ القرآن لو كان من عند النَّبيِّ ﷺ لكان يجيب علىٰ كلِّ ما يرد عليه من دون توقُّفٍ وانتظارٍ، فلمَّا كان يتوقَّف وينتظر حتَّىٰ تنزل الآية دلَّ علىٰ أنَّ القرآن نزل من عند الله عَزَّوَجَلَّ.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (مِثَالُ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [الإسراء]، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ قَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ؛ مَا الرُّوحُ؟ فَسَكَتَ، وَفِي لَفْظٍ: فَأَمْسَكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَقُمْتُ مَقَامِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ قَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾).

من الَّذين سألوا النَّبيَّ ﷺ عن الرُّوح؟

[١] **اليهود**: جاء هذا في حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المُتَّفق عليه.

[٣] **قُريشٌ**: وجاء هذا في حديث ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عند أحمد وبعض أصحاب «السُّنن» بإسنادٍ صحيحٍ.

والقاعدة أنَّه: (يُمكن أن يكون للآية أكثر من سبب نزولٍ)، وعليه فلا تعارض بين هذين الحديثين.

فائدةٌ في جوابِ أهلِ البِدعِ:

في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[الإسراء] تبكيتٌ للسَّائلين؛ كأنَّه يقول لهم: ما بقي عليكم إلَّا أن تعرفوا الرُّوح!

وبهذه الآية يمكن أن نجيب أهل البدع الَّذين يسألون عن كيفيَّة الصِّفات، أو عن كيفيَّة ما يقع من أمور الغيب.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وَمِثَالُ الثَّانِي قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾[المنافقون:٨]، وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ رَأْسَ الْمُنَافِقِينَ يَقُولُ ذَلِكَ، يُرِيدُ أَنَّهُ الْأَعَزُّ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الْأَذَلُّ، فَأَخْبَرَ زَيْدٌ عَمَّهُ بِذَلِكَ، فَأَخْبَرَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ زَيْدًا فَأَخْبَرَهُ بِمَا سَمِعَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَصْدِيقَ زَيْدٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، فَاسْتَبَانَ الْأَمْرُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ).

ما قاله المُنافقونَ:

[١] ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾:

وكان المُنافقون أغنياء أعزَّاء بأنفسهم، وهم أذلَّةٌ، ﴿حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ للتَّعليل، أي: حتَّىٰ يتركوه ﷺ، فأجابهم الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧﴾[المُنافقون].

[٢] ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾:

والقائل هو عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلولٍ، ونُسب القولُ إلىٰ المُنافقين لأنَّه زعيمُهم.

مِن فوائد هذه القصَّة:

[١] عمُّ زيد بن أرقم صحابيٌّ، وكلُّهم عدولٌ، لكنَّ النَّبيَّ ﷺ أراد أن يتثبَّت في الأمر، حتَّىٰ يأتي الأمر علىٰ بصيرةٍ، فالحديث أصلٌ في: (وجوب التَّثبُّت فيما يُنقل).

[٢] لمَّا دعا النَّبيُّ ﷺ المُنافقين وسألهم حلفوا ما قالوا، وهكذا شأن المُنافقين يحلفون علىٰ الكذب وهم يعلمون؛ لأنَّ شعارهم الكذب، والمُخادعة، والنِّفاق.

[٣] قال تعالىٰ ردًّا علىٰ المُنافقين: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المُنافقون:٨]، ولم يقل: (رسول الله هو الأعزُّ)، أو: (الله هو الأعزُّ)، بل قدَّم الخبر ليفيد الحصر، فلا يكون للمُنافقين عزَّةٌ.

أنزل الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] **في رجلٍ واحدٍ من الكفَّار**: وهو أبو لهبٍ عمُّ النَّبيِّ ﷺ سورة المسد.

[٢] **في المُنافقين:**

[أ] **سورة المُنافقون.**

[ب] **عدَّة آياتٍ من سورة براءة**: فكانت من أشدِّ السُّور عليهم؛ لأنَّها فضحتهم.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٢. (بَيانُ عِنايَةِ اللهِ تَعالَىٰ بِرَسُولِهِ ﷺ فِي الدِّفاعِ عَنْهُ، مِثالُ ذلِكَ: قَوْلُهُ تَعالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ [الفرقان]، وَكَذلِكَ آياتُ الْإِفْكِ، فَإِنَّها دِفاعٌ عَنْ فِراشِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَطْهِيرٌ لَهُ عَمَّا دَنَّسَهُ بِهِ الْأَفَّاكُونَ).

مِن فوائد هذه القصَّة:

[١] سبب نزولها:

أنَّهم قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ كما أُنزلت التَّوراة والإنجيل، فردَّ عليهم الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾، فلو نُزِّل جملةً واحدةً لم يحصل التَّثبيت، وهذا أمرٌ مُشاهدٌ، فمن وعظك موعظةً بليغةً ثمَّ لم يعظك بعدها لم يكن كمن وعظك موعظةً خفيفةً ثمَّ أعادها عليك مرَّةً ثانيةً وثالثةً...

[٢] الوقف:

يحسُن الوقف علىٰ: ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾؛ لأنَّ جملة ﴿لِنُثَبِّتَ﴾ جملةٌ مُستأنفةٌ، فهي تعليلٌ لجملةٍ مَحذوفةٍ، والتَّقدير: (أَنْزَلْنَاهُ كَذَٰلِكَ).

[٣] التَّرتيل:

قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ مثل قوله: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المُزَّمِّل]، أي: اقرأه علىٰ مهل، وليس معناه جوِّده، فالتَّجويد لَا يجب، فإنَّه يجوز للإنسان أن يقرأ القرآن غير مُجوَّدٍ مادام أنَّه ينطق بحروفه وحركاته، وأمَّا تحسين الصَّوت فمشروعٌ؛ لحديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». مُتَّفقٌ عليه.

قصَّة حادثة الإفك:

قصَّة الإفك مشهورةٌ في كتب التَّاريخ والسِّير، وفي كتب الصِّحاح والمسانيد، وفيها أنَّ أمَّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تخلَّفت عن الجيش في بعض الغزوات، ووجدها صفوان بن مُعطِّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نائمةً، ثمَّ أناخ بعيره، ولم يتكلَّم لها بأيِّ كلمةٍ احترامًا لفراش النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنَّه وضع قدمه علىٰ ذراع البعير، ثمَّ ركبت أمُّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثمَّ ذهب يقودُها، ولم يجعلها بين يديه، بل كانت من خلفه، فلمَّا وصل إلىٰ القوم فرح المُنافقون بهذا، ورأوا ذلك فرصةً في الطَّعن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتدنيس فراشه، وحاشاه من ذلك، ثمَّ حصل في ذلك ما حصل... فنزلت آيات الإفك العشرة المُحكَمات تطهيرًا له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عمَّا دنَّسهما به المُشركون، يقرأهنَّ المسلمون تقرُّبًا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

الحكمة من إنزال آيات الإفك:

بيان عناية الله عَزَّوَجَلَّ برسوله ﷺ، ونعم المُرسِل ونعم الرَّسول، ومن عنايته عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ عنايتُه بفراشه أن يُدنَّس، فحصل بتبرئة أمِّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا طمأنينته ﷺ، وخذلان الخبثاء الَّذين انتقصوه.

وفيها بيان عناية الله عَزَّوَجَلَّ بعباده في تفريج كُرُباتهم، وإزالة غمومِهم، ولله الحمد والشُّكر.

جزاء من تكلَّم بالإفك:

نزل في عبد الله بن أبيٍّ قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [النُّور]، وهذا في الآخرة، وأمَّا في الدُّنيا فلم يحُدَّه النَّبيُّ ﷺ مع أنَّه أقام الحدَّ علىٰ حسَّان بن ثابتٍ، ومِسطح بن أثاثةَ، وحمنة بنت جحشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

لـماذا لم يُقم النَّبيُّ ﷺ الحدَّ على عبدِ اللَّهِ بن أُبيٍّ؟

[١] اكتفاءً بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، ولـم يقل عَزَّوَجَلَّ: اجلدوه.

[٢] الحدُّ تطهيرٌ، وعبد الله بن أُبيٍّ خبيثٌ ليس أهلًا للتَّطهير.

[٣] أنَّه ﷺ يحبُّ التَّأليف، فلربُّما يحصل من قومه ما لا تُحمَدُ عُقباه لو أُقيم عليه الحدُّ.

[٤] أنَّ الخبيث عبد الله بن أُبيٍّ ماكرٌ مُخادعٌ، لم يُصرِّح بهذا الأمر، لكنَّه يجلس في المجالس يقول: ما سمعتم شيئًا؟ يشير بالحديث.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣. (بَيَانُ عِنَايَةِ اللهِ تَعَالَىٰ بِعِبَادِهِ فِي تَفْرِيجِ كُرُبَاتِهِمْ، وَإِزَالَةِ غُمُومِهِمْ، مِثَالُ ذَلِكَ: آيَةُ التَّيَمُّمِ، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّهُ ضَاعَ عِقْدٌ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ لِطَلَبِهِ، وَأَقَامَ النَّاسُ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ، فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، فَذَكَرُوا الْحَدِيثَ، وَفِيهِ: فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمِ: ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ: مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ، وَالْحَدِيثُ فِي «الْبُخَارِيِّ» مُطَوَّلًا).

سبب حبس النَّبيِّ ﷺ للجيش:

[١] لأنَّ العقد الَّذي ضاع مالٌ، والمال عندهم قليلٌ.

[٢] لأنَّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتحلَّىٰ به للنَّبيِّ ﷺ أشرفِ الخلق، فهو عقدٌ ذو قيمةٍ.

[٣] لأنَّ الرَّسول ﷺ مُربٍّ لأُمَّته بمَقالِه وفِعالِه، حتَّىٰ يعلموا ما للزَّوجات من حقوقٍ، وأنَّه تجب مُراعاتُهنَّ، وحتَّىٰ يعرفوا قدر المال، فلا يُضيِّعوه بلا فائدةٍ.

والعِقد هو ما تلبسه المرأة في عنقِها.

من أمثلة القاعدة العامَّة ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشَّرح]:

[١] **آية التَّيمُّم:**
لمَّا عجزوا عن الماء وعسُر عليهم أمرُهم فرَّج الله عنهم، وأنزل آية التَّيمُّم، قال أُسيد بن حُضيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ)، ومن بركاتِهم أيضًا: خلافة أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقتالُه أهل الرِّدَّة، وتوليته عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...

[٢] قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ﴾ فلن يضيع الولدُ؛ بل لابدَّ أن يُيسِّر الله من يرضعُه، ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ۝٦﴾ [الطَّلاق].

التَّبرُّك هو: (**طلبُ البركة**)، **ومنه**:

[١] **ممنوعٌ**: ضابطُه أنَّه كلُّ ما لم يثبت فيه أمرٌ شرعيٌّ أو حسِّيٌّ، مثل: التَّمسُّح بحُجرة النَّبيِّ ﷺ.

[٢] **مشروعٌ**: وقد يكون بـ:

[أ] **أمرٍ شرعيٍّ**: كالصَّلاة في المسجد الحرام، وقراءة القرآن.

[ب] **أمرٍ حسِّيٍّ**: كالتَّبرُّك بدراسة كتب أهل السُّنَّة.

حكمُ قولِ: (**هذا من بركة فُلانٍ**):

[١] **وفلانٌ حيٌّ**: جائزٌ؛ كقول: (من بركاتك أنَّك أصلحت بين القوم).

[٢] **وفلانٌ ميِّتٌ**: فإمَّا أن يكون الشَّيء وقع:

[أ] **في زمانه، وكان سببًا له**: جائزٌ؛ كقول: (آية التَّيمُّم من بركات عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا).

[ب] **بعد موته**: حرامٌ، وقد ييكون شركًا أكبر.

حكمُ مُصاحبةِ الرَّجلِ لالتماسِ البركة:

[١] **جائزٌ**: إذا كان في صُحبته حُصولُ الخير؛ لكونه يأمر بالمعروفِ، وينهىٰ عن المُنكرِ، ويُعلِّمُ الخيرَ.

[٢] **غيرُ جائزٍ**: إذا قصدَ حُصولَ البركةِ بمُجرَّدِ الصُّحبةِ.

عن أبي واقدٍ اللَّيثيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ مَكَّةَ خَرَجَ بِنَا مَعَهُ قِبَلَ هَوَازِنَ، حَتَّىٰ مَرَرْنَا عَلَىٰ سِدْرَةِ الْكُفَّارِ، سِدْرَةٍ يَعْكُفُونَ حَوْلَهَا وَيَدْعُونَهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا السَّنَنُ، هَذَا كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَىٰ**: ﴿أَجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾[**الأعراف**:١٣٨]»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ**». أخرجه أحمدُ والتِّرمذيُّ.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

٤. (فَهْمُ الْآيَةِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الصَّحِيحِ، مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، أَيْ: يَسْعَىٰ بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أَنَّ غَايَةَ أَمْرِ السَّعْيِ بَيْنَهُمَا أَنْ يَكُونَ مِنْ قِسْمِ الْمُبَاحِ، وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ عَاصِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ قَالَ: كُنَّا نَرَىٰ أَنَّهُمَا مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الْإِسْلَامُ أَمْسَكْنَا عَنْهُمَا، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، وَبِهَذَا عُرِفَ أَنَّ نَفْيَ الْجُنَاحِ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ بَيَانَ أَصْلِ حُكْمِ السَّعْيِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ نَفْيُ تَحَرُّجِهِمْ؛ لِإِمْسَاكِهِمْ عَنْهُ حَيْثُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُمَا مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَمَّا أَصْلُ حُكْمِ السَّعْيِ فَقَدْ تَبَيَّنَ بِقَوْلِهِ: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾).

نذر الطّاعة نوعان:

[١] ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾: فيه كونُ السَّعي شعيرةً من شعائر الله، وتعظيمُ شعائر الله من تقوىٰ القلوب؛ فهو أمرٌ مَطلوبٌ.

[٢] ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾: فيه نفيُ التَّحرُّج الَّذي كان يصيبهم عند السَّعي لظنِّهم أنَّ السَّعي من أمر الجاهليَّة.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

(**عُمومُ اللَّفظِ وَخُصوصُ السَّبَبِ:**

إِذَا نَزَلَتِ الْآيَةُ لِسَبَبٍ خَاصٍّ وَلَفْظُهَا عَامٌّ كَانَ حُكْمُهَا شَامِلًا لِسَبَبِهَا، وَلِكُلِّ مَا يَتَنَاوَلُهُ لَفْظُهَا؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ تَشْرِيعًا عَامًّا لِجَمِيعِ الْأُمَّةِ، فَكَانَتِ الْعِبْرَةُ بِعُمُومِ لَفْظِهِ لَا بِخُصُوصِ سَبَبِهِ).

إذا ورد نصٌّ عامٌّ وكان السَّبب خاصًّا، هل يختصُّ الحكمُ بالسَّبب أم يعُمُّه وغيرَه؟

[١] **الخصوص عينيٌّ**:
لا يُخصَّص العُموم بالسَّبب؛ بل يُقالُ: **(العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب)**، وسيأتي مثال هذا في كلام المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[٢] **الخصوص وصفيٌّ**:
يُخصَّص به العموم؛ لأنَّ حقيقة الوصف أنَّه عامٌّ.
مثالُه حديث جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَرَأَىٰ زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**»، فَقَالُوا: صَائِمٌ، فَقَالَ: «**لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ**». مُتَّفَقٌ عليه. فيتنزَّل عموم النَّصِّ علىٰ من كانت حالتُه كهذا الرَّجل الَّذي ذُكر، ووجه هذا الحمل أنَّه ﷺ ذكر النَّصَّ علىٰ حالٍ مَخصوصةٍ.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(مِثَالُ ذَلِكَ: آيَاتُ اللِّعَانِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾ [النُّور]، فِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ بْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ»، فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾، فَقَرَأَ حَتَّىٰ بَلَغَ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾، الْحَدِيثَ.**
فَهَٰذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ بِسَبَبِ قَذْفِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ لِامْرَأَتِهِ، لَكِنَّ حُكْمَهَا شَامِلٌ لَهُ وَلِغَيْرِهِ، بِدَلِيلِ مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ عُوَيْمِرَ الْعَجْلَانِيَّ جَاءَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ رَجُلٌ وَجَدَ مَعَ امْرَأَتِهِ رَجُلًا، أَيَقْتُلُهُ فَتَقْتُلُونَهُ؟ أَمْ كَيْفَ يَصْنَعُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ فِيكَ وَفِي صَاحِبَتِكَ»، فَأَمَرَهُمَا ﷺ بِالْمُلَاعَنَةِ بِمَا سَمَّىٰ اللهُ فِي كِتَابِهِ، فَلَاعَنَهَا، الْحَدِيثَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ حُكْمَ هَٰذِهِ الْآيَاتِ شَامِلًا لِهِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ وَغَيْرِهِ).

اللِّعان:

[١] **سببُه**: أن يقذف الرَّجل زوجتَه بالزِّنا.

[٢] **الخصوص وصفيٌّ**: أنَّ الرَّجل يقول فيه: (وأنَّ لعنة الله عليَّ...)، ولم يُسمَّ غضبًا؛ لأنَّ اللِّعان يُبتدأ به أوَّلًا.

الصَّحابيُّ غير مَعصومٍ، قد تقع منه الكبيرةُ، لكنَّها مُكفَّرةٌ عنه؛ لأنَّه:

[١] قد تاب منها.

[٢] أتى بحسناتٍ تمحوها.

[٣] غُفرت له بفضل سابقتِه.

[٤] غُفرت له بشفاعة محمَّدٍ ﷺ، والصَّحابة أحقُّ النَّاس بشفاعته ﷺ.

[٥] ابتُلي ببلاءٍ في الدُّنيا كُفِّر به عنه.

وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لأهل بدرٍ: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». مُتَّفقٌ عليه.

من فوائد قصَّة هلال بن أميَّة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

[١] (**الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدّ في ظَهرِكَ**): (البيِّنة) بالنَّصب أي: أقم البيِّنة، أو بالضَّمِّ أي: عليك البيِّنةُ.

[٢] (**إنِّي لَصَادقٌ، فَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ**): جملةٌ مُؤكَّدةٌ بـ: القسم، واللَّام، والنُّون، وفيها الثِّقة بالله، وحسنُ الظَّنِّ به.

[٣] (﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾...): فيها التَّفريق بين رمي الرَّجل لزوجته ورميه لغيرها:

[أ] **في الزَّوجة**: إن لم يُقِم البيِّنة ولم تُقرَّ المرأة فإنَّهما يُلاعنان، فإن لاعنا لم يُحدَّا، ووجب التَّفريق بينهما، وحُرِّمت عليه تحريمًا مُؤبَّدًا.

[ب] **في غير الزَّوجة**: إن لم يُقِم البيِّنة ولم تُقرَّ المرأة فإنَّه يُحدُّ حدَّ القذف.

حكمُ مَن وجد رجلاً يزني بامرأتِه فقتله:

[١] **إذا أقام البيّنة:** فإنَّه لا يُقتل؛ لأنَّه لمَّا نزل قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ﴾ [النُّور:٤]، قال سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ، فقال النَّبيُّ ﷺ «**أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟ وَاللهِ إِنِّي لَأَغْيَرُ مِنْ سَعْدٍ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي**». مُتَّفقٌ عليه. فأقرَّه النَّبيُّ ﷺ.

[٢] **إذا لم يقم البيّنة:** وهذا هو الغالب، إذ يبعد أن يزني بها أمام النَّاس، وإنَّما في خفاءٍ، ويبعد أن يذهب الزَّوجُ بعد أن رأىٰ ذلك يتطلَّب الشُّهود، فقيل: يُقتل به، وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (يجب النَّظر إلىٰ حال الرَّجل إن كان من أهل الخير والصَّلاح، وصاحبُه المقتول من أهل الشَّرِّ والفساد = فيُقبل قولُه، وإلَّا فلا يُقبل)، وهذا هو الرَّاجح؛ لما فيه من إعمال القرائن، ولهذا أمثلةٌ في الشَّرع.

مَنزلةُ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في «الواسطيَّة»: (وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»، وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ «الْكِتَابُ» وَ«السُّنَّةُ» وَ«الْإِجْمَاعُ» مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ، فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ، وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ، وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ).

وفصَّلَ شيخُ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أصول أهل السُّنة والجماعة في «مجموع الفتاوى» بقوله:

۞ سلامةُ قلوبِهم وألسنتِهم لأصحاب رسول اللهِ ﷺ؛ كما وصَفَهم الله به في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر]، وطاعةً للنَّبيِّ ﷺ في قوله: «**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

۞ وأنَّهم يَقْبلون ما جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ والإجْماعُ مِن فضائلِهم ومَراتبِهم.

۞ وأنَّهم يُمْسِكون عمَّا شجر بيْن الصَّحابة، ويقولون: إنَّ هذه الآثارَ المرويَّةَ في مساويهم منها ما هو كذبٌ، ومنها ما قد زِيدَ فيه ونُقِصَ، وغُيِّرَ عن وجهِه الصَّريح، والصَّحيحُ منه هم فيه مَعْذورون؛ إمَّا مُجْتهدون مُصِيبون، وإمَّا مُجتهدون مُخْطِئون.

۞ وأنَّهم مع ذلك لا يعتقدون أنَّ كلَّ واحدٍ من الصَّحابة معصومٌ عن كبائر الإثم وصغائره، بل تَجُوز عليهم الذُّنوب في الْجُملة.

۞ وأنَّ لهم من السَّوابق والفضائل ما يوجب مَغفرةَ ما يَصْدر منهم إنْ صدَر، حتَّىٰ إنَّه يُغفَرُ لَهم من السَّيِّئات ما لا يُغفَر لِمَن بعدهم؛ لأنَّ لَهم من الحسنات الَّتي تَمْحو السَّيِّئات ما ليس لِمَن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنَّهم: «**خَيْرُ الْقُرُونِ**»، وأنَّ الْمُدَّ من أحدهم إذا تصدَّق به كان أفضل من جبل أُحُدٍ ذهبًا مِمَّن بعدهم.

۞ ثمَّ إذا كان قد صدر عن أحدهم ذنْبٌ فيكون قد تاب منه، أو أتىٰ بحَسناتٍ تَمْحوه، أو غُفِرَ له بفضل سابقتِه، أو بشفاعة مُحمَّدٍ ﷺ الَّذي هم أحَقُّ النَّاس بشفاعتِه، أو ابْتُلِي ببلاءٍ في الدُّنيا كُفِّرَ به عنه.

۞ فإذا كان هذا في الذُّنوب الْمُحقَّقة، فكيف بالأمورِ الَّتي كانوا فيها مُجْتهدين: إن أصابوا فلهم أجْران، وإن أخطؤوا فلهم أجْرٌ واحد، والْخَطأ مغفورٌ لَهم؟!

۞ وأنَّ القَدْرَ الَّذي يُنْكَرُ مِن فعْلِ بعضِهم قليلٌ نزْرٌ، مغمورٌ في جنب فضائل القوم ومَحاسنهم؛ من الإيمان بالله ورسولِه، والجهاد في سبيلِه، والْهِجرة، والنُّصرة، والعلم النَّافع، والعمَل الصَّالِح.

۞ وأنَّ مَن نظر في سيرة القوم بعِلْمٍ وبصيرةٍ، وما منَّ الله به عليهم من الفضائل؛ عَلِم يقينًا أنَّهم خيْرُ الْخَلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكونُ مثْلُهم، وأنَّهم هم صفوة الصَّفوة من قرون هذه الأُمَّة الَّتي هي خيْرُ الأمم، وأكرَمُها علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

مُلخَّصٌ لبَعضِ أسبابِ النُّزولِ:	
السُّورَةُ أو الآيةُ:	**سببُ نُزولِها:**
سورةُ الأنفالِ	نزَلَت في غَزوَةِ بَدرٍ وما تلاها مِن قَسمِ الغَنائِمِ ومُعاملَةِ الأسرىٰ.
سورةُ براءَةَ	نزَلَت في غَزوَةِ تَبوكَ، وما فعَلَه المُنافِقونَ والمُشرِكونَ، وما حصَلَ للثَّلاثةِ المُخَلَّفينَ، وأولئِكَ الَّذينَ لم يجِدوا ما يُحمَلُون عليه.
سورةُ الأحزابِ	نزَلَت في غزوَةِ الخَندَقِ، وما أصابَ المُؤمنينَ مِن البَلاءِ والشِّدَّةِ.
سورةُ الفَتحِ	نزَلَت في صُلحِ الحَديبيَةِ، ومُبايَعةِ ١٤٠٠ مِن الصَّحابَةِ للنَّبيِّ ﷺ تحت الشَّجرَةِ بيعَةَ الرِّضوانِ.
سورةُ المُجادلةِ	نزَلَت في خَولَةَ بنتِ ثعلبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّتي ظاهَرَ مِنها زَوجُها أوسُ بنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
سورةُ الحَشرِ	نزَلَت في يَهودِ بني النَّضيرِ، الَّذين كادوا بالنَّبيِّ ﷺ بعد أن عاهَدهم، فأجلاهم ﷺ مِن دِيارِهم، وأخرَجهم من المدينَةِ.
سورةُ الجِنِّ	نزَلَت في طائفَةٍ مِن الجِنِّ خرجوا يبحَثون عن السَّبَبِ الَّذي مِن أجلِه حيلَ بينهم وبين خبَرِ السَّماءِ، فلمَّا سمِعوا قِراءَةَ النَّبيِّ ﷺ للقرآنِ في الصَّلاةِ آمنوا، ورجَعوا إلىٰ قومِهم يَدعونَهم.
سورةُ الضُّحىٰ	«**اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضُّحىٰ]**» متَّفقٌ عليه.
سورةُ الإخلاصِ	رُوِيَ أنَّها نزَلَت جَوابًا لقُريشٍ لمَّا سألوا النَّبيَّ ﷺ وقالوا: «**انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ**».
آيةُ الظِّهارِ	نزَلَت في أوسِ بن الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما تقدَّمَ.
آيةُ التَّيمُّمِ	نزَلَت في فَقدِ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِقدَها في غَزوَةِ بَني المُصطَلِقِ، وما تَلا ذلِكَ مِن تَشريعِ التَّيمُّمِ لفاقِدِ الماءِ.

سادسًا: المَكِّيُّ والمَدَنِيُّ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مُفَرَّقًا فِي خِلَالِ ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَكْثَرَهَا بِمَكَّةَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء].

وَلِذَلِكَ قَسَّمَ الْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ- الْقُرْآنَ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: مَكِّيٍّ وَمَدَنِيٍّ:

فَالْمَكِّيُّ: مَا نَزَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ هِجْرَتِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَالْمَدَنِيُّ: مَا نَزَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ هِجْرَتِهِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.

وَعَلَىٰ هَذَا فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، مِنَ الْقِسْمِ الْمَدَنِيِّ، وَإِنْ كَانَتْ قَدْ نَزَلَتْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِعَرَفَةَ، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَدْ عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، نَزَلَتْ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ).

نزول القرآن الكريم:

- [١] بدأ نزوله وسنُّه ﷺ ٤٠ سنةً.
- [٢] لبث ﷺ ١٣ سنةً في مكَّة.
- [٣] لبث ﷺ ١٠ سنين في المدينة.
- [٤] توفِّي ﷺ وانقطع الوحي وسنُّه ٦٣ سنةً.

من معاني آية الإسراء:

- [١] (وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ): جعلناه مُفرَّقًا.
- [٢] (لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ): على مهل، يقرؤونه شيئًا فشيئًا على التَّدريج؛ فيرسخ في قلوبهم ويعملون به.
- [٣] (وَنَزَّلْنَهُ تَنزِيلًا): نزَّلناه شيئًا فشيئًا.

لـماذا قسَّموا القرآن إلى مكِّيٍّ ومدنيٍّ فقط مع أنَّ منه ما نزل بغيرهما؟

إنَّما اقتصروا علىٰ القسمين رفعًا للمشقَّة، فكثيرٌ من الآيات نزلت في أسفاره ﷺ، ويصعب استقصاؤها كلِّها، فقسَّموه باعتبار الزَّمان لا باعتبار المكان، فالمكِّيُّ ما نزل قبل الهجرة ولو بغير مكَّة، والمدنيُّ ما نزل بعد الهجرة ولو بمكَّة.

ومثَّل ﵀ للمدنيِّ الَّذي نزل بمكَّة بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[المائدة:٣]، وذكر قول عمر في «صحيح البخاريِّ»: (نَزَلَتْ وَهُوَ قَائِمٌ بِعَرَفَةَ يَوْمَ جُمُعَةٍ)، وذلك في حجَّة الوداع.

نزول القرآن الكريم:

- [١] (ٱلۡيَوۡمَ): (أل) للعهد الحضوريِّ، أي: اليوم الَّذي تكلَّم فيه ﷺ.
- [٢] (أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ): جعلتُه كاملًا.
- [٣] (وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي): بإكمال الدِّين.
- [٤] (وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا): فلا يرضىٰ من عباده غيرَه من الأديان.

سببُ قول عمر ﵁ لليهوديِّ: (عَرَفْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ وَالْـمَكَانَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ):

- [١] **بيانُ شرف الـمكان الَّذي نزلت فيه:** وهو عرفةُ، وعرفةُ هي المَشعرُ الحلالُ.
- [٢] **بيانُ شرف الزَّمان الَّذي نزلت فيه**: من وجهين:
  - [أ] **يومُ عرفةَ:** يومُ عيد الحُجَّاج، وهو عيدٌ سنويٌّ.
  - [ب] **يومُ الجمعة:** وهو عيدُ المسلمين الأسبوعيُّ.

قَالَ الْمُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَيَتَمَيَّزُ الْقِسْمُ الْمَكِّيُّ عَنِ الْمَدَنِيِّ مِنْ حَيْثُ الْأُسْلُوبُ وَالْمَوْضُوعُ:

أ. أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْأُسْلُوبُ فَهُوَ:

١. الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ قُوَّةُ الْأُسْلُوبِ، وَشِدَّةُ الْخِطَابِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ الْمُخَاطَبِينَ مُعْرِضُونَ مُسْتَكْبِرُونَ، وَلَا يَلِيقُ بِهِمْ إِلَّا ذَلِكَ، اقْرَأْ سُورَتَي الْمُدَّثِّرِ وَالْقَمَرِ، أَمَّا الْمَدَنِيُّ فَالْغَالِبُ فِي أُسْلُوبِهِ اللِّينُ وَسُهُولَةُ الْخِطَابِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ الْمُخَاطَبِينَ مُقْبِلُونَ مُنْقَادُونَ، اقْرَأْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ.

٢. الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ قِصَرُ الْآيَاتِ، وَقُوَّةُ الْمُحَاجَّةِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ الْمُخَاطَبِينَ مُعَانِدُونَ مُشَاقُّونَ، فَخُوطِبُوا بِمَا تَقْتَضِيهِ حَالُهُمْ، اقْرَأْ سُورَةَ الطُّورِ، أَمَّا الْمَدَنِيُّ فَالْغَالِبُ فِيهِ طُولُ الْآيَاتِ، وَذِكْرُ الْأَحْكَامِ مُرْسَلَةً بِدُونِ مُحَاجَّةٍ؛ لِأَنَّ حَالَهُمْ تَقْتَضِي ذَلِكَ، اقْرَأْ آيَةَ الدَّيْنِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ).

الفرق بين المكِّيِّ والمدنيِّ من وجهين:

[١] الأسلوب:

- [أ] الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ قُوَّةُ الْأُسْلُوبِ، وَشِدَّةُ الْخِطَابِ، أَمَّا الْمَدَنِيُّ فَالْغَالِبُ فِي أُسْلُوبِهِ اللِّينُ وَسُهُولَةُ الْخِطَابِ.
- [ب] الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ قِصَرُ الْآيَاتِ، وَقُوَّةُ الْمُحَاجَّةِ، أَمَّا الْمَدَنِيُّ فَالْغَالِبُ فِيهِ طُولُ الْآيَاتِ، وَذِكْرُ الْأَحْكَامِ مُرْسَلَةً بِدُونِ مُحَاجَّةٍ.

[٢] الموضوع:

- [أ] الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ تَقْرِيرُ التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ، أَمَّا الْمَدَنِيُّ فَالْغَالِبُ فِيهِ تَفْصِيلُ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ.
- [ب] الغالبُ على المدنيِّ الْإِفَاضَةُ فِي ذِكْرِ الْجِهَادِ وَالْمُنَافِقِينَ، بخلاف المكِّيِّ.

مثَّل الـمُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ لشدَّة الأسلوب الـمكِّيِّ بـ:

[١] سورة الـمُدَّثِّر:

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ ما العقوبةُ؟ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [الْمُدَّثِّر]، هذا كلامٌ عظيمٌ جدًّا، قويٌّ في التَّهديد والإنذار.

[٢] سورة القمر:

قال تعالىٰ: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾، فصارت الأرضُ كلُّها عيونًا تنبع، وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾﴾، والجواب عن سؤالهم: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر].

ومن الأمثلة كذلك:

[١] سورة الواقعة:

قال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة].

[٢] سورة الطُّور:

قال جبير بن مُطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ، فَلَمَّا سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الطُّور] كَادَ قَلْبِي يَطِيرُ! أخرجه ابن ماجه.

ومثَّل رَحِمَهُ ٱللَّهُ للين الأسلوب المدنيِّ بآية الدَّين:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ...﴾[البقرة]، والآية طويلةٌ وسهلةٌ، وليس فيها إلَّا أحكامٌ وتوجيهٌ؛ لأنَّ القوم مُنقادون مُستسلمون، لا يُناظرون ولا يُجادلون.

قاعدةٌ:

الأصل أنَّ السُّور المكِّيَّة كلُّها مكيَّةٌ، وأنَّ السُّور المدنيَّة كلُّها مدنيَّةٌ، ولا يُصدَّق كون آيةٍ من السُّورة مُستناةً إلَّا إذا ثبت ذلك بسندٍ صحيحٍ.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ب. (وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَوْضُوعُ، فَهُوَ:

١. الْغَالِبُ فِي الْمَكِّيِّ تَقْرِيرُ التَّوْحِيدِ وَالْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ، خُصُوصًا مَا يَتَعَلَّقُ بِتَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ، وَالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ الْمُخَاطَبِينَ يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، أَمَّا الْمَدَنِيُّ فَالْغَالِبُ فِيهِ تَفْصِيلُ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ قَدْ تَقَرَّرَ فِي نُفُوسِهِمُ التَّوْحِيدُ وَالْعَقِيدَةُ السَّلِيمَةُ، فَهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَىٰ تَفْصِيلِ الْعِبَادَاتِ وَالْمُعَامَلَاتِ.

٢. الْإِفَاضَةُ فِي ذِكْرِ الْجِهَادِ وَأَحْكَامِهِ، وَالْمُنَافِقِينَ وَأَحْوَالِهِمْ فِي الْقِسْمِ الْمَدَنِيِّ؛ لِاقْتِضَاءِ الْحَالِ ذَلِكَ، حَيْثُ شُرِعَ الْجِهَادُ، وَظَهَرَ النِّفَاقُ، بِخِلَافِ الْقِسْمِ الْمَكِّيِّ).

مِمَّا كثُر إنكاره من الكفَّار قبل الهجرة:

[١] **توحيدُ الألوهيَّة**: ومن ذلك ما حكاه الله عَزَّوَجَلَّ عنهم بقوله: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥﴾[ص].

[٢] **البعث**: ومن ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ٨٢﴾[المؤمنون].

من أمثلة إنكار الكفّار للبعث:

ومن هذا ما رواه سعيد بن منصورٍ وغيره عن غزوان الغفاريِّ قال: جاءَ أُبيُّ بن خلفٍ بِعظم نخرةٍ فَجعل يفُتُّه بَين يَدي النَّبيِّ ﷺ، قَالَ: من يحيي الْعِظَام وَهِي رَمِيمٌ؟ فَأنْزلَ اللهُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[يس]. وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في الآيات الأواخر من سورة يس ستَّة أدلَّةٍ علىٰ البعث:

[١] ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: لأنَّ القادر علىٰ ابتدائها قادرٌ علىٰ إعادتها، بل إعادتُها أهون عليه.

[٢] ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾: فجعل من رطوبة الأخضر وبرودته حرارةً ويبوسةً.

[٣] ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

[٤] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

[٥] ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: والَّذي بيده ملكوت كلِّ شيءٍ مُنزَّهٌ عن العجز.

[٦] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾: فلو لم نرجع إلىٰ الله ليحاسبنا علىٰ أعمالنا لكان ذلك مُنافيًا للحكمة.

ومن أدلّة قدرة اللّه عَزَّوَجَلَّ على البعث الحسّ:

[١] قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ﴾ بأشجارها وزرعها ﴿وَرَبَتْ﴾ أي: علَتْ، قيل: إنَّ عُلُوَّها هو قشرة الأرض يدفعها النَّبات، وقيل: إنَّ عُلُوَّها عُلُوُّ النَّبات، ﴿وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾[الحجّ].

[٢] وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[فُصِّلت].

من خصائص السُّور الـمدنيَّة الإفاضة في ذكر:

[١] **الجهادِ والتَّرغيبِ فيه وبيان أحكامِه**: ولم يكن المسلمون في حاجةٍ إلىٰ ذلك قبل الهجرة؛ لأنَّهم لم يُؤمروا بالجهاد، ولم يكونوا يستطيعونه.

[٢] **الـمُنافقين**: ولا تكاد تجد في السُّور المكِّيَّة ذكرًا للمُنافقين؛ لأنَّهم إنَّما ظهروا بعد غزوة بدرٍ لمَّا قويت شوكة المؤمنين، لكن ورد في سورة العنكبوت -وهي مكِّيَّةٌ- قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾[العنكبوت].

علاماتٌ يُعرفُ بها المكيُّ والمدنيُّ:	
	[١] كلُّ سورَةٍ في أوَّلها حروفٌ مُقطعَّةٌ فهي مكِّيَّةٌ إلَّا البقرَةُ وآلُ عِمرانَ.
	[٢] كلُّ سورَةٍ فيها (كلَّا) فهي مكِّيَّةٌ إلَّا التَّكاثُر.
	[٣] كلُّ سورَةٍ فيها سَجدةُ تِلاوَةٍ فهي مكِّيَّةٌ.
	[٤] كلُّ سورَةٍ مَبدوءَةٍ بقَسَمٍ فهي مكِّيَّةٌ.
	[٥] كلُّ سورَةٍ مُفتتَحَةٍ بالحَمدِ فهي مكِّيَّةٌ.
	[٦] كلُّ سورَةٍ فيها قصَصُ الأنبياءِ مُفصَّلةً فهي مكِّيَّةٌ إلَّا البقرَةَ.
	[٧] كلُّ سورَةٍ فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) وليس فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) فهي مكِّيَّةٌ.
	[٨] كلُّ سورَةٍ فيها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) وليس فيها (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) فهي مدَنِيَّةٌ.
	[٩] كلُّ سورَةٍ فيها ذِكرُ المُنافقين فهي مدنِيَّةٌ إلَّا سورةَ العَنكبوتُ ففيها خِلافٌ.
	[١٠] كلُّ سورَةٍ فيها حَدٌّ أو بيانُ فريضَةٍ فهي مدنِيَّةٌ.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

(فَوَائِدُ مَعْرِفَةِ الْمَدَنِيِّ وَالْمَكِّيِّ:

مَعْرِفَةُ الْمَكِّيِّ وَالْمَدَنِيِّ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ عُلُومِ الْقُرْآنِ الْمُهِمَّةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ فِيهَا فَوَائِدَ مِنْهَا:

١. ظُهُورُ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ فِي أَعْلَىٰ مَرَاتِبِهَا، حَيْثُ يُخَاطِبُ كُلَّ قَوْمٍ بِمَا تَقْتَضِيهِ حَالُهُمْ مِنْ: قُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، أَوْ لِينٍ وَسُهُولَةٍ.

٢. ظُهُورُ حِكْمَةِ التَّشْرِيعِ فِي أَسْمَىٰ غَايَاتِهِ، حَيْثُ يَتَدَرَّجُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِحَسَبِ الْأَهَمِّ، عَلَىٰ مَا تَقْتَضِيهِ حَالُ الْمُخَاطَبِينَ، وَاسْتِعْدَادِهِمْ لِلْقَبُولِ وَالتَّنْفِيذِ.

٣. تَرْبِيَةُ الدُّعَاةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَوْجِيهُهُمْ إِلَىٰ أَنْ يَتَّبِعُوا مَا سَلَكَهُ الْقُرْآنُ فِي الْأُسْلُوبِ وَالْمَوْضُوعِ، مِنْ حَيْثُ الْمُخَاطَبِينَ، بِحَيْثُ يَبْدَأُ بِالْأَهَمِّ فَالْمُهِمِّ، وَتُسْتَعْمَلُ الشِّدَّةُ فِي مَوْضِعِهَا، وَالسُّهُولَةُ فِي مَوْضِعِهَا.

٤. تَمْيِيزُ النَّاسِخِ مِنَ الْمَنْسُوخِ، فِيمَا لَوْ وَرَدَتْ آيَتَانِ مَكِّيَّةٌ وَمَدَنِيَّةٌ، يَتَحَقَّقُ فِيهِمَا شُرُوطُ النَّسْخِ، فَإِنَّ الْمَدَنِيَّةَ نَاسِخَةٌ لِلْمَكِّيَّةِ؛ لِتَأَخُّرِ الْمَدَنِيَّةِ عَنْهَا).

فوائد معرفة المكِّيِّ والمدنيِّ:

- [١] (ظُهُورُ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ).
- [٢] (ظُهُورُ حِكْمَةِ التَّشْرِيعِ).
- [٣] (تَرْبِيَةُ الدُّعَاةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَوْجِيهُهُمْ).
- [٤] (تَمْيِيزُ النَّاسِخِ مِنَ الْمَنْسُوخِ).

الفائدة الأولى:

أن نعرفَ أنَّ القرآنَ أبلغُ ما يكونُ في الكلامِ؛ لأنَّه يخاطبُ كلَّ قومٍ بما تقتضيه حالُهم.

ويتفرَّعُ عنها:

أن نسلُكَ مَسلكَ القرآنِ، فنُخاطبَ كلَّ قومٍ بما تقتضيه حالُهم؛ فلا يستوي الجاهلُ جهلًا بسيطًا والعالمُ المُعاندُ.

الفائدة الثَّانية:

أألن نعرفَ حكمة التَّشريع، حيث أتىٰ شيئًا فشيئًا لئلَّا يصعُب علىٰ النَّاس، فلم يُفرض الصَّوم والزَّكاة ونحوها في مكَّة، وإنَّما فُرضت وبُيِّنت في الآيات المدنيَّة.

ويتفرَّعُ عنها:

أن نسلُكَ مَسلكَ القرآنِ، فإذا رأينا شخصًا عنده مُنكراتٌ كثيرةٌ نبدأ في نصيحتِه بالأهمِّ فالمُهمِّ، وكذا في الأوامر نعطيه شيئًا فشيئًا حتَّىٰ يلين، ونبدأ بالمُتَّفق عليه الَّذي لا يكون فيه مُعارضةٌ؛ ليقبل منَّا.

الفائدة الثَّالثة:

تربية الدُّعاة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، فالإنسان الَّذي آتاه الله الحكمة يعرف كيف يتصرَّف، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩].
فينبغي للدَّاعي إلىٰ الله أن يبدأ بالأهمِّ فالمهمِّ، وأن يستعمل:

[١] السُّهولة في موضعها:

مثاله: جاء أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُزْرِمُوهُ، دَعُوهُ**»، فَتَرَكُوهُ حَتَّىٰ بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**». أخرجه مسلمٌ بتمامه.
وقال الأعرابيُّ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا! أخرجه البخاريُّ.

[٢] الشِّدَّة في موضعها:

مثاله: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي، فقَالَ ﷺ: «**فَهَلَّا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ، فَيَنْظُرُ يُهْدَىٰ لَهُ أَمْ لَا؟**». مُتَّفقٌ عليه.
وكذلك: رَأَىٰ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ: «**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ!**». أخرجه مسلمٌ.

من الـمفاسد الَّتي قد تترتَّب على قيام الرَّجل من بوله قبل تمامه:

[١] لو قام فإمَّا أن يكون كاشفًا عورته، وإمَّا أن يغطِّيها فيصيب ثوبَه البول.

[٢] إذا قطع بوله كان ضررٌ علىٰ قنوات البول.

[٣] لو قام فلربَّما تساقطت نقطٌ من البول فتتَّسع رقعة النَّجاسة.

الفائدة الرَّابعة:

فإذا وجدنا آيتين مُتعارضتين، ولم يمكن الجمع بينهما؛ فإنَّنا نعمل بالنَّسخ، والآيات المدنيَّة ناسخةٌ للآيات المكِّيَّة؛ لأنَّها مُتأخِّرةٌ عنها، والنَّسخ ثابتٌ في كلِّ الشَّرائع.

ومن أهمِّ شروط إثباته: معرفة المُتأخِّر من النَّصَّين، ولهذا فإنَّ عدد المواضع الَّتي يثبت فيها النَّسخ حقيقةً لا يبلغ أكثر من عشرةٍ كما ذكره ابن القيِّم في «إعلام الموقِّعين».

ولا يجوز ادِّعاء النَّسخ بمجرَّد العجز عن الجمع؛ لأنَّه من الكذب علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

النَّسخ:

[١] **لغةً:** الإزالة والنَّقل.

[٢] **اصطلاحًا:** (رفْع حكم دليلٍ شرعيٍّ أو لفظِه بدليلٍ من الكتاب والسُّنَّة):

[أ] **خرَجَ بقولِنا:** (**رفْع حكم**): تغييره من إيجابٍ إلىٰ إباحةٍ، أو من إباحةٍ إلىٰ تحريم مثلًا، فخرج بذلك تخلُّف الحكم لفوات شرطٍ أو وجود مانع؛ كأن يرتفع وجوب الزَّكاة لنقص النِّصاب؛ فلا يُسمَّىٰ ذلك نسخًا.

[ب] **خرَجَ بقولِنا:** (**أو لفظه**): لفظ الدَّليل الشَّرعيِّ؛ لأنَّ النَّسخ إمَّا أن يكون للحكم دون اللَّفظ، أو بالعكس، أو لهما جميعًا؛ كما سيأتي.

[ج] **خرَجَ بقولنا:** (**بدليلٍ من الكتاب والسُّنَّة**): غيرهما من الأدلَّة فلا يُنسخ به.

النَّسخ جائزٌ عقلاً:

[١] لأنَّ الأمر والحكم بيد الله؛ لأنَّه الرَّبُّ المالك، فله أن يُشرِّع لعباده ما تقتضيه حكمته ورحمته، وهل يمنع العقل أن يأمر المالكُ مَملوكَه بما أراد؟

[٢] لأنَّ مُقتَضىٰ حِكمة الله ورحمته بعباده أن يشرِّع لهم ما يعلم تعالىٰ أنَّ فيه قيام مَصالح دينهم ودنياهم، والمَصالح تختلف بحسب الأحوال والأزمان، فقد يكون الحُكم في وقتٍ أو حالٍ أصلح للعباد، ويكون غيرُه في وقتٍ أو حالٍ أخرىٰ أصلح، والله عليمٌ حكيمٌ.

والنَّسخ واقعٌ شرعًا، ومن أدلَّته:

[١] قوله تعالىٰ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة:١٠٦].

[٢] قوله تعالىٰ: ﴿ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ﴾[الأنفال:٦٦]، وقوله: ﴿فَٱلۡـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ﴾[البقرة:١٨٧]؛ فإنَّ هذا نصٌّ في تغيير الحكم السَّابق.

[٣] قوله ﷺ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا**». أخرجه مسلمٌ. فهٰذا نصٌّ في نسخ النَّهي عن زيارة القبور.

من حِكم النَّسخ:

[١] مُراعاة مَصالح العباد بتشريع ما هو أنفع لهم في دينهم ودنياهم.

[٢] التَّطوُّر في التَّشريع حتَّىٰ يبلغ الكمال.

[٣] اختبار المُكلَّفين باستعدادهم لقبول التَّحوُّل من حُكمٍ إلىٰ آخر ورِضاهم بذلك.

[٤] اختبار المُكلَّفين بقيامهم: بوظيفة الشُّكر إذا كان النَّسخ إلىٰ أخفَّ، ووظيفة الصَّبر إذا كان النَّسخ إلىٰ أثقل.

شروطُ النَّسخ:

[١] تعذُّرُ الجمع بين الدَّليلين:

[١] فإن أمكن الجمع فلا نسخ لإمكان العمل بكلٍّ منهما.

[٢] العلمُ بتأخُّر النَّاسخ:

[أ] **إمَّا بالنَّصِّ**: كقولـه ﷺ: «**كُنْتُ أَذِنْتُ لَكُمْ فِي الِاسْتِمْتَاعِ مِنَ النِّسَاءِ، وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». أخرجه مسلمٌ.

[ب] **أو بخبر الصَّحابيِّ**: كقول عائشة رضي الله عنها: «**كَانَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُحَرِّمْنَ، ثُمَّ نُسِخْنَ بِخَمْسٍ مَعْلُومَاتٍ**». أخرجه مسلمٌ.

[ج] **أو بالتَّاريخ**: مِثْلَ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال:٦٦] الآية؛ و﴿ٱلْـَٔـٰنَ﴾ يدلُّ على تأخُّر هذا الحكم، وكذا لو ذُكر أنَّ النَّبيَّ ﷺ حكم بشيءٍ قبل الهجرة، ثمَّ حكم بعدها بما يُخالفه، فالثَّاني ناسخٌ، ولا توجدُ آيةٌ مكِّيَّةٌ تنسَخُ آيةً مدنيَّةً.

[٣] ثبوتُ النَّاسخ:

[أ] اشترط الجمهور: أن يكون أقوىٰ من المَنسوخ أو مُماثلًا له؛ فلا يُنسخ المُتواتر عندهم بالآحاد وإن كان ثابتًا.

[ب] والأرجح أنَّه لا يُشترط أن يكون النَّاسخ أقوىٰ أو مُماثلًا؛ لأنَّ محلَّ النَّسخ الحُكم، ولا يُشترط في ثبوته التَّواتر.

ينقسم النَّسخ إلى أقسامٍ باعتباراتٍ:

[١] باعتبارِ المَنسوخِ.

[٢] باعتبارِ النَّاسخِ.

[٣] باعتبار خفَّةِ الحُكمِ.

النَّسخ باعتبار النَّصِّ الـمَنسوخ ثلاثة أقسامٍ:

[١] ما نُسخ حكمُه وبقي لفظُه:
وهو كثيرٌ في القرآن، مثاله: آيتا المُصابرة، وهما قوله تعالىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ﴾[الأنفال:٦٥]، نُسخ حكمُها بـ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ...﴾[الأنفال:٦٦].

[١] **الحِكمةُ**: بقاء ثواب التِّلاوة، وتذكير الأمَّة بحِكمة النَّسخ.

[٢] ما نُسخ لفظُه وبقي حكمُه:
كآية الرَّجم، فقد ثبت في «الصَّحيحين» من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**كَانَ فِيمَا أَنْزَلَ اللهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا، وَرَجَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ، فَأَخْشَىٰ إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللهِ مَا نَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللهِ...**».

[٢] **الحِكمةُ**: اختبار الأمَّة في العمل بما لا يجدون لفظَه في القرآن، عكس اليهود الَّذين كتموا نصَّ الرَّجم في التَّوراة.

[٣] ما نُسخ حكمُه ولفظُه:
كنسخ حكم الرَّضعات العشر السَّابق في حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

النَّسخ باعتبار النَّاسخ أربعة أقسامٍ:

[١] نسخ القرآن بالقرآن:
ومثاله آيتا المُصابرة.

[٢] نسخ القرآن بالسُّنَّة:
ولم نجد له مثالًا سليمًا.

[٣] نسخ السُّنَّة بالقرآن: ومثاله:
نسخ استقبال بيت المَقدس الثَّابت بالسُّنَّة باستقبال الكعبة الثَّابت بقوله تعالىٰ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾[البقرة:١٤٤].

[٤] نسخ السُّنَّة بالسُّنَّة:
ومثاله قوله ﷺ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ النَّبِيذِ فِي الْأَوْعِيَةِ، فَاشْرَبُوا فِيمَا شِئْتُمْ، وَلَا تَشْرَبُوا مُسْكِرًا**». أخرجه مسلم.

النَّسخُ باعتبارِ خِفَّةِ الحُكمِ وثِقَلِه ثلاثَةُ أقسامٍ:

[١] **إلى أخفَّ**: وهو كثيرٌ، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ ﴾[الأنفال:٦٦].

[٢] **إلى أثقلَ**: ومثالُه التَّدرُّج في تحريمِ الخمرِ، حيثُ انتُقِلَ مِن الإباحةِ إلىٰ التَّحريمِ وقتَ الصَّلواتِ، ثمَّ إلىٰ التَّحريمِ الكُلِّيِّ.

[٣] **إلى مُساوٍ**: ومثالُه نسخُ استقبالِ بيتِ المَقدِسِ بالكَعبَةِ.

صُوَرٌ يمتَنِعُ فيها النَّسخ:

[١] **الأخبار:**

[أ] **خبَرٌ مَحض**: يمتَنِعُ نَسخُه؛ لأنَّ نسخ أحد الخبرين يستلزم أن يكون أحدهما كذبًا، والكذب مُستحيلٌ في أخبار الله ورسوله ﷺ.

[ب] **حُكمٌ في صورَةِ الخبَرِ**: لا يمتنع نسخُه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾ [الأنفال:٦٥] الآية، فإنَّ هذا خبرٌ معناه الأمر، ولذا جاء نسخه في الآية الَّتي بعدها، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلۡـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ ﴾ [الأنفال:٦٦].

[٢] **الأحكام الَّتي تكون مَصلَحةً في كلِّ زمانٍ ومكانٍ:**

[أ] **الأمرُ**: كالتَّوحيد، وأصول الإيمان، وأصول العبادات، ومَكارم الأخلاق؛ من الصِّدق، والعفاف، والكرم، والشَّجاعة، ونحو ذلك؛ فلا يمكن نسخ الأمر بها.

[ب] **النَّهيُ**: عمَّا هو قبيحٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ؛ كالشِّرك، والكفر، ومَساوئ الأخلاق من الكذب والفجور والبُخل والجُبن ونحو ذلك.

يَمتَنِعُ النَّسخُ في الحالَين؛ إذ الشَّرائع كلُّها لتَحقيقِ المَصالح ودفع المَفاسد.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

(الْحِكْمَةُ مِن نُزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُفَرَّقًا:

مِنْ تَقْسِيمِ الْقُرْآنِ إِلَىٰ مَكِّيٍّ وَمَدَنِيٍّ يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ نَزَلَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ مُفَرَّقًا، وَلِنُزُولِهِ عَلَىٰ هَٰذَا الْوَجْهِ حِكَمٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

١. تَثْبِيتُ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ﴾ يَعْنِي: كَذَلِكَ نَزَّلْنَاهُ مُفَرَّقًا ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ لِيَصُدُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان].

٢. أَنْ يَسْهُلَ عَلَىٰ النَّاسِ حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، حَيْثُ يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ شَيْئًا فَشَيْئًا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦﴾ [الإسراء].

٣. تَنْشِيطُ الْهِمَمِ لِقَبُولِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَتَنْفِيذِهِ، حَيْثُ يَتَشَوَّقُ النَّاسُ بِلَهَفٍ وَشَوْقٍ إِلَىٰ نُزُولِ الْآيَةِ، لَا سِيَمَا عِنْدَ اشْتِدَادِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ كَمَا فِي آيَاتِ الْإِفْكِ وَاللِّعَانِ).

حِكمُ نزول القرآن مُفرَّقًا:

- [١] (تَثْبِيتُ قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ).
- [٢] (أَنْ يَسْهُلَ عَلَىٰ النَّاسِ حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ).
- [٣] (تَنْشِيطُ الْهِمَمِ لِقَبُولِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَتَنْفِيذِهِ).
- [٤] (التَّدَرُّجُ فِي التَّشْرِيعِ حَتَّىٰ يَصِلَ إِلَىٰ دَرَجَةِ الْكَمَالِ).

الحِكمة الأولى:

تثبيتُ قلب النَّبيِّ ﷺ، ولو نزل جملةً واحدةً لحصلت الموعظة في أوَّل نزوله، لكن قد ينسىٰ الإنسان، وقد يغفل، فإذا نزل مرَّةً ثانيةً ازداد ثباتًا.

واستدلَّ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ بآية الفرقان.

من معاني آية الفرقان:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ كما نزل في الكتب السَّابقة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: أنزلناه كذلك مُفرَّقًا، ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾ أي: لأجل أن يكون مُرتَّلًا، والتَّرتيل: أن يقرأه شيئًا فشيئًا، ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ ليصدُّوا النَّاس عن سبيل الله ﴿إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾[الفرقان] أي: أحسن بيانًا ووضوحًا؛ لأنَّ الشُّبهة ترد علىٰ النَّبيِّ ﷺ في أوقاتٍ مُختلفةٍ، فإذا وردت الشُّبهة نزل القرآن في حلِّها.

الحِكمة الثَّانية:

إذا نزل مُفرَّقًا سهُل علىٰ النَّاس:

- [١] حفظُه.
- [٢] فهمُه.
- [٣] العملُ به.

ويتفرَّعُ عنها:

أنَّ من أراد أن يحفظ القرآن عن ظهر قلبٍ؛ فالأفضل ألَّا يقرأ جملةً واحدةً، بل يجعله مُفرَّقًا، يقرأ خمسة أسطرٍ حتَّىٰ يحفظها، ثمَّ خمسةً... فإذا أتمَّ جملةً صالحةً للإعادة أعادها كلَّها.

الحِكمة الثَّالثة:

أنَّه إذا تأخَّر نزول القرآن صار النَّاس يتشوَّقون، وينتظرونه بفارغ الصَّبر، فإذا نزل القرآن في شدَّة الاشتياق كان أدعىٰ لقبوله، والعمل به، والرَّاحة فيه، ومثَّل المُصنِّف لذلك بآية اللِّعان، والإفك، ومن الأمثلة كذلك: آية الظِّهار وغيرها.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

٤. (التَّـدَرُّجُ فِـي التَّشْـرِيعِ حَتَّـىٰ يَصِـلَ إِلَـىٰ دَرَجَـةِ الْكَمَـالِ، كَمَـا فِي آيَـاتِ الْخَمْـرِ الَّذِي نَشَـأَ النَّـاسُ عَلَيْـهِ وَأَلِفُـوهُ، وَكَانَ مِـنَ الصَّعْـبِ عَلَيْهِـمْ أَنْ يُجَابَهُـوا بِالْمَنْـعِ مِنْهُ مَنْعًـا بَاتًّا، فَنَـزَلَ فِي شَـأْنِهِ:

أَوَّلًا: قَوْلُـهُ تَعَالَـىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾[البقـرة:٢١٩]، فَـكَانَ فِـي هَـٰذِهِ الْآيَـةِ تَهْيِئَـةٌ لِلنُّفُـوسِ لِقَبُـولِ تَحْرِيمِـهِ، حَيْـثُ أَنَّ الْعَقْـلَ يَقْتَضِـي أَنْ لَا يُمَـارِسَ شَـيْئًا إِثْمُـهُ أَكْبَـرُ مِـنْ نَفْعِـهِ.

ثُمَّ نَـزَلَ ثَانِيًا: قَوْلُهُ تَعَالَـىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[النِّسـاء:٤٣]، فَـكَانَ فِـي هَـٰذِهِ الْآيَـةِ تَمْرِيـنٌ عَلَـىٰ تَرْكِهِ فِـي بَعْـضِ الْأَوْقَاتِ، وَهِـيَ أَوْقَـاتُ الصَّلَوَاتِ.

ثُـمَّ نَزَلَ ثَالِثًـا: قَوْلُـهُ تَعَالَـىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾[المائـدة]، فَـكَانَ فِـي هَـٰذِهِ الْآيَـاتِ الْمَنْـعُ مِـنَ الْخَمْـرِ مَنْعًـا بَاتًّـا فِـي جَمِيـعِ الْأَوْقَـاتِ، بَعْـدَ أَنْ هُيِّئَـتِ النُّفُـوسُ ثُـمَّ مُرِّنَـتْ عَلَـىٰ الْمَنْـعِ مِنْـهُ فِـي بَعْـضِ الْأَوْقَاتِ).

الحِكمة الرَّابعة:

التَّدرُّج في التَّشريع، وأظهر الأمثلة علىٰ ذلك الخمر كما ذكره المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومن ذلك الصَّلوات فُرضت ركعتين ثمَّ زيدت في الحضر، وكذلك الصِّيام كان الإنسان فيه مُخيَّرًا بين الصِّيام والإطعام، والصِّيامُ أفضل، ثمَّ بعد ذلك تعيَّن الصِّيام فكان سهلًا؛ لأنَّ النُّفوس تهيَّأت لإيجابه.

هل لنا أن نتدرَّج مع الـمَدعُوِّ:

[١] الـمُقصِّر في ترك الـمُنكَر:

نعم، لا لكي ينسلخ من الدِّين، ولا إقرارًا له علىٰ المعصية، وإنَّما تسهيلًا عليه.

مثالُه: من لم يستطع ترك التَّدخين مرَّةً واحدةً، وقال: اسمحوا لي أن أشربه في اليوم مرَّتين، نقول: لا بأس؛ لأنَّه ربَّما بالتَّدرُّج ينتفع.

[٢] الـمُقصِّر في فعل الواجب:

لا نتساهل فيه، بل نقول له: قم بالواجب.

مثالُه: لو قال رجلٌ: اسمحوا لي أن أصلِّي الظُّهر والعصر والمغرب فقط، وأمَّا الفجر والعشاء فيصعب عليَّ، فإنَّ النَّفس لا تطمئنُّ لذلك، بل نلزمه أن يصلِّي الجميع، مع أنَّه ورد عند أصحاب «السُّنن» بسندٍ صحيح أنَّ ثقيفًا اشترطوا علىٰ النَّبيِّ ﷺ أن لا صدقة عليهم ولا جهاد، فقبل منهم ﷺ، وقال: «**سَيَتَصَدَّقُونَ وَيُجَاهِدُونَ إِذَا أَسْلَمُوا**».

ما هو الخمرُ؟

قال النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**». أخرجه مسلمٌ.
والإسكارُ هو: (تغطيةُ العقل علىٰ وجه الطَّرب واللَّذَّة)، سُمِّي خمرًا لأنَّه يغطِّي العقل كما يغطِّي الخِمارُ وجه المرأة ورأسَها.

حكم الخمر في أوَّل الإسلام:

كان الخمرُ حلالًا في أوَّل الإسلام؛ لأنَّ الإسلام أقرَّهم عليه كما في قصَّة حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المُتَّفق عليها.
وقيل إنَّ الخمر كان حلالًا بقوله تعالىٰ: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[النَّحل:٦٧].
ثمَّ مرَّ تحريمُ الخمر بثلاث مَراحل كما ذكر المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

المرحلةُ الأولى من مراحل تحريم الخمر:

قال تعالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ أي: عن حكمهما، فلم يقل: حرامٌ، وإنَّما عرَّض فقال: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ بالكيفيَّة ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ بالكمِّيَّة، فالمنافع جمع جموع يدلُّ علىٰ الكثرة، والإثم واحدٌ لكنَّه في الكيفيَّة أشدُّ، ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ﴾ كيفيَّةً، ولم يقل: أكثر؛ لأنَّ الكثرة ترجع إلىٰ الكمِّيَّة، ﴿مِن نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة:٢١٩] أفرد النَّفع ليدلَّ علىٰ أنَّ المنافع الَّتي يظنُّها الظَّانُّ كثيرةً هي في الحقيقة نفعٌ واحدٌ، والميسرُ هو: (كلُّ مُعاملةٍ يكون الإنسان فيها إمَّا غانمًا وإمَّا غارمًا)، سُمِّيت كذلك ليُسر الرِّبح فيها.

وهذه الآية تهيئةٌ للتَّحريم؛ لأنَّ العاقل لا يُقدم علىٰ شيءٍ إثمُه أكبر من نفعه.

المرحلةُ الثَّانية من مراحل تحريم الخمر:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النِّساء:٤٣]، وفي هذا تحريمُ شرب الخمر في أوقات الصَّلوات الخمس، تمرينًا للمؤمنين علىٰ ترك الخمر في بعض الأوقات.

وفي قولِه تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ عدَّة فوائد منها:

[١] أنَّ السَّكران لا يعلم ما يقول، فلو أنَّ سكرانًا أعتق جميع عبيده فإنَّهم لا يعتقون؛ لأنَّه لا يعلم ما يقول، وكذلك لو طلَّق نساءه فإنَّهنَّ لا يطلقن، ويُقاسُ عليه الغضبان الَّذي أطبق عليه الغضب.

[٢] وجوبُ الخشوع في الصَّلاة، وهو: (إحضار القلب)؛ لأنَّه لا يمكن أن يعلم ما يقول إلَّا إذا كان قلبُه حاضرًا، والرَّاجح أنَّ الصَّلاة لا تبطل مع عدم الخشوع؛ لقوله ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَىٰ النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّىٰ إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ، حَتَّىٰ يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّىٰ يَظَلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّىٰ**». مُتَّفقٌ عليه. ولم يُبطل صلاتَه.

المرحلة الثَّالثة من مراحل تحريم الخمر:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ نداءٌ للتَّنبيه، وخصَّ المؤمنين لأنَّ إيمانهم يقتضي الامتثال والطَّاعة، ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ﴾ جمع نَصْبٍ وهي: الأوثان ﴿وَٱلۡأَزۡلَٰمُ﴾ وهي ما يُستَقسَمُ به، ﴿رِجۡسٞ﴾ أي: نجسةٌ نجاسةً معنويَّةً ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، قدَّم العلَّة قبل بيان الحكم؛ ليجعل النَّفس تُقبِلُ علىٰ الحكم عن اقتناعٍ وعقلٍ، ﴿فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ هذا هو الحكم، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ للتَّعليل، ﴿تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ هذه هي ثمرة امتثال الحكم، والفلاحُ هو: (حصولُ المَطلوب، والنَّجاةُ من المَرهوب).

الأنصابُ والأزلامُ والخمر والميسر:

[١] من حيثُ أصلُ الحكم:
تشتركُ في كونِها تُنافي كمال التَّوحيد.

[٢] من حيثُ الحكمُ التَّفصيليُّ:
الأنصابُ أشدُّها تحريمًا؛ لأنَّها شركٌ أكبر، ثمَّ الأزلام دونها في التَّحريم، ثمَّ الخمر والميسر دونهما.

النَّجاسة (الرِّجس) نوعان:

[١] حسِّيَّةٌ:
ومن ذلك أنَّه ﷺ أمر مُناديًا يُنادي: «إِنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا رِجْسٌ». مُتَّفقٌ عليه.

[٢] معنويَّةٌ:
ومن ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ٣٠﴾[الحج]. وكذلك في آية المائدة نجاسةٌ حسِّيَّةٌ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أطلق علىٰ الأربعة أنَّها رجسٌ، وليس كلُّها يصحُّ أن يكون نجاسةً معنويَّةً، كما أنَّه عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾، فهي نجاسةٌ عمليَّةٌ.

هل الخمر نجسةٌ نجاسةً حسِّيَّةً؟

الخمر طاهرةٌ طهارةً حسِّيَّةً، ونجسةٌ نجاسةً معنويَّةً، وليست نجسةً نجاسةً حسِّيَّةً، ولا يلزم من كونها حرامًا كونُها نجسةً، ولا يلزم من كونه ﷺ وصفها بأنَّها أمُّ الخبائث أن تكون نجسةً، بل المقصود الخبائث المعنويَّة، وممَّا يدلُّ علىٰ عدم نجاسة الخمر أنَّ الأصل الطَّهارة، ولمَّا لم يقم دليلٌ علىٰ كونها نجسةً نجاسةً حسِّيَّةً بقينا علىٰ الأصل، كما أنَّ لخمر لمَّا حُرِّمت أرقاها الصَّحابة من أوانيهم، ولم يُؤمَروا بغسل الأواني.

ما هي عقوبةُ شاربِ الخمرِ؟

عقوبة شارب الخمر الرَّدع والتَّعزير بما لا يقلُّ عن أربعين جلدةً، وليست حدًّا، وقد كان علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ يُضرب نحوًا من أربعين جلدةً، ثمَّ تقرَّرت الأربعون في عهد أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثمَّ لمَّا كثر شرب الخمر من حديثي العهد بالإسلام في عهد عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أشار عليه عبد الرَّحمن بن عوفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يجعلها ثمانين جلدةً، ووافقه الصَّحابة علىٰ ذلك.

تتمَّة آيات المائدة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾، فكلُّ عمل يوجب العداوة والبَغضاء فهو من وحي الشَّيطان، ﴿فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ أي: بسببهما، ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ باللِّسان، وبالجَنان وهو القلب، وهذا هو البلاءُ! ومن شرب الخمر غفل عن ذكر الله، ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ والصَّلاةُ أفضل ذكر الله، نصَّ علىٰ الخاصِّ بعد العامِّ لشرفه، وصدُّ الشَّيطان عنها يكون بالإشغال عنها، أو بالوسوسة فيها، ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١﴾ استفهامٌ بمعنىٰ الأمر، أي: فانتهوا، ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ ولا فرق بينهما، لكن كلَّما كان الأمر أهمَّ احتيج إلىٰ التَّنصيص علىٰ وجوب طاعة النَّبيِّ ﷺ، ﴿وَٱحْذَرُواْ﴾ مُخالفتَهما، ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ ولم تحذروا مُخالفتَهما، ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا﴾ للحصر، ﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ البيِّن في نفسه، والمُبيِّن لمن يسمعه، فالرَّسول لا ينفعهم، وليس مسؤولًا عنهم، فهو عليه البلاغ فقط، فإذا بلَّغ برئت ذمَّته، وكذا ورثتُه العلماء ليس عليهم إلَّا البلاغ.

مسألةٌ مهمَّةٌ:

ما كان فيه نسبةٌ قليلةٌ من الخمر (المُسكِر) لا تُؤثِّر فيه، مثل جزءٍ من مائة جزءٍ، حيث إنَّ من شربه لم يسكر به فهل يحرُم؟

الجواب: لا يحرم، ولا يصحُّ أن يُستدلَّ لتحريمه بما أخرجه أصحاب «السُّنن»: «**مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ**»؛ لأنَّ مُراده ﷺ الَّذي لا يحتمل سواه أنَّ: الشَّيء الَّذي إذا شربت منه كثيرًا سكرت فالقليل منه حرامٌ، وهذا الَّذي خالطته نسبةٌ قليلةٌ من الخمر لا يُسكِر الكثيرُ منه، فهو ليس بحرام.

ومن ذلك: بعض الأدوية الَّتي فيها القليل من المُسكِر، وكذا بعض الأطياب، بشرط أن يكون المُسكِر فيها قليلًا جدًّا لا أثر له، ويجوز التَّطيُّب بها بلا إشكالٍ.

وأمَّا إذا كان المُسكِر فيها كثيرًا فالأحوط أن نجتنب التَّطيُّبَ، وكذلك بيعَها، وشراءَها، وغيرَ ذلك، فإذا دعت الحاجة لاستعمال المُسكِر في غير الشُّرب كتعقيم الجروح ونحوِها فلا بأس.

من مسائل السَّكران:

[١] الطَّلاق:

لا يقع طلاقُه؛ لأنَّه لا يعلم ما يقولُ، وعند أحمد في «المُسند»: «**لَا طَلَاقَ وَلَا عِتَاقَ فِي إِغْلَاقٍ**»، والسَّكران مُغلقٌ عليه.

[٢] القتل العمد:

لَمَّا كان القتل العمد يتعلَّق بحقوق الآدميِّين قلنا: يُقتل قصاصًا، وقيل: لا يُقتل إلَّا إذا شرب الخمر ليقتُل؛ لأنَّ الحيل لا تُبطل الأحكام الشَّرعيَّة.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

(تَرْتِيبُ الْقُرْآنِ):

تَرْتِيبُ الْقُرْآنِ: تِلَاوَتُهُ تَالِيًا بَعْضُهُ بَعْضًا، حَسَبَ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الْمَصَاحِفِ، وَمَحْفُوظٌ فِي الصُّدُورِ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: تَرْتِيبُ الْكَلِمَاتِ بِحَيْثُ تَكُونُ كُلُّ كَلِمَةٍ فِي مَوْضِعِهَا مِنَ الْآيَةِ، وَهٰذَا ثَابِتٌ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، وَلَا نَعْلَمُ مُخَالِفًا فِي وُجُوبِهِ، وَتَحْرِيمِ مُخَالَفَتِهِ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْرَأَ: (للهِ الْحَمْدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) بَدَلًا مِنْ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة].

النَّوْعُ الثَّانِي: تَرْتِيبُ الْآيَاتِ بِحَيْثُ تَكُونُ كُلُّ آيَةٍ فِي مَوْضِعِهَا مِنَ السُّورَةِ، وَهٰذَا ثَابِتٌ بِالنَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ، وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْقَوْلِ الرَّاجِحِ، وَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْرَأَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) بَدَلًا مِنْ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة].

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، وَقَدْ نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الْأُخْرَىٰ، يَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]، وَهٰذِهِ قَبْلَهَا فِي التِّلَاوَةِ، قَالَ: فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ فَقَالَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا ابْنَ أَخِي، لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ.

وَرَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ، دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ، فَيَقُولُ: «ضَعُوا هٰذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا».

النَّوْعُ الثَّالِثُ: تَرْتِيبُ السُّوَرِ بِحَيْثُ تَكُونُ كُلُّ سُورَةٍ فِي مَوْضِعِهَا مِنَ الْمُصْحَفِ، وَهٰذَا ثَابِتٌ بِالِاجْتِهَادِ، فَلَا يَكُونُ وَاجِبًا، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّىٰ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ النِّسَاءَ، ثُمَّ آلَ عِمْرَانَ، وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ تَعْلِيقًا عَنِ الْأَحْنَفِ: أَنَّهُ قَرَأَ فِي الْأُولَىٰ بِالْكَهْفِ، وَفِي الثَّانِيَةِ بِيُوسُفَ، أَوْ يُونُسَ، وَذَكَرَ أَنَّهُ صَلَّىٰ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الصُّبْحَ بِهِمَا.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: تَجُوزُ قِرَاءَةُ هٰذِهِ قَبْلَ هٰذِهِ، وَكَذَا فِي الْكِتَابَةِ، وَلِهٰذَا

تَنَوَّعَتْ مَصَاحِفُ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم فِي كِتَابَتِهَا، لَكِنْ لَمَّا اتَّفَقُوا عَلَى الْمُصْحَفِ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ رضي الله عنه صَارَ هَذَا مِمَّا سَنَّهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَقَدْ دَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ لَهُمْ سُنَّةً يَجِبُ اتِّبَاعُهَا).

التَّرتيبُ أربعةُ أنواعٍ:

[١] ترتيبُ الحروف في الكلمة، وهذا واجبٌ بإجماعٍ.

[٢] (تَرْتِيبُ الْكَلِمَاتِ) بعضِها مع بعضٍ، وهو كذلك واجبٌ بإجماعٍ.

[٣] (تَرْتِيبُ الْآيَاتِ) بعضِها مع بعضٍ، وهو واجبٌ على القول الرَّاجح.

[٤] (تَرْتِيبُ السُّوَرِ) بعضِها مع بعضٍ، وهو غير واجبٍ؛ لأنَّ التَّرتيب ثبت بالاجتهاد.

لم يذكر المُصنِّف في المتن النَّوعِ الأوَّل؛ لأنَّه لا أحد يتجرَّأ عليه، ولا شكَّ في تحريمه، فإنَّه غير جائزٍ بالنَّصِّ والإجماع؛ لأنَّه من تحريف الكلم عن مواضعه.

النَّوعُ الثَّاني: ترتيبُ الكلمات

ترتيبُ الكلمات واجبٌ باتِّفاقٍ، فلا يجوز أن يقرأ (للهِ الْحَمْدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) بدل ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾[الفاتحة].

هل تبطل الصَّلاة بتقديم كلمةٍ عن محلِّها:

[١] **في العمد**: تبطُل.

[٢] **في السَّهو**: لا تبطُل.

النَّوع الثَّالث: ترتيبُ الآيات

اختلف العلماء هل ترتيب الآيات توقيفيٌّ أو اجتهاديٌّ، والصَّحيح أنَّه قد دلَّ النَّصُّ علىٰ أنَّ ترتيب الآيات توقيفيٌّ، من ذلك ما أخرجه أحمد في «المُسند»: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ...**»، وحكىٰ غير واحدٍ الإجماع عليه. وعلىٰ هذا فالرَّاجح أنَّ ترتيب الآيات واجبٌ تحرُم مُخالفتُه، فلا يجوز أن يقرأ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) بدل ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[الفاتحة]، والمُخالفة في هذا أخفُّ من المُخالفة في ترتيب الكلمات.

النَّوع الرَّابع: ترتيبُ السُّور منه:

[١] الاجتهاديُّ:
وهو الأكثر، ففي «صحيح مسلم» من حديث حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه صلَّىٰ مع النَّبيِّ ﷺ ليلةً فقرأ في ركعةٍ البقرة ثمَّ النِّساء ثمَّ آل عمران.

[٢] التَّوقيفيُّ:
ومن ذلك قراءته ﷺ سبِّح والغاشية في الجمعة كما في «صحيح مسلمٍ» من حديث النُّعمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولهذا فإنَّ ترتيب السُّور غير واجبٍ.

لـماذا قدَّم الصَّحابة آل عمران على النِّساء في ترتيب المصحف؟

[١] لأنَّ النَّبيَّ ﷺ جمع بين البقرة وآل عمران في الفضل، قال ﷺ: «اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أخرجه مسلمٌ.

[٢] لعلَّ التَّرتيب اختلف بعد العرضة الأخيرة الَّتي عرضها النَّبيُّ ﷺ علىٰ جبريل، بعد أن سمعه حذيفة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فيزول الإشكال حينئذٍ.

حكم مُخالفة ترتيب السُّور:

[١] أمام عوامِّ النَّاس:
لا ينبغي؛ لما فيه من التَّشويش وإثارة الفتنة.

[٢] في مجال التَّعليم:
لا بأس به، وجرت العادة بتعليم الصِّبيان بدءًا من سورة النَّاس.

ما علاقة القراءات الـمُتواترة بمصحف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟

عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جمع النَّاس علىٰ مُصحفٍ واحدٍ، بعثه إلىٰ كلِّ أُفقٍ من الآفاق الإسلاميَّة، وكلُّ القراءات المُتواترة لا تخرج عن هذا المُصحف.

سادسًا: الـمَكِّيُّ والـمَدَنِيُّ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (لِكِتَابَةِ الْقُرْآنِ وَجَمْعِهِ ثَلَاثُ مَرَاحِلَ:

الْـمَرْحَلَةُ الْأُولَى: فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ الِاعْتِمَادُ فِي هٰذِهِ الْمَرْحَلَةِ عَلَى الْحِفْظِ أَكْثَرَ مِنَ الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ الْكِتَابَةِ؛ لِقُوَّةِ الذَّاكِرَةِ، وَسُرْعَةِ الْحِفْظِ، وَقِلَّةِ الْكَاتِبِينَ، وَوَسَائِلِ الْكِتَابَةِ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُجْمَعْ فِي مُصْحَفٍ، بَلْ كَانَ مَنْ سَمِعَ آيَةً حَفِظَهَا، أَوْ كَتَبَهَا فِيمَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ عُسُبِ النَّخْلِ، وَرِقَاعِ الْجُلُودِ، وَلِخَافِ الْحِجَارَةِ، وَكِسَرِ الْأَكْتَافِ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ عَدَدًا كَبِيرًا. فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ سَبْعِينَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَّاءُ، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانِ مِنْ بَنِي سُلَيْم -رِعْلٌ وَذَكْوَانُ- عِنْدَ بِئْرِ مَعُونَةِ، فَقَتَلُوهُمْ، وَفِي الصَّحَابَةِ غَيْرُهُمْ كَثِيرٌ؛ كَالْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ مَوْلَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ).

فائدةٌ:

أوَّلُ مَن حفِظَ القرآنَ جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمَّ نبيُّنا محمَّدٌ ﷺ، ثمَّ الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وجمَعَه مِنهم في حياةِ النَّبيِّ ﷺ أربعةٌ: «**أُبَيٌّ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَبُو زَيْدٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ**». مُتَّفقٌ عليه.

مراحلُ كتابةِ القرآنِ ثلاثةٌ:

[١] في عهد النَّبيِّ ﷺ: كان الاعتماد علىٰ الحفظ أكثر من الكتابة، وكتب الصَّحابة أجزاءً مُتفرِّقةً من القرآن.

[٢] في عهد أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بمشورة عمر أمر أبو بكرٍ زيد بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أن يجمع القرآن في مُصحفٍ واحدٍ لئلَّا يضيع، ولم يحمل النَّاس عليه.

[٣] في عهد عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: خشي أن يفتتن النَّاس باختلاف القراءات، فأمر زيد بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يجمع مُصحفًا واحدًا وحمل النَّاس عليه، وحرَّق ما سواه.

من أسباب الاعتماد على الحفظ في العهد النَّبويِّ:

[١] قوَّة الذَّاكرة: كان الواحد من الصَّحابة لا يكاد ينسىٰ شيئًا حفظه، وكلَّما أراد شيئًا استحضره بسرعةٍ.

[٢] سرعة الحفظ: فتجد الواحد منهم يسمع الحديث الَّذي يبلغ الصَّفحة والصَّفحتين فيحفظه من مرَّةٍ واحدةٍ.

[٣] قلَّة الكتبة: قال ﷺ: «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ**». مُتَّفقٌ عليه. ولمَّا جاء الإسلام صاروا علماء العالم كلِّه!

[٤] قلَّة وسائل الكتابة: فلم يكن يوجد عندهم ورقٌ، ولا حبرٌ، ولا أقلامٌ...

ممَّا كانوا يكتبون عليه:

[١] عُسُبُ النَّخل: والعسيب هو الجريد إذا نُحِّي عنه خوصُه، أي: منبت الورق.

[٢] رِقاع الْجُلود: يكتبون علىٰ رُقعة الجلد المَدبوغة.

[٣] لِخافُ الْحِجارة: وهي حجارةٌ مَلساء تشبه العظم.

[٤] كِسَرُ الأكتاف: وهي أكتاف البعير، والشَّاة، والبقر وغيرها من الحيوان.

إشكالٌ والرَّدُّ عليه:

قال أنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَجْمَعِ الْقُرْآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ: أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَبُو زَيْدٍ**». مُتَّفقٌ عليه. فهل معنىٰ هذا أنَّ القرآن منقولٌ بطريق الآحاد؟

[١] خبر الآحاد مقبولٌ؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَىٰ قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ**». أخرجه أحمد.

[٢] القرآن خبرٌ دينيٌّ، وجاءت السُّنَّة مُطَّردةً بقبول خبر الواحد فيها؛ كما في رؤية هلال رمضان.

[٣] حصل الإجماع بعد ذلك من الصَّحابة علىٰ هذا القرآن الَّذي بين أيدينا وقبوله.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْـمَرْحَلَةُ الثَّانِيَةُ: فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَسَبَبُهُ أَنَّهُ قُتِلَ فِي وَقْعَةِ الْيَمَامَةِ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ، مِنْهُمْ سَالِمٌ مَوْلَىٰ أَبِي حُذَيْفَةَ، أَحَدُ مَنْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَخْذِ الْقُرْآنِ مِنْهُمْ.

فَأَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بِجَمْعِهِ؛ لِئَلَّا يَضِيعَ، فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَشَارَ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بِجَمْعِ الْقُرْآنِ بَعْدَ وَقْعَةِ الْيَمَامَةِ، فَتَوَقَّفَ تَوَرُّعًا، فَلَمْ يَزَلْ عُمَرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُرَاجِعُهُ حَتَّىٰ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِذَلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَىٰ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، فَأَتَاهُ وَعِنْدَهُ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكَ رَجُلٌ شَابٌّ عَاقِلٌ، لَا نَتَّهِمُكَ، وَقَدْ كُنْتَ تَكْتُبُ الْوَحْيَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَتَبَّعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ، قَالَ: فَتَتَبَّعْتُ الْقُرْآنَ أَجْمَعُهُ مِنَ الْعُسُبِ وَاللِّخَافِ وَصُدُورِ الرِّجَالِ، فَكَانَتِ الصُّحُفُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ، ثُمَّ عِنْدَ عُمَرَ حَيَاتَهُ، ثُمَّ عِنْدَ حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُطَوَّلًا.

وَقَدْ وَافَقَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَعَدُّوهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، حَتَّىٰ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَعْظَمُ النَّاسِ فِي الْمَصَاحِفِ أَجْرًا أَبُو بَكْرٍ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ كِتَابَ اللهِ).

فائدةٌ: يُستَفادُ من كلامِ المُؤلِّفِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ أوّل من أشارَ بجَمعِ القرآنِ هو عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

لماذا توقَّف أبو بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أوّل الأمر؟

تورُّعًا منه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ لأنَّ هذا لم يكن علىٰ عهد النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فخاف أن يكون إذا جمعه تصرَّف في كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ بما لم يفعله النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لماذا جُعلت المصاحف عند حفصة بعد موت عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؟

لأنَّها أمُّ المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وكانت ذات ديانةٍ، وأمانةٍ، وعقلٍ، وحسن تصرُّفٍ.

ولهذا لمَّا وقف عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أرضه الَّتي في خيبر جعل النَّاظر عليه حفصة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. أخرجه أبو داود. وقدَّمها علىٰ ابنه عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

فائدةٌ في الرَّدِّ على الرَّافضة:

أثنىٰ عليٌّ علىٰ أبي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بقوله: (**أَعْظَمُ النَّاسِ فِي الْمَصَاحِفِ أَجْرًا أَبُو بَكْرٍ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ كِتَابَ اللهِ**)، وفي هذا وخزةٌ وطعنةٌ في صدور الرَّافضة الَّذين يُبغضون أبا بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وربَّما كان بعضُهم يلعنُه -والعياذُ بالله-، فها هو عليُّ بن أبي طالبٍ -الَّذي يرون أنَّه إمام الأئمَّة- يقول فيه هذا القول!

مسائلُ أخرى خالف فيها الرَّافضة عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

[١] **الـمُتعة**: فقد روىٰ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تحريمها كما في «الصَّحيحين».

[٢] **الـمسح على الخفَّين**: فقد رواه عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في «سنن أبي داود».

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**الْـمَرْحَلَةُ الثَّالِثَةُ**: فِي عَهْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ، وَسَبَبُهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي الْقِرَاءَةِ، بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الصُّحُفِ الَّتِي فِي أَيْدِي الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخِيفَتِ الْفِتْنَةُ، فَأَمَرَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ تُجْمَعَ هٰذِهِ الصُّحُفُ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ؛ لِئَلَّا يَخْتَلِفَ النَّاسُ فَيَتَنَازَعُوا فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ وَيَتَفَرَّقُوا.

فَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدِمَ عَلَىٰ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ فَتْحِ أَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ، وَقَدْ أَفْزَعَهُ اخْتِلَافُهُمْ فِي الْقِرَاءَةِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَدْرِكْ هٰذِهِ الْأُمَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَلِفُوا فِي الْكِتَابِ اخْتِلَافَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، فَأَرْسَلَ عُثْمَانُ إِلَىٰ حَفْصَةَ أَنْ أَرْسِلِي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ، ثُمَّ نَرُدَّهَا إِلَيْكِ، فَفَعَلَتْ، فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ، وَعَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ، فَنَسَخُوهَا فِي الْمُصْحَفِ، وَكَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ أَنْصَارِيًّا، وَالثَّلَاثَةُ قُرَشِيِّينَ.

وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الثَّلَاثَةِ الْقُرَشِيِّينَ: إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ، فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، فَفَعَلُوا، حَتَّىٰ إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ

فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَىٰ حفْصَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَىٰ كُلِّ أُفُقٍ بِمُصْحَفٍ مِمَّا نَسَخُوا، وَأَمَرَ بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْقُرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَةٍ أَوْ مُصْحَفٍ أَنْ يُحْرَقَ، وَقَدْ فَعَلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هٰذَا بَعْدَ أَنِ اسْتَشَارَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ لِمَا رَوَىٰ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: وَاللهِ مَا فَعَلَ الَّذِي فَعَلَ فِي الْمَصَاحِفِ إِلَّا عَنْ مَلَأٍ مِنَّا، قَالَ: أَرَىٰ أَنْ نَجْمَعَ النَّاسَ عَلَىٰ مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، فَلَا تَكُونَ فُرْقَةٌ وَلَا اخْتِلَافٌ، قُلْنَا: فَنِعْمَ مَا رَأَيْتَ.

وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ: أَدْرَكْتُ النَّاسَ مُتَوَافِرِينَ حِينَ حَرَّقَ عُثْمَانُ الْمَصَاحِفَ، فَأَعْجَبَهُمْ ذَلِكَ، أَوْ قَالَ: لَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَهُوَ مِنْ حَسَنَاتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الَّتِي وَافَقَهُ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ مُكَمِّلَةً لِجَمْعِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَالْفَرْقُ بَيْنَ جَمْعِهِ وَجَمْعِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ الْغَرَضَ مِنْ جَمْعِهِ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَقْيِيدُ الْقُرْآنِ كُلِّهِ مَجْمُوعًا فِي مُصْحَفٍ؛ حَتَّىٰ لَا يَضِيعَ مِنْهُ شَيْءٌ، دُونَ أَنْ يَحْمِلَ النَّاسَ عَلَىٰ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُ الِاخْتِلَافِ فِي قِرَاءَاتِهِمْ مَا يَدْعُو إِلَىٰ حَمْلِهِمْ عَلَىٰ الِاجْتِمَاعِ عَلَىٰ مُصْحَفٍ وَاحِدٍ.

وَأَمَّا الْغَرَضُ مِنْ جَمْعِهِ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَهُوَ تَقْيِيدُ الْقُرْآنِ كُلِّهِ مَجْمُوعًا فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ، يُحمَلُ النَّاسُ عَلَىٰ الِاجْتِمَاعِ عَلَيْهِ؛ لِظُهُورِ الْأَثَرِ الْمُخِيفِ، اخْتِلَافِ الْقِرَاءَاتِ.

وَقَدْ ظَهَرَتْ نَتَائِجُ هٰذَا الْجَمْعِ، حَيْثُ حَصَلَتْ بِهِ الْمَصْلَحَةُ الْعُظْمَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ: اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ، وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ، وَحُلُولِ الْأُلْفَةِ، وَانْدَفَعَتْ بِهِ مَفْسَدَةٌ كُبْرَىٰ مِنْ: تَفَرُّقِ الْأُمَّةِ، وَاخْتِلَافِ الْكَلِمَةِ، وَفُشُوِّ الْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَةِ.

وَقَدْ بَقِيَ عَلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ الْآنَ، مُتَّفَقًا عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، مُتَوَاتِرًا بَيْنَهُمْ، يَتَلَقَّاهُ الصَّغِيرُ عَنِ الْكَبِيرِ، لَمْ تَعْبَثْ بِهِ أَيْدِي الْمُفْسِدِينَ، وَلَمْ تَطْمِسْهُ أَهْوَاءُ الزَّائِغِينَ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمٰوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ، رَبِّ الْعَالَمِينَ).

سببُ جَمعِ عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّاسَ على مُصحفٍ واحدٍ:

قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث المُتَّفق عليه: «**إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَؤُوا مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ**»، فكان كلٌّ من الصَّحابة يقرأ بما سمع من النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ في عهد عثمان خاف المسلمون من هذا الاختلاف أن يؤدِّي إلىٰ اختلاف القلوب والآراء، وأن يؤدِّي إلىٰ القتال، فرأوا أن يُجمع علىٰ حرفٍ واحدٍ، فجمعوه علىٰ حرف قريشٍ؛ لأنَّه نزل بلغتهم، وأمَّا القراءاتُ المُتواترةُ فلاختلاف القرَّاء حسب الرِّواية، وحسب الكتابة.

قاعدةٌ عامَّةٌ: (تغييرُ ما كان علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ من وسائل حفظ القرآن لا بأس به).

قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوى» (١٣/٣٩١):

وَلَا نِزَاعَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْحُرُوفَ السَّبْعَةَ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا:

(١)	لَا تَتَضَمَّنُ تَنَاقُضَ الْمَعْنَىٰ وَتَضَادَّهُ؛ بَلْ قَدْ يَكُونُ مَعْنَاهَا مُتَّفِقًا أَوْ مُتَقَارِبًا كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّمَا هُوَ كَقَوْلِ أَحَدِكُمْ أَقْبِلْ وَهَلُمَّ وَتَعَالَ.
(٢)	وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَىٰ أَحَدِهِمَا لَيْسَ هُوَ مَعْنَىٰ الْآخَرِ؛ لَكِنْ كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ حَقٌّ، وَهَذَا اخْتِلَافُ تَنَوُّعٍ وَتَغَايُرٍ لَا اخْتِلَافُ تَضَادٍّ وَتَنَاقُضٍ، وَهَذَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هَذَا حَدِيثِ: «**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، إِنْ قُلْتَ: غَفُورًا رَحِيمًا، أَوْ قُلْتَ: عَزِيزًا حَكِيمًا؛ فَاللهُ كَذَلِكَ، مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِآيَةِ عَذَابٍ أَوْ آيَةَ عَذَابٍ بِآيَةِ رَحْمَةٍ**».
(٣)	وَمِنَ الْقِرَاءَاتِ مَا يَكُونُ الْمَعْنَىٰ فِيهَا مُتَّفِقًا مِنْ وَجْهٍ مُتَبَايِنًا مِنْ وَجْهٍ؛ كَقَوْلِهِ: (يَخْدَعُونَ) وَ(يُخَادِعُونَ)، وَ(يَكْذِبُونَ) وَ(يُكَذِّبُونَ)، وَ(لَمَسْتُمْ) وَ(لَامَسْتُمْ)، و(حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ) و(وَيَطَّهَّرْنَ)، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ الَّتِي يَتَغَايَرُ فِيهَا الْمَعْنَىٰ كُلُّهَا حَقٌّ.
(٤)	وَكُلُّ قِرَاءَةٍ مِنْهَا مَعَ الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَىٰ بِمَنْزِلَةِ الْآيَةِ مَعَ الْآيَةِ، يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا كُلِّهَا، وَاتِّبَاعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَىٰ عِلْمًا وَعَمَلًا، لَا يَجُوزُ تَرْكُ مُوجَبِ إِحْدَاهُمَا لِأَجْلِ الْأُخْرَىٰ ظَنًّا أَنَّ ذَلِكَ تَعَارُضٌ؛ بَلْ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**مَنْ كَفَرَ بِحَرْفٍ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ كُلِّهِ**».
(٥)	وَأَمَّا مَا اتَّحَدَ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ وَإِنَّمَا يَتَنَوَّعُ صِفَةُ النُّطْقِ بِهِ؛ كَالْهَمَزَاتِ، وَالْمَدَّاتِ، وَالْإِمَالَاتِ، وَنَقْلِ الْحَرَكَاتِ، وَالْإِظْهَارِ، وَالْإِدْغَامِ، وَالِاخْتِلَاسِ، وَتَرْقِيقِ اللَّامَاتِ وَالرَّاءَاتِ أَوْ تَغْلِيظِهَا، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُسَمَّىٰ الْقِرَاءَاتِ الْأُصُولَ = فَهَذَا أَظْهَرُ وَأَبْيَنُ فِي أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ تَنَاقُضٌ وَلَا

تَضَادٌّ مِمَّا تَنَوَّعَ فِيهِ اللَّفْظُ أَوِ الْمَعْنَى؛ إِذْ هَذِهِ الصِّفَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ فِي أَدَاءِ اللَّفْظِ لَا تُخْرِجُهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَفْظًا وَاحِدًا، وَلَا يُعَدُّ ذَلِكَ فِيمَا اخْتَلَفَ لَفْظُهُ وَاتَّحَدَ مَعْنَاهُ أَوِ اخْتَلَفَ مَعْنَاهُ مِنَ الْمُتَرَادِفِ وَنَحْوِهِ، وَلِهَذَا كَانَ دُخُولُ هَذَا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحُرُوفِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا مِنْ أَوْلَى مَا يَتَنَوَّعُ فِيهِ اللَّفْظُ أَوِ الْمَعْنَى، وَإِنْ وَافَقَ رَسْمَ الْمُصْحَفِ، وَهُوَ مَا يَخْتَلِفُ فِيهِ النَّقْطُ أَوِ الشَّكْلُ.

لـماذا يوجدُ في القرآنِ آياتٌ كثيرةٌ ليست بلغة قريشٍ؟

[١] لأنَّ الحكم أغلبيٌّ.

[٢] لأنَّ هذه الكلمات أصلها ليست عربيَّةً، ولكنَّ قريشًا تكلَّموا بها.

أمثلةٌ أخرى عن الوسائل الَّتي استجدَّت بعد النَّبيِّ ﷺ:

[١] **الخطُّ في الـمسجد**: جُعلت الخُطوط في المساجد لتسوية الصُّفوف، وجُعلت في المسجد الحرام ليُستدلَّ بها علىٰ القبلة، وأنكرها بعض النَّاس، وإنكارُهم بعيدٌ عن الفقه، فهي وسائلُ لا غاياتٌ؛ لأنَّنا لا نتعبَّد الله عَزَّوَجَلَّ بها، ولكنَّنا اتَّخذناها وسيلةً، كما جمع الصَّحابة القرآن علىٰ حرفٍ واحدٍ وقد كان علىٰ عهده ﷺ علىٰ سبعةٍ.

[٢] **مكبِّر الصَّوت**: رفع الصَّوت مقصودٌ؛ كما في غزوة حنينٍ لمَّا فرَّ النَّاس أمر النَّبيُّ ﷺ العبَّاس -وكان جهوريَّ الصَّوت- أن ينادي: «**أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟**». أخرجه مسلمٌ. والحاصل أنَّ المُكبِّر وسيلةٌ لتحصيل المقصود المَشروع.

قاعدةٌ:

(الوسيلةُ المُباحة إذا أدَّت إلىٰ الغرض المَقصود شرعًا؛ فالأصل أنَّها مَطلوبةٌ).

شُبهةٌ والرَّدُّ عليها:

استدلَّ بعضُ النَّاس علىٰ تحسين البدعة بفعل أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين جمع القرآن؛ لأنَّه فعل شيئًا لم يفعله النَّبيُّ ﷺ.

ويُجابُ: بأنَّ هناك فرقًا بين ما كان مَشروعًا وما لم يكن مَشروعًا، فما كان وسيلةً لمَشروعٍ فهو مَشروعٌ، أمَّا أن يشرع الإنسان شيئًا ابتداءً فهذا بدعةٌ لا يجوز.

ويُشترطُ في الوسيلة أن تكون مُباحةً.

فإذا قال الدَّاعي: عندي أناسٌ لا يتَّجهون إليَّ إلَّا إذا ضربتُ الموسيقىٰ؛ قيل له: هذه وسيلةٌ مُحرَّمةٌ، فلا يجوز استعمالُها.

هل لأهل الـمَغرب أن يقرؤوا بقراءتهم عند أهل الـمَشرق، والعكس؟

مَعلومٌ أنَّ أهل المَشرق لهم قراءةٌ غلبت عليهم، وأهل المَغرب لهم قراءةٌ غلبت عليهم، وكلُّ ذلك علىٰ حرف قريشٍ، وقد يحصُل فتنةٌ للنَّاس عند قراءة أحدهما بقراءته عند الآخر، ولهذا فإنَّنا نمنع ذلك، ونقول: أنت يا صاحب المَغرب؛ لا تقرأ بقراءتك إلَّا في مكانك، وكذلك صاحبُ المَشرق.

الاخْتِبَارُ الأَوَّل

[١] **اختر الإجابة الصَّحيحة:**

❁ مِنْ أَجَلِّ فُنُونِ الْعِلْمِ؛ بَلْ هُوَ أَجَلُّهَا وَأَشْرَفُهَا، عِلْمُ: ❍ الحديثِ. ❍ التَّفسيرِ. ❍ الفقهِ.

❁ السَّبع الـمَثاني هي: ❍ أوَّلُ سبع سُورٍ مِن القُرآنِ. ❍ الفاتِحة.

❁ أسباب النزول تتوقف على: ❍ النَّقلِ والسَّماع. ❍ الاجتهادِ. ❍ معرفة المكِّيِّ والمدنيِّ.

❁ غايةُ أصول التَّفسيرِ هي: ❍ استنباطُ الأحكام الفقهيَّة. ❍ معرفةُ علوم القرآن. ❍ جعلُ قواعد لفهم القرآن.

❁ جاء بيانُ تفسير الصَّلاة في: ❍ القرآنِ. ❍ أقوالِ الصَّحابة. ❍ السُّنَّة.

❁ التَّفسيرُ هو: ❍ بيانُ القصص القُرآنيِّ. ❍ معرفةُ أحكام القرآن. ❍ معرفةُ مَعاني القرآن.

❁ التَّأويل والتَّفسير معناهما: ❍ متَّفقٌ. ❍ متضادٌّ. ❍ متقاربٌ.

❁ القائلُ بأنَّ النَّبيَّ ﷺ فسَّر القرآن كلَّه: ❍ ابنُ الجوزيِّ. ❍ ابن تيميَّة. ❍ الرَّازيُّ.

❁ أصولُ التَّفسير هي: ❍ علومُ القرآن. ❍ الأُسسُ الَّتي يقوم عليها التَّفسير. ❍ بيانُ معاني القرآن.

❁ قواعدُ التَّفسير: ❍ أخصُّ من قواعد التَّرجيح. ❍ أعمُّ من قواعد التَّرجيح. ❍ ليس بينهما فرقٌ.

❁ الأخصُّ من قواعد التَّفسير يُسمَّى: ❍ أصولَ التَّفسير. ❍ قواعدَ التَّرجيح. ❍ أصولَ الفقه.

❁ الرَّاجحُ أنَّ عدد آيات الأحكام: ❍ ٢٠٠. ❍ ٥٠٠. ❍ ١٥٠. ❍ ليست مَحصورةً في عددٍ مُعيَّن.

❁ القواعدُ والأُسس التَّي يقوم عليها التَّفسيرُ تُسمَّى: ❍ أصولَ التَّفسير. ❍ علومَ القرآنِ. ❍ مناهجَ التَّفسير. ❍ جميعَ ما ذُكر.

۞ التَّفسيرُ يأتي في الغالب بمعنىٰ: ❍ التَّأويلِ. ❍ صرفِ اللَّفظ عن ظاهره. ❍ المجازِ. ❍ جميعِ ما ذُكر.

۞ مدرسةُ المدينة قامت علىٰ: ❍ أبيِّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ❍ عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ❍ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ❍ أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

۞ مَن هو الصَّحابيُّ الَّذي قال فيه النَّبيُّ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»؟ ❍ ابن عبَّاسٍ. ❍ أبيُّ بن كعبٍ. ❍ عثمان بن عفَّان. ❍ ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

۞ معنىٰ «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»: ❍ يُصلِّي به. ❍ يقرأُه. ❍ يتلوه. ❍ يفعل ما أُمِر به.

۞ مِن مَزايا هذا النَّوعِ مِن التَّفسير أنَّه يغلب عليه الاختصارُ في القول مع الوفاء بالمَعنىٰ؟ ❍ تفسيرُ أتباع التَّابعين. ❍ التَّفسيرُ الفقهيُّ. ❍ تفسيرُ المُتأخِّرين. ❍ التَّفسيرُ النَّبويُّ

۞ تدوينُ التَّفسيرِ وحذف أسانيد الأحاديث والآثار كان في المرحلة: ❍ الأولىٰ. ❍ الثَّانيةِ. ❍ الثَّالثةِ.

۞ ذِكرُ بعض أفراد العامِّ علىٰ سبيل المثال من أسباب اختلاف؟ ❍ التَّنوُّع. ❍ التَّضادِّ. ❍ كلاهما.

۞ (صرفُ اللَّفظ عن الاحتمال الرَّاجح إلىٰ الاحتمال المَرجوح لدليلٍ يقترنُ) يُسمَّىٰ: ❍ التَّفسيرَ. ❍ التَّأويلَ. ❍ المجازَ. ❍ الجميع.

۞ أقوالُهم في التَّفسير حجَّةٌ إذا اتَّفقوا، من هم؟ ❍ الصَّحابةُ. ❍ التَّابعون. ❍ كلاهما. ❍ لا شيء ممَّا ذُكِر.

۞ روايةُ القليل من الإسرائيليَّات تميَّز به منهجُ؟ ❍ التَّابعينَ. ❍ الصَّحابةِ. ❍ المدرسةِ العقليَّةِ. ❍ لا شيء ممَّا ذُكِر.

۞ اعتنىٰ السُّيوطيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره» بالتَّفسير: ❍ اللُّغويِّ. ❍ الفقهيِّ. ❍ بالمأثورِ.

۞ أسبابُ النُّزول المرويَّة عن الصَّحابيِّ لها حكم المَرفوع دائمًا: ❍ صح. ❍ خطأٌ.

۞ قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالْآيَاتُ وَالْبَرَاهِينُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ نُبُوَّةِ

مُحَمَّدٍ ﷺ كَثِيرَةٌ مُتَنَوِّعَةٌ، وَهِيَ أَكْثَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ آيَاتِ غَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَيُسَمِّيهَا مَنْ يُسَمِّيهَا مِنَ النُّظَّارِ (❍ مُعْجِزَاتٍ، ❍ آيَاتٍ)، وَتُسَمَّىٰ (❍ دَلَائِلَ النُّبُوَّةِ، ❍ أَعْلَامَ النُّبُوَّةِ، ❍ الجميع)، وَهَذِهِ الْأَلْفَاظُ إِذَا سُمِّيَتْ بِهَا آيَاتُ الْأَنْبِيَاءِ كَانَتْ أَدَلَّ عَلَىٰ الْمَقْصُودِ مِنْ لَفْظِ (❍ الْمُعْجِزَاتِ، ❍ الآيَاتِ)، وَلِهَذَا لَمْ يَكُنْ لَفْظُ (❍ الْمُعْجِزَاتِ، ❍ الآيَاتِ) مَوْجُودًا فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِنَّمَا فِيهِ لَفْظُ (❍ الْآيَةِ، ❍ الْبَيِّنَةِ ❍ الْبُرْهَانِ، ❍ الجميع) ».

❁ إذا فُسِّرَ القرآنُ الكريمُ أو تُرجِمَ فإنَّه تفسيرَه وترجمَتَه: ❍ يُسَمَّيان قرآنًا. ❍ لا يُسَمَّيان قرآنًا.

❁ مِن صفاتِ القرآنِ الكريم: ❍ النُّور. ❍ العزيز. ❍ المُبارك. ❍ المجيد. ❍ المَوعظة. ❍ الكريم. ❍ المُبين. ❍ المُهيمن. ❍ البلاغُ. ❍ الحكيم.

❁ ترتيب المُصحَف: ❍ توقيفيٌّ. ❍ اجتِهاديٌّ.

❁ لا يجوزُ للقُرَّاءِ الاجتِهادُ في القِراءاتِ. ❍ صح. ❍ خطأ.

❁ أوَّلُ من أشارَ بجَمعِ القرآنِ الكريمِ هو: ❍ أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ❍ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ❍ عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

❁ من طُرُق مَعرفة النَّاسخ والمَنسوخ: تصريح الرَّاوي بتاريخ سَماعِه لهما: ❍ صح. ❍ خطأ.

❁ يَستدلُّ بخُطبة عُمر وتلاوتِه آية الرَّجم القائلون بجواز نسخ التِّلاوة دون الحكم: ❍ صح. ❍ خطأ

❁ يصحُّ نسخ المُتواتر بالآحاد: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢] أجب عن كلِّ ممَّا يلي:

❁ مَتَىٰ نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؟ ....

❁ وَمَنْ نَزَلَ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ ....

❁ ما هو أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ؟ ....

❁ اذكُر سببي نزولِ القرآنِ:

[١] .... [٢] ....

❁ ينقسِمُ القرآنُ باعتبارِ زمانِ نزولِه إلىٰ قسمين:
[١] .... [٢] ....
❁ بيِّن الحكمةَ مِن نزولِ القرآنِ مُفرَّقًا: ....
....
❁ كيفُ كانت كتابةُ القرآن وجمعُه علىٰ عهدِ النَّبيِّ ﷺ: ....
....
❁ جُمِع القرآنُ ثلاثَ مرَّاتٍ: في عهدِ : ....
ثمَّ في خلافةِ: .... ثمَّ ....
❁ اذكُر معنىٰ التَّفسيرِ:
لغةً: ....
اصطلاحًا: ....
❁ الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ هو: ....
....
....
❁ الْمَرْجِعُ فِي التَّفْسِيرِ إِلَىٰ:
[١] .... [٢] ....
[٣] .... [٤] ....
[٥] ....
❁ اذكُرْ أَنْوَاعَ الاخْتِلَافِ الْوَارِدِ فِي التَّفْسِيرِ الْمَأْثُورِ:
[١] .... [٢] ....
[٣] ....
❁ المَقصودُ بترجمة القرآنِ:
لغةً: ....
اصطلاحًا: ....
❁ رتِّب العلوم الشَّرعيَّةَ التَّاليةَ:
( ) القراءات ( ) التَّفسير ( ) الفقه ( ) علوم القرآن ( ) الحديث ( ) الفرائض

۞ ترجمةُ القرآن علىٰ نوعين:

[١] .... وحكمه: ....

[٢] .... وحكمه: ....

[٣] أكمل ما يلي:

النَّسخ:	لغةً: .... اصطلاحًا: .... شرح التَّعريف: ....
حكم النَّسخ:	[١] .... [٢] ....
ما يمتنع نسخه:	[١] .... [٢] ....
شروط النَّسخ:	[١] .... [٢] .... [٣] ....
يكون العلم بتأخّر النّاسخ بـ:	[١] .... [٢] .... [٣] ....
حكمة نسخ اللَّفظ لا الحكم:	[١] .... [٢] ....
حكمة نسخ الحكم لا اللَّفظ:	[١] .... [٢] ....
أقسام النَّسخ باعتبار النَّصّ:	[١] .... [٢] .... [٣] ....

أقسام النَّسخ باعتبار النَّاسخ:	[١] .... [٢] .... [٣] .... [٤] ....
الحكمة من النَّسخ:	[١] .... [٢] .... [٣] .... [٤] ....

[٤] صِل فوائِدَ النُّزولِ مِن الحقلِ (أ) بأمثلَتِها مِن الحقلِ (ب):

(أ) فوائدُ أسباب النُّزول:	(ب) الأمثلةُ:
فهم الآية على الوجه الصحيح:	آية التَّيمُّم.
بيان عناية الله برسوله والدفاع عنه:	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةً وَٰحِدَةً﴾[الفرقان:٣٢].
بيان عناية الله بعباده في تفريج كُربهم:	﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[البقرة:١٥٨].

[٥] أعطِ مثالاً لكلٍّ ممَّا يلي:

الـموضوع:	مثاله:
نسخ الكتاب بالإجماع:	....
نسخٌ بمَعنى النَّقل:	....
حكمٌ صالحٌ لكلِّ زمانٍ:	....
حكمٌ عُلِم تأخُّره بخبر صحابيٍّ:	....
نسخٌ إلى أخفَّ:	....

الـموضوع:	مثاله:
نسخٌ بمعنى الإزالة:	....
خبرٌ لا يُمكن نسخُه:	....
حكمٌ عُلِم تأخُّره بالنَّصِّ:	....
نسخٌ إلى أثقلَ:	....
حكمٌ عُلِم تأخُّره بالتَّاريخ:	....
نسخٌ إلى مُساوٍ:	....

[٦] أكمل ما يلي فيما يتعلَّق بالـمجاز:

- المجاز هو: .... ومثاله: ....
- أقسام النَّاس فيه: [١] ....
[٢] .... [٣] ....

۞ الرَّاجح: .... لأمورٍ: [١] ....
[٢] .... [٣] ....
[٤] .... [٥] ....
[٦] ....
۞ لماذا ذُكِرَ في أصول الفقه؟ ....

الْفَصْلُ الثَّانِي: التَّفْسِيرُ

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ التَّفْسِيرِ وَحُكْمُهُ

قَالَ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّفْسِيرُ لُغَةً مِنَ الفَسْرِ، وَهُوَ: الْكَشْفُ عَنِ الْمُغَطَّىٰ، وَفِي الِاصْطِلَاحِ: بَيَانُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَتَعَلُّمُ التَّفْسِيرِ وَاجِبٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾[ص]، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾[محمد].

وَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ الْأُولَىٰ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ بَيَّنَ أَنَّ الْحِكْمَةَ مِنْ إِنْزَالِ هَٰذَا الْقُرْآنِ الْمُبَارَكِ أَنْ يَتَدَبَّرَ النَّاسُ آيَاتِهِ، وَيَتَّعِظُوا بِمَا فِيهَا، وَالتَّدَبُّرُ هُوَ التَّأَمُّلُ فِي الْأَلْفَاظِ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ مَعَانِيهَا، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَاتَتِ الْحِكْمَةُ مِنْ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ، وَصَارَ مُجَرَّدَ أَلْفَاظٍ لَا تَأْثِيرَ لَهَا، وَلِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الِاتِّعَاظُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ.

وَوَجْهُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَبَّخَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، وَأَشَارَ إِلَىٰ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْإِقْفَالِ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَعَدَمِ وُصُولِ الْخَيْرِ إِلَيْهَا).

مَعنى التَّفسير:

[١] **لغةً**: (مِنَ الفَسْرِ، وَهُوَ: الْكَشْفُ عَنِ الْمُغَطَّىٰ)، ومن ذلك فَسْرُ. القِشر عن الثَّمرة حتَّىٰ يتبيَّن ما بداخل القشر.

[٢] **اصطلاحًا**: (بَيَانُ مَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ)، وأمَّا ما سوىٰ القرآن فيُسمَّىٰ في الواقع شرحًا، والفرق بينهما عُرفيٌّ.

حكم تفسير القرآن:

تفسير القرآن واجبٌ يأثم الإنسانُ بتركه؛ لأنَّ المقصود من إنزاله هو فهم مَعناه، والعملُ به، وإذا كنَّا لا نفهم المَعنىٰ صار القرآن كأنَّه عربيٌّ بين أعاجم.

هل فهمُ مَعنى القرآن صعبٌ؟

فهمُه ليس صعبًا، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾[القمر]، أي: هل من مُتذكِّرٍ؟ والاستفهام للتَّشويق؛ لأنَّه لمَّا أخبر وأكَّد أنَّ الله يسَّره للذِّكر شوَّق إلىٰ ادِّكاره وفهمه، فإذا أقبلت بصدقٍ لتفهم معنىٰ كلامه عَزَّوَجَلَّ فإنَّه لابدَّ أن يُيسَّر لك، إمَّا بفتحٍ يفتحُه الله عليك، وإمَّا بجلب عالمٍ يُبيِّن معناه، وإمَّا بكُتب تفسيرٍ تُوضِّح المَعنىٰ.

تنبيهٌ: أتكرَّر قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾؟ ثلاثَ مرَّاتٍ في سورة القمر، وجاءَ في كلِّ مرَّةٍ عِقبَ قصَّةٍ من قصَصِ الأممِ الغابرَةِ، وقُصِدَ بالاستِفهامِ الأمرُ بالتَّذكُّرِ لا حَقيقةُ الاستفهامِ، والحِكمَةُ مِن التَّكرارِ التَّنبيهُ والتَّأكيدُ علىٰ ضرورة التَّدبُّرِ في أنباءِ الغابرين من الأمَمِ، والاعتبارِ بمَصيرِ العاصين المُكذِّبين منهم.

ذكرَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ تَيسيرَ اللّهِ القرآنَ للذِّكرِ يتضمَّنُ:

[١] تيسيرَ ألفاظِه للحِفظِ.

[٢] تيسيرَ مَعانيه للفَهمِ.

[٣] تيسيرَ أوامرِه ونَواهيه للامتِثالِ.

تعلُّم التَّفسير منه:

[١] **واجبٌ عينيٌّ**: وهو ما لا يسوغ جهلُه، يجب علىٰ كلِّ إنسانٍ أن يعرف ما أُمر به في القرآن الكريم؛ مثل قولِه تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة:٤٣] فيجب أن يعرف كيفيَّة إقامة الصَّلاة، وكيف يزكِّي إذا كان عنده مالٌ.

[٢] **واجبٌ كفائيٌّ**: وهو ما زاد علىٰ ذلك، فيجب علىٰ المسلمين عمومًا أن يقوموا به، فإن قام به أحدٌ يُكتفىٰ به لكونِه مَأمونًا مَوثوقًا مَرجعًا للمسلمين في التَّفسير حصل الواجبُ، ولا يُمكن للمسلمين أن يدعوا كتاب ربِّهم دون أن يفهموا مَعانيَه.

الحكمة من إنزال القرآن:

[١] ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: اللَّام للتَّعليل، فيجب تدبُّر -أي: التَّأمُّل في- كلِّ الآيات:

[أ] الطُّويلة: مثل آية الدَّين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ...﴾[البقرة:٢٨٢].

[ب] القصيرة: مثل: ﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾[المُدَّثِّر]، من الَّذي نظر؟ وهل بفكره أم بعينه؟...

[٢] ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: أي: ليتَّعظ أولو العقول، والعقل هو اللُّبُّ، ورجلٌ بلا عقلٍ ليس برجلٍ في الواقع.

قال المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (لَا يُمْكِنُ الِاتِّعَاظُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ).

مَعنى الـمَوعظة والاتِّعاظ:

ليس هو لين القلب وخشوعُه وما أشبه ذلك فقط، وإنَّما الاتِّعاظ هو (التزامُ الأحكام)؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾[النِّساء:٥٨].

دليلٌ آخر:

قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ استفهامٌ يُرادُ به التَّوبيخ، ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾[محمَّد]، (أم) هنا بمَعنىٰ (بل)؛ فهي مُنقطعةٌ، والمَعنىٰ: بل قلوبُهم مُقفلةٌ عن تدبُّر القرآن، والأقفال جمع قُفل، وهو ما تُغلق به الأشياء، فلمَّا وبَّخ الله عَزَّوَجَلَّ الَّذين لا يتدبَّرون القرآن، ووصَّفهم بأنَّ قلوبَهم مُغلقةٌ؛ دلَّ علىٰ أنَّ تدبُّر القرآن واجبٌ كما سبق.

فائدةٌ: أوَّلُ علمٍ عُلِّمَه النَّبيُّ ﷺ هو علمُ التَّفسيرُ.

نزَلَ القرآنُ العَظيمُ:

[١] **جملةً واحِدةً**: مِن اللَّوحِ المَحفوظِ إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا في ليلَةِ القَدرِ، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾[القدر].

[٢] **مُنجَّمًا**: من السَّماءِ الدُّنيا علىٰ النَّبيِّ ﷺ، حسَبَ الحاجَةِ والمُناسبَةِ، ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[الإسراء:١٠٦].

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَكَانَ سَلَفُ الْأُمَّةِ عَلَىٰ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ الْوَاجِبَةِ، يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ أَلْفَاظَهُ وَمَعَانِيَهُ؛ لِأَنَّهُمْ بِذَلِكَ يَتَمَكَّنُونَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْقُرْآنِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ بِهِ، فَإِنَّ الْعَمَلَ بِمَا لَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ غَيْرُ مُمْكِنٍ، وَقَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَٰنِ السُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِؤُونَنَا الْقُرْآنَ كَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّىٰ يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا).

أثر أبي عبد الرَّحمن السُّلميِّ أخرجه أحمد في «المُسند» وابن أبي شيبة في «المُصنَّف»، وهو من رواية عطاء بن السَّائب، وقد اختلط في آخر عمره، ففي صحَّة الخبر خلافٌ. وهذا الَّذي كان عليه الصَّحابة هو الَّذي ينبغي أن نكون عليه؛ نتعلَّم المعنىٰ ثمَّ نعمل به.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: وَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَلَا يَسْتَشْرِحُونَهُ، فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ، وَبِهِ نَجَاتُهُمْ، وَسَعَادَتُهُمْ، وَقِيَامُ دِينِهِمْ، وَدُنْيَاهُمْ؟
وَيَجِبُ عَلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ عَنْ طَرِيقِ الْكِتَابَةِ أَوِ الْمُشَافَهَةِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وَتَبْيِينُ الْكِتَابِ لِلنَّاسِ شَامِلٌ لِتَبْيِينِ أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ، فَيَكُونُ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ مِمَّا أَخَذَ اللهُ الْعَهْدَ عَلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ بِبَيَانِهِ، وَالْغَرَضُ مِنْ تَعَلُّمِ التَّفْسِيرِ هُوَ الْوُصُولُ إِلَىٰ الْغَايَاتِ الْحَمِيدَةِ، وَالثَّمَرَاتِ الْجَلِيلَةِ، وَهِيَ التَّصْدِيقُ بِأَخْبَارِهِ، وَالِانْتِفَاعُ بِهَا، وَتَطْبِيقُ أَحْكَامِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ؛ لِيُعْبَدَ اللهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ).

كان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يمتثلون ما أُمروا به في القرآن، رجالُهم ونساؤُهم، فإذا نزلت آياتٌ في البيع تعلَّموها وعملوا بها، وامتثلوا أمره الله عَزَّ وَجَلَّ وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امتثالًا تامًّا؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾[الجمعة:٩].

هل يجبُ على العلماءِ أن يُبيِّنوا للنَّاسِ مَعنى القرآن ولو لم يسألوهم؟

نعم، يجب عليهم البيان سواءٌ سألوهم بلسان المَقال، أو بلسان الحال، فإذا سمع أنَّ النَّاس يُفسِّرون بعض الآيات علىٰ غير ما أراده الله؛ فالواجب عليه أن يُبيِّن المَعنىٰ الَّذي أراده الله عَزَّ وَجَلَّ، والعوامُّ قد يُفسِّرون القرآن علىٰ غير مُراد الله عَزَّ وَجَلَّ، بل قد يصنعون آياتٍ من عندِهم! وينبغي للعالم وطالب العلم أن يجعل للعامَّة مجلسًا لتفسير القرآن.

الغرض من تعلُّم التَّفسير:

[١] **تصديقُ الأخبار والانتفاعُ بها**: فإذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٥٨﴾[النِّساء]؛ فهذا خبرٌ تصدِّقه، وتنتفع بخشية الله فلا تقول ما يسمع الله عَزَّ وَجَلَّ منك ممَّا لا يرضاه، ولا تفعل ما يبصره منك ممَّا لا يرضاه، قال تعالىٰ عن قصص الأنبياء السَّابقين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[يوسف:١١١].

[٢] **تطبيقُ الأحكام على مُراد الله**: فتعبد الله علىٰ بصيرةٍ، وتعرف كيف تعبد الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ ما أراده منك.

هل فسَّرَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآنَ كاملاً؟

قالَ ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَلْفَاظَهُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النَّحل:٤٤] يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا، وَقَدْ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ كَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا».

ثَانِيًا: الْوَاجِبُ عَلَى الْـمُسْلِمِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

قَالَ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ أَنْ يُشْعِرَ نَفْسَهُ حِينَ يُفَسِّرُ الْقُرْآنَ بِأَنَّهُ مُتَرْجِمٌ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، شَاهِدٌ عَلَيْهِ بِمَا أَرَادَ مِنْ كَلَامِهِ، فَيَكُونُ مُعَظِّمًا لِهَـٰذِهِ الشَّهَادَةِ، خَائِفًا مِنْ أَنْ يَقُولَ عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ، فَيَقَعَ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ، فَيَخْزَىٰ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[الزُّمر]).

الـمُفسِّر لكلام اللَّه عَزَّوَجَلَّ بمثابة:

[١] **الـمُترجم عنه**: فليحذر أن يقول: (أراد الله كذا) كاذبًا علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وهو لم يُرده.

[٢] **الشَّاهد عليه**: أنَّه أراد بكلامه كذا وكذا.

من أمثلة التَّفسير الخاطئ:

[١] ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾**[النَّمل:٨٨]**:
فسَّرها بعض المُتأخِّرين بأنَّ المُراد بها في الدُّنيا، وأنَّ هذا إشارةٌ إلىٰ أنَّ الأرض تدور، فنسألهم:
هل التَّرجمة مُطابقةٌ للمُترجَم؟
وهل تشهدون علىٰ الله بأنَّه أراد هذا المَعنىٰ شهادةً تُسألون عنها؟

[٢] ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ﴾ **[الرَّحمن:٣٤]**:
فسَّرها بعض المُتأخِّرين بالأقمار الصِّناعيَّة، ووصول النَّاس إلىٰ الفضاء الخارجيِّ، وأنَّهم بذلك نفذوا من أقطار السَّموات والأرض، وهذا لا شكَّ أنَّه تحريفٌ.

دليل تحريم القول على الله عَزَّوَجَلَّ بغير علمٍ في التَّفسير وغيره:

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ﴾ فيها حصرٌ، بمعنىٰ: لم يحرِّم إلَّا ما ذكر هنا، ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ جمع فاحشةٍ، وهي: (كلُّ ما يُستَفحش شرعًا أو عقلًا)، ولا يُقال: عادةً؛ لأنَّ عادة النَّاس قد تجيز المُنكر شرعًا، والغالب أنَّ الشَّرع والعقل مُتلازمان، فكلُّ ما يستفشحه الشَّرع يستفحشه العقل، لكن قد يستفحش العقل شيئًا لا يستفحشه الشَّرع.

﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ تحتمل معنيين:

الأوَّل: ما ظهر للنَّاس وما خفي عليهم، والثَّاني: ما ظهر فُحشُه، وما خفي فُحشُه.

﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ كلُّ ما يأثم به الإنسان، ﴿وَٱلْبَغْيَ﴾ أي: العدوان علىٰ النَّاس، ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ صفةٌ كاشفةٌ، فكلُّ بغيٍ هو بغير حقٍّ، ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ في ذاته عَزَّوَجَلَّ، وفي رُبوبيَّته، وفي ألوهيَّته، وفي أسمائه وصفاته، ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ صفةٌ كاشفةٌ، ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٣﴾[الأعراف] سواءٌ في تفسير كلامه، أو إثبات أحكامه، أو نفيها، أو غير ذلك.

وهذه الآية جاءت علىٰ وجه التَّرقِّي، فأشدُّ المُحرَّمات المَذكورة أن يقول الإنسان علىٰ الله ما لا يعلم؛ وهو أشدُّ من الشِّرك في أنَّ إفساده يتعدَّاه إلىٰ غيره، بخلاف الشِّرك.

جزاء الكاذب على الله عَزَّوَجَلَّ في التَّفسير:

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾[الزُّمر]، فالَّذي يُفسِّر القرآن بغير ما أراد الله كاذبًا علىٰ الله يكون وجهه -بلا شكٍّ- ممَّن قال الله فيهم: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾.

فالتَّفسير خطيرٌ، لكن مع ذلك هو مع النِّيَّة الصَّادقة يسيرٌ، ييسِّره الله ويسهِّله ويوفِّق الإنسان للصَّواب فيه.

ثَالِثًا: الْـمَرْجِعُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (يُرْجَعُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ إِلَىٰ مَا يَأْتِي:

أ. كَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ: فَيُفَسَّرُ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ بِهِ.

وَلِذَلِكَ أَمْثِلَةٌ مِنْهَا:

أَوَّلًا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾ [يونس]، فَقَدْ فَسَّرَ أَوْلِيَاءَ اللهِ بِقَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس].

ثَانِيًا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢﴾ [الطَّارق]، فَقَدْ فَسَّرَ الطَّارِقَ بِقَوْلِهِ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ٣﴾ [الطَّارق].

ثَالِثًا: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ [النَّازعات]، فَقَدْ فَسَّرَ ﴿دَحَىٰهَآ﴾ بِقَوْلِهِ فِي الْآيَتَيْنِ بَعْدَهَا: ﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ٣١ وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا ٣٢﴾ [النَّازعات]).

مَراجع تفسير القرآن خمسةٌ:

[٥] ما تقتضيه الكلمات من المَعاني الشَّرعيَّة واللُّغويَّة:	[٤] كلام التَّابعين:	[٣] كلام الصَّحابة:	[٢] السُّنَّة:	[١] القرآن:
والأصل تقديم المَعنىٰ الشَّرعي علىٰ اللُّغويِّ إلَّا لدليل يدلُّ علىٰ إرادة اللُّغويِّ.	فهم الَّذين أخذوا التَّفسير عن الصَّحابة ونقلوه لنا.	فالقرآن نزل في عصرهم، وبلغتهم، وهم أصدق النَّاس بعد الرُّسل.	فالنَّبيُّ ﷺ مُبلِّغ عن ربِّه، وهو أعلم النَّاس بمُراد الله عَزَّ وَجَلَّ.	أولىٰ ما يُفسَّر به القرآن هو القرآن؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أعلم بمُراده من غيره.

المثال الأوَّل لتفسير القرآن بالقرآن:

قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يُستقبَلُ، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ فيما مضىٰ؛ لأنَّه قد فات ما مضىٰ بالإيمان والتَّقوىٰ، والحزن يكون علىٰ فوات المَحبوب، وفسَّر عَزَّوَجَلَّ الأولياء فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس]، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًّا».

حكم من ادَّعى الولاية:

من قال: (أنا وليٌّ لله)؛ قلنا: القرآن يكذِّبك، فالله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[يونس]، وقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[النَّجم:٣٣]، وأنت زكَّيت نفسك، فلم تتَّقِ الله، فلست بوليٍّ.

ومن زاد علىٰ ذلك فقال مثلًا: (أنا وليٌّ لله، فيحلُّ لي أن أتزوَّج خمسين امرأةً) وغير ذلك، قلنا: أنت من أعداء الله.

ونقل شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن عبد القادر الجيلانيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال: (كُنْت مَرَّةً فِي الْعِبَادَةِ فَرَأَيْت عَرْشًا عَظِيمًا وَعَلَيْهِ نُورٌ فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ الْقَادِرِ أَنَا رَبُّك وَقَدْ حَلَلْت لَك مَا حَرَّمْت عَلَىٰ غَيْرِك، قَالَ: فَقُلْت لَهُ: أَنْتَ اللهُ الَّذِي لَا إلَهَ إلَّا هُوَ؟! اخْسَأْ يَا عَدُوَّ اللهِ، قَالَ: فَتَمَزَّقَ ذَلِكَ النُّورُ وَصَارَ ظُلْمَةً، وَقَالَ: يَا عَبْدَ الْقَادِرِ؛ نَجَوْت مِنِّي بِفِقْهِك فِي دِينِك، وَعِلْمِك وَبِمُنَازَلَاتِك فِي أَحْوَالِك).

المثال الثَّاني لتفسير القرآن بالقرآن:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾﴾، كونُ الواو في (وَٱلطَّارِقِ) للقسم أولىٰ من كونها عاطفةً؛ ليكون ما بعدها مُستقلًّا، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾، وفسَّر الله عَزَّوَجَلَّ الطَّارق بقوله: ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾[الطَّارق] أي: الثَّاقب للظَّلام بنوره، والثَّاقب للشَّياطين الَّذين يسترِقون السَّمع؛ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾[الصَّافَّات].

المثال الثَّالث لتفسير القرآن بالقرآن:

قال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[النَّازعات]، هذه الآية مُشكلةٌ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾[فُصِّلت].

وفسَّر الله عَزَّوَجَلَّ الدَّحو بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [النَّازعات].

أمثلةٌ أخرى لتفسيرِ القرآنِ بالقرآنِ:

الآيةُ:	تفسيرُها:
﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾[الطَّارق].	﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾[الطَّارق].
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢].	﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾[لقمان].
﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:١].	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ...﴾ [المائدة:٣].
﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾[النَّازعات].	﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾﴾ [النَّازعات].
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾[آل عمران].	قُيِّدت بقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[النِّساء:١٨].
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة:٢٢٨].	خُصِّصت بقوله تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[الطَّلاق:٤]، وقوله: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾[الأحزاب:٤٩].

الآيةُ:	تفسيرُها:
﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ [هود].	﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذَّاريات].
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ [المعارج].	﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج].
﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المُطفِّفين].	خُصِّصت بقولِه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ب. (كَلَام رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيُفَسَّرُ الْقُرْآنُ بِالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُبَلِّغٌ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمُرَادِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ كَلَامِهِ.

وَلِذَلِك أَمْثِلَةٌ مِنْهَا:

أَوَّلًا: **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ **[يونس:٢٦]، فَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الزِّيَادَةَ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، فِيمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ صَرِيحًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَىٰ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَرَوَاهُ جَرِيرٌ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِم» عَنْ صُهَيْبِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثٍ قَالَ فِيهِ: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.

ثَانِيًا: **قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ **[الأنفال: ٦٠]، فَقَدْ فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْقُوَّةَ بِالرَّمْيِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ).**

تنبيهٌ مُهمٌّ:

عند تفسير القرآن بالسُّنَّة أو بكلام الصَّحابة لابدَّ من مُلاحظة أنَّه قد يكون من باب ذكر بعض أنواع ما يدخل في الآية، لا أنَّ المُرادَ تفسيرُ كلِّ المَعنىٰ.

المثال الأوَّل لتفسير القرآن بالسُّنَّة:

قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ خبرٌ مُقدَّمٌ، ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مُبتدأٌ مُؤخَّرٌ، أي: الدَّارُ الحُسنىٰ، وهي الجنَّة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، قال النَّبيُّ ﷺ -كما في «صحيح مسلم» من حديث صهيبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»، وتلا الآية، وتلاوتُه ﷺ للآية تدلُّ علىٰ أنَّ رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ هي الزِّيادة المَذكورة.

المثال الثَّاني لتفسير القرآن بالسُّنَّة:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ أيُّها المؤمنون ﴿لَهُم﴾ أي: الكفَّار ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]، فما المَقصود بالقوَّة هنا؟ أخرج مسلمٌ من حديث عقبة بن عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ تلا الآية علىٰ المنبر ثمَّ قال: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»، والرَّمي أكمل القوَّة، ولهذا أجاز الشَّرعُ المُسابقة بالرَّمي بعِوضٍ.

السِّلاح نوعان:

[١] **السِّلاح الأبيض**: كالسَّكاكين والسُّيوف وما أشبهها.

[٢] **الرَّمي**: وهو أقوىٰ؛ لأنَّه يكون من بعيدٍ، فهو أبلغ من المُلاقاة باليد.

والرَّمي يختلف من زمنٍ لآخر، كان في عهد النَّبيِّ ﷺ بالنِّبال وما أشبهها، ثمَّ صار بالبندقيَّة، ثمَّ صار في يومِنا بالصَّواريخ عابرة القارَّات.

أمثلَةٌ أخرى لتَفسيرِ القرآنِ بالسُّنَّة:	
الآيةُ:	**تفسيرُها:**
﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[البقرة:١٨٧].	قالَ ﷺ: «**إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ**». متَّفَقٌ عليه.
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨].	قُيِّدَت بقَولِه ﷺ: «**تُقْطَعُ الْيَدُ فِي رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا**». متَّفقٌ عليه. وبقَولِه ﷺ: «**اقْطَعُوا يَدَهَا**». أخرَجَه أحمَدُ.
﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾[الكوثر].	«**نَهَرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ**». متَّفقٌ عليه واللَّفظُ لمسلمٍ.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

ج. (كَلَامِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَاسِيَمَا ذَوُو الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْعِنَايَةِ بِالتَّفْسِيرِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَتِهِمْ، وَفِي عَصْرِهِمْ، وَلِأَنَّهُمْ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ أَصْدَقُ النَّاسِ فِي طَلَبِ الْحَقِّ، وَأَسْلَمُهُمْ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَأَطْهَرُهُمْ مِنَ الْمُخَالَفَةِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَبَيْنَ التَّوْفِيقِ لِلصَّوَابِ. وَلِذَلِكَ أَمْثِلَةٌ كَثِيرَةٌ جِدًّا مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النِّسَاء: ٤٣]، فَقَدْ صَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ فَسَّرَ الْمُلَامَسَةَ بِالْجِمَاعِ).

هل الصَّحابة سواءٌ في تفسير القرآن؟

المَرجعُ في تفسير القرآن إلىٰ ذوي العلم من الصَّحابة، المُعتَنين بالتَّفسير، والصَّحابة درجاتٌ في العلم والفقه.

سبب تقديم الصَّحابة على غيرِهم في التَّفسير:

[١] أنَّ القرآن نزل بلغتهم وفي عصرِهم: فكان ﷺ يخطبُهم بسورة ق، ولو خطبت بها الآن لم تكف؛ لأنَّ النَّاس لا يستفيدون منها إلَّا ما قد يحصُل من ترقيق قلوبهم.

[٢] أنَّهم أصدقُ النَّاس بعد الرُّسل: في طلب الحقِّ، لا شكَّ في ذلك.

[٣] وأسلمُهم من الأهواء: وإنَّما افترقت الأمَّة وكثرت الأهواء بعدَهم، أمَّا في عهدهم فقليلٌ إن لم نقل مَعدومٌ.

[٤] وأطهرُهم من مُخالفة أمر الله: فمُخالفةُ أمر الله عَزَّ وَجَلَّ ومَعصيتُه تحولان بين المرء وبين التَّوفيق للصَّواب.

القرآن نزل:

[١] بلُغةِ الصَّحابة: فهم أولىٰ بمعرفة مَعناه من غيرهم.

مثالُه: في «صحيح البخاريِّ»: (كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُدْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: إِنَّ لَنَا أَبْنَاءَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ تَعْلَمُ، فَسَأَلَ عُمَرُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾[النَّصر]، فَقَالَ: أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ).

[٢] في عصرِ الصَّحابة: فيعرفون القرائن الَّتي يُراد بها المَعنىٰ.

مثالُه: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾[البقرة:١٥٨]، فهم منها الصَّحابة وجوب السَّعي لا إباحتَه وعدمَ تحريمه، وذلك لأنَّهم كانوا يتحرَّجون من الطَّواف بينهما لظنِّهم أنَّه من أمر الجاهليَّة، فنزلت الآية ترفع عنهم الحرج.

تنبيهٌ مُهمٌّ:

الصَّحابة أعلم الخلق بعد النَّبيِّ ﷺ بتفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ، لا سيما فيما يتعلَّق بالأحكام، وما يتعلَّق بالفقه في الدِّين، وبالعقيدة، أمَّا ما يتعلَّق بالعلوم الفلكيَّة أو الأرضيَّة فقد يكون مَن بعدهم عنده علمٌ كثيرٌ؛ لأنَّهم أوتوا من وسائل الوصول إلىٰ هذه المَعلومة ما لم يُؤتَ الصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم.

مثال تفسير الصَّحابة للقرآن:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ لا تستطيعون الطَّهارة بالماء، ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ وليس عندكم ماءٌ، ﴿أَوْ﴾ بمعنىٰ الواو ﴿جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ إشارةٌ إلىٰ مُوجِب الوضوء، ﴿أَوْ﴾ للتَّقسيم ﴿لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[النِّساء:٤٣] إشارةٌ إلىٰ مُوجِب الغسل، لا إلىٰ اللَّمس باليد؛ لأنَّه مُوجِبٌ للوضوء، وليس من البلاغة الإشارة إلىٰ مُوجِبين من مُوجِبات الوضوء وإغفال مُوجِبات الغُسل، وبهذا يتبيَّن كمال فقه ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ معنىٰ ﴿لَٰمَسْتُمُ﴾: جامعتم، وجاء في قراءةٍ سبعيَّةٍ: (أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ)، وهما بمعنًىٰ، لكن لمَّا كان الجماع قد يحصل به التَّلذُّذ من جانبٍ واحدٍ أو من الجانبين جاءت المُفاعلةُ: ﴿لَٰمَسْتُمُ﴾، وكلامُ الله يُفسِّر بعضُه بعضًا، فالآية بمعنىٰ الجماع علىٰ التَّقديرين، فلا نعدل إلىٰ غيرِه.

من بلاغة هذه الآية أنَّها تضمَّنت:

- [١] نوعين ممَّا يُتطهَّر به:
  - [أ] الـماء: وهو الأصل.
  - [ب] التُّراب: عند عدم الماء.
- [٢] نوعين من الطَّهارة:
  - [أ] الوضوء.
  - [ب] الغسل.
- [٣] نوعين ممَّا يُتطهَّر منه:
  - [أ] الغائط: إشارةً إلىٰ موجبات الوضوء.
  - [ب] مُلامسة النِّساء: إشارةً إلىٰ موجبات الغُسل.

اختلف الفقهاء في نقض الوضوء بمسِّ المرأة على ثلاثة أقوالٍ:

[١] **الأوَّل**: أنَّه ينقض الوضوء مُطلقًا، فإذا قدم الرَّجل من سفرٍ وهو مُتوضِّئٌ فصافح ابنته وجب عليه الوضوءُ!

[٢] **الثَّاني**: أنَّه لا ينقض الوضوء مُطلقًا، ولو كان بشهوةٍ، وهو الصَّحيح، وفي «مُصنَّف عبد الرَّزَّاق» عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (مَا أُبَالِي قَبَّلْتُهَا أَوْ شَمَمْتُ رَيْحَانًا)، وكذلك لا ينتقض الصَّوم به.

[٣] **الثَّالث**: أنَّه إذا كان بلذَّةٍ ينقض الوضوء، وإذا كان بغير لذَّةٍ لا ينقض الوضوء.

أمثلَةٌ لتَفسيرِ القرآنِ بالإجماعِ الـمُنعَقِدِ بين الصَّحابَةِ ومَن بعدَهم:

الآيةُ:	تفسيرُها:
﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ﴾[النِّساء:١٢].	أي: أخٌ أو أختٌ لأمٍّ، ولا يَدخُلُ فيها الإخوَةُ الأشقَّاءُ أو لأبٍ؛ لأنَّهم عصبةٌ.
﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ﴾[الطَّلاق:٢].	أي: إذا قارَبن أجلهنَّ، أمَّا إذا انقضىٰ أجلُهنَّ فلا رجعَةَ.
﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر].	أي: حتَّىٰ يأتِيَك المَوتُ، وأمَّا ما ذهَبَ إليه الصُّوفيَّةُ من انقِطاعِ التَّكليفِ فمُخالِفٌ للإجماعِ، ولا عِبرَةَ به.
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا﴾ [يوسف:١٠٠].	أي: سَجدوا تحِيَّةً له، لا عِبادَةً له -عِياذًا باللهِ-، وكانَ سجودُ التَّحِيَّةِ سائغًا في شَريعَتِهم، ثمَّ نُسِخَ في شَرعِنا.
﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة:٥٤].	أي: فليَقتُل بعضُكم بعضًا، وأمَّا قَتلُ الإنسانِ نَفسَهُ فمُحرَّمٌ في كلِّ الشَّرائِع.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

د. (كَلَام التَّابِعِينَ الَّذِينَ اعْتَنَوْا بِأَخْذِ التَّفْسِيرِ عَنِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّ التَّابِعِينَ خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ، وَأَسْلَمُ مِنَ الْأَهْوَاءِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ، وَلَمْ تَكُنِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا فِي عَصْرِهِمْ، فَكَانُوا أَقْرَبَ إِلَىٰ الصَّوَابِ فِي فَهْمِ الْقُرْآنِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَام ابْنُ تَيْمِيَّةَ: إِذَا أَجْمَعُوا -يَعْنِي التَّابِعِينَ- عَلَىٰ الشَّيْءِ فَلَا يُرْتَابُ فِي كَوْنِهِ حُجَّةً، فَإِنِ اخْتَلَفُوا فَلَا يَكُونُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ حُجَّةً عَلَىٰ بَعْضٍ، وَلَا عَلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَيُرْجَعُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ لُغَةِ الْقُرْآنِ، أَوِ السُّنَّةِ، أَوْ عُمُوم لُغَةِ الْعَرَبِ، أَوْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ. وَقَالَ أَيْضًا: مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَىٰ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ؛ بَلْ مُبْتَدِعًا، وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَغْفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَفَسَّرَ الْقُرْآنَ بِخِلَافِ تَفْسِيرِهِمْ، فَقَدْ أَخْطَأَ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ جَمِيعًا).

من أسباب تقديم تفسير التَّابعين على تفسير مَن بعدهم:

[١] أنَّهم أفضل ممَّن بعدهم، قال النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». مُتَّفَقٌ عليه. والمُراد بالتَّخيير الجنسُ، فجنسُ الصَّحابة هو الأَخْيَرُ، ثمَّ جنسُ التَّابعين، وقد يوجدُ في التَّابعين من هو خيرٌ من بعض الصَّحابة في العلم والدِّين، لا في الصُّحبة.

[٢] أنَّهم (**أَسْلَمُ مِنَ الْأَهْوَاءِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ**) لا مَن قبلهم، ولهذا تجد كلامَ بعض التَّابعين يكاد يكون مثل كلام الصَّحابة، حتَّىٰ إنَّك أحيانًا لا تكاد تُميِّز بين أثر التَّابعيِّ وأثر الصَّحابيِّ.

[٣] (**لَمْ تَكُنِ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَغَيَّرَتْ كَثِيرًا فِي عَصْرِهِمْ**)، وإنَّما تغيَّرت كثيرًا لمَّا فتح المسلمون البلاد، وامتزجوا بأهلها، فأخذوا منهم كلماتٍ، وتأثَّروا بلغاتهم.

ذكر شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ التَّابعين قد:

[١] يُجمعون على تفسيرٍ مُعيَّنٍ: فإجماعُهم حجَّةٌ علىٰ مَن بعدهم، ليس لأحدٍ أن يخالفهم فيه.

[٢] يختلفون في التَّفسير: فلا يكون قولُ بعضهم حجَّةً علىٰ بعضٍ، وإنَّما يُنظر إلىٰ ما يرجِّحه الدَّليل.

التَّرجيح بين تفاسير التَّابعين يكون بـ:

[١] لغة القرآن: وهي الحقيقة الشَّرعيَّة.

[٢] لغة السُّنَّة.

[٣] أقوال الصَّحابة.

[٤] عموم لغة العرب.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

هـ. (مَا تَقْتَضِيهِ الْكَلِمَاتُ مِنَ الْمَعَانِي الشَّرْعِيَّةِ أَوِ اللُّغَوِيَّةِ حَسَبَ السِّيَاقِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾[النِّسَاء: ١٠٥]، وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾[الزُّخرف]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[إبراهيم:٤].

فَإِنِ اخْتَلَفَ الْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ وَاللُّغَوِيُّ أُخِذَ بِمَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعِيُّ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ لِبَيَانِ الشَّرْعِ، لَا لِبَيَانِ اللُّغَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ دَلِيلٌ يَتَرَجَّحُ بِهِ الْمَعْنَىٰ اللُّغَوِيُّ فَيُؤْخَذُ بِهِ.

مِثَالُ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْمَعْنَيَانِ وَقُدِّمَ الشَّرْعِيُّ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي الْمُنَافِقِينَ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾[التَّوبة:٨٤]، فَالصَّلَاةُ فِي اللُّغَةِ الدُّعَاءُ، وَفِي الشَّرْعِ هُنَا الْوُقُوفُ عَلَىٰ الْمَيِّتِ لِلدُّعَاءِ لَهُ بِصِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ، فَيُقَدَّمُ الْمَعْنَىٰ الشَّرْعِيُّ؛ لِأَنَّهُ الْمَقْصُودُ لِلْمُتَكَلِّمِ، الْمَعْهُودُ لِلْمُخَاطَبِ، وَأَمَّا مَنْعُ الدُّعَاءِ لَهُمْ عَلَىٰ وَجْهِ الْإِطْلَاقِ فَمِنْ دَلِيلٍ آخَرَ.

وَمِثَالُ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْمَعْنَيَانِ وَقُدِّمَ فِيهِ اللُّغَوِيُّ بِالدَّلِيلِ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[التَّوبة: ١٠٣]، فَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ هُنَا الدُّعَاءُ،

وَبِدَلِيلِ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَىٰ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِصَدَقَةِ قَوْمٍ صَلَّىٰ عَلَيْهِمْ، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ».

وَأَمْثِلَةُ مَا اتَّفَقَ فِيهِ الْمَعْنَيَانِ الشَّرْعِيُّ وَاللُّغَوِيُّ كَثِيرَةٌ؛ كَالسَّمَاءِ، وَالْأَرْضِ، وَالصِّدْقِ، وَالْكَذِبِ، وَالْحَجَرِ، وَالْإِنْسَانِ).

من أدلَّة اعتبار الـمَعنى اللُّغويِّ في التَّفسيرِ:

[١] ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [**النِّساء**:١٠٥]:

قال بعض أهل العلم: إذا نزلت بك نازلةٌ فقدِّم بين يدي حلِّها الاستغفارَ؛ لأنَّ المَعاصيَ تَحولُ بين الإنسان والحقِّ والتَّوفيق للصَّواب.

[٢] ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٣﴾ [**الزُّخرف**]:

﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ أي: صيَّرناه، لأنَّ الفعل (جعل) تعدَّى إلىٰ مفعولين، وليس كما قالت الجهميَّة: خلقناه، وكذلك ليس معناه أنَّ القرآن كان بغير العربيَّة ثمَّ نُقل وصُيِّر إليها.

[٣] ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [**إبراهيم**:٤]:

﴿بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ أي: بلغتهم، ويُستفادُ منها جواز مُخاطبة مَن لا يفهم العربيَّة بلغته الَّتي يفهمها.

القاعدة:

المَعنىٰ اللُّغويُّ مُعتبرٌ في التَّفسير، لكنَّ الأصل أنَّ المَعنىٰ الشَّرعيَّ مُقدَّمٌ عليه إذا وُجد، إلَّا إذا دلَّ دليلٌ علىٰ تقديم المَعنىٰ اللُّغويِّ فيُعمَلُ به.

مثال ذلك: حكم:

[١] الصَّلاة على الـمُنافق والكافر:

حرامٌ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾[التَّوبة:٨٤]، فنقدِّم المَعنىٰ الشَّرعيَّ للصَّلاة -أي: صلاة الجنازة المَعروفة- علىٰ المَعنىٰ اللُّغويِّ وهو الدُّعاء.

[٢] الدُّعاء للمُنافق والكافر بعد موته:

حرامٌ كذلك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾[التَّوبة:١١٣]، ولقوله ﷺ: «**اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي فَلَمْ يَأْذَنْ لِي**». أخرجه مسلمٌ.

يُستثنىٰ من ذلك شفاعتُه ﷺ في عمِّه أبي طالب، فقد أذن له الله عَزَّوَجَلَّ فيها، قال ﷺ: «**فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ**». مُتَّفقٌ عليه. وسبب إذن الله عَزَّوَجَلَّ له في أن يشفع في عمِّه دون أبيه وأمِّه أنَّ عمَّه نصره ودافع عنه، وذبَّ عن الإسلام.

مثال تقديم الـمَعنى اللُّغويِّ على الشَّرعيِّ:

قال تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾[التَّوبة:١٠٣]، نحملُها علىٰ المَعنىٰ اللُّغويِّ للصَّلاة، أي: ادعُ لهم، وذلك لحديث ابن أبي أوفىٰ في «الصَّحيحين»: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَةٍ قَالَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِمْ**»، فَأَتَاهُ أَبِي بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ آلِ أَبِي أَوْفَىٰ**».

مثال اتِّفاق الـمَعنى اللُّغويِّ مع الشَّرعيِّ:

لفظ (السَّماء) مَعناه في اللُّغة: العلوُّ، أو السَّقف المَرفوعُ، وكذا في الشَّرع، قال تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[المُلك:١٦] أي: في العُلُوِّ، وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾[الذَّاريات:٤٧] أي: السَّماء المَبنيَّةُ الَّتي هي السَّقف المَرفوع.

رَابِعًا: الِاخْتِلَافُ الْوَارِدُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (الِاخْتِلَافُ الْوَارِدُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمَأْثُورِ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:
الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: اخْتِلَافٌ فِي اللَّفْظِ دُونَ الْمَعْنَىٰ، فَهَذَا لَا تَأْثِيرَ لَهُ فِي مَعْنَىٰ الْآيَةِ، مِثَالُهُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء: ٢٣]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿قَضَىٰ﴾ أَمَرَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: وَصَّىٰ، وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: أَوْجَبَ، وَهَذِهِ التَّفْسِيرَاتُ مَعْنَاهَا وَاحِدٌ أَوْ مُتَقَارِبٌ، فَلَا تَأْثِيرَ لِهَذَا الِاخْتِلَافِ فِي مَعْنَىٰ الْآيَةِ).

أقسامُ الاختلافِ الواردِ في التَّفسيرِ بالـمَأثورِ:

[١] **الاختلاف في اللَّفظ دون الـمَعنى**: فلا تأثير له علىٰ معنىٰ الآية.

[٢] **الاختلافُ في اللَّفظ والمَعنى، والآية تحتمل الـمَعنيين**: فتُحملُ الآية علىٰ المَعنيين معًا؛ لأنَّه لا تضادَّ بينهما.

[٣] **الاختلافُ في اللَّفظ والمَعنى، والآية لا تحتمل الـمَعنيين**: فيُرجَّحُ بينهما بما يقتضيه السِّياق، وغير ذلك من القرائن.

قاعدةٌ أولى: بابُ بَيانِ مَعاني القُرآنِ الكريمِ قد بيَّنه القرآنُ، والسُّنَّةُ، والصَّحابةُ، والتَّابعون، فإذا اختلف الصَّحابةُ والتَّابعونَ علىٰ قَولين فلا يجوزُ إحداثُ قولٍ ثالثٍ، بخِلافِ بابِ الاستِدلالِ والاستِنباطِ من الآياتِ، فهو جائزٌ بشروطِه.
قاعدةٌ ثانيةٌ: بابُ بيانِ المَعاني أضيَقُ من بابِ الاستدلالِ في تفسير القرآنِ الكريمِ.

مثالُ القسم الأوَّل:

قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، ذكر المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ لفظ (قضىٰ) فُسِّر علىٰ ثلاثة معانٍ: (أَمَرَ)، و(وَصَّىٰ)، و(أَوْجَبَ)، وكلُّها مَعانيها مُتقاربةٌ، فلا تضادَّ بينها، ولهذا لا يُمكن أن يُقال بأنَّ في تفسير الآية ثلاثة أقوالٍ، فلا تأثير للاختلاف.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (**الْقِسْمُ الثَّانِي**: اخْتِلَافٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَىٰ، وَالْآيَةُ تَحْتَمِلُ الْمَعْنَيَيْنِ؛ لِعَدَمِ التَّضَادِّ بَيْنَهُمَا؛ فَتُحْمَلُ الْآيَةُ عَلَيْهِمَا، وَتُفَسَّرُ بِهِمَا، وَيَكُونُ الْجَمْعُ بَيْنَ هَـٰذَا الِاخْتِلَافِ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ ذُكِرَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّمْثِيلِ لِمَا تَعْنِيهِ الْآيَةُ، أَوِ التَّنْوِيعِ.

مِثَالُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف]، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، وَقِيلَ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلْقَاءِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ: أَنْ تُحْمَلَ الْآيَةُ عَلَيْهَا كُلِّهَا؛ لِأَنَّهَا تَحْمِلُهَا مِنْ غَيْرِ تَضَادٍّ، وَيَكُونُ كُلُّ قَوْلٍ ذُكِرَ عَلَىٰ وَجْهِ التَّمْثِيلِ.

وَمِثَالٌ آخَرُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ [النَّبأ]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿دِهَاقًا﴾ مَمْلُوءَةً، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: مُتَتَابِعَةً، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: صَافِيَةً، وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ هَـٰذِهِ الْأَقْوَالِ، وَالْآيَةُ تَحْتَمِلُهَا، فَتُحْمَلُ عَلَيْهَا جَمِيعًا، وَيَكُونُ كُلُّ قَوْلٍ لِنَوْعٍ مِنَ الْمَعْنَىٰ).

المثال الأوَّل للقسم الثَّاني:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ أي: تخلَّىٰ عنها، كما ينسلخ جلد الشَّاة، ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: اتَّبعه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾[الأعراف] فالله عَزَّوَجَلَّ يرفع بالعلم أقوامًا في الدُّنيا والآخرة، أو في الآخرة دون الدُّنيا، ويضع به آخرين، فاختُلف في الرَّجل المَذكور في الآية، فقيل: من بني إسرائيل، وقيل: من اليمن، وقيل: من البلقاء، وهذا اختلافٌ في اللَّفظ والمَعنىٰ، إلَّا أنَّه يمكن حمل الآية علىٰ الأقوال جميعها لعدم التَّضادِّ بين المَعاني المُفسَّر بها، فتُحمل عليها كلِّها، ويكون المَذكورون من باب التَّمثيل.

لكنَّ لفظ ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ في الآية مُفردٌ، فكيف يحتمل أكثر من شخصٍ؟ الجواب: اسم الموصول وإن كان مُفردًا فإنَّه يدلُّ علىٰ العموم، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزُّمر].

المثال الثَّاني للقسم الثَّاني:

قال تعالىٰ: ﴿وَكَأۡسࣰا دِهَاقࣰا ٣٤﴾[النَّبأ]، قيل: (مَمْلُوءَةً)، وقيل: (مُتَتَابِعَةً)، وقيل: (صَافِيَةً)، وهي مَعانٍ مُختلفةٌ، لكنَّها غير مُتضادَّةٍ، فتكون الكأس مُتصَّفةٍ بالصِّفات الثَّلاثة معًا.

مثالٌ ثالثٌ للقسم الثَّاني:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧﴾[التَّكوير]، ولفظ ﴿عَسۡعَسَ﴾ يعني: (أقبل)، و(أدبر)، ولا تنافي بين المَعنيين، فتُحمل الآية عليهما معًا.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الْقِسْمُ الثَّالِثُ: اخْتِلَافُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَىٰ، وَالْآيَةُ لَا تَحْتَمِلُ الْمَعْنَيَيْنِ مَعًا؛ لِلتَّضَادِّ بَيْنَهُمَا، فَتُحْمَلُ الْآيَةُ عَلَىٰ الْأَرْجَحِ مِنْهُمَا بِدَلَالَةِ السِّيَاقِ أَوْ غَيْرِهِ.

مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغࣲ وَلَا عَادࣲ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورࣱ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾[البقرة]، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: غَيْرَ بَاغٍ فِي الْمَيْتَةِ، وَلَا عَادٍ فِي أَكْلِهِ، وَقِيلَ: غَيْرَ خَارِجٍ عَلَىٰ الْإِمَامِ وَلَا عَاصٍ بِسَفَرِهِ، وَالْأَرْجَحُ الْأَوَّلُ؛ لِأَنَّهُ لَا دَلِيلَ فِي الْآيَةِ عَلَىٰ الثَّانِي، وَلِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِحِلِّ مَا ذُكِرَ دَفْعُ الضَّرُورَةِ، وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي حَالِ الْخُرُوجِ عَلَىٰ الْإِمَامِ، وَفِي حَالِ السَّفَرِ الْمُحَرَّمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِثَالٌ آخَرُ: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةࣰ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾[البقرة: ٢٣٧]، قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فِي الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ: هُوَ الزَّوْجُ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ الْوَلِيُّ، وَالرَّاجِحُ الْأَوَّلُ؛ لِدَلَالَةِ الْمَعْنَىٰ عَلَيْهِ، وَلِأَنَّهُ قَدْ رُوِيَ فِيهِ حَدِيثٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ).

الـمثال الأوَّل للقسم الثَّالث:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي: ما مات حتف نفسه، ويُستثنىٰ منها السَّمكُ والجرادُ، قال ﷻ: ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أي: المَسفوح، ويُستثنىٰ من الدَّم الكبدُ والطُّحالُ، وما يبقىٰ في اللَّحم والعروق بعد الذَّكاة الشَّرعيَّة، ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ وهو مَعروفٌ، ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ أي: سُمِّي عليه غيرُ اسم الله، ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي: ألجأته الضَّرورة إلىٰ أكل هذه المُحرَّمات، ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾[البقرة]:

[١] قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: (غَيْرَ بَاغٍ فِي الْمَيْتَةِ) أي: طالبٍ لها، (وَلَا عَادٍ فِي أَكْلِهِ) أي: أكل بقدر الضَّرورة فقط.

[٢] وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ (غَيْرَ خَارِجٍ عَلَىٰ الْإِمَامِ)، و﴿وَلَا عَادٍ﴾ (وَلَا عَاصٍ بِسَفَرِهِ).

هذا التَّفسيرُ أرجح؛ لأنَّه يؤيِّده قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣﴾[المائدة]، ولأنَّه لا دليل في الآية علىٰ التَّفسير الثَّاني.

هل يُقدِّم الـمُضطرُّ الـميتة أم ما ذُبح لغير اللَّه؟

لو أنَّ مُضطرًّا وجد ميتةً وذبيحةً ذُبحت لغير الله فإنَّه يأخذ بأقلِّهما ضررًا، والغالب أنَّ الَّتي ذُبحت لغير الله أقلُّ ضررًا من الميتة؛ لأنَّ الميتة قد تسرَّب إليها بعض الميكروبات.

الـمُسافر يكون:

[١] عاصيًا في سفره:
إذا ارتكب مُحرَّمًا في سفره.
ويجوز له القصر في سفره.

[٢] عاصيًا بسفره:
إذا أنشأ السَّفر لأجل ارتكاب المُحرَّم.
ولا يجوز له القصر في سفره.

الـمثال الثَّاني للقسم الثَّالث:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾، الفاء واقعةٌ في جواب الشَّرط، و(نصف) مُبتدأٌ خبره مَحذوفٌ تقديره (فلهُنَّ) أو (فلكم)، ويجوز أن نجعل (نصف) خبر المُبتدأ المَحذوف، ويكون التَّقدير: (فالواجب نصف ما فرضتم)، ويحتمل أن يكون تقديره:

[١] **واجبٌ لكم**: فيكون النِّصفُ والباقي للأزواج.

[٢] **واجبٌ لهنَّ**: فيكون النِّصف للزَّوجات، وهذا أقرب إلىٰ المَعنىٰ.

استثنى الله عَزَّوَجَلَّ من وجوب النِّصف:

[١] ﴿إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾: أي تعفو الزَّوجات عن النِّصف الَّذي لهنَّ، وهذا واضحٌ ولا إشكال فيه.

[٢] ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾: من هو الَّذي بيده عقدة النِّكاح؟

[أ] قال عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هُوَ الزَّوْجُ)، وهو أرجح لأمورٍ.

[ب] قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (هُوَ الْوَلِيُّ).

- ❖ لأنَّه جاء فيه حديث عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- ❖ لدلالة التَّقسيم عليه، فـ: ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ للزَّوجات، و﴿أَوْ يَعْفُوَا۟﴾ للأزواج، فيكون العفو مُعتبراً من الجانبين، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ يغني عن ذكر الوليِّ؛ لأنَّ كلاهما من جانب الزَّوجة.
- ❖ لو قلنا: إنَّ الأب يملك أن يعفو عن النِّصف فإنَّ فيه نظرًا؛ لأنَّه يسقط حقَّها، فكيف إذا كان الوليُّ غير الأب؟!

مثالٌ ثالثٌ للقسم الثَّالث:

قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾[البقرة:٢٢٨]، اختلف السَّلف في معنىٰ القروء علىٰ قولين:

[١] **الحِيَضُ**: وهذا هو الصَّواب؛ لدلالة السُّنَّة في المُستحاضة عليه.

[٢] **الأطهار**.

فائدةٌ:

الاختِلافُ في تفسير القرآنِ الكريمِ أقلُّ بكثيرٍ من الاختلافِ في الأحكامِ الفقهيَّة، وذلك لأنَّ تفسيرَ القرآنِ هو تبيينُ مَعاني ألفاظِه ومُرادِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ منها، وهذا شيءٌ يقِلُّ فيه الخِلافُ، بينما الأحكامُ الفقهيَّةُ مَبنيَّةٌ علىٰ الاجتهادِ والنَّظرِ والقياسِ، ولهذا صارَ الاختِلافُ فيها أكثَرَ.

فائدةٌ أخرى:

إنَّما فُسِّرَ القرآنُ الكريمُ من أجلِ الهدايَةِ لا من لمُجرَّدِ معرفةِ الألفاظِ؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أنزلَ القرآن هدايةً للنَّاسِ، ليُخرِجَهم به من الظُّلُماتِ إلىٰ النُّورِ، ويَهديَهم إلىٰ صراطِ العَزيزِ الحَميدِ، قالَ تعالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[إبراهيم].

خَامِسًا: تَرْجَمَةُ الْقُرْآنِ

قَالَ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّرْجَمَةُ لُغَةً: تُطْلَقُ عَلَىٰ مَعَانٍ تَرْجِعُ إِلَىٰ الْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ، وَفِي الِاصْطِلَاحِ: التَّعْبِيرُ عَنِ الْكَلَامِ بِلُغَةٍ أُخْرَىٰ.
وَتَرْجَمَةُ الْقُرْآنِ: التَّعْبِيرُ عَنْ مَعْنَاهُ بِلُغَةٍ أُخْرَىٰ.
وَالتَّرْجَمَةُ نَوْعَانِ:
أَحَدُهُمَا: تَرْجَمَةٌ حَرْفِيَّةٌ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُوضَعَ تَرْجَمَةُ كُلِّ كَلِمَةٍ بِإِزَائِهَا.
الثَّانِي: تَرْجَمَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، أَوْ تَفْسِيرِيَّةٌ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُعَبَّرَ عَنْ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ بِلُغَةٍ أُخْرَىٰ مِنْ غَيْرِ مُرَاعَاةِ الْمُفْرَدَاتِ وَالتَّرْتِيبِ.
مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الزُّخرف].
فَالتَّرْجَمَةُ الْحَرْفِيَّةُ: أَنْ يُتَرْجِمَ كَلِمَاتِ هَذِهِ الْآيَةِ كَلِمَةً كَلِمَةً، فَيُتَرْجِمَ (إِنَّا)، ثُمَّ (جَعَلْنَٰهُ)، ثُمَّ (قُرْءَٰنًا)، ثُمَّ (عَرَبِيًّا)، وَهَكَذَا...
وَالتَّرْجَمَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ: أَنْ يُتَرْجِمَ مَعْنَىٰ الْآيَةِ كُلِّهَا، بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْ مَعْنَىٰ كُلِّ كَلِمَةٍ وَتَرْتِيبِهَا، وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ مَعْنَىٰ التَّفْسِيرِ الْإِجْمَالِيِّ).

تعريف التَّرجمة:

[١] لغةً:
(تُطْلَقُ عَلَىٰ مَعَانٍ تَرْجِعُ إِلَىٰ الْبَيَانِ وَالْإِيضَاحِ)، ولهذا إذا كلَّمك إنسانٌ لكلامٍ لا تعرف مَعناه تقول له: ترجم لي هذا، أي: بيِّنه، حتَّىٰ وإن كان بلغتك، فالتَّرجمة والتَّفسير مَعناهما واحدٌ.

[٢] اصطلاحًا:
(التَّعْبِيرُ عَنِ الْكَلَامِ بِلُغَةٍ أُخْرَىٰ)، وهذا أصحُّ من قول بعضهم: (نقل اللام من لغةٍ إلىٰ أخرىٰ)؛ لأنَّ الكلام الأوَّل لم يُنقل، ولك عُبِّر عنه، وعليه فترجمة القرآن: (التَّعْبِيرُ عَنْ مَعْنَاهُ بِلُغَةٍ أُخْرَىٰ).

ترجمة القرآن نوعان:

[١] ترجمةٌ حرفيَّةٌ:
(أَنْ يُوضَعَ تَرْجَمَةُ كُلِّ كَلِمَةٍ بِإِزَائِهَا)، فنترجم كلَّ كلمةٍ علىٰ حدةٍ بنفس ترتيبها في اللُّغة العربيَّة.

[٢] ترجمةٌ مَعنويَّةٌ تفسيريَّةٌ:
(بِأَنْ يُعَبَّرَ عَنْ مَعْنَى الْكَلَامِ) بدون التَّقيُّد بمَعاني المُفردات، ولا بترتيبها، والتَّرجمة قد تكون أطول أو أقصر من الأصل.

مثَّل المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ﴾ يعني: القرآن، و﴿جَعَلْنَٰهُ﴾ بمعنىٰ: صيَّرناه، ﴿قُرْءَٰنًا﴾ مَقروءًا أو قارئًا، بمعنىٰ: جامع، ﴿عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب، ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾[الزُّخرف] أي: لأجل أن تعقلوه وتفهموه، يُخبر تعالىٰ أنَّه جعله بلغة العرب من أجل أن يعقله العرب.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ:

(حُكْمُ تَرْجَمَةِ الْقُرْآنِ:

التَّرْجَمَةُ الْحَرْفِيَّةُ بِالنِّسْبَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُسْتَحِيلَةٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُشْتَرَطُ فِي هَذَا النَّوْعِ مِنَ التَّرْجَمَةِ شُرُوطٌ لَا يُمْكِنُ تَحَقُّقُهَا مَعَهَا وَهِيَ:

أ. وُجُودُ مُفْرَدَاتٍ فِي اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ إِلَيْهَا بِإِزَاءِ حُرُوفِ اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ مِنْهَا.

ب. وُجُودُ أَدَوَاتٍ لِلْمَعَانِي فِي اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ إِلَيْهَا مُسَاوِيَةً أَوْ مُشَابِهَةً لِلْأَدَوَاتِ فِي اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ مِنْهَا.

ج. تَمَاثُلُ اللُّغَتَيْنِ الْمُتَرْجَمِ مِنْهَا وَإِلَيْهَا فِي تَرْتِيبِ الْكَلِمَاتِ حِينَ تَرْكِيبِهَا فِي الْجُمَلِ، وَالصِّفَاتِ، وَالْإِضَافَاتِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ التَّرْجَمَةَ الْحَرْفِيَّةَ يُمْكِنُ تَحَقُّقُهَا فِي بَعْضِ آيَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، وَلَكِنَّهَا -وَإِنْ أَمْكَنَ تَحَقُّقُهَا فِي نَحْوِ ذَلِكَ- مُحَرَّمَةٌ؛ لِأَنَّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُؤَدِّيَ الْمَعْنَى بِكَمَالِهِ، وَلَا أَنْ تُؤَثِّرَ فِي النُّفُوسِ تَأْثِيرَ الْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ الْمُبِينِ، وَلَا ضَرُورَةَ تَدْعُو إِلَيْهَا؛ لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهَا بِالتَّرْجَمَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ.

وَعَلَىٰ هَـذَا فَالتَّرْجَمَـةُ الْحَرْفِيَّـةُ إِنْ أَمْكَنَـتْ حِسًّـا فِـي بَعْـضِ الْكَلِمَـاتِ فَهِـيَ مَمْنُوعَـةٌ شَـرْعًا، اللَّهُـمَّ إِلَّا أَنْ يُتَرْجِـمَ كَلِمَةً خَاصَّـةً بِلُغَةِ مَـنْ يُخَاطِبُهُ لِيَفْهَمَهَا، مِنْ غَيْـرِ أَنْ يُتَرْجِمَ التَّرْكِيـبَ كُلَّـهُ = فَـلَا بَأْسَ).

يُشترط في جواز التَّرجمة الحرفيَّة ثلاثة شروطٍ:

[١] (وُجُودُ مُفْرَدَاتٍ فِي اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ إِلَيْهَا بِإِزَاءِ حُرُوفِ اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ مِنْهَا)، وهذا قد يتعذَّر؛ لأنَّه يوجد في بعض اللُّغات حروفٌ ساقطةٌ.

[٢] (وُجُودُ أَدَوَاتٍ لِلْمَعَانِي فِي اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ إِلَيْهَا مُسَاوِيَةٍ أَوْ مُشَابِهَةٍ لِلْأَدَوَاتِ فِي اللُّغَةِ الْمُتَرْجَمِ مِنْهَا)، وهذه أيضًا قد تتعذَّر، وأدوات المَعاني هي: أداة الاستفهام، وأداة النَّفي، وأداة التَّوكيد، وما أشبهها.

[٣] (تَمَاثُلُ اللُّغَتَيْنِ الْمُتَرْجَمِ مِنْهَا وَإِلَيْهَا فِي تَرْتِيبِ الْكَلِمَاتِ حِينَ تَرْكِيبِهَا فِي الْجُمَلِ، وَالصِّفَاتِ، وَالْإِضَافَاتِ)، فتجد مثلًا في العربيَّة أنَّ الخبر مُتأخِّرٌ عن المُبتدأ، وتجده في اللُّغات الأخرىٰ مُقدَّمًا عليه، وكذلك تجد الحركات تختلف...

حكم التَّرجمة الحرفيَّة:

[١] (مُسْتَحِيلَةٌ): وهو قول الأكثر؛ لعدم تحقُّق الشُّروط الثَّلاثة السَّابقة.

[٢] (مُحَرَّمَةٌ): إذا قلنا هي ممُكنةٌ في بعض الآيات أو جزئها، لأسبابٍ:

- [أ] لأنَّها لا يمكن أن تُؤدِّي المَعنىٰ بكماله، لا من جهة التَّقديم والتَّأخير، ولا من جهة حروف المَعاني والتَّوكيد...
- [ب] لأنَّها لا تؤثِّر في النُّفوس كتأثير القرآن العربيِّ.
- [ج] لأنَّ التَّرجمة المَعنويَّة تُغني عنها.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَمَّا التَّرْجَمَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ لِلْقُرْآنِ فَهِيَ جَائِزَةٌ فِي الْأَصْلِ؛ لِأَنَّهُ لَا مَحْظُورَ فِيهَا، وَقَدْ تَجِبُ حِينَ تَكُونُ وَسِيلَةً إِلَىٰ إِبْلَاغِ الْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّ إِبْلَاغَ ذَلِكَ وَاجِبٌ، وَمَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ.

لَكِنْ يُشْتَرَطُ لِجَوَازِ ذَلِكَ شُرُوطٌ:

الْأَوَّلُ: أَلَّا تُجْعَلَ بَدِيلًا عَنِ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ يُسْتَغْنَىٰ بِهَا عَنْهُ، وَعَلَىٰ هَذَا فَلَابُدَّ أَنْ يُكْتَبَ الْقُرْآنُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَإِلَىٰ جَانِبِهِ هَذِهِ التَّرْجَمَةُ؛ لِتَكُونَ كَالتَّفْسِيرِ لَهُ.

الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمُتَرْجِمُ عَالِمًا بِمَدْلُولَاتِ الْأَلْفَاظِ فِي اللُّغَتَيْنِ الْمُتَرْجَمِ مِنْهَا وَإِلَيْهَا، وَمَا تَقْتَضِيهِ حَسَبَ السِّيَاقِ.

الثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمَعَانِي الْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ.

وَلَا تُقْبَلُ التَّرْجَمَةُ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِلَّا مِنْ مَأْمُونٍ عَلَيْهَا، بِحَيْثُ يَكُونُ مُسْلِمًا مُسْتَقِيمًا فِي دِينِهِ).

حكم التَّرجمة المَعنويَّة:

- [١] **جائزةٌ**: في الأصل؛ لأنَّه لا مَحذور فيها.
- [٢] **واجبةٌ**: إذا توقَّف عليها إبلاغُ الشَّرع؛ لأنَّ ما لا يتمُّ الواجبُ إلَّا به فو واجبٌ، مثل ترجمة خطبة الجمعة، نقول: واجبةٌ؛ لأنَّ غير النَّاطقين بالعربيَّة لا يدرون ماذا يقول الخطيب.

شروط جواز التَّرجمة المَعنويَّة أربعةٌ:

ثلاثة شروطٍ تعود إلى حكم التَّرجمة:

- [١] (أَلَّا تُجْعَلَ بَدِيلًا عَنِ الْقُرْآنِ بِحَيْثُ يُسْتَغْنَىٰ بِهَا عَنْهُ).
- [٢] (أَنْ يَكُونَ الْمُتَرْجِمُ عَالِمًا بِمَدْلُولَاتِ الْأَلْفَاظِ).
- [٣] (أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِمَعَانِي الْأَلْفَاظِ الشَّرْعِيَّةِ).

شرطٌ لا يعود إليها:

- [٤] أن يكون المُترجم مأمونًا: (مُسْلِمًا مُسْتَقِيمًا).

توضيح الشَّرط الأوَّل:

لا ينبغي أن يُكتب القرآن كلُّه بالتَّرجمة المَعنويَّة فقط، بحيث لا يُقرأ القرآن، فإنَّ هذا لا يجوز؛ لأنَّه لابدَّ أن يُقرأ القرآن، فأفضل سبيلٍ في ذلك أن نجعل القرآن باللُّغة العربيَّة في صفحةٍ، والتَّرجمة في صفحةٍ، أو في نصف صفحةٍ والتَّرجمة في نصف صفحةٍ.

توضيح الشَّرط الثَّاني:

لابدَّ أن يكون المُترجم عالمًا بمدلولات الألفاظ في اللُّغتين، وما تقتضيه الألفاظ حسب السِّياق، حتَّىٰ يتمكَّن من التَّعبير عن إحدىٰ اللُّغتين بالأخرىٰ، وأمَّا إذا لم يكن قويًّا فلا يحلُّ له أن يُترجم، ولا يُؤمر.

بيان الشَّرط الثَّالث:

لابدَّ أن يكون المُترجم عالمًا بمعاني الألفاظ الشَّرعيَّة في القرآن، فيعرف مَعنىٰ الصَّلاة، والزَّكاة، والصَّوم، والحجِّ، والغيبة... فإن لم يكن عالمًا بها فلا يجوز؛ لأنَّه ربَّما يُفسِّرها بمُقتضىٰ اللُّغة العربيَّة دون الحقيقة الشَّرعيَّة.

بيان الشَّرط الرَّابع:

لابدَّ أن يكون المُترجم مَوثوقًا، ذا عقيدةٍ سليمةٍ، نأمن منه ألَّا يُحرِّف القرآن علىٰ عقيدته.

هل القرآنُ الـمُترجَمُ يأخذ حكم القرآن الأصل؟

القرآنُ المُترجَمُ لا يأخذ حكم القرآن غير المُترجَم، فيجوز مسُّه بغير وضوءٍ، ويجوز بيعُه وشراؤُه... إلخ، لكن إذا وُجد الأصلُ فيُنظر إلىٰ أيِّهما أكثر، فيكون الحكمُ للأكثر.

سَادِسًا: الْمُشْتَهِرُونَ بِالتَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (اشْتَهَرَ بِالتَّفْسِيرِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ مِنْهُمُ: الْخُلَفَاءَ الْأَرْبَعَةَ؛ أَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَةَ عَنِ الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِينَ لَمْ تَكُنْ كَثِيرَةً لِانْشِغَالِهِمْ بِالْخِلَافَةِ، وَقِلَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى النَّقْلِ فِي ذَلِكَ لِكَثْرَةِ الْعَالِمِينَ بِالتَّفْسِيرِ.

وَمِنَ الْمُشْتَهِرِينَ بِالتَّفْسِيرِ مِنَ الصَّحَابَةِ أَيْضًا: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَلْنُتَرْجِمْ لِحَيَاةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مَعَ هَذَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

[١] **عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ**: هُوَ ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ، وَزَوْجُ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهَا، وَأَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَرَابَتِهِ، اشْتَهَرَ بِهَذَا الِاسْمِ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْحَسَنِ، وَأَبُو تُرَابٍ.

وُلِدَ قَبْلَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِعَشْرِ سِنِينَ، وَتَرَبَّى فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَشَهِدَ مَعَهُ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا، وَكَانَ صَاحِبَ اللِّوَاءِ فِي مُعْظَمِهَا، وَلَمْ يَتَخَلَّفْ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، خَلَّفَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَهْلِهِ، وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟».

نُقِلَ لَهُ مِنَ الْمَنَاقِبِ وَالْفَضَائِلِ مَا لَمْ يُنْقَلْ لِغَيْرِهِ، وَهَلَكَ بِهِ طَائِفَتَانِ:

- النَّوَاصِبُ: الَّذِينَ نَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ، وَحَاوَلُوا إِخْفَاءَ مَنَاقِبِهِ.
- وَالرَّوَافِضُ: الَّذِينَ بَالَغُوا فِيمَا زَعَمُوهُ مِنْ حُبِّهِ، وَأَحْدَثُوا لَهُ مِنَ الْمَنَاقِبِ الَّتِي وَضَعُوهَا مَا هُوَ فِي غِنًى عَنْهُ؛ بَلْ هُوَ عِنْدَ التَّأَمُّلِ مِنَ الْمَثَالِبِ.

اشْتَهَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالشَّجَاعَةِ وَالذَّكَاءِ مَعَ الْعِلْمِ وَالزَّكَاءِ، حَتَّى كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَتَعَوَّذُ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو الْحَسَنِ، وَمِنْ أَمْثِلَةِ النَّحْوِيِّينَ: قَضِيَّةٌ وَلَا أَبَا حَسَنٍ لَهَا، وَرُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: سَلُونِي، سَلُونِي، وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى، فَوَاللهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أُنْزِلَتْ بِلَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: إِذَا جَاءَنَا الثَّبْتُ عَنْ عَلِيٍّ لَمْ نَعْدِلْ بِهِ، وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَا أَخَذْتُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

كَانَ أَحَدَ أَهْلِ الشُّورَى الَّذِينَ رَشَّحَهُمْ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِتَعْيِينِ الْخَلِيفَةِ، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَأَبَى إِلَّا بِشُرُوطٍ لَمْ يَقْبَلْ بَعْضَهَا، ثُمَّ بَايَعَ عُثْمَانَ، فَبَايَعَهُ عَلِيٌّ وَالنَّاسُ، ثُمَّ بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ عُثْمَانَ حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا فِي الْكُوفَةِ لَيْلَةَ السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، سَنَةَ أَرْبَعِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ).

عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ قَرَابَتِهِ)، وأوَّل مَن آمن مِن الصَّحابة الرِّجال مُطلقًا فـ:

[١] **ورقة بن نوفلٍ**: هو أوَّل من آمن بنبوَّة النَّبيِّ ﷺ، آمن قبل الرِّسالة، ومات قبلها، فإذا عرَّفنا الصَّحابيِّ بأنَّه من آمن بالنَّبيِّ ﷺ ولو قبل الرِّسالة، فإنَّه يكون صحابيًّا، وأسلم قبل أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولمَّا قصَّ عليه النَّبيُّ ﷺ ما حصل في الغار قال: «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ». مُتَّفقٌ عليه.

[٢] **أبو بكرٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هو أوَّل من آمن برسالة النَّبيِّ ﷺ، أقرَّ له بذلك عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

كُنية عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

[١] **أبو الحسن**: لأنَّ أكبر أولاده هو الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

[٢] **أبو ترابٍ**: كنَّاه بها النَّبيُّ ﷺ، رآه وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ». مُتَّفقٌ عليه.

بيانُ كذبِ الرَّوافض في زعمِهم حبَّ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَالرَّوَافِضُ الَّذِينَ بَالَغُوا فِيمَا زَعَمُوهُ مِنْ حُبِّهِ)؛ لأنَّ هذا الَّذي يُظهرونه، لكنَّ حقيقة الأمر أنَّهم يُخالفونه في أشياء؛ كإعلانه علىٰ المنبر أنَّ أبا بكرٍ وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هما خير الأمَّة، وروايته المسح علىٰ الخفَّين عن النَّبيِّ ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (وَأَحْدَثُوا لَهُ مِنَ الْمَنَاقِبِ الَّتِي وَضَعُوهَا مَا هُوَ فِي غِنًىٰ عَنْهُ؛ بَلْ هُوَ عِنْدَ التَّأَمُّلِ مِنَ الْمَثَالِبِ)، ومن ذلك زعمُهم أنَّه كان يصلِّي بين المَغرب والعشاء ألف ركعةٍ!

وهذا إن صحَّ فإنَّه من أكبر المثالب؛ إذ كيف يكون ركوعه وسجوده؟! وقال النبيُّ ﷺ للأعرابيِّ الَّذي لم يطمئنَّ في صلاته: «إِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». مُتَّفقٌ عليه.

مَعنى قوله ﷺ: «بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»:

موسىٰ عليه السلام قال لهارون عليه السلام: اخلُفني في قومي، واصبر، والنَّبيُّ ﷺ لمَّا خَرَجَ إِلَىٰ تَبُوكَ اسْتَخْلَفَ عليًّا، فَقَالَ: أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ؟ قَالَ: «أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ»، فهو من النَّبيِّ ﷺ بمنزلة هارون من موسىٰ في هذه الخلافة المَخصوصة المَقصورة، وليس في الخلافة المُطلقة كما زعمت الرَّافضة.

قوله رَحِمَهُ اللهُ: (يَتَعَوَّذُ مِن مُعضِلَةٍ لَيسَ لَهَا أَبُو الحَسَنِ):

المُعضِلةُ هي المشكلة الَّتي تعضُلُ الإنسانَ وتقطع تفكيره، وقد كان عليٌّ مَعروفًا بالذَّكاء والعقل، فإذا كان أبو الحسن رَحِمَهُ اللهُ للمُعضلة فُرجت.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: ([٢] **عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ**: هُوَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ غَافِلٍ الْهُذَلِيُّ، وَأُمُّهُ أُمُّ عَبْدٍ، كَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَحْيَانًا، وَكَانَ مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ فِي الْإِسْلَامِ، وَهَاجَرَ الْهِجْرَتَيْنِ، وَشَهِدَ بَدْرًا وَمَا بَعْدَهَا مِنَ الْمَشَاهِدِ.

تَلَقَّىٰ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِضْعًا وَسَبْعِينَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ: «إِنَّكَ لَغُلَامٌ مُعَلَّمٌ»، وَقَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَىٰ قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»، وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَقَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ.

وَكَانَ مِمَّنْ خَدَمَ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَانَ صَاحِبَ نَعْلَيْهِ وَطَهُورِهِ وَوِسَادِهِ، حَتَّىٰ قَالَ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ: قَدِمْتُ أَنَا وَأَخِي مِنَ الْيَمَنِ، فَمَكَثْنَا حِينًا مَا نَرَىٰ إِلَّا أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِمَا نَرَىٰ مِنْ دُخُولِهِ وَدُخُولِ أُمِّهِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَمِنْ أَجْلِ مُلَازَمَتِهِ النَّبِيَّ ﷺ تَأَثَّرَ بِهِ وَبِهَدْيِهِ، حَتَّىٰ قَالَ فِيهِ حُذَيْفَةُ: مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ هَدْيًا وَسَمْتًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ.

بَعَثَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَىٰ الْكُوفَةِ لِيُعَلِّمَهُمْ أُمُورَ دِينِهِمْ، وَبَعَثَ عَمَّارًا أَمِيرًا، وَقَالَ:

إِنَّهُمَا مِنَ النُّجَبَاءِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَاقْتَدُوا بِهِمَا، ثُمَّ أَمَّرَهُ عُثْمَانُ عَلَىٰ الْكُوفَةِ، ثُمَّ عَزَلَهُ وَأَمَرَهُ بِالرُّجُوعِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَتُوُفِّيَ فِيهَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ وَهُوَ ابْنُ بِضْعٍ وَسَبْعِينَ سَنَةً).

دفع شبهةٍ:

قال ابن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنِّي مِنْ أَعْلَمِهِمْ بِكِتَابِ اللهِ)، وقال: (وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللهِ تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ)، ولا شكَّ أنَّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يريد أن يزكِّي نفسه؛ لأنَّه أطهر من ذلك، لكنَّه أراد أن يحثَّ النَّاس علىٰ تلقِّي التَّفسير عنه؛ لأنَّ النَّاس إذا علموا أنَّه بهذه المَنزلة من العلم أكبُّوا عليه، وأخذوا منه، وهذا لا حرج فيه عليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والله تعالىٰ أعلم بالنِّيَّات.

خدمته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنَّبيِّ ﷺ:

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَانَ صَاحِبَ نَعْلَيْهِ) أي: يحمل النَّعلين إن استغنىٰ عنهما النَّبيُّ ﷺ، (وَطَهُورِهِ) أي: الماء الَّذي يتطهَّر به النَّبيُّ ﷺ، (وَوِسَادِهِ) أي: الوسادة الَّتي يتَّكئ عليها.

قُربُ سَمته ودَلِّه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من النَّبيِّ ﷺ:

قال حذيفة رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَا أَعْرِفُ أَحَدًا أَقْرَبَ هَدْيًا وَسَمْتًا وَدَلًّا بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ). أخرجه البخاريُّ.

ولهذا كان كلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُشبه كلام النَّبيِّ ﷺ، حتَّىٰ لَكأنَّه يخرج من مِشكاة النُّبوَّة، ومن ذلك قولُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ...). أخرجه مسلمٌ.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: ([٣] **عَبدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ**: هُوَ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وُلِدَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ، لَازَمَ النَّبِيَّ ﷺ لِأَنَّهُ ابْنُ عَمِّهِ، وَخَالَتُهُ مَيْمُونَةُ تَحْتَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَضَمَّهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ صَدْرِهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْحِكْمَةَ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «الْكِتَابَ»، وَقَالَ لَهُ حِينَ وَضَعَ لَهُ وَضُوءَهُ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»، فَكَانَ بِهَذَا الدُّعَاءِ الْمُبَارَكِ حَبْرَ الْأُمَّةِ فِي نَشْرِ التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ، حَيْثُ وَفَّقَهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْحِرْصِ عَلَىٰ الْعِلْمِ، وَالْجِدِّ فِي طَلَبِهِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ تَلَقِّيهِ وَبَذْلِهِ، فَنَالَ بِذَلِكَ مَكَانًا عَالِيًا، حَتَّىٰ كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَدْعُوهُ إِلَىٰ مَجَالِسِهِ، وَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِ، فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: أَلَا تَدْعُو أَبْنَاءَنَا كَمَا تَدْعُو ابْنَ عَبَّاسٍ؟! فَقَالَ لَهُمْ: ذَاكُمْ فَتَىٰ الْكُهُولِ، لَهُ لِسَانٌ سَؤُولٌ، وَقَلْبٌ عَقُولٌ، ثُمَّ دَعَاهُمْ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُمْ لِيُرِيَهُمْ مِنْهُ مَا رَآهُ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ حَتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أُمِرْنَا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَنَسْتَغْفِرَهُ إِذَا فُتِحَ عَلَيْنَا، وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ عُمَرُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَكَذَلِكَ تَقُولُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَمَا تَقُولُ؟ قَالَ: هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَلِكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ، ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾ [النَّصر]، قَالَ عُمَرُ: مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَنِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ، لَوْ أَدْرَكَ أَسْنَانَنَا مَا عَاشَرَهُ مِنَّا أَحَدٌ، أَيْ: مَا كَانَ نَظِيرًا لَهُ، هَذَا مَعَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ عَاشَ بَعْدَهُ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَا ظَنُّكَ بِمَا اكْتَسَبَ بَعْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ؟!

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ: انْطَلِقْ إِلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ فَاسْأَلْهُ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَقَالَ عَطَاءٌ: مَا رَأَيْتُ قَطُّ أَكْرَمَ مِنْ مَجْلِسِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِقْهًا، وَأَعْظَمَ خَشْيَةً، إِنَّ أَصْحَابَ الْفِقْهِ عِنْدَهُ، وَأَصْحَابَ الْقُرْآنِ عِنْدَهُ، وَأَصْحَابَ الشِّعْرِ عِنْدَهُ، يُصَدِّرُهُمْ كُلَّهُمْ مِنْ وَادٍ وَاسِعٍ.

وَقَالَ أَبُو وَائِلٍ: خَطَبَنَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَلَىٰ الْمَوْسِمِ -أَيْ: وَالٍ عَلَىٰ مَوْسِمِ الْحَجِّ مِنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فَافْتَتَحَ سُورَةَ النُّورِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ وَيُفَسِّرُ، فَجَعَلْتُ أَقُولُ: مَا رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ كَلَامَ رَجُلٍ مِثْلِهِ، وَلَوْ سَمِعَتْهُ فَارِسُ وَالرُّومُ وَالتُّرْكُ لَأَسْلَمَتْ!

وَلَّاهُ عُثْمَانُ عَلَىٰ مَوْسِمِ الْحَجِّ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ، وَوَلَّاهُ عَلِيٌّ عَلَىٰ الْبَصْرَةِ، فَلَمَّا قُتِلَ مَضَىٰ إِلَىٰ الْحِجَازِ، فَأَقَامَ فِي مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا إِلَىٰ الطَّائِفِ فَمَاتَ فِيهَا سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ عَنْ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ سَنَةً).

[٥] أُبَيُّ بنُ كَعبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

هو أبو المُنذِرِ أُبَيُّ بنُ كَعبِ بنِ قَيسٍ الأنصاريُّ، من بني النَّجَّارِ مِن الخَزرَجِ، أسلَمَ قبلَ الهِجرَةِ، وشَهِدَ بيعةَ العقبَةِ الثَّانيةِ مع السَّبعين من الأنصارِ، وشَهِدَ مع النَّبيِّ ﷺ بدرًا، وأُحُدًا، والخندقَ، والمَشاهِدَ كلَّها، كان أحدَ الأربعَةِ الَّذين جمَعوا القرآنَ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ، وعرَضَه عليه ﷺ في حياتِه، وقالَ له ﷺ كما عند مسلمٍ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»، يشهَدُ له بالعلمِ، وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يكتُبُ الوَحيَ.

تفرَّغَ للعِبادَةِ بعد وفاةِ النَّبيِّ ﷺ، ثمَّ لمَّا رَأىٰ حاجَةَ النَّاسِ إليه جلَسَ للتَّعليمِ، فعُرِفَ بتَفسيرِ القرآنِ، ورِوايَةِ الحَديثِ، وأخَذَ عنه ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وغَيرُه مِن صِغارِ الصَّحابَةِ.

اختُلِفَ في وفاتِه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والأكثَرُ علىٰ أنَّها في خِلافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قاعدةٌ: يُقبَلُ قَولُ الصَّحابِيِّ في المُغَيَّباتِ بشَرطَينِ:

[١] ألَّا يَكونَ في الخبرِ شُبهَةُ كَونِه من الإسرائيلِيَّاتِ.

[٢] ألَّا يكونَ الرَّاوي ممَّن عُرِفَ بالأخذِ عن بَني إسرائيلَ.

سَابعًا: الْـمُشْتَهِرُونَ بِالتَّفْسِيرِ مِنَ التَّابِعِينَ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (اشْتَهَرَ بِالتَّفْسِيرِ مِنَ التَّابِعِينَ كَثِيرُونَ، فَمِنْهُمْ:
أ. **أَهْلُ مَكَّةَ**: وَهُمْ أَتْبَاعُ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ كَمُجَاهِدٍ، وَعِكْرِمَةَ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ.
ب. **أَهْلُ الْمَدِينَةِ**: وَهُمْ أَتْبَاعُ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ؛ كَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ.
ج. **أَهْلُ الْكُوفَةِ**: وَهُمْ أَتْبَاعُ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ كَقَتَادَةَ، وَعَلْقَمَةَ، وَالشَّعْبِيِّ.
فَلْنُتَرْجِمْ لِحَيَاةِ اثْنَيْنِ مِنْ هَؤُلَاءِ: مُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ.
١. **مُجَاهِدٌ**: هُوَ مُجَاهِدُ بْنُ جَبْرٍ الْمَكِّيُّ، مَوْلَى السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ، وُلِدَ سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَأَخَذَ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا، وَكَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ، وَاعْتَمَدَ تَفْسِيرَهُ الشَّافِعِيُّ، وَالْبُخَارِيُّ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَنْقُلُ عَنْهُ فِي «صَحِيحِهِ»، وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي آخِرِ تَرْجَمَتِهِ: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ عَلَى إِمَامَةِ مُجَاهِدٍ وَالِاحْتِجَاجِ بِهِ، تُوُفِّيَ فِي مَكَّةَ وَهُوَ سَاجِدٌ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَمِائَةٍ عَنْ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً.
٢. **قَتَادَةُ**: هُوَ قَتَادَةُ بْنُ دِعَامَةَ السَّدُوسِيُّ الْبَصْرِيُّ، وُلِدَ أَكْمَهَ -أَيْ: أَعْمَى- سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَجَدَّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَكَانَ لَهُ حَافِظَةٌ قَوِيَّةٌ، حَتَّى قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: مَا قُلْتُ لِمُحَدِّثٍ قَطُّ أَعِدْ لِي، وَمَا سَمِعَتْ أُذُنَايَ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا وَعَاهُ قَلْبِي، وَذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ، فَجَعَلَ يَنْشُرُ مِنْ عِلْمِهِ وَفِقْهِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِالِاخْتِلَافِ، وَالتَّفْسِيرِ، وَوَصَفَهُ بِالْحِفْظِ وَالْفِقْهِ، وَقَالَ: قَلَّمَا تَجِدُ مَنْ يَتَقَدَّمُهُ، أَمَّا الْمِثْلُ فَلَعَلَّ، وَقَالَ: هُوَ أَحْفَظُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا إِلَّا حَفِظَهُ، وَتُوُفِّيَ فِي وَاسِطٍ سَنَةَ سَبْعَ عَشْرَةَ وَمِائَةٍ عَنْ سِتَّةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً).

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (**قَلَّمَا تَجِدُ مَنْ يَتَقَدَّمُهُ**)، يعني: لم يكن شخصٌ أعظم منه، (**أَمَّا الْمِثْلُ فَلَعَلَّ**) ولم يجزم بأن يكون له مثيلٌ.

وقد رُمي قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالتَّدليس، لكنَّهم يقولون: إنَّ روايته عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بلفظ (عن) مُتَّصلةٌ، ولهذا يروي عنه البخاريُّ ومسلمٌ بهذه الصِّيغة عن أنسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

الـمُشْتَهِرونَ بالتَّفسيرِ مِن التَّابعينَ:

[١] مدرسةُ التَّفسيرِ بمكَّةَ

(**ابن عبَّاسٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا):

[أ] سعيدُ بن جُبيرٍ.

[ب] مُجاهد بن جبر.

[ج] عِكرمة بن عبد الله مَولى ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

[د] طاوس بنُ كَيسانَ.

[هـ] عطاء بن أبي رباحٍ.

[٢] مدرسةُ التَّفسيرِ بالـمدينةِ

(**أُبيُّ بن كعبٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ):

[أ] أبو العالية رُفَيعُ بن مِهرانَ الرِّياحيُّ.

[ب] محمَّد بن كعبٍ القرظيُّ.

[ج] زيدُ بن أسلَمَ.

[٣] مدرسةُ التَّفسيرِ بالعراقِ

(**ابن مسعودٍ** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ):

[أ] علقمة بن قيسٍ.

[ب] مَسروقُ بن الأجدَعِ.

[ج] الأسود بن يزيد.

[د] مُرَّةٌ الهمدانيُّ.

[هـ] عامرٌ الشَّعبيُّ.

[و] الحسن البصريُّ.

[ز] قتادةُ بن دِعامةَ.

الاِخْتِبَارُ الثَّانِي

اختر الإجابة الصَّحيحة:

- تعلُّم التَّفسير: ❍ واجبٌ. ❍ مستحبٌّ. ❍ جائزٌ.
- أكثرُ مَن رُوي عنه التَّفسير مِن هؤلاء: ❍ أبو بكرٍ. ❍ عمر. ❍ ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.
- أقوالُ التَّابعين في التَّفسير: ❍ حجَّةٌ. ❍ ليست حجَّةً. ❍ حجَّةٌ علىٰ مَن بعدهم.
- السَّلفُ هم: ❍ الصَّحابةُ. ❍ التَّابعون. ❍ أهلُ القرون الثَّلاثة المُفضَّلةِ.
- مِن أشهر مَن عُنِيَ بتفسير القرآن بالقرآن: ❍ الثَّعلبيُّ. ❍ ابنُ كثيرٍ. ❍ الألوسيُّ.
- تفسيرُ آيات الأحكام والاستنباطُ منها يُسمَّىٰ:
  ❍ التَّفسيرَ بالمأثور. ❍ التَّفسير الفقهيَّ. ❍ التَّفسيرَ العلميَّ.
- صاحبُ «الدُّرِّ المَنثور في التَّفسير بالمَأثور» هو:
  ❍ ابنُ الجوزيِّ. ❍ النَّوويُّ. ❍ ابنُ العربيِّ. ❍ السُّيوطيُّ.
- اشتهر ابنُ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بمعرفة:
  ❍ النَّاسخِ والمَنسوخِ. ❍ أسبابِ النُّزولِ. ❍ لغاتِ العربِ.
- صاحبُ «البحر المُحيطِ» هو: ❍ أبو حيَّانَ. ❍ البيضاويُّ. ❍ النَّسفيُّ.
- قامت المرحلة الأولىٰ من مراحل التَّفسير علىٰ:
  ❍ الرِّوايةِ والحفظ. ❍ اختِصارِ الأسانيدِ. ❍ الكتابةِ.
- سمَّىٰ الشَّوكانيُّ تفسيرَه: ❍ «روحَ المَعاني». ❍ «الكشَّافَ». ❍ «فتحَ القدير».
- الأقوالُ المتعارضةُ في التَّفسير تُسمَّىٰ اختلافَ: ❍ تنوُّعٍ. ❍ تضادٍّ. ❍ الجميع.
- عند تعارض أقوال المُفسِّرين نلجأ إلىٰ:
  ❍ الجمعِ بين الأقوالِ. ❍ التَّرجيحِ. ❍ التَّوقُّفِ.
- اعتنىٰ ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ في تفسيره بـ:
  ❍ المَأثورِ. ❍ المَأثورِ والنَّقد والتَّرجيح بين الأقوال. ❍ الأحكام الفقهيَّة.
- توسيعُ دلالة بعضِ الآيات بما ثبت في الحقائق العلميَّة يُسمَّىٰ بالتَّفسيرِ:
  ❍ العقليِّ. ❍ البيانيِّ. ❍ العلميِّ.
- أقلُّ المَذاهب تأليفًا في التَّفسير الفقهيِّ: ❍ المالكيَّةُ. ❍ الحَنابلةُ. ❍ الشَّافعيَّةُ.

❁ الَّذي جمع «أحكام القرآن» للشَّافعيِّ: ❍ العراقيُّ. ❍ البيهقيُّ. ❍ ابنُ حجرٍ.
❁ ظهرت بوادرُ التَّفسير العقليِّ في عصر: ❍ السَّلف. ❍ المُعتزلةِ. ❍ الحديثِ.
❁ كُتب معاني القرآن مِن مَصادرِ التَّفسيرِ: ❍ العلميِّ. ❍ البيانيِّ. ❍ اللُّغويِّ.
❁ اختصر البغويُّ تفسيره مِن تفسير: ❍ ابن جريرٍ. ❍ ابن كثيرٍ. ❍ الثَّعلبيِّ.
❁ غلبت النَّاحية البلاغيَّة علىٰ تفسير: ❍ الزَّمخشريِّ. ❍ الواحديِّ. ❍ ابن جُزيٍّ.
❁ نصر الزَّمخشريُّ في تفسيره مذهب: ❍ الأشاعرةِ. ❍ المُعتزلةِ. ❍ أهل السُّنَّة.
❁ ممَّن اعتنىٰ بالتَّرجيح بين الأقوال: ❍ ابنُ الجوزيِّ. ❍ ابنُ عطيَّة. ❍ الماَورديُّ.
❁ اشتملت «مقدِّمةٌ في أصول التَّفسير» لابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ: ❍ تفسيرِ بعض سور القرآن. ❍ نقدِ بعض كتب التَّفسير. ❍ شرح بعض الاحاديث.
❁ جمع البيهقيُّ «أحكام القرآن» لـ: ❍ الشَّافعيِّ. ❍ ابنِ عطيَّة. ❍ أبي حنيفة.
❁ تقديمُ العقل عند المُنازعة بينه وبين ظاهر الآيات يُسمَّىٰ التَّفسيرَ:
❍ بالظَّاهرِ. ❍ العلميَّ. ❍ العقليَّ. ❍ الإشاريَّ.
❁ من الأُسسِ الَّتي بُني عليها منهج المدرسة العقليَّة في التَّفسير الوِحدةُ المَوضوعيَّةُ في: ❍ السُّورةِ القرآنيَّة. ❍ القرآنِ الكريمِ. ❍ الجميع.
❁ مِن مَصادرِ التَّفسير اللُّغويِّ كتب:
❍ غريبِ القرآن. ❍ أحكامِ القرآنِ. ❍ التَّفسيرِ العلميِّ.
❁ ممَّن شنَّع علىٰ أهل السُّنَّةِ في تفسيره:
❍ ابنُ جُزيٍّ. ❍ ابنُ جريرٍ. ❍ الزَّمخشريُّ. ❍ السُّيوطيُّ.
❁ ذكرَ القُرطبيُّ في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن»: ❍ تفسيرَ آيات الأحكام فقط. ❍ تفسيرَ القرآنِ كلِّه مع مَزيدِ عِنايةٍ بآيات الأحكام. ❍ الفقهَ علىٰ مذهب الحنفيَّةِ.
❁ جمع كتابُ «القواعدِ الحِسان» للسِّعديِّ (❍ ٢٠ ❍ ٦٠ ❍ ٥٠ ❍ ٧١) قاعدةً.
❁ اشتمل كتابُ «التَّفسيرُ والمُفسِّرون» علىٰ: ❍ تفسيرِ القرآن كلِّه. ❍ تفسيرِ بعض سور القرآن. ❍ التَّفسيرِ العلميِّ. ❍ نشأةِ التَّفسير، وتطوُّرِه ومَناهجِ المُفسِّرين، وألوانِ التَّفسير.
❁ لم يثبُت وُقوعُ التَّأليفِ والجَمعِ في علم التَّفسير إلَّا بعد:
❍ زمنِ الصَّحابةِ. ❍ زمنِ التَّابعين. ❍ القرنِ الخامسِ. ❍ القرنِ السَّادسِ.

❁ مُجاهد بن جَبْرٍ من تلاميذ مدرسة التَّفسير في: ❍ الكوفةِ. ❍ المدينةِ. ❍ مكَّةَ.
❁ ألَّف ابنُ عطيَّة تفسيرًا سُمِّيَ بـ: ❍ «البحرِ المُحيطِ». ❍ «السِّراجِ المُنيرِ». ❍ «المِصباحِ المُنيرِ». ❍ «المحرَّرِ الوَجيزِ».
❁ مِن أسباب اختلافِ التَّنوُّع: ❍ الاختلافُ في اللَّفظ مع الاتِّفاق في المعنىٰ. ❍ ذِكرُ بعض أفراد العامِّ علىٰ سبيل المثال. ❍ أن يكونَ اللَّفظُ مُحتملًا لأكثر من مَعنًىٰ. ❍ جميعُ ما ذُكِر.
❁ من أسباب اختلافِ التَّضادِّ: ❍ الاختلافُ في المعنىٰ اللُّغويِّ. ❍ الاختلافُ بسبب المَذهب العقديِّ. ❍ الاختلافُ بسبب المذهب الفقهيِّ. ❍ جميعُ ما ذُكِر.
❁ الاختلافُ في تفسير السَّبع المَثاني لأجل:
❍ الاختلافِ في الرِّوايةِ عن الرَّسول ﷺ. ❍ الاختلافِ في عَود الضَّمير.
❍ الاختلافِ في المُطلقِ والمُقيَّدِ. ❍ الاختلافِ في العامِّ والخاصِّ.
❁ مُصطلحُ تفسير القرآن بالقرآن: ❍ يلزم منه القطعُ بصحَّة ذلك التَّفسير. ❍ لا يلزم منه القطعُ. ❍ يلزمُ منه التَّوقُّفُ.
❁ اعتنىٰ ابنُ كثيرٍ في تفسيره بـ:
❍ الإعرابِ. ❍ تفسيرِ القرآن بالقرآن. ❍ البلاغةِ. ❍ الأوَّلِ والثَّالثِ.
❁ مُصطلحُ السُّنَّة النَّبويَّة: ❍ أعمُّ من التَّفسير النَّبويِّ. ❍ أخصُّ من التَّفسير النَّبويِّ. ❍ ليس بينهما فرقٌ. ❍ لا شيء ممَّا ذُكِرَ.
❁ التَّفسيرُ المَنقولُ عن الصَّحابة له حُكمُ:
❍ المَرفوعِ. ❍ المَوقوفِ. ❍ المَقطوعِ. ❍ يختلفُ؛ لأنَّ له أنواعًا مُختلفةً.
❁ اذا اختلف الصَّحابةُ في التَّفسير فأقوالُهم:
❍ ليست بحجَّةٍ. ❍ حُجَّةٌ. ❍ يُرجَّح بينَها. ❍ لا شيء ممَّا ذُكِرَ.
❁ علقمة بن قيسٍ النَّخعيُّ رَحِمَهُ اللهُ من تلاميذِ مدرسة التَّفسير في:
❍ الكوفةِ. ❍ المدينةِ. ❍ مكَّةَ.
❁ أغلب الاختلاف بين الصَّحابة في التَّفسير من اختلافِ: ❍ التَّنوُّعِ. ❍ التَّضادِّ.
❁ توفِّي الإمامُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ سنة: ❍ ٩١١هـ. ❍ ٧٧٤هـ. ❍ ٥١٦هـ. ❍ ٣١٠هـ.
❁ معنىٰ «التَّفسير» في اللُّغة: ❍ الرُّجوعُ. ❍ الإبانةُ والكشفُ. ❍ أساسُ الشَّيء.

۞ سلك الشَّيخُ عبد الرَّحمن ابنُ سعديٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره أسلوب التَّفسير:
❍ التَّحليليِّ. ❍ الإجماليِّ. ❍ المَوضوعيِّ.
۞ كتابُ «أحكامِ القرآن» لأبي بكر ابن العربيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ مِن المُؤلفَّات على المذهب:
❍ الشَّافعيِّ. ❍ الحنفيِّ. ❍ الحنبليِّ. ❍ المالكيِّ.
۞ يتميَّزُ تفسير «زاد المَسير» لابن الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ بـ: ❍ ذِكر الرِّوايات بأسانيدها.
❍ جَمْعِ أقوالِ المُفسِّرين وترتيبِها. ❍ التَّوسُّعِ في الإعراب والمَسائلِ النَّحويَّة.
۞ مُؤلِّفُ «الدُّرِّ المَنثور»: ❍ الطَّبريُّ. ❍ البيضاويُّ. ❍ السُّيوطيُّ. ❍ البغويُّ.
۞ اسمُ المُفسِّرِ ابنِ عطيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ هو: ❍ إسماعيلُ بن عمر. ❍ عبدُ الحقِّ بن غالبٍ. ❍ الحُسين بن مسعودٍ. ❍ محمَّدُ بنُ جريرٍ.
۞ تفسيرُ البغويِّ مُختصرٌ من: ❍ الطَّبريِّ. ❍ ابنِ كثيرٍ. ❍ ابنِ عطيَّةَ. ❍ الثَّعلبيِّ.
۞ مِن التَّفاسيرِ الَّتي سلكت التِّجاهَ الجتِماعيَّ في التَّفسيرِ:
❍ تفسيرُ الزَّمخشريِّ. ❍ تفسيرُ الرَّازيِّ. ❍ تفسيرُ المَنارِ.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ: الْقُرْآنُ مُحكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ

أَوَّلًا: وَصْفُ الْقُرْآنِ بِالإِحْكَامِ وَالتَّشَابُهِ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (يَتَنَوَّعُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِاعْتِبَارِ الْإِحْكَامِ وَالتَّشَابُهِ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: الْإِحْكَامُ الْعَامُّ الَّذِي وُصِفَ بِهِ الْقُرْآنُ كُلُّهُ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[هود]، وَقَوْلِهِ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾[يونس]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[الزُّخرف].

وَمَعْنَىٰ هَذَا الْإِحْكَامِ: الْإِتْقَانُ وَالْجَوْدَةُ فِي أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ، فَهُوَ فِي غَايَةِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ، أَخْبَارُهُ كُلُّهَا صِدْقٌ نَافِعَةٌ، لَيْسَ فِيهَا كَذِبٌ، وَلَا تَنَاقُضٌ، وَلَا لَغْوٌ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَأَحْكَامُهُ كُلُّهَا عَدْلٌ، وَحِكْمَةٌ لَيْسَ فِيهَا جَوْرٌ، وَلَا تَعَارُضٌ، وَلَا حُكْمٌ سَفِيهٌ.

النَّوْعُ الثَّانِي: التَّشَابُهُ الْعَامُّ الَّذِي وُصِفَ بِهِ الْقُرْآنُ كُلُّهُ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾[الزُّمر:٢٣].

وَمَعْنَىٰ هَذَا التَّشَابُهِ: أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا فِي الْكَمَالِ، وَالْجَوْدَةِ، وَالْغَايَاتِ الْحَمِيدَةِ، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾[النِّساء].

النَّوْعُ الثَّالِثُ: الْإِحْكَامُ الْخَاصُّ بِبَعْضِهِ، وَالتَّشَابُهُ الْخَاصُّ بِبَعْضِهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾[آل عمران].

وَمَعْنَىٰ هَذَا الْإِحْكَامِ: أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ الْآيَةِ وَاضِحًا جَلِيًّا، لَا خَفَاءَ فِيهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾[الحجرات:١٣]، وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾[البقرة] وَقَوْلِهِ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾[البقرة: ٢٧٥] وَقَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾[المائدة:٣]، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ.

وَمَعْنَىٰ هَـذَا التَّشَـابُهِ: أَنْ يَكُـونَ مَعْنَـىٰ الْآيَةِ مُشْـتَبِهًا خَفِيًّـا، بِحَيْثُ يَتَوَهَّـمُ مِنْـهُ الْوَاهِمُ مَا لَا يَلِيـقُ بِـاللهِ تَعَالَـىٰ، أَوْ كِتَابِـهِ، أَوْ رَسُـولِهِ، وَيَفْهَـمُ مِنْـهُ الْعَالِمُ الرَّاسِـخُ فِي الْعِلْـمِ خِلَافَ ذَلِكَ).

وُصف القرآن بأنَّه:

[١] مُحكَمٌ كلُّه: أي: مُتقَنٌ جيِّدٌ في ألفاظه ومَعانيه.

[٢] مُتشابهٌ كلُّه: يُشبه بعضُه بعضًا في: الكمال، والجودة، والإحكام، والأحكام، والأخبار، وغيرها.

[٣] منه الـمُحكَم ومنه الـمُتشابه: فالمُحكم منه هو الواضح الجليُّ الَّذي لا خفاء فيه، والمُتشابه منه هو الخفيُّ الَّذي يفهم حقيقتَه الرَّاسخ في العلم، ويتوهَّم المُتوهِّم منه غير مُراد الله عَزَّوَجَلَّ.

من أدلَّة الإحكام العامِّ للقرآن:

[١] قال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ①﴾ [يونس]، وهذا واضحٌ أنَّه عامٌّ لكلِّ القرآن.

[٢] قال تعالىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ أي: أُتقنت، وقيل: أُجملت؛ بدليل قوله: ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾، ولا تنافي بينهما، ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾ [هود] هو الله عَزَّوَجَلَّ: ذو الحكمة، الخبير ببواطن الأمور وظواهرها.

[٣] قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ④﴾ [الزُّخرف]، فالقرآن كلُّه حكيمٌ بمعنىٰ مُحكَم، وبمعنىٰ حاكمٍ؛ لأنَّه أداة الحُكم.

القرآنُ كلُّه مُحكَمٌ مُتقَنٌ جيِّدٌ، فهل يتفاضلُ؟

[١] من حيثُ الـمُتكلِّم به: لا يتفاضل؛ لأنَّ المُتكلِّم به واحدٌ.

[٢] من حيثُ الأسلوبُ والـمَعنى: يتفاضل؛ ولذلك أدلَّةٌ منها قوله ﷺ لأُبيٍّ رضي الله عنه: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ؛ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟»، قال: آية الكرسيِّ، فضرب علىٰ صدره وقال: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ». أخرجه مسلمٌ.

دليلُ التَّشابُه العامِّ للقرآن:

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾، ولم يقل: بعضُه مُتشابهٌ، ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ بدلٌ من ﴿أَحۡسَنَ﴾، ﴿مَّثَانِيَ﴾ تُثنَّىٰ فيه المَعاني والأحكامُ والأوصافُ، ولهذا تجد الله عز وجل في كتابه العزيز إذا ذكر ثواب المؤمنين ذكر ثواب المُجرمين؛ كما ذكر كتاب الفجَّار وكتاب الأبرار في سورة المُطفِّفين، وأيضًا مثاني بالنِّسبة لصفات الخلق؛ كقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞ﴾[التَّغابن:٢].

﴿مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ﴾ خوفًا وتعظيمًا ﴿جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الزُّمر:٢٣].

دليلُ الإحكام والتَّشابُه الوجهيَّين للقرآن:

قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ﴾ للتَّبعيض، قسَّم الله القرآن إلىٰ قسمين: ﴿ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ هذا القسم الأوَّل، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ وهذا القسم الثَّاني، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾، يعني: يتَّبعون المُتشابه ويحصرونه، ويوردونه علىٰ النَّاس ليُلبِّسوا عليهم دينهم، ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾[آل عمران].

واختلف السَّلف هل الوقف عند ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ أم يوصل؟

اختلف السَّلفُ في الوقف في ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾:

[١] **الوقفُ على ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾**:
وهو قول أكثر السَّلف، فيكون ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ مُبتدأً وجملة ﴿يَقُولُونَ﴾ خبرَه، والتَّأويلُ عندهم بمعنىٰ علم حقائق هذه المُشتبهات، ومآلِها في المُستقبل، وهذا لا يعلمُه إلَّا اللهُ.

[٢] **الوصلُ**:
وهو قول بعض السَّلف، فتكون جملة ﴿يَقُولُونَ﴾ حالًا من الرَّاسخين في العلم في موضع نصبٍ. والتَّأويل عندهم بمعنىٰ التَّفسير، فإنَّ الرَّاسخين في العلم يعلمونه؛ كما قال ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ».

وبناءً علىٰ هذا فإنَّنا في القراءة: إذا جعلنا التَّأويل بمعنىٰ التَّفسير فالوصل أولىٰ، وإذا جعلناه بمعنىٰ ما يؤول إليه الشَّيء فالفصل أولىٰ.

الحكمة من وجود التَّشابه الخاصِّ في القرآن:

الحكمة من ذلك هي الامتحان والابتلاء؛ ليعلم الله عَزَّوَجَلَّ مَن في قلبه زيغٌ، ومن ليس في قلبه زيغٌ؛ لأنَّ من في قلبه زيغٌ يتَّبع المُتشابه ليضرب كلام الله بعضَه ببعضٍ، وأمَّا الَّذي أعطاه الله الرُّسوخ في العلم فإنَّه يعرف حقيقة المُتشابه.

هل للحروف الهجائيَّة مَعنًى في ذاتها؟

ليس لها مَعنًىٰ في ذاتها؛ لأنَّ القرآن بلسانٍ عربيٍّ، والعرب لا يرون للحروف مَعنًىٰ في ذاتها، لكنَّ لها مَغزًىٰ، وهو أنَّ هذا القرآن الَّذي أعجز العرب لم يأت بجديدٍ عليهم؛ بل أتىٰ ممَّا يُركِّبون منه كلامهم وهي الحروف، ومع هذا عجزوا أن يأتوا بمثله.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (مِثَالُهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِاللهِ تَعَالَىٰ: أَنْ يَتَوَهَّمَ وَاهِمٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤] أَنَّ للهِ يَدَيْنِ مُمَاثِلَتَيْنِ لِأَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ.

وَمِثَالُهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ: أَنْ يَتَوَهَّمَ وَاهِمٌ تَنَاقُضَ الْقُرْآنِ وَتَكْذِيبَ بَعْضِهِ بَعْضًا حِينَ يَقُولُ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾[النِّساء: ٧٩] وَيَقُولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾[النِّساء].

وَمِثَالُهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِرَسُولِ اللهِ: أَنْ يَتَوَهَّمَ وَاهِمٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٩٤﴾[يونس]، ظَاهِرُهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ شَاكًّا فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ).

ضربَ المُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ أمثلةً للمُتشابه الخاصّ:

[١] فيما يتعلّق بالله:

قال تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة:٦٤]، قد يتوهَّم منها الواهم فيقول: إنَّ الله خاطبنا بما نعلم، ونحن لا نعلم يدًا إلَّا مثل أيدي المَخلوقين، وهذا يقتضي أن تكون يده عَزَّوَجَلَّ كأيدي المَخلوقين!

[٢] فيما يتعلّق بالقرآن:

قال تعالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[النِّساء:٧٩]، وقال عن الحسنة والسَّيِّئة: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾[النِّساء:٧٨]، قد يتوهَّم منها الواهم التَّناقض، وليس فيها تناقضٌ كما سيأتي.

[٣] فيما يتعلّق بالنّبيِّ ﷺ:

قال تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾[يونس:٩٤]، قد يتوهَّم الواهم أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان شاكًّا، والنَّبيُّ ﷺ لم يشكَّ، وقد شهد له الله عَزَّوَجَلَّ بالإيمان: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ﴾[البقرة:٢٨٥].

وقد ألَّف الشَّيخ محمَّدٌ الأمين الشِّنقيطيُّ رَحِمَهُ اللهُ كتابًا سمَّاه: «**دفع إيهام الاضطراب في آيات الكتاب**».

ثَانِيًا: مَوْقِفُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ وَالزَّائِغِينَ مِنَ الْـمُتَشَابِهِ

قَالَ الْمُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ مَوْقِفَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَمَوْقِفَ الزَّائِغِينَ مِنْهُ بَيَّنَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، فَقَالَ فِي الزَّائِغِينَ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾، وَقَالَ فِي الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فَالزَّائِغُونَ يَتَّخِذُونَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ وَسِيلَةً لِلطَّعْنِ فِي كِتَابِ اللهِ، وَفِتْنَةِ النَّاسِ عَنْهُ، وَتَأْوِيلِهِ لِغَيْرِ مَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ، فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ، وَأَمَّا الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، فَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَاقُضٌ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّسَاء].

وَمَا جَاءَ مُشْتَبِهًا رَدُّوهُ إِلَىٰ الْمُحْكَمِ؛ لِيَكُونَ الْجَمِيعُ مُحْكَمًا.

وَيَقُولُونَ فِي الْمِثَالِ الْأَوَّلِ: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ يَدَيْنِ حَقِيقِيَّتَيْنِ، عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، لَا تُمَاثِلَانِ أَيْدِي الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا أَنَّ لَهُ ذَاتًا لَا تُمَاثِلُ ذَوَاتِ الْمَخْلُوقِينَ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورَىٰ]).

الخلافُ في ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾:

[١] **قولُ الـمُمثِّلة**:
لله عَزَّ وَجَلَّ يدان مُماثلتان لأيدي المَخلوقين، وعلَّتهم في ذلك أنَّ الله خاطبنا بما نعلم، ونحن لا نعلم إلَّا ما نشاهد.

[٢] **قولُ أهل السُّنَّة**:
نثبت لله عَزَّ وَجَلَّ يدين حقيقيَّتين؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أثبتهما، لكنَّهما لا تماثلان أيدي المَخلوقين.

[٣] **قولُ الـمُؤوِّلة**:
اليد بمَعنىٰ: النِّعمة، أو القدرة؛ لأنَّ ظاهر الآية التَّمثيل، ولهذا يجب صرفُها عن ظاهرها إلىٰ أمرٍ مَعنويٍّ.

دليل أهل السُّنَّة في إثبات يدين حقيقيَّتين:

[١] **نقليٌّ**: وهو قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورىٰ].

[٢] **عقليٌّ**: إذا كان لله عَزَّوَجَلَّ ذاتٌ لا تشبه ذوات المَخلوقين؛ فليكن له صفاتٌ لا تشبه صفات المَخلوقين؛ لأنَّ الصِّفات تابعةٌ للذَّات، واليد المُضافة مثلًا إلىٰ الجمل ليست كالمُضافة إلىٰ الأرنب، فصفات كلِّ شيءٍ تناسبُه.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَقُولُونَ فِي الْمِثَالِ الثَّانِي: إِنَّ الْحَسَنَةَ وَالسَّيِّئَةَ كِلْتَاهُمَا بِتَقْدِيرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، لَكِنَّ الْحَسَنَةَ سَبَبُهَا التَّفَضُّلُ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عِبَادِهِ، أَمَّا السَّيِّئَةُ فَسَبَبُهَا فِعْلُ الْعَبْدِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشُّورىٰ]، فَإِضَافَةُ السَّيِّئَةِ إِلَىٰ الْعَبْدِ مِنْ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَىٰ سَبَبِهِ، لَا مِنْ إِضَافَتِهِ إِلَىٰ مُقَدِّرِهِ، أَمَّا إِضَافَةُ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فَمِنْ بَابِ إِضَافَةِ الشَّيْءِ إِلَىٰ مُقَدِّرِهِ، وَبِهَذَا يَزُولُ مَا يُوهِمُ الِاخْتِلَافَ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، لِانْفِكَاكِ الْجِهَةِ).

السَّيِّئة تُضاف إلى:

[١] **الإنسان**: من باب إضافة الشَّيء إلىٰ سببه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النِّساء:٧٩].

[٢] **الله** عَزَّوَجَلَّ: من باب إضافة الشَّيء إلىٰ مُقدِّره، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النِّساء:٧٨].

وبينهما فرقٌ، وإذا انفكَّت الجهة زال التَّعارض، لكنَّ أهل الباطل يجعلون من هذا وسيلةً إلىٰ الطَّعن في القرآن، فهؤلاء لا يُفتح عليهم، ولا يُوفَّقون للجمع بين ما يُتوهَّم منه التَّعارض، وأمَّا الَّذي يحاول الجمع فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يوفِّقه إليه.

وتوهُّم التَّناقض يقع كثيرًا من الطُّلَّاب، ولو أعمل الواحد منهم ذهنه وتأمَّل في الدَّليلين زال التَّعارض المُتوهَّم وعرف أنَّه لا تناقض بينهما.

أمثلةٌ أخرى لـما يُتوهَّم منه التَّناقض:

[١] قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ۝٤٢﴾[النِّساء]، فبيَّن أنَّ الكافرين لا يكتمون الله شيئًا يوم القيامة، وقال: ﴿ثُمَّ لَمۡ تَكُن فِتۡنَتُهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ۝٢٣﴾[الأنعام]، وفيها أنَّهم يكتمون الله، وقد يتوهَّم الواهم منهما التَّناقض، لكنَّ الرَّاسخين يعلمون أنَّ يوم القيامة خمسون ألف سنةٍ، وهذه المُدَّة تتغيَّر فيها الأحوال، فقد يكتمون مرَّةً ولا يكتمون أخرىٰ.

[٢] قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم﴾ [آل عمران:١٠٦]، وقال: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ۝١٠٢﴾[طه]، فقد يتوهَّم الواهم منهما التَّناقض، والرَّاسخون في العلم يقولون كما في المثال الأوَّل: إنَّ يوم القيامة يومٌ طويلٌ جدًّا، وقد تتغيَّر فيه الأحوال، فتكون وجوههم تارةً سودًا وتارةً زرقًا، أو يقولون: إنَّ الأزرق شديد الزُّرقة يميل إلىٰ السَّواد، فيصحُّ أن يوصف بالسَّواد علىٰ هذا الاعتبار.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَيَقُولُونَ فِي الْمِثَالِ الثَّالِثِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شَكٌّ فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ، بَلْ هُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ، وَأَقْوَاهُمْ يَقِينًا؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي نَفْسِ السُّورَةِ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[يونس:١٠٤]، الْمَعْنَىٰ: إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُ فَأَنَا عَلَىٰ يَقِينٍ مِنْهُ، وَلِهَذَا لَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ؛ بَلْ أَكْفُرُ بِهِمْ، وَأَعْبُدُ اللهَ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ أَنْ يَكُونَ الشَّكُّ جَائِزًا عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، أَوْ وَاقِعًا مِنْهُ، أَلَا تَرَىٰ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ إِن كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٞ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡعَٰبِدِينَ ۝٨١﴾[الزُّخرف]، هَلْ يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ الْوَلَدُ جَائِزًا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ أَوْ حَاصِلًا؟! كَلَّا، فَهَذَا لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا وَلَا جَائِزًا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾[مريم].

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ۝٩٤﴾ أَنْ يَكُونَ الِامْتِرَاءُ وَاقِعًا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ النَّهْيَ عَنِ الشَّيْءِ قَدْ يُوَجَّهُ إِلَىٰ مَنْ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ، أَلَا تَرَىٰ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ:

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾[القصص]؟ وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُمْ لَمْ يَصُدُّوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ آيَاتِ اللهِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ شِرْكٌ، وَالْغَرَضُ مِنْ تَوْجِيهِ النَّهْيِ إِلَىٰ مَنْ لَا يَقَعُ مِنْهُ التَّنْدِيدُ بِمَنْ وَقَعَ مِنْهُ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ مَنَاهِجِهِمْ، وَبِهَذَا يَزُولُ الِاشْتِبَاهُ، وَظَنُّ مَا لَا يَلِيقُ بِالرَّسُولِ ﷺ).

الدَّليل على أنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يشكَّ فيما أُنزل إليه:

[١] قولُه تعالىٰ: ﴿قُلْ﴾ يا أيُّها الرَّسول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى﴾، والمَعنىٰ: إن كنتم في شكٍّ فأنا علىٰ يقينٍ، ﴿فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ﴾[يونس:١٠٤].

[٢] أنَّ هناك فرقًا بين (إنْ) و(إذا) الشَّرطيَّتين، فـ(إذا) تفيد الوقوع، و(إنْ) لا تفيده؛ بل قد تأتي في أمحل المُحال، ومن ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾﴾[الزُّخرف]، ولا يلزم منها أنَّ الله يتَّخذ ولدًا؛ لأنَّه مُحالٌ في حقِّه ﷻ، وإنَّما مَعناها: إن فُرض أنَّ له ولدًا فأنا أوَّل العابدين لهذا الولد.

وقيل: ﴿إِن﴾ في الآية نافيةٌ، فيكون مَعناها: قل ما كان للرَّحمن ولدٌ، وعلىٰ هذا يلزم تأويل ﴿ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ علىٰ مَعنىٰ المؤمنين ليستقيم السِّياق، فتكون العبادة مُطلَقةً علىٰ الإيمان بجامع الذُّلِّ في كلٍّ منهما.
لكنَّ هذا التَّفسير يُنافي الظَّاهر من الآية مُنافاةً تامَّةً، والأوَّل أولىٰ.
وهذه الآية من أعوص الإيرادات في آيات القرآن الكريم.

هل يلزم من ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ وقوعُ الامتراء منه ﷺ أو جوازُه؟

لا يلزم وقوعُه منه ﷺ، وذلك لأنَّ النَّهي عن الشَّيء قد يُوجَّه إلىٰ من لم يقع منه: كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾[القصص]، ومَعلومٌ أنَّهم لم يصُدُّوا النَّبيَّ ﷺ عن آيات الله، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يقع منه شيءٌ.

وكذلك فإنَّ النَّهي عن الشَّيء لا يلزم منه جواز وقوعه، فالنَّبيُّ ﷺ مُثبَّتٌ من الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يجوز أن يقع منه صدودٌ عن آيات الله، فقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾[الإسراء].

ثمَّ إنَّ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾﴾ لا يلزم منه وقوع الشِّرك منه ﷺ، ولا جوازُ وقوعه.

الحِكمةُ من توجيه النَّهي إلى من لا يمكن أن يقع منه الـمَنهيِّ عنه:

الحكمة من ذلك التَّنديد بمن وقع منهم، والتَّحذير من مَناهجهم، علىٰ حدِّ قول القائل: (إيَّاكِ أعني، واسمعي يا جارة).

ثَالِثًا: أَنْوَاعُ التَّشَابُهِ فِي الْقُرْآنِ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (التَّشَابُهُ الْوَاقِعُ فِي الْقُرْآنِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: حَقِيقِيٌّ، وَهُوَ: مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَهُ الْبَشَرُ؛ كَحَقَائِقِ صِفَاتِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فَإِنَّنَا وَإِنْ كُنَّا نَعْلَمُ مَعَانِيَ هَذِهِ الصِّفَاتِ، لَكِنَّنَا لَا نُدْرِكُ حَقَائِقَهَا وَكَيْفِيَّتَهَا؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]، وَلِهَذَا لَمَّا سُئِلَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه] كَيْفَ اسْتَوَىٰ؟ قَالَ: الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ، وَهَذَا النَّوْعُ لَا يُسْأَلُ عَنِ اسْتِكْشَافِهِ؛ لِتَعَذُّرِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: نِسْبِيٌّ، وَهُوَ: مَا يَكُونُ مُشْتَبِهًا عَلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ، فَيَكُونُ مَعْلُومًا لِلرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ دُونَ غَيْرِهِمْ، وَهَذَا النَّوْعُ يُسْأَلُ عَنِ اسْتِكْشَافِهِ وَبَيَانِهِ؛ لِإِمْكَانِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، إِذْ لَا يُوجَدُ فِي الْقُرْآنِ شَيْءٌ لَا يَتَبَيَّنُ مَعْنَاهُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران]، وَقَالَ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل]، وَقَالَ: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة] وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النِّسَاء].

وَأَمْثِلَةُ هَذَا النَّوْعِ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشُّورىٰ:١١]، حَيْثُ اشْتَبَهَ عَلَىٰ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، فَفَهِمُوا مِنْهُ انْتِفَاءَ الصِّفَاتِ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَادَّعَوْا أَنَّ ثُبُوتَهَا يَسْتَلْزِمُ الْمُمَاثَلَةَ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْآيَاتِ الْكَثِيرَةِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ ثُبُوتِ الصِّفَاتِ لَهُ، وَأَنَّ إِثْبَاتَ أَصْلِ الْمَعْنَىٰ لَا يَسْتَلْزِمُ الْمُمَاثَلَةَ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النِّسَاء]، حَيْثُ اشْتَبَهَ عَلَىٰ الْوَعِيدِيَّةِ، فَفَهِمُوا مِنْهُ أَنَّ قَاتِلَ الْمُؤْمِنِ عَمْدًا مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، وَطَرَدُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ دُونَ الشِّرْكِ فَهُوَ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج]، حَيْثُ اشْتَبَهَ عَلَى الْجَبْرِيَّةِ، فَفَهِمُوا مِنْهُ أَنَّ الْعَبْدَ مَجْبُورٌ عَلَى عَمَلِهِ، وَادَّعَوْا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ وَلَا قُدْرَةٌ عَلَيْهِ، وَأَعْرَضُوا عَنِ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ لِلْعَبْدِ إِرَادَةً وَقُدْرَةً، وَأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ نَوْعَانِ: اخْتِيَارِيٌّ، وَغَيْرُ اخْتِيَارِيٍّ.

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ -أَصْحَابُ الْعُقُولِ- يَعْرِفُونَ كَيْفَ يُخْرِجُونَ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةَ إِلَى مَعْنًى يَتَلَاءَمُ مَعَ الْآيَاتِ الْأُخْرَى، فَيَبْقَى الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمًا لَا اشْتِبَاهَ فِيهِ).

التَّشابُه الواقعُ في القرآن نوعان:

[١] حقيقيٌّ:

- **[أ] تعريفُه:** (مَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَهُ الْبَشَرُ)، مثل حقائق صفات الله عَزَّوَجَلَّ، فإنَّه لا يُعلَم كُنهُها وحقيقتُها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه]...
- **[ب] حُكمُه:** (لَا يُسْأَلُ عَنِ اسْتِكْشَافِهِ؛ لِتَعَذُّرِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ)، وإنَّما نكِلُ علمَه إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والظَّاهر أنَّ النَّهي عن السُّؤال للتَّحريم.

[٢] نسبيٌّ:

- **[أ] تعريفُه:** (مَا يَكُونُ مُشْتَبِهًا عَلَى بَعْضِ النَّاسِ دُونَ بَعْضٍ)، ولا يُمكن أن يجهله كلُّ النَّاس، قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٨].
- **[ب] حُكمُه:** (يُسْأَلُ عَنِ اسْتِكْشَافِهِ وَبَيَانِهِ؛ لِإِمْكَانِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ)، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النَّحل].

مَعنى قول الإمام مالكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في الاستواء:

لمَّا سُئل مالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ عن كيفيَّة الاستواء؛ قال: (**الِاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ**) أي: مَعلوم المَعنىٰ في اللُّغة العربيَّة، (**وَالْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ**) أي: لا يُدرَك بالعقل، وإذا لم يُدرَك بالعقل فلا مَردَّ إلَّا إلىٰ السَّمع، والسَّمعُ لم يرد به، (**وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ**) لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أخبر به عن نفسه، (**وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ**) لأنَّه سُؤالٌ عمَّا لا يُدرَكُ بالعقل، ولم يرد فيه دليلٌ من السَّمع.

الدَّليلُ نوعان:

[١] **السَّمعُ**: وهو الكتابُ والسُّنَّةُ؛ لأنَّهما مَسموعان.

[٢] **العقلُ**: والنَّظرُ، ويُسمَّىٰ المُتكلِّمون بالنُّظَّار؛ لأنَّهم ادَّعوا أنَّهم أهل العقول.

آياتُ الصِّفات من:

[١] **المُحكَم**: باعتبار المَعنىٰ، فمَعناها واضحٌ ظاهرٌ، وليس مَعناها خفيًّا.

[٢] **المُتشابه**: باعتبار الكيفيَّة؛ لأنَّنا لا يمكن أن نصل إلىٰ حقائقها.

لا يوجد في القرآن شيءٌ لا يتبيَّن مَعناه لأحدٍ من النَّاس، والدَّليل:

[١] ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ كلِّهم، ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لا يهتدي ويتَّعظ به إلَّا المُتَّقون.

[٢] ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ فهو مُبينٌ، وكلُّ شيءٍ يحتاج النَّاس إلىٰ بيانه فإنَّه مَوجودٌ فيه، إمَّا نصًّا، أو إشارةً.

[٣] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي: قرأه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ عليك، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ لفظًا ومَعنًى.

[٤] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ والبرهان والنُّور لابدَّ أن يكون بيِّنًا.

لماذا ذكر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ قراءة جبريل بقوله: ﴿قَرَأْنَهُ﴾؟

لمَّا كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولًا من ربِّ العالمين، صارت قراءتُه كقراءة الله عَزَّ وَجَلَّ، فأطلق الله عَزَّ وَجَلَّ الفعل علىٰ نفسه والمُرادُ به الرَّسول؛ لأنَّ الرَّسول مُبلِّغٌ.

ومن هذا الباب قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾، ولا يُمكن أن يُبايعوا الله عَزَّ وَجَلَّ فوق العرش وهم تحت الشَّجرة، فهم إنَّما بايعوا النَّبيَّ ﷺ، ومُبايعة الرَّسول مُبايعةٌ لله، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[الفتح:١٠] والَّذي فوق أيديهم هو يد الرَّسول ﷺ، وعلىٰ هذا فلا إشكال في الآية.

المثال الأوَّل للتَّشابُه النِّسبيِّ:

قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشُّورىٰ:١١]، ضلَّ في هذه الآية طائفتان:

[١] طائفةٌ غلوا في نفيها، وفهموا أنَّها تدلُّ علىٰ نفي كلِّ الصِّفات، وقالوا: إنَّك إذا أثبتَّ أيَّ صفةٍ فقد مثَّلتَ.

[٢] طائفةٌ قالوا: ليس كمثله شيءٌ في الصِّفات الخبريَّة فقط؛ كالوجه واليدين وما أشبه ذلك.

[٣] وقال أهل السُّنَّة: ليس كمثله شيءٌ في كلِّ الصِّفات، ونفيُ المثل يدلُّ علىٰ ثبوت أصل المَعنىٰ؛ وإلَّا لكان نفيُ المثل لغوًا.

المثال الثَّاني للتَّشابُه النِّسبيِّ:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾[النِّساء]، فهم منها الوعيديَّة -وهم المُعتزلة والخوارج- أنَّ قاتل المؤمن عمدًا مُخلَّدٌ في النَّار؛ لأنَّهم قالوا بنصوص الوعيد وأعرضوا عن نصوص الرَّجاء، وكلاهما قال: إنَّ فاعل الكبيرة مُخلَّدٌ في النَّار، لكنَّ بينهما فرقًا.

الفرق بين الخوارج والـمُعتزلة في فاعل الكبيرة:

[١] **الخوارج**: قالوا: إنَّ فاعل الكبيرة كافرٌ في الدُّنيا؛ لأنَّ حكم الخُلود لا يكون إلَّا للكافرين، وبناءً علىٰ هذا الأصل استحلُّوا دماء المسلمين.

[٢] **الـمُعتزلة**: قالوا: إنَّ فاعل الكبيرة في الدُّنيا في منزلةٍ بين المنزلتين، لا مؤمنٌ ولا كافرٌ، فلم يستحلُّوا دمه، لكن وافقوا الخوارج في كونه مُخلَّدًا في النَّار.

دفع التَّوهُّم في آية النِّساء:

من المناسبات الجيِّدة أنَّ آية ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾[النِّساء:٩٣] وقعت بين آيتين تدلَّان علىٰ أنَّ ما سوىٰ الشِّرك تحت المشيئة، وهما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾[النِّساء]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾[النِّساء].

لكنَّ الأصل في الخلود الدَّوام، وذكر التَّأبيد من باب التَّوكيد فقط، فكيف توجيه قوله تعالىٰ: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾؟

[١] تفسير ابن عبَّاسٍ: القتل العمد سببٌ للخلود في النَّار، لكن قد يوجد مانعٌ -وهو الإيمان- فينتفي الخلود، فالشَّيء لا يتمُّ إلَّا بوجود شروطه وانتفاء مَوانعه، وهذا هو أقرب الأقوال إلىٰ الصَّواب.

[٢] وقيل: المُراد بالخلود هنا المُكث الطَّويل دون تأبيد، وهو تفسيرٌ سائغٌ في اللُّغة العربيَّة، لكن يرد عليه أنَّه ثبت في السُّنَّة خلود قاتل نفسه في النَّار، وكذا من قتل نفسه بشيءٍ فإنَّه يُخلَّد في العذاب به.

[٣] وقيل: يُحكَم بخلوده في النَّار إذا كان مُستحلًّا دم المَقتول، وهذا قولٌ مَردودٌ.

[٤] وقيل: الآية مُطلقةٌ، فيكفر قاتل المؤمن عمدًا علىٰ كلِّ حالٍ، وهو قولٌ غير سديدٍ.

المثال الثَّالث للتَّشابُه النِّسبيِّ:

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ﴾ أي: قد علمتَ، والاستفهام هنا للتَّقرير، والخطاب للنَّبيِّ ﷺ، أو لكلِّ من يتأتَّىٰ خطابُه، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾، ﴿مَا﴾ اسمٌ مَوصولٌ يدلُّ علىٰ العموم، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ أي: ما في السَّماء والأرض مَكتوبٌ في اللَّوح المَحفوظ، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ أي: كتابة ما في السَّماء والأرض، ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧٠﴾[الحجّ].

اشتبهت هذه الآية علىٰ الجبريَّة، ففهموا منها أنَّ العبد مَجبورٌ علىٰ عمله، وادَّعوا أنَّه ليس له إرادةٌ ولا قدرةٌ ولا اختيارٌ، وأنَّ حركاته كتحرُّك الرِّيش في الهواء.

ولا شكَّ أنَّ هذا قولٌ باطلٌ، ودليل بُطلانه:

[١] السَّمع:

أثبت الله عَزَّوَجَلَّ المشيئة للعبد في عدَّة آياتٍ، منها: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التَّكوير]، وأثبت له القدرة كما في قوله: ﴿وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ٢٥﴾ [القلم].

[٢] العقل:

من المَعلوم أنَّه لو كان الله مُجبرًا عبادَه علىٰ ما يفعلون، ثمَّ يعذِّبهم في المُخالفة؛ لكان هذا أمرًا لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه ظلمٌ.

[٣] الحسُّ:

فكلُّ إنسانٍ يعرف أنَّه يدخل ويخرج ويذهب ويجيء باختياره، ولا يرىٰ أنَّ أحدًا يُكرهه علىٰ هذا.

تنبيهٌ:

فعل العبد نوعان: اختياريٌّ، وغير اختياريٍّ، فالأوَّل يُؤاخذ عليه، والثَّاني لا يُؤاخذ عليه.

وينبغي للإنسان أن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ دائمًا أن يهديه للحقِّ في العقائد والعمليَّات.

وانظر إلىٰ فعل الرَّسول ﷺ، كان يفتتح قيام اللَّيل -وهو أوَّل صلاةٍ يصلِّيها بعد النَّوم- بقوله: «**اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**». أخرجه مسلمٌ.

رَابِعًا: الْحِكْمَةُ فِي تَنَوُّعِ الْقُرْآنِ إِلَى مُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ

قَالَ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمًا لَفَاتَتِ الْحِكْمَةُ مِنَ الِاخْتِبَارِ بِهِ تَصْدِيقًا وَعَمَلًا؛ لِظُهُورِ مَعْنَاهُ، وَعَدَمِ الْمَجَالِ لِتَحْرِيفِهِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْمُتَشَابِهِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ مُتَشَابِهًا لَفَاتَ كَوْنُهُ بَيَانًا وَهُدًى لِلنَّاسِ، وَلَمَا أَمْكَنَ الْعَمَلُ بِهِ، وَبِنَاءُ الْعَقِيدَةِ السَّلِيمَةِ عَلَيْهِ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى بِحِكْمَتِهِ جَعَلَ مِنْهُ آيَاتٍ مُحْكَمَاتٍ، يُرْجَعُ إِلَيْهِنَّ عِنْدَ التَّشَابُهِ، وَأُخَرَ مُتَشَابِهَاتٍ امْتِحَانًا لِلْعِبَادِ؛ لِيَتَبَيَّنَ صَادِقُ الْإِيمَانِ مِمَّنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ.

فَإِنَّ صَادِقَ الْإِيمَانِ يَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ كُلَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى، وَمَا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ بَاطِلٌ أَوْ تَنَاقُضٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّساء].

وَأَمَّا مَنْ فِي قَلْبِهِ زَيْغٌ فَيَتَّخِذُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ سَبِيلًا إِلَى تَحْرِيفِ الْمُحْكَمِ، وَاتِّبَاعِ الْهَوَى فِي التَّشْكِيكِ فِي الْأَخْبَارِ، وَالِاسْتِكْبَارِ عَنِ الْأَحْكَامِ، وَلِهَذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ يَحْتَجُّونَ عَلَى انْحِرَافِهِمْ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ).

لو كان القرآن:

[١] كلُّه مُحكمًا:

والإحكام هنا هو وضوح المَعنىٰ وبيانه لكلِّ النَّاس، فلو كان القرآن كلُّه بيِّنًا لفاتت الحكمة من الاختبار والامتحان بين المؤمن الرَّاسخ في العلم، ومن في قلبه زيغٌ.

[٢] كلُّه مُتشابهًا:

والتَّشابه هنا هو خفاء المَعنىٰ علىٰ بعض النَّاس، فإذا كان القرآن كلُّه خفيًّا فات البيان للنَّاس والإيضاح، ولم يمكن العمل بمَضمونه، ولا بناء العقيدة السَّليمة عليه.

الْفَصْلُ الرَّابِعُ: مُوهِمُ التَّعَارُضِ فِي الْقُرْآنِ

قَالَ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (التَّعَارُضُ فِي الْقُرْآنِ أَنْ تَتَقَابَلَ آيَتَانِ، بِحَيْثُ يَمْنَعُ مَدْلُولُ إِحْدَاهُمَا مَدْلُولَ الْأُخْرَىٰ، مِثْلَ أَنْ تَكُونَ إِحْدَاهُمَا مُثْبِتَةً لِشَيْءٍ وَالْأُخْرَىٰ نَافِيَةً فِيهِ.
وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ التَّعَارُضُ بَيْنَ آيَتَيْنِ مَدْلُولُهُمَا خَبَرِيٌّ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ كَوْنُ إِحْدَاهُمَا كَذِبًا، وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ فِي أَخْبَارِ اللهِ تَعَالَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾[النِّسَاء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾[النِّسَاء]، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ التَّعَارُضُ بَيْنَ آيَتَيْنِ مَدْلُولُهُمَا حُكْمِيٌّ؛ لِأَنَّ الْأَخِيرَةَ مِنْهُمَا نَاسِخَةٌ لِلْأُولَىٰ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾[البقرة: ١٠٦]، وَإِذَا ثَبَتَ النَّسْخُ كَانَ حُكْمُ الْأُولَىٰ غَيْرَ قَائِمٍ وَلَا مُعَارِضٍ لِلْأَخِيرَةِ، وَإِذَا رَأَيْتَ مَا يُوهِمُ التَّعَارُضَ مِنْ ذَلِكَ، فَحَاوِلِ الْجَمْعَ بَيْنَهُمَا، فَإِنْ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَكَ وَجَبَ عَلَيْكَ التَّوَقُّفُ، وَتَكِلُ الْأَمْرَ إِلَىٰ عَالِمِهِ.
وَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ رَحِمَهُمُ اللهُ أَمْثِلَةً كَثِيرَةً لِمَا يُوهِمُ التَّعَارُضَ، بَيَّنُوا الْجَمْعَ فِي ذَلِكَ، وَمِنْ أَجْمَعِ مَا رَأَيْتُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ كِتَابُ «دَفْعِ إِيهَامِ الِاضْطِرَابِ عَنْ آيِ الْكِتَابِ» لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ الشِّنْقِيطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ.
فَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[البقرة]، وَقَوْلُهُ فِيهِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٨٥]، فَجَعَلَ هِدَايَةَ الْقُرْآنِ فِي الْآيَةِ الْأُولَىٰ خَاصَّةً بِالْمُتَّقِينَ، وَفِي الثَّانِيَةِ عَامَّةً لِلنَّاسِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْهِدَايَةَ فِي الْأُولَىٰ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالِانْتِفَاعِ، وَالْهِدَايَةَ فِي الثَّانِيَةِ هِدَايَةُ التَّبْيِينِ وَالْإِرْشَادِ.
وَنَظِيرُ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ فِي الرَّسُولِ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[القصص: ٥٦] وَقَوْلُهُ فِيهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾[الشُّورىٰ]، فَالْأُولَىٰ هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ، وَالثَّانِيَةُ هِدَايَةُ التَّبْيِينِ).

قاعدةٌ مهمَّةٌ:

(كلامُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مُنزَّهٌ عن التَّعارُضِ والاختلافِ)، ولهذا قال المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مُوهِمُ التَّعَارُضِ فِي الْقُرْآنِ)؛ لأَنَّ التَّعارُضَ غيرُ حَقيقيٍّ وإنَّما مُتوَهَّمٌ، قالَ تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النِّساء].

تقابل المَعنيين على نوعين:

[١] تقابلٌ من كلِّ وجهٍ:
بحيث يمنع مَدلول أحدهما مَدلول الآخر، فهذا هو التَّعارض المَقصود في هذا الباب.

[٢] تقابلٌ من بعض الوجوه:
لا يمنع مَدلول أحدهما مَدلول الآخر؛ كما يكون بين العامِّ والخاصِّ، فهذا ليس بتعارضٍ، فالعامُّ فيه شمول الحكم للأفراد، والخاصُّ يختصُّ بأحدها.

التَّعارض في:

[١] الأخبار:
بحيث تأتي آيةٌ تثبت شيئًا وأخرىٰ تنفيه، وهذا غير واقع في القرآن؛ لأنَّه لو وقع للزم أن تكون إحدىٰ الآيتين كاذبةً، وهذا مُستحيلٌ في خبره عَزَّوَجَلَّ.

[٢] الأحكام:
إذا وقع في القرآن فإنَّ الآية المُتأخِّرة منهما تكون ناسخةً للمُتقدِّمة؛ لأنَّ النَّسخ جائزٌ في الأحكام، فلا تبقىٰ المُقابلة والمُقاومة.

فائدة كتاب «دَفْعِ إِيهَامِ الاضْطِرَابِ عَنْ آيِ الْكِتَابِ»:

أهمِّيَّة هذا الكتاب في أنَّ الإنسان يتعوَّد به كيف يجمع بين الآيات، يوقن بأنَّ القرآن ليس فيه تعارضٌ، لذلك ينبغي للإنسان أن يطالع مثل هذه الكتب الَّتي فيها الجمع بين الآيات الَّتي ظاهرها التَّعارض.

الهداية نوعان:

[١] **هداية توفيقٍ وعملٍ**: وهي خاصَّةٌ بالمُتَّقين، ومنها قوله تعالىٰ عن القرآن: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢﴾[البقرة]، وقوله عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦].

ولفظ ﴿أَحْبَبْتَ﴾ يحتمل مَعنيين:

[٢] **هداية بيانٍ وإرشادٍ**: وهي عامَّةٌ لكلِّ النَّاس، ومنها قوله تعالىٰ عن القرآن: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقوله عن النَّبيِّ ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢﴾[الشُّورىٰ].

[أ] (**أَحْبَبْتَهُ**): والآية نزلت في أبي طالبٍ، وهذا يقتضي أنَّه ﷺ يحبُّ عمَّه أبا طالبٍ، ولا يُلام علىٰ حبِّه له؛ لأنَّه يحبُّه لقرابته وإحسانه إليه، وليس لدينه، وهذا المَعنىٰ أقرب؛ لأنَّه ليس فيه تقديرٌ، والأصل عدم التَّقدير.

[ب] (**أَحْبَبْتَ هِدَايَتَهُ**): وهذا فيه تقدير مَحذوفٍ.

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾[آل عمران: ١٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾[آل عمران: ٦٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ٢١٣﴾[الشُّعراء]، وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ١٠١﴾[هود]، فَفِي الْآيَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ نَفْيُ الْأُلُوهِيَّةِ عَمَّا سِوَى اللهِ تَعَالَىٰ، وَفِي الْأُخْرَيَيْنِ إِثْبَاتُ الْأُلُوهِيَّةِ لِغَيْرِهِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ ذَلِكَ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ الْخَاصَّةَ بِاللهِ عَزَّوَجَلَّ هِيَ الْأُلُوهِيَّةُ الْحَقَّةُ، وَأَنَّ الْمُثْبَتَةَ لِغَيْرِهِ هِيَ الْأُلُوهِيَّةُ الْبَاطِلَةُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ٦٢﴾[الحجّ].

وَمِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[الأعراف:٢٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ١٦﴾[الإسراء]، فَفِي الْآيَةِ الْأُولَىٰ نَفْيُ أَنْ يَأْمُرَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْفَحْشَاءِ، وَظَاهِرُ الثَّانِيَةِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَأْمُرُ بِمَا هُوَ فِسْقٌ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْأَمْرَ فِي الْآيَةِ الْأُولَىٰ هُوَ الْأَمْرُ الشَّرْعِيُّ،

وَاللهُ تَعَالَىٰ لا يَأْمُرُ شَرْعًا بِالْفَحْشَاءِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾[النَّحل]، وَالأَمْرُ فِي الآيَةِ الثَّانِيَةِ هُوَ الأَمْرُ الْكَوْنِيُّ، وَاللهُ تَعَالَىٰ يَأْمُرُ كَوْنًا بِمَا شَاءَ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[يس]).

المثال الثَّالث:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ﴾ فعلَّلوا بأمرين: أنَّهم وجدوا عليها آباءهم، وأنَّ الله أمرهم بها، فردَّ الله عليهم العلَّة الأولىٰ بقوله: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾[الأعراف:٢٨]، ولم يرُدَّ الثَّانية؛ لأنَّها حقٌّ، والحقُّ يُقبل ولو من الكافر، بل ولو من الشَّيطان نفسه! وفي الآية أنَّ الله لا يأمر بالفحشاء.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ۝١٦﴾[الإسراء]، وفيها أنَّ الله يأمر بالفسق، فكيف يُجمع بينهما؟

الجمع بينهما بأنَّ أمر اللَّه عَزَّوَجَلَّ نوعان:

[١] أمرٌ شرعيٌّ:

ومنه الآية الأولىٰ، فالله عَزَّوَجَلَّ لا يأمر شرعًا بالفحشاء، بل هو ينهىٰ عن الفحشاء والمُنكر.

[٢] أمرٌ كونيٌّ:

فإنَّ كلَّ ما وقع في السَّماء والأرض فهو بأمره الكونيِّ، ومن هذا قولُه تعالىٰ: ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾، أي: أمرًا كونيًّا، وحملها بعضهم علىٰ الشَّرعيِّ، بمعنىٰ: (إذا أردنا أن نهلك قريةً أرسلنا الرُّسل إليهم ففسقوا فدمَّرناهم)، وهذا غلطٌ لمُنافاته حكمة الله عَزَّوَجَلَّ.

الْفَصْلُ الْخَامِسُ: الْقَسَمُ

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْقَسَمُ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالسِّينِ: الْيَمِينُ، وَهُوَ: تَأْكِيدُ الشَّيْءِ بِذِكْرِ مُعَظَّمٍ بِالْوَاوِ أَوْ إِحْدَىٰ أَخَوَاتِهَا، وَأَدَوَاتُهُ ثَلَاثَةٌ:

- **الْوَاوُ**: مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾[الذَّاريات:٢٣]، وَيُحْذَفُ مَعَهَا الْعَامِلُ وُجُوبًا، وَلَا يَلِيهَا إِلَّا اسْمٌ ظَاهِرٌ.

- **وَالْبَاءُ**: مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾[القيامة]، وَيَجُوزُ مَعَهَا ذِكْرُ الْعَامِلِ كَمَا فِي هَذَا الْمِثَالِ، وَيَجُوزُ حَذْفُهُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْ إِبْلِيسَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢﴾ [ص]، وَيَجُوزُ أَنْ يَلِيَهَا اسْمٌ ظَاهِرٌ كَمَا مَثَّلْنَا، وَأَنْ يَلِيَهَا ضَمِيرٌ كَمَا فِي قَوْلِكَ: اللهُ رَبِّي، وَبِهِ أَحْلِفُ لَيَنْصُرَنَّ الْمُؤْمِنِينَ.

- **وَالتَّاءُ**: مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ۝٥٦﴾[النَّحل]، وَيُحْذَفُ مَعَهَا الْعَامِلُ وُجُوبًا، وَلَا يَلِيهَا إِلَّا اسْمُ اللهِ، أَوْ رَبِّ، مِثْلَ: تَرَبِّ الْكَعْبَةِ لَأَحُجَّنَّ إِنْ شَاءَ اللهُ).

ضبط لفظ (القسم):

[١] **الْقِسْمُ**: بمعنىٰ: الجنس، أو الصِّنف، وما أشبه ذلك.	[٢] **الْقَسْمُ**: بمعنىٰ: تقسيم الشَّيء.	[٣] **الْقِسَمُ**: بمعنىٰ: ما يُقدَّر لابن آدم.	[٤] **الْقَسَمُ**: بمعنىٰ اليمين، والحَلِف.

القَسَم هو تأكيد الشَّيء بـ:

[١] **(ذِكر مُعظَّم)، سواءٌ كان الـمُعظَّم:**

[أ] **يستحقُّ التَّعظيم:** وهو الله عَزَّ وَجَلَّ وحده.

[ب] **لا يستحقُّ التَّعظيم:** فالَّذين يحلفون باللَّات والعُزَّى ومَناة قَسَمهم صحيحٌ لغةً؛ لأنَّهم يعظِّمونهم.

وحُكم الحلف بغير اللَّه عَزَّ وَجَلَّ شرعًا أنَّه:

[أ] **شرك أكبر:** إذا اعتقد أنَّه يستحقُّ من التَّعظيم كما يستحقُّ الله.

[ب] **شرك أصغر:** إذا لم يعتقد ذلك.

[٢] **(على وجهٍ مَخصوصٍ):**

بحروف القَسَم الثَّلاثة: (الواو)، و(الباء)، و(التَّاء).
ويُقسم أحيانًا بـ(الهاء)، نحو: (ها اللهِ لأفعلنَّ).
ولهذا ذكر المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**أَخَوَاتِهَا**).

وعلىٰ هذا فلو قال: (حرامٌ عليَّ أن أفعل كذا) فإنَّه لا يكون قسمًا بغير الله، وليس شركًا، لكنَّ حكمه حكمُ اليمين؛ لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١﴾ [التَّحريم].

من أحكام القَسَم:

[١] لا ينبغي للإنسان أن يحلف بالله إلَّا عند الحاجة والضَّرورة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ [المائدة:٨٩].

[٢] ينبغي لمن حلف أن يستثني بـ(إن شاء الله)؛ ليسهُل أمرُه، ولئلَّا تترتَّب عليه كفَّارةٌ إذا حنث.

[٣] لا يجوز الحلف بغير الله مهما كانت منزلتُه، ولو كان النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يجوز القَسَم بـ:

- [١] **اللّٰه**: وهذا هو الأكثر.
- [٢] **ما يختصُّ به من الأسماء**: مثل: الرَّحمن، وربِّ العالمين، ونحوها.
- [٣] **الصِّفات الـمَعنويَّة**: مثل: العلم، والقدرة، والسَّمع، والبصر، والعزَّة، ونحوها.
- [٤] **الصِّفات الخبريَّة**: الَّتي يُعبَّر بها عن ذاته عَزَّوَجَلَّ، مثل: الوجه، قال تعالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[الرَّحمن]، فعبَّر بالوجه عن الذَّات.

وأمَّا الصِّفات الخبريَّة الَّتي لا يُعبَّر بها عن الذَّات فلا يجوز القسم بها، مثل: اليد، والعين، والرِّجل، ونحوها، فلا يجوز مثلًا أن يقول: (وَيَدِ الله).

القَسَم إذا كان على شيءٍ:

- [١] **ماضٍ**: **فلا كفَّارة في الحِنث**:
  - [أ] **ولا يأثم**: إذا كان صادقًا.
  - [ب] **ويأثم**: إذا كان كاذبًا، فإذا تضمَّن اليمين أكلَ مالِ الغير بغير حقٍّ = كانت اليمينَ الغموسَ الَّتي تغمس صاحبَها في النَّار.
- [٢] **مُستقبَلٍ؛ فينقسم إلى**:
  - [أ] **يمين لَغوٍ**: وهي الَّتي تجري علىٰ الإنسان بغير قصدٍ، نحو: (لا والله)، و(بلىٰ والله)، وهذه لا كفَّارة فيها.
  - [ب] **يمينٍ مَعقودةٍ**: وهي الَّتي يقصدها الإنسان، فإذا قصد.
    - **الخبرَ**: فلا كفَّارة.
    - **إيقاعَ الفعل**: ففيها الكفَّارة إذا حنث.
  - [ج] **يمين على ما يظُنُّ وقوعَه**: فلا كفَّارة عليه إذا لم يقع علىٰ الصَّحيح.

القسمُ بالواو هو الأكثرُ، والفرقُ بينَها وبينَ الباءِ والتَّاءِ:

[١] **أنَّه يجبُ حذفُ العاملِ مع الواو والتَّاء:**
فلا يصحُّ أن تقول: (أقسم واللهِ لتفعلنَّ كذا)، أو (أقسم تالله)؛ بخلاف الباء فإنَّه يجوز فيها إثباتُه: (أقسم بالله لتفعلنَّ كذا)، ويجوز حذفُه: (بالله لتفعلنَّ كذا).

[٢] **أنَّه يجبُ أن يَلِيَ الواو اسمٌ ظاهرٌ:**
فلا يجوز أن يليَ الواو ضميرٌ؛ بخلاف الباء فإنَّه يجوز فيها مثلًا: (اللهُ أقسمُ به لتفعلنَّ كذا).
وأمَّا التَّاء فلا يصحُّ أن يليَها سوىٰ (الله) و(ربِّ).

والخلاصة: أنَّ الواو هي أكثر حروف القسم الثَّلاثة استعمالًا، والباء هي أوسُعها من حيث طريقةُ الاستعمال (ما يصحُّ أن يتقدَّمها وأن يليَها)، والتَّاء هي أضيقُها.

خلافُ الـمُفسِّرين في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾:

[١] ﴿لَآ﴾ نافيةٌ لفعل مَحذوفٍ، والتَّقديرُ: (لَا صحَّة لما تزعُمون من إنكار البعث، أُقسم بيوم القيامة).

[٢] ﴿لَآ﴾ نافيةٌ لفعل مَوجودٍ، والتَّقديرُ: (لا أُقسم بكذا علىٰ كذا؛ لأنَّه لا يحتاج إلىٰ قَسَمٍ).

[٣] ﴿لَآ﴾ للتَّنبيه، والجملة جملةٌ ثُبوتيَّةٌ، لا جملةٌ مَنفيَّةٌ، وهذا هو أصحُّ الأقوال، وأقلُّها تكلُّفًا.

سُمِّيَ يومَ القيامة لأنَّه اليومُ الَّذي:

[١] يقومُ النَّاس فيه من قبورهم لربِّ العالمين قيامَ رجلٍ واحدٍ.

[٢] يقوم فيه الأشهادُ، فتشهد الرُّسل علىٰ أُممِهم، وتشهد هذه الأمَّة علىٰ أُمم الرُّسل، ويشهد محمَّدٌ ﷺ علىٰ هذه الأمَّة.

[٣] يُقامُ فيه العدلُ.

قاعدةٌ هامّةٌ في التّفسير:

كلُّ قَسَمٍ في القرآن لابدَّ أن يكون بينَه وبين المُقسَم عليه مُناسبةٌ، لكنَّ المُناسبة: قد تكون ظاهرةً، وقد تكون خفيَّةً.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَالْأَصْلُ ذِكْرُ الْمُقْسَمِ بِهِ، وَهُوَ كَثِيرٌ كَمَا فِي الْأَمْثِلَةِ السَّابِقَةِ.
وَقَدْ يُحْذَفُ وَحْدَهُ، مِثْلَ قَوْلِكَ: أَحْلِفُ عَلَيْكَ لَتَجْتَهِدَنَّ.
وَقَدْ يُحْذَفُ مَعَ الْعَامِلِ، وَهُوَ كَثِيرٌ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[التَّكاثر].
وَالْأَصْلُ ذِكْرُ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وَهُوَ كَثِيرٌ، مِثْلَ قَوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ [التَّغابن:٧].
وَقَدْ يُحْذَفُ جَوَازًا مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾﴾[ق]، وَتَقْدِيرُهُ: لَيُهْلِكُنَّ.
وَقَدْ يُحْذَفُ وُجُوبًا إِذَا تَقَدَّمَهُ أَوِ اكْتَنَفَهُ مَا يُغْنِي عَنْهُ، قَالَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «الْمُغْنِي»، وَمَثَّلَ لَهُ بِنَحْوِ: زَيْدٌ قَائِمٌ وَاللهِ، وَزَيْدٌ وَاللهِ قَائِمٌ).

الأصلُ في القَسَم ذِكرُ المُقسَم به، لكن قد:

[١] يُحذف وحدَه:
كما في قولِك: (أَحْلِفُ عَلَيْكَ لَتَجْتَهِدَنَّ)، فالمَحلوفُ له مَحذوفٌ، والتَّقديرُ: (أحلِفُ بالله عليك لتَجتهدنَّ).

[٢] يُحذف هو والعامل معًا:
وهو كثيرٌ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾[التَّكاثر]، والتَّقديرُ: (ثمَّ أُقسم بالله لتُسألُنَّ).

ومن أمثلة ذكرهما معًا في القرآن قولُه تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الذَّاريات]، وقولُه: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[النَّحل]...

الأصلُ في القَسَم ذِكرُ الـمُقسَم عليه، لكن قد:

[١] يُحذف جوازًا:
كما في قوله تعالىٰ: ﴿قٓ﴾ حرف هجاءٍ، وسبق أنَّ الرَّاجح أنَّه ليس له مَعنًىٰ في حدِّ ذاتِه، ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ هذا هو المُقسَم به، والمُقسَمُ عليه مَحذوفٌ تقديرُه: (لَيَهلِكُنَّ)، وقيل: (لَيُبْعَثُنَّ)، وقيل: لا حاجة لذكره؛ لأنَّه مَعلومٌ من السِّياق.

[٢] يُحذف وجوبًا: إذا:

[أ] تقدَّمه ما يُغني عنه:
مثل: (زيدٌ قائمٌ واللهِ)، مَعناه: (واللهِ إنَّ زيدًا لَقائمٌ)، ولو قلت: (زيدٌ قائمٌ، والله إنَّه لَقائمٌ) لكان لَغوًا.

[ب] اكتنفه ما يُغني عنه:
يعني كان القَسَم بين أجزاء الجملة، مثل: (زيدٌ واللهِ قائمٌ).

ومن أمثلة ذِكر المُقسَم عليه -وهو كثيرٌ- قولُه تعالىٰ: ﴿قُلۡ﴾ يا أيُّها الرَّسول للَّذين زعموا أنَّهم لن يُبعَثوا ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾[التَّغابن:٧]، فحلَف لهم بالله وهم قومٌ مُنكِرون، وهذا أسلوبٌ من أساليب اللُّغة العربيَّة: أنَّ الكلامَ يُؤكَّد بالقَسَم، وإذا لم ينتفع هؤلاء بالقَسَم انتفع غيرُهم، فيكون حجَّةً عليهم من وجهٍ، ونبراسًا لغيرهم من وجهٍ آخر.

أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيَّه ﷺ بالقَسَم في ثلاثةِ مَواضعَ من القُرآنِ:

[١] على القرآن:
في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾[يونس].

[٢] على السَّاعة:
في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾[سبأ:٣].

[٣] على البعث:
في قولِه تعالىٰ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ﴾[التَّغابن:٧].

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلِلْقَسَمِ فَائِدَتَانِ:
- إِحْدَاهُمَا: بَيَانُ عَظَمَةِ الْمُقْسَمِ بِهِ.
- وَالثَّانِيَةُ: بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ، وَإِرَادَةُ تَوْكِيدِهِ، وَلِذَا لَا يَحْسُنُ الْقَسَمُ إِلَّا فِي الْأَحْوَالِ التَّالِيَةِ:
  - الْأُولَى: أَنْ يَكُونَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ ذَا أَهَمِّيَّةٍ.
  - الثَّانِيَةُ: أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ مُتَرَدِّدًا فِي شَأْنِهِ.
  - الثَّالِثَةُ: أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ مُنْكِرًا لَهُ).

للقَسَم فائدتان:

[١] (**بَيَانُ عَظَمَةِ الْمُقْسَمِ بِهِ**):
ولهذا لا يجوز للمَخلوق أن يحلِف بغير الله عَزَّوَجَلَّ، لكن يجوز لله عَزَّوَجَلَّ أن يحلِف بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أو بما شاء من مَخلوقاته.

[٢] (**بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ**):
ولهذا فإنَّ حَلِفَ الله عَزَّوَجَلَّ بمَخلوقٍ من مَخلوقاتِه يدلُّ على عظمته، وأنَّه جديرٌ بأن يكون مُقسَمًا به.

لا يحسُنُ القَسَمُ إلَّا في ثلاث أحوالٍ:

[١] (**أَنْ يَكُونَ الْمُقْسَمُ عَلَيْهِ ذَا أَهَمِّيَّةٍ**):
حتَّى وإن كان المُخاطَبُ غير مُنكرٍ له؛ لبيان أهمِّيَّة المُقسَم عليه، وأمَّا ما ليس له أهمِّيَّةٌ فلا يُقسَمُ عليه سواءٌ صدَّق المُخاطَبُ أو لا.

[٢] (**أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ مُتَرَدِّدًا فِي شَأْنِهِ**):
وهنا يحسُنُ القَسَمُ ولا يجبُ؛ لأنَّ المُخاطَب قد يكفيه الخبرُ المُجرَّدُ، فتحلِفُ ليطمئِنَّ ويزولَ عنه الشَّكُّ.

[٣] (**أَنْ يَكُونَ الْمُخَاطَبُ مُنْكِرًا لَهُ**):
وهنا يجب تأكيدُ الكلام ليكون المُخاطَبُ مُطمئنًّا، سواءٌ بالقَسَم، أو بغيره ممَّا يُناسبُه.

مِمَّا يكونُ في مَعنى القَسَم، وليس قسمًا حقيقةً:

[١] (**لَعَمْرُكَ**) أو (**لَعَمْرِي**):
يجوز ذلك؛ لأنَّه قد جاء عن النَّبيِّ ﷺ عند أحمد، وعن عائشة في «الصَّحيحين»، وهو في مَعنىٰ القَسَم، لكن في حقيقتِه ليس قَسَمًا يُرادُ به الحَلِفُ الَّذي يكون شركًا أو كُفرًا.

[٢] (**يمينُ اللَّهِ**):
وكذلك قولُ: (عهدُ اللهِ).

[٣] (**يعلمُ اللَّهُ ما فعلتُ كذا**):
قال بعضُ العلماء: إنَّ هذا من أحطر ما يكون في باب القَسَم، والقائل علىٰ خطرٍ عظيمٍ إذا كذب؛ لأنَّ قولَه هذا يقتضي أنَّ الله جاهلٌ عياذًا بالله!
قال تعالىٰ: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾[يس]، وهذا كذلك في مَعنىٰ القَسَم، ولهذا أُجيب بما يُجابُ به القَسَمُ: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾.

الْفَصْلُ السَّادِسُ: الْقَصَصُ

أَوَّلًا: مَعْنَى الْقَصَصِ وَأَقْسَامُهَا

قَالَ الْمُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْقَصَصُ وَالْقَصُّ لُغَةً: تَتَبُّعُ الْأَثَرِ، وَفِي الِاصْطِلَاحِ: الْإِخْبَارُ عَنْ قَضِيَّةٍ ذَاتِ مَرَاحِلَ، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَقَصَصُ الْقُرْآنِ:

- أَصْدَقُ الْقَصَصِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾[النِّسَاء]، وَذَلِكَ لِتَمَامِ مُطَابَقَتِهَا لِلْوَاقِعِ.

- وَأَحْسَنُ الْقَصَصِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾[يوسف:٣]، وَذَلِكَ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ فِي الْبَلَاغَةِ وَجَلَالِ الْمَعْنَى.

- وَأَنْفَعُ الْقَصَصِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف:١١١]، وَذَلِكَ لِقُوَّةِ تَأْثِيرِهَا فِي إِصْلَاحِ الْقُلُوبِ، وَالْأَعْمَالِ، وَالْأَخْلَاقِ.

وَهِيَ ثَلَاثَةُ أَقْسَامٍ:

١. قِسْمٌ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَمَا جَرَى لَهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ وَالْكَافِرِينَ.

٢. وَقِسْمٌ عَنْ أَفْرَادٍ وَطَوَائِفَ جَرَى لَهُمْ مَا فِيهِ عِبْرَةٌ، فَنَقَلَهُ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ؛ كَقِصَّةِ مَرْيَمَ، وَلُقْمَانَ، وَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، وَقَارُونَ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَأَصْحَابِ الْفِيلِ، وَأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٣. وَقِسْمٌ عَنْ حَوَادِثَ وَأَقْوَامٍ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَقِصَّةِ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْأَحْزَابِ، وَبَنِي قُرَيْظَةَ، وَبَنِي النَّضِيرِ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَأَبِي لَهَبٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ).

مِن فوائد القصَصِ القُرآنيِّ:

[١] الاقتداءُ بالأنبياءِ والرُّسلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام:٩٠].

[٢] اجتنابُ سُلوكِ المُجرمين: قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٥٥﴾ [الأنعام:٥٥].

[٣] التَّفكُّرُ: قال تعالىٰ: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف:١٧٦].

[٤] الاعتبارُ: قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:١١١].

[٥] وسيلةٌ تربويَّةٌ، وزادٌ للمُعلِّمين: قال تعالىٰ: ﴿أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ﴾ [آل عمران:٤٤].

[٦] آيةٌ للنَّبيِّ ﷺ: قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢﴾ [يوسف].

تعريفُ القَصَصِ:

[١] لغةً: (تَتَبُّعُ الْأَثَرِ)، ومنه قولُه تعالىٰ عن موسىٰ والفتىٰ: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤﴾ [الكهف] أي: يقُصَّانِ الأثرَ ويتبَعانِه.

[٢] اصطلاحًا: (الْإِخْبَارُ عَنْ قَضِيَّةٍ ذَاتِ مَرَاحِلَ، يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا)، فلو قلتَ: (زيدٌ قائمٌ) لم تكن قِصَّةً؛ لأنَّها ليست ذات مَراحلَ يتبعُ بعضُها بعضًا.

قَصَصُ القرآنِ:

[١] أصدقُ القَصَص:
وهذا لا شكَّ فيه؛ لأنَّ المُخبِر به هو الله عَزَّ وَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النِّساء]، والاستفهامُ بمَعنىٰ النَّفي والتَّحدِّي، وذلك لتمام مُطابقتها للواقع، ليس فيها مِريةٌ بوجهٍ، وهذا هو الصِّدقُ، بل إنَّ ما أخبر اللهُ به آكَدُ عندنا ممَّا شاهدناه بأعيُننا؛ لأنَّه لا يعتَريه لَبسٌ.

[٢] أحسنُ القَصَص:
لفظًا ومَعنًىٰ؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف:٣]، وهذا لكمال بلاغة القرآن.

[٣] أنفعُ القَصَص:
لفظًا ومَعنًىٰ؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿ٱتَّقَوْاْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ﴾ [يوسف:٣]، وهذا لكمال بلاغة القرآن.

وكذلك قَصَصُ السُّنَّة الصَّحيحة الثَّابتة مثلُ القرآن من حيثُ الصِّدقُ، وهي أحسنُ قَصَصِ الخلق وأنفعُها، وقد قصَّ النَّبيُّ ﷺ علىٰ أمَّته أشياء كثيرةً عن بني إسرائيل وغيرهم، وكلُّه حقٌّ وصدقٌ، وفيه عِبرةٌ ومَنفعةٌ.

ما ينبغي مع قَصَصِ القرآن والسُّنَّة:

يحسُن للواحد منَّا أن يأخذ قصَّةً من القَصَص يتتبَّعُها في: تفسيرها، ومَعناها الإجماليِّ، وفوائدها، وما تتضمَّنه من الأحكام والحِكَم، ولو عوَّد الإنسان نفسه علىٰ هذا لحصل له خيرٌ كثيرٌ.

مثالٌ: انظر إلىٰ خطاب إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه ومُحاورته معه، قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ [مريم:٤٣]، فأتىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأسلوبٍ حسنٍ وتحاشىٰ أن يقول: أنت جاهلٌ وأنا أعلم منك؛ لأنَّها شديدةٌ علىٰ الأب، وربَّما تُنفِّرُه.

قَصَصُ القرآن على ثلاثة أقسامٍ:

[١] عن الأنبياء والـمُرسلين السَّابقين:
قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم:٩].

[٢] عن أفرادٍ وطوائفَ قبل النَّبيِّ ﷺ:
(كَقِصَّةِ مَرْيَمَ، وَلُقْمَانَ، وَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، وَقَارُونَ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ...).

[٣] عن حوادثَ وأقوامٍ في عهد النَّبيِّ ﷺ:
(كَقِصَّةِ غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْأَحْزَابِ، وَبَنِي قُرَيْظَةَ، وَبَنِي النَّضِيرِ، وَزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَأَبِي لَهَبٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ).

من عِبر قصَّة مريم بنت عمران:

قال تعالىٰ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ والمرأة النُّفساء تجدها في العادة ضعيفةً، والهَزُّ بجِذع النَّخلة أصعب من الهَزِّ برأسها، ﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾[مريم] أي: يسقط من فوقك رُطَبٌ طريٌّ ثريٌّ جَنِيٌّ، لا ينفقس إذا وقع علىٰ الأرض، بل كالَّذي جناه الإنسانُ بنفسه، وهذه وهذه آيةٌ وعِبرةٌ يعتبر بها الإنسان علىٰ قدرة الله عَزَّوَجَلَّ.

من عِبر قصَّة لقمان:

والَّذي يظهر أنَّ لقمان رجلٌ صالحٌ، أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ الحكمة، وليس نبيًّا.
قال تعالىٰ في قصَّته: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان]، وهذه كلُّها حِكَمٌ.

من عِبر قصَّة الَّذي مرَّ على القرية:

قال تعالىٰ: ﴿كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ﴾ أي: كيف ﴿يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ فأراه الله ذلك، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ لأنَّ الله أماته في أوَّل اليوم وأحياه في آخر اليوم، والوقت يذهب إذا لم تكن الرُّوح في الجسم، كما يحصل مع النَّائم والمُغمىٰ عليه، ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي: لم يتغيَّر، لا باللَّون، ولا بالرَّائحة، ولا باليُبوسة، وهذا من آيات الله عَزَّوَجَلَّ، وقيل: إنَّ الطَّعام كان عنبًا، وقيل غيرُه، ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، فالطَّعام لم يتغيَّر ولكنَّ الحمار صار عظامًا، فلمَّا نظر إلىٰ العظام إذا هي تلوحُ، ويركب بعضُها بعضًا، وتنتشز بالعصب، ثمَّ تُكسىٰ باللَّحم، ثمَّ قام الحمار، سبحان الله! ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة]، وهذه القصَّة تحيي القلب، ويعرف بها قدرة الله عَزَّوَجَلَّ.

من عِبر قصَّة ذي القرنين:

ذو القرنين آتاه الله عَزَّوَجَلَّ مُلكًا عظيمًا بلغ مَشارق الأرض ومَغاربها، ومن أعظم عِبر هذه القصَّة أنَّه أتىٰ علىٰ قوم لا يكادون يَفقَهون قولًا بأنفسهم، ولا يُفقِهون أيضًا، فقالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي: نعطيك دراهم، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾؛ لأنَّه مَلِكٌ عظيمٌ، فظنُّوا أنَّه يأخذ الرِّشوة، ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ ممَّا تُعطونني، ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ والرَّدم أعظمُ من السَّدِّ، ﴿ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ فزبَروا له الحديد، وأحمىٰ عليه النَّار، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾، فأفرغ عليه نحاسًا ذائبًا، فتلاصق الحديد بعضُه ببعضٍ بالنُّحاس، ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾؛ لأنَّه أملس، ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ [الكهف]، وهذه من القصص الغريبة!

من عِبر قصَّة قارون:

كان قارونُ رجلًا غنيًّا من قوم موسىٰ ﷺ، ولكنَّه كفر به، واستعلىٰ بما أعطاه الله من المال، وبغىٰ علىٰ قومه، وآتاه الله من الكنوز ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾، أي: لا يستطيعون حمل المَفاتيح، فكيف بالخزائن وما فيها؟! فقال الله عَزَّوَجَلَّ حين طغىٰ هذا الرَّجل: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾[القصص].

من عِبر قصَّة أصحاب الكهف:

وهم سبعةٌ مُخلصون لله مُوحِّدون، ومعهم كلبُهم، رجوا من قومهم المُشركين مُهاجرين إلىٰ الله، وما أحدٌ قصد الله فخاب أبدًا، فآواهم الله عَزَّوَجَلَّ، فهيَّأ لهم كهفًا واسعًا وجهُه إلىٰ الشَّمال الشَّرقيِّ، لا تأتيه الشَّمس إذا أشرقت ولا إذا غربت، قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾، أي: شيءٌ يسيرٌ عند الغروب، فبقوا نائمين فترةً طويلةً، لا يملُّون، ولا يجوعون، ولا يعطشون، إلَّا أنَّ الله قال: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾؛ لئلَّا تفسد أجسادُهم، ولم يقل: (يتقلَّبون)؛ لأنَّ فعل النَّائم لا يُنسَبُ إليه، فقد رُفع عنه القلم، ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾، فبقوا ثلاثمائة سنةٍ وتسع سنواتٍ، حتَّىٰ أخلف الله عن الملك الأوَّل المُشرك ملكًا آخر صالحًا، فلمَّا بعثهم الله عَزَّوَجَلَّ تنازعوا، ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾؛ لأنَّهم ناموا أوَّل النَّهار، واستيقظوا آخر النَّهار، وطلبوا أن يُبعث واحدٌ منهم بدراهمهم إلىٰ المدينة ليشتري طعامًا، فلمَّا ذهب إلىٰ المدينة رأوا السِّكَّة قديمةً، فتعجَّبوا منه، وهذه القصَّة فيها عِبرٌ عظيمةٌ.

من عِبر قصَّة أصحاب الفيل:

وهو قومٌ جاءوا ليهدموا الكعبة، وذلك أنَّ ملك اليمن وضع عنده كعبةً تضاهي الكعبة الَّتي بمكَّة من أجل أن يحجَّ النَّاس إليها، فجاء أحد العرب إلىٰ هذه الكعبة وتغوَّط فيها إهانةً لها، فغضب الملك وبعث إلىٰ مكَّة جُندًا عظيمًا يتقدَّمهم فيلٌ عظيمٌ، يريد أن يهدم الكعبة، فلمَّا وصل مكانًا يُسمَّىٰ المُغمَّس أبىٰ الفيلُ أن يتقدَّم، إذا وجَّهوه إلىٰ مكَّة وقف، وإذا وجَّهوه إلىٰ اليمن هرول بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، زعم بعض العلماء أنَّ الفيل حُبس في وادي مُحسِّرٍ وليس بصحيح، قال تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلَ﴾ الله عَزَّوَجَلَّ ﴿عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ٣﴾ أي: جماعاتٍ مُتفرِّقةً، ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ٤﴾ تضرب الواحد من رأسه، وتخرج من دُبُره، ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ٥﴾[الفيل]، والعصف هو الزَّرع الَّذي أكلته الإبل أو البقر، ووطِئته بأقدامها.

من عِبر قصَّة أصحاب الأخدود:

الأخدود جمع خدٍّ، وهو الحفر في الأرض كحفر السَّواقي، فأحاب الأخدود قومٌ اعتدوا علىٰ قوم مؤمنين بالله عَزَّوَجَلَّ عدوانًا بشعًا، وحاولوا جعلهم يرتدُّون عن إيمانهم فأبوا، قال تعالىٰ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ٣ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ٦﴾، فخدُّوا الأخاديد، وأضرموا فيها النَّار، وجعلوا يُلقون المؤمنين في النَّار وهم قعودٌ مُتفكِّهين حولها، ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ٨﴾، ما هي إلَّا عداوةٌ دينيَّةٌ من هؤلاء المُعتدين، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٩ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ١٠﴾[البروج]، عُلم منها أنَّهم لو تابوا لم يُعذَّبوا؛ لأنَّ التَّوبة تجبُّ ما قبلها حتَّىٰ وإن كان مُتعلِّقًا بالغير، ولا يُعترض علىٰ هذا بكونه حقَّ آدميٍّ؛ لأنَّ قتل هؤلاء الكفَّار للمؤمنين ليس لكونهم آدميِّين؛ بل لإيمانهم، فإذا آمنوا ارتفع عنهم أثر هذا القتل، وهذا من حِلم الله عَزَّوَجَلَّ.

في سورة البقرة خمسُ قَصَصٍ في إحياء الـمَوتى:

[١] في قوم موسىٰ لمَّا قالوا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ فماتوا، ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥﴾، ثمَّ بعثهم الله وهم ينظرون.

[٢] في أصحاب البقرة، تنازعوا في قتيل لهم، فأمرهم الله أن يذبحوا بقرةً، ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فحيا الرَّجل، وقال: قتلني فلانٌ.

[٣] في الَّذين خرجوا من ديارهم وهم ألوفٌ حذر الموت؛ لوقوع الوباء بأرضهم، فأراهم الله أنَّه لا مفرَّ من قدر الله، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ﴾.

[٤] في صاحب القرية الَّذي مرَّ عليها وهي خاويةٌ علىٰ عروشها، وقد تقدَّم هذا.

[٥] في قصَّة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾، فالإنسان مَأمورٌ بأن يزيد في إيمانه من طمأنينة القلب والثَّبات، ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ اذبحهنَّ واخلط بعضهنَّ ببعضٍ ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ أيُّها الطُّيور أقبلي، ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ﴾ فأحياها الله عَزَّوَجَلَّ وأقبلت عليه سعيًا لا طيرانًا.

تنبيهٌ:

قَصَص القرآن كثيرةٌ جدًّا، وكلُّها نافعةٌ، وفيها عِبرةٌ، وقد ألَّف فيها الكثير، لكن خلط بعضهم الحابل بالنَّابل، وصاروا كحاطب ليل، ولذلك يجب الحذر ممَّا أُلِّف في قَصَص الأنبياء، وغيرها من قَصَص القرآن.

الَّذي ذُكر في القرآن من هذه الأمَّة:

[١] باسمه:

[أ] زيد بن حارثة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

ذُكر في مَقام المدح، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧].

[ب] أبو لهب:

عمُّ رسول الله ﷺ، ذُكر في مَقام الذَّمِّ، قال تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ٥﴾ [المسد].

[٢] بوصفٍ تامٍّ ينطبق عليه:

أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

في قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ﴾ [التَّوبة:٤٠] أجمع المُفسِّرون أنَّ المُراد بها أبو بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال بعض العلماء: نزل فيه كذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ٢١﴾ [اللَّيل].

هل قصَّةُ يوسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي أحسَنُ قصَصِ القرآن مُطلقًا؟

قالَ تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ٣ إِذْ قَالَ يُوسُفُ...﴾ [يوسف]، وليس المُرادُ أنَّ قصَّة يوسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هي أحسنُ ما قُصَّ في القرآنِ مُطلَقًا، فأين ما جرىٰ ليوسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ممَّا جرىٰ لموسىٰ ونوحٍ وإبراهيمَ وغيرهم مِن الأنبياءِ والرُّسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وأين ما عودِيَ يوسُفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ممَّا عودوا، وأين نصرُه مِن نصرِهم، ويَكفيك قصَّةُ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وما جرىٰ له مع فِرعون وغيره، فلا شكَّ أن قصَّتَه أعظَمُ وأشرَفُ، فهي أعظَمُ قصَص الأنبياء، ولهذا ثنَّاها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أكثرَ من غيرِها، وبسَطَها وطوَّلَها أكثَرَ من غيرِها.

وأمَّا تَفضيلُ قصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فهو تَفضيلٌ مِن وُجوهٍ، وليس تَفضيلًا مُطلَقًا.

من أمثِلَةِ التَّفضيلِ الوَجهِيِّ بين قصَصِ القرآنِ:

[١] قصَّةُ يوسُفَ عليه السلام:
هي أحسَنُ القصَصِ باعتِبارِ صَبره عليه السلام وتَقواه عند الابتِلاءِ، وباعتِبارِ حُسنِ عاقِبَتِه في الدُّنيا، وقد ابتُلِيَ عليه السلام وعودِيَ في أمورٍ دُنيويَّةٍ، فحسَدَه إخوَتُه، وابتُلِيَ بالسِّجنِ، ثمَّ بالمُلكِ.

[٢] قصَّةُ ذي القَرنَين:
هي أحسَنُ قصَصِ المُلوكِ.

[٣] قصَّةُ ذي القَرنَين:
هي أحسَنُ قصَصِ أولياءِ اللهِ الَّذين كانوا في زمَنِ الفَترَةِ.

ثَانِيًا: الْحِكْمَةُ مِنْ قَصَصِ الْقُرْآنِ

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَلِلْقَصَصِ فِي الْقُرْآنِ حِكَمٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ، مِنْهَا:

١. بَيَانُ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالَى فِيمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْقَصَصُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾[القمر].

٢. بَيَانُ عَدْلِهِ تَعَالَى بِعُقُوبَةِ الْمُكَذِّبِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى عَنِ الْمُكَذِّبِينَ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ﴾[هود:١٠١].

٣. بَيَانُ فَضْلِهِ تَعَالَى بِمَثُوبَةِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾[القمر].

٤. تَسْلِيَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ لَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾[فاطر].

٥. تَرْغِيبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْإِيمَانِ بِالثَّبَاتِ عَلَيْهِ، وَالِازْدِيَادِ مِنْهُ، إِذْ عَلِمُوا نَجَاةَ الْمُؤْمِنِينَ السَّابِقِينَ، وَانْتِصَارَ مَنْ أُمِرُوا بِالْجِهَادِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الروم].

٦. تَحْذِيرُ الْكَافِرِينَ مِنَ الِاسْتِمْرَارِ فِي كُفْرِهِمْ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾[محمد].

٧. إِثْبَاتُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ أَخْبَارَ الْأُمَمِ السَّابِقَةِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ فَٱصْبِرْۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾[هود]، وَقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[إبراهيم:٩]).

الحكمة الأولى: بيانُ حِكمةِ اللَّه تعالى

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم﴾ يعني: قريشًا، ﴿مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ﴾ أي: أخبار الأمم السَّابقة، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾﴾ أي: ازدجارٌ عن المَعاصي والتَّكذيب، وفي هذا الَّذي جاءهم ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ مؤثِّرةٌ، ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾[القمر]، يجوز أن تكون (ما):

[١] **نافيةٌ**: أي: (لم تغن عنهم النُّذر شيئًا)، ويؤيِّده قوله تعالىٰ: ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾[هود:١٠١].

[٢] **استفهاميَّةٌ**: أي: (أيُّ شيءٍ تغني عنهم النُّذر؟)، وهذا أظهر.

الحكمة الثَّانية: بيانُ عَدلِ اللَّه تعالى

لمَّا ذكر الله عَزَّوَجَلَّ وصف الأنبياء، وإهلاك قومهم، قال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾﴾[هود].

الحكمة الثَّالثة: بيانُ فضلِ اللَّه تعالى

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾[القمر]، وقال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾﴾[هود]، والظَّاهر أنَّ ذلك لمَّا امتدَّ امتدَّت العقوبة من السَّحر إلىٰ الصَّباح، فصار موعد إهلاكهم جميعًا الصَّباح.

إشكالٌ والجواب عنه:

قال تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذَّاريات]؛ فهل الإيمان والإسلام شيءٌ واحدٌ؟

في الآية دليلٌ علىٰ أنَّهما ليسا شيئًا واحدًا، قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، والَّذي خرج هو لوطٌ وأهله إلَّا امرأته، كانت معهم في الدَّار، وكان ظاهرها أنَّها مسلمةٌ، ولم تخرج لأنَّها كانت كافرةً، ولهذا قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

الحكمة الرَّابعة: تسلية النَّبيِّ ﷺ

النَّبيُّ ﷺ يحبُّ من جميع النَّاس أن يؤمنوا، ويضيق صدره بما يقول الكافرون، ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾﴾[الحجر:٩٧]، ولهذا فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يسلِّيه بذكر أخبار الأمم السَّابقة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات البيِّنات، ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ جمع زَبورٍ وهو الكتاب، ويُطلَق علىٰ الكتاب المُعيَّن؛ كما أُطلق علىٰ كتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ عطف المُرادف علىٰ مُرادفه؛ لبيان إنارة الكتب للنَّاس طريق الهداية، ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾[فاطر]، ولا شكَّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ يتسلَّىٰ بهذا ويتصبَّر.

الحكمة الخامسة: ترغيبُ الـمُؤمنينَ في الإيمانِ

يرغِّب الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين في الثَّبات علىٰ الإيمان، والازدياد منه.

ولمَّا قال يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾، قال تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾[الأنبياء]، فمن قال هذه الكلمات وهو في غمٍّ وهو مؤمنٌ أنَّ الله يُنجيه بها = نجَّاه الله.

وقد أوجب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ نفسه نصر المؤمنين فقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[الرُّوم].

نصر اللَّه عَزَّوَجَلَّ للعباد على نوعين:

[١] نصرٌ في الدُّنيا والآخرة.

[٢] نصرٌ في الآخرة فقط.

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [البقرة:٦١]، فالله عَزَّوَجَلَّ ينصر هؤلاء الأنبياء المَقتولين في الآخرة قطعًا، وربَّما في الدُّنيا أيضًا بنصر أقوالهم وما دعوا إليه؛ فالآثار الَّتي تبقىٰ بعد الإنسان من أعظم النَّصر.

وأمَّا المؤمنون الَّذين صدَّقوا المُرسَلين واتَّبعوهم فلابدَّ أن يُنصروا؛ لأنَّ الله تكفَّل بذلك: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾، فيه إثبات صفة الانتقام لله، ولا تُقال علىٰ سبيل الإطلاق؛ لأنَّها لم تَرِدْ إلَّا مُقيَّدةً، ولهذا فإنَّه ليس من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ المُنتقِم.

الحكمة السَّادسة: تحذيرُ الكافرين

يُحذِّرهم الله عَزَّوَجَلَّ بذكر هذه القَصَص من الاستمرار في الكفر، قال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ سير قلوبٍ؛ لأنَّه أعمُّ من سير الأقدام، فالقلوب تصل إلىٰ ما لم تصل إليه الأقدام، ومن ذلك الماضي، ﴿فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أفسد عليهم أمرهم، فلم ينجحوا، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾[محمَّد] للكافرين المَوجودين الآن أمثال ما كان للسَّابقين، أي: فاحذروا أيُّها الكفَّار أن يصيبكم مثلُ ما أصابهم من التَّدمير.

الحكمة السَّابعة: إثبات رسالة النَّبيِّ ﷺ

فإنَّ أخبار الأمم السَّابقة لا يعلمها إلَّا الله، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾[هود]، فلمَّا قصَّها ﷺ علىٰ الوجه المُطابق دلَّ علىٰ أنَّه رسولٌ؛ لأنَّه كان أمِّيًّا لا يقرأ، ولا يكتب، ولا يتلقَّىٰ الأخبار إلَّا من طريق الوحي.

ثَالِثًا: تَكْرَارُ الْقَصَصِ

قَالَ الْمُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (مِنَ الْقَصَصِ الْقُرْآنِيَّةِ مَا لَا يَأْتِي إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً، مِثْلَ قِصَّةِ لُقْمَانَ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَمِنْهَا مَا يَأْتِي مُتَكَرِّرًا حَسَبَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ، وَتَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ، وَلَا يَكُونُ هَذَا الْمُتَكَرِّرُ عَلَىٰ وَجْهٍ وَاحِدٍ؛ بَلْ يَخْتَلِفُ فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ، وَاللِّينِ وَالشِّدَّةِ، وَذِكْرِ بَعْضِ جَوَانِبِ الْقِصَّةِ فِي مَوْضِعٍ دُونَ آخَرَ.

وَمِنَ الْحِكْمَةِ فِي هَذَا التَّكْرَارِ:

١. بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ تِلْكَ الْقِصَّةِ؛ لِأَنَّ تَكْرَارَهَا يَدُلُّ عَلَىٰ الْعِنَايَةِ بِهَا.

٢. تَوْكِيدُ تِلْكَ الْقِصَّةِ لِتَثْبُتَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ.

٣. مُرَاعَاةُ الزَّمَنِ وَحَالِ الْمُخَاطَبِينَ بِهَا، وَلِهَذَا تَجِدُ الْإِيجَازَ وَالشِّدَّةَ غَالِبًا فِيمَا أَتَىٰ مِنَ الْقَصَصِ فِي السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَالْعَكْسَ فِيمَا أَتَىٰ فِي السُّوَرِ الْمَدَنِيَّةِ.

٤. بَيَانُ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ فِي ظُهُورِ هَذِهِ الْقَصَصِ عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ وَذَاكَ الْوَجْهِ عَلَىٰ مَا تَقْتَضِيهِ الْحَالُ.

٥. ظُهُورُ صِدْقِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَىٰ، حَيْثُ تَأْتِي هَذِهِ الْقَصَصُ مُتَنَوِّعَةً بِدُونِ تَنَاقُضٍ).

اختلافُ القِصَّة المُتكرِّرة:

قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (وَلَا يَكُونُ هَذَا الْمُتَكَرِّرُ عَلَىٰ وَجْهٍ وَاحِدٍ) وإن وُجد فهو قليلٌ جدًّا؛ (بَلْ يَخْتَلِفُ فِي الطُّولِ وَالْقِصَرِ، وَاللِّينِ وَالشِّدَّةِ، وَذِكْرِ بَعْضِ جَوَانِبِ الْقِصَّةِ فِي مَوْضِعٍ دُونَ آخَرَ).

فمثلًا من أقصر القَصَص وأشدِّها ما جاء في سورة القمر، فإنَّ القَصَص قصيرةٌ جدًّا، لكن فيها قَوارعُ عظيمةٌ، تُختم كلُّ واحدةٍ منها بـ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾[القمر]، فالَّذي يقرأ السُّورة بتدبُّرٍ لابدَّ أن يتأثَّر؛ لأنَّها عظيمةٌ.

من أمثلة تَكرار القَصَص في القرآن:

قال تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾[الأعراف]، فالقائل هو قوم فرعون، وقال: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾[الشُّعراء] فجعل القائل هو فرعون؛ لأنَّ فرعون قال، ثمَّ صدَّقه هؤلاء وتابعوه، وأخذوا يُطنطنون ويُدندنون بقوله.

أكثر القَصَص تَكرارًا في القرآن:

هي قصَّة موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّ الحاجة تدعو إلىٰ ذلك، لأنَّ اليهود كانوا مَوجودين في المدينة، وقريبين من قريشٍ، وكذلك النَّصارىٰ في نجران وغيرها، ولذلك تكرَّرت قصَّة موسىٰ وعيسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أكثر من غيرهما حسب ما تقتضيه المَصلحة.

من حِكَم تَكرار القَصَص في القرآن:

[١] (بَيَانُ أَهَمِّيَّةِ تِلْكَ الْقِصَّةِ).

[٢] (تَوْكِيدُ تِلْكَ الْقِصَّةِ) اعتناءً بها، وتثبيتًا، وترسيخًا.

[٣] (مُرَاعَاةُ الزَّمَنِ وَحَالِ الْمُخَاطَبِينَ).

[٤] (بَيَانُ بَلَاغَةِ الْقُرْآنِ)؛ لأنَّ مُطابقة الكلام لمُقتضىٰ الحال هو البلاغة في الحقيقة.

[٥] (ظُهُورُ صِدْقِ الْقُرْآنِ) في كونها تأتي من وجوهٍ مُتعدِّدةٍ، وبلا تناقضٍ، وفيها صدق النَّبيِّ ﷺ، فالكاذب يأتي بالكلام الثَّاني مثل الأوَّل لئلَّا يظهر كذبُه.

قد نجد بعض القَصَص المُتكرِّرة يُعارض بعضها في الظَّاهر؛ كما في قول فرعون وملئه عن موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾﴾[الأعراف]، وفي موضع آخر: ﴿لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾﴾[يونس:٢]، والجمع بينهما سهلٌ، وهو أنَّهم قالوا هذا في وقتٍ وهذا في وقتٍ.

الْفَصْلُ السَّابِعُ: الإِسْرَائِيلِيَّاتُ

أَوَّلًا: الإِسْرَائِيلِيَّاتُ وَأَنْوَاعُهَا

قَالَ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْأَخْبَارُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْيَهُودِ -وَهُوَ الْأَكْثَرُ- أَوْ مِنَ النَّصَارَىٰ.

وَتَنْقَسِمُ هَذِهِ الْأَخْبَارُ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ:

الْأَوَّلُ: **مَا أَقَرَّهُ الْإِسْلَامُ**، وَشَهِدَ بِصِدْقِهِ؛ فَهُوَ حَقٌّ.

مِثَالُهُ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمٰوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْأَرَاضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمر].

الثَّانِي: **مَا أَنْكَرَهُ الْإِسْلَامُ**، وَشَهِدَ بِكَذِبِهِ؛ فَهُوَ بَاطِلٌ.

مِثَالُهُ: مَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

الثَّالِثُ: **مَا لَمْ يُقِرَّهُ الْإِسْلَامُ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ**؛ فَيَجِبُ التَّوَقُّفُ فِيهِ؛ لِمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَقْرَؤُونَ التَّوْرَاةَ بِالْعِبْرَانِيَّةِ، وَيُفَسِّرُونَهَا بِالْعَرَبِيَّةِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦] الْآيَةَ»، وَلَكِنَّ التَّحَدُّثَ بِهَذَا النَّوْعِ جَائِزٌ، إِذَا لَمْ يُخْشَ مَحْذُورٌ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رَوَاهُ

الْبُخَارِيُّ.
وَغَالِبُ مَا يُرْوَىٰ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ بِذِي فَائِدَةٍ فِي الدِّينِ؛ كَتَعْيِينِ لَوْنِ كَلْبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَنَحْوِهِ).

مَعْنَى الإِسْرَائِيلِيَّاتِ:

هي: (الْأَخْبَارُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)، سُمِّيت بذلك نسبةً إلىٰ إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ -وهو نبيٌّ-، وبنوا إسرائيل هم اليهود والنَّصارىٰ، وسُمِّيت إسرائيليَّاتٍ من باب النِّسبة إلىٰ المُضاف إليه، وقد ذكر علماء النَّحو أنَّ النِّسبة إلىٰ المُضاف والمُضاف إليه تكون إمَّا لهما معًا، وإمَّا للمُضاف إذا كان أشهر، وإمَّا للمُضاف إليه.
ويجب الحذر من الإسرائيليَّات، خصوصًا إذا كانت تتضمَّن عيبًا أو لمزًا لأحدٍ من الأنبياء؛ مثل قصة سليمان وداود عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

الإسرائيليَّات ثلاثة أنواعٍ:

[١] **ما أقرَّه الإسلام وصدَّقه**: فهو حقٌّ يجب قَبولُه وتصديقُه.

[٢] **ما أنكره الإسلام وكذَّبه**: فهو باطلٌ يجب إنكارُه وتكذيبُه.

[٣] **ما لم يُقرَّه الإسلام، ولم يُنكره**: فالواجب التَّوقُّفُ فيه، وعدمُ تصديقه أو تكذيبه.

لأنَّنا قد نُصدِّق باطلًا، أو نُكذِّب حقًّا، وقد قال ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ»، ويجوز التَّكلُّم بهذا النَّوع بشرط أن لا يُخشىٰ مَحذورٌ؛ لقوله ﷺ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»، والمَحذور الَّذي يُخشىٰ أن يتَّجه النَّاس إلىٰ هذه القَصَص، ويدَعوا ما جاء في القرآن والسُّنَّة، ففي هذه الحال تكون حكايتُها مُحرَّمةً.

مثال النَّوع الأوَّل:

(جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْأَحْبَارِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمٰوَاتِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْأَرَاضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، وَسَائِرَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ) وليس تعجُّبًا منه وإنكارًا له؛ كما زعمه أهل التَّحريف الَّذين يقولون: إنَّ الله ليس له أصابع -والعياذ بالله-، وليسوا بأعلم من ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ القائل: (تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ)! ولو كان قولُ الحَبر مُنكرًا ما اكتفىٰ النَّبيُّ ﷺ بالضَّحك، ولَأنكره صراحةً، ثمَّ قرأ ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ أي: ما عُظِّم الله حقَّ تعظيمه، مع أنَّه ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾.

فائدةٌ:

لفظ (إصبع) فيه عشر لغاتٍ؛ كما في قول الشَّاعر:

وَلَفْــظَ أَنْمُلَــةٍ ثَلِّــثْ وَثَالِثَــهُ ... وَالتِّسْـعُ فِـي أُصْبُـعٍ وَاخْتِـمْ بِأُصْبُـوعِ

مثال النَّوع الثَّاني:

(كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣])؛ لأنَّ اليهود يرون أنَّ الولد لا يجيء سالمًا إلَّا إذا جامعها من القُبُل، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ تكذيبهم، فدلَّت الآية علىٰ أنَّ وطء المرأة في قُبُلها من خلفها جائزٌ.

وفي هذه الآية إشارةٌ إلىٰ قاعدةٍ مهمَّةٍ وهي أنَّ: (**المَأذون فيه لا يمكن أن يُحدث شرًّا**)؛ لأنَّ الله لا يُحلُّ لهم ما يضرُّهم، وجاء في خبر مَوضوع مَكذوبٍ في البقر: «**أَلْبَانُهَا شِفَاءٌ، وَسَمْنُهَا دَوَاءٌ، وَلُحُومُهَا دَاءٌ**»، ولا يمكن أن يكون داءً وقد أحلَّه الله لنا!

ثَانِيًا: حُكْمُ سُؤَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّا سُؤَالُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ فَإِنَّهُ حَرَامٌ؛ لِمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَىٰ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».
وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ؛ كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللهِ مَحْضًا، لَمْ يُشَبْ، وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ بَدَّلُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَغَيَّرُوا، فَكَتَبُوا بِأَيْدِيهِمْ، قَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ لِيَشْتَرُوا بِذَلِكَ ثَمَنًا قَلِيلًا، أَوَ لَا يَنْهَاكُمْ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ عَنْ مَسْأَلَتِهِمْ؟ فَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ).

تنبيهٌ:

ذكر بعض العلماء أنَّ ابن عبَّاسٍ ممَّن عُرف بالأخذ عن بني إسرائيل، والأثر المَنقول يبيِّن أنَّ هذا لا صحَّةَ له؛ إذ كيف ينقل عنهم وهو ينهىٰ عنهم؟!

قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (**كَيْفَ تَسْأَلُونَ أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، وَكِتَابُكُمُ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّكُمْ ﷺ أَحْدَثُ الْأَخْبَارِ بِاللهِ مَحْضًا، لَمْ يُشَبْ**) أي: لم يُبدَّل، ولم يزد فيه أو يُنقص، (**وَقَدْ حَدَّثَكُمُ اللهُ... فَلَا وَاللهِ مَا رَأَيْنَا رَجُلًا مِنْهُمْ يَسْأَلُكُمْ عَنِ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ**)، كيف هم يسألوننا عن الَّذي أُنزل إلينا مع أنَّه آخر ما نزل، ثمَّ نحن نسألهم؟! وهذا من باب الإغراء في ترك سؤالهم، وهو كلامٌ عظيمٌ فيه تحذيرٌ ونهيٌ لعقول من في عصرنا ممَّن يذهبون ليأخذوا النُّظم والقوانين والحُكم بين النَّاس من الكفَّار، ويحكمون فيها بين المسلمين!

ثَالِثًا: مَوْقِفُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ: (اخْتَلَفَتْ مَوَاقِفُ الْعُلَمَاءِ -وَلَا سِيَمَا الْمُفَسِّرُونَ- مِنْ هَذِهِ الإِسْرَائِيلِيَّاتِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْحَاءِ:

أ. فَمِنْهُمْ مَنْ أَكْثَرَ مِنْهَا مَقْرُونَةً بِأَسَانِيدِهَا، وَرَأَى أَنَّهُ بِذِكْرِ أَسَانِيدِهَا خَرَجَ مِنْ عُهْدَتِهَا؛ مِثْلَ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبَرِيِّ.

ب. وَمِنْهُمْ مَنْ أَكْثَرَ مِنْهَا، وَجَرَّدَهَا مِنَ الأَسَانِيدِ غَالِبًا، فَكَانَ حَاطِبَ لَيْلٍ؛ مِثْلَ الْبَغَوِيِّ الَّذِي قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ عَنْ «تَفْسِيرِهِ»: إِنَّهُ مُخْتَصَرٌ مِنَ الثَّعْلَبِيِّ، لَكِنَّهُ صَانَهُ عَنِ الأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ وَالآرَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ، وَقَالَ عَنِ الثَّعْلَبِيِّ: إِنَّهُ حَاطِبُ لَيْلٍ يَنْقُلُ مَا وَجَدَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ مِنْ: صَحِيحٍ، وَضَعِيفٍ، وَمَوْضُوعٍ.

ج. وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَ كَثِيرًا مِنْهَا، وَتَعَقَّبَ الْبَعْضَ مِمَّا ذَكَرَهُ بِالتَّضْعِيفِ أَوِ الإِنْكَارِ؛ مِثْلَ ابْنِ كَثِيرٍ.

د. وَمِنْهُمْ مَنْ بَالَغَ فِي رَدِّهَا، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا شَيْئًا يَجْعَلُهُ تَفْسِيرًا لِلْقُرْآنِ؛ كَمُحَمَّدِ رَشِيدِ رِضَا).

مَواقف العلماء في اعتبار الإسرائيليَّات:

[١]	[٢]	[٣]	[٤]
(مَنْ أَكْثَرَ مِنْهَا مَقْرُونَةً بِأَسَانِيدِهَا، وَرَأَى أَنَّهُ بِذِكْرِ أَسَانِيدِهَا خَرَجَ مِنْ عُهْدَتِهَا).	(مَنْ أَكْثَرَ مِنْهَا، وَجَرَّدَهَا مِنَ الأَسَانِيدِ غَالِبًا)، وهذا أقلُّ رتبةً من الأوَّل.	(مَنْ ذَكَرَ كَثِيرًا مِنْهَا، وَتَعَقَّبَ الْبَعْضَ مِمَّا ذَكَرَهُ بِالتَّضْعِيفِ أَوِ الإِنْكَارِ)؛ كابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، تعقَّب بعضها، وأنكره أشدَّ الإنكار، وهذا القسم أحسن من الَّذي قبله.	(مَنْ بَالَغَ فِي رَدِّهَا، وَلَمْ يَذْكُرْ مِنْهَا شَيْئًا)؛ كمحمَّد رشيد رضا وغيره من المُعاصرين.

اعتراضٌ على النَّوع الأوَّل:

قد يُقال: إنَّ ظنَّهم أنَّهم خرجوا من عهدة الأخبار بنقل أسانيدها فيه نظرٌ؛ لأنَّ إذا ذكرها فقد لا يتيسَّر للقارئ أن يُراجع أصولها، ولكن يُعتذر عن ابن جريرٍ وغيره أنَّه -والله أعلم- لم يكن لهم فراغٌ في تمحيصها وتحريرها، وخافوا من ضياع الصَّحيح منها، فقالوا: نثبتُها، ولعلَّ الله يأتي بمن ينقِّحها ويحرِّرها.

تفسير البغويِّ:

فيه من الإسرائيليَّات الكثير، يذكرها بدون الأسانيد، ولا يتعقَّبها، وهذه هفوةٌ منه. لكنَّه من حيث اللُّغةُ جيِّدٌ، وتفسيره تفسير تجزئةٍ، أي: يُفسِّر جملةً جملةً، وليس كبعض المُفسِّرين يذكر الآيات الكثيرة ثمَّ يذكر المَعنىٰ مُجملًا، وكما ذكر شيخ الإسلام تفسيره خيرٌ من تفسير الثَّعلبيِّ؛ لأنَّه (**صَانَهُ عَنِ الْأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ وَالْآرَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ**).

تفسير محمَّد رشيد رضا:

فيه مَسائل جيِّدةٌ، ومُؤلِّفُه ممَّن يميل إلىٰ الاستقلال الفكريِّ، أي: غالبًا ما يرجع إلىٰ فكره دون أن يرجع إلىٰ غيره، لكن مع ذلك يكون استنباطُه وفهمُه جيِّدًا في تفسير القرآن، ثمَّ يتعرَّض أحيانًا لأحوال المسلمين الواقعة، ويُطبِّق عليها آيات القرآن، لكنَّه لم يُتِمَّه.

تنبيهاتٌ في التَّعامُلِ مع الإسرائيليَّات:

- لا ينبغي أن تُذكَرَ الإسرائيليَّاتُ إلَّا نادرًا، فنتوسَّطُ فيها، مع ضرورَةِ التَّنبيهِ علىٰ الصَّحيح منها والباطل، وفي الصَّحيح مَندوحَةٌ عن الضَّعيفِ والمَوضوع.
- يُحدَّث عن الإسرائيليَّاتِ في الآدابِ والزُّهدِ والورَعِ، أو بقصَصٍ تُناسِبُ أشياءَ في القرآنِ أو السُّنَّةِ، فما وافقَ الحقَّ قبلناه، وما رأيناه باطلًا اعتبَرناه مِنْ أكاذيب أهلِ الكتابِ.
- نستفيدُ ممَّا ورَدَ عن أهل الكتابِ في إيضاح المعنىٰ، وتعضيدِه، ومعرفَةِ شيءٍ من التَّفاصيلِ الَّتي جاءَت مُجملَةً في الكِتابِ والسُّنَّةِ، ولأجلِ الاتِّعاظِ به والاعتِبارِ.

الْفَصْلُ الثَّامِنُ: الضَّمِيرُ

أَوَّلًا: مَعْنَى الضَّمِيرِ وَأَنْوَاعُه

قَالَ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (الضَّمِيرُ لُغَةً: مِنَ الضُّمُورِ -وَهُوَ الْهُزَالُ-؛ لِقِلَّةِ حُرُوفِهِ، أَوْ مِنَ الْإِضْمَارِ -وَهُوَ الْإِخْفَاءُ-؛ لِكَثْرَةِ اسْتِتَارِه.

وَفِي الِاصْطِلَاحِ: مَا كُنِّيَ بِهِ عَنِ الظَّاهِرِ اخْتِصَارًا، وَقِيلَ: مَا دَلَّ عَلَى حُضُورٍ أَوْ غَيْبَةٍ لَا مِنْ مَادَّتِهِمَا.

- فَالدَّالُّ عَلَى الْحُضُورِ نَوْعَانِ:

١. أَحَدُهُمَا: مَا وُضِعَ لِلْمُتَكَلِّمِ؛ مِثْلَ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾[غافر:٤٤].

٢. الثَّانِي: مَا وُضِعَ لِلْمُخَاطَبِ؛ مِثْلَ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[الفاتحة:٧].

وَهَذَانِ لَا يَحْتَاجَانِ إِلَى مَرْجِعٍ اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْحُضُورِ عَنْهُ.

- وَالدَّالُّ عَلَى الْغَائِبِ: مَا وُضِعَ لِلْغَائِبِ، وَلَابُدَّ لَهُ مِنْ مَرْجِعٍ يَعُودُ عَلَيْهِ.

وَالْأَصْلُ فِي الْمَرْجِعِ أَنْ يَكُونَ سَابِقًا عَلَى الضَّمِيرِ لَفْظًا وَرُتْبَةً، مُطَابِقًا لَهُ لَفْظًا وَمَعْنًى؛ مِثْلَ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ﴾ [هود:٤٥].

وَقَدْ يَكُونُ مَفْهُومًا مِنْ مَادَّةِ الْفِعْلِ السَّابِقِ؛ مِثْلَ: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة:٨].

وَقَدْ يَسْبِقُ لَفْظًا لَا رُتْبَةً؛ مِثْلَ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾[البقرة:١٢٤].

وَقَدْ يَسْبِقُ رُتْبَةً لَا لَفْظًا؛ مِثْلَ: (حَمَلَ كِتَابَهُ الطَّالِبُ).

وَقَدْ يَكُونُ مَفْهُومًا مِنَ السِّيَاقِ؛ مِثْلَ: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ﴾[النِّسَاء:١١]، فَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْمَيِّتِ الْمَفْهُومِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿مَا تَرَكَ﴾.

وَقَدْ لَا يُطَابِقُ الضَّمِيرُ مَعْنًى؛ مِثْلَ: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣﴾[المؤمنون]؛ فَالضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْإِنْسَانِ بِاعْتِبَارِ اللَّفْظِ؛ لِأَنَّ الْمَجْعُولَ نُطْفَةً لَيْسَ الْإِنْسَانَ الْأَوَّلَ.

وَإِذَا كَانَ الْمَرْجِعُ صَالِحًا لِلْمُفْرَدِ وَالْجَمْعِ، جَازَ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ بِأَحَدِهِمَا؛ مِثْلَ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾ [الطَّلاق:١١].

وَالْأَصْلُ اتِّحَادُ مَرْجِعِ الضَّمَائِرِ إِذَا تَعَدَّدَتْ؛ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النَّجم]، فَضَمَائِرُ الرَّفْعِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ تَعُودُ إِلَىٰ ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ وَهُوَ جِبْرِيلُ.

وَالْأَصْلُ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَىٰ أَقْرَبِ مَذْكُورٍ، إِلَّا فِي الْمُتَضَايِفَيْنِ فَيَعُودُ عَلَى الْمُضَافِ؛ لِأَنَّهُ الْمُتَحَدَّثُ عَنْهُ.

مِثَالُ الْأَوَّلِ: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء:٢].

وَمِثَالُ الثَّانِي: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [إبراهيم:٣٤].

وَقَدْ يَأْتِي عَلَىٰ خِلَافِ الْأَصْلِ فِيمَا سَبَقَ بِدَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ).

الضَّمِيرُ لغةً:

[١] (مِنَ الضُّمُورِ -وَهُوَ الْهُزَالُ-؛ لِقِلَّةِ حُرُوفِهِ)، فمنه ما هو علىٰ حرفٍ واحدٍ فقط مثل: (الهاء)، أو علىٰ حرفين مثل: (هو)، أو علىٰ ثلاثةٍ مثل: (نحن).

وانظر مثلًا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ ... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾ [الأحزاب:٣٥]، كيف ناب الضَّمير (هم) عن عشرين كلمةً!

[٢] (مِنَ الْإِضْمَارِ -وَهُوَ الْإِخْفَاءُ-؛ لِكَثْرَةِ اسْتِتَارِهِ).

الضَّميرُ اصطلاحًا:

[١] (مَا كُنِّيَ بِهِ عَنِ الظَّاهِرِ اخْتِصَارًا)، فإذا قلت: (عمرٌو ضربه بَكرٌ) فالهاء نابت عن عمرٍو اختصارًا.

[٢] (مَا دَلَّ عَلَى حُضُورٍ أَوْ غَيْبَةٍ لَا مِنْ مَادَّتِهِمَا)، وهذا تفسير ابن مالكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في الألفيَّة، وخرج بـ(لَا مِنْ مَادَّتِهِمَا) لفظ (حضر) و(غاب) وما تصرَّف منهما فهي ليست من الضَّمائر.

ينقسمُ الضَّميرُ إلى نوعين:

[١] ضميرُ حضورٍ: وهو نوعان:

[أ] للمُتكلِّم: مثل (الياء) في: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر:٤٤].

[ب] للمُخاطَب: مثل (التَّاء) في: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧].

(لَا يَحْتَاجَانِ إِلَىٰ مَرْجِعٍ) يرجعان إليه؛ (اكْتِفَاءً بِدَلَالَةِ الْحُضُورِ عَنْهُ).

[٢] ضميرُ غَيبةٍ:

مثل (هم) في: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧].

وضمير الغائب (لَابُدَّ لَهُ مِنْ مَرْجِعٍ يَعُودُ عَلَيْهِ)، فـ(هم) في الآية يعود على ﴿ٱلَّذِينَ﴾.

قاعدةٌ في تقديرِ الضَّميرِ المُستَتِرِ:

[١] ضميرُ الحُضورِ: إذا كان تقدير الضَّمير (أنا) أو (أنت) أو (نحن) مثلًا فهو مُستترٌ وجوبًا. مثالُه: الفاعل في (أَقُومُ) مُستترٌ وجوبًا، وتقديره (أنا).

[٢] ضميرُ الغَيبَة: إذا كان تقدير الضَّمير (هو) مثلًا أو (هي) فهو مُستترٌ جوازًا. مثالُه: الضَّميرُ في (قَامَ) مُستترٌ جوازًا، وتقديره (هو).

ترتيبُ الـمَرجِعِ مع الضَّمير:

[١] الأصل أن يكونَ الـمَرجعُ سابقًا لفظًا ورتبةً:
كقوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾ [هود:٤٥]؛ فالهاء في ﴿رَّبَّهُۥ﴾ تعود علىٰ ﴿نُوحٌ﴾، و﴿نُوحٌ﴾ سابقٌ لفظًا، كما أنَّه فاعلٌ، والفاعل أسبق رتبةً.

[٢] قد يسبقُ لفظًا لا رتبةً:
قال تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾[البقرة:١٢٤]، فالهاء في ﴿رَبُّهُۥ﴾ تعود علىٰ ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ السَّابق لفظًا، لكنَّ ﴿إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ مَفعولٌ به فهو مُؤَخَّرٌ رُتبةً.

[٣] قد يسبقُ لفظًا لا رتبةً:
مثل: (حَمَلَ كِتَابَهُ الطَّالِبُ)، فالهاء تعود علىٰ (الطَّالِبُ) المُؤخَّر لفظًا، لكنَّه فاعلٌ فهو مُقدَّمٌ رتبةً.

مُطابقةُ الضَّميرِ للـمَرجعِ:

[١] الأصل أن يُطابقَه لفظًا ومَعنًى:
كقوله تعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ﴾[هود:٤٥]؛ والهاء ضميرٌ مُفردٌ مُذكَّرٌ يرجع علىٰ ﴿نُوحٌ﴾ المُفرد المُذكَّر، فهو مُطابقٌ له لفظًا ومَعنًى.

[٢] قد يُخالفُه لفظًا:
كقوله تعالىٰ: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[المائدة:٨] فالمَرجع هو العدل، وهو مَفهومٌ من ﴿ٱعۡدِلُواْ﴾، فالضَّميرُ غير مُطابقٍ لفظًا.
وكقوله تعالىٰ: ﴿وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞ﴾[النِّساء:١١]، فالضَّميرُ في ﴿لَهُۥ﴾ يَعود علىٰ الميِّت المَفهوم من السِّياق.

[٣] قد يُخالفُه مَعنًى:
كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ﴾[المؤمنون]، فالضَّمير في ﴿جَعَلۡنَٰهُ﴾ يعود علىٰ الإنسان لفظًا، ولو قلنا إنَّه مُطابقٌ له مَعنًى لكان آدم عليه السلام قد تحوَّل إلىٰ نطفةٍ!

إذا كانَ الـمَرجِعُ صالحًا للـمُفرَدِ والجَمعِ:

(جَازَ عَوْدُ الضَّمِيرِ عَلَيْهِ بِأَحَدِهِمَا) أي: إمَّا الجمع أو المُفرد، مثالُ ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾[الطَّلاق:١١]، فضميرُ المُفرد في ﴿يُدْخِلْهُ﴾ راجعٌ علىٰ (مَنْ) الشَّرطيَّة الَّتي تصلح للمُفرد والجمع معًا، وضميرُ الجمع في ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ عائدٌ علىٰ (مَنْ) كذلك.

تعدُّدُ الضَّمائرِ:

الأصل عند تعدُّد الضَّمائر أنَّ مَرجعها واحدٌ، وهو الأقرب إلىٰ المَعنىٰ؛ لأنَّك إذا أرجعت كلَّ ضميرٍ إلىٰ مَرجع تشتَّتت الضَّمائر، وصار الكلام مُبهمًا خفيًّا.
مثال ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُۥ﴾ الهاء تعود علىٰ النَّبيِّ ﷺ، ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ هيئةٍ حسنةٍ ﴿فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ كمُل، فكان علىٰ خِلقته الَّتي خُلق عليها، له ستُّ مائة جناح، ﴿وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧﴾ الشَّيء المُرتفع في الجوِّ، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ جبريلُ ﴿فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ﴾ جبريلُ ﴿إِلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ النَّبيِّ ﷺ ﴿مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠﴾ جبريلُ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ، أو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إلىٰ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقال بعض العلماء: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ الله عَزَّ وَجَلَّ، وحملهم علىٰ ذلك قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾[النَّجم]، فَراعَوا آخر الآية ولم يُراعُوا أوَّلها، وشتَّتوا الضَّمائر، والصَّواب المُتعيَّن هو الأوَّل.

الأصلُ عَودُ الضَّميرِ:

[١] إلى أقربِ مَذكورٍ:

مثالُه قولُه تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ﴾ الكتاب؛ لأنَّه أقرب مَذكورٍ، ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الإسراء:٢].

[٢] إلَّا في الـمُتضايِفين:

فالأصل عَودُه إلىٰ المُضاف، مثالُه قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[إبراهيم:٣٤] النِّعمة، ودليله تأنيثُ الضَّمير.

أمثلةٌ لـما يأتي على خلافِ الأصلِ:

[١] في قولِه تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾[الحجّ:٧٨]، اختُلف في المُسَمِّي علىٰ قولين:

- [أ] اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: لأنَّ الحديث هكذا مَجراه، وهذا هو الرَّاجح من السِّياق.
- [ب] إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: لأنَّه هو أقرب مَذكورٍ.

[٢] قولُه ﷺ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ». مُتَّفقٌ عليه. اختُلف في مَرجع الهاء علىٰ قولين:

- [أ] اللّٰه عَزَّ وَجَلَّ: لأنَّه هو الخالق.
- [ب] آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: لأنَّه هو أقرب مَذكورٍ.

هذا هو الرَّاجح، ومَعناه:

- (علىٰ صورةِ الله) إضافة تشريفٍ وتكريمٍ، مثل قوله تعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٣]، ولهذا جاء في الحديث نفسه: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ»؛ لتكريمِه، وهذا قريبٌ ليس ببعيدٍ.
- (علىٰ صورةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ)، ولا يُنافي هذا قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشُّورىٰ:١١]؛ لأنَّه لا يلزم من كونه علىٰ صورته أن يكون مُماثلًا له.

هذا التَّفسير يمنعه شيئان:

- أنَّه لا مزيَّة لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إذا كان المَعنىٰ: خلقه الله عَزَّ وَجَلَّ علىٰ صورة آدم؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ خلقه اللهُ علىٰ صورة نفسِه، حتَّىٰ الفرسُ خلقه الله علىٰ صورته، وكذا إبليس...
- أنَّه ورد بلفظٍ صريحٍ: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَةِ الرَّحْمَنِ». أخرجه الحاكم والطَّبرانيُّ. فيُحمل الضَّميرُ المُبهَمُ علىٰ الظَّاهر المُفصَّل.

مثالٌ آخرُ لـِما جاءَ على غيرِ الأصلِ:

قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾، الضَّمير في ﴿صَلَّىٰٓ﴾ يعودُ على النَّبيِّ ﷺ لا إلىٰ الَّذي ينهىٰ، ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢﴾[العلق] كلُّه يرجع إلىٰ النَّبيِّ ﷺ.

ثَانِيًا: الإِظْهَارُ فِي مَوْضِعِ الإِضْمَارِ

قَالَ المُصَنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْأَصْلُ أَنْ يُؤْتَى فِي مَكَانِ الضَّمِيرِ بِالضَّمِيرِ؛ لِأَنَّهُ أَبْيَنُ لِلْمَعْنَى، وَأَخْصَرُ لِلَّفْظِ، وَلِهَذَا نَابَ الضَّمِيرُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب] عَنْ عِشْرِينَ كَلِمَةً الْمَذْكُورَةَ قَبْلَهُ، وَرُبَّمَا يُؤْتَى مَكَانَ الضَّمِيرِ بِالِاسْمِ الظَّاهِرِ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى: الْإِظْهَارَ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ، وَلَهُ فَوَائِدُ كَثِيرَةٌ تَظْهَرُ بِحَسَبِ السِّيَاقِ، مِنْهَا:

١. الْحُكْمُ عَلَى مَرْجِعِهِ بِمَا يَقْتَضِيهِ الِاسْمُ الظَّاهِرُ.

٢. بَيَانُ عِلَّةِ الْحُكْمِ.

٣. عُمُومُ الْحُكْمِ لِكُلِّ مُتَّصِفٍ بِمَا يَقْتَضِيهِ الِاسْمُ الظَّاهِرُ

مِثَالُ ذَلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾[البقرة]، وَلَمْ يَقُلْ: فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لَهُ، فَأَفَادَ هَذَا الْإِظْهَارُ:

١. الْحُكْمَ بِالْكُفْرِ عَلَى مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَرُسُلِهِ، وَجِبْرِيلَ، وَمِيكَالَ.

٢. أَنَّ اللهَ عَدُوٌّ لَهُمْ؛ لِكُفْرِهِمْ.

٣. أَنَّ كُلَّ كَافِرٍ فَاللهُ عَدُوٌّ لَهُ.

مِثَالٌ آخَرُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف]، وَلَمْ يَقُلْ: إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ، فَأَفَادَ ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

١. الْحُكْمَ بِالْإِصْلَاحِ لِلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ الْكِتَابَ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ.

٢. أَنَّ اللهَ آجَرَهُمْ لِإِصْلَاحِهِمْ.

٣. أَنَّ كُلَّ مُصْلِحٍ لَهُ أَجْرٌ غَيْرُ مُضَاعٍ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى.

وَقَدْ يَتَعَيَّنُ الْإِظْهَارُ كَمَا لَوْ تَقَدَّمَ الضَّمِيرَ مَرْجِعَانِ يَصْلُحُ عَوْدُهُ إِلَى كُلٍّ مِنْهُمَا، وَالْمُرَادُ أَحَدُهُمَا؛ مِثْلَ: اللَّهُمَّ أَصْلِحِ لِلْمُسْلِمِينَ وُلَاةَ أُمُورِهِمْ، وَبِطَانَةَ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ، إِذْ لَوْ قِيلَ: وَبِطَانَتَهُمْ لَأَوْهَمَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِطَانَةَ الْمُسْلِمِينَ).

الأصلُ أن يُؤتى في مَكانِ الضَّميرِ بالضَّمير لوجهين:

[١] لأنَّه أبينُ للمَعنى: لأنَّك إذا أظهرت في مَكان الإضمار فقد يظنُّ الظَّانُّ أنَّ هذا الكلام لا يرجعُ إلىٰ ما سبق.

[٢] لأنَّه أبينُ للمَعنى: لما سبق أنَّ الضَّمير هو (**مَا كُنِّيَ بِهِ عَنِ الظَّاهِرِ اخْتِصَارًا**)، ومثَّل المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ ... أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم﴾[الأحزاب:٣٥]، حيث ناب الضَّمير (هم) عن عشرين كلمةً، ولو أُعيدت كان الكلام طويلًا ركيكًا.

فوائدُ الإظهار في مَوضع الإضمار:

[١] (**الْحُكْمُ عَلَى مَرْجِعِهِ بِمَا يَقْتَضِيهِ الِاسْمُ الظَّاهِرُ**).

[٢] (**بَيَانُ عِلَّةِ الْحُكْمِ**)، وهو أنَّ علَّته ما دلَّ عليه ذلك الاسمُ الظَّاهر.

[٣] (**عُمُومُ الْحُكْمِ لِكُلِّ مُتَّصِفٍ بِمَا يَقْتَضِيهِ الِاسْمُ الظَّاهِرُ**)، أي: إرادة العموم.

[٤] التَّنبيه: لأنَّ السِّياق إذا كان يقتضي الإضمار ثمَّ جاء الإظهارُ؛ فإنَّ الإنسان يتوقَّف: لماذا جاء الإظهارُ؟ فيكونُ فيه تنبيهٌ للقارئ أو المُخاطَب.

بيانُ الفائدة الأولى:

المَقصودُ منها أنَّنا نحكم علىٰ المَرجع بما يقتضيه الاسمُ الظَّاهرُ، فإذا كان الاسمُ الظَّاهرُ يقتضي الكفر حكمنا علىٰ مَرجعه بأنَّه كافرٌ، وإذا كان يقتضي الظُّلم حكمنا علىٰ مَرجعه بأنَّه ظالمٌ، وهكذا.

المثالُ الأوَّلُ:

قولُه تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨﴾[البقرة]، مُقتضىٰ السِّياق أن يُقال: (فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لَهُ)، ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾؛ فأفادنا:

[١] الحكم بالكفر علىٰ مَن كان عدُوًّا لله، وملائكتِه، ورسلِه، وجبريلَ، وميكالَ، ولو أضمر لم نستفد كفر مَن كان عدُوًّا لهؤلاء، وإنَّما يكون الله عدُوًّا له، لكن لا ندري هل هو كافرٌ، أم ظالمٌ، أم فاسقٌ؟

[٢] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ تفيد التَّعليل: أنَّ الله عدوٌّ لهم لكُفرهم، ولو أضمر لم تتبيَّن علَّة العداوة.

[٣] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ تُفيد العُموم، وهو أنَّ كلَّ كافرٍ فاللهُ عَزَّوَجَلَّ عدوٌّ له.

[٤] لما كان الكلام علىٰ نسقٍ واحدٍ، ثمَّ جاء ما يُخالفُه؛ فإنَّ السَّامع سيتوقَّف ويتنبَّه.

المثالُ الثَّاني:

قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ﴾ تمسُّكًا تامًّا ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٧٠﴾[الأعراف]، مُقتضىٰ السِّياق أن يُقال: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ)، ولكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾؛ فأفادنا:

[١] الحكم للَّين يُمسِّكون بالكتاب، ويقيمون الصَّلاة بأنَّهم مُصلحون، ولو قال: (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ) لم يتبيَّن هذا.

[٢] أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ آجرهم لإصلاحهم، وهذه إفادةٌ عاليةٌ.

[٣] أنَّ كلَّ مُصلحٍ فله أجرٌ غيرُ مُضاعٍ عند الله عَزَّوَجَلَّ.

[٤] تنبيه القارئ أو السَّامع كما تقدَّم.

قاعدةٌ: يتعيَّن الإظهارُ إذا خيفَ الالتباسُ

هذه قاعدةٌ مَعروفةٌ في النَّحو: (إذا خيف الالتِباسُ وجب أن يُحوَّل الكلامُ إلىٰ ما ليس فيه التِباسٌ)، قال المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (**وَقَدْ يَتَعَيَّنُ الْإِظْهَارُ كَمَا لَوْ تَقَدَّمَ الضَّمِيرَ مَرْجِعَانِ يَصْلُحُ عَوْدُهُ إِلَىٰ كُلٍّ مِنْهُمَا، وَالْمُرَادُ أَحَدُهُمَا؛ مِثْلَ: اللَّهُمَّ أَصْلِح لِلْمُسْلِمِينَ وُلَاةَ أُمُورِهِمْ، وَبِطَانَةَ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ، إِذْ لَوْ قِيلَ: وَبِطَانَتَهُمْ لَأَوْهَمَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِطَانَةَ الْمُسْلِمِينَ**)، وهذا واضحٌ.

ثَالِثًا: ضَمِيرُ الْفَصْلِ

قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (ضَمِيرُ الْفَصْلِ حَرْفٌ بِصِيغَةِ ضَمِيرِ الرَّفْعِ الْمُنْفَصِلِ، يَقَعُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ إِذَا كَانَا مَعْرِفَتَيْنِ، وَيَكُونُ:

- بِضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[طه:١٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾﴾[الصَّافَّات:١٦٥].
- وَبِضَمِيرِ الْمُخَاطَبِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[المائدة:١١٧].
- وَبِضَمِيرِ الْغَائِبِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾[البقرة].

وَلَهُ ثَلَاثَةُ فَوَائِدَ:

- الْأُولَىٰ: التَّوْكِيدُ، فَإِنَّ قَوْلَكَ: زَيْدٌ هُوَ أَخُوكَ؛ أَوْكَدُ مِنْ قَوْلِكَ: زَيْدٌ أَخُوكَ.
- الثَّانِيَةُ: الْحَصْرُ، وَهُوَ: اخْتِصَاصُ مَا قَبْلَهُ بِمَا بَعْدَهُ، فَإِنَّ قَوْلَكَ: الْمُجْتَهِدُ هُوَ النَّاجِحُ؛ يُفِيدُ اخْتِصَاصَ الْمُجْتَهِدِ بِالنَّجَاحِ.
- ثَالِثًا: الْفَصْلُ، أَيْ: التَّمْيِيزُ بَيْنَ كَوْنِ مَا بَعْدَهُ خَبَرًا أَوْ تَابِعًا، فَإِنَّ قَوْلَكَ: زَيْدٌ الْفَاضِلُ؛ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْفَاضِلُ صِفَةً لِزَيْدٍ، وَالْخَبَرُ مُنْتَظَرٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْفَاضِلُ خَبَرًا، وَإِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ هُوَ الْفَاضِلُ؛ تَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ الْفَاضِلُ خَبَرًا؛ لِوُجُودِ ضَمِيرِ الْفَصْلِ).

ضَمِيرُ الفَصلِ:

(حَرْفٌ بِصِيغَةِ ضَمِيرِ الرَّفْعِ الْمُنْفَصِلِ)، هذا يدلُّ علىٰ أنَّه لا محلَّ له من الإعراب، قال تعالىٰ: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾[الشُّعراء]، ولو كان له محلٌّ من الإعراب لقال: (هم الغالبون)، (يَقَعُ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ إِذَا كَانَا مَعْرِفَتَيْنِ) سواءٌ كانا مَنسوخين أم غير مَنسوخين.

يأتي ضميرُ الفَصلِ:

[١] بضمير الـمُتكلِّم:
كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾ [طه:١٤]، فالضَّمير ﴿أَنَا﴾ وقع بين المُبتدأ وهو (الياء) في ﴿إِنَّنِيٓ﴾ والخبر ﴿ٱللَّهُ﴾، وكلاهما مَعرفةٌ، وهما مَنسوخان.
وكقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥﴾ [الصَّافات:١٦٥]، ولو قال: (وإنَّا الصَّافُّونَ) صحَّ، لكن أُتي بضمير الفصل للفوائد الَّتي ستأتي.

[٢] بضمير الـمُخاطَب:
كقوله تعالىٰ: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المائدة:١١٧]، فالضَّمير ﴿أَنتَ﴾ وقع بين المُبتدأ وهو (التَّاء) في ﴿كُنتَ﴾ والخبر ﴿ٱلرَّقِيبَ﴾، وكلاهما مَعرفةٌ، وهما مَنسوخان.

[٣] بضمير الغائب:
كقوله تعالىٰ: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة]، فالضَّمير ﴿هُمُ﴾ وقع بين المُبتدأ (أُولَئِك) والخبر ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾، وكلاهما مَعرفةٌ، وهما غير مَنسوخين.

فوائدُ الإتيانِ بضميرِ الفَصلِ:

[١] التَّوكيدُ:
(فَإِنَّ قَوْلَكَ: زَيْدٌ هُوَ أَخُوكَ؛ أَوْكَدُ مِنْ قَوْلِكَ: زَيْدٌ أَخُوكَ).

[٢] الحصرُ:
(وَهُوَ: اخْتِصَاصُ مَا قَبْلَهُ بِمَا بَعْدَهُ، فَإِنَّ قَوْلَكَ: الْمُجْتَهِدُ هُوَ النَّاجِحُ؛ يُفِيدُ اخْتِصَاصَ الْمُجْتَهِدِ بِالنَّجَاحِ)، وغيرُ المُجتهد لا نجاح له، وربَّما يُعبِّر بعضُهم بقوله: يُفيد الحصر، والمَعنىٰ واحدٌ.

[٣] الفَصلُ:
(أَيْ: التَّمْيِيزُ بَيْنَ كَوْنِ مَا بَعْدَهُ خَبَرًا أَوْ تَابِعًا، فَإِنَّ قَوْلَكَ: زَيْدٌ الْفَاضِلُ؛ يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْفَاضِلُ صِفَةً لِزَيْدٍ، وَالْخَبَرُ مُنْتَظَرٌ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْفَاضِلُ خَبَرًا، وَإِذَا قُلْتَ: زَيْدٌ هُوَ الْفَاضِلُ؛ تَعَيَّنَ أَنْ تَكُونَ الْفَاضِلُ خَبَرًا).

هل ضَميرُ الفَصلِ هو ضميرُ الشَّأنِ؟

ضميرُ الفصل غيرُ ضمير الشَّأن، فضميرُ الشَّأن له مَحلٌّ من الإعراب، ويكون مَحذوفًا، بين ضميرُ الفصل مَوجودٌ، وليس له مَحلٌّ من الإعراب.

ولهذا فإنَّ تقسيم بعضِهم الخير إلىٰ جملةٍ إسميَّةٍ وفعليَّةٍ ضعيفٌ، فمثلًا في قوله تعالىٰ: ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٨﴾[آل عمران]، يقولون: ﴿أَنتَ﴾ ضميرٌ مُنفصلٌ، وهو مُبتدأٌ ثانٍ، و﴿ٱلۡوَهَّابُ﴾ خبرٌ، وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّك إذا أعربتَ هكذا صار الخبرُ جملةً، وأصل الخبر مُفرَدٌ.

رَابِعًا: الالْتِفَاتُ

قَالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ: (الِالْتِفَاتُ: تَحْوِيلُ أُسْلُوبِ الْكَلَامِ مِنْ وَجْهٍ إِلَىٰ آخَرَ، وَلَهُ صُوَرٌ مِنْهَا:

١. الِالْتِفَاتُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، فَحَوَّلَ الْكَلَامَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكَ﴾.

٢. الِالْتِفَاتُ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ [يونس:٢٢]، فَحَوَّلَ الْكَلَامَ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾.

٣. الِالْتِفَاتُ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾ [المائدة:١٢]، فَحَوَّلَ الْكَلَامَ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبَعَثۡنَا﴾.

٤. الِالْتِفَاتُ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر]، فَحَوَّلَ الْكَلَامَ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْغَيْبَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿لِرَبِّكَ﴾.

وَلِلِالْتِفَاتِ فَوَائِدُ مِنْهَا:

١. حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الِانْتِبَاهِ؛ لِتَغَيُّرِ وَجْهِ الْأُسْلُوبِ عَلَيْهِ.

٢. حَمْلُهُ عَلَى التَّفْكِيرِ فِي الْمَعْنَىٰ؛ لِأَنَّ تَغَيُّرَ وَجْهِ الْأُسْلُوبِ يُؤَدِّي إِلَى التَّفْكِيرِ فِي السَّبَبِ.

٣. دَفْعُ السَّآمَةِ وَالْمَلَلِ عَنْهُ؛ لِأَنَّ بَقَاءَ الْأُسْلُوبِ عَلَىٰ وَجْهٍ وَاحِدٍ يُؤَدِّي إِلَى الْمَلَلِ غَالِبًا.

وَهَٰذِهِ الْفَوَائِدُ عَامَّةٌ لِلِالْتِفَاتِ فِي جَمِيعِ صُوَرِهِ، أَمَّا الْفَوَائِدُ الْخَاصَّةُ فَتَتَعَيَّنُ فِي كُلِّ صُورَةٍ حَسَبَ مَا يَقْتَضِيهِ الْمَقَامُ).

براعةُ الاختتام:

براعة الاختتام أن يُؤتىٰ في آخر الكلام بما يدلُّ علىٰ الانتهاء، وختمُ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ بباب (الالتفات) كأنَّه التف عن هذا الكتاب إلىٰ آخر.

الالتفاتُ هو: (تَحْوِيلُ أُسْلُوبِ الْكَلامِ مِنْ وَجْهٍ إِلَى آخَرَ)، وله صُوَرٌ:

[١] (مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ الْخِطَابِ).

[٢] (مِنَ الْخِطَابِ إِلَىٰ الْغَيْبَةِ).

[٣] (مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ التَّكَلُّمِ).

[٤] (مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَىٰ الْغَيْبَةِ).

فوائدُ عامَّةٌ في الالتفاتِ:

[١] (حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَىٰ الِانْتِبَاهِ)؛ لتغيُّر وجه الأسلوب، وهذا يلزم منه انتباهُ المُخاطَب، وانظر مثلًا إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة:٦٩]، إذا قرأتها انتبهتَ: لماذا صارت ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ مرفوعةً؟

[٢] (حَمْلُهُ عَلَىٰ التَّفْكِيرِ فِي الْمَعْنَىٰ)؛ لأنَّ تغيُّر وجه الأسلوب يؤدِّي إلىٰ التَّفكير في السَّبب، والتماس العلَّة.

[٣] (دَفْعُ السَّآمَةِ وَالْمَلَلِ عَنْهُ)؛ لأنَّ بقاء الأسلوب علىٰ وجهٍ واحدةٍ يؤدِّي إلىٰ الملل غالبًا، ولذلك ذهب بعض القرَّاء إلىٰ تغيير الأسلوب بالصَّوت، وبعض الخطباء إذا أتىٰ علىٰ آيةٍ يقرؤها تلاوةً مُرتَّلةً، وهذا لا بأس به؛ لأنَّه يؤدِّي للانتباه، لكنَّه قد يشوِّش علىٰ السَّامع فيجعلهُ يُفكِّر: هل هذا الفعلُ جائزٌ

مثالُ النَّوعِ الأوَّلِ من الالتفاتِ:

قولُه تعالىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ كلُّها بصيغة الغَيبة، ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة]، التفاتٌ إلىٰ الخِطاب.

والفوائد الثَّلاثة المَذكورة مَوجودةٌ هنا، وهي فوائد عامَّةٌ في كلِّ التفاتٍ، لكنَّ الخاصَّة هنا أنَّك لمَّا أثنيت علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بما أثنيت به من كونه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ كأنَّه بهذا الثَّناء صار حاضرًا أمامك، فقلتَ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾.

ومن الأمثلة كذلك قولُه تعالىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾، وهذا بصيغة الغَيبة، والمَقصودُ هو النَّبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ثمَّ قال: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾[عبس] انتقل إلىٰ الخطاب، ولم يقُل أوَّلًا: (عَبَسْتَ وَتَوَلَّيْتَ) لما فيه من الغضاضة في حقِّه صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

مثالُ النَّوعِ الثَّاني من الالتفاتِ:

قولُه تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ خطابٌ، ﴿وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ انتقل إلىٰ الغَيبة، ولم يقل: (وجرين بكم) كراهة أن يتَّصف المُخاطبون -وهم المسلمون- بما ذُكر بعد ذلك، ﴿بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٢٢﴾[يونس]، فهذه الأوصاف لا تُوجَّه إلىٰ المُخاطَبين المُسلمين لما فيها من الغضاضة.

مثالُ النَّوعِ الثَّالث من الالتفاتِ:

قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ بصيغة الغَيبة، ﴿وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ﴾[المائدة:١٢] انتقل اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ التَّكلُّم، ولم يقل: (وَبَعَثَ)، والتَّكلُّم أبلغ إشارةً إلىٰ عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، وأنَّه هو الَّذي يبعثُ الرُّسل.

مثالُ النَّوعِ الرَّابع من الالتفاتِ:

قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ بصيغة التَّكلُّم، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾ [الكوثر] انتقل اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ الغَيبة، ولم يقل: (فَصَلِّ لَنَا)، ومن الفوائد الخاصَّة هنا فائدةُ الإظهار، وهي: الإشارة إلىٰ أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ منحك هذا للفضائل الخاصَّة بك؛ لأنَّ الكوثر من خصائص الرَّسول ﷺ.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(وَاللهُ أَعْلَمُ،
وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ،
وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ،
تَمَّ، وَللهِ الْحَمْدُ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

الاِخْتِبَارُ الثَّالِثُ

اخترِ الإجابةَ الصَّحيحة:

۞ يلزمُ مِن روايةِ الصَّحابةِ للاسرائيليَّات: ❍ قَبولُها. ❍ تضعيفُها. ❍ التَّوقُّفُ فيها.

۞ اتَّسمَت روايةُ الصَّحابة لأخبار بني إسرائيلَ بـ: ❍ الكثرةِ. ❍ القلَّةِ. ❍ التَّوسُّطِ.

۞ الأخبارُ المَنقولةُ عن أهل الكتاب تُسمَّىٰ: ❍ المَوقوفاتِ. ❍ المَقطوعاتِ. ❍ الإسرائيليَّاتِ.

۞ قد يُستغنىٰ عن جواب القَسَم من غير تقديرٍ: ❍ صح. ❍ خطأٌ.

۞ يلزمُ اقترانُ (اللَّام) بجواب القسم إذا كان: (ماضيًا مُثبَتًا مُتصرِّفًا مُتقدِّمَ المَعمولِ): ❍ صح. ❍ خطأٌ.

۞ القَسَمُ يكون في الغالب: (جُملةً طلبيَّةً): ❍ صح. ❍ خطأٌ.

مَتْن: «مُقَدِّمَةِ التَّفْسِيرِ»

لشيخ الإسلام: أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ

(ت٧٢٨هـ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ ﷺ تَسْلِيمًا.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ سَأَلَنِي بَعْضُ الْإِخْوَانِ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ «مُقَدِّمَةً» تَتَضَمَّنُ قَوَاعِدَ كُلِّيَّةً، تُعِينُ عَلَىٰ فَهْمِ الْقُرْآنِ، وَمَعْرِفَةِ تَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ، وَالتَّمْيِيزِ -فِي مَنْقُولِ ذَلِكَ وَمَعْقُولِهِ- بَيْنَ الْحَقِّ وَأَنْوَاعِ الْأَبَاطِيلِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَىٰ الدَّلِيلِ الْفَاصِلِ بَيْنَ الْأَقَاوِيلِ؛ فَإِنَّ الْكُتُبَ الْمُصَنَّفَةَ فِي التَّفْسِيرِ مَشْحُونَةٌ بِالْغَثِّ وَالسَّمِينِ، وَالْبَاطِلِ الْوَاضِحِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ.

وَالْعِلْمُ إِمَّا نَقْلٌ مُصَدَّقٌ عَنْ مَعْصُومٍ، وَإِمَّا قَوْلٌ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مَعْلُومٌ، وَمَا سِوَىٰ هَٰذا فَإِمَّا مُزَيَّفٌ مَرْدُودٌ، وَإِمَّا مَوْقُوفٌ لَا يُعْلَمُ أَنَّهُ بَهْرَجٌ وَلَا مَنْقُودٌ.

وَحَاجَةُ الْأُمَّةِ مَاسَّةٌ إِلَىٰ فَهْمِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ: حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسُنُ، وَلَا يَخْلَقُ عَلَىٰ كَثْرَةِ التَّرْدِيدِ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صُدِّقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَىٰ الْهُدَىٰ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ﴾[طه].

وَقَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾[إبراهيم].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾[الشُّورىٰ].

وَقَدْ كَتَبْتُ هَٰذه «الْمُقَدِّمَةَ» مُخْتَصَرَةً، بِحَسَبِ تَيْسِيرِ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ إِمْلَاءِ الْفُؤَادِ، وَاللهُ الْهَادِي إِلَىٰ سَبِيلِ الرَّشَادِ.

فَصْلٌ فِي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ

يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ لِأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ؛ كَمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَلْفَاظَهُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النَّحل:٤٤] يَتَنَاوَلُ هَٰذا وَهَٰذا.

وَقَدْ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ، -كَـ: عُثْمَانَ بْنِ عفَّان، وَعَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَغَيْرِهِمَا-: (أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّىٰ يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا).

وَلِهَٰذا كَانُوا يَبْقَوْنَ مُدَّةً فِي حِفْظِ السُّورَةِ.

وَقَالَ أَنَسٌ: (كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ «الْبَقَرَةَ» وَ«آلَ عِمْرَانَ» جَدَّ فِي أَعْيُنِنَا).

وَأَقَامَ ابْنُ عُمَرَ عَلَىٰ حِفْظِ «الْبَقَرَةِ» عِدَّةَ سِنِينَ -قِيلَ: ثَمَانِي سِنِينَ- ذَكَرَهُ مَالِكٌ.

وَذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[ص:٢٩]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾[النِّساء:٨٢]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ﴾[المؤمنون:٦٨]، وَتَدَبُّرُ الْكَلَامِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ لَا يُمْكِنُ.

وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف]، وَعَقْلُ الْكَلَامِ مُتَضَمِّنٌ لِفَهْمِهِ.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ: فَهْمُ مَعَانِيهِ، دُونَ مُجَرَّدِ أَلْفَاظِهِ، فَالْقُرْآنُ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ.

وَأَيْضًا فَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ كَـ«الطِّبِّ» وَ«الْحِسَابِ»، وَلَا يَسْتَشْرِحُوهُ، فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ، وَبِهِ نَجَاتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ، وَقِيَامُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؟!

وَلِهَٰذَا كَانَ النِّزَاعُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» قَلِيلًا جِدًّا، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي التَّابِعِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الصَّحَابَةِ، فَهُوَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَكُلَّمَا كَانَ الْعَصْرُ أَشْرَفَ كَانَ الِاجْتِمَاعُ والِائْتِلَافُ وَالْعِلْمُ وَالْبَيَانُ فِيهِ أَكْثَرَ.

وَمِنَ التَّابِعِينَ مَنْ تَلَقَّىٰ جَمِيعَ التَّفْسِيرِ عَنِ الصَّحَابَةِ؛ كَمَا قَالَ مُجَاهِدٌ: (عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا).

وَلِهَٰذَا قَالَ الثَّوْرِيُّ: (إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ).

وَلِهَٰذَا يَعْتَمِدُ عَلَىٰ تَفْسِيرِهِ: الشَّافِعِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي التَّفْسِيرِ يُكَرِّرُ الطُّرُقَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ التَّابِعِينَ تَلَقَّوُا التَّفْسِيرَ عَنْ الصَّحَابَةِ كَمَا تَلَقَّوْا عَنْهُمْ عِلْمَ السُّنَّةِ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ يَتَكَلَّمُونَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ بِالِاسْتِنْبَاطِ وَالِاسْتِدْلَالِ؛ كَمَا يَتَكَلَّمُونَ فِي بَعْضِ السُّنَنِ بِالِاسْتِنْبَاطِ وَالِاسْتِدْلَالِ.

فَصْلٌ فِي اخْتِلَافِ السَّلَفِ فِي التَّفْسِيرِ وَأَنَّهُ اخْتِلَافُ تَنَوُّعٍ

وَالْخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ فِي التَّفْسِيرِ قَلِيلٌ، وَخِلَافُهُمْ فِي الْأَحْكَامِ أَكْثَرُ مِنْ خِلَافِهِمْ فِي التَّفْسِيرِ، وَغَالِبُ مَا يَصِحُّ عَنْهُمْ مِنَ الْخِلَافِ يَرْجِعُ إِلَىٰ «اخْتِلَافِ تَنَوُّعٍ» لَا «اخْتِلَافِ تَضَادٍّ»، وَذَلِكَ صِنْفَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُعَبِّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنِ الْمُرَادِ بِعِبَارَةٍ غَيْرِ عِبَارَةِ صَاحِبِهِ، تَدُلُّ عَلَىٰ مَعْنًى فِي الْمُسَمَّىٰ غَيْرِ الْمَعْنَىٰ الْآخَرِ، مَعَ اتِّحَادِ الْمُسَمَّىٰ، بِمَنْزِلَةِ الْأَسْمَاءِ الْمُتَكَافِئَةِ الَّتِي بَيْنَ الْمُتَرَادِفَةِ وَالْمُتَبَايِنَةِ؛ كَمَا قِيلَ فِي اسْمِ السَّيْفِ: «الصَّارِمُ» وَ«الْمُهَنَّدُ».

وَذَلِكَ مِثْلُ: أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَىٰ، وَأَسْمَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَسْمَاءِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ كُلَّهَا تَدُلُّ عَلَىٰ مُسَمًّى وَاحِدٍ.

فَلَيْسَ دُعَاؤُهُ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ مُضَادًّا لِدُعَائِهِ بِاسْمٍ آخَرَ؛ بَلْ إِنَّ الْأَمْرَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾[الإسراء:١١٠]، وَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ يَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ وَعَلَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الاسْمُ؛ كَـ«الْعَلِيمِ» يَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ وَالْعِلْمِ، وَ«الْقَدِيرِ» يَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ وَالْقُدْرَةِ، وَ«الرَّحِيمِ» يَدُلُّ عَلَىٰ الذَّاتِ وَالرَّحْمَةِ.

وَمَنْ أَنْكَرَ دَلَالَةَ أَسْمَائِهِ عَلَىٰ صِفَاتِهِ مِمَّنْ يَدَّعِي الظَّاهِرَ، فَقَوْلُهُ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ غُلَاةِ الْبَاطِنِيَّةِ «الْقَرَامِطَةِ» الَّذِينَ يَقُولُونَ: (لَا يُقَالُ هُوَ حَيٌّ وَلَا لَيْسَ بِحَيٍّ)؛ بَلْ يَنْفُونَ عَنْهُ النَّقِيضَيْنِ؛ فَإِنَّ أُولَئِكَ «الْقَرَامِطَةَ الْبَاطِنِيَّةَ» لَا يُنْكِرُونَ اسْمًا هُوَ عَلَمٌ مَحْضٌ كَالْمُضْمَرَاتِ وَإِنَّمَا يُنْكِرُونَ مَا فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ مِنْ صِفَاتِ الْإِثْبَاتِ؛ فَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَىٰ مَقْصُودِهِمْ كَانَ -مَعَ دَعْوَاهُ الْغُلُوَّ فِي الظَّاهِرِ- مُوَافِقًا لِغُلَاةِ الْبَاطِنِيَّةِ فِي ذَلِكَ، وَلَيْسَ هَـٰذَا مَوْضِعَ بَسْطِ ذَلِكَ.

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ: أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ يَدُلُّ عَلَىٰ ذَاتِهِ، وَعَلَىٰ مَا فِي الاسْمِ مِنْ صِفَاتِهِ، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَىٰ الصِّفَةِ الَّتِي فِي الاسْمِ الآخَرِ بِطَرِيقِ اللُّزُومِ.

وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُ: «مُحَمَّدٍ»، وَ«أَحْمَدَ»، وَ«الْمَاحِي»، وَ«الْحَاشِرِ»،

وَ«الْعَاقِبِ».

وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ؛ مِثْلُ: «الْقُرْآنِ»، وَ«الْفُرْقَانِ»، وَ«الْهُدَىٰ»، وَ«الشِّفَاءِ»، وَ«الْبَيَانِ»، وَ«الْكِتَابِ»، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

فَإِذَا كَانَ مَقْصُودُ السَّائِلِ تَعْيِينَ الْمُسَمَّىٰ، عَبَّرْنَا عَنْهُ بِأَيِّ اسْمٍ كَانَ إِذَا عُرِفَ مُسَمَّىٰ هَـٰذَا الاسْمِ، وَقَدْ يَكُونُ الاسْمُ عَلَمًا، وَقَدْ يَكُونُ صِفَةً.

كَمَنْ يَسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾[طه:١٢٤] مَا ذِكْرُهُ؟، فَيُقَالُ لَهُ: هُوَ «الْقُرْآنُ» مَثَلًا، أَوْ: مَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، فَإِنَّ «الذِّكْرَ» مَصْدَرٌ، وَالْمَصْدَرُ تَارَةً يُضَافُ إِلَىٰ الْفَاعِلِ، وَتَارَةً إِلَىٰ الْمَفْعُولِ.

فَإِذَا قِيلَ: ذِكْرُ اللهِ بِالْمَعْنَىٰ الثَّانِي، كَانَ مَا يُذْكَرُ بِهِ؛ مِثْلَ قَوْلِ الْعَبْدِ: «سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ».

وَإِذَا قِيلَ بِالْمَعْنَىٰ الأَوَّلِ كَانَ مَا يَذْكُرُهُ هُوَ، وَهُوَ كَلَامُهُ، وَهَـٰذَا هُوَ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾[طه:١٢٤]؛ لأَنَّهُ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[طه]، وَهُدَاهُ هُوَ: مَا أَنْزَلَهُ مِنَ الذِّكْرِ، وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا﴾ ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾[طه].

وَالْمَقْصُودُ: أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ الذِّكْرَ هُوَ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ، أَوْ هُوَ ذِكْرُ الْعَبْدِ لَهُ، فَسَوَاءٌ قِيلَ: (ذِكْرِي) كِتَابِي، أَوْ كَلَامِي، أَوْ هُدَايَ.. أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْمُسَمَّىٰ وَاحِدًا.

وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ السَّائِلِ مَعْرِفَةَ مَا فِي الِاسْمِ مِنَ الصِّفَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ قَدْرٍ زَائِدٍ عَلَىٰ تَعْيِينِ الْمُسَمَّىٰ؛ مِثْلُ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ: ﴿الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾[الحشر:٢٣]، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ اللهُ؛ لَكِنَّ مُرَادَهُ: مَا مَعْنَىٰ كَوْنِهِ قُدُّوسًا سَلَامًا مُؤْمِنًا؟، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

إِذَا عُرِفَ هَـٰذَا، فَالسَّلَفُ كَثِيرًا مَا يُعَبِّرُونَ عَنِ الْمُسَمَّىٰ بِعِبَارَةٍ تَدُلُّ عَلَىٰ عَيْنِهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الصِّفَةِ مَا لَيْسَ فِي الِاسْمِ الآخَرِ؛ كَمَنْ يَقُولُ: (أَحْمَدُ هُوَ: الْحَاشِرُ، وَالْمَاحِي، وَالْعَاقِبُ). وَ(الْقُدُّوسُ: هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)؛ أَيْ: أَنَّ الْمُسَمَّىٰ وَاحِدٌ، لَا أَنَّ هَـٰذِهِ الصِّفَةَ هِيَ هَـٰذِهِ الصِّفَةُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَـٰذَا لَيْسَ اخْتِلَافَ تَضَادٍّ كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ؛ مِثَالُ ذَلِكَ: تَفْسِيرُهُمْ

لِلصِّـرَاطِ الْمُسْـتَقِيمِ:

○ فَقَـالَ بَعْضُهُـمْ: هُوَ «**الْقُـرْآنُ**» أَيْ: اتِّبَاعُهُ؛ لِقَـوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ عَلِـيٍّ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِـذِيُّ وَرَوَاهُ أَبُـو نُعَيْـمٍ -مِـنْ طُـرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ-: «**هُـوَ حَبْـلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَالذِّكْـرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْـتَقِيمُ**».

○ وَقَـالَ بَعْضُهُـمْ: هُوَ «**الإِسْـلَامُ**»؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيـثِ النَّوَّاسِ بْنِ سَـمْعَانَ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِـذِيُّ وَغَيْـرُهُ: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَـلًا: صِرَاطًا مُسْـتَقِيمًا، وَعَلَىٰ جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُـورَانِ، وَفِي السُّـورَيْنِ أَبْـوَابٌ مُفَتَّحَـةٌ، وَعَلَـىٰ الأَبْـوَابِ سُـتُورٌ مُرْخَـاةٌ، وَدَاعٍ يَدْعُـو مِنْ فَـوْقِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٍ يَدْعُـو عَلَـىٰ رَأْسِ الصِّـرَاطِ**»، قَـالَ: «**فَالصِّـرَاطُ الْمُسْـتَقِيمُ هُـوَ الإِسْـلَامُ، وَالسُّـورَانِ حُـدُودُ اللهِ، وَالأَبْـوَابُ الْمُفَتَّحَـةُ مَحَـارِمُ اللهِ، وَالدَّاعِـي عَلَـىٰ رَأْسِ الصِّـرَاطِ كِتَـابُ اللهِ، وَالدَّاعِـي فَـوْقَ الصِّـرَاطِ وَاعِظُ اللهِ فِـي قَلْـبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ**».

فَهَـٰذَانِ الْقَـوْلَانِ مُتَّفِقَـانِ؛ لِأَنَّ دِينَ الإِسْـلَامِ هُوَ اتِّبَاعُ «الْقُـرْآنِ»؛ وَلَكِنْ كُلٌّ مِنْهُمَـا نَبَّهَ عَلَىٰ وَصْـفٍ غَيْرِ الْوَصْـفِ الآخَرِ، كَمَـا أَنَّ لَفْظَ (الصِّرَاطِ) يُشْـعِرُ بِوَصْـفٍ ثَالِثٍ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ «**السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ**».

وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ «**طَرِيقُ الْعُبُودِيَّةِ**».

وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ «**طَاعَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ**»، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَشَارُوا إِلَىٰ ذَاتٍ وَاحِدَةٍ؛ لَكِنْ وَصَفَهَا كُلٌّ مِنْهُمْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهَا.

الصِّنْـفُ الثَّانِـي: أَنْ يَذْكُـرَ كُلٌّ مِنْهُـمْ مِنَ الِاسْـمِ الْعَـامِّ بَعْـضَ أَنْوَاعِهِ عَلَـىٰ سَـبِيلِ التَّمْثِيلِ، وَتَنْبِيـهِ الْمُسْـتَمِعِ عَلَـىٰ النَّـوْعِ، لَا عَلَـىٰ سَـبِيلِ الْحَـدِّ الْمُطَابِـقِ لِلْمَحْـدُودِ فِـي عُمُومِـهِ وَخُصُوصِـهِ.

مِثْلُ سَـائِلٍ أَعْجَمِيٍّ سَـأَلَ عَنْ مُسَـمَّىٰ لَفْظِ «الْخُبْزِ» فَأُرِيَ رَغِيفًا، وَقِيلَ لَهُ: هَـٰذَا. فَالإِشَـارَةُ إِلَىٰ نَوْعِ هَـٰذَا، لَا إِلَىٰ هَـٰذَا الرَّغِيفِ وَحْدَهُ.

مِثَـالُ ذَلِـكَ: مَـا نُقِـلَ فِـي قَوْلِـهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[فاطـر:٣٢].

فَمَعْلُـومٌ أَنَّ الظَّالِـمَ لِنَفْسِـهِ يَتَنَاوَلُ الْمُضَيِّـعَ لِلْوَاجِبَـاتِ وَالْمُنْتَهِكَ لِلْمُحَرَّمَـاتِ، وَالْمُقْتَصِدُ يَتَنَـاوَلُ فَاعِـلَ الْوَاجِبَـاتِ وَتَـارِكَ الْمُحَرَّمَـاتِ، وَالسَّـابِقُ يَدْخُـلُ فِيـهِ مَـنْ سَـبَقَ فَتَقَـرَّبَ

بِالْحَسَنَاتِ مَعَ الْوَاجِبَاتِ.

فَالْمُقْتَصِدُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾[الواقعة].

ثُمَّ إِنَّ كُلًّا مِنْهُمْ يَذْكُرُ هٰذا فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ.

كَقَوْلِ الْقَائِلِ: «السَّابِقُ»: الَّذِي يُصَلِّي فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ، وَ«الْمُقْتَصِدُ»: الَّذِي يُصَلِّي فِي أَثْنَائِهِ، وَ«الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ»: الَّذِي يُؤَخِّرُ الْعَصْرَ إِلَىٰ الاصْفِرَارِ.

أو يَقُولُ: السَّابِقُ وَالْمُقْتَصِدُ قَدْ ذَكَرَهُمْ فِي آخِرِ «سُورَةِ الْبَقَرَةِ»، فَإِنَّهُ ذَكَرَ الْمُحْسِنَ بِالصَّدَقَةِ، وَالظَّالِمَ بِأَكْلِ الرِّبَا، وَالْعَادِلَ بِالْبَيْعِ، وَالنَّاسُ فِي الأَمْوَالِ إِمَّا مُحْسِنٌ، وَإِمَّا عَادِلٌ، وَإِمَّا ظَالِمٌ؛ فَـ«السَّابِقُ» الْمُحْسِنُ بِأَدَاءِ الْمُسْتَحَبَّاتِ مَعَ الْوَاجِبَاتِ وَ«الظَّالِمُ» آكِلُ الرِّبَا، أَوْ مَانِعُ الزَّكَاةِ، وَ«الْمُقْتَصِدُ» الَّذِي يُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَلَا يَأْكُلُ الرِّبَا، وَأَمْثَالَ هٰذه الأَقَاوِيل.

فَكُلُّ قَوْلٍ: فِيهِ ذِكْرُ نَوْعٍ دَاخِلٌ فِي الآيَةِ، إِنَّمَا ذُكِرَ لِتَعْرِيفِ الْمُسْتَمِعِ بِتَنَاوُلِ الْآيَةِ لَهُ، وَتَنْبِيهِهِ بِهِ عَلَىٰ نَظِيرِهِ، فَإِنَّ التَّعْرِيفَ بِالْمِثَالِ قَدْ يُسَهِّلُ أَكْثَرَ مِنَ التَّعْرِيفِ بِالْحَدِّ الْمُطابِقِ.

وَالْعَقْلُ السَّلِيمُ يَتَفَطَّنُ لِلنَّوْعِ؛ كَمَا يَتَفَطَّنُ إِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَىٰ رَغِيفٍ، فَقِيلَ لَهُ: هٰذا هُوَ الْخُبْزُ.

وَقَدْ يَجِيءُ كَثِيرًا مِنْ هٰذا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: هٰذه الآيَةُ نَزَلَتْ فِي كَذَا، لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَذْكُورُ شَخْصًا؛ كَأَسْبَابِ النُّزُولِ الْمَذْكُورَةِ فِي التَّفْسِيرِ؛ كَقَوْلِهِمْ:

- إِنَّ «آيَةَ الظِّهَارِ» نَزَلَتْ فِي امْرَأَةِ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ.
- وَإِنَّ «آيَةَ اللِّعَانِ» نَزَلَتْ فِي عُوَيْمَرَ العَجْلَانِي، أَوْ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ.
- وَإِنَّ «آيَةَ الْكَلَالَةِ» نَزَلَتْ فِي جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ.
- وَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[المائدة:٤٩]، نَزَلَتْ فِي «بَنِي قُرَيْظَةَ» وَ«النَّضِيرِ».
- وَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ﴾[الأنفال:١٦]، نَزَلَتْ فِي «بَدْرٍ».
- وَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[المائدة:١٠٦] نَزَلَتْ فِي قَضِيَّةِ تَمِيمٍ الدَّارِي وَعَدِيِّ بْنِ بَدَّاءٍ.

○ وَقَوْلُ أَبِي أَيُّوبَ: إنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥]، نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ... الْحَدِيثَ.

وَنَظَائِرُ هَٰذَا كَثِيرٌ مِمَّا يَذْكُرُونَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، أَوْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، أَوْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

فَالَّذِينَ قَالُوا ذَٰلِكَ لَمْ يَقْصِدُوا أَنَّ حُكْمَ الْآيَةِ مُخْتَصٌّ بِأُولَئِكَ الأَعْيَانِ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ هَٰذَا لَا يَقُولُهُ مُسْلِمٌ وَلَا عَاقِلٌ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ.

وَالنَّاسُ وَإِنْ تَنَازَعُوا فِي اللَّفْظِ الْعَامِّ الْوَارِدِ عَلَىٰ سَبَبٍ، هَلْ يَخْتَصُّ بِسَبَبِهِ أَمْ لَا؟ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ: إِنَّ عُمُومَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَخْتَصُّ بِالشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ، وَإِنَّمَا غَايَةُ مَا يُقَالُ: إِنَّهَا تَخْتَصُّ بِنَوْعِ ذَٰلِكَ الشَّخْصِ؛ فَتَعُمُّ مَا يُشْبِهُهُ، وَلَا يَكُونُ الْعُمُومُ فِيهَا بِحَسَبِ اللَّفْظِ.

وَالآيَةُ الَّتِي لَهَا سَبَبٌ مُعَيَّنٌ؛ إنْ كَانَتْ «أَمْرًا» أَوْ «نَهْيًا» فَهِيَ مُتَنَاوِلَةٌ لِذَلِكَ الشَّخْصِ وَلِغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ بِمَنْزِلَتِهِ، وَإِنْ كَانَتْ «خَبَرًا» بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ فَهِيَ مُتَنَاوِلَةٌ لِذَلِكَ الشَّخْصِ وَلِمَنْ كَانَ بِمَنْزِلَتِهِ.

وَمَعْرِفَةُ سَبَبِ النُّزُولِ تُعِينُ عَلَىٰ فَهْمِ الْآيَةِ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ بِالسَّبَبِ يُورِثُ الْعِلْمَ بِالْمُسَبَّبِ؛ وَلِهَٰذَا كَانَ أَصَحُّ قَوْلَيِ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُعْرَفْ مَا نَوَاهُ الْحَالِفُ: رُجِعَ إِلَىٰ سَبَبِ يَمِينِهِ وَمَا هَيَّجَهَا وَأَثَارَهَا.

وَقَوْلُهُمْ: «نَزَلَتْ هَٰذه الآيَةُ فِي كَذَا» يُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّهُ سَبَبُ النُّزُولِ، وَيُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّ هَٰذَا دَاخِلٌ فِي الْآيَةِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ السَّبَبُ؛ كَمَا تَقُولُ: (عَنَىٰ بِهَٰذه الآيَةِ كَذَا).

وَقَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِ الصَّاحِبِ: «نَزَلَتْ هَٰذِهِ الْآيَةُ فِي كَذَا»، وَهَلْ يَجْرِي مَجْرَىٰ «الْمُسْنَدِ» -كَمَا لَوْ ذُكِرَ السَّبَبُ الَّذِي أُنْزِلَتْ لأَجْلِهِ-؟، أَوْ يَجْرِي مَجْرَىٰ التَّفْسِيرِ مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ بِـ«مُسْنَدٍ»؟

فَالْبُخَارِيُّ يُدْخِلُهُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَغَيْرُهُ لَا يُدْخِلُهُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَأَكْثَرُ «الْمَسَانِيدِ» عَلَىٰ هَٰذَا الاصْطِلَاحِ كَـ«مُسْنَدِ أَحْمَدَ» وَغَيْرِهِ؛ بِخِلَافِ مَا إِذَا ذَكَرَ سَبَبًا نَزَلَتْ عَقِبَهُ، فَإِنَّهُمْ كُلَّهُمْ يُدْخِلُونَ مِثْلَ هَٰذَا فِي «الْمُسْنَدِ».

وَإِذَا عُرِفَ هَٰذَا؛ فَقَوْلُ أَحَدِهِمْ: «نَزَلَتْ فِي كَذَا»، لَا يُنَافِي قَوْلَ الْآخَرِ: «نَزَلَتْ فِي كَذَا»

إِذَا كَانَ اللَّفْظُ يَتَنَاوَلُهُمَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمِثَالِ.

وَإِذَا ذَكَرَ أَحَدُهُمْ لَهَا سَبَبًا نَزَلَتْ لِأَجْلِهِ وَذَكَرَ الآخَرُ سَبَبًا؛ فَقَدْ يُمْكِنُ صِدْقُهُمَا بِأَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ عَقِبَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ، أَوْ تَكُونَ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً لِهَٰذَا السَّبَبِ وَمَرَّةً لِهَٰذَا السَّبَبِ.

وَهَٰذَانِ الصِّنْفَانِ اللَّذَانِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي تَنَوُّعِ التَّفْسِيرِ:

تَارَةً لِتَنَوُّعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَتَارَةً لِذِكْرِ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْمُسَمَّىٰ وَأَقْسَامِهِ؛ كَالتَّمْثِيلَاتِ -هُمَا الْغَالِبُ فِي تَفْسِيرِ سَلَفِ الأُمَّةِ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ.

وَمِنَ التَّنَازُعِ الْمَوْجُودِ عَنْهُمْ مَا يَكُونُ اللَّفْظُ فِيهِ مُحْتَمِلًا لِلأَمْرَيْنِ:

إِمَّا لِكَوْنِهِ مُشْتَرَكًا فِي اللُّغَةِ؛ كَلَفْظِ (قَسْوَرَة) الَّذِي يُرَادُ بِهِ الرَّامِي وَيُرَادُ بِهِ الأَسَدُ. وَلَفْظِ (عَسْعَسَ) الَّذِي يُرَادُ بِهِ إِقْبَالُ اللَّيْلِ وَإِدْبَارُهُ.

وَإِمَّا لِكَوْنِهِ مُتَوَاطِئًا فِي الأَصْلِ؛ لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَحَدُ النَّوْعَيْنِ، أَوْ أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ؛ كَالضَّمَائِرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[النَّجم]، وَكَلَفْظِ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾[الفجر]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فَمِثْلُ هَٰذَا قَدْ يُرَادُ بِهِ كُلُّ الْمَعَانِي الَّتِي قَالَهَا السَّلَفُ، وَقَدْ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ.

فَالْأَوَّلُ إِمَّا لِكَوْنِ الآيَةِ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ، فَأُرِيدَ بِهَا هَٰذَا تَارَةً وَهَٰذَا تَارَةً، وَإِمَّا لِكَوْنِ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَعْنَيَاهُ؛ إِذْ قَدْ جَوَّزَ ذَلِكَ أَكْثَرُ فُقَهَاءِ: الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنْبَلِيَّةُ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَإِمَّا لِكَوْنِ اللَّفْظِ مُتَوَاطِئًا فَيَكُونُ عَامًّا، إِذَا لَمْ يَكُنْ لِتَخْصِيصِهِ مُوجِبٌ. فَهَٰذَا النَّوْعُ إِذَا صَحَّ فِيهِ الْقَوْلَانِ كَانَ مِنَ الصِّنْفِ الثَّانِي.

وَمِنَ الْأَقْوَالِ الْمَوْجُودَةِ عَنْهُمْ -وَيَجْعَلُهَا بَعْضُ النَّاسِ اخْتِلَافًا-: أَنْ يُعَبِّرُوا عَنِ الْمَعَانِي بِأَلْفَاظٍ مُتَقَارِبَةٍ لَا مُتَرَادِفَةٍ، فَإِنَّ التَّرَادُفَ فِي اللُّغَةِ قَلِيلٌ، وَأَمَّا فِي أَلْفَاظِ «الْقُرْآنِ» فَإِمَّا نَادِرٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ، وَقَلَّ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْ لَفْظٍ وَاحِدٍ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ يُؤَدِّي جَمِيعَ مَعْنَاهُ؛ بَلْ يَكُونُ فِيهِ تَقْرِيبٌ لِمَعْنَاهُ، وَهَٰذَا مِنْ أَسْبَابِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ.

فَإِذَا قَالَ الْقَائِلُ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩﴾[الطُّور]، إِنَّ «الْمَوْرَ» هُوَ الْحَرَكَةُ كَانَ تَقْرِيبًا، إِذِ الْمَوْرُ حَرَكَةٌ خَفِيفَةٌ سَرِيعَةٌ.

وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ: «الْوَحْيُ» الإِعْلَامُ، أَوْ قِيلَ: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[النَّحل:١٢٣]: أَنْزَلْنَا إِلَيْك، أَوْ قِيلَ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الإسراء:٤]؛ أَيْ: أَعْلَمْنَا، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ.

فَهَـٰذا كُلُّهُ تَقْرِيبٌ لَا تَحْقِيقٌ، فَإِنَّ «الْوَحْيَ» هُوَ إِعْلَامٌ سَرِيعٌ خَفِيٌّ، وَالْقَضَاءُ إِلَيْهِمْ أَخَصُّ مِنَ الْإِعْلَامِ فَإِنَّ فِيهِ إِنْزَالًا إِلَيْهِمْ وَإِيحَاءً إِلَيْهِم.

وَالْعَرَبُ تُضَمِّنُ الْفِعْلَ مَعْنَىٰ الْفِعْلِ، وَتُعَدِّيهِ تَعْدِيَتَهُ.

وَمِنْ هُنَا غَلِطَ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْحُرُوفِ تَقُومُ مَقَامَ بَعْضٍ؛ كَمَا يَقُولُونَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾[ص:٢٤]، أَيْ: مَعَ نِعَاجِهِ، وَ: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٥٢، الصف:١٤] أَيْ: مَعَ اللهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَالتَّحْقِيقُ مَا قَالَهُ نُحَاةُ الْبَصْرَةِ مِنَ التَّضْمِينِ؛ فَسُؤَالُ النَّعْجَةِ يَتَضَمَّنُ جَمْعَهَا وَضَمَّهَا إِلَىٰ نِعَاجِهِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[الإسراء:٧٣]، ضُمِّنَ مَعْنَىٰ (يُزِيغُونَك وَيَصُدُّونَك).

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾[الأنبياء:٧٧]، ضُمِّنَ مَعْنَىٰ (نَجَّيْنَاهُ وَخَلَّصْنَاهُ). وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[الإنسان:٦]، ضُمِّنَ (يُرْوَىٰ بِهَا)، وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ.

وَمَنْ قَالَ: ﴿لَا رَيْبَ﴾[البقرة:٢]: لَا شَكَّ. فَهَـٰذا تَقْرِيبٌ، وَإِلَّا فَالرَّيْبُ فِيهِ اضْطِرَابٌ وَحَرَكَةٌ؛ كَمَا قَالَ: «**دَعْ مَا يَرِيبُك إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُك**»، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ: مَرَّ بِظَبْيٍ حَاقِفٍ. فَقَالَ: «لَا يَرِيبُهُ أَحَدٌ»؛ فَكَمَا أَنَّ «الْيَقِينَ» ضُمِّنَ السُّكُونَ وَالطُّمَأْنِينَةَ، فَـ«الرَّيْبُ» ضِدُّهُ ضُمِّنَ الِاضْطِرَابَ وَالْحَرَكَةَ.

وَلَفْظُ «الشَّكِّ» وَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ هَـٰذا الْمَعْنَىٰ؛ لَكِنَّ لَفْظَهُ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[البقرة:٢]: هَـٰذا الْقُرْآنُ، فَهَـٰذا تَقْرِيبٌ؛ لِأَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَالْإِشَارَةُ بِجِهَةِ الْحُضُورِ غَيْرُ الإِشَارَةِ بِجِهَةِ الْبُعْدِ وَالْغَيْبَةِ، وَلَفْظُ «الْكِتَابِ» يَتَضَمَّنُ مِنْ كَوْنِهِ مَكْتُوبًا مَضْمُومًا مَا لَا يَتَضَمَّنُهُ لَفْظُ «الْقُرْآنِ» مِنْ كَوْنِهِ مَقْرُوءًا مُظْهَرًا بَادِيًا، فَهَـٰذِه الْفُرُوقُ مَوْجُودَةٌ فِي «الْقُرْآنِ».

فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾[الأنعام:٧٠]؛ أَيْ: تُحْبَسَ، وَقَالَ الآخَرُ: تُرْتَهَنَ، وَنَحْوُ

ذَلِكَ؛ لَمْ يَكُنْ مِنَ اخْتِلَافِ التَّضَادِّ، وَإِنْ كَانَ الْمَحْبُوسُ قَدْ يَكُونُ مُرْتَهَنًا، وَقَدْ لَا يَكُونُ؛ إِذْ هَٰذَا تَقْرِيبٌ لِلْمَعْنَىٰ كَمَا تَقَدَّمَ.

وَجَمْعُ عِبَارَاتِ السَّلَفِ فِي مِثْلِ هَٰذا نَافِعٌ جِدًّا؛ لأَنَّ مَجْمُوعَ عِبَارَاتِهِمْ أَدَلُّ عَلَىٰ الْمَقْصُودِ مِنْ عِبَارَةٍ أَوْ عِبَارَتَيْنِ.

وَمَعَ هَٰذا فَلَا بُدَّ مِنَ اخْتِلَافٍ مُحَقَّقٍ بَيْنَهُمْ؛ كَمَا يُوجَدُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْأَحْكَام.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ عَامَّةَ مَا يُضْطَرُّ إِلَيْهِ عُمُومُ النَّاسِ مِنَ الِاخْتِلَافِ مَعْلُومٌ؛ بَلْ مُتَوَاتِرٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ أَو الْخَاصَّةِ؛ كَمَا فِي عَدَدِ الصَّلَوَاتِ وَمَقَادِيرِ رُكُوعِهَا وَمَوَاقِيتِهَا، وَفَرَائِضِ الزَّكَاةِ وَنُصُبِهَا، وَتَعْيِينِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَالطَّوَافِ وَالْوُقُوفِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ وَالْمَوَاقِيتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّ اخْتِلَافَ الصَّحَابَةِ فِي «الْجَدِّ وَالإِخْوَةِ» وَفِي «الْمُشَرَّكَةِ»، وَنَحْوِ ذَلِكَ لَا يُوجِبُ رَيْبًا فِي جُمْهُورِ مَسَائِلِ الْفَرَائِضِ؛ بَلْ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عَامَّةُ النَّاسِ -وَهُوَ عَمُودُ النَّسَبِ مِنَ الْآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ، وَالْكَلَالَةِ مِنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَخَوَاتِ، وَمِنْ نِسَائِهِم كَالأَزْوَاجِ- فَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ فِي الْفَرَائِضِ ثَلَاثَ آيَاتٍ مُفَصَّلَةٍ؛ ذَكَرَ فِي الأُولَىٰ الأُصُولَ وَالْفُرُوعَ، وَذَكَرَ فِي الثَّانِيَةِ الْحَاشِيَةَ الَّتِي تَرِثُ بِالْفَرْضِ كَالزَّوْجَيْنِ وَوَلَدِ الْأُمِّ، وَفِي الثَّالِثَةِ الْحَاشِيَةَ الْوَارِثَةَ بِالتَّعْصِيبِ، وَهُمُ الإِخْوَةُ لأَبَوَيْنِ أَوْ لِأَبٍ. وَاجْتِمَاعُ الْجَدِّ وَالإِخْوَةِ نَادِرٌ؛ وَلِهَٰذا لَمْ يَقَعْ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَالِاخْتِلَافُ قَدْ يَكُونُ لِخَفَاءِ الدَّلِيلِ وَالذُّهُولِ عَنْهُ، وَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ سَمَاعِهِ، وَقَدْ يَكُونُ لِلْغَلَطِ فِي فَهْمِ النَّصِّ، وَقَدْ يَكُونُ لِاعْتِقَادِ مُعَارِضٍ رَاجِحٍ.

فَالْمَقْصُودُ هُنَا: التَّعْرِيفُ بِمُجْمَلِ الأَمْرِ دُونَ تَفَاصِيلِهِ.

فَصْلٌ فِي نَوْعَيِ الاخْتِلافِ فِي التَّفْسِيرِ الْـمُسْتَنَدِ إِلَى النَّقْلِ، وَإِلَى طَرِيقِ الاسْتِدْلالِ

الِاخْتِلَافُ فِي التَّفْسِيرِ عَلَىٰ نَوْعَيْنِ:

- مِنْهُ مَا مُسْتَنَدُهُ النَّقْلُ فَقَطْ.
- وَمِنْهُ مَا يُعْلَمُ بِغَيْرِ ذَلِكَ.

إِذِ الْعِلْمُ:

- إِمَّا نَقْلٌ مُصَدَّقٌ.
- وَإِمَّا اسْتِدْلَالٌ مُحَقَّقٌ.

وَالْمَنْقُولُ:

- إِمَّا عَنِ الْمَعْصُومِ.
- وَإِمَّا عَنْ غَيْرِ الْمَعْصُومِ.

وَالْمَقْصُودُ بِأَنَّ جِنْسَ الْمَنْقُولِ سَوَاءٌ كَانَ عَنِ الْمَعْصُومِ أَوْ غَيْرِ الْمَعْصُومِ -وَهَٰذَا هُوَ النَّوْعُ الْأَوَّلُ- فَمِنْهُ مَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ وَالضَّعِيفِ، وَمِنْهُ مَا لَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ فِيهِ.

وَهَٰذَا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْمَنْقُولِ -وَهُوَ مَا لَا طَرِيقَ لَنَا إِلَىٰ الْجَزْمِ بِالصِّدْقِ مِنْهُ-؛ عَامَّتُهُ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَالْكَلَامُ فِيهِ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ.

وَأَمَّا مَا يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُونَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهِ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ نَصَبَ عَلَىٰ الْحَقِّ فِيهِ دَلِيلًا.

فَمِثَالُ مَا لَا يُفِيدُ وَلَا دَلِيلَ عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنْهُ: اخْتِلَافُهُمْ فِي لَوْنِ «كَلْبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ»، وَفِي الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ قَتِيلُ مُوسَىٰ مِنَ الْبَقَرَةِ، وَفِي مِقْدَارِ سَفِينَةِ نُوحٍ وَمَا كَانَ خَشَبُهَا، وَفِي اسْمِ الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ الْخِضْرُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَهَٰذِهِ الْأُمُورُ طَرِيقُ الْعِلْمِ بِهَا النَّقْلُ، فَمَا كَانَ مِنْ هَٰذَا مَنْقُولًا نَقْلًا صَحِيحًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ كَاسْمِ صَاحِبِ مُوسَىٰ أَنَّهُ الْخِضْرُ، فَهَٰذَا مَعْلُومٌ، وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ؛ بَلْ كَانَ مِمَّا يُؤْخَذُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ -كَالْمَنْقُولِ عَنْ كَعْبٍ، وَوَهْبٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ،

وَغَيْرِهِمْ، مِمَّنْ يَأْخُذُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ- فَهٰذا لَا يَجُوزُ تَصْدِيقُهُ وَلَا تَكْذِيبُهُ إِلَّا بِحُجَّةٍ؛ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، فَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوهُ، وَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوهُ**».

وَكَذَلِكَ مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ -وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ أَخَذَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ-؛ فَمَتَىٰ اخْتَلَفَ التَّابِعُونَ لَمْ يَكُنْ بَعْضُ أَقْوَالِهِمْ حُجَّةً عَلَىٰ بَعْضٍ.

وَمَا نُقِلَ فِي ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ نَقْلًا صَحِيحًا فَالنَّفْسُ إِلَيْهِ أَسْكَنُ مِمَّا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ؛ لأَنَّ احْتِمَالَ أَنْ يَكُونَ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ أَقْوَىٰ، وَلِأَنَّ نَقْلَ الصَّحَابَةِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَقَلُّ مِنْ نَقْلِ التَّابِعِينَ، وَمَعَ جَزْمِ الصَّاحِبِ بِمَا يَقُولُهُ؛ كَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَدْ نُهُوا عَنْ تَصْدِيقِهِمْ؟!

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ مِثْلَ هٰذا الاخْتِلَافِ الَّذِي لَا يُعْلَمُ صَحِيحُهُ وَلَا تُفِيدُ حِكَايَةُ الأَقْوَالِ فِيهِ؛ هُوَ كَالْمَعْرِفَةِ لِمَا يُرْوَىٰ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي لَا دَلِيلَ عَلَىٰ صِحَّتِهِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْقِسْمُ الأَوَّلُ الَّذِي يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ «الصَّحِيحِ» مِنْهُ فَهٰذا مَوْجُودٌ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ فِي: «التَّفْسِيرِ» وَ«الْحَدِيثِ» وَ«الْمَغَازِي» أُمُورٌ مَنْقُولَةٌ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ -صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ-، وَالنَّقْلُ الصَّحِيحُ يَدْفَعُ ذَلِكَ؛ بَلْ هٰذا مَوْجُودٌ فِيمَا مُسْتَنَدُهُ النَّقْلُ، وَفِيمَا قَدْ يُعْرَفُ بِأُمُورٍ أُخْرَىٰ غَيْرِ النَّقْلِ.

فَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْمَنْقُولَاتِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي الدِّينِ قَدْ نَصَبَ اللهُ الأَدِلَّةَ عَلَىٰ بَيَانِ مَا فِيهَا مِنْ «صَحِيحٍ» وَغَيْرِهِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَنْقُولَ فِي «التَّفْسِيرِ» أَكْثَرُهُ كَالْمَنْقُولِ فِي «الْمَغَازِي» وَ«الْمَلَاحِمِ»، وَلِهٰذا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَد: (ثَلَاثَةُ أُمُورٍ لَيْسَ لَهَا إِسْنَادٌ: التَّفْسِيرُ وَالْمَلَاحِمُ وَالْمَغَازِي.) وَيُرْوَىٰ: (لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ)؛ أَيْ: إِسْنَادٌ؛ لأَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهَا «الْمَرَاسِيلُ»، مِثْلُ مَا يَذْكُرُهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالزُّهْرِيُّ، وَمُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ، وَابْنُ إِسْحَاقَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ كَيَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ الأَمَوِيِّ، وَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، وَالْوَاقِدِيِّ، وَنَحْوِهِمْ فِي الْمَغَازِي.

فَإِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْمَغَازِي «أَهْلُ الْمَدِينَةِ»، ثُمَّ «أَهْلُ الشَّامِ»، ثُمَّ «أَهْلُ الْعِرَاقِ».

فَـ«أَهْلُ الْمَدِينَةِ» أَعْلَمُ بِهَا؛ لأَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ، وَ«أَهْلُ الشَّامِ» كَانُوا أَهْلَ غَزْوٍ وَجِهَادٍ، فَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِالْجِهَادِ وَالسِّيَرِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ، وَلِهٰذا عَظَّمَ النَّاسُ كِتَابَ أَبِي

إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ الَّذِي صَنَّفَهُ فِي ذَلِكَ، وَجَعَلُوا الأَوْزَاعِيَّ أَعْلَمَ بِهَذَا الْبَابِ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الأَمْصَارِ.

وَأَمَّا «التَّفْسِيرُ» فَإِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِهِ «أَهْلُ مَكَّةَ»؛ لأَنَّهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ عَبَّاسٍ كَـ: مُجَاهِدٍ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَعِكْرِمَةَ مَوْلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ كَـ: طَاوُسٍ، وَأَبِي الشَّعْثَاءِ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَأَمْثَالِهِمْ.

وَكَذَلِكَ «أَهْلُ الْكُوفَةِ» مِنْ أَصْحَابِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَمِنْ ذَلِكَ مَا تَمَيَّزُوا بِهِ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ.

وَعُلَمَاءُ «أَهْلِ الْمَدِينَةِ» فِي «التَّفْسِيرُ» مِثْلُ: زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ مَالِكٌ التَّفْسِيرَ، وَأَخَذَهُ عَنْهُ أَيْضًا ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَنْهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ.

و«الْمَرَاسِيلُ» إِذَا تَعَدَّدَتْ طُرُقُهَا وَخَلَتْ عَنِ الْمُوَاطَأَةِ قَصْدًا أَوِ اتِّفَاقًا بِغَيْرِ قَصْدٍ؛ كَانَتْ صَحِيحَةً قَطْعًا.

فَإِنَّ النَّقْلَ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ صِدْقًا مُطَابِقًا لِلْخَبَرِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَذِبًا تَعَمَّدَ صَاحِبُهُ الْكَذِبَ أَوْ أَخْطَأَ فِيهِ؛ فَمَتَىٰ سَلِمَ مِنَ الْكَذِبِ الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ كَانَ صِدْقًا بِلَا رَيْبٍ.

فَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ جَاءَ مِنْ جِهَتَيْنِ، أَوْ جِهَاتٍ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْمُخْبِرِينَ لَمْ يَتَوَاطَأُوا عَلَىٰ اخْتِلَاقِهِ وَعُلِمَ أَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا تَقَعُ الْمُوَافَقَةُ فِيهِ اتِّفَاقًا بِلَا قَصْدٍ عُلِمَ أَنَّهُ صَحِيحٌ.

مِثْلُ شَخْصٍ يُحَدِّثُ عَنْ وَاقِعَةٍ جَرَتْ، وَيَذْكُرُ تَفَاصِيلَ مَا فِيهَا مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ، وَيَأْتِي شَخْصٌ آخَرُ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُوَاطِئْ الأَوَّلَ فَيَذْكُرُ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ الأَوَّلُ مِنْ تَفَاصِيلِ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ؛ فَيُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ حَقٌّ فِي الْجُمْلَةِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا كَذَبَ بِهَا عَمْدًا أَوْ أَخْطَأَ، لَمْ يَتَّفِقْ فِي الْعَادَةِ أَنْ يَأْتِيَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِتِلْكَ التَّفَاصِيلِ الَّتِي تَمْنَعُ الْعَادَةُ اتِّفَاقَ الِاثْنَيْنِ عَلَيْهَا بِلَا مُوَاطَأَةٍ مِنْ أَحَدِهِمَا لِصَاحِبِهِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَتَّفِقُ أَنْ يَنْظِمَ بَيْتًا وَيَنْظِمُ الآخَرُ مِثْلَهُ، أَوْ يَكْذِبَ كِذْبَةً وَيَكْذِبَ الآخَرُ مِثْلَهَا، أَمَّا إِذَا أَنْشَأَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً ذَاتَ فُنُونٍ عَلَىٰ قَافِيَةٍ وَرَوِيٍّ، فَلَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنَّ غَيْرَهُ يُنْشِئُ مِثْلَهَا لَفْظًا وَمَعْنًىٰ، مَعَ الطُّولِ الْمُفْرِطِ؛ بَلْ يُعْلَمُ بِالْعَادَةِ أَنَّهُ أَخَذَهَا مِنْهُ، وَكَذَلِكَ إِذَا حَدَّثَ حَدِيثًا طَوِيلًا فِيهِ فُنُونٌ، وَحَدَّثَ آخَرُ بِمِثْلِهِ، فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ وَاطَأَهُ عَلَيْهِ، أَوْ أَخَذَهُ مِنْهُ، أَوْ يَكُونَ الْحَدِيثُ صِدْقًا.

وَبِهَٰذه الطَّرِيقِ يُعْلَمُ صِدْقُ عَامَّةِ مَا تَتَعَدَّدُ جِهَاتُهُ الْمُخْتَلِفَةُ عَلَىٰ هَٰذا الْوَجْهِ مِنَ الْمَنْقُولَاتِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدُهُمَا كَافِيًا؛ إِمَّا لِإِرْسَالِهِ وَإِمَّا لِضَعْفِ نَاقِلِهِ.

لَكِنَّ مِثْلَ هَٰذا لَا تُضْبَطُ بِهِ الأَلْفَاظُ وَالدَّقَائِقُ الَّتِي لَا تُعْلَمُ بِهَٰذه الطَّرِيقِ؛ بَلْ يَحْتَاجُ ذَلِكَ إِلَىٰ طَرِيقٍ يَثْبُتُ بِهَا مِثْلُ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ وَالدَّقَائِقِ؛ وَلِهَٰذا ثَبَتَتْ «غَزْوَةُ بَدْرٍ» بِالتَّوَاتُرِ وَأَنَّهَا قَبْلَ «أُحُدٍ»؛ بَلْ يُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ: حَمْزَةَ، وَعَلِيًّا، وَأَبَا عُبَيْدَةَ بَرَزُوا إِلَىٰ: عُتْبَةَ، وَشَيْبَةَ، وَالْوَلِيدِ، وَأَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ الْوَلِيدَ، وَأَنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ قِرْنَهُ، ثُمَّ يُشَكُّ فِي قِرْنِهِ هَلْ هُوَ عُتْبَةُ أَمْ شَيْبَةُ؟

وَهَٰذا الأَصْلُ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ، فَإِنَّهُ أَصْلٌ نَافِعٌ فِي الْجَزْمِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَنْقُولَاتِ فِي: «الْحَدِيثِ»، وَ«التَّفْسِيرِ»، وَ«الْمَغَازِي»، وَمَا يُنْقَلُ مِنْ أَقْوَالِ النَّاسِ وَأَفْعَالِهِمْ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَلِهَٰذا إِذَا رُوِيَ الْحَدِيثُ الَّذِي يَتَأَتَّىٰ فِيهِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَجْهَيْنِ -مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ أَحَدَهُمَا لَمْ يَأْخُذْهُ عَنِ الآخَرِ- جُزِمَ بِأَنَّهُ حَقٌّ، لَاسِيَّمَا إِذَا عُلِمَ أَنَّ نَقَلَتَهُ لَيْسُوا مِمَّنْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ، وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَىٰ أَحَدِهِمْ النِّسْيَانُ وَالْغَلَطُ؛ فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الصَّحَابَةَ؛ كَـ: ابْنِ مَسْعُودٍ، وأبيّ بْنِ كَعْبٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَجَابِرٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَغَيْرِهِمْ = عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلَاءِ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَضْلًا عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُمْ؛ كَمَا يَعْلَمُ الرَّجُلُ مِنْ حَالِ مَنْ جَرَّبَهُ وَخَبَرَهُ خِبْرَةً بَاطِنَةً طَوِيلَةً؛ أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يَسْرِقُ أَمْوَالَ النَّاسِ، وَيَقْطَعُ الطَّرِيقَ، وَيَشْهَدُ بِالزُّورِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَكَذَلِكَ «التَّابِعُونَ» بِالْمَدِينَةِ، وَمَكَّةَ، وَالشَّامِ، وَالْبَصْرَةِ، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ مِثْلَ: أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، وَالْأَعْرَجِ، وَسُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ، وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، وَأَمْثَالِهِمْ؛ عَلِمَ قَطْعًا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ فِي الْحَدِيثِ؛ فَضْلًا عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُمْ مِثْلَ: مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، أَوِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَوْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، أَوْ عَبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ، أَوْ عَلْقَمَةَ، أَوْ الْأَسْوَدِ، أَوْ نَحْوِهِمْ.

وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَىٰ الْوَاحِدِ مِنَ الْغَلَطِ؛ فَإِنَّ الْغَلَطَ وَالنِّسْيَانَ كَثِيرًا مَا يَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ، وَمِنَ الْحُفَّاظِ مَنْ قَدْ عَرَفَ النَّاسُ بُعْدَهُ عَنْ ذَلِكَ جِدًّا؛ كَمَا عَرَفُوا حَالَ: الشَّعْبِيِّ، وَالزُّهْرِيِّ، وَعُرْوَةَ، وَقَتَادَةَ، وَالثَّوْرِيِّ، وَأَمْثَالِهِمْ، لَاسِيَّمَا الزُّهْرِيَّ فِي زَمَانِهِ، وَالثَّوْرِيَّ

فِي زَمَانِهِ.

فَإِنَّهُ قَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ: إِنَّ ابْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ لَا يُعْرَفُ لَهُ غَلَطٌ؛ مَعَ كَثْرَةِ حَدِيثِهِ وَسَعَةِ حِفْظِهِ .

والْمَقْصُودُ: أَنَّ الْحَدِيثَ الطَّوِيلَ إِذَا رُوِيَ مَثَلًا مِنْ وَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنْ غَيْرِ مُوَاطَأَةٍ؛ امْتَنَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ غَلَطًا، كَمَا امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا؛ فَإِنَّ الْغَلَطَ لَا يَكُونُ فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي بَعْضِهَا، فَإِذَا رَوَىٰ هَٰذا قِصَّةً طَوِيلَةً مُتَنَوِّعَةً، وَرَوَاهَا الْآخَرُ مِثْلَمَا رَوَاهَا الأَوَّلُ مِنْ غَيْرِ مُوَاطَأَةٍ؛ امْتَنَعَ الْغَلَطُ فِي جَمِيعِهَا، كَمَا امْتَنَعَ الْكَذِبُ فِي جَمِيعِهَا مِنْ غَيْرِ مُوَاطَأَةٍ.

وَلِهَٰذا إِنَّمَا يَقَعُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ غَلَطٌ فِي بَعْضِ مَا جَرَىٰ فِي الْقِصَّةِ؛ مِثْلُ حَدِيثِ اشْتِرَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الْبَعِيرَ مِنْ جَابِرٍ؛ فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ طُرُقَهُ عَلِمَ قَطْعًا أَنَّ الْحَدِيثَ صَحِيحٌ، وَإِنْ كَانُوا قَدْ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ الثَّمَنِ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي: «صَحِيحِهِ».

فَإِنَّ جُمْهُورَ مَا فِي «الْبُخَارِيِّ» وَ«مُسْلِم» مِمَّا يُقْطَعُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ؛ لأَنَّ غَالِبَهُ مِنْ هَٰذا النَّحْوِ؛ وَلأَنَّهُ قَدْ تَلَقَّاهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، وَالأُمَّةُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَىٰ خَطَإٍ؛ فَلَوْ كَانَ الْحَدِيثُ كَذِبًا فِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ وَالأُمَّةُ مُصَدِّقَةٌ لَهُ قَابِلَةٌ لَهُ ،لَكَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ تَصْدِيقِ مَا هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ كَذِبٌ، وَهَٰذا إِجْمَاعٌ عَلَىٰ الخَطَإِ، وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ، وَإِنْ كُنَّا نَحْنُ بِدُونِ الإِجْمَاعِ نُجَوِّزُ الْخَطَأَ أَوْ الْكَذِبَ عَلَىٰ الْخَبَرِ؛ فَهُوَ كَتَجْوِيزِنَا قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ الإِجْمَاعَ عَلَىٰ الْعِلْمِ الَّذِي ثَبَتَ بِـ«ظَاهِرٍ» أَوْ «قِيَاسٍ ظَنِّيٍّ» -أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ فِي الْبَاطِنِ؛ بِخِلَافِ مَا اعْتَقَدْنَاهُ-، فَإِذَا أَجْمَعُوا عَلَىٰ الْحُكْمِ جَزَمْنَا بِأَنَّ الْحُكْمَ ثَابِتٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

وَلِهَٰذا كَانَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ عَلَىٰ أَنَّ «خَبَرَ الْوَاحِدِ» إِذَا تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ؛ تَصْدِيقًا لَهُ، أَوْ عَمَلًا بِهِ؛ أَنَّهُ يُوجِبُ الْعِلْمَ، وَهَٰذا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُونَ فِي «أُصُولِ الْفِقْهِ» مِنْ أَصْحَابِ: أَبِي حَنِيفَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، إِلَّا فِرْقَةً قَلِيلَةً مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ طَائِفَةً مِنْ «أَهْلِ الْكَلَامِ» أَنْكَرُوا ذَلِكَ؛ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْ «أَهْلِ الْكَلَامِ» أَوْ أَكْثَرَهُمْ يُوَافِقُونَ «الْفُقَهَاءَ» وَ«أَهْلَ الْحَدِيثِ» وَ«السَّلَفَ» عَلَىٰ ذَلِكَ.

وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ «الْأَشْعَرِيَّةِ» كَـ: أَبِي إِسْحَاقَ، وَابْنِ فُورَك.
وَأَمَّا ابْنُ البَاقْلَانِيِّ فَهُوَ الَّذِي أَنْكَرَ ذَلِكَ، وَتَبِعَهُ مِثْلُ: أَبِي الْمَعَالِي، وَأَبِي حَامِدٍ، وَابْنِ عَقِيلٍ، وَابْنِ الْجَوْزِيِّ، وَابْنِ الْخَطِيبِ، وَالْآمِدِيِّ، وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ.
وَالأَوَّلُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ، وَأَبُو الطَّيِّبِ، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَأَمْثَالُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ.
وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ، وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ.
وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ شَمْسُ الدِّينِ السَّرْخَسِيُّ، وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ.
وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو يَعْلَىٰ، وَأَبُو الْخَطَّابِ، وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ الزَّاغُونِيِّ، وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الْحَنْبَلِيَّةِ.
وَإِذَا كَانَ الْإِجْمَاعُ عَلَىٰ تَصْدِيقِ الْخَبَرِ مُوجِبًا لِلْقَطْعِ بِهِ، فَالِاعْتِبَارُ فِي ذَلِكَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ؛ كَمَا أَنَّ الاعْتِبَارَ بِالإِجْمَاعِ عَلَىٰ الأَحْكَامِ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالإِبَاحَةِ.
وَالْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّ تَعَدُّدَ الطُّرُقِ مَعَ عَدَمِ التَّشَاعُرِ أَوْ الِاتِّفَاقِ فِي الْعَادَةِ؛ يُوجِبُ الْعِلْمَ بِمَضْمُونِ الْمَنْقُولِ؛ لَكِنَّ هَـٰذَا يُنْتَفَعُ بِهِ كَثِيرًا فِي عِلْمِ أَحْوَالِ النَّاقِلِينَ.
وَفِي مِثْلِ هَـٰذَا يُنْتَفَعُ بِرِوَايَةِ «الْمَجْهُولِ» وَ«السَّيِّئِ الْحِفْظِ»، وَبِـ«الْحَدِيثِ الْمُرْسَلِ» وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ وَلِهَـٰذَا كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَكْتُبُونَ مِثْلَ هَـٰذِهِ الأَحَادِيثِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يَصْلُحُ لِلشَّوَاهِدِ وَالِاعْتِبَارِ مَا لَا يَصْلُحُ لِغَيْرِهِ.
قَالَ أَحْمَدُ: (قَدْ أَكْتُبُ حَدِيثَ الرَّجُلِ لأَعْتَبِرَهُ)، وَمَثَّلَ ذَلِكَ بِـ«عَبْدِ اللهِ بْنِ لَهِيعَةَ» قَاضِي «مِصْرَ»؛ فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ حَدِيثًا، وَمِنْ خِيَارِ النَّاسِ؛ لَكِنْ بِسَبَبِ احْتِرَاقِ كُتُبِهِ وَقَعَ فِي حَدِيثِهِ الْمُتَأَخِّرِ غَلَطٌ، فَصَارَ يُعْتَبَرُ بِذَلِكَ وَيُسْتَشْهَدُ بِهِ.
وَكَثِيرًا مَا يَقْتَرِنُ هُوَ وَ«اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ» وَاللَّيْثُ حُجَّةٌ، ثَبْتٌ، إِمَامٌ.
وَكَمَا أَنَّهُمْ يَسْتَشْهِدُونَ وَيَعْتَبِرُونَ بِحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ «سُوءُ حِفْظٍ»، فَإِنَّهُمْ أَيْضًا يُضَعِّفُونَ مِنْ حَدِيثِ الثِّقَةِ الصَّدُوقِ الضَّابِطِ أَشْيَاءَ تَبَيَّنَ لَهُمْ غَلَطُهُ فِيهَا بِأُمُورٍ يَسْتَدِلُّونَ بِهَا وَيُسَمُّونَ هَـٰذَا عِلْمَ عِلَلِ الْحَدِيثِ؛ وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ عُلُومِهِمْ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ ثِقَةٌ ضَابِطٌ وَغَلِطَ فِيهِ، وَغَلَطُهُ فِيهِ عُرِفَ، إِمَّا بِسَبَبٍ ظَاهِرٍ؛ كَمَا عَرَفُوا: «أَنَّ

النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ».
وَأَنَّهُ «صَلَّىٰ فِي الْبَيْتِ رَكْعَتَيْنِ»، وَجَعَلُوا رِوَايَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ لِتَزَوُّجِهَا حَرَامًا، وَكَوْنَهُ لَمْ يُصَلِّ؛ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلَطُ.
وَكَذَلِكَ «أَنَّهُ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ»، وَعَلِمُوا أَنَّ قَوْلَ ابْنِ عُمَرَ: «إِنَّهُ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ»؛ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلَطُ.
وَعَلِمُوا أَنَّهُ تَمَتَّعَ وَهُوَ «آمِنٌ» فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وَأَنَّ قَوْلَ عُثْمَانَ لِعَلِيٍّ: (كُنَّا يَوْمَئِذٍ خَائِفِينَ)؛ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلَطُ.
وَأَنَّ مَا وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ «الْبُخَارِيِّ»: «أَنَّ النَّارَ لَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ»؛ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلَطُ.
وَهَٰذَا كَثِيرٌ.
وَالنَّاسُ فِي هَٰذَا الْبَابِ طَرَفَانِ:
طَرَفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَعْرِفَةِ «الْحَدِيثِ» وَأَهْلِهِ، لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ «الصَّحِيحِ» وَ«الضَّعِيفِ»؛ فَيَشُكُّ فِي صِحَّةِ أَحَادِيثَ، أَوْ فِي الْقَطْعِ بِهَا؛ مَعَ كَوْنِهَا مَعْلُومَةً مَقْطُوعًا بِهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ.
وَطَرَفٌ مِمَّنْ يَدَّعِي اتِّبَاعَ الْحَدِيثِ وَالْعَمَلَ بِهِ، كُلَّمَا وَجَدَ لَفْظًا فِي حَدِيثٍ قَدْ رَوَاهُ «ثِقَةٌ» أَوْ رَأَىٰ حَدِيثًا بِإِسْنَادٍ ظَاهِرُهُ الصِّحَّةُ، يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ مَا جَزَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ، حَتَّىٰ إِذَا عَارَضَ «الصَّحِيحَ» الْمَعْرُوفَ أَخَذَ يَتَكَلَّفُ لَهُ التَّأْوِيلَاتِ الْبَارِدَةَ، أَوْ يَجْعَلُهُ دَلِيلًا فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ؛ مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ أَنَّ مِثْلَ هَٰذَا غَلَطٌ.
وَكَمَا أَنَّ عَلَىٰ الْحَدِيثِ أَدِلَّةً يُعْلَمُ بِهَا أَنَّهُ صِدْقٌ، وَقَدْ يُقْطَعُ بِذَلِكَ؛ فَعَلَيْهِ أَدِلَّةٌ يُعْلَمُ بِهَا أَنَّهُ كَذِبٌ، وَيُقْطَعُ بِذَلِكَ؛ مِثْلُ مَا يُقْطَعُ بِكَذِبِ مَا يَرْوِيهِ الْوَضَّاعُونَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْغُلُوِّ فِي «الْفَضَائِلِ»:
مِثْلَ حَدِيثِ «يَوْمِ عَاشُورَاءَ» وَأَمْثَالِهِ مِمَّا فِيهِ: «أَنَّ مَنْ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ كَذَا وَكَذَا نَبِيًّا».
وَفِي «التَّفْسِيرِ» مِنْ هَٰذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ؛ مِثْلُ الْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِيهِ «الثَّعْلَبِيُّ»

وَ«الْوَاحِدِيُّ» و«الزَّمَخْشَرِي» فِي فَضَائِلِ سُوَرِ الْقُرْآنِ سُورَةً سُورَةً؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

والثَّعْلَبِيُّ هُوَ فِي نَفْسِهِ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ وَدِينٌ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ حَاطِبَ لَيْلٍ يَنْقُلُ مَا وَجَدَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ مِنْ صَحِيحٍ وَضَعِيفٍ وَمَوْضُوعٍ.

والْوَاحِدِيُّ صَاحِبُهُ كَانَ أَبْصَرَ مِنْهُ بِالْعَرَبِيَّةِ؛ لَكِنْ هُوَ أَبْعَدُ عَنِ السَّلامَةِ وَاتِّبَاعِ السَّلَفِ.

وَالْبَغَوِيُّ تَفْسِيرُهُ مُخْتَصَرٌ عَنِ الثَّعْلَبِيِّ؛ لَكِنَّهُ صَانَ تَفْسِيرَهُ عَنِ الأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ وَالْآرَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ.

وَ«الْمَوْضُوعَاتُ» فِي «كُتُبِ التَّفْسِيرِ» كَثِيرَةٌ.

مِنْهَا الأَحَادِيثُ الْكَثِيرَةُ الصَّرِيحَةُ فِي الْجَهْرِ بِالْبَسْمَلَةِ، وَحَدِيثُ عَلِيٍّ الطَّوِيلِ فِي تَصَدُّقِهِ بِخَاتَمِهِ فِي الصَّلاةِ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَمِثْلُ مَا رُوِيَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾ [الرَّعد]: أَنَّهُ عَلِيٌّ، ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾ [الحاقَّة]، أُذُنُكَ يَا عَلِيُّ.

فَصْلٌ فِي النَّوْعُ الثَّانِي: الخِلافُ الوَاقِعُ فِي التَّفْسِيرِ مِنْ جِهَةِ الاسْتِدْلالِ

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي مِنْ مُسْتَنَدَيْ الِاخْتِلَافِ، وَهُوَ مَا يُعْلَمُ بِالاسْتِدْلَالِ لا بِالنَّقْلِ، فَهَٰذَا أَكْثَرُ مَا فِيهِ الْخَطَأُ مِنْ جِهَتَيْنِ حَدَثَتَا بَعْدَ تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ؛ فَإِنَّ التَّفَاسِيرَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَلَامُ هَؤُلَاءِ صِرْفًا لَا يَكَادُ يُوجَدُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ؛ مِثْلُ: «تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ» وَ«وَكِيعٍ» وَ«عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ» وَ«عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ دُحَيْمٍ»، وَمِثْلُ: «تَفْسِيرِ الإِمَامِ أَحْمَدَ»، وَ«إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُويَه»، وَ«بَقِي بْنِ مَخْلَدٍ»، وَ«أَبِي بَكْرِ بْنِ الْمُنْذِرِ»، وَ«سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ»، وَ«سُنَيدٍ»، وَ«ابْنِ جَرِيرٍ»، وَ«ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ»، وَ«أَبِي سَعِيدٍ الأَشَجِّ»، وَ«أَبِي عَبْدِ اللهِ بْنِ مَاجَه»، وَ«ابْنِ مَرْدَوَيْه»:

إِحْدَاهُمَا: قَوْمٌ اعْتَقَدُوا مَعَانِيَ ثُمَّ أَرَادُوا حَمْلَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا.

وَالثَّانِيَةُ: قَوْمٌ فَسَّرُوا «الْقُرْآنَ» بِمُجَرَّدِ مَا يُسَوِّغُ أَنْ يُرِيدَهُ بِكَلَامِهِ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاطِقِينَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَىٰ الْمُتَكَلِّمِ بِالْقُرْآنِ وَالْمُنْزَلِ عَلَيْهِ وَالْمُخَاطَبِ بِهِ.

فَالْأَوَّلُونَ رَاعَوْا الْمَعْنَىٰ الَّذِي رَأَوْهُ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَىٰ مَا تَسْتَحِقُّهُ أَلْفَاظُ «الْقُرْآنِ» مِنَ الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ.

وَالآخِرُونَ رَاعَوْا مُجَرَّدَ اللَّفْظِ، وَمَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْعَرَبِيُّ، مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَىٰ مَا يَصْلُحُ لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ وَسِيَاقِ الْكَلَامِ.

ثُمَّ هَؤُلَاءِ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ فِي احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِذَلِكَ الْمَعْنَىٰ فِي اللُّغَةِ؛ كَمَا يَغْلَطُ فِي ذَلِكَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ.

كَمَا أَنَّ الأَوَّلِينَ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ فِي صِحَّةِ الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ الَّذِي فَسَّرُوا بِهِ «الْقُرْآنَ» كَمَا يَغْلَطُ فِي ذَلِكَ الْآخِرُونَ، وَإِنْ كَانَ نَظَرُ الْأَوَّلِينَ إِلَىٰ الْمَعْنَىٰ أَسْبَقَ، وَنَظَرُ الْآخِرِينَ إِلَىٰ اللَّفْظِ أَسْبَقُ.

وَالْأَوَّلُونَ صِنْفَانِ: تَارَةً يَسْلُبُونَ لَفظَ الْقُرْآنِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَأُرِيدَ بِهِ.

وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ عَلَىٰ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يُرَدْ بِهِ.

وَفِي كَلَا الْأَمْرَيْنِ قَدْ يَكُونُ مَا قَصَدُوا نَفْيَهُ أَوْ إِثْبَاتَهُ مِنَ الْمَعْنَىٰ بَاطِلًا؛ فَيَكُونُ خَطَؤُهُمْ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ.

وَقَدْ يَكُونُ حَقًّا فَيَكُونُ خَطَؤُهُمْ فِي الدَّلِيلِ لَا فِي الْمَدْلُولِ.

وَهَٰذَا كَمَا أَنَّهُ وَقَعَ فِي «تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»، فَإِنَّهُ وَقَعَ أَيْضًا فِي «تَفْسِيرِ الْحَدِيثِ».

فَالَّذِينَ أَخْطَؤُوا فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ مِثْلُ طَوَائِفَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ؛ اعْتَقَدُوا مَذْهَبًا يُخَالِفُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ الَّذِينَ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ، كَسَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا، وَعَمَدُوا إِلَىٰ الْقُرْآنِ فَتَأَوَّلُوهُ عَلَىٰ آرَائِهِمْ؛ تَارَةً يَسْتَدِلُّونَ بِآيَاتٍ عَلَىٰ مَذْهَبِهِمْ وَلَا دِلَالَةَ فِيهَا، وَتَارَةً يَتَأَوَّلُونَ مَا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُمْ بِمَا يُحَرِّفُونَ بِهِ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ فِرَقُ الْخَوَارِجِ، وَالرَّوَافِضِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةِ، وَغَيْرِهِمْ.

وَهَٰذَا كَالْمُعْتَزِلَةِ مَثَلًا؛ فَإِنَّهُمْ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ كَلَامًا وَجِدَالًا، وَقَدْ صَنَّفُوا تَفَاسِيرَ عَلَىٰ أُصُولِ مَذْهَبِهِمْ؛ مِثْلَ: «تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَيْسَانَ الأَصَمِّ» -شَيْخِ إِبْرَاهِيمَ

بْـنِ إِسْـمَاعِيلَ بْـنِ عُلَيَّةَ الَّـذِي كَانَ يُنَاظِـرُ الشَّـافِعِيَّ-، وَمِثْلَ: «كِتَـابِ أَبِي عَلِـيٍّ الجُبَّائِيِّ»، وَ«التَّفْسِـيرِ الْكَبِيـرِ» لِلْقَاضِـي عَبْـدِ الْجَبَّارِ بْـنِ أَحْمَـدَ الهَمْدَانِـي، وَ«الجَامِعِ لِعِلْـمِ القُرْآنِ» لِعَلِـيِّ بْـنِ عِيسَـىٰ الرُّمَّانِـيِّ، وَ«الْكَشَّـافِ» لِأَبِـي الْقَاسِـمِ الزَّمَخْشَـرِي، فَهَـؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُـمْ اعْتَقَـدُوا مَذَاهِـبَ الْمُعْتَزِلَةِ.

وَأُصُـولُ الْمُعْتَزِلَـةِ خَمْسَـةٌ يُسَـمُّونَهَا هُـمْ: التَّوْحِيـدَ، وَالْعَـدْلَ، وَالْمَنْزِلَـةَ بَيْـنَ المَنْزِلَتَيْـنِ، وَإِنْفَـاذَ الْوَعِيـدِ، وَالأَمْـرَ بِالْمَعْـرُوفِ وَالنَّهْـيَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ.

وَ«تَوْحِيدُهُمْ» هُوَ تَوْحِيدُ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِي مَضْمُونُهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

قَالُـوا: إِنَّ اللهَ لَا يُـرَىٰ، وَإِنَّ الْقُـرْآنَ مَخْلُـوقٌ، وَإِنَّـهُ تَعَالَـىٰ لَيْسَ فَـوْقَ الْعَالَمِ، وَإِنَّـهُ لَا يَقُومُ بِـهِ عِلْـمٌ، وَلا قُـدْرَةٌ، وَلَا حَيَـاةٌ، وَلَا سَـمْعٌ، وَلَا بَصَـرٌ، وَلَا كَلَامٌ، وَلَا مَشِـيئَةٌ، وَلَا صِفَةٌ مِنَ الصِّفَاتِ.

وَأَمَّـا «عَدْلُهُـمْ» فَمِـنْ مَضْمُونِـهِ أَنَّ اللهَ لَمْ يَشَـأْ جَمِيعَ الْكَائِنَـاتِ، وَلَا خَلَقَهَا كُلَّهَـا، وَلَا هُوَ قَـادِرٌ عَلَيْهَـا كُلِّهَا؛ بَـلْ عِنْدَهُمْ أَفْعَـالُ الْعِبَادِ لَـمْ يَخْلُقْهَـا اللهُ، لَا خَيْرَهَا وَلَا شَـرَّهَا، وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا مَـا أَمَـرَ بِهِ شَـرْعًا، وَمَا سِـوَىٰ ذَلِـكَ فَإِنَّهُ يَكُـونُ بِغَيْرِ مَشِـيئَتِه.

وَقَـدْ وَافَقَهُـمْ عَلَـىٰ ذَلِـكَ مُتَأَخِّـرُو الشِّـيعَةِ كَالْمُفِيـدِ، وَأَبِـي جَعْفَـرٍ الطُّوسِـيِّ، وَأَمْثَالِهِمَـا، وَلِأَبِـي جَعْفَـرٍ هَـٰذَا «تَفْسِـيرٌ» عَلَـىٰ هَـٰذِهِ الطَّرِيقَـةِ؛ لَكِـنْ يَضُمُّ إِلَـىٰ ذَلِـكَ قَـوْلَ الْإِمَامِيَّةِ الِاثْنَـيْ عَشَـرِيَّةَ؛ فَـإِنَّ الْمُعْتَزِلَـةَ لَيْسَ فِيهِـمْ مَنْ يَقُـولُ بِذَلِكَ، وَلَا مَـنْ يُنْكِرُ خِلَافَـةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَـرَ وَعُثْمَـانَ وَعَلِيٍّ.

وَمِـنْ أُصُـولِ الْمُعْتَزِلَـةِ مَـعَ الْخَوَارِجِ «إِنْفَـاذُ الْوَعِيدِ فِي الآخِـرَةِ»، وَأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَـلُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ شَـفَاعَةً، وَلَا يُخْـرِجُ مِنْهُمْ أَحَـدًا مِنَ النَّارِ.

وَلَا رَيْـبَ أَنَّـهُ قَـدْ رَدَّ عَلَيْهِـمْ طَوَائِـفُ مِـنَ الْمُرْجِئَـةِ والكَرَّامِيَّـة والكُلَّابِيَّـة وَأَتْبَاعِهِـمْ؛ فَأَحْسَـنُوا تَـارَةً وَأَسَـاؤُوا أُخْـرَىٰ؛ حَتَّـىٰ صَـارُوا فِـي طَرَفَيْ نَقِيـضٍ؛ كَمَا قَدْ بُسِـطَ فِـي غَيْرِ هَـٰذَا الْمَوْضِعِ.

وَالْمَقْصُـودُ: أَنَّ مِثْـلَ هَـؤُلَاءِ اعْتَقَـدُوا رَأْيًـا ثُـمَّ حَمَلُـوا أَلْفَـاظَ الْقُـرْآنِ عَلَيْـهِ، وَلَيْـسَ لَهُـمْ سَـلَفٌ مِـنَ الصَّحَابَـةِ وَالتَّابِعِيـنَ لَهُمْ بِإِحْسَـانٍ، وَلَا مِـنْ أَئِمَّةِ الْمُسْـلِمِينَ، لَا فِـي رَأْيِهِمْ وَلَا فِي تَفْسِـيرِهِمْ.

وَمَا مِنْ تَفْسِيرٍ مِنْ تَفَاسِيرِهِمْ الْبَاطِلَةِ إِلَّا وَبُطْلَانُهُ يَظْهَرُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ؛ وَذَلِكَ مِنْ جِهَتَيْنِ:

تَارَةً مِنَ الْعِلْمِ بِفَسَادِ قَوْلِهِمْ.

وَتَارَةً مِنَ الْعِلْمِ بِفَسَادِ مَا فَسَّرُوا بِهِ الْقُرْآنَ؛ إِمَّا دَلِيلًا عَلَىٰ قَوْلِهِمْ، أَوْ جَوَابًا عَلَىٰ الْمُعَارِضِ لَهُمْ.

وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ الْعِبَارَةِ فَصِيحًا يَدُسُّ الْبِدَعَ فِي كَلَامِهِ -وَأَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ-؛ كَصَاحِبِ «الْكَشَّافِ» وَنَحْوِهِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ يَرُوجُ عَلَىٰ خَلْقٍ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَا يَعْتَقِدُ الْبَاطِلَ مِنْ تَفَاسِيرِهِمْ الْبَاطِلَةِ مَا شَاءَ اللهُ.

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ مَنْ يَذْكُرُ فِي كِتَابِهِ وَكَلَامِهِ مِنْ تَفْسِيرِهِمْ مَا يُوَافِقُ أُصُولَهُمْ الَّتِي يَعْلَمُ أَوْ يَعْتَقِدُ فَسَادَهَا، وَلَا يَهْتَدِي لِذَلِكَ.

ثُمَّ إِنَّهُ بِسَبَبِ تَطَرُّفِ هَؤُلَاءِ وَضَلَالِهِمْ دَخَلَتِ الرَّافِضَةُ الإِمَامِيَّةُ، ثُمَّ الْفَلَاسِفَةُ، ثُمَّ الْقَرَامِطَةُ وَغَيْرُهُمْ؛ فِيمَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ، وَتَفَاقَمَ الأَمْرُ فِي الْفَلَاسِفَةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالرَّافِضَةِ؛ فَإِنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِأَنْوَاعٍ لَا يَقْضِي مِنْهَا الْعَالِمُ عَجَبًا.

فَتَفْسِيرُ الرَّافِضَةِ كَقَوْلِهِمْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾[المسد] وَهُمَا: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

وَ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[الزُّمر:٦٥]؛ أَيْ: بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيٍّ فِي الْخِلَافَةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً﴾[البقرة:٦٧]، هِيَ: عَائِشَةُ.

وَ: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾[التَّوبة:١٢] طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ.

وَ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾[الفرقان:٥٣] عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ.

وَ: ﴿ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢﴾[الرَّحمٰن] الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾[يس] فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

وَ: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾[النَّبأ] عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

وَ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥﴾[المائدة]، هُوَ عَلِيٌّ، وَيَذْكُرُونَ الْحَدِيثَ الْمَوْضُوعَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ وَهُوَ تَصَدُّقُهُ بِخَاتَمِهِ فِي الصَّلَاةِ.

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾[البقرة:١٥٧]، نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ لَمَّا أُصِيبَ بِحَمْزَةِ.

وَمِمَّا يُقَارِبُ هَٰذا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ مَا يَذْكُرُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾[آل عمران]، أَنَّ الصَّابِرِينَ رَسُولُ اللهِ، وَالصَّادِقِينَ أَبُو بَكْرٍ، وَالْقَانِتِينَ عُمَرُ، وَالْمُنْفِقِينَ عُثْمَانُ، وَالْمُسْتَغْفِرِين عَلِيٌّ.

وَفِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾: أَبُو بَكْرٍ، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ﴾: عُمَرُ، ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾: عُثْمَانُ، ﴿تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾[الفتح:٢٩]: عَلِيٌّ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: ﴿وَٱلتِّينِ﴾: أَبُو بَكْرٍ، ﴿وَٱلزَّيۡتُونِ﴾: عُمَرُ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ ٢﴾: عُثْمَانُ، ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣﴾[التين]: عَلِيٌّ.

وَأَمْثَالُ هَٰذِهِ الْخُرَافَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ:

تَارَةً تَفْسِيرَ اللَّفْظِ بِمَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ بِحَالٍ؛ فَإِنَّ هَٰذه الأَلْفَاظَ الَّتِي لا تَدُلُّ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ الأَشْخَاصِ بِحَالٍ.

وقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا﴾ كُلُّ ذَلِكَ نَعْتٌ لِلَّذِينَ مَعَهُ، وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا النُّحَاةُ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ.

والْمَقْصُودُ هُنَا: أَنَّهَا كُلَّهَا صِفَاتٌ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ وَهُمْ الَّذِينَ مَعَهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهَا مُرَادًا بِهِ شَخْصًا وَاحِدًا.

وَتَتَضَمَّنُ تَارَةً جَعْلَ اللَّفْظِ الْمُطْلَقِ الْعَامِّ مُنْحَصِرًا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ؛ كَقَوْلِهِمْ: إنَّ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أُرِيدَ بِهَا عَلِيٌّ وَحْدَهُ.

وَقَوْلُ بَعْضِهِمْ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾[الزُّمر:٣٣]، أُرِيدَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ وَحْدَهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَ﴾[الحديد:١٠]، أُرِيدَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ وَحْدَهُ، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

وَ«تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ» وَأَمْثَالِهِ أَتْبَعُ لِلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَسْلَمُ مِنَ الْبِدْعَةِ مِنْ «تَفْسِيرِ الزَّمَخْشَرِي»، وَلَوْ ذَكَرَ كَلَامَ السَّلَفِ الْمَوْجُودَ فِي التَّفَاسِيرِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ عَلَىٰ وَجْهِهِ

لَكَانَ أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ؛ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَنْقُلُ مِنْ «تَفْسِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ»، وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ التَّفَاسِيرِ الْمَأْثُورَةِ وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا، ثُمَّ إِنَّهُ يَدَعُ مَا نَقَلَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ السَّلَفِ لَا يَحْكِيهِ بِحَالٍ، وَيَذْكُرُ مَا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَوْلُ الْمُحَقِّقِينَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِمْ طَائِفَةً مِنْ «أَهْلِ الْكَلَامِ» الَّذِينَ قَرَّرُوا أُصُولَهُمْ بِطُرُقٍ مِنْ جِنْسِ مَا قَرَّرَتْ بِهِ الْمُعْتَزِلَةُ أُصُولَهُمْ، وَإِنْ كَانُوا أَقْرَبَ إِلَىٰ السُّنَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ؛ لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْطَىٰ كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَيُعْرَفَ أَنَّ هَٰذَا مِنْ جُمْلَةِ التَّفْسِيرِ عَلَىٰ الْمَذْهَبِ؛ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَالأَئِمَّةَ إِذَا كَانَ لَهُمْ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ قَوْلٌ وَجَاءَ قَوْمٌ فَسَّرُوا الآيَةَ بِقَوْلٍ آخَرَ لأَجْلِ مَذْهَبٍ اعْتَقَدُوهُ -وَذَلِكَ الْمَذْهَبُ لَيْسَ مِنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ- صَارُوا مُشَارِكِينَ لِلْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ مِنْ مِثْلِ هَٰذَا.

وَفِي الْجُمْلَةِ مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَىٰ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ؛ كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ؛ بَلْ مُبْتَدِعًا، وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَغْفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ، فَالْمَقْصُودُ بَيَانُ طُرُقِ الْعِلْمِ وَأَدِلَّتِهِ وَطُرُقِ الصَّوَابِ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ قَرَأَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُوهُمْ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِتَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ، كَمَا أَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، فَمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَفَسَّرَ الْقُرْآنَ بِخِلَافِ تَفْسِيرِهِمْ؛ فَقَدْ أَخْطَأَ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ جَمِيعًا.

وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ كُلُّ مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ لَهُ شُبْهَةٌ يَذْكُرُهَا؛ إِمَّا عَقْلِيَّةٌ، وَإِمَّا سَمْعِيَّةٌ؛ كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.

وَالْمَقْصُودُ هُنَا: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ مَثَارِ الِاخْتِلَافِ فِي التَّفْسِيرِ، وَأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهِ: الْبِدَعَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي دَعَتْ أَهْلَهَا إِلَىٰ أَنْ حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَفَسَّرُوا كَلَامَ اللهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِغَيْرِ مَا أُرِيدَ بِهِ، وَتَأَوَّلُوهُ عَلَىٰ غَيْرِ تَأْوِيلِهِ.

فَمِنْ أُصُولِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ:

أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ الْقَوْلَ الَّذِي خَالَفُوهُ، وَأَنَّهُ الْحَقُّ.

وَأَنْ يَعْرِفَ أَنَّ تَفْسِيرَ السَّلَفِ يُخَالِفُ تَفْسِيرَهُمْ.

وَأَنْ يَعْرِفَ أَنَّ تَفْسِيرَهُمْ مُحْدَثٌ مُبْتَدَعٌ.

ثُمَّ أَنْ يَعْرِفَ بِالطُّرُقِ الْمُفَصَّلَةِ فَسَادَ تَفْسِيرِهِمْ بِمَا نَصَبَهُ اللهُ مِنَ الأَدِلَّةِ عَلَىٰ بَيَانِ الْحَقِّ.

وَكَذَلِكَ وَقَعَ مِنَ الَّذِينَ صَنَّفُوا فِي «شَرْحِ الْحَدِيثِ» وَتَفْسِيرِهِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ جِنْسِ مَا وَقَعَ فِيمَا صَنَّفُوهُ مِنْ شَرْحِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يُخْطِئُونَ فِي الدَّلِيلِ لَا فِي الْمَدْلُولِ؛ فَمِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالْوُعَّاظِ وَالْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ، يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِمَعَانٍ صَحِيحَةٍ؛ لَكِنَّ الْقُرْآنَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهَا؛ مِثْلُ كَثِيرٍ مِمَّنْ ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِي فِي «حَقَائِقِ التَّفْسِيرِ»، وَإِنْ كَانَ فِيمَا ذَكَرُوهُ مَا هُوَ مَعَانٍ بَاطِلَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْخُلُ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْخَطَأُ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ جَمِيعًا حَيْثُ يَكُونُ الْمَعْنَىٰ الَّذِي قَصَدُوهُ فَاسِدًا.

فَصْلٌ فِي أَحْسَنِ طُرُقِ التَّفْسِيرِ

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ:

أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ، فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَمَا اخْتُصِرَ فِي مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

فَإِنْ أَعْيَاكَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِـ«السُّنَّةِ»؛ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ، وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ؛ بَلْ قَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ: كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾[النِّسَاء].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النَّحل].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٦٤﴾[النَّحل]؛ وَلِهَٰذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**» يَعْنِي السُّنَّةَ.

وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ لَا أَنَّهَا تُتْلَىٰ كَمَا يُتْلَىٰ.

وَقَدْ اسْتَدَلَّ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الأَئِمَّةِ عَلَىٰ ذَلِكَ بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ، لَيْسَ هَـٰذَا مَوْضِعَ ذَلِكَ.

وَالْغَرَضُ: أَنَّكَ تَطْلُبُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ مِنْهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَمِنَ السُّنَّةِ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَىٰ الْيَمَنِ: «بِمَ تَحْكُمُ؟»

قَالَ: بِكِتَابِ اللهِ.

قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟»

قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ.

قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟»

قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي.

قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِصَدْرِهِ، وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللهِ».

وَهَـٰذَا الحَدِيثُ فِي المَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَحِينَئِذٍ إِذَا لَمْ تَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ رَجِعْتَ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ؛ فَإِنَّهُمْ أَدْرَىٰ بِذَلِكَ، لِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْقَرَائِنِ، وَالأَحْوَالِ الَّتِي اخْتُصُّوا بِهَا؛ وَلِمَا لَهُمْ مِنَ الْفَهْمِ التَّامِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لَاسِيَّمَا عُلَمَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ؛ كَالأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ؛ مِثْلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ، أَنْبَأَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي الضُّحَىٰ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ -يَعْنِي: ابْنَ مَسْعُودٍ-: وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَا نَزَلَتْ، وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللهِ مِنِّي تَنَالُهُ الْمَطَايَا لَأَتَيْتُهُ.

وَقَالَ الأَعْمَشُ أَيْضًا عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ، حَتَّىٰ يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ.

وَمِنْهُمُ الْحَبْرُ الْبَحْرُ: عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَ«تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ» بِبَرَكَةِ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ، حَيْثُ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالَ: أَنْبَأَنَا وَكِيعٌ، قَالَ: أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمٍ، قَالَ عَبْدُ اللهِ -يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ-: نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ.

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ دَاوُدَ، عَنْ إِسْحَاقَ الْأَزْرَقِ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ أَبِي الضُّحَىٰ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّهُ قَالَ: نِعْمَ التُّرْجُمَانُ لِلْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ.

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ بُنْدَارٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ، عَنِ الأَعْمَشِ بِهِ كَذَلِكَ.

فَهَـٰذَا «إِسْنَادٌ صَحِيحٌ» إِلَىٰ ابْنِ مَسْعُودٍ؛ أَنَّهُ قَالَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَـٰذِهِ الْعِبَارَةُ، وَقَدْ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ عَلَىٰ الصَّحِيحِ، وَعُمِّرَ بَعْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَمَا ظَنُّك بِمَا كَسَبَهُ مِنَ الْعُلُومِ بَعْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ؟

وَقَالَ الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ: اسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَىٰ الْمَوْسِمِ؛ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَرَأَ فِي خُطْبَتِهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ -وَفِي رِوَايَةٍ: سُورَةَ النُّورِ- فَفَسَّرَهَا تَفْسِيرًا لَوْ سَمِعَتْهُ الرُّومُ وَالتُّرْكُ وَالدَّيْلَمُ لَأَسْلَمُوا.

وَلِهَـٰذَا فَإِنَّ غَالِبَ مَا يَرْوِيهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيُّ الْكَبِيرُ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ.

وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ يُنْقَلُ عَنْهُمْ مَا يَحْكُونَهُ مِنْ أَقَاوِيلِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّتِي أَبَاحَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو.

وَلِهَـٰذَا كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو قَدْ أَصَابَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ زَامِلَتَيْنِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَكَانَ يُحَدِّثُ مِنْهُمَا، بِمَا فَهِمَهُ مِنْ هَـٰذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْإِذْنِ فِي ذَلِكَ.

وَلَكِنَّ هـٰذِهِ الأَحَادِيثَ الْإِسْرَائِيلِيَّة تُذْكَرُ لِلاسْتِشْهَادِ لَا لِلاعْتِقَاد فَإِنَّهَا عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

أَحَدُهَا: مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ، فَذَاكَ صَحِيحٌ.

وَالثَّانِي: مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ.

وَالثَّالِثُ: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ، لَا مِنْ هَـٰذَا الْقَبِيلِ، وَلَا مِنْ هَـٰذَا الْقَبِيلِ، فَلَا نُؤْمِنُ بِهِ، وَلَا نُكَذِّبُهُ، وَتَجُوزُ حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ، وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِيهِ تَعُودُ إِلَىٰ أَمْرٍ

دِينِيٍّ.

وَلِهَـٰذا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مِثْلِ هـٰذا كَثِيرًا، وَيَأْتِي عَنِ الْمُفَسِّرِينَ خِلَافٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ؛ كَمَا يَذْكُرُونَ فِي مِثْلِ هـٰذا أَسْمَاءَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَلَوْنَ كَلْبِهِمْ، وَعِدَّتَهُمْ، وَعَصَا مُوسَىٰ مِنْ أَيِّ الشَّجَرِ كَانَتْ، وَأَسْمَاءَ الطُّيُورِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللهُ لِإِبْرَاهِيمَ، وَتَعْيِينَ الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ الْمَقْتُولُ مِنَ الْبَقَرَةِ، وَنَوْعَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَلَّمَ اللهُ مِنْهَا مُوسَىٰ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَبْهَمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي الْقُرْآنِ؛ مِمَّا لَا فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ تَعُودُ عَلَىٰ الْمُكَلَّفِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَلَا فِي دِينِهِمْ، وَلَكِنَّ نَقْلَ الْخِلَافِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ جَائِزٌ. كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾[الكهف]، فَقَدْ اشْتَمَلَتْ هـٰذه الآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَىٰ الأَدَبِ فِي هـٰذا الْمَقَام، وَتَعْلِيم مَا يَنْبَغِي فِي مِثْلِ هـٰذا؛ فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ أَخْبَرَ عَنْهُمْ فِي ثَلاثَةِ أَقْوَالٍ، وَضَعَّفَ الْقَوْلَيْنِ الأَوَّلَيْنِ، وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثِ، فَدَلَّ عَلَىٰ صِحَّتِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ بَاطِلًا لَرَدَّهُ كَمَا رَدَّهُمَا.

ثُمَّ أَرْشَدَ إِلَىٰ أَنَّ الاطِّلاعَ عَلَىٰ عِدَّتِهِمْ لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، فَيُقَالُ فِي مِثْلِ هـٰذَا: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾؛ فَإِنَّهُ لَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلَّا قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ أَطْلَعَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَلِهـٰذا قَالَ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾؛ أَيْ: لَا تُجْهِدْ نَفْسَك فِيمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، وَلَا تَسْأَلْهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا رَجْمَ الْغَيْبِ.

فَهـٰذا أَحْسَنُ مَا يَكُونُ فِي حِكَايَاتِ الْخِلَافِ: أَنْ تُسْتَوْعَبَ الأَقْوَالُ فِي ذَلِكَ الْمَقَام، وَأَنْ يُنَبَّهَ عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنْهَا، وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ، وَتُذْكَرَ فَائِدَةُ الْخِلَافِ وَثَمَرَتُهُ؛ لِئَلَّا يَطُولَ النِّزَاعُ وَالْخِلَافُ فِيمَا لَا فَائِدَةَ تَحْتَهُ، فَيُشْتَغَلَ بِهِ عَنِ الأَهَمِّ.

فَأَمَّا مَنْ حَكَىٰ خِلَافًا فِي مَسْأَلَةٍ وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ أَقْوَالَ النَّاسِ فِيهَا فَهُوَ نَاقِصٌ؛ إِذْ قَدْ يَكُونُ الصَّوَابُ فِي الَّذِي تَرَكَهُ، أَوْ يَحْكِي الْخِلَافَ وَيُطْلِقُهُ وَلَا يُنَبِّهُ عَلَىٰ الصَّحِيحِ مِنَ الأَقْوَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ أَيْضًا، فَإِنْ صَحَّحَ غَيْرَ الصَّحِيحِ عَامِدًا فَقَدْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ، أَوْ جَاهِلًا فَقَدْ أَخْطَأَ.

كَذَلِكَ مَنْ نَصَبَ الْخِلَافَ فِيمَا لَا فَائِدَةَ تَحْتَهُ، أَوْ حَكَىٰ أَقْوَالًا مُتَعَدِّدَةً لَفْظًا، وَيَرْجِعُ

حَاصِلُهَا إِلَىٰ قَوْلٍ أَوْ قَوْلَيْنِ مَعْنًىٰ؛ فَقَدْ ضَيَّعَ الزَّمَانَ وَتَكَثَّرَ بِمَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ فَهُوَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ، وَاللهُ الْمُوَفِّقُ لِلصَّوَابِ.

فَصْلٌ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِأَقْوَالِ التَّابِعِينَ

إِذَا لَمْ تَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ وَلَا وَجَدْتَهُ عَنْ الصَّحَابَةِ؛ فَقَدْ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ الأَئِمَّةِ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ أَقْوَالِ التَّابِعِينَ؛ كَـمُجَاهِدِ بْنِ جَبْرٍ، فَإِنَّهُ آيَةٌ فِي التَّفْسِيرِ كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرْضَاتٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَىٰ خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا .

وَبِهِ إِلَىٰ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مَهْدِيٍّ الْبَصْرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مُعَمَّرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئًا.

وَبِهِ إِلَيْهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، قَالَ: قَالَ مُجَاهِدٌ: لَوْ كُنْتُ قَرَأْتُ قِرَاءَةَ ابْنِ مَسْعُودٍ لَمْ أَحْتَجْ أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْقُرْآنِ مِمَّا سَأَلْتُ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْقُ بْنُ غَنَّامٍ، عَنْ عُثْمَانَ الْمَكِّيِّ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ مُجَاهِدًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمَعَهُ أَلْوَاحُهُ؛ فَيَقُولُ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: اكْتُبْ حَتَّىٰ سَأَلَهُ عَنِ التَّفْسِيرِ كُلِّهِ.

وَلِهَٰذَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ.

وَكَـ: سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعِكْرِمَةَ مَوْلَىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، وَالْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَمَسْرُوقِ بْنِ الأَجْدَعِ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَالرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، وَقَتَادَةَ، وَالضَّحَّاكِ بْنِ مُزَاحِمٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَتَابِعِيهِمْ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

فَتُذْكَرُ أَقْوَالُهُمْ فِي الْآيَةِ فَيَقَعُ فِي عِبَارَاتِهِمْ تَبَايُنٌ فِي الْأَلْفَاظِ يَحْسَبُهَا مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ اخْتِلَافًا فَيَحْكِيهَا أَقْوَالًا، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُعَبِّرُ عَنِ الشَّيْءِ بِلَازِمِهِ أَوْ

نَظِيرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنُصُّ عَلَىٰ الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ، وَالْكُلُّ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ الأَمَاكِنِ، فَلْيَتَفَطَّنِ اللَّبِيبُ لِذَلِكَ، وَاللهُ الْهَادِي.

وَقَالَ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ وَغَيْرُهُ: أَقْوَالُ التَّابِعِينَ فِي الْفُرُوعِ لَيْسَتْ حُجَّةً؛ فَكَيْفَ تَكُونُ حُجَّةً فِي التَّفْسِيرِ؟!

يَعْنِي: أَنَّهَا لَا تَكُونُ حُجَّةً عَلَىٰ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ، وَهَـٰذَا صَحِيحٌ؛ أَمَّا إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَىٰ الشَّيْءِ فَلَا يُرْتَابُ فِي كَوْنِهِ حُجَّةً، فَإِنْ اخْتَلَفُوا فَلَا يَكُونُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ حُجَّةً عَلَىٰ بَعْضٍ، وَلَا عَلَىٰ مَنْ بَعْدَهُمْ، وَيُرْجَعُ فِي ذَلِكَ إِلَىٰ لُغَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ السُّنَّةِ، أَوْ عُمُومِ لُغَةِ الْعَرَبِ، أَوْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ.

فَأَمَّا تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِمُجَرَّدِ «الرَّأْيِ» فَحَرَامٌ.

حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْأَعْلَىٰ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَىٰ الثَّعْلَبِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».

وَبِهِ إِلَىٰ التِّرْمِذِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حُمَيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حِبَّانُ بْنُ هِلَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُهَيْلٌ أَخُو حِزَامٍ الْقَطْعِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدُبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ».

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَـٰذَا الْحَدِيثُ غَرِيبٌ، وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي سُهَيْلِ بْنِ أَبِي حَزْمٍ.

وَهَكَذَا رَوَىٰ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ، وَقَتَادَةَ، وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ، فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ وَفَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا قُلْنَا: (أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ)، فَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَسَلَكَ غَيْرَ مَا أُمِرَ بِهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَىٰ فِي نَفْسِ الأَمْرِ لَكَانَ قَدْ أَخْطَأَ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ الْأَمْرَ مِنْ بَابِهِ كَمَنْ حَكَمَ

بَيْنَ النَّاسِ عَنْ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَإِنْ وَافَقَ حُكْمُهُ الصَّوَابَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لَكِنْ يَكُونُ أَخَفَّ جُرْمًا مِمَّنْ أَخْطَأَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَهَكَذَا سَمَّىٰ اللهُ تَعَالَىٰ «الْقَذَفَةَ» كَاذِبِينَ؛ فَقَالَ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾[النُّور]، فَالْقَاذِفُ كَاذِبٌ، وَلَوْ كَانَ قَدْ قَذَفَ مَنْ زَنَىٰ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرَ بِمَا لَا يَحِلُّ لَهُ الْإِخْبَارُ بِهِ وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَلِهَٰذَا تَحَرَّجَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ عَنْ تَفْسِيرِ مَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ؛ كَمَا رَوَىٰ شُعْبَةُ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي؛ إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَمْ أَعْلَمْ؟!

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَزِيدَ، عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[عبس]، فَقَالَ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي؛ إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟ مُنْقَطِعٌ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ أَيْضًا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَرَأَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾[عبس]، فَقَالَ: هَٰذِهِ الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا هُوَ الْأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ فَقَالَ: إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ.

وَقَالَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَفِي ظَهْرِ قَمِيصِهِ أَرْبَعُ رِقَاعٍ فَقَرَأَ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ فَقَالَ: وَمَا الْأَبُّ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ فَمَا عَلَيْكَ أَلَّا تَدْرِيهِ.

وَهَٰذَا كُلُّهُ مَحْمُولٌ عَلَىٰ أَنَّهُمَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِنَّمَا أَرَادَا اسْتِكْشَافَ مَاهِيَةَ الْأَبِّ، وَإِلَّا فَكَوْنُهُ نَبْتًا مِنَ الْأَرْضِ ظَاهِرٌ لَا يُجْهَلُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾[عبس].

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ؛ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ آيَةٍ لَوْ سُئِلَ عَنْهَا بَعْضُكُمْ لَقَالَ فِيهَا، فَأَبَىٰ أَنْ يَقُولَ فِيهَا .

إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ:

سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ: ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[السَّجدة:٥]، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا: ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤﴾[المعارج]؟، فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّمَا سَأَلْتُك لِتُحَدِّثَنِي؛ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا يَوْمَانِ ذَكَرَهُمَا اللهُ فِي كِتَابِهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِهِمَا. فَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا يَعْلَمُ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنَ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ، قَالَ: جَاءَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ إِلَىٰ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: أُحَرِّجُ عَلَيْك إِنْ كُنْت مُسْلِمًا لَمَا قُمْتَ عَنِّي، أَوْ قَالَ: أَنْ تُجَالِسَنِي.

وَقَالَ مَالِكٌ: عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ؛ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ قَالَ: إِنَّا لَا نَقُولُ فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا.

وَقَالَ اللَّيْثُ: عَنْ يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ؛ إِنَّهُ كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِي الْمَعْلُومِ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَقَالَ شُعْبَةُ: عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَقَالَ: لَا تَسْأَلْنِي عَنِ الْقُرْآنِ، وَسَلْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ؛ يَعْنِي عِكْرِمَةَ.

وَقَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي يَزِيدَ، قَالَ: كُنَّا نَسْأَلُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ، فَإِذَا سَأَلْنَاهُ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ سَكَتَ؛ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ، قَالَ: لَقَدْ أَدْرَكْتُ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ، وَإِنَّهُمْ لَيُعَظِّمُونَ الْقَوْلَ فِي التَّفْسِيرِ؛ مِنْهُمْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ، وَنَافِعٌ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ صَالِحٍ، عَنِ اللَّيْثِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ: مَا سَمِعْتُ أَبِي تَأَوَّلَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ قَطُّ.

وَعَنْ أَيُّوبَ، وَابْنُ عَوْنٍ، وَهِشَامٌ الدَّسْتَوَائِي، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: سَأَلْت عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيَّ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: ذَهَبَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ، فِيمَا أُنْزِلَ مِنَ الْقُرْآنِ،

فَاتَّقِ اللهَ، وَعَلَيْكَ بِالسَّدَادِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ، عَنْ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: إِذَا حَدَّثْتَ عَنِ اللهِ فَقِفْ حَتَّىٰ تَنْظُرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ.

حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ مُغِيرَةَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: كَانَ أَصْحَابُهُ يَتَّقُونَ التَّفْسِيرَ وَيَهَابُونَهُ.

وَقَالَ شُعْبَةُ: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ، قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَاللهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَقَدْ سَأَلْتُ عَنْهَا؛ وَلَكِنَّهَا الرِّوَايَةُ عَنِ اللهِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: أَنْبَأَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: اتَّقُوا التَّفْسِيرَ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الرِّوَايَةُ عَنِ اللهِ.

فَهَٰذِهِ الآثَارُ الصَّحِيحَةُ، وَمَا شَاكَلَهَا عَنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مَحْمُولَةٌ عَلَىٰ تَحَرُّجِهِمْ عَنِ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ؛ فَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ لُغَةً وَشَرْعًا فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ؛ وَلِهَٰذَا رُوِيَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَقْوَالٌ فِي التَّفْسِيرِ وَلَا مُنَافَاةَ؛ لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِيمَا عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَمَّا جَهِلُوهُ.

وَهَٰذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ، فَإِنَّهُ كَمَا يَجِبُ السُّكُوتُ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ الْقَوْلُ فِيمَا سُئِلَ عَنْهُ مِمَّا يَعْلَمُهُ؛ لقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧]، وَلِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ؛ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: التَّفْسِيرُ عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا، وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ.

وَاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ.

الكتاب الثَّالث:

«الرَّدُّ عَلَى الْقُرْآنِيِّينَ»

إعدادِ الفقير إلى عفو ربِّه:

هيثم بن محمَّد سرحان

المُدرِّس بمعهد الحرم بالمسجد النَّبويِّ -سابقًا-

والمُشرِف على معهد السُّنَّة

مقدِّمةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، ونشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، ونشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ.

أمَّا بعد؛ فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ منَّ علىٰ هذه الأمَّة بأن فضَّلها علىٰ سائر الأمم، وأرسل إليها خير خلقِه أجمعين، محمَّد بن عبد الله الأمين، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم، يُبيِّن لهم الدِّين، وأمرَهم عَزَّ وَجَلَّ بطاعته واتِّباعه، وجعل ذلك آيةً دالَّةً علىٰ صدق من ادَّعىٰ حبَّ الله تعالىٰ، ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾[آل عمران]، وقد أجمعت الأمَّة علىٰ وجوب اتِّباع النَّبيِّ ﷺ، ومن خالف ذلك وقع في ناقضٍ من نواقض الدِّين.

ومع ذلك فقد ظهر في هذه الأمَّة قومٌ يدَّعون زورًا اتِّباع القرآن الكريم، وينبذون سنَّة النَّبيِّ ﷺ، ويُسمُّون أنفسهم قرآنيِّين، وهم قومٌ ضُلَّالٌ، حذَّر منهم النَّبيُّ ﷺ، لكن لمَّا اغترَّ بهم كثيرٌ من شباب المسلمين في هذا الزَّمان؛ لجهلِهم بما يجب عليهم من حقِّ النَّبيِّ ﷺ، وبُعدِهم عن دين ربِّهم، وجب الرَّدُّ عليهم، وبيانُ ضلالهم، وتناقُضهم، وأنَّهم يريدون هدم السُّنَّة، والطَّعن في الوحي، وتفريغ الدِّين من معانيه وأحكامه حتَّىٰ لا يبقىٰ منه إلَّا اسمُه.

وقد رأينا إخراج هذه الرِّسالة بيانًا لخطورة هذا المنهج، وكشفًا لأهمِّ شُبُهاته، وردًّا علىٰ مُغالطاته، وبيانًا لحجِّيَّة السُّنَّة ومكانتها، ولزوم التَّمسُّك بالوحيين، نسأل الله الحيَّ القيُّوم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به القارئ والكاتب والمُساعد، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ محمَّدٍ النَّبيِّ الأمِّيِّ، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

مُلَخَّصٌ عَنِ الْقُرْآنِيِّينَ

من هم القرآنيُّون؟

القُرآنيُّون فرقةٌ تنتسب إلىٰ الإسلام، تدَّعي الاكتفاء بالقرآن وحده، وتطعن في السُّنَّة النَّبويَّة، وتُنكر حُجِّيَّتها، وتزعم أنَّ النَّبيَّ ﷺ ليس مُبلِّغًا إلَّا للقرآن فقط، وأنَّ أقواله وأفعاله وتقريراته ليست مُلزِمةً لأحدٍ من المسلمين.

لماذا يطعن القُرآنيُّون في السُّنَّة؟

القرآنيُّون أرادوا هدم الإسلام، والطَّعن في الوحيَين جميعًا، لكنَّهم يدخُلون من باب إنكار السُّنَّة؛ لأنَّ الطَّعن في السُّنَّة أسهل عند العامَّة من الطَّعن المباشر في القرآن، ولأنَّ إسقاط السُّنَّة يُؤدِّي ولابُدَّ إلىٰ إسقاط القرآن، وإزالة الدِّين من جذوره.

متى ظهر القرآنيُّون؟

إنكار السُّنَّة ظهَرَ قديمًا من بعض الجماعات والأفراد؛ كما فعل الخوارج لمَّا أنكروا عدالة الصَّحابة، وردُّوا كثيرًا ممَّا جاؤوا به عن النَّبيِّ ﷺ، ومثلهم الشِّيعة الرَّوافض، وكما فعل المُعتزلة لمَّا ردُّوا كلَّ ما لم تقبله عقولهم القاصرة من نصوص السُّنَّة، خاصَّةً ما يتعلَّق منها بأسماء الله عَزَّ وَجَلَّ وصفاته.

ثمَّ ظهر القرآنيُّون كمدرسةٍ فكريَّةٍ مستقلَّةٍ بعد حصول الاستعمار الغربيِّ للبلاد الإسلاميَّة، وذلك قبل حوالي خمسين ومائة سنةٍ، حيث اجتهد أهل الكفر في دعم الأفكار المُنحرفة مادِّيًّا ومعنويًّا؛ سعيًا منهم لزعزعة ثوابت الإسلام، وتثبيت سطوتهم علىٰ البلاد والعباد.

وقد تبنَّىٰ هذا المنهج وانتصر له جماعةٌ ممَّن لهم نشاطٌ في قنوات الإعلام ووسائل التَّواصل في هذا الزَّمان.

أَهَمُّ ضَلَالَاتِ الْقُرْآنِيِّينَ

الأوَّل: إنكارهم للسُّنَّة، ومخالفة صريح القرآن

فالقرآن أمر بطاعة الرَّسول ﷺ في عشرات الآيات، مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[الحشر:٧]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾[النِّساء]، فإنكار السُّنَّة = مخالفةٌ صريحةٌ لأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الثَّاني: إنكارهم أنَّ السُّنَّة وحيٌ من عند الله

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ النَّبيُّ ﷺ ﴿عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾[النَّجم]، فردُّ السُّنَّة ردٌّ للوحي المُنزَّل من الله عَزَّ وَجَلَّ.

الثَّالث: مُخالفتهم لإجماع الأمَّة منذ عهد الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

لم يُعرَف في تاريخ الإسلام من عهد الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وإلىٰ اليوم من أنكر السُّنَّة، وقد أجمع العلماء علىٰ حجِّيَّتها، ومن أنكرها فهو مُبتدعٌ ضالٌّ.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ عند قوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[النِّساء:٥٩]: «الأمَّة مُجمعةٌ علىٰ أنَّ هذا الخطاب مُتوجِّهٌ إلينا وإلىٰ كلِّ من يُخلَقُ ويُركَّبُ روحُه في جسده إلىٰ يوم القيامة من الجنَّة والنَّاس كتوجُّهه إلىٰ من كان علىٰ عهد رسول اللَّه ﷺ، وكلِّ من أتىٰ بعده عَلَيْهِ السَّلَامُ وقبلنا ولا فرقَ» (الإحكام في أصول الأحكام، ص٩٧).

الرَّابع: الإسلام لا يمكن تطبيقه من القرآن وحده

هؤلاء الَّذين ينكرون السُّنَّة يعلمون يقينًا أنَّه لا يمكن معرفة عدد ركعات الصَّلاة، ولا نصاب الزَّكاة، ولا كيفيَّة الحج، ولا تفاصيل الصَّوم... ولا غير ذلك من تفاصيل الشَّريعة إلَّا من طريق السُّنَّة العمليَّة، ولو كانت السُّنَّة غير لازمةٍ فلماذا أُرسِل النَّبيُّ ﷺ أصلاً؟! فلا يبقىٰ إلَّا أنَّهم أرادوا هدم تفاصيل الشَّريعة.

الخامس: مُخالفةٌ صريحةٌ لعمل السَّلف الصَّالح

لم يوجد في الصَّحابة أو التَّابعين أو أئمَّة الإسلام المَعروفين من قال: إنَّ القرآن وحده يكفينا؛ بل كانوا يعُدُّون السُّنَّة الأصل الثَّاني من أصول الدِّين.

قال العلَّامة ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا السُّنَّة فلا نزاع ولا خلاف في أنَّها أصلٌ مُستقِلٌّ، وأنَّها هي الأصل الثَّاني من أصول الإسلام، وأنَّ الواجب علىٰ جميع المسلمين؛ بل علىٰ جميع الأمَّة الأخذ بها، والاعتماد عليها، والاحتجاج بها، إذا صحَّ السَّند عن رسول الله ﷺ، وقد دلَّ علىٰ هذا المعنىٰ آياتٌ كثيراتٌ من كتاب الله، وأحاديثُ صحيحةٌ عن رسول الله ﷺ، كما دلَّ علىٰ هذا المعنىٰ إجماع أهل العلم قاطبةً علىٰ وجوب الأخذ بها، والإنكار علىٰ من أعرض عنها أو خالفه» (مجموع الفتاوىٰ والمقالات ٩/ ١٧٦).

والسَّلف هم أفضل النَّاس دينًا وعلمًا، قال ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**» مُتَّفقٌ عليه.

السَّادس: إنكار السُّنَّة طريقٌ لإسقاط القرآن

القرآنيُّ يريد هدم الدِّين من جذوره، لكنَّه يُمهِّد بإسقاط السُّنَّة أوَّلًا، ثمَّ يصل إلىٰ التَّشكيك في القرآن نفسه لاحقًا، مثل ما قال فرعونُ حين قال: ﴿ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ﴾[غافر:٢٦] تمهيدًا لإبطال دعوته عَلَيْهِ السَّلَامُ.

السَّابع: يُركِّزون طعنَهم على «صحيح البخاريِّ» تحديدًا

وذلك لأنَّ «صحيح البخاريِّ» أَجَلُّ كُتُبِ الْإِسْلَامِ، وَأَفْضَلُهَا، وأصحُّها بَعْدَ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وإسقاطه عند النَّاس إسقاطٌ للسُّنَّة كلِّها، ولهذا فإنَّ القرآنيَّ لا يبدأ بـ«مُسند أحمد» أو «سنن أبي داود» بل بـ«صحيح البخاريِّ» وحده.

الثَّامن: القرآن نفسه يُقرِّر أنَّ السُّنَّة بيانٌ له

كثيرٌ من القرآن نزل مُجملًا يحتاج إلىٰ بيانٍ وتوضيح، ولهذا أمر الله تعالىٰ نبيَّه ﷺ أن يُبيِّنه لهم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾[النِّساء]، وقال: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[النَّحل]، ولو كان القرآن يكفي دون السُّنَّة لما كان هناك بيانٌ أصلًا.

التَّاسع: إرسال النَّبيِّ ﷺ دليلٌ على وجوب اتِّباعه

إذ ما الفائدة من الرِّسالة إذا كان القرآن وحده يكفي؛ بل إنَّ كلَّ الرُّسل جاؤوا بكتابٍ وبيانٍ، والسُّنَّة هي بيانه ﷺ.

العاشر: من ينكر السُّنَّة لا يمكنه أن يعبد الله على الوجه الصَّحيح

فالعبادات العمليَّة كالصَّلاة والزَّكاة والصَّوم والحجِّ لا يمكن تطبيقها علىٰ الوجه الَّذي يريده الله عَزَّوَجَلَّ إلَّا باتِّباع السُّنَّة، قال ﷺ في الصَّلاة: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**» أخرجه البخاريُّ، وقال في الحجِّ: «**لِتَأْخُذُوا مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ**» أخرجه مسلمٌ.

الحادي عشر: اتِّباعهم للمُتشابه وتركهم المُحكَم

فالقرآن مُحكمٌ كلُّه بمعنىٰ أنَّه لا خطأ فيه، ولا تناقض ولا تعارض، وهو مُتشابهٌ كلُّه يشبه بعضه بعضًا، بأسلوبٍ ربَّانيٍّ حكيمٍ، ثمَّ هو منه المُحكم الَّذي معناه واضحٌ بيِّنٌ لا يخفىٰ، ومنه المُتشابه الَّذي يخفىٰ علىٰ كثيرٍ من النَّاس لا سيما العامَّة منهم، وأهل الحقِّ يرُدُّون المُتشابه إلىٰ المُحكم فيُحكِمون مَعناه، وأمّا أهل الزَّيغ والضَّلال فيُعرِضون عن المُحكَم ويتَّبعون المُتشابه، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ﴾[آل عمران:٧]، وهذا هو شأن القرآنيِّين.

الثَّاني عشر: منهجهم مُؤدٍّ إلى إخراج الأمَّة من الإسلام

فالطَّعن في الأصول الشَّرعيَّة بابٌ إلىٰ تحريف الدِّين الَّذي بعث الله به النَّبيَّ ﷺ، وسبيلٌ إلىٰ الانحراف عنه واتِّباع سُبُل الشَّيطان.

حِوارٌ مَعَ قُرْآنِيٍّ تَائِبٍ

السُّؤال [١]: قبل أن نبدأ، ما معنىٰ «القرآنيِّين» الَّذين كنتَ واحدًا منهم؟

الجواب: كنَّا ندَّعي أنَّنا نتمسَّك بالقرآن وحده، وأنَّه المصدر الوحيد للتَّشريع، وأنَّ السُّنَّة ليست مُلزِمةً؛ بل هي مُجرَّد رواياتٍ تاريخيَّةٍ لا يُبنىٰ عليها دينٌ.

السُّؤال [٢]: ولماذا اخترتم هذا الاسم الَّذي يوحي بأنَّكم أهل القرآن؟

الجواب: اخترناه تزويرًا؛ لأنَّ الاسم يجعل النَّاس يظنُّون أنَّنا أشدُّ تمسُّكًا بالقرآن من غيرنا، مع أنَّ الحقيقة أنَّنا أبعد النَّاس عنه فهمًا وعملًا، فقد كنَّا نسمِّي أنفسنا «قرآنيِّين» كما سمَّىٰ المنافقون أنفسهم «مؤمنين».

السُّؤال [٣]: ما الَّذي يدفع الإنسان لإنكار السُّنَّة أصلًا؟

الجواب: السَّبب الحقيقيُّ هو الهروب من التَّكليف، فالسُّنَّة فيها تفاصيل العبادات والأوامر والنَّواهي، وفيها الحدود والأخلاق، وفيها ضوابط الحياة كلِّها، فمن أراد دينًا بلا التزاماتٍ فعليه أن يطعن في السُّنَّة؛ لأنَّها هي الحصن الَّذي يحفظ الشَّريعة.

السُّؤال [٤]: هل كان إنكاركم للسُّنَّة مبنيًّا علىٰ بحثٍ علميٍّ وتحَرٍّ للحَقِّ؟

الجواب: لا؛ لم ندرس علم الحديث، ولا مصطلحه، ولا علوم القرآن؛ بل كنَّا نجهل أصول التفسير، ولا نفرِّق بين المُتشابه والمُحكَم، وكنَّا نقرأ الشُّبَهَ من الشَّبكة العنكبوتيَّة، فيُعجِبُنا ما تُفضي إليه، فنجعلها أصلًا، ونهدم بها سنَّة النَّبيِّ المُصطفىٰ ﷺ.

السُّؤال [٥]: ما هي أوَّل شُبُهاتكم الَّتي تدخلون بها علىٰ النَّاس؟

الجواب: نبدأ دائمًا بترديد عبارة: (القرآن كاملٌ، ولا يحتاج إلىٰ بيانٍ ولا إلىٰ سُنَّةٍ)، ونستدلُّ بقوله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨]، فنزعُمُ أنَّ الكتاب هنا هو القرآن.

السُّؤال [٦]: وكيف تردُّ علىٰ هذه الشُّبهة الآن بعد أن تبيَّن لك الحقُّ؟

الجواب: الرَّدُّ من ثلاثة أوجُهٍ:

١) الكتاب في الآية هو اللَّوح المَحفوظُ، وهذا تفسير ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهدٍ وقتادة وغيرهم، وليس المقصود به القرآن.

٢) القرآن كاملٌ من حيث اشتماله علىٰ الأصول العامَّة للدِّين، لا من حيث بيانُه لكلِّ التَّفاصيل، فقد تُرِك كثيرٌ من التَّفاصيل لبيان النَّبيِّ ﷺ.

٣) الله عَزَّوَجَلَّ أمر باتِّباع السُّنَّة، فقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النَّحل:٤٤]، فكيف يُقالُ: إنَّ القرآن يكفي وحده مع كون البيان النَّبويِّ واجبًا؟!

السُّؤال [٧]: لماذا كنتم تقولون: إنَّ السُّنَّة ليست وحيًا؟

الجواب: لنُقنع النَّاس أنَّ السُّنَّة ليست مُلزِمةً لأحدٍ، وأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يكن إلَّا مُبلِّغًا للقرآن فقط.

السُّؤال [٨]: وما ردُّك الآن؟

الجواب: من ثلاثة وجوهٍ:

١) القرآن ينُصُّ علىٰ أنَّ السُّنَّة وحيٌ من الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ﴾ النَّبيُّ ﷺ ﴿عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[النَّجم].

٢) القرآن يوجب طاعة الرَّسول ﷺ طاعةً مُستقلَّةً، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النِّساء:٨٠]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾، بينما قال في أولي الأمر: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[النِّساء:٥٩]، ولم يكرِّر العامل؛ لأنَّ طاعتهم تبعٌ لطاعة اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونبيِّه ﷺ.

٣) القرآن نفسه لا يمكن فهمه أو تطبيقه دون السُّنَّة، فكيف نصلِّي؟ وكيف نزكِّي؟ وما نصاب الذَّهب؟ وما تفاصيل الحجِّ؟ كلُّها لا وجود لتفاصيلها في القرآن، وإنَّما أُشير إليها بإجمالٍ.

السُّؤال [٩]: كنتم تعتمدون علىٰ شبهة أنَّ العصمة خاصَّةٌ بالقرآن فقط، فكيف كنتم تُوظِّفون هذه الفكرة؟

الجواب: كنَّا نقول للنَّاس: إنَّ البخاريَّ بشرٌ، ويمكن أن يخطئ، فلماذا تُقدِّسونه؟ ثمَّ نستغِلُّ جهلهم بعلم الحديث لنُشكِّكهم في صحَّة نقولات البخاريِّ، وغيره من أئمَّة الحديث تبعٌ له.

السُّؤال [١٠]: وما الرَّدُّ العلمِيُّ علىٰ هذه الشُّبهة؟

الجواب: الرَّدُّ من ثلاثةٍ وجوهٍ:

١) لم يدَّع أحدٌ من الأئمَّة فضلًا عن غيرهم من العامَّة: إنَّ البخاريَّ مَعصومٌ من الخطأ؛ وإنَّما قال العلماء: إنَّ أصحَّ كتابٍ بعد القرآن هو «صحيح البخاريِّ»، بمعنىٰ أنَّ نسبة صحَّته أعلىٰ من كلِّ كتابٍ غيره.

١) إنَّ التَّرجيح بين الأحاديث ليس مَبنيًّا علىٰ عصمة المُرجِّح، وإنَّما علىٰ قواعِدَ علميَّةٍ تتعلَّق بـ: اتِّصال السَّند، وعدالة النَّقلة، وضبطهم لما ينقلون، وخُلُوِّ الحديث من الشُّذوذ، ومن العلل القادحة.

١) الطَّعن في «الصَّحيحين» ليس الهدف منه إنكار حديثٍ بعينه، وإنَّما إسقاط مصدر الدِّين كلِّه.

السُّؤال [١١]: ولماذا تستهدفون «صحيح البخاري» دون غيره؟

الجواب: لأنَّ ضرب الرَّأس يُميت الجسد، فإذا شكَّكنا النَّاس في أصحِّ الكتب عندهم، فسيسقط الباقي تبعًا.

السُّؤال [١٢]: كيف كنتم تُسقطون البخاريَّ عند النَّاس؟

الجواب: كنَّا نبحث عن حديثٍ أو حديثين فيهما شُبهة سوءِ فهمٍ، ثمَّ نُضخِّم الأمر حتَّىٰ يظُنَّ القارئ أنَّ الكتاب كلَّه خطأٌ، ولم نكن نقول: إنَّ كلَّ الأحاديث ضعيفةٌ؛ بل كنَّا ندخل من باب الشُّبهة الصَّغيرة.

السُّؤال [١٣]: هل كنتم تفهمون الحديث قبل الطَّعن فيه؟

الجواب:: لم نكن نفهمه، ولا نهتمُّ لذلك، إنَّما كنَّا نقرأ نصًّا مُجتزءًا دون شروح

العلماء، ثمَّ نسيء فهمه ونحكم عليه، وهذا فعل من قال الله عنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النِّساء:٤٦].

السُّؤال [١٤]: هل كنتم تعملون بالقُرآن نفسه فتصلُّون وتزكُّون وتصومون؟

الجواب: الحقيقة أنَّنا لم نكن نفعل شيئًا من ذلك؛ لأنَّ من أراد تطبيق شيءٍ من العبادات اضطُرَّ إلىٰ الاعتماد علىٰ السُّنَّة، وهذا يهدم مذهبنا من أصله، فإذا صلَّينا المغرب ثلاث ركعاتٍ مثلًا فقد عملنا بالسُّنَّة، وإنَّما كان الهروب من التَّكليف هو القصد، وإنكار السُّنَّة وسيلةٌ إليه.

السُّؤال [١٥]: إذن، لماذا تدَّعون أنَّ القرآن وحده يكفي في العمل؟

الجواب: لنخدع النَّاس، وإلَّا فنحن أوَّل من يعلم أنَّ القرآن وحده لا يُبيِّن كيفيَّة الصلَّاة، ولا عدد ركعاتها.

السُّؤال [١٦]: هل أنكر السَّلف الصَّالح حُجِّيَّة السُّنَّة يومًا؟

الجواب: لا؛ لم يُعرف في القرون الثَّلاثة المُفضَّلة أحدٌ أنكر السُّنَّة إجمالًا، وإن كان حصل من بعض أهل البدع إنكار ما يُخالف بدعتهم، وهذا وحده كافٍ لإبطال مذهبنا الَّذي كنَّا ندَّعي.

السُّؤال [١٧]: كنتم تقولون: إنَّ السُّنَّة دُوِّنت بعد النَّبيِّ ﷺ بقرونٍ؛ فهل هذه الدَّعوىٰ صحيحةٌ؟

الجواب: لا.؛ بعد مراجعة التَّاريخ علمت أنَّ:

١) الصَّحابة دوَّنوا أحاديث كثيرةً في حياتهم، ومن أشهر ما يُعلَمُ في هذا الصَّحيفة الصَّادقة لعبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصحيفة عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مقادير الدِّيات، وصحيفة سعد بن عبادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصحيفة أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وغير ذلك.

٢) كبار التَّابعين حملوا السُّنَّة عن الصَّحابة وضبطوها، وكان منهم من يكتب، وأكثر يحفظ في صدره، وقد عُرِفول بقوَّة الحفظ والضَّبط، وكان منهم من يختبر من يأخذ عنه ليعلم ضبطه من عدمه.

٣) الأمَّة دوَّنت السُّنَّة في القرن الأوَّل والثَّاني بالنَّقل المُتواتر، ووبالتحمُّل والأداء حفظًا في الصُّدور وفي الكتب.
وعليه فإنَّ ادِّعاء كون التَّدوين مُتأخِّرًا فِريةٌ قديمةٌ وداحضةٌ.

السُّؤال [١٨]: لماذا كنتم تقولون: (يكفينا القرآن) رغم أنَّكم لا تعملون به؟
الجواب: لأنَّها كلمة جذَّابةٌ للعوامِّ، وإلَّا فإنَّ من يريد أن يعمل بالقرآن لابدَّ أن يجد نفسه مُطالبًا بالصَّلاة، والزَّكاة، والحجِّ، والصِّيام، وكلُّها لا تُفهم ولا تُدرك تفاصيلها وكيفيَّاتها إلَّا بالسُّنَّة.

السُّؤال [١٩]: ما أثر اتِّباع مذهب القرآنيِّين علىٰ دين الإسلام لو انتشر؟
الجواب: له آثارٌ وخيمةٌ، منها:
١) سقوط كلِّ العبادات، من صلاةٍ، وزكاةٍ، وحجٍّ، وصوم، وغيرها، فالقرآن يأمر بالزَّكاة دون بيان نصابها، ويأمر بالصلَّاة دون بيان كيفيَّتها، يأمر بالحجِّ دون بيان أعماله.
٢) سقوط الحدود والأخلاق.
٣) الطَّعن في القرآن نفسه بعد إسقاط السُّنَّة؛ لأنَّ القرآن لا يُمكن أن يُفهَم دون سنَّةٍ، فإذا سقطت السُّنَّة سقط القرآن ضرورةً.
٤) انهيار الدِّين من جذوره، وقد قال السَّلف: إنَّ السُّنَّة قاضيةٌ علىٰ القرآن.

السُّؤال [٢٠]: هل مذهب الُقرآنيِّين جديدٌ؟
الجواب: هو نفسُه مذهب الخوارج القُدماء حين كفَّروا الصَّحابة وفسَّقوهم فأسقطوا روايتهم، وهو قول أهل البدع الَّذين قالوا: حسبُنا كتابُ الله، وقد أخبر عنهم النَّبيُّ ﷺ حين قال: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ!**» أخرجه أبو داود والتِّرمذيُّ.
قال الخطَّابيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذا الحديث: «يُحذِّر بذلك مُخالفة السُّنن الَّتي سنَّها رسول اللَّه ﷺ ممَّا ليس له في القرآن ذكرٌ، علىٰ ما ذهبت إليه الخوارج

والرَّوافض، فإنَّهم تعلَّقوا بظاهر القرآن، وتركوا السُّنن الَّتي قد ضُمِّنت بيان الكتاب، فتحيَّروا وضلُّوا، والأريكة السَّرير، ويُقال: أنَّه لا يُسمَّىٰ أريكةً حتَّىٰ يكون في حجلةٍ، وإنَّما أراد بهذه الصِّفة أصحاب التَّرفُّه والدَّعة، الَّذين لزموا البيوت ولم يطلبوا العلم، ولم يغدوا ولم يروحوا في طلبه في مَظانِّه، واقتباسه من أهله» (معالم السُّنن ٤/ ٢٩٨).

السُّؤال [٢١]: هل تؤمن الآن أنَّ السُّنَّة وحيٌ من الله عَزَّوَجَلَّ؟

الجواب: نعم؛ لأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩]، والحكمة هي السُّنَّة بإجماع المُفسِّرين.

السُّؤال [٢٢]: ما الَّذي دفعك للتَّوبة؟

الجواب: الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، كنت أشعر أنَّني أهدم الدِّين لبِنَةً لبِنَةً، وأنَّني أفتح باب الفتنة علىٰ الأمَّة، فلمَّا علمت أنَّ إنكار السُّنَّة كفرٌ مُخرِجٌ من الملَّة، خشيت علىٰ نفسي مصيرًا سيِّئًا.

السُّؤال [٢٣]: ما رسالتك لمن تأثَّر بشُبُهات القرآنيِّين؟

الجواب: اسمعها منِّي بصدقٍ:

١) من لا يعرف العلم فإنَّه يُخدَع بسهولةٍ، فعلىٰ المسلم أن يُحصِّن نفسه بالعلم النَّافع، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

٢) من ترك السُّنَّة اليوم فإنَّه ولابُدَّ سيترك القرآن غدًا؛ لأنَّه لن يجد في القرآن ضالَّته إلَّا إذا ضمَّه إلىٰ ما جاء عن النَّبيِّ ﷺ من البيان.

٣) السُّنَّة سياجُ هذا الدِّين يَحوطُه ا يحوط السِّياج البيت، فمن هدم السِّياج هدم ما وراءه من الحُرُمات.

٤) التَّمسُّك بالوحيين هو طريق النَّجاة لكلِّ من أرادها.

السُّؤال [٢٤]: هل لك كلمةٌ أخيرةٌ قبل أن نختم؟

الجواب: نعم، لقد كنت أظنُّ نفسي قرآنيًّا، بينما كنت في الحقيقة مُحاربًا للقرآن؛

لأنَّ القرآن يأمرُني باتِّباع النَّبيِّ ﷺ وطاعته، وأنا كنت أرفض أمره.

فالحمد لله الَّذي ردَّني إلىٰ الحقِّ ردًّا جميلًا، وأسأل الله أن يُثبِّتني علىٰ السُّنَّة، وأن يعصم الأمَّة من الفتن والشُّبهات.

أَسْئِلَةٌ لِلْقَارِئ

[١] أيُّ ممَّا يلي يدلُّ علىٰ أنَّ السُّنَّة وحيٌ من اللَّه؟ ❍ قول النَّاس بذلك.
❍ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾. ❍ اجتهاد الصَّحابة. ❍ رأي البخاريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[٢] لماذا يهاجم القرآنيُّون «صحيح البخاريِّ» تحديدًا؟ ❍ لأنَّه كتابٌ فقهيٌّ.
❍ لأنَّه أصحُّ كتابٍ بعد القرآن. ❍ لأنَّه كتابٌ صوفيٌّ. ❍ لأنَّه مختصرٌ.

[٣] أيُّ العبادات التَّالية لا يمكن معرفة تفاصيلها من القرآن وحده؟ ❍ الصِّيام.
❍ الصلَّاة. ❍ الزَّكاة. ❍ جميع ما سبق.

[٤] اتِّباع المُتشابه وترك المُحكَم وصفٌ ذكره القرآن لـ: ❍ العلماء.
❍ المصلحين. ❍ أهل الزَّيغ والفتنة. ❍ القُرَّاء.

[٥] ما حكم من أنكر السُّنَّة كلَّها وردَّ حُجِّيَّتها؟ ❍ عاصٍ. ❍ مبتدعٌ.
❍ كافرٌ يخرج من الملَّة. ❍ مُجتهدٌ مُخطئٌ.

[٦] أيُّ ممَّا يلي يُبيِّن أنَّ النَّبيَّ ﷺ ليس مُجرَّد ناقل للقرآن؛ بل مُبيِّنٌ له؟
❍ قول النَّاس بذلك. ❍ ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾. ❍ اجتهاد الصَّحابة.
❍ اختلاف المذاهب.

[٧] لماذا لا يمكن تطبيق الصلَّاة من القرآن وحده؟ ❍ لأنَّ القرآن لم يذكر الصَّلاة. ❍ لأنَّ القرآن ذكر الصَّلاة إجمالًا لا تفصيلًا. ❍ لأنَّ الصَّلاة غير مهمَّةٍ. ❍ لأنَّ المسلمين اختلفوا فيها.

[٨] من أهداف القرآنيِّين في الطَّعن في السُّنَّة: ❍ زيادة العلم. ❍ حماية القرآن. ❍ إسقاط الشَّريعة تدريجيًّا. ❍ تصحيح كتب الحديث.

[٩] ما معنىٰ اتِّباع المُتشابه وترك المُحكم كما يفعل القرآنيُّون؟ ❍ تفسير القرآن بالقرآن. ❍ التَّركيز علىٰ الآيات الواضحة فقط. ❍ تحريف النُّصوص لاستخراج الشُّبهات. ❍ الرُّجوع للعلماء.

[١٠] ما الدَّليل علىٰ أنَّ الحكمة في القرآن هي السُّنَّة؟ ❍ اختلاف النَّاس.
❍ رأي البخاريِّ. ❍ إجماع المُفسِّرين. ❍ اجتهادٌ شخصيٌّ.

[١١] مـاذا يحـدث لـو أسـقط النَّـاس السُّـنَّة النَّبويَّة؟ ❍ يبقىٰ الإسـلام علـىٰ حاله. ❍ يختفـي الخـلاف بيـن المسـلمين. ❍ تسـقط العبـادات والأحـكام تباعًـا. ❍ يتحسن الفهم الدِّينيُّ.

[١٢] القـول بـأنَّ التَّدويـن المُتأخِّـر للسُّـنَّة يجعلهـا غيـر مُعتبـرةٍ قـولٌ باطـلٌ لأنَّ: ❍ الصَّحابـة لـم ينقلـوا شـيئًا. ❍ الأمَّـة لـم تتَّفـق علـىٰ شـيءٍ. ❍ التَّدوين بدأ فـي عهـد الصَّحابـة واسـتمرَّ بالتَّواتر جيـلًا بعد جيـل. ❍ لقـرآن نـزل مُتأخِّرًا.

[١٣] أحد آثار محاربة السُّـنَّة: ❍ زيادة الطَّاعة. ❍ محبَّة العلماء. ❍ التَّشـكيك في القرآن نفسـه لاحقًا. ❍ ارتفـاع الوعي الدِّينيِّ.

[١٤] مـا هـو الأسـاس الَّـذي يعتمـد عليـه أهـل الحديـث فـي قبـول الرِّوايـات؟ ❍ العصبيَّـة للمذهـب. ❍ الهـوىٰ الشَّـخصيُّ. ❍ قواعـد علميَّـةٌ فـي السَّـند والمتـن. ❍ كثـرة النَّـاس.

[١٥] أيٌّ مـن التَّالـي يصـف منهـج القرآنيِّيـن في النِّقـاش؟ ❍ الحـرص علىٰ طلب العلـم. ❍ تحريـف النُّصـوص واسـتغلال الجهـل العـامِّ. ❍ الرجـوع للعلمـاء والثِّقـات. ❍ احتـرام قواعد الاسـتدلال.

[١٦] لمـاذا يُعـدُّ إرسـال النَّبـيِّ ﷺ دليلًا علـىٰ وجوب اتِّبـاع سـنَّته؟ ❍ لأنَّ النَّاس بحاجـةٍ لمـن يعيـش بينهـم. ❍ لأنَّ النَّبـيَّ ﷺ لا يخطـئ. ❍ لأنَّ الرِّسـالة لا تتمُّ إلَّا بالبيـان العملـيِّ للقـرآن. ❍ لأنَّ العرب طلبـوا نبيًّا.

الكتاب الرَّابع:

«زَادُ الْأَتْقِيَاءِ مِنْ قَصَصِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ»

إعدادِ الفقيرإلى عفو ربِّه:

هيثم بن محمَّد سرحان

المُدرِّس بمعهد الحرم بالمسجد النَّبويِّ -سابقًا-

والمُشرِف على معهد السُّنَّة

الـمُقدِّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمـدَ لله، نحمـدُه، ونسـتعينُه، ونسـتغفرُه، ونعوذُ بالله من شُـرور أنفسِـنا، ومـن سـيِّئات أعمالنـا، مـن يهـدِهِ اللهُ فـلا مُضـلَّ لـه، ومـن يُضلـلْ فلا هـاديَ له، وأشـهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شـريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمـران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّسـاء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحـزاب].

أمَّا بعدُ؛ فهذا جزءٌ مُختَصرٌ في قَصَصِ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

- اقتَصرنـا فيـه علـىٰ إيـرادِ مَـن ورَدَ ذِكـرُهُ في القُـرآنِ مِـن الأنبيـاءِ إمَّـا مُصرَّحًـا باسـمِهِ أو مُشـارًا إليـه في سِـياقِ قِصَّـةٍ، وذكَرنـا مِـن بينِهـم شـيئًا عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّـه اسـتَفاضَ ذِكـرُه عند أهـلِ السِّـيَرِ مِن السَّـلَفِ، واعتمَدنـا فـي القَصَصِ علىٰ مـا ورَدَ فـي القُـرآنِ، أو فـي السُّـنَّةِ الصَّحيحَـةِ، أو اشـتَهَرَ لـدىٰ أهـلِ السِّـيَرِ مِـن السَّلَفِ،مُسـتَفيدينَ فـي ذلِـكَ كثيـرًا ممَّـا أورَدَهُ الحافِظُ ابـنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فـي كِتابَيهِ «قَصَـصُ الأنبيـاءِ» و«التَّفسـيرُ».
- وجَعَلنـا فـي أوَّلِ قصَّـةِ كلِّ نبيٍّ مِـن الأنبياء جَـدوَلًا مُختَصَرًا يُسَـهِّلُ علىٰ القـارِئِ مَعرِفَـةَ أهـمِّ ما يتعلَّـقُ بـه، ويُتَمِّمُ الفائِـدَةَ مِن هـذا الكِتابِ.
- وذَكَرنـا فـي مَطلَـعِ الكِتابِ بعـضَ المَسـائِلِ المُهِمَّـةِ في بابِ عَقيـدَةِ أهلِ السُّـنَّةِ والجَماعَـةِ فـي الأنبِيـاءِ والرُّسُـلِ،إضافَةً إلـىٰ بَعـضِ المُلَخَّصـاتِ المُهِمَّةِ فيما يتعلَّـقُ بهـذا البابِ.

❍ وكعادِتنا أدرَجنا مَجموعَةً مِن الاختِبارات الَّتي يستَطيعُ الطَّالِبُ مِن خِلالِها تَقييمَ تَحصيلِهِ العِلميِّ.

نسألُ اللَّهَ الحيَّ القيُّوم أن يجعَلَ هذا العمَلَ خالصًا لوَجهِه، وأن ينفَعَ به القارِئَ والكاتِبَ والمُساعِدَ، إنَّه وليُّ ذلِكَ والقادِرُ عليهِ، وصلَّىٰ اللَّهُ وسلَّمَ وبارَكَ علىٰ خَيرِ الخلقِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللَّهِ ﷺ، وعلىٰ سائِرِ الأنبياءِ والرُّسُلِ عليهم السلام، وعلىٰ آلِ النَّبيِّ ﷺ وصَحبِه ومَن تبِعَهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، والحَمدُ للَّهِ ربِّ العالَمينَ.

فَائِدَةٌ:

قالَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفوائِدِ» (ص٥٦): (أينَ أنتَ؛ والطَّريقُ طَريقٌ تَعِبَ فيه آدَمُ، وناحَ لأجلِهِ نوحٌ، ورُمِيَ في النَّار الخَليلُ، وأُضْجِعَ للذَّبح إسماعيلُ، وبِيعَ يوسُفُ بثَمَنٍ بَخْسٍ، ولَبِثَ في السِّجنِ بِضعَ سِنينَ، ونُشِرَ بالمِنشارِ زكَريَّا، وذُبِحَ السَّيِّدُ الحَصورُ يحيَىٰ، وقاسَىٰ الضُّرَّ أيُّوبُ، وزادَ علىٰ المِقدارِ بُكاءُ داوُدَ، وسارَ مع الوَحشِ عيسَىٰ، وعالَجَ الفَقْرَ وأنواعَ الأذىٰ مُحمَّدٌ ﷺ؛ تُزْهَىٰ أنتَ باللَّهْوِ واللَّعِبِ؟!).

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

يتلخَّصُ مُعتَقَدُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ في الأنبياءِ والرُّسُلِ في النِّقاطِ الآتيَةِ:

❍ نُؤمِنُ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ خلَقَ النَّاسَ لِعبادَتِهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذَّاريات]، ولم يترُكِ اللهُ النَّاسَ هَمَلًا، وإنَّما أرسَلَ إليهِم أنبياءَ ورُسُلًا اصطَفاهُم وفضَّلَهُم علىٰ النَّاسِ، يَهدونَهُم صِراطَهُ القَويمَ، ويُقيمونَ عليهِم الحُجَّةَ البيِّنَةَ، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٦٥﴾ [النِّساء]، قالَ شَيخُ الإسلام ابنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصَّوابُ أنَّ الرَّسُولَ هُوَ مَنْ أُرسِلَ إلَىٰ قَوْمٍ كُفَّارٍ مُكَذِّبِينَ، وَالنَّبِيُّ مَنْ أُرْسِلَ إلَىٰ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ بِشَرِيعَةِ رَسُولٍ قَبْلَهُ، يُعَلِّمُهُمْ وَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ).

❍ نُؤمِنُ أنَّ عددهم ما أخرَجَه أحمَدُ والحاكِمُ عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفَّىٰ عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «**مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ**»، وقد سُمِّيَ لنا في القرآنِ خمسةٌ وعِشرونَ نَبِيًّا ورَسولًا، جمَعَهُم النَّاظِمُ في قَولِهِ:

فِي ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ ... مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ وَيَبْقَىٰ سَبْعَةٌ وَهُمُو
إِدْرِيسُ هُودٌ شُعَيْبٌ صَالِحٌ وَكَذَا ... ذُو الْكِفْلِ آدَمُ بِالْمُخْتَارِ قَدْ خُتِمُوا

أشارَ بقولِهِ ﴿تِلْكَ حُجَّتُنَا﴾ إلىٰ آياتِ سورَةِ الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ

وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾[الأنعام]، ذُكِرَ فيها ثمانيةَ عشرَ نبيًّا.

وذُكِرَ بعضُ الأنبياءِ في القرآنِ بغيرِ تَسميةٍ، منهم: الخَضِرُ، ويوشَعُ بنُ نونٍ، وحِزقيلُ، وشَمويلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

❍ نُؤمِنُ بأنَّ أوَّلَ الرُّسُلِ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾[النِّساء: ١٦٣]، وأنَّ آخرَهُم مُحمَّدٌ ﷺ، قالَ تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[الأحزاب: ٤٠].

❍ نُؤمِنُ أنَّ الرُّسُلَ أفضَلُ مِن الأنبياءِ، وأنَّ أفضَلَ الرُّسُلِ مُحمَّدٌ، ثمَّ إبراهيمُ، ثمَّ موسَىٰ، ثمَّ نوحٌ وعيسَىٰ بنُ مريمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهؤلاءِ هُم أولُو العَزمِ مِن الرُّسُلِ، وهم المَخصوصونَ في قولِه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾[الأحزاب]، ونُؤمِنُ أنَّ ذِكرَ الفضلِ الخاصِّ لبَعضِ الأنبياءِ لا يَقتَضي التَّفضيلَ العامَّ.

❍ نُؤمِنُ بجَميعِ مَن بلَغَنا مِن الرُّسُلِ والأنبياءِ، ولا نُفَرِّقُ بينَهُم، ولَا نَرفَعُهُم فوقَ مَنزِلَتِهم، ونُؤمِنُ أنَّهُم بَشَرٌ مَخلوقونَ، ولم يُرسِلِ اللهُ مَلَكًا إلىٰ النَّاسِ، قالَ تعالىٰ: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[الإسراء]، ونُؤمِنُ أنَّهُم لا يَملِكُونَ لأنفُسِهِم ولا لغَيرِهِم نفعًا ولا ضرًّا، وليس لهُم من خَصائِصِ الرُّبوبيَّةِ شَيءٌ، وأنَّهُم أعبَدُ النَّاسِ للهِ، وليسَ لهُم مِن خَصائِصِ الأُلوهيَّةِ شيءٌ، أكرَمَهُم اللهُ تَعالىٰ بالرِّسالَةِ، ووَصَفَهُم بالعُبوديَّةِ في أعلىٰ مَقاماتِهم، وفي سِياقِ الثَّناءِ عليهِم، فقالَ عن نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾[الإسراء]، وقالَ عن مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[الفرقان].

❍ نُؤمِنُ بأنَّ اللهَ تَعالىٰ ختَمَ الرِّسالاتِ برِسالَةِ مُحمَّدٍ ﷺ، وأنَّهُ أرسَلَهُ إلىٰ جميعِ النَّاسِ؛ لقولِهِ تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وكانَ الرُّسُلُ قبلَهُ يُبعَثونَ إلىٰ قومِهِم خاصَّةً.

❍ نُؤمِنَ بأنَّ دينَ مُحمَّدٍ ﷺ ودينَ كُلِّ مَن قَبلَهُ مِن الرُّسُلِ هو دينُ الإسلامِ الَّذي ارتضاهُ اللهُ تَعالىٰ لعِبادِهِ، لا يَقبَلُ مِن أحَدٍ دينًا سِواهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[آل عمران:١٩]، وقالَ: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾[آل عمران]، وقالَ علىٰ لِسانِ نوحٍ عليه السلام: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٧٢﴾[يونس]، وقالَ علىٰ لِسانِ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[الأنعام]، وقالَ عن أهلِ بيتِ لوطٍ عليه السلام: ﴿فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٦﴾[الذاريات].

❍ نُؤمِنُ أنَّ كُلَّ مَن زَعَمَ اليومَ دينًا قائمًا مَقبولًا عندَ اللهِ سِوىٰ دينِ الإسلامِ فهو كافِرٌ، يُستَتابُ فإنْ تابَ وإلَّا قُتِلَ مُرتَدًّا؛ لأنَّهُ مُكَذِّبٌ للقُرآنِ، وأنَّ مَن كفَرَ برِسالَةِ مُحمَّدٍ ﷺ إلىٰ النَّاسِ جميعًا، وبرِسالَةِ أيٍّ مِن رُسُلِ اللهِ عز وجل الَّذينَ أُخبِرنا عنهُم فقَدْ كفَرَ بجَميعِ الرُّسُلِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾[النِّساء].

❍ نُؤمِنُ أنَّ مَن ادَّعىٰ النُّبُوَّةَ بعدَ مُحمَّدٍ ﷺ أو صَدَّقَ مَن ادَّعاها فهو كافِرٌ؛ لأنَّهُ مُكَذِّبٌ للهِ ورَسولِه وإجماعِ المُسلِمينَ، قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾[الأحزاب:٤٠].

❍ نُؤمِنُ أنَّ اللهَ بعَثَ مع كُلِّ رَسولٍ كِتابًا يُؤَيِّدُ به رِسالَتَهُ، ومن ذلك أنَّه أنزَلَ علىٰ إبراهيمَ عليه السلام الصُّحُفَ، وعلىٰ موسَىٰ عليه السلام التَّوراةَ والصُّحُفَ، وعلىٰ داودَ عليه السلام الزَّبورَ، وعلىٰ عيسَىٰ عليه السلام الإنجيلَ، وعلىٰ مُحمَّدٍ ﷺ القُرآنَ، وجعَلَ القُرآنَ مُهَيمِنًا وقاضِيًا علىٰ ما قَبلَهُ مِن الكُتُبِ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ الأنبياءَ والرُّسُلَ مَعصومونَ فيما أُمِروا به مِن تَبليغِ دينِ اللهِ وشَرائِعِهِ، وأنَّهم مَعصومونَ مِن الوُقوعِ في الشِّركِ الأكبَرِ والأصغَرِ، ولِهَذَا فإنَّنا لا نَذكُرُهُم إلَّا بالجَميلِ، ولا نَذكُرُ القَصَصَ المَكذوبَةَ عليهم، والَّتي قد يَكونُ فيها انتِقاصٌ مِن قَدرِهِم.

❍ نَرَىٰ مَشروعِيَّةَ الصَّلاةِ علىٰ الأنبياءِ والرُّسُلِ، وهي طلَبُ ذِكرِ اللهِ لهُم في المَلَإِ الأعلىٰ، أو طلَبُ الرَّحمَةِ الخاصَّةِ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ لهُم، ومَشروعِيَّةَ السَّلام عليهِم، وهو طَلَبُ السَّلامَةِ لهُم مِن كُلِّ سوءٍ، ونُمسِكُ عن الكَلامِ فيهِم، ولا نذكُرُهُم إلَّا بخَيرٍ؛ فهُم أفضَلُ عِبادِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ الأنبياءَ يَموتونَ كما يَموتُ بَنو آدَمَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ﴾[آل عمران:١٤٤]، ولا يُعلَمُ مَكانُ قَبرِ نَبِيٍّ مِن الأنبياءِ إلَّا قَبرُ مُحمَّدٍ ﷺ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ مِن تَفضيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ لمُحمَّدٍ ﷺ أنَّه لم يَجعَلْ لنَبِيٍّ آيةً إلَّا وجَعَلَ لِمُحمَّدٍ ﷺ نَصيبًا منها، ولِأتباعِهِ مِن بَعدِهِ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ الآيَةَ الَّتي اشتَرَكَ فيها كُلُّ الأنبياءِ والرُّسُلِ أنَّهُم صادِقونَ في قَولِهِم، مَصدُوقُونَ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ، مُصَدَّقُونَ مِنَ النَّاسِ إلَّا مَن آمَنَ قَلبُهُ وجَحَدَ لِسانُهُ.

❍ نُؤمِنُ أنَّ القرآنَ كِتابُ اللهِ، الأصلُ فيهِ التَّشريعُ، وأنَّهُ مِن عِندِ اللهِ، وليسَ كِتابَ قَصَصٍ، وإنَّما تُذكَرُ القَصَصُ فيه للعِبرَةِ والاتِّعاظِ والتَّثبيتِ.

❍ طَريقَةُ أهلِ السُّنَّةِ عُمومًا الاستِدلالُ ثمَّ الاعتِقادُ، بخِلافِ أهلِ الزَّيغِ والبِدَعِ الَّذينَ بَنَوا طَريقَتَهُم علىٰ الاعتِقادِ أوَّلًا ثمَّ لَوي أعناقِ النُّصوصِ، وقد حَدَثَ هذا في قَصَصِ بَعضِ الأنبياءِ؛ كما سَيَأتي بيانُهُ في مَوضِعِه إن شاءَ اللهُ.

مَوْقِفُنَا مِنَ الإِسْرَائِيلِيَّات:

الإسـرَائِيلِيَّاتُ هـيَ: الأَخبـارُ المَنقولَـةُ عَـن أَهـلِ الكِتـابِ، والأصـلُ في التَّعامُـلِ معَهـا مـا أخرَجَهُ البُخـارِيُّ عن النَّبـيِّ ﷺ أنَّه قـالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّـي وَلَوْ آيَـةً، وَحَدِّثُوا عَـنْ بَنِـي إِسْـرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَـذَبَ عَلَـيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَـوَّأْ مَقْعَدَهُ مِـنَ النَّارِ**»، ثـمَّ أخبـارُ بَنـي إسـرائيلَ علىٰ ثلاثَةِ أقسـامٍ كمـا يأتي:

أَقْسَامُ أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَائِيلَ:

[١] مَا صَدَّقَهُ شَرعُنا: فنَستَغني بما ورَدَ في شَريعَتِنا عنهُ؛ كقِصَّةِ أَهلِ الكَهفِ، ولا بأسَ أن نَستَفِيدَ مِمَّا ورَدَ عنهم بغَرَضِ إيضاحِ المَعنىٰ وتَعضيدِهِ، ومَعرِفَةِ شَيءٍ من التَّفاصيلِ الَّتي جاءَت مُجمَلَةً في شَرعِنا، والاتِّعاظِ به والاعتِبارِ.

[٢] مَا كَذَّبَهُ شَرعُنا: إمَّا صَراحَةً، وإمَّا بحِكايَةِ ما يُخالِفُهُ، فهذا لا شكَّ أنَّه باطِلٌ مَردودٌ لا يُلتَفَتُ إليهِ أبدًا.

[٣] مَا سَكَتَ شَرعُنا عنه: فلم نعلَم صِدقَهُ مِن كَذِبِهِ، وهذا هو المَقصودُ في الحَديثِ، فنتَوَقَّفُ فيه، لا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه، وتَجوزُ حِكايَتُه والاعتِبارُ به، ويصِحُّ الاستِشهادُ والاعتِضادُ به بشُروطٍ:

قـالَ الحافـظُ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فـي «تفسـيره» (٧/ ٣٩٤): (إِنَّمَا أَبَاحَ الشَّـارِعُ الرِّوَايَةَ عَنْهُـمْ فِـي قَوْلِهِ: «**وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْـرَائِيلَ وَلَا حَـرَجَ**»، فِيمَا قَدْ يُجَـوِّزُهُ الْعَقْلُ، فَأَمَّـا فِيمَـا تُحِيلُـهُ الْعُقُولُ، وَيُحْكَـمُ عَلَيْـهِ بِالْبُطْلَانِ، وَيَغْلِـبُ عَلَىٰ الظُّنُـونِ كَذِبُهُ فَلَيْـسَ مِنْ هَـذَا الْقَبِيلِ، وَاللَّـهُ أَعْلَمُ).

مَعلومَاتٌ عامَّةٌ تَتعَلَّقُ بِقَصصِ القُرْآنِ:

الأَنْبِيَاءُ:	الرُّسُلُ:	أُولو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ:	الأَنْبِيَاءُ المُسَمَّونَ في القرآنِ:
١٢٤ ألفًا	٣١٥	٥	٢٥

الأَنْبِيَاءُ الْعَرَبُ:	أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ:	أَوَّلُ الرُّسُلِ:	آخِرُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ:
٥	آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ	مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

خَوَارِقُ الْعَادَاتِ: مَا يَأْتِي عَلَىٰ خِلَافِ مَا اعْتَادَهُ النَّاسُ؛ كَأَنْ يَطِيرَ فِي الْهَوَاءِ أَوْ يَمْشِيَ عَلَىٰ الْمَاءِ، **وَهِيَ أَرْبَعَةٌ**:

[١] الآيَةُ: تكـونُ للأنبياءِ، وَرَدَ في القُرآنِ تَسميتُها آياتٍ، وأمَّا المُعجزةُ فقد يَعجزُ عنها بعضُ النَّاسِ، وتكون لغيرِ الأنبياءِ، ولا يُمكنُ لأحدٍ ادِّعاءُ آيةٍ بعدَ موتِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[٢] الكَرَامَةُ: تَكونُ لأَولياءِ الرَّحمنِ، وهم الَّذينَ جَمَعوا بينَ الإيمانِ والتَّقوَىٰ، ومِثالُ الكَرامَةِ ما حصَلَ مع أصحابِ الكَهفِ.

[٣] المُعجِزَةُ أو الفِتنَةُ: تكـونُ لأَولياءِ الشَّيطانِ، نعرِفُها بمَعرِفَةِ حالِ الشَّخصِ، لا إيمانَ ولا تقوَىٰ، ومِثالُ المُعجِزَةِ ما يحصُلُ مِن الدَّجَّالِ.

[٤] الفَضِيحَةُ: كلُّ مَن كَذَبَ علىٰ اللَّهِ فضَحَهُ في الدُّنيا قبلَ الآخِرَةِ، ومِثالُ الفَضيحَةِ ما حصَلَ مِن مُسيلِمَةَ الكَذَّابِ؛ نفَثَ في عَينِ مَريضٍ فعَمِيَ!

الحِكْمَةُ مِنْ دِرَاسَةِ قَصَصِ الأَنْبِيَاءِ:	الدَّلِيلُ:
[١] إثباتُ الوَحدانِيَّةِ لله تَعالىٰ، والأمرُ بعبادَتِه.	﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النَّحل:٣٦].
[٢] إثباتُ الوَحيِ والرِّسالَةِ.	﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود].
[٣] إثباتُ البَعثِ والجَزاءِ.	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ ... قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة].
[٤] تَثبيتُ النَّبيِّ ﷺ وأُمَّتِه.	﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].
[٥] العِبرَةُ بأَحوالِ المُرسَلينَ وأُمَمِهم.	﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].
[٦] بَيانُ جَزاءِ الأُمَمِ السَّابِقَةِ ونِهايَةُ مَصيرِها.	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ﴾ [يوسف:١٠٩].
[٧] تَربيَةُ المُؤمِنينَ.	﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف].

[٨] الدَّعوَةُ إلىٰ الخَيرِ والإصلاحِ، ومَنعِ الفَسادِ.	﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ].
[٩] مُواجَهَةُ اليَأسِ بالصَّبرِ.	﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف].
[١٠] بيانُ قُدرَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ.	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩].
[١١] بيانُ نِعَمِ اللهِ علىٰ أنبيائِهِ وأصفيائِهِ.	﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

طَرِيقَةُ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ فِي عَرْضِ الْقَصَصِ:

[١] سَردُ القِصَّةِ مِن أوَّلِها إلىٰ آخِرِها؛ كما في قِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٢] عَرضُ جانِبٍ مِن القِصَّةِ في مَوضِعٍ، وجانِبٍ آخَرَ في مَوضِعٍ آخَرَ، وهكَذا... كما في قِصَّةِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٣] عَرضُ القِصَّةِ مرَّةً مَبسوطَةً ومرَّةً مَقبوضَةً، مع مُراعاةِ مَكانِ العِبرَةِ، ومُقتَضىٰ المَقامِ، والغَرَضِ مِن القِصَّةِ.

أَنْوَاعُ الْقَصَصِ فِي الْقُرْآنِ:	[١] **قَصَصُ الأَنْبِيَاءِ:**	ذُكِرَ ٢٥ نبيًّا بأسمائِهم كما تقدَّمَ، وذُكِرَ بَعضُ الأنبياءِ غَيرَ مُصَرَّحًا بأسمائِهم؛ كالخَضِرِ، ويوشَعَ، وحِزقيلَ، وشَمويلَ.
	[٢] **قَصَصُ الصَّالِحِينَ:**	ومِنهُم: لُقمانُ الحَكيمُ (في سورَةِ لُقمانَ)، وذو القَرنَينِ (في سورَةِ الكَهفِ)، وعُزَيرٌ (في سورَةِ التَّوبَةِ)، وطالوتُ (في سورَةِ البقرَةِ).
	[٣] **قَصَصُ النِّسَاءِ:**	ومِنهُنَّ: حَوَّاءُ، وامرَأَةُ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسارَّةُ امرَأَةُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وامرَأَةُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وامرأَةُ العَزيزِ، وامرَأَةُ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآسِيَةُ امرأَةُ فِرعَونَ، وبَلقيسُ مَلِكَةُ سَبَإٍ، وامرَأَةُ زَكرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومَريَمُ ابنَةُ عِمرانَ، وأُمُّ كُلثوم بِنتُ عُقبَةَ (في المُمتَحَنَةِ)، وخَولَةُ بِنتُ ثَعلَبَةَ (في المُجادَلَةِ)، وأُمُّ قَبيحٍ (جَميلٍ) زَوجُ أبي لَهَبٍ (في المَسَدِ)، وأزواجُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
	[٤] **قَصَصُ الأَقْوَامِ وَالْجَمَاعَاتِ:**	ومِنهُم: قَومُ نوحٍ، وعادٌ، وثَمودُ، وقَومُ تُبَّعٍ، وأصحابُ الرَّسِّ، وأصحابُ القَريَةِ، وأصحابُ السَّبتِ، وأصحابُ الجنَّةِ، وأصحابُ الأيكَةِ، وأصحابُ الأُخدودِ، وأصحابُ الكَهفِ، وأهلُ سَدِّ مَأرِبَ، وأصحابُ الحِجرِ، وبَنو إسرائيلَ، والحَوارِيُّونَ.
	[٥] **قَصَصُ الظَّالِمِينَ:**	ومِنهُم: قابيلُ، والنُّمرودُ، وفِرعَونُ، وهامانُ، وقارونُ، والسَّامِرِيُّ، وجالوتُ، وأبرَهَةُ الحَبَشِيُّ، وأبو لَهَبٍ.
	[٦] **قَصَصُ الْحَيَوَانَاتِ:**	ومِنها: غُرابُ ابنَي آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وناقَةُ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكَبشُ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبقَرَةُ بَني إسرائيلَ، وحوتُ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونملَةُ سُلَيمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والهُدهُدُ، ودابَّةُ الأرضِ، وحِمارُ العُزَيرِ، وكلبُ أهلِ الكَهفِ، وفيلُ أبرَهَةَ.

أمورٌ اتَّفَقَ عليها كلُّ الأنبياءِ عليهم السلام

[١] الدَّعوةُ إلىٰ التَّوحيدِ والنَّهيُ عن الشِّركِ، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النَّحل:٣٦].

[٢] أربعُ مَسائِلَ: العِلمُ، والعَمَلُ به، والدَّعوةُ إليه، والصَّبر علىٰ الأذىٰ فيه.

[٣] أنَّهم أفضلُ الخلقِ، ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾[النِّساء:٦٩]، وسُئِلَ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قالَ: «**الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**». أخرجَهُ أحمدُ وبعضُ أصحابِ «السُّنَنِ».

[٤] الصِّدقُ والفَصاحَةُ والبَيانُ وإرادةُ الهِدايَةِ للنَّاسِ، وهذه الأربَعَةُ هي عَناصِرُ الدَّلالَةِ والإفهامِ، قالَ تعالىٰ عن بَعضِهم: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾[مريم].

[٥] الحِكمَةُ في الدَّعوةِ، ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ﴾[الزُّخرف:٦٣].

[٦] العِصمَةُ في تَبليغِ الرِّسالَةِ، قالَ تَعالىٰ عن مُحمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[النَّجم]، وكذا العِصمَةُ مِن الشِّركِ الأكبَرِ والأصغَرِ، ومِن الكَبائِرِ، وهم وإن لم يَكونوا مَعصومِينَ تَمامَ العِصمَةِ مِن الصَّغائِرِ فهُم أبعَدُ النَّاسِ عنها.

[٧] كَثرَةُ الذِّكرِ مِن تَسبيحٍ واستِغفارٍ وغَيرِهما، وكذا كثرَةُ الدُّعاءِ والإخلاصُ فيه، وهذا كَثيرٌ جدًّا في القرآنِ.

[٨] قوَّةُ الالتِجاءِ إلىٰ اللهِ والخَوفِ مِنه، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾[الأنبياء:٨٣].

[٩] الوَصِيَّةُ عندَ المَوتِ؛ كما في قِصَّةِ: آدَمَ، ونوحٍ، وإبراهيمَ، ويَعقوبَ، ويوسُفَ، وموسىٰ وغَيرِهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

[١٠] يُصدِّقُ بَعضُهم بَعضًا ويُبشِّرُ بَعضُهم ببَعضٍ، ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾[آل عمران:٥٠]، ﴿كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾[الأحقاف:٣٠]، ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي﴾[الصَّف:٦].

[١١] الإِخبارُ بما أعلَمَهُم اللهُ مِن عِلمِ الغَيبِ والأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ قالَ شُعَيبٌ لقَومِهِ: ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾﴾[هود].

[١٢] تأييدُ اللهِ تَعالىٰ لهُم بالآياتِ، ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾[آل عمران].

[١٣] التَّفضيلُ بينَهم علىٰ وَجهِ العُمومِ لا الخُصوصِ، ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[البقرة:٢٥٣].

[١٤] تَصديقُ اللهِ لهُم، ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾[يس].

[١٥] كلُّ الأنبياءِ والرُّسُلِ أوحِيَ إليهم، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾[النِّساء].

[١٦] الأنبياءُ إِخوَةٌ، قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**» وهم الإِخوَةُ لأَبٍ مِن أمَّهاتٍ شتَّىٰ؛ لأنَّ الرَّجُلَ علَّ -أي: شَرِبَ- منهنَّ، «**أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»، شبَّه الدِّينَ بالأَبِ الواحِدِ، وشَبَّهَ شرائِعَهم أو أُمَمَهم بالأُمَّهاتِ المُختَلِفاتِ.

[١٧] الصَّبرُ علىٰ الدَّعوَةِ وتَكذيبِ أقوامِهم لهُم، وفي الحَديث المُتَّفَق عليه أنَّ ورَقَة بنَ نَوفَل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ للنَّبيِّ ﷺ أوَّلَ بعثَتِه: «**لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ**»، وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾[الأنعام:٣٤].

[١٨] أداؤُهُم للأمانَةِ علىٰ أكمَلِ وَجهٍ، ونُصحُهُم للأُمَّةِ، وجِهادُهُم في اللهِ حقَّ جِهادِه.

[١٩] وَصفُهُم بعُبودِيَّةٍ خاصَّةِ الخاصَّةِ، ومِن ذلِكَ قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾[ص:٤٥]، وقَولُه عن أكثَرَ مِن نَبيٍّ: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨١﴾[الصَّافَّات].

[٢٠] الصَّلاةُ والسَّلامُ عليهم عند ذكرِهم، وقد اختُلِف هل ذلِكَ خاصٌّ بالأنبياءِ أم أنَّه يصِحُّ أن يُصلَّىٰ ويُسَلَّمَ علىٰ كُلِّ مُسلِمٍ، والصَّلاةُ دُعاءُ اللهِ أن يرحَمَهم رحمَةً خاصَّةً، أو أن يُثنِيَ عليهم في المَلَإِ الأعلىٰ، والسَّلامُ دُعاؤُه لهُم السَّلامَةَ مِن كُلِّ سوءٍ في الآخِرَةِ.

[٢١] حياتُهم في قُبورِهم، فقد أخرَجَ أبو يَعلىٰ والبزَّارُ عن أنسٍ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ يُصَلُّونَ**».

[٢٢] الحَياءُ، أخرَجَ البُخاريُّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»، قالَ الخَطَّابيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «مَعالِم السُّنن»: (مَعنىٰ قولِه: «النُّبُوَّةِ الأُولَىٰ» أنَّ الحياءَ لم يزَلْ أمرُه ثابِتًا واستِعمالُه واجِبًا منذُ زَمانِ النُّبُوَّةِ الأُولىٰ، وأنَّه ما مِن نَبيٍّ إلَّا وقد ندَبَ إلىٰ الحَياءِ وبُعِثَ عليه، وأنَّه لم يُنسَخْ فيما نُسِخَ مِن شَرائِعِهم، ولم يُبَدَّلْ فيما بُدِّلَ مِنها).

أُمورٌ اتَّفقَ عليها كلُّ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

[٢٣] الأنبياءُ كلُّهم رِجالٌ مِن الإنسِ، قالَ تَعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾[يوسف:١٠٩].

[٢٤] جميعُ الرُّسلِ كان لهم عَمَلٌ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١﴾[المؤمنون].

[٢٥] الزَّواجُ، قالَ تَعالى بعد أن ذكَرَ النِّكاحَ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[النِّساء:٢٦].

أُصولُ العِباداتِ:

[٢٦] الصَّلاةُ، قالَ النَّبيُّ ﷺ كما في حَديثِ الطَّبرانيِّ: «**صَلَّىٰ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا**»، وأخرَجَ ابنُ حبَّان وغيره: «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنُعَجِّلَ فِطْرَنَا، وَأَنْ نُمْسِكَ بِأَيْمَانِنَا عَلَىٰ شَمَائِلِنَا فِي صَلَاتِنَا**».

[٢٧] القِبلَةُ، فإنَّ كُلَّ الأنبياءِ كانت قِبلَتُهم الكَعبَةُ، وأمَّا ما كانَ مِن اليَهودِ والنَّصارىٰ مِن استِقبالِ بَيتِ المَقدِسِ فاجتِهادٌ مِنهم ضَلُّوا فيه، فقد أخرَجَ أحمَدُ وغيرُهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ عن اليَهودِ: «**إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَىٰ شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَىٰ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَىٰ الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَىٰ قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ: آمِينَ**».

[٢٨] الزَّكاةُ، قالَ تَعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ﴾[الأنبياء:٧٣].

[٢٩] الصَّومُ، قالَ تَعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[البقرة:١٨٣].

أمورٌ اتَّفق عليها كلُّ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

أصولُ العباداتِ

[٣٠] الحجُّ، وهو الظَّاهِرُ مِن أنَّهم صَلَّوا في مَسجِدِ الخَيفِ، وعند مُسلم عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَمَرَرْنَا بِوَادٍ، فَقَالَ: أَيُّ وَادٍ هَذَا؟ فَقَالُوا: وَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَذَكَرَ مِنْ لَوْنِهِ وَشَعْرِهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ دَاوُدُ، وَاضِعًا إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، لَهُ جُؤَارٌ إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي، قَالَ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى ثَنِيَّةٍ، فَقَالَ: أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟ قَالُوا: هَرْشَى، أَوْ لِفْتٌ، فَقَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ عَلَيْهِ جُبَّةُ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ لِيفٌ خُلْبَةٌ مَارًّا بِهَذَا الْوَادِي مُلَبِّيًا».

[٣١] رَعيُ الغَنَم، فقد أخرجَ البُخاريُّ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»، وذكَرَ أهلُ العِلم فوائِدَ لرَعي الغَنَم، مِن أهَمِّها أنَّه يُعَلِّمُ الأنبياءَ كيفَ يَسوسونَ النَّاسَ، وكيفَ يَجمَعونَهم بعدَ التَّفرُّقِ.

قَصَصُ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ هِيَ:

[١] أصدَقُ القَصَصِ:
﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النِّساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النِّساء].

[٢] أحسَنُ القَصَصِ:
قالَ تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

[٣] أنفَعُ القَصَصِ:
قالَ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

ولهذا قالَ العلاَّمَةُ ابنُ عُثَيمينَ رَحِمَهُ اللَّهُ:
لا يُمكِنُ بعدَ هذا العُدولُ عن قَصَصِ القُرآنِ والسُّنَّةِ إلىٰ الإسرائيلِيَّاتِ.

أَنْوَاعُ عَذَابِ الأُمَمِ:

قالَ تَعالىٰ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت] أي: بسبَبِ ذَنبِهِ، وبِما يتَناسَبُ معه، وممَّا يُستَفادُ مِن «تَفسيرِ ابنِ كَثيرٍ»:

[١] ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾.	قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهم عادٌ، وذلِكَ أنَّهُم قالوا: مَن أشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ فجاءَتهُم ريحٌ صَرصَرٌ بارِدَةٌ شَديدَةُ البَردِ، عاتِيَةٌ شَديدَةُ الهُبوبِ جِدًّا، تَحمِلُ عليهم حَصباءَ الأَرضِ فتَقلِبُها عليهِم، وتَقتَلِعُهم مِن الأرضِ فتَرفَعُ الرَّجُلَ مِنهم إلىٰ عَنانِ السَّماءِ، ثمَّ تنكِّسُه علىٰ أُمِّ رَأسِه فتَشدَخُه، فيَبقَىٰ بَدَنًا بِلا رَأسٍ، كأنَّهُم أعجازُ نَخلٍ مُنقَعِرٍ)، ومِنهم كذلِكَ قَومُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝٣٤﴾ [القمر].
[٢] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾.	قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهُم ثَمودُ، قامَت عليهِم الحُجَّةُ، وظَهَرَت لهم الدَّلالَةُ مِن تِلكَ النَّاقَةِ الَّتي انفلَقَت عنها الصَّخرَةُ، مِثلَ ما سَأَلوا سَواءً بسَواءٍ، ومع هذا ما آمَنُوا، بَل استَمَرُّوا علىٰ طُغيانِهم وكُفرِهم، وتَهَدَّدوا نَبيَّ اللَّهِ صالِحًا ومَن آمَنَ معه، وتَوَعَّدُوهم بأن يُخرِجوهُم ويَرجُمُوهُم، فجاءَتهم صَيحَةٌ أخمَدَتِ الأَصواتَ مِنهُم والحَرَكاتِ).
[٣] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾.	قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهو قارونُ الَّذي طَغَىٰ وبَغَىٰ وعَتَا، وعَصَىٰ الرَّبَّ الأعلىٰ، ومَشَىٰ في الأرض مَرَحًا، وفَرِحَ ومَرَحَ وتاهَ بنَفسِه، واعتَقَدَ أنَّه أفضَلُ مِن غَيرِه، واختالَ في مِشيَتِه، فخَسَفَ اللَّهُ به وبدارِه الأرضَ، فهو يتَجَلجَلُ فيها إلىٰ يَومِ القِيامَةِ).
[٤] ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾.	قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وهُم فِرعَونُ ووَزيرُه هامانُ، وجُنودُه عن آخِرِهم، أُغرِقُوا في صَبيحَةٍ واحِدَةٍ، فلم يَنجُ مِنهُم مُخبِرٌ).

تَنْبِيهٌ:

هـذا الَّـذي ذُكِـرَ مِـن كَـونِ (الجَـزاءِ مِـن جِنـسِ العمَـلِ) هـو سُـنَّةُ اللَّـهِ عَزَّوَجَلَّ فـي جَـزاءِ كُلِّ مَـن عَصَـىٰ، وأمثِلَـةُ هـذا كَثيـرَةٌ جِـدًّا، نقتَصِـرُ علـىٰ بَعضِهـا:

- قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾[البقـرة]، وذلِـكَ أنَّهُـم نُهُـوا عـن الصَّيـدِ يَـومَ السَّـبتِ، فتَحايَلـوا علـىٰ الشَّـرعِ، فكانـوا يُلقـونَ شِـباكَهُم يَـومَ الجُمُعَـةِ ويُخرِجونَهـا يَـومَ السَّـبتِ، فأتَـوا بِمـا صورَتُـه حَـلالٌ وحَقيقَتُـه حَـرامٌ، فعوقِبـوا بـأن مُسِـخوا قِـرَدَةً، والقِـردُ صورَتُـه تُشـبِهُ الإنسـانَ لكِنَّـه ليـس إنسـانًا.
- قـالَ تَعالـىٰ: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ﴾[البقـرة:٢٧٦]، وذلِـكَ أنَّهُـم لمَّـا أرادُوا زِيـادَةَ أموالِهِـم بالرِّبـا المُحَـرَّمِ عاقبَهُـم اللَّـهُ بـأن محَـقَ أموالَهُـم، أي: أهلَكَهـا.
- قـالَ النَّبِـيُّ ﷺ فيمـا أخرَجَـه مُسـلِمٌ: «**النَّائِحَـةُ**» الَّتـي تَصيـحُ بالبُـكاءِ علـىٰ المَيِّـتِ «**إِذَا لَـمْ تَتُـبْ قَبْـلَ مَوْتِهَـا، تُقَـامُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ**» مِـن قَبرِهـا «**وَعَلَيْهَـا سِـرْبَالٌ**» أي: لِبـاسٌ سـابِغٌ «**مِـنْ قَطِـرَانٍ**» وهـو الزِّفـتُ أو النُّحـاسُ المُـذابُ، «**وَدِرْعٌ مِـنْ جَـرَبٍ**» يُصيـبُ الجَـرَبُ كُلَّ جِلدِهـا حتَّـىٰ يَكـونَ كالـدِّرعِ السَّـابِغِ لهـا، وذلِـكَ أنَّهـا لمَّـا لـم تُغَـطِّ مُصيبَتَهـا بالصَّبـرِ، غُطِّيَـت بهـذا الغِطـاءِ الشَّـديدِ.

مُلَخَّصُ الأَنبِياءِ الَّذِينَ سَيَأْتِي ذِكْرُهُمْ:

	النَّبِيُّ	اللَّقَبُ	الأُمَّةُ	الْكِتَابُ	في القُرآنِ
١	آدَمُ	أبو البَشَرِ	-	-	٢٥ مرَّةً
٢	شِيثُ	-	-	-	٠
٣	إِدْرِيسُ	-	-	-	مرَّتان
٤	نُوحٌ	الأبُ الثَّاني للبَشَرِ	-	-	٤٣ مرَّةً
٥	هُودٌ	-	عادٌ الأُولَىٰ	-	٧ مرَّاتٍ
٦	صَالِحٌ	-	ثَمُودُ	-	٩ مرَّاتٍ
٧	إِبْرَاهِيمُ	أبو الأنبياءِ، الخَليلُ	بَابِلُ والشَّامُ	الصُّحُفُ	٦٩ مرَّةً
٨	لُوطٌ	-	أَهْلُ سَدُومَ	-	٢٧ مرَّةً
٩	شُعَيْبٌ	خَطيبُ الأنبياءِ	أهلُ مَدْيَنَ	-	١١ مرَّةً
١٠	إِسْمَاعِيلُ	الذَّبيحُ	أهلُ مَكَّةَ	-	١٢ مرَّةً
١١	إِسْحَاقُ	-	أهلُ الشَّامِ	-	١٧ مرَّةً
١٢	يَعْقُوبُ	إسرائيلُ	أهلُ الشَّامِ	-	١٦ مرَّةً
١٣	يُوسُفُ	الصِّدِّيق، الكَريمُ بنُ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ	الْقِبْطُ أَهْلُ مِصْرَ	-	٢٧ مرَّةً
١٤	أَيُّوبُ	الصَّابِرُ	أَهْلُ حَورَانَ	-	٤ مرَّاتٍ
١٥	ذُو الْكِفْلِ	-	-	-	مرَّتانِ

	النَّبيُّ	اللَّقَبُ	الأُمَّةُ	الْكِتابُ	في القرآنِ
١٦	يُونُسُ	ذو النُّونِ، صاحِبُ الحوتِ	أهلُ نينَوَىٰ	-	٤ مرَّاتٍ
١٧	مُوسَى	كَليمُ اللهِ	الْقِبْطُ وبَنُو إِسْرَائِيلَ	التَّورَاةُ، الصُّحُفُ	١٣٦ مرَّةً
١٨	هَارُونُ	-		-	٢٠ مرَّةً
١٩	يُوشَعُ	فَتىٰ موسَىٰ	بَنُو إِسْرَائِيلَ	-	٠
٢٠	الْخَضِرُ	العَبدُ الصَّالِحُ	-	-	٠
٢١	حِزْقِيلُ	-	بَنُو إِسْرَائِيلَ	-	٠
٢٢	إِلْيَاسُ	-	بَنُو إِسْرَائِيلَ، وأَهْلُ بَعْلَبَكَّ	-	مرَّتانِ
٢٣	شَمْوِيلُ	-	بَنُو إِسْرَائِيلَ	-	٠
٢٤	الْيَسَعُ	-	بَنُو إِسْرَائِيلَ	-	مرَّتانِ
٢٥	دَاوُدُ	الخَليفَةُ الثَّاني	بَنُو إِسْرَائِيلَ	الزَّبُورُ	١٦ مرَّةً
٢٦	سُلَيْمَانُ	النَّبِيُّ المَلِكُ	بَنُو إِسْرَائِيلَ، أَهْلُ سَبَإٍ...	-	١٧ مرَّةً
٢٧	زَكَرِيَّا	-	بَنُو إِسْرَائِيلَ	-	٧ مرَّاتٍ
٢٨	يحيى	-	بَنُو إِسْرَائِيلَ	-	٥ مرَّاتٍ
٢٩	عِيسَى	كَلِمَةُ اللهِ، رُوحُ اللهِ، المَسيحُ	بَنُو إِسْرَائِيلَ	الْإِنْجِيلُ	٢٥ مرَّةً
٣٠	مُحَمَّدٌ	الصَّادِقُ الأَمينُ، نَبِيُّ الأُمِّيِّينَ...	كلُّ الجِنِّ والإنسِ	القُرْآنُ العَظيمُ	٤ مرَّاتٍ

اخْتِبَارٌ فِي الْـمُقَدِّمَةِ:

[١] ما عددُ الرُّسُلِ والأنبياءِ الواجبِ علىٰ المُسلمِ الإيمانُ بهم كما جاء في السُّنَّةِ الشَّريفَةِ؟ ❍ ٣١٥. ❍ ١٢٤ ألفًا. ❍ عددُهم غيرُ محصورٍ.

[٢] لم يتركِ اللهُ النَّاسَ همَلًا وإنَّما: ❍ أرسَلَ إليهم أنبياءَ ورُسُلًا. ❍ أنزَلَ عليهم الكُتُبَ. ❍ الجَميعُ.

[٣] أُرسِلَ الرُّسُلُ: ❍ لإقامَةِ الحُجَّةِ. ❍ لدلالَةِ النَّاسِ علىٰ الصِّراط المُستقيم. ❍ الجميع.

[٤] عددُ الأنبياءِ الَّذينَ سُمُّوا في القُرآنِ: ❍ ١٨. ❍ ٢٥. ❍ لا حَصرَ لهُم.

[٥] أكثَرُ جَمعٍ لأسماءِ الأنبياءِ في القُرآن ورَدَ في: ❍ طه. ❍ الأنعام. ❍ البقرَةِ.

[٦] كم نَبيًّا ذُكِرَ في آيَةِ ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾: ❍ ٨. ❍ ١٨. ❍ ٢٥.

[٧] الرُّسُلُ أفضَلُ من الأنبياءِ (❍ صح ❍ خطأ)، وأفضَلُهم أولُو العَزمِ (❍ صح ❍ خطأ).

[٨] أفضَلُ الرُسُل: ❍ مُحمَّدٌ. ❍ إبراهيمُ. ❍ موسَىٰ. ❍ عيسَىٰ.

[٩] ذِكرُ الفَضلِ الخاصِّ لا يَقتَضِي التَّفضيلَ العامَّ (❍ صح ❍ خطأ).

[١٠] الأنبياءُ والرُّسُلُ مِن: ❍ الإنسِ. ❍ الجِنِّ. ❍ المَلائِكَةِ. ❍ الجَميعُ.

[١١] عُبودِيَّةُ الأنبياءِ: ❍ عامَّةٌ. ❍ خاصَّةٌ. ❍ خاصَّةُ الخاصَّةِ.

[١٢] وصَفَ اللهُ الأنبياءَ بـ(❍ الرِّسالَةِ ❍ العُبودِيَّةِ ❍ الشُّكرِ) في أعلىٰ مَقاماتِهم وفي سِياقِ الثَّناءِ عليهم.

[١٣] الرُّسُلُ يُبعَثونَ إلىٰ النَّاس: ❍ كافَّةً. ❍ خاصَّةً. ❍ خاصَّةً إلَّا مُحمَّدًا ﷺ.

[١٤] للأنبياءِ: ❍ دينٌ واحِدٌ. ❍ دينٌ مُختَلِفٌ لكُلِّ نبيٍّ.

[١٥] الإسلامُ دينُ كلِّ الرُّسُل (❍ صح ❍ خطأ).

[١٦] كلُّ مَن زعَمَ اليومَ دينًا قائِمًا مَقبولًا عند اللهِ سِوىٰ دينِ (❍ الإسلامِ ❍ اليهوديَّة والنَّصرانيَّةِ والإسلام) فهو كافِرٌ مُرتَدٌّ.

[١٧] مَن كفَرَ برِسالَةِ أيٍّ مِن الرُّسُل فقد كفَرَ بجَميعِهم (❍ صح ❍ خطأ).

[١٨] أنزَلَ اللهُ علىٰ كُلِّ (❍ نبيٍّ ❍ رسولٍ ❍ الجميع) كتابًا يُؤيِّدُ رِسالَتَه.

[١٩] جميعُ (❍ الأنبياءِ ❍ الرُّسُلِ ❍ الأنبياءِ والرُّسُلِ) مَعصومونَ فيما أُمِروا به مِن تَبليغِ دينِ اللهِ وشَرائِعِهِ.

[٢٠] طَريقةُ السَّلَفِ عندَ ذِكرِ الأنبياءِ (❍ الصَّلاة ❍ السَّلام ❍ كلاهما) عليهم.

[٢١] مِمَّن اختُلِف في نُبُوَّتِهم: ❍ الخَضِرُ. ❍ لُقمانُ. ❍ هارونُ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني فقط. ❍ الجميعُ.

[٢٢] أولو العَزمِ هم: ❍ جَميعُ الرُّسُلِ فلا فرقَ بينَهُم. ❍ خَمسةٌ فقط.

[٢٣] مَن هم أولو العَزمِ من الرُّسُلِ؟ ❍ محمَّدٌ وإبراهيمُ ونوحٌ وموسَىٰ وعيسَىٰ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ. ❍ آدمُ وإبراهيمُ وموسَىٰ وعيسَىٰ ومحمَّدٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

[٢٤] لماذا كانَ هؤُلاءِ الأنبياءُ مِن أُولِي العَزمِ؟ ❍ لأنَّهم أفضَلُ الرُّسُلِ علىٰ الإطلاقِ. ❍ لأنَّهم لاقَوا من الصِّعابِ ما لم يُلاقِه أحدٌ غيرُهم. ❍ الجَميعُ.

[٢٥] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

ليسَ قبلَهُ نبيٌّ	نوحٌ
ليسَ بعدَه نبيٌّ	مُحمَّدٌ
ليسَ قبلَه رَسولٌ	آدَمُ

[٢٦] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

صادِقُ الوَعدِ	مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الصَّادِقُ الأمينُ	يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الصِّدِّيقُ	إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

[٢٧] أخبارُ بَني إسرائيلَ علىٰ: ❍ قِسمَين. ❍ ثلاثةِ أقسام. ❍ أربعَةِ أقسام.

[٢٨] ما صدَّقَهُ شَرعُنا مِن أخبارِ بَني إسرائيلَ فإنَّنا: ❍ نَستَغني عنهُ بمَا جاءَ في شَرعِنا. ❍ نأخُذُ مِنه ما نَحتاجُ إليه للتَّوضيحِ وبَيانِ المُجمَلِ. ❍ نأخُذُ مِنه ما نَحتاجُ إليه للاتِّعاظِ والاستِفادَةِ. ❍ الجَميعُ.

[٢٩] ما سكَتَ عنهُ شَرعُنا مِن أخبارِ بَني إسرائيلَ: ❍ نُصَدِّقُه. ❍ نُكذِّبُه. ❍ لا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه، ويَجوزُ حِكايَتُهُ للعِبرَةِ والاتِّعاظِ والاعتِضادِ.

[٣٠] اتَّسمَت روايةُ الصَّحابة للإسرائيليَّات بـ: ❍ الكثرةِ. ❍ القلَّةِ. ❍ التَّوسُّطِ.

[٣١] رِوايةُ القليل من الإسرائيليَّات تميَّز به منهجُ: ❍ التَّابعينَ. ❍ الصَّحابةِ.
❍ المدرسةِ العقليَّةِ. ❍ لا شيء ممَّا ذُكِر.

[٣٢] يلزمُ مِن روايةِ الصَّحابةِ للإسرائيليَّات: ❍ قَبولُها. ❍ تضعيفُها.
❍ التَّوقُّفُ فيها.

[٣٣] الأخبارُ المَنقولةُ عن أهل الكتاب تُسمَّىٰ: ❍ المَوقوفاتِ. ❍ المَقطوعاتِ.
❍ الإسرائيليَّاتِ.

[٣٤] الآيَةُ الَّتي اشترَكَ فيها جَميعُ الأنبياءِ هي تَصديقُ اللهِ لهم : ❍ صح. ❍ خطَأ.

[٣٥] الفَرقُ بينَ النَّبيِّ والسَّاحِرِ أعظَمُ مِن اللَّيل والنَّهارِ: ❍ صح. ❍ خطَأ.

[٣٦] دَلائِلُ النُّبُوَّةِ مِن جِنسِ دَلائِلِ الرُّبوبيَّةِ، فيها الظَّاهِرُ والبيِّنُ لكلِّ أحَدٍ؛ كالحَوادِثِ المَشهودَةِ، فإنَّ الخَلقَ كلَّهم مُحتاجون إلىٰ الإقرارِ بالخالِقِ والرِّسالَةِ: ❍ صح. ❍ خطَأ.

[٣٧] رتِّب ما ورد في كلام ابنِ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: أينَ أنتَ؛ والطَّريقُ:

طريقٌ تعبَ فيه:	إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وناحَ لأجلِهِ:	يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ
ورُمِيَ في النَّارِ:	آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وأُضْجِعَ للذَّبحِ:	يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وبِيعَ بثَمنٍ بَخْسٍ، ولَبِثَ في السِّجنِ بِضعَ سنينَ:	نوحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
ونُشِرَ بالمِنشارِ:	أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وذُبِحَ السَّيِّدُ الحَصورُ:	الخليلُ (إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)
وقاسَىٰ الضُّرَّ:	داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وزادَ علىٰ المِقدارِ بُكاءُ:	زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ
وسارَ مع الوَحشِ:	محمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وعالج الفقرَ وأنواعَ الأذىٰ:	عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَوَّلُ الأَنْبِيَاءِ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اللَّقَبُ:	أبُو البَشَرِ - خلَقَهُ اللهُ مِن تُرابٍ، ثمَّ نفَخَ فيهِ الرُّوحَ.
الزَّوجَةُ:	حَوَّاءُ خَلَقَها اللهُ مِن ضِلعِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وزَواجُهما أوَّلُ زَواجٍ في التَّاريخِ.
عَدوُّه:	إبليسُ، ولم يَكُن مِن المَلائِكَةِ ولا طرفَةَ عَينٍ؛ بل مِن الجِنِّ.
الأَوْلادُ:	قصَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ علينا قصَّة اثنينِ مِن أبناءِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قتَلَ أحَدُهما الآخَرَ، وعَلِمنا مِن السُّنَّةِ أنَّ كلًّا مِنهما كانت له أُختٌ تَوأَمٌ، واستَفاضَ عندَ السَّلَفِ أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ رزَقَ آدَمَ بشيثٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واللَّهُ أعلَمُ إن كانَ له غيرُهم.
الـمَكَانُ:	خلَقَ اللهُ آدَمَ وحَوَّاءَ في الجَنَّةِ، ثمَّ أُهبِطا إلىٰ الأرضِ.
نُبُوَّتُه:	هو أوَّلُ نبيٍّ بُعِثَ، ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ﴾[طه:١١٥].
تَكريمُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ:	[١] ﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾[ص]، ﴿سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[الحجر: ٢٩]، «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ». مُتَّفقٌ عليه. [٢] ﴿قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ﴾ سُجودَ تَحِيَّةٍ لا عِبادَةٍ له. [٣] ﴿جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾. [٤] ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾. [٥] ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾. [٦] ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾[البقرة]. [٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾[آل عمران:٣٣]. [٨] هو أوَّلُ مَن يَأتيهِ النَّاسُ يومَ القِيامَةِ للشَّفاعَةِ. مُتَّفقٌ عليه.
ذِكرُه:	ذُكِرَ في القُرآنِ ٢٥ مرَّةً، وقِصَّتُه هي أوَّلُ قِصَّةٍ ذُكِرَت في القُرآنِ.
الوَفَاةُ:	عاشَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ألفَ سنَةٍ، ثمَّ حَضَرتهُ الوَفاةُ.

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ آدَمَ ﷺ مُختصَرَةً:

إعلامُ اللهِ للملائكَةِ بخَلقِ آدَمَ:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة]، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[الحجر].

قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ [البقرة:٣٠] أي: قَوْمًا يَخْلُفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وقالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[الحجر]، والصَّلصالُ التُّرابُ، والحمَأُ المَسنونُ هو الطِّينُ الأملَسُ، فلمَّا أُخبِرَ الملائكَةُ بذلِكَ ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يُريدونَ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، واللهُ أعلَمُ كيف علِمَتِ الملائِكَةُ أنَّ بَني آدَمَ يُفسِدونَ في الأرضِ! وهذا مِنهم سُؤالُ استفسارٍ لا استِنكارٍ، قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ﴾ أي: فما الحِكمَةُ في خَلقِ الإنسانِ ونحنُ نَعبُدُكَ ونُسبِّحُ بحَمدِكَ؟ فأجابَهم اللهُ فـ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[البقرة] مِن المَصلَحَةِ الرَّاجِحَةِ في خَلقِ الإنسانِ.

خَلقُهُ ﷺ:

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾[ص].

خلَقَ اللهُ آدَمَ بيدَيهِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ﴾[ص:٧٥]، وخلقَهُ علىٰ صورَتِهِ، قالَ ﷺ في الحديثِ المُتَّفقِ عليه: «**خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ: طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا... فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدُ حَتَّىٰ الْآنَ**»، وعندَ أبي داوُدَ والتِّرمذيِّ: «**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ**» أي: من

أنواع التُّرابِ المُختلِفَةِ، «فَجاءَ بَنُو آدمَ عَلَىٰ قَدْرِ الْأَرْضِ، جاءَ مِنْهُمُ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ»، ثمَّ نفَخَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فيه الرُّوحَ، وكانَ ذلِكَ يومَ الجُمعةِ، فقد جاءَ في حَديثِ مُسلم أنَّه ﷺ قالَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»، وعندَ أحمدَ والتِّرمذيِّ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ».

تَعليمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تحيَّةَ السَّلام:

قالَ ﷺ في الحديثِ المُتَّفقِ عليه: «فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ». مُتَّفقٌ عليه.

تَعليمُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الأسماءَ واختبارُ المَلائكَة:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

قالَ تعالىٰ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي: أسماءَ كلِّ الأشياءِ، ذواتِها، وصِفاتِها، وأفعالِها، وفي حَديث الشَّفاعةِ عند البُخاريِّ أنَّ النَّاس يقولونَ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ»، ﴿ثُمَّ﴾ بعد أن علَّمَه الأسماءَ ﴿عَرَضَهُمْ﴾ أي: عرَضَ تلكَ الأسماءَ ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا له عَزَّوَجَلَّ مِن أن يعلَمَ أحَدٌ مِن خَلقِه شيئًا إلَّا بتَعليمِه إيَّاهُ، وقالوا: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بكُلِّ

شيءٍ ﴿ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾ في خلقِكَ وأمرِكَ، فأرادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يُرِيَهُم ما علَّمه لآدمَ مِن الأسماءِ فـ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ وظهَرَ لهُم ما فضَّلَهُ اللهُ به مِن العِلمِ ﴿قَالَ﴾ اللهُ تعالىٰ لهُم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ أي: أعلَمُ السِّرَّ والخَفِيَّ مِن الأُمورِ كما أعلَمُ الظَّاهِرَ الجَلِيَّ مِنها.

خَلقُ حَوَّاءَ:

﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النِّساء:١].

خلَقَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حوَّاءَ زوجًا لآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تعالىٰ: ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفسُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النِّساء:١] وهي حوَّاءُ، وكان خَلقُها مِن ضِلعِهِ، قالَ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ**».

أمرُ المَلائِكَةِ بالسُّجودِ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة]، ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ [الأعراف]، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ۝٦١﴾ [الإسراء].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ طاعةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ وإكرامًا لآدمَ، وكانَ مِن بَينِ الملائِكَةِ إبليسُ، وهو مِن الجِنِّ، قالَ الحسَنُ البَصريُّ: (مَا كَانَ إِبْلِيسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطُّ، وَإِنَّهُ لَأَصْلُ الْجِنِّ؛ كَمَا أَنَّ آدَمَ أَصْلُ الْإِنْسِ)، فدخَلَ إبليسُ في خِطابِ الملائِكَةِ؛ لأنَّه كانَ قد تشبَّه بهم وتوسَّمَ بأفعالِهم، فلمَّا أُمِروا بالسُّجودِ استَجابَ الملائِكَةُ كلُّهم أجمَعونَ ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة]، وسببُ تركِهِ السُّجودَ أنَّه تكبَّرَ ورأىٰ نفسَهُ خيرًا مِن آدمَ، ولهذا قالَ: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ

مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾[الأعراف]، وقالَ: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾[الحجر]، وقالَ: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾[الإسراء]؟! فصارَ بإعراضِهِ عن السُّجودِ مِن الكافِرينَ.

إسكانُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الجنَّة:

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة:٣٥]، ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[طه].

بعدَ أن أسجدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الملائكةَ لآدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أكرمَهُ مرَّةً أُخرىٰ بأن أسكنَهُ الجنَّةَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ الَّتي في السَّماءِ، ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[البقرة:٣٥] أي: أكلًا هنيئًا واسِعًا طَيِّبًا، وأمَرَ اللهُ آدَمَ أن يتَّخِذَ إبليسَ عدُوًّا، قالَ تعالىٰ: ﴿فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾، وفي ذلِكَ دَلالَةٌ علىٰ أنَّ الدَّارَ الدُّنيا دارُ شَقاءٍ، وأنَّ الإنسانَ يُصيبُهُ فيها العَناءُ في تَطَلُّبِ الرِّزقِ، فليَصبِرْ وليَحتَسِبْ، وذكَّرَ اللهُ آدمَ بما أنعَمَ عليه به في الجنَّةِ فقالَ: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ أي: لا تَعطَشُ، ﴿وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾[طه] أي: لا يُصيبُكَ الحَرُّ.

الأكلُ مِن الشَّجَرَة:

﴿وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا﴾[البقرة]، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[طه]، ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[الأعراف].

ثـمَّ اختبَـر اللهُ آدمَ وحـوَّاءَ فقـالَ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ لشـجرَةٍ مُعيَّنَـةٍ مِن شـجَرِ الجَنَّـةِ، ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ بِعِصيانِكُمـا أمـرَ رَبِّكُمـا، ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا﴾[البقرة:٣٦] بـأنْ وَسـوَسَ إليهمـا ليـأكُلا مِـن الشَّـجرَةِ، قـالَ تَعالـىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ﴾ أي: إلـىٰ آدمَ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ الَّتـي مَـن أكَلَ مِنهـا خُلِّـدَ في الدُّنيـا فلـم يُصِبهُ المَـوتُ أبدًا، ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾[طـه] أي: لا يَنقَطِـعُ أبدًا، قـالَ تَعالىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[الأعـراف] أي: حلَـفَ لهمـا بـاللهِ كاذِبًا أنَّـه يَنصَحُ لهُما، فاغتـرَّا بقَولِـهِ، ونَسِـيَا مـا أمرَهُمـا اللهُ بـه مِـن اتِّخـاذِ إبليسَ عـدُوًّا، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ أي: مِـن الشَّـجرَةِ الَّتي نُهِيـا عنهـا، ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي: ظَهرَت عورَتاهُمـا، وكانـا لا يَرَيانِها قبلَ ذلِكَ، فاستَحيَيا مِن اللهِ ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ يَلزقـانِ بعضَـهُ إلىٰ بعضٍ ويَسـتُرانِ بـه عَورَتَيهِما، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾[طـه].

تَوبَةُ اللهِ عليه وإخراجُه مِن الجنَّةِ:

﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[البقرة]، ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه]، ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف].

لمَّـا عصـىٰ آدمُ وحـوَّاءُ ربَّهُما وأكلا مـن الشَّـجرَةِ ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ مِـن الـرِّزقِ الهَنـيءِ والطَّعامِ واللِّبـاسِ، ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ يـا آدمُ وحـوَّاءُ وإبليسُ

إلىٰ الأرضِ الَّتي كانَ اللهُ قد أعدَّها لبَني آدَمَ بما سبَقَ في عِلمِه، ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ أي: إبليسُ وذُرِّيَّتُه عَدُوٌّ لآدَمَ وذُرِّيَّتِه، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ﴾ مِن الأرزاقِ والآجالِ ﴿إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ إلىٰ أن تقومَ القِيامَةُ ويُحشَرَ الخَلقُ للحِسابِ.

ثمَّ نَدِمَ آدمُ علىٰ ما كانَ مِنه وتابَ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فأرادَ اللهُ أن يَتوبَ عليه، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ﴾[البقرة:٣٧] مِنها أنَّه علَّمَه وزوجَهُ أن يَقولَا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾[الأعراف]، ﴿فَتَابَ﴾ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ علىٰ مَن تابَ مِن عِبادِهِ لُطفًا بِهم، ﴿ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾[البقرة] بالمُؤمنينَ مِن عِبادِه، قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اجتبَىٰ اللهُ آدَمَ واصطَفاهُ ﴿فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾[طه]، ثمَّ أنذَرَ اللهُ تَعالىٰ آدَمَ وحوَّاءَ ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾ بما أُنزِلُهُ علىٰ ذُرِّيَّتِكُما مِن الكُتبِ، وما أُرسِلُه مِن الرُّسُلِ، ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾[البقرة]، وقالَ: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ كثيرَةَ الشَّقاءِ، ﴿وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾[طه].

قصَّةُ ابنَي آدَمَ:

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١﴾[المائدة].

بعدَ أن أنـزَلَ اللهُ آدَمَ وحـوَّاءَ إلـىٰ الأرضِ، أفضَـىٰ آدَمُ إلـىٰ زَوجِـهِ فحمَلَت مِنـه ووَضَعـت توأمًـا ذكـرًا وأُنثـىٰ، ثـمَّ مـا لَبِثَـت أن وضَعَـت توأمًا آخـرَ، ولم يصِـحَّ في تَسـمِيَتِهم شـيءٌ، لكن اشـتَهَرَ عنـد أهل السِّـيَرِ أنَّ اسـمَ الابـنِ الأكبَرِ قابيـلُ واسـمَ الأصغَرِ هابيـلُ، فلمَّا كبُرَا أوحَـىٰ اللهُ إلـىٰ آدَمَ أن يُنكِحَهما، فنكَحَ كلٌّ مِنهمـا تَـوأَمَ الآخَـرِ، ثـمَّ أرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بما اقتَضَتـهُ حِكمَتُـهُ أن يبتَلِيَهما.

قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ لحاجَةٍ أراداها، ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ وهـو هابيلُ، ﴿وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾، فحسَـدَ قابيلُ أخاهُ وحقَـدَ عليـه، و﴿قَالَ﴾ لـه: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾، وكانَ هابيلُ تَقِيًّـا فـ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾، ولا مُكـرِهَ للهِ عَزَّوَجَلَّ، ثـمَّ قـالَ هابيـلُ لأخيه: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾، فلـن أُقابِلَـكَ علىٰ صَنيعِكَ الفاسِـدِ بمِثلِـهِ، ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ﴾ أي: أريـدُكَ أن تتحَمَّـلَ إثـمَ قَتلِي وإثـمَ خَطيئَتِكَ الَّتي أخطَأتَ مِـن قَبلُ فلـم يُقبَل بسـبَبِها قُربانُـكَ، ﴿فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وإنَّمـا قـالَ له هذا مِـن بـابِ المَوعِظَةِ والزَّجـرِ عـن المَعصيَةِ.

فلـم تنفَـعِ المَوعِظَةُ مـع قابيلَ، قـالَ تَعالىٰ: ﴿فَطَوَّعَتۡ﴾ أي: حسَّـنَت ﴿لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾ بحَديـدَةٍ كانـت في يَـدِه، ﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ خسـارَةً كبيـرَةً في الدُّنيـا والآخِـرَةِ، وقـد جـاء في الحَديـثِ المُتَّفَـقِ عليـه: «**لَا تُقْتَـلُ نَفْـسٌ إِلَّا كَانَ عَلَـىٰ ابْـنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْـلٌ مِنْهَـا**»، ثـمَّ إنَّ قابيلَ لـم يعلَم ما يَصنَعُـهُ بأخيـهِ بعد أن قتَلَـهُ، فبعَـثَ اللهُ غُرابَينِ يَقتَتِـلانِ، فقتَلَ أحَدُهمـا الآخَرَ، قـالَ تَعالـىٰ: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ ليَدفِـنَ الغُـرابَ الَّـذي قتَلَـهُ، و﴿لِيُرِيَهُۥ﴾ أي: يُـريَ قابيـلَ ﴿كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ﴾ بالتُّـرابِ، فـ﴿قَالَ﴾ قابيـلُ حينَئِـذٍ: ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائـدة]، وذكَـرَ أهـلُ السِّـيَرِ أنَّ آدَمَ حـزِنَ علـىٰ هابيـلَ حُزنًـا عظيمًـا، فأخلَفَـهُ اللهُ مِـن بَعـدِهِ شـيئًا، وجعَلَهُ نبيًّـا يخلُفُ أبـاهُ مِن بعـدِهِ، والَّـذي يظهَـرُ أنَّ اللهَ وهَـبَ لآدَمَ وحـوَّاءَ أولادًا غيرَ هـؤلاءِ، واللهُ أعلَمُ.

قِصَّةُ مُحاجَّةِ آدَمَ لـموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

قال النَّبيُّ ﷺ في الحديث المُتَّفَقِ عليه: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ»، وذلِكَ عندَما الْتقَتْ أرواحُهما في السَّماءِ، «فَقَالَ لَهُ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي أَخْرَجَتْكَ خَطِيئَتُكَ مِنَ الْجَنَّةِ» يَلومُهُ علىٰ ذلِكَ، وفي لفظٍ: «آنْتَ الَّذِي أَشْقَيْتَ النَّاسَ وَأَخْرَجْتَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ؟»، وفي لفظٍ آخرَ: «أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ»، «فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ» يُثني عليه بذلِكَ، «ثُمَّ تَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟!»، فقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ» مَرَّتَيْنِ، أي: غلبَهُ بالحُجَّةِ، ويَنبَغي التَّنبيهُ إلىٰ أنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يحتَجَّ علىٰ مَعصيَتِهِ الَّتي اكتَسبَها بيَدِهِ، وإنَّما احتَجَّ علىٰ العاقِبَةِ وهي الخُروجُ مِن الجنَّةِ، فإنَّ اللهَ تعالىٰ هو الَّذي قدَّرَ عليه ذلِكَ.

قِصَّةُ آدَمَ مع داوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

أخرجَ أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «قَالَ اللهُ لَهُ» أي: لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ، قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ، ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ» فرآهُم في عالَمِ الغيبِ، ولكنَّه لم يَعرِفْهم ابتِداءً، «فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَا هَؤُلَاءِ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمُرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَؤُهُمْ أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ» أي: تميَّزَ عن باقي الذُّرِّيَّةِ بما له مِن مَزيدِ ضَوءٍ عن سائرِهم، «قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ» النَّبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، «قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمُرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: يَا رَبِّ زِدْهُ فِي عُمُرِهِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمُرِي سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، قَالَ: ثُمَّ أُسْكِنَ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ، قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجِلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ، قَالَ: بَلَىٰ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لِابْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ»، قَالَ ﷺ: «فَمِنْ يَوْمِئِذٍ أُمِرَ بِالْكِتَابِ وَالشُّهُودِ».

بُطلانُ قِصَّةِ تَسمِيَةِ الوَلَدِ عَبدَ الحارثِ:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[الأعراف].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي الآيَةِ قَالَ: «**لَـمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ، فَأَتَاهُمَا إِبْلِيسُ، فَقَالَ: إِنِّي صَاحِبُكُمَا الَّذِي أَخْرَجْتُكُمَا مِنَ الْـجَنَّةِ؛ لَتُطِيعُنِّي أَوْ لَأَجْعَلَنَّ لَهُ قَرْنَيْ أَيِّلٍ، فَيَخْرُجَ مِنْ بَطْنِكِ فَيَشُقَّهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ وَلَأَفْعَلَنَّ؛ يُخَوِّفُهُمَا، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الْـحَارِثِ، فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ؛ فَأَبَيَا أَنْ يُطِيعَاهُ، فَخَرَجَ مَيِّتًا، ثُمَّ حَمَلَتْ فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهُمَا، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ، فَسَمَّيَاهُ عَبْدَ الْـحَارِثِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ﴾**».

رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

هذه القصَّةُ باطلةٌ مِن وُجوهٍ:

- ليسَ في ذلِكَ خَبَرٌ صَحيحٌ عنه ﷺ، قال ابنُ حزمٍ: (إنَّها مَكذوبةٌ مَوضوعةٌ).
- يَمتنِعُ غايَةَ الامتِناعِ أن يذكُرَ اللهُ الخَطيئةَ ولا يذكُرَ توبَتَهُما.
- الأنبياءُ مَعصومونَ مِن الشِّركِ باتِّفاقِ العُلَماءِ.
- لا يُمكِنُ أن يُصَدِّقا أنَّ الشَّيطانَ يجعَلُ له قَرنَيْ أيِّلٍ، فهذا شِركٌ في الرُّبوبيَّةِ.
- أنَّ النَّاسَ يَأتونَ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ فيَعتَذِرُ بأَكلِهِ مِن الشَّجرَةِ وهو مَعصِيَةٌ، ولو وقَعَ في الشِّركِ لَكان اعتِذارُه به أقوىٰ وأولىٰ وأحرىٰ.
- قال لهُما الشَّيطانُ: «**إِنِّي صَاحِبُكُمَا**»، وهذا لا يَقولُهُ مَن يُريدُ الإغواءَ.
- في الآيةِ ﴿يُشْرِكُونَ﴾ بضَميرِ الجَمعِ، ولو كان المَقصودُ آدَمَ وحوَّاءَ لقال: (يُشرِكانِ).

وعلىٰ هذا يكونُ تَفسيرُ الآيَةِ عائِدًا إلىٰ بَني آدَمَ الَّذين أشرَكوا شِركًا حَقيقِيًّا، فإنَّ مِنهم مُشرِكًا ومِنهم مُوحِّدًا.

قالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيره» (٣/ ٥٢٦): (قالَ ابنُ جَريرٍ: حدَّثَنا ابنُ وَكيع، حدَّثَنا سَهلُ بنُ يوسُفَ، عن عَمرٍو، عن الحسَنِ: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، قال: «**كَانَ هَذَا فِي بَعْضِ أَهْلِ الْمِلَلِ، وَلَمْ يَكُنْ بِآدَمَ**».

حَدَّثَنَا مُحمَّدُ بنُ عَبدِ الأعلىٰ، حدَّثَنا مُحمَّدُ بنُ ثَورٍ، عن مَعمَرٍ قالَ: قالَ الحسَنُ: «**عَنَىٰ بِهَا ذُرِّيَّةَ آدَمَ وَمَنْ أَشْرَكَ مِنْهُمْ بَعْدَهُ**»، يعني قولَه: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾.

حدَّثَنا بِشرٌ، حدَّثَنا يَزيدُ، حدَّثَنا سَعيدٌ، عن قَتادَةَ قالَ: كانَ الحسَنُ يَقولُ: «**هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ، رَزَقَهُمُ اللهُ أَوْلَادًا، فَهَوَّدُوا وَنَصَّرُوا**».

وهذِه أَسانيدُ صَحيحَةٌ عن الحسَنِ رَحِمَهُ اللهُ، أنَّه فسَّرَ الآيَةَ بذلِكَ، وهو مِن أحسَنِ التَّفاسيرِ، وأَولىٰ ما حُمِلَت عليه الآيَةُ، ولو كانَ هذا الحَديثُ عِندَه مَحفوظًا عن رَسولِ اللهِ ﷺ لَمَا عَدَلَ عنه هو ولا غَيرُه، ولا سِيَما مع تَقواهُ للهِ ووَرَعِهِ، فهذا يدُلُّكَ علىٰ أنَّهُ مَوقوفٌ علىٰ الصَّحابيِّ... وأمَّا نحنُ فعلىٰ مَذهَبِ الحسَنِ البَصريِّ رَحِمَهُ اللهُ في هذا واللهُ أعلَمُ، وأنَّه ليسَ المُرادُ مِن هذا السِّياقِ آدَمَ وحوَّاءَ، وإنَّما المُرادُ مِن ذلِكَ المُشرِكونَ مِن ذُرِّيَّتِه، ولهذا قالَ اللهُ: ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[الأعراف]).

فَوائِدُ مُهِمَّةٌ من قِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

❍ قيلَ: إنَّه سُمِّيَ آدَمَ لأنَّه خُلِقَ مِن أديمِ الأرضِ، وهو الوَجهُ الظَّاهِرُ للعَينِ مِنها وهو التُّرابُ، رُوِيَ هذا عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وقيلَ: لأنَّه كانَ به سُمرَةٌ، وهذا المَعنىٰ صَحيحٌ في اللُّغَةِ.

❍ ذكَرَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ في «مِفتاحِ دارِ السَّعادَةِ» (١/ ٣) حِكَمًا عَظيمَةً في إخراجِ آدَمَ مِن الجَنَّةِ وإنزالِهِ إلىٰ الأرضِ، نَذكُرُ بَعضَها هنا، ومَن أرادَ الاستِزادَةَ فليُراجِعها في مَوضِعِها:

- أنَّ اللهَ سُبْحانَهُ أرادَ أن يُذيقَه ووَلَدَه مِن نَصَبِ الدُّنْيا وغُمومِها وهُمومِها وأَوصابِها ما يَعظُم بِهِ عِندَهم مِقْدارُ دُخولِهِمْ إليها في الدَّارِ الآخِرَةِ.

- أنَّـهُ سُـبْحانَهُ أرادَ أمرَهُـم ونَهيَهم وابتِلاءَهـم واختِبارَهم، ولَيْسَـت الجنَّةُ دارَ تَكْليـفٍ فأهبَطَهُـم إلىٰ الأرضِ.
- أنَّـهُ سُـبْحانَهُ أرادَ أن يتَّخِـذَ مِنهُم أنبيـاءَ ورُسُـلًا وأولياءَ وشُـهَداءَ يُحِبُّهم ويُحِبُّونَـهُ، فخلَّـىٰ بَينَهـم وبَيـن أعدائِـه، وامتَحَنَهـم بهم، فَلَمَّـا آثَـرُوه وبَذَلوا نُفُوسَـهم وأموالَهـم في مَرضاتِـه ومَحابِّـه نالوا مِـن مَحبَّتِه ورِضوانِـه والقُربِ مِنهُ مـا لـم يَكُـن ليُنـالَ بـدُونِ ذَلِكَ.
- أنَّـهُ سُبْحانَهُ لَـهُ الأسـماءُ الحُسنىٰ، فَمِـن أسـمائِه: الغَفـورُ، الرَّحِيـمُ، العَفُـوُّ، الحَليـمُ، الخافِـضُ، الرَّافِـعُ، المُعِـزُّ، المُـذِلُّ، المُحيِـي، المُميـتُ، الـوَارِثُ، الصَّبـورُ، ولابُـدَّ مِـن ظُهُورِ آثـارِ هَذِه الأسـماءِ، فاقتَضَـت حِكمَتُه سُـبْحانَهُ أن يَنـزِلَ آدَمُ وذُرِّيَّتُـه دارًا يظْهَـرُ عَلَيْهِـم فِيهـا أثَـرُ أسـمائِهِ.
- أنَّـهُ سُـبْحانَهُ المَلِـكُ، الحَـقُّ، المُبيـنُ، والمَلِـكُ هو الَّـذِي يَأْمُـرُ ويَنْهىٰ، ويُثيـبُ ويُعاقِـبُ، ويُهيـنُ ويُكـرِمُ، ويُعِـزُّ ويُـذِلُّ، فاقْتَضـىٰ مُلكُه سُـبْحانَهُ أن أَنْـزلَ آدَمُ وذُرِّيَّتُـه دارًا تَجـري عَلَيْهِـم فِيهـا أحـكامُ المَلِكِ.
- أنَّـهُ سُـبْحانَهُ أنزَلَهُـم إلـىٰ دارٍ يَكـونُ إيمانُهـم فِيها بِالغَيْـبِ، والإيمـانُ بِالغَيْـبِ هـو الإيمـانُ النَّافِـعُ.
- أنَّ اللهَ سُـبْحانَهُ خلَقَ آدَمَ مِـن قَبْضَةٍ قَبَضَها مِن جَمِيـعِ الأرضِ، والأرضُ فِيهـا الطَّيِّـبُ والخَبيثُ، والسَّـهلُ والحَزنُ، والكَريـمُ واللَّئيمُ، فَعلِمَ سُـبْحانَهُ أنَّ في ظَهـرِه مَـن لا يصلُحُ لمُسـاكَنَتِه في الجنَّـةِ، فأنزَلَه إلىٰ دارٍ اسـتَخرَجَ فِيها الطَّيِّـبَ والخَبيـثَ مِن صُلبِه، ثـمَّ ميَّزَهم سُـبْحانَهُ بدارَينِ.
- أنَّـهُ سُـبْحانَهُ لمـا قـالَ للْمَلائكَـة ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ﴾ أجابهم بقولـه ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾[البقرة]، ثـمَّ أظهَرَ سُـبْحانَهُ عِلمَـه لِعِبـادِهِ ولمَلائِكتِه.
- أنَّـهُ سُـبْحانَهُ لمَّـا كانَ يُحِـبُّ الصَّابِريـنَ، ويُحِـبُّ المُحْسِـنِينَ، ويُحِـبُّ الَّذيـن يُقاتِلُـونَ في سَـبيلِه صَفًّـا، ويُحِـبُّ التَّوَّابيـنَ، ويُحِـبُّ المُتَطَهِّريـنَ، ويُحِـبُّ الشَّـاكِرِينَ، وكانَت مَحبَّتُه أعلـىٰ أنواعِ الكَرامـاتِ = اقْتَضَت حِكمَتُه

أن أسكنَ آدَمَ وبَنيهِ دارًا يأْتونَ فِيها بهَذِهِ الصِّفاتِ.

❍ استَطاعَ إبليسُ إيقاعَ آدَمَ في المَعصِيَةِ مع أنَّه نَبيٌّ مُرسَلٌ، وقد آتاهُ اللهُ العِلمَ والحُكمَ، وأسجَدَ له المَلائِكَةَ إكرامًا له، فيَنبَغي لمَن كانَ دونَه في العِلمِ أن لا يَغتَرَّ بنَفسِهِ، وأن يَحذَرَ مِن إبليسَ أشَدَّ الحَذَرِ، وأن يَتَّخِذَهُ عَدُوًّا كما أمَرَ اللهُ آدَمَ أن يتَّخِذَهُ عَدُوًّا.

❍ أثبَتَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لآدَمَ المَعصِيَةَ، وأثبَتَها هو لنَفسِهِ كما في حَديثِ الشَّفاعَةِ، ومع ذلِكَ فإنَّ مَعصِيَةَ آدَمَ دونَ مَعصِيَةِ إبليسَ، وذلِكَ أنَّ إبليسَ عَصىٰ اللهَ تَعالىٰ عامِدًا، ثمَّ استكبَرَ وأصَرَّ علىٰ مَعصِيَتِهِ، بخِلافِ آدَمَ فإنَّه أخطَأَ ثمَّ تابَ فتابَ اللهُ عليهِ، والخَطَأُ مِن سيمَا البَشَرِ، قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**». أخرجَهُ أحمَدُ والتِّرمِذيُّ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾[البقرة]، وقالَ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾[طه]، وهنا مُلاحَظتانِ:

- جاءَ الخِطابُ بالهُبوطِ مِن الجنَّةِ في الآيَةِ الأُولىٰ بصيغَةِ الجَمعِ، وفي الثَّانِيَةِ بصيغَةِ التَّثنِيَةِ، وسبَبُ ذلِكَ أنَّ الخِطابَ في الآيَةِ الأُولىٰ لآدَمَ وحَوَّاءَ وإبليسَ، وفي الثَّانِيَةِ لآدَمَ وإبليسَ فقط، أو لآدَمَ وحَوَّاءَ فقط.
- جاءَ الخِطابُ بالعَداوَةِ في الآيَتَينِ بصيغَةِ الجَمعِ؛ لأنَّه يَشمَلُ إبليسَ كما يشمَلُ آدَمَ وحَوَّاءَ؛ بل وذُرِّيَّتَهُما أيضًا.

❍ سُجودُ المَلائِكَةِ لآدَمَ ليسَ مِن بابِ العِبادَةِ؛ بل هو مِن بابِ السَّلامِ والتَّحِيَّةِ للإكرامِ وبَيانِ الفَضلِ، كما في قصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ﴾[يوسف:١٠٠]، ومع ذلِكَ فإنَّ سُجودَ المَلائِكَةِ لآدَمَ عِبادَةٌ لله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنَّه امتِثالٌ لأمرِهِ.

❍ أوَّلُ ذنبٍ عُصِيَ به اللهُ عَزَّوَجَلَّ هو الحسَدُ والتَّكَبُّرُ؛ لأنَّ الَّذي حمَلَ إبليسَ علىٰ تَركِ السُّجودِ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الحسَدُ مِنه لِما أكرَمَهُ اللهُ به ومَيَّزَهُ، والتَّكَبُّرُ عليه بكَونِهِ خُلِقَ مِن نارٍ بينَما خُلِقَ آدَمُ مِن طينٍ، وزَعَمُ أنَّه أفضَلُ لأنَّ النَّارَ تَعلو علىٰ الطِّينِ، قالَ السِّعديُّ رَحِمَهُ اللهُ: (وهذا مِن القِياسِ الفاسِدِ، وكَذَبَ

في تَفضيلِ عُنصُرِ النَّارِ علىٰ عُنصُرِ الطِّينِ والتُّرابِ، فإنَّ عُنصُرَ الطِّينِ فيه الخُشوعُ، والسُّكونُ، والرَّزانةُ، والتَّواضُعُ، ومِنه تظهَرُ بَركاتُ الأرضِ مِن الأشجارِ والنَّباتِ، ويَغلِبُ النَّارَ ويُطفِئُها، وأمَّا عُنصُرُ النَّارِ فهي مادَّةُ الخِفَّةِ، والطَّيشِ، والإحراقِ، والشَّرِّ، والفَسادِ، والعُلُوِّ).

❍ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَبيٌّ اصطَفاهُ اللهُ علىٰ كَثيرٍ مِن خَلقِه، ولولا أنَّ اللهَ ذكَرَ لنا ما حصَلَ مِنه مِن الخَطيئَةِ وأكلِه مِن الشَّجرَةِ ما استَطَعنا أن نتكَلَّمَ بكَلِمَةٍ واحِدَةٍ، ولهذا فإنَّنا نَقتَصِرُ علىٰ ذِكرِ ما ذُكِرَ لنا في القُرآنِ دونَ زِيادَةٍ، ونُركِّزُ علىٰ توبَةِ آدمَ مِن ذَنبِه، وتَوبَةِ اللهِ تَعالىٰ عليه.

❍ تقدَّمَ أنَّ اللهَ تَعالىٰ خلَقَ آدمَ بيَدِه، ويُنَبَّهُ هنا إلىٰ الآتي:

- «**خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ، وَغَرَسَ أَشْجَارَهَا بِيَدِهِ**». أخرجَهُ الحاكِمُ.
- «**يَا مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ**» أي: التَّوراةَ «**بِيَدِهِ**». مُتَّفقٌ عليه.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١﴾[الأعراف]، أي أنَّ إبليسَ حلَفَ لآدَمَ وحَوَّاءَ أنَّه صادِقٌ وأنَّه ناصِحٌ لهُما في قَولِه: إنَّهما إن أكَلا مِن الشَّجَرَةِ أُعطِيا الخُلودَ في الدُّنيا، وكانَ مِن تَعظيمِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ للهِ تعالىٰ أنَّه لم يَخطُر ببالِه أنَّ أحَدًا مِن الخَلقِ يُمكِنُ أن يَحلِفَ باللهِ كاذِبًا، فحَمَلَه ذلِكَ علىٰ تَصديقِ إبليسَ!

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾[طه]، ومِن الحِكَمِ في قَبولِ اللهِ تَعالىٰ تَوبَةَ آدمَ أنَّ في ذلِكَ إرغامًا لإبليسَ الَّذي ظنَّ بجَهلِه أنَّ اللهَ سُبحانَه يتَخَلَّىٰ عن صَفيِّه وحَبيبِه الَّذي خَلَقَه بيَدِه، ونفَخَ فيه مِن روحِه، وأسجَدَ له مَلائِكتَه، وعلَّمَه أسماءَ كلِّ شيءٍ، مِن أجلِ أكلَةٍ أكَلَها صدَّقَ فيها إبليسَ اللَّعينَ!

❍ قِصَّةُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هي أوَّلُ قِصَّةٍ ذُكِرَت في القُرآنِ بحَسَبِ تَرتيبِ سُوَرِ القُرآنِ (في أوائِلِ سورَةِ البقَرَةِ).

❍ أمرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ للمَلائِكَةِ بالسُّجودِ لآدَمَ يَشمَلُ إبليسَ؛ لأنَّه كانَ قد تشبَّه بهم وتوسَّمَ بأفعالِهم، وجاءَ مُصرَّحًا في القُرآنِ بأنَّه أُمِرَ بالسُّجودِ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَ﴾[الأعراف:١٢].

❍ إبليسُ -والعِياذُ باللهِ- جمَعَ صِفاتِ الذَّمِّ كُلَّها: الإِباءَ عن الأَمرِ، والاِستِكبارَ عن الحَقِّ وعلىٰ الخَلقِ، والكُفرَ، وهذا ما اقتَضىٰ طَردَهُ وإبعادَه عن رَحمَةِ اللهِ.

❍ النِّكاحُ سُنَّةٌ قديمَةٌ مُنذُ خلَقَ اللهُ آدمَ ﵇، وبقِيَت في بَنِيه إلىٰ يَومِنا هذا.

❍ لم يُعيِّن لنا اللهُ ﷯ الشَّجرَةَ الَّتي نَهَىٰ آدَمَ أن يأكُلَ مِنها، وذلِكَ لأنَّه ليسَ في تَعيينِها فائِدَةٌ لنا، ولا ينفَعُ العِلمُ بها كما لا يَضُرُّ الجَهلُ بها.

❍ لا يُمكِنُ لبَنِي آدَمَ أن يَعيشُوا إلَّا في الأَرضِ؛ لقَولِه تعالىٰ: ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾[البقرة]، وبِناءً علىٰ ذلِكَ نعلَمُ أنَّ مُحاوَلَةَ الكُفَّارِ أن يَعيشُوا في غَيرِ الأرضِ -إمَّا في بَعضِ المَواكِبِ أو المَراكِبِ- مُحاوَلَةٌ يائِسَةٌ؛ لأنَّه لابُدَّ أن يكونَ مُستقَرُّهم في الأرضِ.

❍ لا دَوامَ لبَنِي آدَمَ في الدُّنيا فهي مَعبَرٌ يُتزَوَّدُ مِنه للدَّارِ الآخِرَةِ، ولا تُعمَّرُ الدُّنيا لِلاستِقرارِ.

❍ خلَقَ اللهُ المَلائِكَةَ مِن نورٍ، والشَّياطينَ مِن نارٍ، وآدَمَ مِن تُرابٍ:

[١]	[٢]	[٣]
[١] فلمَّا كانَت المَلائِكَةُ للعِبادَةِ والتَّسبيحِ والطَّاعَةِ ناسَبَ أن يكونَ خَلقُهُم مِن نورٍ.	[٢] ولمَّا كانَت الشَّياطينُ للكَيدِ والوَسوَسَةِ والفِتنَةِ ناسَبَ أن يكونَ خَلقُهُم مِن نارٍ.	[٣] ولمَّا كانَ الإنسانُ مُعمِّرًا للأَرضِ وفيه سُهولَةٌ، ولُيونَةٌ، وصُعوبَةٌ، وشِدَّةٌ، وطِيبٌ، وخُبثٌ ناسَبَ أن يَكونَ خَلقُه مِن مادَّةٍ تَحوي ذلِكَ كُلَّه.

فالنَّارُ شَيءٌ واحِدٌ، والنُّورُ شَيءٌ واحِدٌ، لكِنَّ التُّرابَ يَختَلِفُ مِن مَكانٍ لآخَرَ، وهذا هو حالُ الإنسانِ.

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ١٣﴾[الأعراف]، هذه الآيَةُ أَصلٌ في ثُبوتِ الحَقِّ لأَهلِ المَحلَّةِ في أن يُخرِجوا مِن مَحلَّتِهم مَن يُخشَىٰ مِن سيرَتِه فُشُوُّ الفَسادِ بَينَهم.

❍ في قَولِ إبليسَ وتعَهُّدِه: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧﴾[الأعراف]، قال قتادةُ رحمه الله: (أتاكَ يا ابنَ آدمَ مِن كُلِّ وَجهٍ، غيرَ أنَّه لم يَأتِكَ مِن فوقِكَ، لم يَستَطِعْ أن يَحولَ بَينَك وبَينَ رَحمَةِ اللهِ!).

❍ لاحِظ -رَحِمَك اللهُ- أنَّه لمَّا كان وقتُ الهَنَاءِ، شُرِّف آدمُ عليه السلام بالتَّصريحِ باسمِه في النِّداءِ، فقيل: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ﴾[الأعراف:١٩]، وحينَ كانَ وَقتُ العِتابِ أُخبرنا أنَّ اللهَ عز وجل ناداه، ولم يُصَرَّح باسمِه فقالَ تَعالىٰ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف:٢٢].

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠﴾[طه]، سَبَبُ اقتِصارِ الشَّيطانِ علىٰ التَّسويلِ لآدمَ عليه السلام وهو يُريدُ أن يَأكُلَ آدمُ وحَوَّاءُ معًا: عِلمُه بأنَّ اقتِداءَ المَرأَةِ بزَوجِها مَركوزٌ في الجِبلَّةِ، وفي الآيةِ دَلالَةٌ علىٰ استِقرارِ مَحَبَّةِ الحَياةِ في جِبِلَّةِ البَشَرِ، وآدَمُ عليه السلام إنَّما أرادَ الغايَةَ وهي الخُلدُ، ولكنَّه غَلَطَ في الطَّريقِ، وهذا مِن أعجَبِ المَصايِدِ الَّتي يَصيدُ إبليسُ بها العُلَماءَ، حَيثُ يَحمِلُهم علىٰ أن يتأَوَّلوا لعَواقِبِ المَصالِحِ فيَستَعجِلُوا ضَرَرَ المَفاسِدِ!

❍ ممَّا تَمَيَّزَ به آدمُ عليه السلام عن غَيرِه مِن الأنبياءِ فضلًا عن سائِرِ البَشَرِ كَثرَةُ كَلامِ المَلائِكَةِ معه، وما هذا إلَّا لعَظيمِ فَضلِهِ عندَهُم.

ذِكْرُ مَنْ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ:

شِيثُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	مَعْنَاه:	قيلَ إنَّ مَعناهُ: هِبَةُ اللهِ.
	أبُوه:	آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو ابنُه وخَليفَتُهُ مِن بعدِه.
	نُبُوَّتُه:	المَشهورُ عندَ أهلِ السِّيَرِ أنَّه نَبِيٌّ، ولم يَرِد ذِكرُهُ في القُرآنِ ولا في حَديثٍ صحيحٍ.

إدريسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	اسْمُهُ وزَمانُهُ:	المَشهورُ عندَ أهلِ السِّيَرِ أنَّ اسمَهُ خَنوخُ، وأنَّهُ جَدُّ أبي نوحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهو الَّذي عِندَ أهلِ الكِتابِ، وقيلَ: بل هو مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورجَّحَهُ ابنُ عُثَيمينَ رَحِمَهُ اللهُ.
	مِمَّا وُصِفَ بِهِ:	[١] قيلَ: هو **أَوَّلُ مَن خطَّ بالقلمِ**. [٢] ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ٥٦﴾[مريم]، قالَ السِّعديُّ رَحِمَهُ اللهُ: (جَمَعَ اللهُ لَهُ بَيْنَ الصِّدِّيقِيَّةِ الْجَامِعَةِ لِلتَّصْدِيقِ التَّامِّ، وَالْعِلْمِ الْكَامِلِ، وَالْيَقِينِ الثَّابِتِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَبَيْنَ اصْطِفَائِهِ لِوَحْيِهِ، وَاخْتِيَارِهِ لِرِسَالَتِهِ). [٣-٤] ﴿مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[الأنبياء]. [٥] ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ٥٧﴾[مريم]، قيلَ: إنَّه لم يَمُت بل **رَفَعهُ اللهُ** إليهِ، قالَ ابنُ حجرٍ رَحِمَهُ اللهُ في «الفتح» (٦/ ٣٧٣): (لَمْ يَثْبُتْ مِنْ طَرِيقٍ مَرْفُوعَةٍ قَوِيَّةٍ)، وقيلَ: رفعناه مَنزِلَةً عاليَةً ومَكانَةً رَفيعةً بين النَّاسِ، وهي مَنزِلَةُ النُّبوَّةِ.
	ذِكرُه:	ذُكِرَ إدريسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ **مرَّتين**، في سورة الأنبياء، وسورة مريم.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] مَن هو النَّبِيُّ الَّذي خُلِقَ مِن دونِ أبٍ أو أمٍّ؟ ○ آدمُ. ○ عيسَىٰ. ○ نوحٌ.

[٢] في أيِّ يوم خلَقَ اللهُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ○ السَّبتُ. ○ الأحَدُ. ○ الجُمعةُ.

[٣] كم ذِراعًا طولُ النَّبيِّ آدَمَ؟ ○ سَبعونَ. ○ سِتُّونَ. ○ تِسعونَ.

[٤] مِن أيِّ شيءٍ خلَقَ اللهُ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ○ التُّرابُ. ○ الماءُ. ○ الضِّلعُ.

[٥] هل ورَدَ اسمُ حَوَّاءَ في القُرآنِ؟ ○ نعم. ○ لا.

[٦] بماذا خصَّ اللهُ آدَمَ أبا البَشَرِ؟ ○ خلَقَهُ بيَدَيهِ. ○ نَفَخَ فيه مِن رُوحِهِ. ○ أمَرَ المَلائِكَةَ أن تَسجُدَ لَه. ○ الجميع.

[٧] ما الذَّنبُ الَّذي اقترَفَهُ آدمُ وحوَّاءُ وتسبَّب في نُزولِهما مِن الجنَّةِ؟
○ الأكلُ مِن الشَّجَرَةِ. ○ عدَمُ السُّجُودِ.

[٨] مِن أيِّ شيءٍ خُلِقَت حوَّاءُ؟ ○ التُّرابُ. ○ ضِلعُ آدَمَ.

[٩] الَّذي هدَىٰ قابيلَ إلىٰ طَريقَةِ دَفنِ أخيه: ○ الهُدهُدُ. ○ الغُرابُ. ○ النَّملَةُ.

[١٠] أوَّلُ ذَنبٍ عُصِيَ به اللهُ: ○ الحسَدُ. ○ الأكلُ مِن الشَّجرةِ. ○ الشِّركُ.

[١١] بعَثَ اللهُ (○ مَلَكًا ○ غُرابًا) ليُعلِّمَ البشَرَ كيفيَّةَ الدَّفنِ.

[١٢] لم يَخطُرْ علىٰ بالِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يحلِفَ أحدٌ باللهِ كاذبًا: ○ صح. ○ خطأ.

[١٣] نزولُ آدَمَ إلىٰ الأرضِ: ○ فيه حِكمَةٌ وخَيرٌ كثيرٌ. ○ عُقوبَةٌ مِن اللَّهِ لهُ. ○ لا خيرَ فيهِ ولا شرَّ.

[١٤] عاشَ آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ○ ألفَ سنةٍ. ○ ألفَي سنةٍ. ○ ٢٥٠سنةً.

[١٥] أوصىٰ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لابنه (○ شِيث ○ قابيلَ ○ هابيلَ) مِن بَعدِهِ.

[١٦] مَعنىٰ اسمِ شيثٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِبةُ اللهِ: ○ صح. ○ خطأ.

[١٧] ورَدَ اسمُ شيثٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في: ○ القرآنِ. ○ السُّنَّةِ. ○ ما نقلَهُ أهلُ السِّيَرِ.

[١٨] إدريسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ○ مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ. ○ جَدُّ أبي نوحٍ. ○ فيه خلافٌ.

[١٩] وُصِفَ إدريسُ في القرآنِ أنَّه: ○ صِدِّيقٌ. ○ نبيٌّ. ○ رُفِعَ. ○ الجَميعُ.

[٢٠] مَن أوَّلُ مَن خطَّ بالقَلمِ؟ ○ آدَمُ. ○ إدريسُ. ○ نوحٌ.

[٢١] اختَرِ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

الاسمُ:	حوَّاءُ
اسمُ الزَّوجةِ:	أبو البَشَرِ
اللَّقبُ:	آدَمُ
خُلِقَ مِن:	ضِلعِ آدَمَ
خُلِقَت مِن:	تُرابٍ

[٢٢] تميَّزَ آدَمُ ﷺ عنِ الأنبياءِ بكَثرَةِ كَلامِ المَلائِكَةِ معه، وما هذا إلَّا لعَظيمِ فَضلِه عندَهم: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٣] النُّورُ شَيءٌ واحِدٌ، والنَّارُ شَيءٌ واحِدٌ، لكنَّ التُّرابَ يختَلِفُ مِن مَكانٍ لآخَرَ، وهذا هو حالُ الإنسانِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٤] مِن صِفاتِ إبليسَ: ❍ الإباءُ. ❍ الاستِكبارُ. ❍ الجَميع.

[٢٥] النَّارُ أفضَلُ مِن الطِّينِ؛ لأنَّ النَّارَ تَعلوا علىٰ الطِّينِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٦] إبليسُ: ❍ مِن المَلائِكَةِ. ❍ ما كانَ مِن المَلائِكَةِ طَرفَةَ عَينٍ.

[٢٧] صِل كلَّ عِبارَةٍ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ بدَليلِها مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

لا يُمكِنُ لبَني آدَمَ أن يَعيشوا إلَّا في الأرضِ:	﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الأعراف:١٧].
لا يَستطيعُ الشَّيطانُ أن يَحولَ بينَك وبينَ اللهِ:	﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦﴾ [البقرة].
المَصالِحُ والمَفاسِدُ:	﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥].
تَكريمُ اللهِ لآدَمَ ﷺ:	﴿هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ﴾ [طه:١٢٠].

[٢٨] النِّكاحُ سُنَّةٌ قديمَةٌ منذُ خلَقَ اللهُ آدَمَ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٩] (❍ لا يُمكِنُ ❍ يُمكِنُ) لبني آدَمَ أن يَعيشُوا في الأرضِ.

[٣٠] قصَّةُ آدَمَ هي أوَّلُ قصَّةٍ ذُكِرَت في القرآنِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣١] قصَّةُ تَسمِيَةِ ابنِهما عبدَ الحارِثِ: ❍ باطِلَةٌ مِن وُجوهٍ. ❍ صحيحَةٌ.

[٣٢] آدَمُ ﷺ له قصَّةٌ مع: ❍ موسىٰ ﷺ. ❍ داود ﷺ. ❍ الجَميع.

أَوَّلُ الرُّسُلِ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اسمُهُ:	نوحُ بنُ لامِكِ بنِ مَتُّوشَلَخَ، من ذُرِّيَّة شيث بن آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
زَمانُه:	أخرجَ الحاكِمُ وابنُ حِبَّانَ أنَّه ﷺ سُئِلَ كم كانَ بينَ آدمَ ونوحٍ؟ فقالَ: «**عَشْرُ قُرُونٍ**»، وعند البُخارِيِّ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كُلُّهُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ**»، قالَ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْمُرَادُ بِالْقَرْنِ: الْجِيلُ، أَوِ الْمُدَّةُ)، وكانَ مَبدأُ شِركِهم الغُلُوَّ في الصَّالِحينَ، ثمَّ عَبَدوهم.
أَلْقابُه:	[١] **أَوَّلُ الرُّسُلِ:** ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾، وفي الحديث المُتَّفقِ عليه: «**يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ**». [٢] **أحدُ أولي العزم:** ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾. [٣] **الأبُ الثَّاني للبَشَرِيَّة:** ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ٧٧﴾.
مُدَّةُ بِعثَتِه:	﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت:١٤]، حالُهم في ذلكَ أنَّه كلَّما مرَّ به ملأٌ مِن قومِه سَخِروا مِنه.
زَوجَتُه:	﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ﴾[التَّحريم:١٠]، وفي «المُستَدرَكِ» عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا موقوفًا: «**أَمَّا امْرَأَةُ نُوحٍ فَكَانَتْ تَقُولُ لِلنَّاسِ: إِنَّهُ مَجْنُونٌ**».
أولادُه:	[١] لم يُذكَرْ في القرآنِ مِن ولدِه إلَّا الَّذي كفَرَ، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾[هود:٤٢]. [٢-٤] وقال كثيرٌ من السَّلف: (كلُّ مَن على الأرضِ اليومَ مِن ذُرِّيَّةِ **سامٍ** أو **حامٍ** أو **يافثٍ** أبناءِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ).
دِينُه:	﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٧٢﴾[يونس].

مَراتِبُ دَعوَتِه ثَلاثَةٌ:	[١] **المُناصَحةُ سِرًّا:** ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾[نوح]. [٢] **المُجاهَرةُ:** ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾[نوح]. [٣] **الجَمعُ بينَهما:** ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾[نوح].
مِن فَضائلِه:	[١] **عبدٌ شَكورٌ:** ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾[الإسراء]. [٢] **مُستجابُ الدَّعوةِ:** ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾[الأنبياء:٧٦]. [٣] **جُعِلَ في ذُرِّيَّتِه النُّبُوَّةُ والكتابُ:** ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾[الحديد:٢٦]. [٤] **قُوَّةُ الصَّبرِ:** ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[العنكبوت:١٤]. [٥] **التَّسليمُ التَّامُّ للَّهِ:** فلمَّا أخبرَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّ ابنَهُ عملٌ غيرُ صالحٍ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾[هود:٤٧]. [٦] **نصرَهُ اللَّهُ:** ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾[الأنبياء:٧٧]. [٧] **أمَّنه اللَّه:** ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ۝٧٩﴾[الصَّافَّات]. [٨] **مُحسِنٌ:** ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٨٠﴾[الصَّافَّات]. [٩] **قويٌّ في أمرِ اللَّهِ:** ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۝٢٦﴾[نوح].
في القُرآنِ:	ذُكِرَ **٤٣ مرَّةً في ٢١ سورةً**، وسُمِّيت **سورةٌ باسمِه** ولم يُذكَرْ فيها غيرُه.
في السُّنَّةِ:	ذُكِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في السُّنَّةِ في أحاديثَ كثيرةٍ، منها قولُه ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣]، **وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ**». أخرجَه البُخاريُّ.
آيَتُه:	السَّفينةُ، ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[هود:٣٧].

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ نوحٍ عليه السلام مُختصَرةً:

اسمُه ومَبعثُه:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١﴾ [نوح]،
﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح].

هو نوحُ بنُ لامِكِ بن مَتُّوشَلَخَ بن خَنوخَ، وخَنوخُ فيما يزعُمُ أهلُ التَّوراةِ هو النَّبيُّ إدريسُ عليه السلام، بعثَهُ اللَّهُ عز وجل إلىٰ النَّاسِ لمَّا ظهرَ فيهم الشِّركُ وعِبادةُ الأَوثانِ، وفي «صحيحِ البُخاريِّ» عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣﴾ [نوح:٢٣]، قال: «**أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَىٰ الشَّيْطَانُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ: أَنِ انْصِبُوا إِلَىٰ مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ أَنْصَابًا وَسَمُّوهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا، فَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَتَنَسَّخَ الْعِلْمُ عُبِدَتْ**».

مَوقفُ قومِه منه:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾ [نوح].

فلمَّا أرسَلَ اللَّهُ إليهم نوحًا اجتهَدَ في دَعوتِهم إلىٰ توحيدِ اللَّهِ عز وجل، ونَبذِ ما كانوا يَعبُدونَهُ مِن الأصنامِ والأوثانِ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾، فبدَأَ بدَعوتِهم ومُناصَحتِهم سرًّا، فلمَّا أَبَوْا أن يستَجيبوا له جهَرَ لهم بالدَّعوةِ، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨﴾، فلمَّا أصَرُّوا علىٰ الكُفرِ جمَعَ لهُم بين الإسرارِ والجِهارِ، ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾ [نوح]، ودلَّ العَطفُ بـ﴿ثُمَّ﴾ علىٰ تباعُدِ الأحوالِ، وتفاوُتِ درجَةِ الأُسلوبِ.

مُدَّةُ دَعوَتِه:

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ [العنكبوت:٤١]، ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المؤمنون]، ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود]، ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾ [المؤمنون:٧١].

فلَبِثَ عليه السلام يدعوهم دهرًا طويلًا، جيلًا بعد جيل، حتَّىٰ قيلَ: إنَّهم كانوا إذا ماتَ ميِّتُهُم أوصىٰ لِمَن بعدَهُ أن لا تسمَعوا لنوحٍ، ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾ [العنكبوت:٤١] يدعوهُم إلىٰ اللَّهِ، فأعرَضوا عنهُ، ووصَفوهُ أنَّه يُريدُ أن يتفضَّلَ عليهم، ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المؤمنون]، وما كانَ اللَّهُ ليُنزِلَ ملائكةً رُسلًا إلىٰ البَشَرِ، قال تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ ﴾ [الإسراء].

وقالوا: ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا ﴾ أي: أقلُّنا قدرًا ومالًا ﴿ بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ ﴾ فيما يبدُو لنا ﴿ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ ﴾ علينا بعْدَ إيمانِكُم، ﴿ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود] فيما تدَّعونَه مِنَ البِرِّ والصَّلاح، فكانَ هذا دَليلًا علىٰ جَهلِهم وسَفاهَتِهم، فليسَ الحقُّ بكَثرةِ الأتباعِ ولا بشَرَفِهم وغِناهُم، بل إنَّ أتباعَ الحقِّ هُمُ الشُّرَفاءُ به، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾ [المؤمنون:٧١].

جَوابُه لِقَومِه:

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[هود].

قالَ اللهُ تعالىٰ علىٰ لِسانِ نوحٍ وهُو يُخاطِبُ قَومَهُ: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي ﴾ أي: علىٰ يَقينٍ ونُبُوَّةٍ صادِقَةٍ، ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ ﴾ أي: أُخفِيَتْ عليكُم فلم تهتَدُوا إليهَا، ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا﴾ أي: نغصِبُكُم علىٰ قَبولِها ﴿وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾؟! ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ ﴾ علىٰ نُصحِي لكُم ﴿مَالًاۖ﴾ آخُذُه مِنكُم أُجرَةً، ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾؛ لأنَّهم طَلَبُوا منه أن يطرُدَ الَّذين آمَنوا لكَونِهم بزَعمِهم أراذِلَ، ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ فيسألُهُم عن أعمالِهِم، ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ وأرادَ اللَّهُ أن يُعاقِبَني علىٰ طَردِهم؟ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾، إنَّما أنا بشَرٌ مِثلُكُم، أرسَلَني اللَّهُ إليكُم لأدعُوَكُم، ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾ وتَحتقِرونَهم: ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ فإنَّ عِلمَ ذلِكَ ليسَ إلَيَّ، بَل ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يُجازيهِم بالحُسنىٰ إن كانُوا مُحسِنينَ، ﴿إِنِّيٓ إِذٗا﴾ إذا قلتُ علىٰ اللَّهِ ما ليسَ لي بِهِ عِلمٌ ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[هود].

إصرارُ قَومِه على الكُفرِ ويأسُهُ مِن إيمانِهم:

﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾[المؤمنون]، ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴿٩﴾﴾[القمر]، ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا

فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[هود]، ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[هود]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[المؤمنون]، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[نوح]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾[القمر].

فلمَّا حاجَّهُم نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يجدوا مِن جوابٍ لحُجَجِه أوعَدُوه بأن يشتِموهُ ويسُبُّوهُ، ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾[المؤمنون] أي: المَشتومين، وتحدَّوهُ أن يأتيَهُم بالعذابِ الَّذي يُخَوِّفُهُم منه، ﴿وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ ﴾[القمر] أي: زَجروهُ، و﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾[هود]، ثمَّ أوحىٰ اللَّهُ إليهِ ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[هود]، فلمَّا يئِسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُؤمِنَ مِن قومِهِ إلَّا مَن آمَنَ، وكَثُرَ عليه وعلىٰ المُؤمِنينَ أذاهُم، دعا اللهَ أن ينصُرَهُ عليهِم، ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾[المؤمنون]، ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾[نوح]، ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾[القمر].

قِصَّةُ السَّفينة:

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ

ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].

فلمَّا دعَا نوحٌ ربَّه وطلبَ النَّصر علىٰ الكافِرينَ، أمرَهُ اللهُ أن يصنع السَّفِينَةَ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾﴾، فامتثَلَ عليه السلام أمرَ اللَّهِ ولم يتأخَّرْ، ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ الَّذين لم يُؤمِنوا ﴿سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ﴾ في الآخرةِ ﴿كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ منَّا في الدُّنيا، ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ في الدُّنيا، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ﴾ في الآخرةِ ﴿عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾ دائمٌ لا انقطاعَ لهُ.

وجعَلَ اللَّهُ عز وجل لنوحٍ عليه السلام آيةً يعرِفُ بها حُضورَ العذابِ، وهي: إمطارُ السَّماءِ وخُروجُ الماءِ مِن التَّنانيرِ الَّتي هي في الأصلِ مَوضِعُ النَّارِ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ﴾ مِن صُنوفِ المَخلوقاتِ ذَواتِ الأرواحِ، وغيرِها مِن النَّباتاتِ ﴿زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ ممَّن لم يُؤمِنْ، ومِنهُم ابنُهُ يامُ الَّذي غرِقَ، وزوجتُهُ الَّتي كانَتْ تَصِفُهُ بالجُنونِ، ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾ معكَ ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾﴾، وليسَ قِلَّةُ الأتباعِ قدحًا فيهِ عليه السلام، قالَ صلى الله عليه وسلم: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**». مُتَّفقٌ عليه.

﴿وَقَالَ﴾ نوحٌ لمَن ركِبَ معهُ: ﴿ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ وفيه استِحبابُ

التَّسمِيَةِ في ابتِداءِ الأمورِ، ﴿مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ﴾ لشدَّتِهِ وعظَمَتِهِ وارتِفاعِهِ، ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾، وذلك لأنَّه كفَرَ باللَّهِ وخالَفَ دينَ أبيهِ عليه السلام.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ عنِ المَطَرِ، ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ أي: شرَعَ في النَّقصِ، ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ﴾ السَّفينةُ بمَن فيها ﴿عَلَى﴾ جبَلِ ﴿ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

ثمَّ قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ سأَلَ عليه السلام سُؤالَ استِعلامٍ لا استِنكارٍ، ﴿قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ﴾ [هود]، والَّذي يظهَرُ أنَّه كانَ يُخفِي عن أبيه كُفرَهُ، ولهذا سأَلَ نوحٌ ربَّهُ عز وجل عن أمرِهِ ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾، فامتثَلَ عليه السلام أمرَ ربِّه وخافَ من عِقابِهِ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾، وفيه دليلٌ على شدَّةِ التِزامِ نوحٍ عليه السلام لأمرِ اللَّهِ عز وجل وخشيَتِهِ منه.

نُزولُهُ مِن السَّفينَةِ:

﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود].

﴿قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ﴾ مِنَ الفُلكِ إلى الأرضِ ﴿بِسَلَـٰمٍ﴾ بأمنٍ ﴿مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾ أي: على قُرونٍ تجيءُ مِن ذُرِّيَّةِ مَن معَكَ مِن ولَدِكَ، ﴿وَأُمَمٌ﴾ مِن ذُرِّيَّتِكَ -وهُم أهلُ الشَّقاءِ- ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ ونرزُقُهم في الحياةِ الدُّنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا﴾ يومَ القِيامَةِ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾ [هود].

وَصِيَّتُهُ لابنِهِ قبلَ مَوتِه:

عاشَ نوحٌ عليه السلام بعد نُزولِه مِن السَّفينةِ ما شاءَ اللهُ له أن يعيشَ، واللهُ أعلَمُ كم مُدَّةُ ذلكَ، قالَ ﷺ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا ﷺ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ». أخرَجَهُ أحمدُ.

فَوائِدُ مُهِمَّةٌ مِن قِصَّةِ نوحٍ عليه السلام:

- قالَ تعالىٰ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[القمر] والدُّسُرُ: المَساميرُ، وفي هذا بَيانٌ لكَيفيَّةِ صُنعِ السَّفينةِ، ولم يُذكَرْ هذا في مَوضِعٍ آخَرَ مِن قَصَصِ نوحٍ عليه السلام في القُرآنِ، وكانَ النَّبيُّ مُحمَّدٌ ﷺ مِن قومٍ لا يُحسِنونَ صُنعَ السُّفُنِ، فكانَ في إخبارِهِ بذلِكَ آيةٌ له.
- آخِرُ مَوضِعٍ ذُكِرَت فيه قِصَّةُ نوحٍ عليه السلام هو سورةُ نوحٍ، وفيها مِن الفَوائِدِ ما ليس في غَيرِها، ومِن ذلِكَ:
  - أنَّها بمَثابةِ التَّقريرِ النِّهائيِّ لنوحٍ عليه السلام يُقدِّمُهُ للهِ تعالىٰ، فمثلًا جاءَ في سورَتَي الأعرافِ والمُؤمِنون: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وجاءَ في سورَةِ هودٍ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾﴾، وجاءَ في سورَةِ الشُّعَراءِ قَولُهُ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾، ثمَّ جاء في التَّقريرِ النِّهائيِّ جَمعُ ذلِكَ كُلِّه فقال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾﴾[نوح]، فجَمَعَ الأقوالَ الثَّلاثةَ؛ كما جَمَعَ بينَ القَولِ الصَّريحِ: ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، وبينَ (أن) المُفسِّرَةِ: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾.

▪ أنَّ الله تَعالىٰ اختَتمَها بذِكرِ دُعاءِ نوح ﷺ بقولِه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾[نوح:٢٨]، ولعلَّ ذلِكَ لبَيانِ أنَّه وإن كانَ قد لَبِثَ ألفَ سَنَةٍ إلَّا خمسينَ عامًا يَدعو قومَهُ ويَجتَهِدُ في الدَّعوَةِ إلَّا أنَّه يَخشىٰ أن يَكونَ قصَّرَ في دَعوَتِه فدَعا الله أن يَغتَفِرَ ذلِكَ مِنه، ولا شَكَّ أنَّنا مهما اجتَهدنا في الدَّعوَةِ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ فلن نبلُغَ عُشرَ مِعشارِ اجتِهادِ نوح ﷺ، فنحنُ ولابُدَّ أولىٰ بالدُّعاءِ مِنه.

○ لمَّا نادىٰ نوحٌ ﷺ ابنَهُ قالَ: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا﴾[هود:٤٢]، وهذا نِداءٌ للبَعيدِ؛ لأنَّ الكافِرَ بَعيدٌ عن المُسلِمِ ولو كانَ ابنَهُ أو أباهُ، كما أنَّهُ استَعمَلَ لفظَ (بُنَيَّ) الَّذي للتَّصغيرِ، والكافِرُ صَغيرٌ حَقيرٌ عند اللَّه تعالىٰ، وقالَ: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢﴾[هود]، ولم يَقُل: (مِن الكافِرينَ)، وهذا مِن الحِكمَةِ في الدَّعوَةِ لِئَلَّا يُنَفِّرَه عن قَبولِ دَعوَتِه.

○ لمَّا حضَرَت نوحًا ﷺ الوَفاةُ دعا ابنَهُ وأوصاهُ، وهذه طَريقَةُ الأنبياء كما تقدَّم في وَصِيَّةِ آدَمَ لابنِه شيثٍ ﷺ، وسيَأتي مِثلُهُ في قَصَصِ بَعضِ الأنبياءِ، وسَبَبُ ذلِكَ حِرصُ الأنبياءِ علىٰ مَن بَعدَهُم، وإرادَتُهم الخَيرَ لأُمَمِهم، وكانَ مِن وَصِيَّةِ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ لنا ما جاءَ في خُطبَةِ الوَداعِ عند مُسلمٍ وغيرِه: «**قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ**».

○ أوَّلُ شِركٍ ظهَرَ في الأرضِ كانَ في قَومِ نوحٍ ﷺ، وتقدَّمَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئِلَ كم كان بينَ آدمَ ونوحٍ؟ فقالَ: «**عَشْرُ قُرُونٍ**» أي: أجيالٍ، وعندَ البُخارِيِّ عن ابنِ عبَّاسٍ: «**كُلُّهُمْ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ**»، وكانَ أصلُ شِركِهم العُكوفَ علىٰ قُبورِ الصَّالِحينَ، ثمَّ أمرَهُم الشَّيطانُ أن يُصَوِّروا لهم تَماثيلَ، ثمَّ لمَّا طالَ الأمَدُ عَبَدوهُم مِن دونِ اللهِ، وعلىٰ طَريقَتِهم كانَ شِركُ عادٍ وثَمودَ، ثمَّ ظهَرَ الشِّركُ في قَومِ إبراهيمَ مِن الكَنعانيِّينَ، وكانَ أصلَ شِركِهم عِبادَةُ الكَواكِبِ والشَّمسِ والقمَرِ، فهذان هما أصلُ كلِّ شِركٍ علىٰ الأرضِ.

○ ذكَرَ بَعضُ المُفسِّرينَ أنَّ في سورَةِ نوح دليلًا علىٰ أنَّ أبَوَي نوح ﷺ كانا علىٰ الإسلام، وذلِكَ لأنَّه دعا لهُما بقولِه: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾[نوح:٢٨]، ولا يَجوزُ الدُّعاءُ بالمَغفِرَةِ لمَن ماتَ علىٰ الكُفرِ، قالَ تَعالىٰ:

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[التَّوبة:٨٠].

❍ استَمَرَّت دَعوَةُ نوحٍ لقَومِهِ ألفَ سنَةٍ إلَّا خمسينَ عامًا، وهو زَمَنٌ طَويلٌ جدًّا، فلمَّا يَئِسَ مِنهم خطَبَهُم فقالَ: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم﴾ أي: عَظُمَ عليكم ﴿مَّقَامِى﴾ بينَ أظهُرِكُم ﴿وَتَذْكِيرِى﴾ إيَّاكُم ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ وحُجَجِه وبَراهينِه، ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ لا أُبالي بما تقولون، ولن أكُفَّ عن دَعوَتِكُم، ﴿فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ الَّذينَ تَدعونَ مِن دونِ اللَّهِ تعالىٰ، ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: بَيِّنوا لي حالَكُم، ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ﴾ ما تُريدونَهُ مِن أذِيَّتي، ﴿وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾[يونس] وتُؤَخِّروني ساعَةً واحِدَةً، فإنِّي لا أخافُكُم، وفي هذا بَيانُ شِدَّةِ نوحٍ عليه السلام في أمرِ اللَّهِ، وعدَمُ خَشيَتِهِ إلَّا مِنَ اللَّهِ.

❍ نوحٌ عليه السلام هو الأبُ الثَّاني للبَشَرِيَّةِ، فإنَّه لم يَبقَ علىٰ الأرضِ بشَرٌ إلَّا مِن ذُرِّيَّتِهِ، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾[الصَّافَّات]، وجعَلَ اللَّهُ في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتابَ، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [الحديد:٢٦]، وشكَّكَ بعضُهُم في هلاكِ كُلِّ مَن علىٰ الأرضِ سِوىٰ مَن نجا مع نوحٍ، وادَّعىٰ أنَّ الطُّوفانَ لم يُصِب إلَّا قَومَ نوحٍ، وهذا خِلافُ ظَواهِرِ النُّصوصِ، قال الطَّاهر بنُ عاشورٍ رحمه الله: (وعُمومُ الطُّوفانِ هو مُقتَضىٰ ظَواهِرِ الكِتابِ والسُّنَّةِ).

❍ لمَّا أوحِيَ إلىٰ نوحٍ أنَّه لن يُؤمِنَ مِن قَومِهِ إلَّا مَن قد آمَنَ دعا: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[نوح]؛ لأنَّ بَقاءَ الفاسِدينَ والمُفسِدينَ إنَّما يَزيدُ الفَسادَ في الأرضِ، ولمَّا كانَ هَلاكُهُم بيَدِ اللهِ لا بأيدينا، فلا أقَلَّ مِن أن نَبتَعِدَ عنهُم، ونَحذَرَ مِنهُم، ولا نتبَعَهُم، وفي دُعاءِ نوحٍ علىٰ قَومِهِ جَوازُ -بل مَشروعِيَّةُ الدُّعاء علىٰ كُلِّ ظالِمٍ، جبَّارٍ، مُفسِدٍ في الأرضِ، ناشِرٍ للذُّنوب.

❍ قالَ مُحمَّدُ الأمينُ الشِّنقيطِيُّ رحمه الله: (في القُرآنِ العَظيمِ أشياءُ كَثيرَةٌ لم يُبيِّنها اللهُ لنا ولا رَسولُه ﷺ، ولم يَثبُتْ في بَيانِها شَيءٌ، والبَحثُ عنها لا طائِلَ تحتَه ولا فائِدَةَ فيه)، ثمَّ ذكَرَ أمثِلَةً فقالَ: (كخَشَبِ سَفينَةِ نوحٍ مِن أيِّ شجَرٍ هو، وكم طولُ السَّفينَةِ وعَرضُها، وكم فيها مِن الطَّبَقاتِ، إلىٰ غيرِ ذلِكَ ممَّا

لا فائِـدَةَ في البَحـثِ عنـه، ولا دَليـلَ علىٰ التَّحقيـقِ فيه).

❍ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٤٤﴾، ذُكِـرَ في هـذه الآيَـةِ الشَّـيءُ الكَثيـرُ، وأُفـرِدَت فيهـا رَسـائِلُ، وممَّـا قيـلَ فيهـا: (أجمَـعَ المُعانِـدونَ علـىٰ أنَّ طَوقَ البَشَـرِ قاصِرٌ عـن الإتيانِ بمِثلِهـا)، وكذلِكَ: (إنَّ اللهَ تَعالىٰ أمَـرَ فيها ونَهىٰ، وأخبَـرَ، ونادىٰ، وسَـمَّىٰ، وأهلَكَ وأبقَىٰ، وأسـعَدَ وأشـقَىٰ، وقَصَّ مِـن الأنباءِ ما لـو شُـرِحَ ما انـدَرَجَ في هـذه الجُملَةِ مِن بَديـعِ اللَّفـظِ والبَلاغَةِ والإيجـازِ والبَيانِ لجَفَّـتِ الأقـلامُ)، وممَّـا يُسـتَفادُ مِنهـا أنَّـه قـالَ: ﴿يَـٰٓأَرۡضُ﴾ فنادها نِـداءَ البَعيدِ باسـمِ الجِنسِ دَلالَـةً علـىٰ عظَمَـةِ المُنـادي، وجَرَّدَهـا مِـن الوَصـفِ والإضافَةِ أو غَيـرِ ذلِـكَ ممَّـا يُفيـدُ التَّشـريفَ أو التَّكريـمَ ليَكـونَ أدعـىٰ لاسـتِجابَتِها، ولم يَسـتَعمِل مـا يُفيدُ التَّنبيـهَ فيَقولَ: (يـا أيَّتُها الأرضُ) في حـالِ كَونِها غافِلَةً فتَسـمَعُ آخِـرَ النِّـداءِ؛ لأنَّـهُ لا يُمكِـنُ الغَفلَةُ عـن أيِّ حَرفٍ يَصـدُرُ عن هذا المُنـادِي جلَّ وعَـزَّ، كمـا أنَّ في الآيَـةَ إيجـازًا بَليغًـا كما هـو ظاهِرٌ.

❍ وَصَفَ اللهُ تَعالىٰ السَّـفينَةَ بقَولِـهِ: ﴿فَأَنجَيۡنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١١٩﴾ [الشُّـعراء]، وفي هذا دَلالَـةٌ علىٰ قُوَّةِ السَّـفينَةِ.

❍ جـاءَ في بَعـضِ كُتُبِ التَّفسيرِ ذِكرُ أَباطِيلَ وإسـرائيليَّاتٍ في سِياقِ الكَلامِ عن سَـفينَةِ نـوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليـسَ في ذِكرِهـم لهـا إقـرارٌ بصِحَّتِها، مـع ذلِكَ فقـد تلَقَّفَها كَثيـرٌ مِـن النَّـاسِ اليـومَ، فتَجِدُهـا مَنشـورَةً في المَواقِعِ، إلـىٰ درَجَةِ أنَّ القـارِئَ أو المُستَمِعَ لهـا يُخيَّـلُ إليـه أنَّهُـم كانـوا مِـن رُكَّابِ السَّـفينَةِ! فيَنبَغـي الحَـذَرُ مِـن تَصديـقِ ذلِـكَ ونَشـرِهِ بيـنَ النَّـاسِ، وفيما صـحَّ في القُرآنِ والسُّـنَّةِ غُنيَـةٌ عنه.

❍ طَلَـبَ نـوحٌ مِـن قَومِـه أن يَعبُـدوا اللهَ ويتَّقُـوهُ، وأن يُطيعـوا نوحًـا عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما يُخبِرُهـم بـه عـن رَبِّهِـم، ووعَدَهُـم إن هـم أطاعـوهُ أن يَغفِـرَ اللهُ لهـم، ويَرزُقَهُم مـددًا في أعمارِهم.

❍ ذكَـرَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعـضَ ثَمَراتِ الاسـتِغفارِ، فقـالَ: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّـٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح].

اخْتِبارٌ في قِصَّةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١] أوَّلُ شِرْكٍ حدثَ في الأرضِ كان في قَوم: ❍ نوحٍ. ❍ إبراهيمَ. ❍ شُعَيب.
[٢] النَّبيُّ الَّذي ذُكِرَ في القُرآنِ أنَّه تعرَّضَ لسُخرِيَةٍ مِن قَومِهِ هو: ❍ نوحٌ. ❍ هودٌ. ❍ لوطٌ.
[٣] كَم لَبِثَ نوحٌ يَدعو قومَه لعِبادَةِ اللهِ؟ ❍ ٩٥٠ سنةً. ❍ ألفَ سنةٍ.
[٤] مَن أوَّلُ الرُّسُل؟ ❍ آدَمُ. ❍ إدريسُ. ❍ نوحٌ.
[٥] النَّبِيَّان اللَّذان جُعِلَ في ذُرِّيَّتِهما النُّبُوَّةَ: ❍ آدَمُ ونوحٌ. ❍ نوحٌ وإبراهيمُ.
[٦] نجَّى اللهُ مِن أهل نوحٍ: ❍ جَميعَهُم. ❍ جَميعَهُم إلَّا زَوجَتَهُ وأحَدَ أبنائِهِ.
[٧] نبيَّانِ زَوجَتاهما كافِرَتانِ: ❍ نوحٌ ولوطٌ. ❍ نوحٌ وشُعيبٌ. ❍ لوطٌ وشُعيبٌ.
[٨] النَّبيُّ الَّذي أمرَهُ اللهُ أن يصنَعَ سفينةً: ❍ نوحٌ. ❍ هودٌ. ❍ صالِحٌ.
[٩] ما نَوعُ العَذابِ الَّذي عذَّبَ اللهُ به قومَ نوحٍ؟ ❍ الغَرَقُ. ❍ الصَّاعِقَةُ. ❍ الرِّيحُ الصَّرصَرُ العاتِيَةُ.
[١٠] مَن النَّبيُّ الَّذي كان ابنُه كافِرًا؟ ❍ نوحٌ. ❍ هودٌ. ❍ صالِحٌ.
[١١] مَن قائل: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ﴾؟ ❍ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ ابنُ نوحٍ الَّذي لم يُؤمِن. ❍ زَوجةُ نوحٍ.
[١٢] أينَ استَوَتْ سَفينةُ نوحٍ بعد الفَيَضانِ؟ ❍ جبَلُ سَلعٍ. ❍ جَبَلُ الجُودِيِّ. ❍ جَبَلُ قاسِيونَ.
[١٣] كانَ بين آدمَ ونوحٍ (❍ ١٠ ❍ ٢٠ ❍ ٥٠) قُرونٍ (❍ كلُّهم علىٰ الإسلامِ ❍ منهم المُسلِمُ ومنهم الكافِرُ).
[١٤] بُعِثَ نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ لمَّا بدَّلَ النَّاسُ دينَ اللَّهِ. ❍ لمَّا عبدوا الطَّواغيتَ. ❍ لمَّا عبدوا الكَواكِبَ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني. ❍ الجميعُ.
[١٥] نوحٌ هو أوَّلُ: ❍ نبيٍّ. ❍ رسولٍ. ❍ لا يوجَدُ إجابَةٌ صحيحةٌ.
[١٦] الأبُ الثَّاني للبشرِيَّةِ هو: ❍ نوحٌ. ❍ إبراهيمُ. ❍ صالِحٌ.

[١٧] نوحٌ عليه السلام مِن أولي العَزم مِن الرُّسُل: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٨] المَقصودُ في: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ هو: ❍ نوحٌ. ❍ آدمُ. ❍ إبراهيمُ.
[١٩] الصَّحيحُ أنَّ نوحًا عليه السلام (❍ عاشَ ❍ دامَت بِعثَتُهُ) ٩٥٠ عامًا.
[٢٠] ابنُ نوحٍ عليه السلام الَّذي لم يُؤمِن كانَ (❍ يُظهِرُ ❍ يُخفِي) كُفرَهُ، ولهذا سألَ نوحٌ ربَّهُ عنه.
[٢١] رَتِّبْ مَراتِبَ دَعوَةِ نوحٍ لقَومِهِ؟ ❍ المُناصَحةُ سِرًّا. ❍ المُناصحَةُ جَهرًا. ❍ الجَمعُ بينَ السِّرِّ والمُجاهرَةِ.
[٢٢] الجِهارُ أغلَظُ مِن الإسرارِ في الدَّعوَةِ (❍ صح ❍ خطأ)، والجَمعُ بينهما (❍ أغلَظُ ❍ أقَلُّ) مِن إفرادِ أحَدِهما.
[٢٣] سُمِّيَت سورةٌ باسمِ نوحٍ عليه السلام: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢٤] لم يَأتِ في القُرآنِ سورَةٌ: ❍ باسمِ نبيٍّ إلَّا نوحٌ عليه السلام. ❍ ليسَ فيها إلَّا قصَّةُ نبيٍّ واحِدٍ إلَّا نوحٌ لطول دعوته. ❍ لا يوجَدُ إجابةٌ صَحيحةٌ.
[٢٥] يَشهَدُ لنوحٍ بالبَلاغ: ❍ أمَّتُهُ. ❍ محمَّدٌ ﷺ وأُمَّتُهُ. ❍ الجميعُ.
[٢٦] آيةُ نوحٍ عليه السلام: ❍ السَّفينةُ. ❍ تصديقُ اللهِ لهُ. ❍ الجَميعُ.
[٢٧] آمَنَ مِن قَومِ نوحٍ: ❍ قليلٌ. ❍ كلُّهُم. ❍ لا أحَدَ.
[٢٨] في قصَّةِ نوحٍ عليه السلام ردٌّ علىٰ نظريَّة (تطويرِ الذَّاتِ) وأشباهِها حيثُ إنَّ الدَّاعِيَةَ عليه العَمَلُ والهِدايَةُ بيَدِ اللهِ؟ ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢٩] الغُلُوُّ في الصَّالِحينَ هو أصلُ الشِّركِ قَديمًا وحَديثًا؟ ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٠] الفِتنَةُ بالقُبورِ كالفِتنَةِ بالأصنام؛ بل هي أشَدُّ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣١] إذا كانَ العَبدُ لا يتذَكَّرُ عِبادَةَ اللهِ إلَّا برُؤيَةِ أشباحِ الصَّالِحينَ فهذِهِ عَبادَةٌ: ❍ كامِلَةٌ. ❍ قاصِرَةٌ. ❍ مَعدومَةٌ.
[٣٢] مَن أرادَ تَقوِيَةَ دينِهِ ببدعَةٍ كانَ ضَررُها أكثَرَ مِن نَفعِها: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٣] البِدعَةُ سبَبُ الكُفرِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٤] لم يَذكُرِ اللهُ عز وجل في سُورَةِ (❍ نوح ❍ الأنبياءِ ❍ القَصَصِ) سِوىٰ قصَّةِ نوحٍ عليه السلام وحدَها، و سَبَبُ ذلِكَ (❍ طولُ لُبثِهِ في قومِه ❍ تكرارُ دَعوَتِه إلىٰ التَّوحيدِ ❍ نَهيُهُ عن الشِّركِ ❍ الجَميعُ).

[٣٥] انقسَمَ النَّاسُ في الصَّالِحينَ إلىٰ: ❍ غُلاةٍ وجُفاةٍ. ❍ طرَفَينِ ووسَطٍ.

[٣٦] اربط كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفاتِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدَليلِها مِن القُرآنِ:

عبدٌ شَكورٌ:	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾[الحديد:٢٦].
مُستَجابُ الدَّعوَةِ:	﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الصَّافَّات].
في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةُ والكِتابُ:	﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ [الأنبياء:٧٦].
قُوَّةُ الصَّبرِ:	﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[نوح]
التَّسليمُ التَّامُّ:	﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾[الإسراء].
نَصرَةُ اللهِ:	﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾[هود:٤٧].
أمَّنَه اللهُ مِن أن يذكُرَه أحدٌ بسوءٍ:	﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤].
مُحسِنٌ:	﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الأنبياء:٧٧].
قَوِيٌّ في أمرِ اللهِ:	﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾﴾[الصَّافَّات].

[٣٧] ﴿فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فيه دليلٌ علىٰ قُوَّةِ السَّفينَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٨] ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ أجمَعَ المُعانِدونَ علىٰ أنَّ طَوقَ البَشَرِ قاصِرٌ عنِ الإتيانِ بمِثلِها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٩] في دُعاءِ نوحٍ جَوازُ الدُّعاءِ علىٰ كلِّ ظالِمٍ جبَّارٍ مُفسِدٍ في الأرضِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٠] دعا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾؛ لأنَّه ربَّما قصَّرَ في الدَّعوَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤١] ممَّا أوصَىٰ به نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ التَّوحيدُ. ❍ تَركُ الشِّركِ. ❍ عدَمُ التَّكبُّرِ. ❍ الجميعُ.

نَبِيُّ اللهِ هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أصلُه:	مِن ذُرِّيَّةِ سامِ بنِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
قَومُه:	بعَثَهُ اللهُ في قَومِ عادٍ، وهم مِن العَرَبِ العارِبَةِ.
المَكان:	سَكَنت عادٌ الأَحقافَ (جبالَ الرَّملِ) مِن أرضِ اليَمَنِ.
الزَّمان:	هم أوَّلُ مَن عَبَدَ الأصنامَ بعدَ الطُّوفانِ، وأوَّلُ أُمَّةٍ أهلكَهم اللهُ بذُنوبِهم وشِركِهم بعد نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
مِن نِعَمِ اللهِ على عادٍ:	[١] ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾، أي: خِيامَ الشَّعرِ ذاتِ الأعمِدَةِ الطَّويلَةِ. [٢] ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾، فكانوا أشَدَّ أهلِ زَمانِهم قُوَّةً وبَطشًا. [٣] ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ﴾ بُنيانًا هائلًا ﴿تَعۡبَثُونَ﴾ بلا مصلَحَةٍ. [٤] ﴿وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ﴾؛ لفَرطِ قُوَّتِهم. [٥] ﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤﴾[الشُّعراء].
مِمَّا وَصَفَه اللهُ به:	[١] قُوَّةُ التَّوكُّلِ على اللهِ، ولمَّا كذَّبَهُ قومُهُ قالَ: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ﴾[هود]. [٢-٣] النُّصحُ والأمانة، قالَ مُخاطِبًا قومَهُ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾[الأعراف]، وأقَرَّهُ اللهُ على ذلِكَ.
ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ هودٌ في القرآنِ ٧ مَرَّاتٍ، وسُمِّيَت سورَةٌ باسمِه (هودٌ)، وسورَةٌ باسمِ المَوضِعِ الَّذي كانَ فيه (الأحقافُ).
هَلاكُ قَومِه:	أرسَلَ اللهُ عليهِم الرِّيحَ فأهلكَتهُم، ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ٦﴾[الحاقَّةُ]، ونجَّى اللهُ هودًا ومَن آمَنَ معهُ أجمَعينَ.

قِصَّةُ نَبِيِّ اللهِ هُودٍ عليه السلام مُخْتَصَرَةً:

قَومُهُ:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ [الفجر]، ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف:٦٩]، ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصِّلت:١٥].

هم عادٌ الأولىٰ، وتُسمَّىٰ عادَ إِرَمَ، قالَ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾ [الفجر]، وإِرَمُ هنا عَطفُ بيانٍ، وهم بَنو عادِ بنِ عَوصِ بن إِرَمَ بنِ سام بن نوح عليه السلام، وكانوا يسكُنونَ الأحقافَ -أي: جِبالَ الرَّملِ- بأرضِ اليَمَنِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ [الأحقاف]، وكانوا يَسكُنونَ خِيامَ الشَّعرِ ذاتِ الأعمِدَةِ الطَّويلَةِ، وذلِكَ قولُه تعالىٰ: ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ [الفجر]؛ لأنَّهم كانوا أشَدَّ أهل زَمانِهم قُوَّةً وبَطشًا، وآتاهُم اللهُ بسطَةً في الخَلقِ، ولهذا قالَ لهُم هودٌ عليه السلام: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ [الأعراف:٦٩]، وكانوا مُستكبِرينَ في الأرضِ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصِّلت:١٥]، وعادٌ الأولىٰ مِن العرَبِ العارِبَةِ، وهم العرَبُ الَّذينَ كانوا قبلَ إسماعيل عليه السلام، وأمَّا ذُرِّيَّةُ إسماعيلَ عليه السلام فهم العرَبُ المُستَعرِبَةُ.

مَبعَثُه:

﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢﴾ [المؤمنون]، ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٥٠]، ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٢١﴾ [الأحقاف].

سبَقَ معنا أنَّ اللهَ أهلَكَ كلَّ مَن علىٰ الأرضِ مِن الكافِرِينَ بالطُّوفانِ، وأنجَىٰ نوحًا ﷺ ومَن معه مِن ذُرِّيَّتِهِ وأتباعِهِ المُؤمنينَ، ثمَّ إنَّ اللهَ جعَلَ ذُرِّيَّةَ نوح هم الباقينَ دونَ غيرِهم، وبقِيَ النَّاسُ علىٰ الإيمانِ إلىٰ أن عبَدَت عادٌ الأولىٰ الأصنامَ، وكانت أصنامُهم ثلاثةً: صَدَا، وَصَمُودَا، وَهِرَا، فلمَّا ظهَرَ فيهم الشِّركُ وانتَشَرَ بعَثَ اللهُ إليهم رسولًا مِنهم يَدعوهُم إلىٰ توحيدِ العِبادَةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾﴾[المؤمنون]، دَعاهُم إلىٰ عِبادَةِ اللهِ وحدَهُ، ونَبذِ ما كانوا يعبُدونَهُ مِن الأصنام، وقالَ: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[هود] علىٰ اللهِ ﷻ باتِّخاذِكُم آلِهَةً مِن دونِهِ، وهذا الَّذي دعاهُم إليه هودٌ ﷺ هو الَّذي دعت سائِرُ الرُّسُلِ قومَها إليهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ﴾ أي: الرُّسُلُ يُنذِرونَ قومَهم ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ كآدَمَ وشيثٍ وإدريسَ ﷺ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ مِن الرُّسُلِ ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾[الأحقاف].

مُحاجَّتُه لقومِه:

﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[هود]، ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾﴾[هود]، ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾﴾[الشُّعراء].

وكانَ ممَّا قالَ هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِهِ: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على دَعوَتي إيَّاكُم ﴿أَجْرًا﴾ تُعطونَني إيَّاهُ، ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ أي: خلَقَني، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٥١ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ ممَّا وقعتُم فيه مِن الشِّركِ والمَعاصي، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ فسيكونُ جزاؤُكُم إن أنتم فعلتم ذلِكَ أن ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ۝٥٢﴾[هود]، وقالَ: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ﴾ تَمشي على الأرضِ ﴿إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ فهي تحتَ قَهرِهِ وتَصرُّفِهِ ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٦﴾ أي: عادِلٌ لا يَجورُ في شَيءٍ مِن حُكمِهِ، وأمَّا آلِهتُكُم الَّتي تَدعونَ مِن دونِ اللهِ فليسَ لها مِن هذهِ الصِّفاتِ نَصيبٌ، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ وتُعرِضوا عمَّا أدعوكُم إليهِ ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ﴾، وقامَتْ عليكُمُ الحُجَّةُ مِن ربِّكُم، وليسَ بعَسيرٍ على اللهِ أن يُهلِكَكُم ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝٥٧﴾[هود] يُشاهِدُ ما تَعمَلونَ فيَحفَظُهُ ويَجزيكُم بهِ.

وقالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لهم: ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٢٥﴾ في تَبليغِ رِسالَةِ ربِّي، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٢٦ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٢٧ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ أي: مَكانٍ مُرتَفِعٍ ﴿ءَايَةً﴾ أي: بُنيانًا هائلًا ﴿تَعْبَثُونَ ۝١٢٨﴾ بذلِكَ لأنَّهُ لا مَصلَحَةَ فيه، ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ أي: بُروجًا مُشَيَّدَةً ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩﴾ فيها إلى أبَدِ الدَّهرِ! ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ أي: سَطَوتُم على غيرِكُم ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠﴾ بما أعطاكُمُ اللهُ مِن قُوَّةٍ وجَبَروتٍ، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٣١ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢﴾ مِن النِّعَمِ والخَيراتِ، ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٣٤ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣٥﴾[الشعراء] إن أنتُم كذَّبتُم.

استكبارُ قومِهِ:

﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦٦﴾[الأعراف]، ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ

مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف]، ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرًا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ [هود]، ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشُّعراء].

لمَّا دعا هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قومَهُ كذَّبَهُ أكثرُهم، وقالَ زُعماؤُهم ووُجهاؤُهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ﴾ أي: ضلالةٍ، ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف]، وقالُوا: ﴿أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ مِن الأصنام؟ ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأعراف] استِعجالًا مِنهُم لعذابِ اللهِ، وقالُوا للنَّاسِ: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ كأنَّهُم يقولونَ: لو كانَ رَسولًا مِن عندِ اللهِ كما يقولُ لَما كانَ هذا حالُهُ، ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرًا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمۡ أَنَّكُمۡ إِذَا مِتُّمۡ وَكُنتُمۡ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخۡرَجُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يومَ البَعثِ والنُّشورِ؟! ﴿هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: بَعُدَ ذلِكَ، ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحۡنُ لَهُۥ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون]، وقالوا: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ﴾ وبُرهانٍ علىٰ ما تدَّعيهِ، ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن﴾ مُجرَّدِ ﴿قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ﴾ أي: أصابَكَ ﴿بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ [هود] مِن جُنونٍ وخَبَلٍ في عَقلِكَ بسبَبِ انتِقاصِكَ مِنها ودَعوتِكَ إيَّانا إلىٰ تركِها، وقالُوا: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَوَعَظۡتَ أَمۡ لَمۡ تَكُن مِّنَ ٱلۡوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ فإنَّنا لن نَرجِعَ عمَّا نحن فيه، ﴿إِنۡ هَٰذَآ﴾ الَّذي نَحنُ عليهِ ﴿إِلَّا خُلُقُ﴾ أي: دينُ ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ مِن الآباءِ والأجدادِ، ﴿وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشُّعراء] عليهِ.

هَلاكُ قومِه بكُفرِهم:

﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩ قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾[المؤمنون]، ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢٤ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾[الأحقاف]، ﴿وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١﴾[الذَّاريات]، ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠﴾[القمر]، ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾[الحاقَّة:٧].

لمَّا أعرَضَ قَومُ هودٍ عن عِبادَةِ اللهِ وحدَهُ، وأصَرُّوا علىٰ ما كانُوا عليه مِن عِبادَةِ الأصنام، دَعا هودٌ عليه السلام ربَّهُ: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي بِمَا كَذَّبُونِ ۝٣٩﴾، فأجابَهُ اللهُ عز وجل ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٖ لَّيُصۡبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ۝٤٠﴾[المؤمنون]، فأرسَلَ اللهُ عليهم سَحابًا عارِضًا في ناحِيَةٍ مِن نَواحي السَّماءِ ﴿مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ﴾، وكانَ اللهُ قد حَبَسَ عنهُم المَطَرَ زَمانًا، فـ﴿قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ أي: استبشَروا به وظَنُّوا أنَّه يأتيهم بالمَطرِ، فقالَ لهم هودٌ عليه السلام: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾ مِن العَذابِ، ﴿رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٢٤﴾ لكُم، ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ ممَّا مِن شأنِهِ الخَرابُ ﴿بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ﴾ وقد بادُوا كلُّهُم عن آخِرِهم، وصارَ ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ﴾ الَّتي كانوا يَسكُنونَها، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٢٥﴾ [الأحقاف].

ووصَفَ اللهُ عز وجل الرِّيحَ الَّتي أرسَلَها علىٰ عادٍ بقَولِهِ: ﴿ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ۝٤١﴾ [الذَّاريات] الَّتي ليسَ فيها إنتاجٌ، وبقَولِهِ: ﴿رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾ شَديدَةَ الهُبوبِ، الَّتي لها صَوتٌ، وهي ذاتُ بردٍ شَديدٍ جدًّا، ﴿فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ۝١٩﴾ عليهم نَحسُهُ ودَمارُهُ؛ لأنَّه قد اتَّصَلَ فيه عَذابُهُم الدُّنيَويُّ بالأُخرَويِّ، ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي: تأتي أحَدَهُم فتَرفَعُه حتَّىٰ يَغيبَ عن الأبصارِ، ثمَّ تُنَكِّسُه فيَقَعُ علىٰ الأرضِ، ﴿كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ﴾ أي: جُذوعُ ﴿نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠﴾[القمر] أي: مُنقَلِعٍ مِن أصلِهِ، وذكَرَ اللهُ تَعالىٰ مُدَّةَ الرِّيحِ بقَولِهِ: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾[الحاقَّة:٧] أي: كامِلَةً مُتتابِعَةً.

نَبِيُّ اللهِ صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أصلُه:	مِن ذُرِّيَّةِ إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
قومُه:	بعثَهُ اللهُ في قومِ ثَمُودَ، مِن العَرَبِ العارِبَةِ.
المَكانُ:	سَكَنت ثَمودُ الحِجرَ بينَ الحِجازِ وتَبوكَ.
الزَّمانُ:	كانت ثَمودُ بعدَ عادٍ بزَمَنٍ قَريبٍ، وعَبَدوا الأصنامَ.
مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَى ثَمودَ:	[١] ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾[الأعراف]، ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾[الحجر]، ونِعمَةُ الأمنِ هي أعظَمُ ما مَنَّ اللهُ عليهم به. [٢] ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾، أي: قطَعُوا وثَقَبُوا ﴿الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾[الفجر]. [٣] ﴿أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود].
مِمَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١] العِزَّةُ في قومِهِ، ﴿يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا﴾[هود]. [٢] النُّصحُ، ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾[الأعراف:٧٩].
آيَتُه:	النَّاقةُ، ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾[الإسراء].
ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ صالحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ ٩ مَرَّاتٍ، وسُمِّيَت سورَةٌ باسمِ المَوضِعِ الَّذي كانَ فيه (الحِجرُ).
هَلاكُ قومِه:	لمَّا عَقَروا النَّاقَةَ أُجِّلوا ثلاثَةَ أيَّامٍ، ثمَّ أخذَتهم الصَّيحَةُ فأصبحوا جاثِمينَ، ونجَّى اللهُ صالِحًا والمُؤمِنينَ.
زِيارَةُ الحِجرِ:	لمَّا مرَّ النَّبيُّ ﷺ بالحِجرِ قالَ: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ». مُتَّفَقٌ عليه.

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ صالحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرةً:

قومُه:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقَّة]، ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر]، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف]، ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر]، ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝٨٢﴾ [الحجر].

هم قَومُ ثَمودَ، تَسَمَّوا باسمِ جَدِّهم ثَمودَ بنِ عاثِرٍ -أخي عادٍ- بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهم مِن العرَبِ العارِبَةِ، وقد ذكَرَهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَقِبَ عادٍ في مَواضِعَ مِن القُرآنِ، وقرَنَ بينَهُم في قولِهِ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقَّة]، وذلِكَ لِقُربِهم منهُم زَمانًا، وسكَنَت ثَمودُ الحِجرَ، قالَ تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٨٠﴾ [الحجر]، والحِجرُ مَوضِعٌ مَعروفٌ بَينَ الحِجازِ وتَبوكَ، مرَّ به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طَريقِهِ إلى تَبوكَ، وفي «الصَّحيحين» عن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ قَالَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، ثُمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِهِ**» أي: جعَلَهُ على وَجهِهِ، «**وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ**» أي: على الرَّاحِلَةِ، ولذلِكَ قالَ تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت:٣٨] أي: رأيتُموها.

وقد استَخلَفَ اللهُ ثَمودَ في الأرضِ مِن بعدِ ما أهلَكَ عادًا الأولى، قالَ تَعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أنزَلَكُم فيها، وجعَلَ لكُم مَساكِنَ وأزواجًا، ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ أي: تَبنونَ القُصورَ بكُلِّ مَوضِعٍ، ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف]، أي: تنقُبونَ الجِبالَ فتَجعلونَها مَساكِنَ لكُم، وقالَ تَعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ﴾ أي: قطَعوا وثَقَبوا ﴿ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر]، وقالَ تعالى: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ

مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾[الحِجر]، أي: يفعَلونَ ذلِكَ مِن غَيرِ خَوفِ عدُوٍّ، ولا حاجَةٍ إليها، وإنَّما يَفعَلونَه أشَرًا وبطَرًا وعبَثًا، وفي هذا كلِّه بَيانُ قُوَّةِ أهلِ ثَمودَ وشِدَّتِهم، ومع ذلِكَ كُلِّه فقد كانوا يَعبُدونَ الأصنامَ، ولم يَعتَبِروا بِما حصَلَ لقَومِ عادٍ قُبَيلَهُم.

مَبعَثُ صالحٍ عليه السلام:

﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ﴾[هود:٦٢]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾[هود]، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[الشُّعراء].

بعَثَ اللهُ تَعالىٰ صالِحًا إلىٰ قَومِهِ يَدعوهُم إلىٰ عِبادَتِهِ وحدَهُ ونَبذِ ما كانوا يَعبُدونَه مِنَ الأصنامِ، واسمُهُ الكامِلُ: صَالِحُ بنُ عُبَيدِ بْنِ ماسِحِ بنِ عُبَيدِ بنِ حادِرِ بنِ ثَمودَ، وكانَ شابًّا راجِحَ العَقلِ، يتَوسَّمونَ فيه الصَّلاحَ، قالَ اللهُ علىٰ لِسانِهم: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ﴾[هود:٦٢]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بدَأَ خلقَ أبيكُم آدَمَ مِنها، ﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ فجَعَلَكُم تعمُرونَها وتستَغِلُّونَها، ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ﴾ لما وقَعتُم فيه مِنَ الشِّركِ والمَعاصِي، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ فيما تستَقبِلونَه مِن أعمالِكُم، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ﴾ مِن عِبادِهِ ﴿مُّجِيبٞ ﴿٦١﴾﴾[هود] لمَن أخلَصَ له مِنهُم الدُّعاءَ.

وكانَ مِمَّا قالَهُ صالِحٌ عليه السلام لقَومِهِ: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾﴾ اللهَ الَّذي خلَقَكُم ورزَقَكُم؟! ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٤٣﴾﴾ مِنَ اللهِ علىٰ ما أُرسِلتُ به، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾﴾ فيما أدعوكُم إليه، ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[الشُّعراء].

جَوابُ قَومِهِ له:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الأعراف]، ﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾[هود]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾[الشُّعراء]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾[القمر]، ﴿قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾[النَّمل].

لمَّا بعَثَ اللهُ صالِحًا إلىٰ قَومِهِ استكبَروا وكفَرُوا برِسالَتِه، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾[الشُّعراء]، وذلِكَ لأنَّهُم لمَّا كذَّبوا صالِحًا كانوا مُكذِّبينَ لسائِرِ الأنبياءِ، و﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ وهم سادَتُهم وكُبراؤُهم ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾؟! وهذا سُؤالُ استِكبارٍ واستِهزاءٍ، ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾[الأعراف]، وقالوا: ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ مِن قبلُ، ﴿وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾[هود] أي: في شكٍّ كَبيرٍ مِن صِحَّةِ ما تَدعونا إليه. وقالَ الكُفَّارُ مِنهُم لصالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ تنفيرًا مِنه: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ أي: المَسحورينَ، ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فكَيفَ يُوحىٰ إليكَ مِن دونِنا؟! ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ تدُلُّ علىٰ صِدقِكَ ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾﴾[الشُّعراء]، وقالوا: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا﴾ إذا سلَّمنا أمرَنا لبَشَرٍ مِثلِنا ﴿لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ أي: في خَيبةٍ وخُسرانٍ، ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾؟! وما سبَبُ تَفضيلِه علينا بذلِكَ؟ ثمَّ رَمَوهُ بالكَذِبِ فقالوا: ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾[القمر] أي: مُتكبِّرٌ جبَّارٌ.

وكانَ ممَّا قالَهُ قَومُهُ لـه أن ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾، أي: ما رأينا علىٰ وَجهِكَ ووُجوهِ مَن معَكَ مِن خَيرٍ، فكانوا يتَشاءمُونَ بهم، ولا يُصيبُ أحدًا مِنهُم سوءٌ إلَّا نَسبَهُ إلىٰ صالِحٍ ومَن اتَّبعَهُ، ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ فهو يُجازيكُم بهِ، ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾[النَّمل] فيَستَدرِجُكُم اللهُ فيما أنتُم فيهِ مِن الضَّلالِ.

واستَعجَلَ قَومُ صالِحٍ العَذابَ، فسألوهُ أن يُنزِلَ بهم العذابَ إن كانَ يَقدِرُ علىٰ ذلِكَ، فقالَ لهُم: ﴿يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ الَّتي هي العَذاب ﴿قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ الَّتي كنتُم ستُؤتَونَها لو أنَّكُم آمَنتُم باللهِ وأطعتُمُوني فيما أدعوكُم إليهِ مِن الخَيرِ، ﴿لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦﴾[النَّمل].

قصَّةُ النَّاقَة:

﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾[الإسراء]، ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٣﴾[الأعراف]، ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ٦٤ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ٦٥﴾[هود]، ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ١٥٥ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥٦ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧﴾[الشُّعراء]، ﴿إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ٢٧ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ٢٨ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩﴾[القمر]، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ١٢ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ١٤﴾[الشَّمس].

لمَّا استَكبَرَ قَومُ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالوا له: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٥٤﴾[الشُّعراء] أرادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يُبيِّنَ لهُم صِدقَهُ، ويُقيمَ عليهِم الحُجَّةَ، فجعَلَ لهُم آيةً بيِّنَةً، قالَ تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ أي: دالَّةً دلالَةً لا مِراءَ فيها علىٰ صِدقِ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما يَدعوهُم إليه مِن وَحدانِيَّةِ اللهِ، ﴿فَظَلَمُواْ بِهَاۚ﴾[الإسراء] أي: جَحَدوا بها وكفَروا باللهِ، وقالَ

تَعالىٰ: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً﴾ أي: اختِبارًا ﴿لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي: انتَظِر ما يؤولُ إليه أمرُهم، ﴿وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾﴾[القمر] أي: اصبِر عليهم.

والَّذي حصَلَ أنَّ قَومَ صالِحٍ عليه السلام طلَبُوا مِنهُ تَعجيزًا له أن يُخرِجَ لهُم مِن صَخرَةٍ أشارُوا إليها ناقَةً عُشَراءَ، ووَعَدوهُ أن يُؤمِنوا إن هو فعَلَ ذلِكَ، فقامَ يُصَلِّي ويَدعُو اللهَ عز وجل أن يُجيبَهُم لعلَّهُم يهتَدونَ، فأجابَهُم اللهُ عز وجل إلىٰ ذلِكَ، فانشَقَّتِ الصَّخرَةُ وخرَجَت مِنها ناقَةٌ يتقَلَّبُ جَنينُها في بَطنِها، وقالَ صالِحٌ عليه السلام لهُم: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ أضافَها إلىٰ اللهِ إضافَةَ تَشريفٍ، ﴿لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ حَيثُ شاءَت، ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ﴾ مِن اللهِ بسبَبِ كُفرِكُم وإيذائِكُم للنَّاقَةِ ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾[الأعراف]، ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾[هود]، ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾[الشُّعراء]، واشتَرَطَ اللهُ عز وجل عليهم أن يَكونَ الماءُ قِسمَةً بينَهُم وبينَ النَّاقَةِ، يَشرَبونَ يَومًا وتَشرَبُ يَومًا، وجعَلَ لهُم أن يَحلُبوا النَّاقَةَ يَومَ شُربِها، فكانوا يَملَؤُونَ أوعِيَتَهُم لبَنًا، قالَ تَعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾[الشُّعراء]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ﴾ شِربُهُم الماءَ في اليَومِ المُخصَّصِ لهُم، وشِربُهُم اللَّبنَ يومَ وُرودِها، ﴿مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾[القمر] أي: يَحضُرونَهُ.

وذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أنَّ جُندَعَ بنَ عَمرٍو أحَدَ رُؤساءِ ثمودَ آمَنَ لمَّا رأىٰ النَّاقَةَ، ودعا بَقِيَّةَ الأشرافِ إلىٰ الإيمانِ معه فأبَوا عليه، لكِنَّهُم بَقوا مع ذلِكَ يَحلُبونَها ويَشرَبونَ مِن لبَنِها يومَ وُرودِها، فلمَّا طالَ الزَّمَنُ اتَّفَقوا علىٰ عَقرِ النَّاقَةِ ليَبقىٰ لهُم الماءُ كُلَّ الأيَّام، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾[الشَّمس]، وكانَ الَّذي تولَّىٰ عَقرَها رَجُلٌ مِنهُم يُقالُ له قُدارُ بنُ سالِفٍ، وقد جاءَ وَصفُهُ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه، قالَ ﷺ: «**انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ عَارِمٌ، مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ**»، وأخرَجَ النَّسائيُّ والحاكِمُ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال لعليٍّ وعمَّارٍ رضي الله عنهما: «**أَلَا أُحَدِّثُكُمَا بِأَشْقَىٰ النَّاسِ؟**»، قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَىٰ هَذِهِ**»

وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَىٰ قَرْنِهِ «حَتَّىٰ يَبُلَّ مِنْهَا هَـٰذِهِ» وَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ﴾ أي: تَناوَلَ النَّاقَةَ بيَدِه ﴿فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾[القمر] النَّاقةَ، فلمَّا رأىٰ صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّاقةَ بكَىٰ، وعلِمَ أنَّ اللهَ مُعَذِّبُهم علىٰ ذلِكَ، ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾[هود]، فهو وَعدٌ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، واللهُ لا يُخلِفُ الميعادَ، ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾[الشُّعراء]، ولم يَكُنِ النَّدَمُ لِيَنفعَهُم حينئِذٍ.

مُحاوَلَتُهم قَتلَ النَّبيِّ صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النَّمل].

لمَّا وعَدَ صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ قومَهُ أن يأتِيَهُم العذابُ بعد ثلاثةِ أيَّام غاظَهُم ذلِكَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ هم كُبراؤُهم ﴿يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾، وهم الَّذين غلَبوا علىٰ أمرِ قومِهِم، وأطاعَهُم الباقونَ، ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ﴾ أي: تحالَفوا وتبايَعوا ﴿بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ﴾ أي: لَنَقتُلَنَّهُم غيلَةً، فإن كانَ صادِقًا فيما يَعِدُنا به مِن العَذابِ عَجَّلناهُ قبلَنا، وإن كانَ كاذِبًا ألحَقناهُ بناقَتِهِ، نَعوذُ باللهِ مِن الخِذلانِ! ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ كَذِبًا ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ وهُم أبعَدُ ما يَكونونَ عن الصِّدقِ، ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النَّمل] واللهُ تَعالىٰ إنَّما يَمكُرُ بالماكِرينَ الَّذين يَستَحِقُّون أن يُمكَرَ بهم، فلمَّا جاؤُوا إليه ليلًا ليَقتُلوه أرسَلَ اللهُ عليهم حِجارَةً رَضَختهُم، فكانوا أوَّلَ قومِهِم هلاكًا كما كانوا أوَّلَهُم ضَلالًا وإضلالًا.

هَلاكُ قَومِ ثَمودَ:

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود]، ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [النَّمل:٥٢]، ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الذَّاريات]، ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر].

بعدَ أن أهلَكَ اللهُ الرَّهطَ التِّسعَةَ الَّذي سبَقَ ذِكرُهُم، بَقِيَ عامَّةُ مَن كفَرَ مِن ثَمودَ يَنتَظِرونَ ما يُفعَلُ بهم، فلمَّا أشرَقَتِ الشَّمسُ مِن اليَوم الثَّالِثِ أتاهُمُ العَذابُ، ووصَفَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عذابَهُم بالصَّاعِقَةِ، والصَّيحَةِ، والرَّجفَةِ، والعَذابِ الهونِ، والتَّدميرِ، والطَّاغِيَةِ، والدَّمدَمَةِ، وخُلاصَةُ ذلِكَ أنَّهُم أتَتهُم صَيحَةٌ مِن السَّماءِ مِن فَوقِهِم، ورَجَفَتِ الأرضُ مِن تَحتِهِم، ففاضَتْ أرواحُهُم وسكَنَت حَرَكَتُهُم، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ مَيِّتينَ قد أُلقِيَ بَعضُهُم علىٰ بَعضٍ، ﴿كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ﴾ أي: كأنَّهُم لم يَعيشُوا في تِلكَ الدِّيارِ مِن قَبلُ! ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [النَّمل:٥٢]، وقالَ: ﴿فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الذَّاريات]، وقالَ: ﴿فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر] أي: كالنَّباتِ اليابِسِ لا روحَ فيه.

فَوائِدُ مُهِمَّةٌ مِن قِصَّتَي هُودٍ وصَالِحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

○ لا يوجَدُ ذِكرٌ لِقِصَّتَي عادٍ وثَمودَ في الكُتُبِ الَّتي بينَ أَيدِي أهلِ الكِتابِ، وليسَ مَعنىٰ هذا أنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يُخبِر قَومَه بأخبارِ عادٍ وثَمودَ؛ بل إنَّه جاءَ في القرآنِ ما يدُلُّ علىٰ أنَّه أخبرَهم، فقد قالَ تعالىٰ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [إبراهيم]، فلعلَّ بَني إسرائيلَ أهمَلوا ذِكرَهما لأنَّهما مِن العَرَبِ، فأتىٰ القرآنُ مُهَيمِنًا علىٰ الكُتُبِ السَّابِقَةِ، فجَمَعَ القَصَصَ كُلَّها، وجاءَ مُبَيِّنًا قَصَصَ عادٍ وثَمودَ، وذكَرَ أسماءَ أجدادِهم، والأمكِنَةَ الَّتي سَكَنوها، وذكَرَ مِن أوصافِهم وأخبارِهم، قالَ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [التَّوبة:٧٠]، فكانَ في ذلِكَ آيةٌ للنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورَدٌّ علىٰ مَن اتَّهَمَه بالتَّلَقِّي عن أهلِ الكِتابِ.

○ كثيرًا ما يَقترِنُ ذِكرُ عادٍ وثَمودَ في القُرآنِ، ولعلَّ ذلِكَ لأنَّهما يشتَرِكانِ في أُمورٍ منها:

- أنَّهما أمَّتانِ مِن العَرَبِ البائِدَةِ.
- أنَّهما سَكَنا جَزيرَةَ العرَبِ وما جاوَرَها.
- أنَّ اللهَ آتاهُما قوَّةً شديدَةً كما تقدَّمَ ذِكرُه في قِصَّتَيهما.
- أنَّهما لمَّا دُعِيا إلىٰ عِبادَةِ اللهِ أظهَرَا الكُفرَ والجَبَروتَ.
- أنَّهما أُهلِكا بعامَّةٍ.

○ في سورَةِ هودٍ بدأَت ثلاثُ قِصَصٍ نفسَ البدايَةِ: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ [هود:٥٠]، ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [هود:٦١]، ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [هود:٨٤]، ثمَّ خُتِمَت قصَّةُ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولِه تعالىٰ: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود]، وخُتِمَت قصَّةُ صالحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولِه تعالىٰ: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود]، وخُتِمَت قصَّةُ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولِه تعالىٰ: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ

ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ [هـود]، فـاللهُ عَزَّوَجَلَّ قيَّد عـادًا بأنَّهم قومُ هـودٍ، ولم يُقيِّـد ثمودَ وأهل مَديَـنَ، قالـوا: لأنَّ عادًا كانـوا أكثَرَ مِن قَوم، فقَومُ هودٍ هم قِسـمٌ مِن عادٍ وليسُـوا كُلَّ عـادٍ، ولذلِـكَ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ [النَّجـم]، وهم عادُ إرَمَ كمـا تقـدَّمَ، وهُناكَ عـادٌ الآخِرَةُ.

❍ تقَـدَّمَ أنَّ عـادًا الأولـىٰ قَومَ هـودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَـكَنوا الأَحقـافَ مِـن أرضِ اليَمَنِ، والأحقـافُ جَمـعُ حِقْـفٍ، وهـو كَثيـبُ الرَّمـلِ إذا طـالَ واعـوَجَّ وتقـوَّسَ، وهو دونَ الجبَـلِ، والأحقـافُ مَوضِـعٌ مَعـروفٌ باليَمَنِ تضُـمُّ حَضرَمَوتَ ومـا حَولَها مِـن الرِّمالِ.

❍ مِـن فَضائِـلِ نَبـيِّ اللهِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه سُـمِّيَت سـورَةٌ طَويلَةٌ باسـمِهِ، وسُـمِّيَت سـورَةٌ أُخرىٰ باسـمِ مَوضِـعِ قَومِهِ (الأحقـافِ)، وسـورَةُ هودٍ هي إحدَىٰ السُّـوَرِ الَّتـي لهـا خُصوصِيَّـةٌ في القُـرآنِ، فقد أخـرَجَ التِّرمِـذِيُّ وغَيرُهُ عن أبـي بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّـه قـالَ للنَّبـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَـا رَسُـولَ اللهِ، قَـدْ شِـبْتَ! قَـالَ: «**شَـيَّبَتْنِي هُـودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَـلَاتُ**، وَ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ [**النَّبَـأ**]، وَ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ﴿١﴾ [**التَّكوير**]»، قيـلَ: إنَّ أشَـدَّ آيَةٍ فِي سـورَةِ هـودٍ عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هي قَولُـه تَعالىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٢﴾ [هـود].

❍ تقَـدَّم قولُ هـودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِـه: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ قَوۡمِ نُوحٖ وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ [الأعـراف:٦٩]، وقـالَ لهـم كذلِـكَ: ﴿أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ [الشُّـعراء]، فتبَيَّـنَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أنعَـمَ عليهـم بنِعَمٍ كثيـرَةٍ، وفتَـحَ عليهم الدُّنيا فتحًا، فلمَّا تنافَسـوها ولم يشـكُروا اللهَ علـىٰ ما آتاهُم مِـن فَضلِـه أُهلِكوا، ولهذا قـالَ النَّبـيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحَديـث المُتَّفق عليـه: «**وَاللهِ مَـا الْفَقْـرَ أَخْشَـىٰ عَلَيْكُـمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَـىٰ أَنْ تُبْسَـطَ عَلَيْكُـمُ الدُّنْيَا، كَمَا بُسِـطَتْ عَلَـىٰ مَـنْ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُـوهَا كَمَا تَنَافَسُـوهَا، وَتُهْلِكَكُـمْ كَمَـا أَهْلَكَتْهُمْ**»، وفي هذا تَحذيـرٌ نبَـوِيٌّ مِن الاشـتِغالِ بالتَّـرَفِ والرَّفاهِيَـةِ بدَلَ الإقبـالِ علـىٰ اللهِ والانقِيادِ لأوامِـرِه ووصايـاه، وممَّـا ابتُلِـيَ المُسـلِمونَ بـه كثـرَةُ زخرَفَـةِ المسـاجِدِ، وهذا مِـن قَبيـلِ ما أنكَـرَه هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ علـىٰ قَومِه بقَولِـه: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾

[الشُّعراء:١٢٨] أي: أتبنونَ علىٰ كُلِّ مَكانٍ مُرتَفِعٍ بُنيانًا هائِلًا لا لمَصلَحَةٍ وإنَّما عبثًا؟! فليَنتَبِه المُسلِمُ إلىٰ أنَّ النِّعمَةَ الَّتي يُنعِمُ اللهُ بها علىٰ العَبدِ قد تنقَلِبُ نِقمَةً عليه إذا هو لم يُحسِن شُكرَها واستَعملَها في غَيرِ مَرضاةِ اللهِ تَعالىٰ.

❍ تقَدَّمَ أنَّ هودًا ﷺ خاطَبَ قومَه بقَولِه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾[هود:٥٢]، وفي هذا بَيانٌ أنَّ الاستِغفارَ مِن أسبابِ حُصولِ الرِّزقِ، وقد قالَ نوحٌ ﷺ كذلِكَ لقَومِه: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ۝١٢﴾[نوح].

❍ لم يكُن شِركُ عادٍ وعُتُوُّهم عن أمرِ رَبِّهم بَعيدًا عن زمَنِ الطُّوفانِ؛ بل كانوا قَريبي عَهدٍ مِن النُّبُوَّةِ، ولهذا قالَ تَعالىٰ عن هودٍ ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾[الأحقاف:٢١]، وقالَ: ﴿إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾[فصِّلت:١٤].

❍ قالَ تَعالىٰ عن قَومِ هودٍ ﷺ لمَّا جاءَهم العذابُ: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾[الأحقاف:٢٤]، والمُرادُ بالعارِضِ: السَّحابُ؛ وذلك لأنَّه يَعترِضُ السَّماءَ ويَحجُبُ رؤيتَها، فاستَبشَروا برؤيَةِ السَّحابِ وظَنُّوا أنَّه يأتيهِم بالمَطَرِ، لكنَّه كان عذابًا لهم، ولهذا كان النَّبيُّ ﷺ إذا رأىٰ الغَيمَ عُرِفَ في وَجهِه الخَوفُ، أخرَجَ الشَّيخان عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كَانَ إِذَا رَأَىٰ غَيْمًا أَوْ رِيحًا عُرِفَ فِي وَجْهِهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فِيهِ الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إِذَا رَأَيْتَهُ عُرِفَ فِي وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةُ؟ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، مَا يُؤْمِنِّي أَنْ يَكُونَ فِيهِ عَذَابٌ؟ عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وَقَدْ رَأَىٰ قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾[الأحقاف:٢٤]**»، وفي هذا تَعليمٌ مِنه ﷺ لأُمَّتِه أن يَكونوا دائِمًا بين رَجاءِ رحمَةِ اللهِ وبين خَوفِ عذابِه، وهذا هو حالُ المُؤمِنِ في سائِرِ أحوالِه.

وجاءَ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند مسلم: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ**

مِنْ شَرِّهَا، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ»، قَالَتْ: وَإِذَا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا مَطَرَتْ سُرِّيَ عَنْهُ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.

❍ تقَدَّمَ أنَّ اللهَ تَعالىٰ أهلَكَ عادًا بالرِّيحِ، وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا**» وهي ريحُ القَبولِ الَّتي تأتي مِن المَشرِقِ، «**وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**» وهي الرِّيحُ الغَربيَّةُ، فالرِّيحُ شَيءٌ واحِدٌ لكنَّها تكونُ سببًا للنَّصرِ لمَن أقبَلَ علىٰ اللهِ وانقادَ لأمرِهِ، وتكونُ سببًا للهَلاكِ والعَذابِ لمَن أدبَرَ وعصَىٰ أمرَ ربِّه، ومِن لَطيفِ المُناسبَةِ كَونُ ريحِ القَبولِ سببًا لنُصرَةِ أهلِ القَبولِ، وكَونُ الدَّبورِ سببًا لهَلاكِ أهلِ الإدبارِ.

❍ مِن اللَّطائِفِ المُتعلِّقَةِ بقِصَّةِ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ الكَريمِ أنَّه ورَدَ ذِكرُه عَلَيْهِ السَّلَامُ مُصرَّحًا باسمِه ٩ مرَّاتٍ، وأنَّ عدَدَ الَّذينَ همُّوا بقَتلِه ٩ رَهطٍ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النَّمل].

❍ قَومُ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هم ثَمودُ، نِسبَةً إلىٰ أبيهم الأعلىٰ ثَمودَ بنِ عاثِرٍ -أخي عادٍ- بنِ إرَمَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وثَمودُ مُشتَقَّةٌ مِن الثَّمَدِ وهو الماءُ القَليلُ، وفي هذا مُناسَبَةٌ وهي أنَّ ثَمودَ كانَ خيرُهم قليلًا؛ بل لم يكُن فيهم خيرٌ، وذلِكَ لكُفرِهم، وعُتُوِّهم، وعِنادِهم، وعَقرِهم النَّاقَةَ الَّتي أخرَجَها اللهُ لهم استِجابَةً لطَلَبِهم، ومُحاوَلَتِهم قَتلَ نَبيِّهم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❍ سكَنَت ثَمودُ الحِجرَ مِن أرضِ الحِجازِ، و الحِجرُ مُشتَقٌّ مِن الحَجْرِ وهو المَنعُ، ومُناسَبَةُ التَّسمِيَةِ أنَّ اللَّهَ مَنَعَهم بكُفرِهم مِن كُلِّ خيرٍ، كما أنَّ الحِجرَ يُطلَقُ علىٰ العَقلِ، ولهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾﴾ أي: لمَن له عَقلٌ يَعقِلُ به، فكانَ في ذلِكَ مُقابَلَةٌ، بأن أسكَنَهم اللَّهُ الحِجرَ وهم أقَلُّ النَّاسِ عُقولًا لكُفرِهم، فقد قالَ تَعالىٰ عن الكفَّارِ: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة].

❍ كما أنَّ ثَمودَ اتَّصفوا بأوصافٍ تُطابِقُ اسمَهم واسمَ المَوضِعِ الَّذي سَكَنوه، فإنَّ نبيَّهم صالِحًا عليه السلام كذلِكَ أُعطِيَ نَصيبًا مِن اسمِه، فكانَ صالِحًا في أقوالِهِ وأفعالِه، عاقِلًا، مَرجُوًّا مِن قَومِه قبلَ أن يدعُوَهم إلىٰ الحَقِّ، قالَ تَعالىٰ عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآ﴾[هود:٦٢]، أي: يتوسَّمون فيه الصَّلاحَ ويرجونَ مِنه الخَيرَ.

❍ لم تَرِد في القرآنِ سورَةٌ باسمِ صالِحٍ عليه السلام كما هو الحالُ مع نوحٍ وهودٍ وإبراهيمَ ويوسُفَ عليهم السلام، لكِن ورَدَت سورَةٌ باسمِ المَوضِعِ الَّذي سكَنَه قَومُه، وهي سورَةُ الحِجرِ، كما ورَدَت سورَةٌ باسمِ المَوضِعِ الَّذي سكَنَته عادٌ وهي سورَةُ الأحقافِ، وقد قرَنَ اللَّه تَعالىٰ بينَ أصحابِ مَديَنَ وقَومِ لوطٍ في سورَةِ الحِجرِ فقالَ: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ٧٩﴾ أي: طَريقٍ يؤُمُّه النَّاسُ، وهو واضِحٌ بَيِّنٌ لهم، وذلِكَ لأنَّ مَدينَ ومَوضِعَ قَومِ لوطٍ في طَريقِ قُرَيشٍ إلىٰ الشَّامِ، ثمَّ قالَ ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٨٠﴾[الحِجر] والحِجرُ كذلِكَ في طَريقِهم كما هو مَعروفٌ.

❍ ذكَرَ اللَّهُ عز وجل نِعَمًا كثيرَةً أنعَمَ بها علىٰ ثَمودَ، مِن الأنعامِ، والجنَّاتِ، والأموالِ، والقُوَّةِ، وغيرِ ذلِكَ، لكِنَّ الَّذي تكرَّرَ امتِنانُ اللَّهِ بهِ عليهم في القرآنِ هو الأمنُ، فقالَ: ﴿وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ٨٢﴾[الحِجر]، وقالَ: ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ١٤٦﴾[الشُّعراء]، وقد قالَ النَّبيُّ ﷺ في بَيانِ أهَمِّيَّةِ الأمنِ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**». أخرَجَه التِّرمذِيُّ وابنُ ماجه.

❍ أوَّلُ مَن ذُكِرَ عنهم التَّطيُّرُ في القرآنِ هم ثَمودُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾[النَّمل]، فكانوا يتَشاءمُونَ بصالِحٍ عليه السلام ومَن معه مِن المُؤمِنينَ، ولا يُصيبُ أحدًا مِنهُم سوءٌ إلَّا نَسبَهُ إليهم، والطِّيَرَةُ مُحرَّمَةٌ، فقد جاءَ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ**»، وعندَ أبي داودَ والتِّرمذيِّ: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**»، فعِلاجُ الطِّيَرَةِ والتَّشاؤُمِ يَكونُ بتَحقيقِ العَبدِ للتَّوكُّلِ علىٰ اللَّهِ وتَفويضِ جَميعِ أُمورِه إليه.

❍ تقَـدَّمَ أنَّ اللهَ تَعالـىٰ اسـتَجابَ لطَلَـبِ ثَمودَ إذ سـأَلوا نبيَّهـم صالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُخـرِجَ لهـم ناقـةً عُشَـراءَ مِـن صخـرَةٍ صمَّـاءَ أشـاروا إليهـا، وأمَرَهـم أن يَكونَ المـاءُ قِسـمَةً بينَهـم وبيـنَ النَّاقـةِ، يشـرَبونَ يَومًـا وتشـرَبُ يَومًـا، ومـع ذلِـكَ لم يُؤمِنـوا لصالـحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مـع مُعايَنَتِهم لانشِـقاقِ الصَّخرَةِ عـن النَّاقةِ، ومـع كَونِهم يحلبـونَ النَّاقـةَ فيَشـرَبونَ مِـن لبَنِهـا، وذلِـكَ قولُـه تعالـىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا ٥٩﴾[الإسـراء]، ثـمَّ ازدادوا في طُغيانِهـم فعَقـروا النَّاقـةَ، نَعـوذُ بـاللهِ مِـن الخِـذلانِ، ومِـن الحَـورِ بعـدَ الكَورِ.

❍ كانَ الشَّـقِيُّ الَّـذي عقَـرَ النَّاقـةَ مِـن قَـومِ صالـحٍ رجُلًا واحِـدًا، قـالَ تعالىٰ: ﴿فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ٢٩﴾[القمـر]، ومَـع ذلِـكَ نسَـبَ اللهُ تَعالـىٰ الفِعـلَ إليهـم جَميعًا فقـالَ: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ١٥٧﴾[الشُّـعراء]، وذلِـكَ لأنَّهُم لمَّـا رَضـوا فِعلَه وشَـجَّعوه عليـه كانـوا كالمُباشِـرِ للفِعلِ، ولهـذا لمَّا قُتِـلَ غُلامٌ غيلَـةً في زَمـانِ عُمـرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قـالَ: «**لَوْ تَمَـالأَ عَلَيْـهِ أَهْلُ صَنْعَـاءَ لَقَتَلْتُهُـمْ جَمِيعًا**». أخرَجَـه مالكٌ.

❍ قـالَ ابـنُ الجَـوزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ في «التَّبصِـرَةِ» (١/ ١٠٣): (اعْتَبِـرُوا إِخْوَانِـي بِهَـؤُلاءِ الْهَالِكِيـنَ، وَانْظُـرُوا سُـوءَ تَدْبِيرِ الْخَاسِـرِينَ، لا بِالنَّاقـةِ اعْتَبَـرُوا، وَلا لِتَعْوِيضِهِمُ اللَّبَـنَ شَـكَرُوا، وَعَتَـوْا عَـنِ النِّعَـمِ وَبَطِـرُوا، وَعَمُـوا عَـنِ الْكَـرَمِ فَمَـا نَظَـرُوا، وَأُوعِـدُوا بِالْعَـذَابِ فَمَـا حَـذِرُوا، كُلَّمَـا رَأَوْا آيَـةً مِـنَ الآيَـاتِ كَفَـرُوا، الطَّبْـعُ الْخَبِيـثُ لا يَتَغَيَّـرُ، وَالْمُقَـدَّرُ ضَلالُـهُ لا يَـزَالُ يَتَحَيَّـرُ، خَرَجَـتْ إِلَيْهِـمْ نَاقَـةٌ مِـنْ أَحْسَـنِ النَّعَـمِ، وَدَرَّ لَبَنُهَـا لَهُـمْ فَتَوَاتَـرَتِ النِّعَـمُ، فَكَفَـرُوا وَمَـا شَـكَرُوا، فَأَقْبَلَتِ النِّقَـمُ، أَعَاذَنَـا اللَّـهُ وَإِيَّاكُـمْ مِنَ الْكُفْـرَانِ، وَحَفِظَنَـا مِنْ مُوجِبَـاتِ الْخُسْـرَانِ، إِنَّهُ إِذَا لَطَـفَ صَـانَ)، آميـن.

❍ تقَـدَّمَ الحَديثُ المُتَّفَـقُ عليه: «**أَنَّ النَّبِـيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا مَرَّ بِالْحِجْرِ قَـالَ: لَا تَدْخُلُوا مَسَـاكِنَ الَّذِيـنَ ظَلَمُـوا إِلَّا أَنْ تَكُونُـوا بَاكِيـنَ أَنْ يُصِيبَكُـمْ مَـا أَصَابَهُـمْ، ثُـمَّ تَقَنَّعَ بِرِدَائِـهِ وَهُـوَ عَلَـىٰ الرَّحْـلِ**»، قـالَ ابـنُ هُبَيـرَةَ رَحِمَهُ اللهُ: (فيـه مِـن الفِقـهِ: أنَّـه إذا مَـرَّ إنسـانٌ بـدارِ قَـومٍ كانـوا قد عُذِّبـوا أسـرَعَ هارِبًا عنهـم لِئَلَّا يتَـأَدَّىٰ إليه شَـيءٌ مِن العَـذابِ الَّذي هـمْ فيـه...).

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّتَيْ هُودٍ وَصَالِحٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] أُرسِلَ هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ: ❍ عادٍ الأولىٰ. ❍ ثمودَ. ❍ أصحابِ الأَيكَةِ.

[٢] هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ من ذُرِّيَّةِ (❍ سام ❍ يافِث ❍ حام) بن نوح.

[٣] قَومُ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هم: ❍ عَادٌ الأولىٰ. ❍ ثَمودُ. ❍ بَنو إسرائيلَ.

[٤] عادٌ الأولىٰ مِن العرَبِ (❍ العارِبَةِ ❍ المُستَعرِبَةِ)، وهم العرب الَّذين كانوا (❍ قبل ❍ بعد) إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأمَّا ذُرِّيَّة إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فهم من العرَبِ (❍ العارِبَةِ ❍ المُستَعرِبَةِ).

[٥] سُمِّيَت سورَةٌ في القُرآنِ باسمِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ (❍ صح ❍ خطأ)، وسُمِّيت سورةٌ باسم المَوضِع الَّذي سكَنَه قَومُه (❍ صح ❍ خطأ).

[٦] سكَنَ قَومُ هودٍ (❍ الأحقاف ❍ بابِلَ ❍ الشَّامَ) بأرضِ (❍ الشَّام ❍ اليَمَنِ)، وهم (❍ أوَّلُ ❍ ثاني) مَن عَبَدَ الأصنامَ بعدَ (❍ قوم نوح ❍ الطُّوفانِ ❍ الجَميعِ)، وهم (❍ أوَّلُ ❍ ثاني) أُمَّةٍ أهلَكَهُم اللهُ بذُنوبِهِم وشِركِهِم بعدَ السَّفينَةِ.

[٧] هلاكُ قَوم هودٍ كانَ بـ: (❍ الرِّيح ❍ الغرَقِ ❍ الصَّاعِقَةِ)، ونجَّىٰ اللهُ هودًا (❍ وَحدَهُ ❍ ومَن آمَنَ معه أجمَعينَ).

[٨] اربط كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفاتِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدَليلِها مِن القُرآنِ:

قُوَّةُ التَّوكُّلِ علىٰ اللهِ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف].

النُّصح والأمانة: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ [هود].

[٩] عُرِفَ قومُ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ: ❍ الكِبر. ❍ البَسطَةِ في الخَلقِ. ❍ بناءِ البُروجِ المُشيَّدَةِ. ❍ البَطشِ الشَّديدِ. ❍ الجَميعُ.

[١٠] مَنَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قومَ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أهَمَّ ما يملِكُ الإنسانُ، وهو: ❍ الصِّحَّةُ. ❍ الأرضُ الخِصبَةُ.

[١١] مِن السُّوَرِ الَّتي ذكَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّها شيَّبَته: ❍ هودٌ. ❍ الواقِعَةُ. ❍ المُرسَلاتُ. ❍ النَّبأُ. ❍ التَّكويرُ. ❍ الجَميعُ.

[١٢] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ بالنِّسبَةِ لهودٍ عليه السلام:

قَومُهُ:	عادٌ الأولىٰ.
سكَنَ قَومُهُ:	سامِ بن نوحٍ.
هو وقَومُهُ مِن ذُرِّيَّةِ:	أوَّلُ مَن عَبَدَ الأصنامَ بعدَ الطُّوفانِ، وأوَّلُ قومٍ عذَّبَهُم اللهُ بعدَ نوحٍ.
ذَنبُ قَومِه أنَّهم:	الأحقافَ باليَمَنِ.

[١٣] ورَدَ ذِكرُ الأحقافِ مرَّةً واحدةً فقط في القُرآن: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٤] قَومُ هودٍ عليه السلام هم: ❍ عادٌ الأولىٰ. ❍ عادُ إرَمَ. ❍ كلاهما صحيحٌ.

[١٥] وُصِفَت عادٌ الأولىٰ بذاتِ العِمادِ، ومَعناها: ❍ خِيامُ الشَّعرِ ذاتُ الأعمِدَةِ الطَّويلةِ. ❍ طُولُ القامَةِ.

[١٦] وُصِفَت الرِّيحُ الَّتي أهلَكَت عادًا بالعُقمِ، أي: ❍ ليسَ فيها إنتاجٌ. ❍ أنَّها شديدةٌ باردةٌ. ❍ الجَميعُ.

[١٧] لم يُذكَر لنا في القُرآنِ كيف نجَّىٰ اللهُ هودًا ومَن معه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٨] وُصِفَت الرِّيحُ الَّتي أهلَكَت عادًا بأنَّها: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف:٢٥]، أي: دمَّرَت كلَّ شيءٍ حتَّىٰ المَنازِل: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٩] مَن هو النَّبيُّ الَّذي أخرَجَ لقَومِهِ ناقةً مِن الصَّخرِ؟
❍ صالِحٌ. ❍ هودٌ. ❍ آدَمُ.

[٢٠] أُرسِلَ النَّبيُّ صالحٌ عليه السلام إلىٰ: ❍ ثَمودَ. ❍ أهلِ بابِلَ. ❍ القِبطِ.

[٢١] ما هي آيَةُ صالحٍ عليه السلام؟ ❍ النَّاقَةُ. ❍ السَّفينَةُ. ❍ العَصا.

[٢٢] كم عددُ الَّذين هَمُّوا بقَتلِ صالحٍ عليه السلام؟ ❍ ٥. ❍ ٩. ❍ ١٩.

[٢٣] ماذا كانَ عِقابُ قَومِ ثَمودَ؟ ❍ الطُّوفانُ. ❍ الرِّيحُ. ❍ الصَّيحَةُ.

[٢٤] صالِحٌ عليه السلام مِن ذُرِّيَّةِ إرَمَ بنِ سامِ بن نوحٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٥] كانَ قَومُ صالِحٍ (❍ بَعدَ ❍ قَبلَ) قَومِ (❍ عادٍ ❍ ثَمودَ)، وعَبَدوا (❍ الأصنامَ ❍ الكَواكِبَ)؟

[٢٦] آيَةُ صالِحٍ عليه السلام هي النَّاقَةُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٧] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ﴾:	وهم عادٌ الأولىٰ، عادُ إرَمَ.
﴿إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ﴾:	بُعِثَت الرُّسُلُ قبلَه وبعدَه يُنذِرون قومَهم.
﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾:	شَدِيدَةَ الهُبوبِ
﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ﴾:	تبنونَ علىٰ كُلِّ مَكانٍ مُرتَفِعٍ بُنيانًا هائِلًا لا لمَصلَحَةٍ، وإنَّما عبثًا؟!!
﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ﴾:	هو هودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩﴾:	ما نحنُ عليه ليس سِوىٰ دينِ الأباءِ والأجدادِ، ولن نُعَذَّبَ عليه.
﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾:	استعجَلوا العَذابَ تَهاوُنًا مِنهم وعدَمَ تَصديقٍ.
﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٣٧ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾:	الَّتي اتَّخذَت الخِيامَ ذاتِ الأعمِدَةِ الطَّويلَةِ.
﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَا﴾:	تَبنونَ بُروجًا مُشَيَّدَةً كأنَّكُم ستُعَمِّرونَ في الأرضِ ولا تَموتونَ!
﴿رِيحٗا صَرۡصَرٗا﴾:	هذا السَّحابُ يأتينا المطَرُ.

[٢٨] قَومُ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هم (○ ثَمودُ ○ عَادٌ ○ مَديَنُ)، وهُم مِن العَرَبِ العارِبَةِ (○ صح ○ خطأ)، وسَكَنوا (○ الحِجرَ ○ الأحقافَ ○ مَديَنَ).

[٢٩] ذُكِرَ صالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ (○ ٧ ○ ٩ ○ ٥) مرَّاتٍ؟

[٣٠] هَلَكَ قَومُ صالِحٍ لمَّا عقَروا النَّاقَةَ، فأجَّلَهُم صالِحٌ (○ ٥ ○ ٤ ○ ٣) أيَّام، ثُمَّ أخَذَتْهُم الصَّيحَةُ (○ صح ○ خطأ)، ونجَّىٰ اللهُ صالِحًا (○ وَحدَهُ ○ ومَن معه مِن المُؤمِنينَ).

[٣١] أعظَـمُ نِعمَـةٍ أنعَـمَ اللهُ بها علىٰ قَـومِ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ الجنَّـاتُ. ❍ المالُ. ❍ الأمنُ. ❍ القُوَّةُ الجسَـدِيَّةُ.

[٣٢] مَعنىٰ ﴿جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾﴾[الفجر]: ❍ أخَذوه. ❍ قطَعوه.

[٣٣] قـالَ تَعالىٰ عن ثَمـودَ: ﴿وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾﴾[الحِجر] أي: مِـن غيـرِ: ❍ خَـوفٍ. ❍ حاجَـةٍ. ❍ الجَميع.

[٣٤] ذكَـرَ اللهُ تَعالـىٰ عـن قَـوم صالِـح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾؟ وهـذا سُـؤالُ: ❍ اسـتِفهام. ❍ اسـتِكبارٍ واسـتِهزاءٍ.

[٣٥] ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾، أي: ❍ دالَّةً دَلالةً لا مِراءَ فيها. ❍ غيرَ عَمياءَ.

[٣٦] أرسَلَ اللهُ تَعالىٰ النَّاقَةَ (❍ آيَةً ❍ فِتنةً ❍ كلاهما) لثَمودَ.

[٣٧] وصَفَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عذابَ ثَمودَ بـ: ❍ الصَّاعِقَةِ. ❍ الصَّيحَةِ. ❍ الرَّجفَةِ. ❍ العَذابِ الهونِ. ❍ التَّدميرِ. ❍ الطَّاغِيَةِ. ❍ الدَّمدَمَةِ. ❍ الجَميع.

[٣٨] اربط كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفاتِ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدَليلِها مِن القُرآنِ:

العِزَّةُ في قَومِهِ: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

النُّصحُ لله: ﴿يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾[هود].

[٣٩] قـالَ: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾؛ لأنَّهـم لمَّـا رَضوا فِعلَـه وشـجَّعوا عليه كانوا كالمُباشِـرِ للفِعـلِ: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[٤٠] أوَّلُ مَن ذُكِرَ عنهم التَّطيُّرُ في القُرآنِ هم ثَمودُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤١] ذكَـرَ اللهُ نِعَمًـا كثيـرةً أنعَـمَ بهـا علىٰ ثَمـودَ، ومِـن النِّعَمِ الَّتـي تكـرَّرَ امتِنانُ اللهِ بهـا عليهـم في القـرآنِ الأمـنُ: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[٤٢] في طريقِ قُرَيشٍ إلىٰ الشَّام: ❍ مَدينُ. ❍ قَومُ لوطٍ. ❍ الحِجرُ. ❍ الجَميعُ.

[٤٣] اتَّصَفَـت ثَمـودُ بأوصـافٍ تُطابِـقُ اسـمَهم واسـمَ مَوضِعِهـم، بخِـلافِ نبيِّهم صالـح: ❍ صـح. ❍ خطأ.

[٤٤] مِـن اللَّطائِـفِ أنَّ صالحًـا عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُكِـرَ في القـرآنِ (❍ ٩ ❍ ٨ ❍ ٧) مـرَّاتٍ، وهـو عدَدُ الَّذيـنَ همُّوا بقَتلِـه، وكذلِكَ أنَّ ريحَ القَبولِ سـببٌ لنُصرَةِ أهـلِ القَبولِ، وأنَّ ريـحَ الدَّبـورِ سـببٌ لهَلاكِ أهـلِ الإدبارِ (❍ صـح ❍ خطأ).

أَبُو الْأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الاسم:	إِبراهيمُ - ومَعناهُ: أَبٌ رَحيمٌ.
اسمُ الأبِ:	آزَرُ - ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾[الأنعام:٧٤].
اللَّقَبُ:	[١] خَليلُ اللهِ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾[النِّساء]. [٢] أبو الأنبياءِ: فكُلُّ نبيٍّ بُعِثَ بعدَه فهو مِن نَسلِهِ. [٣] إمامُ الحُنَفاءِ: ﴿أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾[النَّحل:١٢٠].
زَوجاتُه:	[١] سَارَّةُ: أمُّ إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أبي يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جدِّ بَني إسرائيلَ. [٢] هَاجَرُ: أمُّ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جدِّ العَرَبِ.
مِنْ فَضَائله:	[١] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾[النَّحل]. [٢] قيلَ للنَّبيِّ ﷺ: يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، فقالَ: «ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ». مُسْلِمٌ. [٣] الأنبياءُ بَعدَه مِن نَسلِهِ، ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ﴾[الحديد]. [٤] أُمِرَ مُحمَّدٌ ﷺ باتِّباعِ مِلَّتِهِ: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[النَّحل]. [٥] أَوَّلُ مَنْ ضَيَّفَ الضَّيْفَ. أخرجه مالكٌ عن ابن المُسَيَّبِ مُرسَلًا. [٦] أَوَّلُ مَنِ اخْتَتَنَ علىٰ رَأْسِ ثَمانينَ سنَةً بِالقَدُومِ. مُتَّفَقٌ عليه. [٧] أَوَّلُ الخَلَائِقِ يُكْسَىٰ يومَ القِيامَةِ. مُتَّفَقٌ عليه. [٨] أُمِرْنَا أن نُصلِّيَ عليهِ وعلىٰ آلِه في كلِّ صَلاةٍ نُصَلِّيها. [٩] هو أفضلُ الأنبياءِ والرُّسُلِ بعدَ نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ. [١٠] بَنىٰ الكَعبَةَ وهو أَوَّلُ مَنْ أَذَّنَ بالحَجِّ، ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج:٢٧]. [١١] قُوَّةُ المُحاجَّةِ، ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾[الأنعام:٨٠].

مِهنَتُه:	البِنـاءُ - بَنَـىٰ الكَعبَـةَ مـع ابنِـه إسـماعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾[البقـرة:١٢٧].
ذِكْرُه في القُرآنِ:	ذُكِـرَ ٦٩ مَـرَّةً في ٢٥ سُـورَةً، وسُـمِّيَتْ سُـورَةٌ باسْـمِهِ، وهو ثانـي أكثَرِ الأنبِيَـاءِ ذِكْـرًا فـي القُرآنِ بعدَ موسَـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
صِفاتُه الخَلْقِيَّةُ:	قـالَ ﷺ: «رَأَيْـتُ إِبْرَاهِيـمَ -صَلَـوَاتُ اللَّـهِ عَلَيْـهِ- فَـإِذَا أَقْـرَبُ مَـنْ رَأَيْـتُ بِـهِ شَـبَهًا صَاحِبُكُـمْ» يعنـي: نفسَـهُ ﷺ. أخرجَـهُ مُسـلِمٌ.
دِينُه:	﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾[آل عمـران].
كِتابُه:	صُحُفُ إبراهيمَ، ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾[الأعلىٰ:١٩].
هِجرَتُه:	هاجَـرَ إبراهيـمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مـن بابِـلَ إلـىٰ الشَّـام، ثـمَّ إلـىٰ مِصرَ، ثـمَّ إلىٰ الشَّـامِ مـرَّةً أُخـرىٰ، وهاجَـرَ بأهلِه إلىٰ مكَّـةَ.
أهَمُّ آياتِه:	[١] ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[الأنبياء]. [٢] ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾[البقـرة:٢٦٠]. [٣] ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾[الصَّافَّات]. [٤] ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾[الحجر:٥٤]. [٥] مَقـامُ إبراهيـمَ، وهـو الحَجـرُ الَّـذي قـامَ عليه عِنـدَ بِنـاءِ الكَعبَةِ، وعِنـدَ أذانِـهِ بالحَجِّ. [٦] أذانُهُ بالحَجِّ، فأسمَعَ كلَّ من يَحُجُّ إلىٰ يوم القِيامَةِ. [٧] كلُّ نَبِيٍّ بعدَهُ مِن ذُرِّيَّتِهِ. [٨] مُستَجابُ الدَّعوةِ. [٩] ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾[الأنعام:٨٣].

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرةً:

مولدُه ونشأتُه:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾[الأنبياء].

وُلِدَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأرضِ بابِلَ مِنَ العِراقِ، وهو إبراهيمُ بنُ تارَخ (وهو آزرُ) بنِ ناحورَ علىٰ ما يذكُرُهُ أهلُ السِّيَرِ، ثمَّ هاجَرَ إلىٰ أرضِ الشَّامِ، فاستقرَّ بدِمشقَ، وكانُ أهلُ الشَّام يعبُدونَ الكَواكِبَ والأصنامَ، وأُوتِيَ إبراهيمُ رُشدَهُ في صِغَرِهِ قبلَ بُلوغِهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾[الأنبياء].

دعوتُه لأبيه:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ۝٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ۝٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ۝٤٧﴾[مريم]، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝٤١﴾[إبراهيم]، ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ۝١١٤﴾[التَّوبة].

لمَّا نشأ إبراهيمُ وشبَّ أنكرَ علىٰ أبيهِ عِبادَةَ الأوثانِ مع اللَّهِ تعالىٰ، وبدَأَ بأبيهِ لأنَّهُ أحقُّ النَّاسِ بإخلاصِ النَّصيحَةِ، وذكرَ اللَّهُ تعالىٰ ما كانَ بينَهُما مِنَ المُناظَرَةِ فقالَ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ۝٤٢﴾ فلا ينفعُكَ ولا يدفعُ عنكَ ضررًا، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ وإن

كُنتُ مِن صُلبِكَ وأصغَرَ مِنك، ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣﴾ طريقًا مُستَقيمًا مُوصِلًا إلىٰ نَيلِ المَطلوبِ والنَّجاةِ مِن المَرهوبِ، ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ أي: لا تُطِعْهُ، وقد قالَ ﷺ لعَديِّ بن حاتمٍ رضي الله عنه في بَيانِ مَعنىٰ اتِّخاذ النَّصارىٰ واليَهودِ أحبارَهُم ورُهبانَهُم أربابًا مِن دونِ اللَّهِ: «**يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فَيَسْتَحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللهُ فَيُحَرِّمُونَهُ، فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ لَهُمْ**». أخرجَهُ البُخاريُّ.

قالَ إبراهيمُ عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤﴾ مُخالِفًا لأمرِ اللَّهِ، مُستَكبِرًا عن طاعَتِهِ، ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ علىٰ شِركِكَ وعِصيانِكَ لِما أمَرَكَ اللَّهُ به، ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾[مريم] ولا تنفعُكَ وَلايَةُ الشَّيطانِ شيئًا؛ لأنَّهُ يومَ القِيامَةِ يتبَرَّأُ مِن أتباعِهِ، ويقولُ: ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٢﴾[إبراهيم]، ﴿قَالَ﴾ أبوهُ: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ﴾؟ أي: تارِكُها وغيرُ راضٍ بها، ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ أي: لأَسُبَّنَّكَ وأشتِمَنَّكَ، ﴿وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾ زمانًا طويلًا، ﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ﴾، وهذه هي حالُ المُؤمنينَ مِن عِبادِ اللَّهِ، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾[الفرقان]، وإنَّما أرادَ إبراهيمُ عليه السلام أن يقولَ: أمَّا أنا فلا يَمَسُّكَ مِنِّي مَكروهٌ لِحُرمَةِ الأُبُوَّةِ، ﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ﴾ فأطلُبُ مِنهُ أن يغفِرَ لكَ ويَهدِيَكَ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾[مريم] لطيفًا بي مُستَجيبًا لدُعائي، وقد لبِثَ يستَغفِرُ لأبيهِ مدَّةً طويلةً، بل إنَّهُ كانَ مِن دُعائِهِ بعدَ أن كَبُرَ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾[إبراهيم]، لكِنَّهُ انقطَعَ عنِ الاستِغفارِ له بعدَ ذلك، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾[التَّوبة].

وفي حديثِ البُخاريِّ: «**يَلْقَىٰ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَىٰ وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ:**

فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَىٰ مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِّخٍ»، والذِّيخُ ذَكَرُ الضِّباعِ كثيرُ الشَّعرِ، مُتلطِّخٌ برجيعٍ مِن نَتَنِه، «فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ».

مُناظَرَتُهُ لأهلِ بابِلَ:

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[العنكبوت]، ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[الأنبياء]، ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾[الشُّعراء].

بعدَ أن دعَا إبراهيمُ عليه السلام أباهُ، أخذَ يَدعُو قومَهُ وهم أهلُ بابِلَ، فقالَ: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ﴾ لتجتمِعُوا علىٰ عِبادَتِها في الدُّنيا صَداقَةً وأُلفَةً مِنكُم ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ ينعكِسُ حالُكُم فـ﴿يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ﴾ وتتجاحَدونَ، ﴿وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ يلعَنُ التَّابِعُ المَتبوعَ، كما يلعَنُ المَتبوعُ التَّابِعَ، ﴿وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾[العنكبوت].

وسألَهُم إبراهيمُ عليه السلام: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾؟ أي:

مُقيمُـونَ عليهـا، ﴿ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ فاحتَجُّـوا بصَنيـعِ الآباءِ؛ لأنَّـهُ لا حُجَّـةَ لهُـم علـىٰ الحَقيقَـةِ، ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ فسـفَّهَهُم وسـفَّهَ آباءَهُـم، ولهـذا ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾؟ لأنَّهـم لـم يسـمَعوا بهـذا الـكَلامِ مِـن قبـلُ، ﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ ﴾ أي: خلقَهُـنَّ ومـا يَحتَوينَ مِـن العَدَمِ، ﴿ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[الأنبيـاء] علـىٰ أنَّـهُ لا ربَّ ولا مَعبـودَ سِـوىٰ اللَّـهِ عزَّ وجلَّ.

وقـالَ لهُـم عليه السلام: ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ ﴾؟ يسـأَلُهُم سُـؤالَ تقريـرٍ لهُـم، لعلَّهُـم يُراجِعـونَ أنفُسَـهُم ويعبُـدونَ اللَّـهَ الَّـذي يملِـكُ وَحـدَهُ النَّفـعَ والضُّـرَّ، لا شَـريكَ لـهُ ولا نِـدَّ، ﴿ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ ﴾، فـإن كانُـوا يملِكـونَ ضـرًّا لأحـدٍ فَلْيُصيبونـي بسـوءٍ، فإنِّـي لا أُبالي بهـم ولا أُفكِّـرُ فيهـم، ولا أعبُـدُ ﴿ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الَّـذي خلَـقَ الخَلـقَ، وذكَـرَ إبراهيـمُ عليه السلام مِن صِفـاتِ رُبوبيَّةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ فقـال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ ﴾، وهـو الَّذي يَهدي مَن يَشـاءُ ويُضِلُّ مَن يَشـاءُ، ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾، فيرزُقُنـي بما سـخَّرَ مِنَ الأسـبابِ الكَونيَّـةِ، ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ بمـا جعَـلَ مِـن أسـبابِ الشِّفـــاءِ الشَّـرعِيَّةِ والكَونيَّـةِ، ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾، ولا يَقـدِرُ علـىٰ ذلِـكَ أَحـدٌ غيـرُهُ، ﴿ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾[الشُّـعراء]؛ كمـا قـالَ تعالـىٰ: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[آل عمـران:١٣٥]؟! الجـوابُ: لا أحَـدَ.

تَكسيرُ الأصنام:

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾[الصَّافَّات]، ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ

يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ
كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ
إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ
﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ
لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الأنبياء].

فلم يستَجِبْ له قومُهُ، وكانَ لهُم عيدٌ يخرُجونَ إليهِ، فلمَّا قرُبَ خُروجُهم ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ ففهِموا أنَّهُ مريضٌ، وإنَّما أرادَ أنَّهُ ضعيفٌ، وهذا مِن بابِ التَّعريضِ في الكَلام، وليسَ مِن بابِ الكَذِبِ، وإنَّما أوهَمَهُم ذلِكَ لِئَلَّا يخرُجَ معهُم وليَختَلِيَ بأَصنامِهم، ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ أي: خَرَجوا دونَهُ، ﴿فَرَاغَ﴾ أي: تحرَّكَ بسُرعةٍ فَورَ خُروجِهم مُستَخفِيًا ﴿إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾﴾؟! وكانُوا قد وضَعُوا بينَ يَدَي الأصنام طعامًا، ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾؟! لأنَّهُم لم يُجيبوهُ لمَّا سألَهُم، ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾﴾[الصَّافَّات].

وكانَ قد توعَّدهُم قبلَ ذلِكَ بقولِهِ: ﴿وَتَٱللَّهِ﴾ أقسَمَ باللَّهِ ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ أي: لَأُحَرِّضَنَّ علىٰ أذاهُم وتكسيرِهم، ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ إلىٰ عيدِكُم، فسمِعَهُ بعضُهُم، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ أي: حُطامًا، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ يَعنِي الصَّنمَ الكبيرَ عندَهُم، ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾، وقيلَ: إنَّهُ وضَعَ القَدومَ الَّتي كسَرَ بها الأصنامَ في يدِ ذلِكَ الصَّنمِ الكَبيرِ، فلمَّا رَجَعوا مِن عيدِهم ورأوا ما حَصَلَ لِأصنامِهم ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾﴾ في صَنيعِهِ الَّذي صَنَعَ، ﴿قَالُواْ﴾ أي: قالَ الَّذينَ سَمِعوا تَوعُّدَهُ لهُم قبلَ ذلكَ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ شابًّا ﴿يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ علىٰ رُؤوسِ الأشهادِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ سُؤالَنا له وإقرارَهُ بفعلِه، وهذا الَّذي أرادوهُ هو عينُ الَّذي أرادَهُ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنَّه إذا حاجَّهُم أمامَ الملأ كانَ ذلِكَ أدعىٰ لِأنْ يَعتبِرَ النَّاسُ. فلمَّا أحضَروهُ أمامَ النَّاسِ ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ

﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، وهم يعلمونَ أنَّ الأصنامَ لا تنطِقُ، فأرادَ عليه السلام منهُم أن يُبادِروا بالاعترافِ بهذهِ الحقيقةِ، ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالمَلامةِ ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾؛ لأنَّكُم تركتُمُ الأصنامَ لوحدِها عُرضةً للاعتِداءِ، ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ أي: أطرَقُوا في الأرضِ وقالُوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ فلِمَ تسألُنا؟! ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ﴾ أي: قُبحًا لكُم ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾ مِن الأصنام ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[الأنبياء] وتتدبَّرونَ ما أنتُم فيه مِن الضَّلالِ والسَّفهِ إذ تعبُدونَ ما لا ينفعُكُم ولا يضُرُّكُم؟!

نَجاتُه مِن النَّار:

﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[الأنبياء]، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾[الصَّافَّات].

فلمَّا حجَّهُم إبراهيمُ عليه السلام وعَجَزوا عن إجابَتِهِ أرادوا مُعاقَبَتَهُ ونُصرَةَ أصنامِهِم، ﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾﴾، فجمَعوا الحَطَبَ الكثيرَ، فجَعَلوهُ في حُفرَةٍ وأضرَموا عليهِ النَّارَ، وألقَوهُ فيها، فتوَكَّلَ إبراهيمُ عليه السلام علىٰ اللَّهِ عز وجل، وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما عند البُخاريِّ مَوقوفًا: «**كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**»، أي: إنَّ اللَّهَ كافيني سوءَ كلِّ ذي سوءٍ، فلا أحتاجُ إلىٰ غيرِهِ، فحينَئِذٍ استَجابَ اللَّهُ عز وجل لـه، ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾، فخرَجَ عليه السلام منها لم يُصِبهُ أذًى، فكانَتْ آيةً شاهِدَةً علىٰ صِدقِه أمامَ أعيُنِ النَّاسِ، وفي حديثِ أُمِّ شريكٍ رضي الله عنها عندَ البُخاريِّ: «**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمَرَ بِقَتْلِ الْوَزَغِ، وَقَالَ: كَانَ يَنْفُخُ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام**»، قال تعالىٰ: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾[الأنبياء]، وفي الآيةِ الأُخرىٰ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾

ففازُوا بالخَسارَةِ والسَّفالَةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ جرَّاءَ كُفرِهم باللَّهِ، وعِنادِهم، وعدمِ استِجابَتِهم لنبيِّهم.

مُحاجَّةُ النُّمرود:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة].

وكانَ النُّمرودُ مَلِكَ بابِلَ في زَمنِ النَّبيِّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانَ قد مَكَثَ مُدَّةً طويلَةً في المُلكِ، فحملَهُ ذلِكَ على إنكارِ وُجودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وادَّعى لنفسِهِ الألُوهيَّةَ، قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى﴾ وُجودِ ﴿رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ هذه المُدَّةَ الطَّويلَةَ، فطَلَبَ مِن إبراهيمَ دليلًا على وُجودِ اللَّهِ، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾، فالمَخلوقاتُ مُفتَقِرةٌ إلى مَن يوجِدُها مِن العَدَمِ، ومَن يُرزُقُها ويُدَبِّرُ أُمورَها، فالحَياةُ والمَوتُ دليلٌ على وُجودِ اللَّهِ، ﴿قَالَ﴾ النُّمرودُ: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾، قالَ ذلِكَ عِنادًا ومُكابَرَةً، وإلَّا فإنَّهُ يعلَمُ ولا شَكَّ أنَّهُ لا يَملِكُ حياةً ولا مَوتًا، فانتقَلَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى ذِكرِ حُجَّةٍ ثانيَةٍ، وليسَ ذلِكَ إقرارًا مِنهُ بكَونِ النُّمرودِ يُحيي ويُميتُ، وإنَّما هو تَنَزُّلٌ معه في المُناظَرَةِ، وإتيانٌ بما يقطَعُ حُجَّةَ الخَصمِ، ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ﴾، أي: إنَّ الَّذي يخلُقُ ويُحيي ويُميتُ هو نفسُهُ الَّذي يتصَرَّفُ في الوُجودِ، بما في ذلِكَ الشَّمسُ والقَمرُ والكَواكِبُ، فإذا كُنتَ إلهًا كما تدَّعي ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ أي: بالشَّمسِ، ﴿مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ بدَلَ إتيانِها مِن المَشرِقِ، ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ﴾ أي: أُخرِسَ النُّمرودُ، ولم يجِدْ ردًّا لحُجَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة] فلا يُلهِمُهُم حُجَّةً ولا بُرهانًا، ولا يَهديهِم سبيلًا.

هِجرَتُه إلَى الشَّام:

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ [العنكبوت]، ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم]، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء].

فلمَّا أصرَّ أبوهُ وقومُه علىٰ الكُفرِ هجرَهم مِن بابِلَ بالعِراقِ إلىٰ بِلادِ الشَّام، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابنُ أخيهِ هارانَ، ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾ [العنكبوت]، وقال إبراهيمُ مُخاطبًا أباهُ وقومَهُ: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وأتبرَّأُ مِن آلِهَتِكُم الَّتي تَدعونَها مِن دونِ اللَّهِ، ﴿وَأَدۡعُواْ رَبِّي﴾ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، ﴿عَسَىٰٓ﴾ تحقيقيَّةٌ مُوجِبَةٌ وليست للشَّكِّ، ﴿أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم]، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء]، وهي أرضُ الشَّام، أرضُ المَحشَرِ والمَنشَرِ، وهي الَّتي بُعِثَ فيها الأنبِياءُ، ويَنزِلُ فيها عيسَىٰ ابنُ مَريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزَّمانِ.

زَواجُه من سارَّةَ:

تزوَّجَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن سارَّةَ، والمَشهورُ عندَ أهلِ السِّيَرِ أنَّها ابنَةُ عَمِّه هارانَ، وأنَّهُ تزوَّجَها قبلَ خُروجِه مِن بابِلَ ثمَّ خَرَجَ بها، وقيلَ: إنَّهُ تزوَّجَها في طَريقِ هِجرَتِهِ إلىٰ الشَّامِ.

مُحاجَّتُه لأَهلِ الشَّامِ في الكَواكِب:

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾ [الأنعام].

ثـمَّ أخَـذَ إبراهيـمُ فـي دَعـوَةِ أهـلِ الشَّـام، وكانَ مِنهُـم مَـن يعبُـدُ الكَواكِـبَ السَّـبعةَ، فـكانَ مِـن مُحاجَّتِهِ لهـم أن بَيَّنَ لهُـم أنَّ الكَواكِـبَ لا تصلُـحُ للعِبادَةِ، قـــالَ تَعالـىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ أي: تغشَّـاهُ وستَـــرَهُ، ﴿رَءَا كَوۡكَبٗا﴾ قيـلَ: الزُّهـرَةُ، وقيـلَ: المُشـتَري، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ علـىٰ سـبيلِ المُحاجَّـةِ لا الإقـرارِ، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ الكوكَـبُ أي: غـابَ ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾، فـإنَّ الخالِـقَ الـرَّازِقَ المُدَبِّـرَ لا يصلُـحُ أن يغيـبَ عـن خَلقِـهِ؛ لِـدَوامِ افتِقارِهم إليـهِ، ثـمَّ ذهبَ إلـىٰ ما هو أكبَـرُ مِنَ ذلِـكَ وهو القَمَـرُ، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾ أي: طالِعًـا، ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧﴾، ثـمَّ انتقَـلَ إلـىٰ ما هـو أكبَـرُ مِن ذلِـكَ وهو الشَّـمسُ، ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ حجمًـا وأكثَرُ إضاءَةً، ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾[الأنعـام]، فأبطَـلَ بذلِكَ عِبادَتَهُـم للكَواكِـبِ.

قِصَّةُ سارَّةَ مع المَلِكِ الجَبَّارِ:

ثـمَّ هاجَـرَ إلىٰ مِصرَ، وفيهـا كانَتْ قِصَّتُـهُ مع المَلـكِ الجَبَّارِ، قـال ﷺ: «**إِنَّهُ قَـدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَـارَّةُ، وَكَانَتْ أَحْسَـنَ النَّـاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَـذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَـمْ أَنَّـكِ امْرَأَتِـي يَغْلِبْنِـي عَلَيْـكِ، فَـإِنْ سَـأَلَكِ فَأَخْبِرِيـهِ أَنَّكِ أُخْتِـي، فَإِنَّكِ أُخْتِـي فِـي الْإِسْـلَامِ، فَإِنِّـي لَا أَعْلَـمُ فِـي الْأَرْضِ مُسْـلِمًا غَيْـرِي وَغَيْـرَكِ، فَلَمَّـا دَخَـلَ أَرْضَـهُ رَآهَـا بَعْـضُ أَهْـلِ الْجَبَّـارِ، أَتَاهُ فَقَـالَ لَـهُ: لَقَدْ قَـدِمَ أَرْضَـكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِـي لَهَـا أَنْ تَكُـونَ إِلَّا لَـكَ، فَأَرْسَـلَ إِلَيْهَـا فَأُتِـيَ بِهَـا، فَقَـامَ إِبْرَاهِيـمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَـىٰ الصَّـلَاةِ، فَلَمَّـا دَخَلَـتْ عَلَيْهِ لَـمْ يَتَمَالَـكْ أَنْ بَسَـطَ يَـدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَـتْ يَدُهُ قَبْضَـةً شَـدِيدَةً، فَقَـالَ لَهَا: ادْعِـي اللَّـهَ أَنْ يُطْلِقَ يَـدِي وَلَا أَضُـرُّكِ، فَفَعَلَـتْ، فَعَادَ فَقُبِضَـتْ أَشَـدَّ مِـنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَىٰ، فَقَـالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِـكَ، فَفَعَلَـتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَـدَّ مِـنَ الْقَبْضَتَيْـنِ الْأُولَيَيْـنِ، فَقَالَ: ادْعِـي اللَّهَ أَنْ يُطْلِـقَ يَدِي، فَلَـكِ اللَّهُ أَنْ لَا أَضُـرَّكِ، فَفَعَلَـتْ وَأُطْلِقَـتْ يَـدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَـاءَ بِهَا فَقَالَ لَـهُ: إِنَّكَ إِنَّمَـا أَتَيْتَنِي بِشَـيْطَانٍ، وَلَـمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَـانٍ، فَأَخْرِجْهَـا مِـنْ أَرْضِـي، وَأَعْطِهَـا هَاجَـرَ، قَـالَ:**

فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا». مُتَّفَقٌ عليه، وهذا لفظُ مُسلمٍ.

عَودَتُه إلى الشَّامِ:

ثمَّ عادَ عليه السلام إلى الشَّامِ، وأمَرَ لوطًا عليه السلام أن ينزِحَ بأهلِه إلى مَدينَةِ سدُومَ، وبها يومَئذٍ قومٌ كُفَّارٌ فُجَّارٌ، فلبِثَ فيهم زمانًا يدعوهُم إلى اللَّهِ، وكانُوا يأتونَ الفاحِشَةَ، واستُقبِلَ إبراهيمُ في بَيتِ المَقدِسِ استِقبالًا حسنًا، واستقرَّ بهِ.

قصَّةُ هاجَرَ وإسماعيلَ:

﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافَّات]، ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم]، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة].

ولم يُؤتَ إبراهيمُ عليه السلام ولدًا من سارَّةَ، فلمَّا كَبُرا وهَبَت له هاجَرَ، فدخَلَ بها، فحمَلَت منه بإسماعيلَ عليه السلام، وكانَ اللَّهُ عز وجل قد بشَّرَهُ به قبلَ ذلكَ، فإنَّ إبراهيمَ دعا ربَّهُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾، فجاءَتهُ البِشارَةُ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافَّات]، وهو إسماعيلُ عليه السلام، فلمَّا وَلَدَتْ هاجَرُ إسماعيلَ عليه السلام غارَتْ منها سارَّةُ، فخرَجَ إبراهيمُ عليه السلام بها وبابنِها إلى مكَّةَ بأمرِ اللَّهِ عز وجل، قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّىٰ وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ؛ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ**

إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[إبراهيم]».

ودعا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ﴾ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا﴾ في الحياةِ الدُّنيا، ﴿ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾[البقرة:١٢٦].

قَالَ: «وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّىٰ -أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ-، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الْوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الْوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ، حَتَّىٰ جَاوَزَتِ الْوَادِيَ ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا، فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا.

فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَىٰ الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ صَهٍ، تُرِيدُ نَفْسَهَا، ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِوَاثٌ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ -أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ- حَتَّىٰ ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ -أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ الْمَاءِ- لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا، قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا.

فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ يَبْنِي هَذَا الْغُلَامُ

وَأَبُـوهُ، وَإِنَّ اللَّـهَ لَا يُضَيِّـعُ أَهْلَـهُ، وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًـا مِـنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّـيُولُ فَتَأْخُـذُ عَـنْ يَمِينِـهِ وَشِـمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِـكَ حَتَّىٰ مَـرَّتْ بِهِـمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُـمَ -أَوْ أَهْـلُ بَيْـتٍ مِنْ جُرْهُـمَ- مُقْبِلِيـنَ مِنْ طَرِيقِ كَـدَاءٍ، فَنَزَلُوا فِي أَسْـفَلِ مَكَّـةَ، فَـرَأَوْا طَائِـرًا عَائِفًـا، فَقَالُـوا: إِنَّ هَـذَا الطَّائِـرَ لَيَـدُورُ عَلَـىٰ مَـاءٍ، لَعَهْدُنَـا بِهَـذَا الْـوَادِي وَمَـا فِيهِ مَـاءٌ، فَأَرْسَـلُوا جَرِيًّـا أَوْ جَرِيَّيْنِ، فَـإِذَا هُمْ بِالْمَـاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُـمْ بِالْمَـاءِ فَأَقْبَلُـوا، قَـالَ: وَأُمُّ إِسْـمَاعِيلَ عِنْـدَ الْمَـاءِ، فَقَالُـوا: أَتَأْذَنِيـنَ لَنَـا أَنْ نَنْـزِلَ عِنْـدَكِ؟ فَقَالَـتْ: نَعَـمْ، وَلَكِـنْ لَا حَـقَّ لَكُمْ فِـي الْمَاءِ، قَالُـوا: نَعَمْ، قَـالَ ابْـنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِـيُّ ﷺ: فَأَلْفَـىٰ ذَلِكَ أُمَّ إِسْـمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِـبُّ الْإِنْسَ، فَنَزَلُـوا وَأَرْسَـلُوا إِلَـىٰ أَهْلِيهِـمْ فَنَزَلُوا مَعَهُـمْ، حَتَّـىٰ إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَـاتٍ مِنْهُمْ وَشَـبَّ الْغُـلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّـةَ مِنْهُمْ وَأَنْفَسَـهُمْ وَأَعْجَبَهُـمْ حِينَ شَـبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُـوهُ امْـرَأَةً مِنْهُمْ». أخرجـه البخاريُّ.

قصَّةُ الذَّبحِ:

﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾﴾ [الصَّافَّات].

فلمَّـا شَـبَّ إسـماعيلُ وصارَ يسـعىٰ مـع أبيـهِ فـي مَصالِحِـه اختبَرَهمـا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وقـالَ إبراهيـمُ عليه السلام لابنِـهِ البكـرِ الَّـذي رُزِقَـهُ علـىٰ الكِبَـرِ بعد طـول انتظـارٍ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾، ورُؤيـا الأنبيـاء وَحـيٌ وحَـقٌّ، فامتَثَـلَ إبراهيـمُ الرُّؤيـا وعرضَها علـىٰ إسـماعيلَ ليكونَ أطيَـبَ لقلبـهِ، وقالَ: ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾، فبـادَرَ الغُـلامُ الحَليـمُ ابـنُ الحَليـمِ مُطيعًـا لأبيـه ولرَبِّـهِ و﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾، وأيُّ صبرٍ هـذا؟! ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا﴾ أي: استَسـلَمَا لأمـرِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ أي: ألقـاهُ علـىٰ وجهِـهِ لِئَلَّا يَنظُـرَ إلىٰ وَجهِهِ حيـنَ ذَبحِهِ، فعلِـمَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ امتِثالَهُما

لأمرِهِ، فسلَّمَ إسماعيلَ مِن الذَّبحِ، ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ وحصَلَ المَقصودُ مِن الاختِبارِ، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ أي: الاختبارُ الظَّاهِرُ، ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصَّافَّات]، فجعَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِداءَ إسماعيلَ كبشًا أبيَضَ أقرَنَ أنزلَهُ عند جَبَلِ ثَبيرٍ، فذبَحَهُ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحُفظَ قرناهُ داخِلَ الكَعبةِ إلىٰ زَمَنِ النَّبيِّ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تنبيهٌ: زعَمَ بعضُهُم أنَّ الذَّبيحَ إنَّما هو إسحاقُ لا إسماعيلُ، ومَن قالَ هذا إنَّما تَبِعَ بني إسرائيلَ في ذَلِكَ، وقد أمَرَنا النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا نُصَدِّقَهُم ولا نُكَذِّبَهُم، وسِياقُ القُرآنِ يدُلُّ علىٰ أنَّهُ إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكلاهُما نَبيٌّ مُرسَلٌ، ومن ذلِكَ أنَّ اللَّه عَزَّوَجَلَّ قالَ: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ [هود]، ولا يمكنُ أن يُبشَّرَ إبراهيمُ بإسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأنَّه سيكونُ له مِن الولَدِ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثمَّ يُؤمَرَ بذبحِ إسحاقَ وهو صغيرٌ قبل أن يولَدَ له.

قصَّةُ زَوجَتَي إسماعيلَ:

قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تتمَّةِ الأثَرِ المُتقدِّمِ: «**وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ، فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شَيْئًا، فَقَالَ: هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا، فَسَأَلَنَا عَنْكَ، فَأَخْبَرْتُهُ، وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ، قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ، فَطَلَّقَهَا.**

وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَىٰ، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ، فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا، قَالَ: كَيْفَ

أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَىٰ اللَّهِ، فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتِ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتِ: الْمَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ، وَلَوْ كَانَ لَهُمْ دَعَا لَهُمْ فِيهِ، قَالَ: فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ، قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكِ أَبِي، وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ».

بِناءُ الْكَعْبَةِ:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ؛ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، قَالَ: وَتُعِينُنِي؟ قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَا هُنَا بَيْتًا، وَأَشَارَ إِلَىٰ أَكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَىٰ مَا حَوْلَهَا، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ، فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي، حَتَّىٰ إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ، فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي، وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]، قَالَ: فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّىٰ يَدُورَا

حَوْلَ الْبَيْتِ، وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة]».

وكان مِن دُعائهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عند بناءِ الكَعبةِ: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ وهو خاتَمُ الأنبياءِ مُحمَّدٌ ﷺ، ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة].

الملائكةُ وتبشيرُهم لسارَّةَ بإسحاقَ:

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [الحجر]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود]، ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الحجر].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ يا أيُّها الرَّسولُ ﴿عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾﴾ وهم مِن المَلائكةِ، ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أي: خائفونَ، وذلكَ بعدَ أن رَدَّ عليهم السَّلامَ، فقد قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾ إكرامًا لضيفِهِ، ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾؛ لأنَّهم مَلائكةٌ لا يأكُلون كما يأكُل بنو آدَمَ، فـ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أي: استنكرَ عَدمَ أكلِهم مِن العِجلِ، ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود]، فعندَها ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ﴾ أي: لا تخفْ، ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾

وهو إسحاقُ عليه السلام، فاندَهَشَ مِن بُشراهُم لأنَّهُ كانَ قد كَبُرَ سِنُّهُ، فـ﴿ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ﴾ ومسَّ زَوجَتي سارَّةَ ﴿ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾﴾، فأكَّدوا له البِشارَةَ و﴿ قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾﴾ اليائِسينَ مِن فَضلِ اللَّهِ عز وجل ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾؟! وحاشاهُ عليه السلام أن يكونَ مِنَ الضَّالِّينَ وهو إمامُ الحُنَفاءِ، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾[الحِجر] وهم قومُ لوطٍ عليه السلام، أرسلَهُم اللَّهُ إليهم بالعَذابِ.

فبشَّرتهُ الملائكةُ بإسحاقَ عليه السلام ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ ﴾ أي: سارَّةُ ﴿قَآئِمَةٌ﴾ فسمِعَتِ ما دارَ بينَ إبراهيمَ عليه السلام والمِلائِكَةِ ﴿فَضَحِكَتْ﴾ مِن ذلِكَ ﴿فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾، وفيه أنَّ يَعقوبَ يولَدُ في حَياتِهما لتقَرَّ أعيُنُهما أكثَرَ، فتعجَّبَت لِذلِكَ كما تعجَّبَ إبراهيمُ قبلَها و﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾، وقيل: إنَّ إبراهيمَ كانَ قد بلَغَ مائةَ سَنةٍ، وكانَت سارَّةُ قد بلَغَت تِسعينَ، فكانَ ردُّ المَلائِكَةِ أن ﴿ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود].

وَفاتُه:

اختَلَفَ أهلُ السِّيَرِ في مُدَّةِ حَياتِهِ عليه السلام، وأصَحُّ ذلِكَ ما في «الأدب المُفرَدِ» عن أبي هريرة رضي الله عنه: «**اخْتَتَنَ إِبْرَاهِيمُ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَمِائَةٍ، ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِينَ سَنَةً**»، فيكونُ قد عاشَ مائَتَي سنةٍ، وماتَت سارَّةُ قبلَه بزمَنٍ، وقيل: إنَّهُ تزَوَّجَ بعدَها أكثَرَ مِن امرأةٍ ووَلَدنَ له، ودُفِنَ في مَدينَةِ الخَليلِ مِن أرضِ فِلسطينَ على ما يذكُرُه أهلُ السِّيَرِ، ولا يُعلَمُ مَكانُ قبرِهِ عليه السلام لا بتَواتُرٍ، ولا بخَبَرٍ مَعصومٍ، بل إنَّهُ لا يُعلَمُ مَكانُ قبرِ نبيٍّ مِن الأنبياءِ إلَّا قبرُ نبيِّنا صلى الله عليه وسلم.

إِسْمَاعِيلُ وَإِسْحَاقُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	أَبَوَاهُ:	أبوهُ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ابنُهُ البِكرُ، وأُمُّهُ هاجَرُ.
	لَقَبُهُ:	الذَّبيحُ، فَداهُ اللهُ بكَبشٍ عظيمٍ لمَّا أسلَمَ أمرَهُ إلى اللهِ.
	زَوجَتُهُ:	وتزَوَّجَ مِن قَبيلَةِ جُرهُمٍ العَرَبيَّةِ.
	قَومُهُ:	بعَثَهُ اللهُ إلى أهلِ مكَّةَ حيثُ عاشَ هو وأُمُّهُ، وهُم قَبيلَةُ جُرهُمٍ العَرَبِيَّةُ اليَمَنِيَّةُ الَّتي جاوَرَتهم رغبَةً في زَمزَمَ.
	ممَّا وَصَفَهُ اللهُ بهِ:	[١] ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾[الصَّافَّات]. [٢] ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾[مريم]، ولم يُذكَر هذا الفَضلُ إلَّا له؛ لأنَّه صدَقَ في قولِه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾[الصَّافَّات]. [٣-٤] ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)﴾[مريم]. [٥-٦] ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٥)﴾، ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٦)﴾[الأنبياء]. [٧] بَنَى الكَعبَةَ مع أبيه إبراهيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
	ذِكرُهُ في القُرآنِ:	ذُكِرَ إسماعيلُ في القرآنِ ١٢ مرَّةً، وهو المَقصودُ بقَولِه تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾[الصَّافَّات]؛ وأمَّا إسحاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فكانَت البَشارَةُ به: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣)﴾[الحجر].
	آياتُهُ:	[١] بِئرُ زَمزَمَ. [٢] الفِداءُ مِن الذَّبحِ.
	مَوتُهُ:	ماتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ودُفِنَ مع أُمِّهِ بمَكَّةَ.

إسحاقُ عليه السلام	أبواه:	أبوهُ إبراهيمُ عليه السلام، وهو ابنُهُ الثَّاني، وأُمُّهُ سارَّةُ.
	زوجَتُه:	قيلَ: اسمُها رفقا.
	أولاده:	وَلَدانِ: العيصُ والِدُ الرُّوم، ويَعقوبُ عليه السلام والدُ بني إسرائيلَ.
	قومُه:	بُعِثَ إلىٰ أهلِ الشَّامِ الكَنعانِيِّينَ الَّذينَ بُعِثَ إليهم إبراهيمُ.
	مِمَّا وَصَفَه اللهُ بِه:	[١] ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣﴾[الحجر]. [٢] ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾، أي: علىٰ إبراهيمَ عليه السلام، ﴿وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الصَّافَّات:١١٣]. [٣] ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ﴾[الأنعام:٨٤]، ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[الأنبياء:٧٣]. [٤] ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾[مريم]. [٥] ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١١٢﴾[الأنبياء].
	ذِكرُه:	ذُكِرَ إسحاقُ عليه السلام في القرآنِ ١٧ مرَّةً.
	آياتُه:	آيَتُهُ الوِلادَةُ مِن أبَوَينِ كَبيرَينِ، قيلَ: إنَّ عُمرَ إبراهيمَ كانَ مائةَ سنَةٍ، وعُمرَ سارَّةَ كانَ تِسعينَ سنَةً.
	موتُه:	ماتَ ودَفَنَه ابنُهُ يَعقوبُ مع أبيهِ إبراهيمَ عليهما السلام.

تَنْبِيهٌ: لم يُذكَر مِن قصَّةِ إسحاقَ عليه السلام في القرآنِ شيءٌ كثيرٌ، وغالِبُ المَواضِعِ الَّتي ذُكِرَ فيها إمَّا في سِياقِ قِصَّةِ أبيه إبراهيمَ عليه السلام، أو في سِياقِ قصَّةِ ابنِه يَعقوبَ عليه السلام، واللهُ أعلَمُ بما كانَ مِن شأنِه، لكِنَّ الَّذي نَجزِمُ به أنَّ كثيرًا ممَّا وصَفَه به أهلُ الكِتابِ لا يُقبَلُ مِنهم لما فيه مِنَ التَّنَقُّصِ مِنه، وتِلكَ هي عادَةُ أهلِ الكِتابِ، وليسَ غَريبًا تنقُّصُهم من الأنبياءِ، كيف وهم قَتَلَةُ الأنبياءِ؟!

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ إبراهيمَ وَوَلَدَيْهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

○ النَّبيُّ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو خَليلُ الرَّحمَنِ، والخُلَّةُ هي أعلىٰ درَجاتِ المَحبَّةِ، ولم يوصَف بها في القرآنِ غيرُه عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾[النِّساء] أي: صيَّره خليلًا له عَزَّ وَجَلَّ، وجاءَ عندَ مُسلم عن النَّبيِّ ﷺ: «**إِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ لِي مِنْكُمْ خَلِيلٌ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا**»، وعليه فإنَّ مرتبَةَ الخُلَّةِ لم تَحصُل إلَّا للنَّبيِّ إبراهيم ونبيِّنا محمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

○ ممَّا يُستَفادُ مِن قِصَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ مَن لم يَعكُف قَلبُه علىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَحدَه دونَ غيرِه، فإنَّه سيَعكُفُ علىٰ تماثيلَ مُتنَوِّعَةٍ؛ كما قالَ إمامُ الحُنَفاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢﴾[الأنبياء]، فتَعَلُّقُ القَلبِ بغيرِ اللهِ، واشتِغالُه به، والرُّكونُ إليه عُكوفٌ مِنه علىٰ التَّماثيلِ الَّتي قامَت بقَلبِه، وهو نَظيرُ العُكوفِ علىٰ تَماثيلِ الأصنامِ؛ ولهذا سَمَّاه النَّبيُّ ﷺ عَبدًا لها، ودَعا عليه بالتَّعْسِ والنَّكسِ، فقالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ**». أخرجه البخاريُّ.

○ جاءَ ذِكرُ مُحاجَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقَومِه في عِدَّةِ مَواضِعَ مِن القرآنِ، وذلِكَ دَليلٌ علىٰ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ رفعَه بالعِلمِ واليقينِ وقُوَّةِ الحُجَجِ علىٰ غيرِه، فحاجَّ النُّمرودَ في ادِّعائِه الرُّبوبيَّةَ بقولِه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ﴾[البقرة:٢٥٨]، وحاجَّ أباه وقَومَه في عِبادَةِ الأصنامِ الَّتي لا تنفَعُ ولا تَضُرُّ، وحاجَّ أهلَ الشَّامِ في عِبادَةِ الكَواكِبِ مع أُفولِها وغِيابِها كما في سورَةِ الأنعامِ، ومع ما آتاه اللَّهُ مِنَ العِلمِ والحِكمَةِ ظَلَّ يطلُبُ المَزيدَ، حتَّىٰ قالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[البقرة:٢٦٠].

○ لمَّا وُلِدَ لإبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إسماعيلُ وإسحاقُ حَمِدَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ ذلِكَ فقالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾، وفي ذلِكَ بيانُ أنَّ هِبَةَ

الأولادِ الصَّالِحينَ مِن نِعَمِ اللهِ علىٰ عِبادِه، وأنَّه يَجِبُ علىٰ الإنسانِ أن يحمَدَ اللهَ علىٰ ذلِكَ، وأن يَدعُوَ لأولادِه، ولهذا قالَ: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم]، والولَدُ الصَّالِحُ ممَّا ينتَفِعُ الإنسانُ به بعدَ مَوتِه، فقد قالَ النَّبيُّ ﷺ كما عندَ مسلمٍ: «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»، ومَن لم يرزُقه اللَّهُ تعالىٰ الولَدَ فإنَّه ينبَغي له الدُّعاءُ وطلَبُ الذُّرِّيَّةِ الصَّالِحةِ؛ كما دعا إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا هجَرَ قومَه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصَّافَّات]، وانظُر كيفَ قيَّدَ دُعاءَه بالصَّالِحينَ، وأمَّا الذُّرِّيَّةُ الطَّالِحَةُ فمُصيبَةٌ ومَفسَدَةٌ علىٰ الوالِدِ.

❍ ورَدَت قِصَّةُ بَشارَةِ إبراهيمَ وسارَّةَ في ثلاثِ سُوَرٍ مِن القرآنِ: هودٍ، والحِجرِ، والذَّارياتِ، وأُشيرَ إليها في سورَةِ العَنكَبوتِ، وهذا ليسَ مِن بابِ التَّكرارِ وإنَّما مِن بابِ تَفريقِ القِصَّةِ ليَكونَ سببًا في إعمالِ العَقلِ والجَمعِ بينَ المَواضِعِ، فيَكونَ فيه تدَبُّرٌ للقرآنِ، والتَّدبُّرُ في القرآنِ عِبادَةٌ، وهذا هو الحالُ في سائِرِ القَصَصِ في القرآنِ.

❍ جاءَ في القرآنِ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بُشِّرَ بولَدَين: إسماعيلَ وإسحاقَ، وضابِطُ التَّفريقِ بينهما أنَّه إذا ذُكِرَ تَبشيرُه بإسماعيلَ وُصِفَ بأنَّه حليمٌ؛ كما في قَولِه تَعالىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصَّافَّات]، بينَما إذا ذُكِرَ تَبشيرُه بإسحاقَ وُصِفَ بأنَّه عليمٌ؛ كما في قَولِه تَعالىٰ: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحِجر]، ومُناسبَةُ ذلِكَ أنَّ الحِلمَ سِمَةٌ ظاهِرَةٌ في قِصَّةِ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ، لا سِيَما في قِصَّةِ الذَّبحِ، كما أنَّ العِلمَ صِفَةٌ بارِزَةٌ في قِصَّةِ إسحاقَ ويَعقوبَ وسائِرِ الأنبياءِ مِن ذُرِّيَّتِهما.

❍ ممَّا اختَصَّ اللهُ تَعالىٰ به إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن هداه لبناءِ الكَعبَةِ الَّتي هي قِبلَةُ الأنبياءِ كلِّهم مِن لدُن آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ آخِرِ الزَّمانِ، وأمَرَه أن يُؤَذِّنَ في النَّاسِ بالحَجِّ فيسمَعُه كلُّ مَن كتَبَ اللهُ له الحجَّ إلىٰ يومِ القِيامَةِ، وجعَلَ اللهُ تَعالىٰ مِن حِكَمِ أعمالِ الحَجِّ والعُمرَةِ أنَّ فيها تذكيرًا بمَقاماتِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأهلِ بَيتِه في عِبادَتِهم للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي صِدقِهم وإخلاصِهم وقُوَّةِ إيمانِهم باللهِ ورُسُلِه، وحَثَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ علىٰ الاقتِداءِ بِهم في كلِّ أحوالِهم الدِّينِيَّةِ، فجعَلَ عندَ الحجَرَ الَّذي قامَ

عليه إبراهيمُ عليه السلام حينَ بَنى الكَعبَةَ مُصَلًّى لكُلِّ مَن طافَ بالبَيتِ، وجعلَ مِن أركانِ الحَجِّ السَّعيَ بينَ الصَّفا والمَروَةِ كما سَعَت هاجَرُ أمُّ إسماعيلَ بينَهما وهي تَبغي الماءَ لابنِها، وغيرُ ذلِكَ مِن المَواقِفِ.

❍ تقدَّمَ أنَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام أثناءَ بنائِهما للكَعبَةِ كانَ مِن دُعائِهما: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[البقرة]، وهذا هو حالُ المُؤمِنِ مع رَبِّه سبحانه وتعالى أنَّه يَكونُ دائِرًا في سائِرِ أحوالِه بينَ الخَوفِ والرَّجاءِ، ولا يَنبَغي للمُؤمِنِ أن يغتَرَّ بعمَلِه أو أن يَجزِمَ بقَبولِ اللَّهِ له؛ كما وصَفَ اللَّهُ تَعالى المُؤمِنينَ الصَّادِقينَ بقَولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾[المؤمنون].

❍ ممَّا يُستَفادُ مِن قِصَّةِ قُدومِ المَلائِكَةِ على إبراهيمَ عليه السلام مَشروعِيَّةُ إكرامِ الضَّيفِ، قالَ تَعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾[الذَّاريات] أكرَمَهم اللهُ بأن طهَّرَهم مِن الذُّنوبِ والمَعاصي، وأخلَصَهم للعِبادَةِ والطَّاعَةِ، وأكرَمَهم إبراهيمُ عليه السلام بحُسنِ الضِّيافَةِ، فأحسَنَ إليهم القَولَ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾، وقدَّمَ إليهم أفضَلَ الطَّعامِ: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾﴾[هود]، ومِن حُسنِ ضِيافَتِه أنَّه قرَّبَه مِنهم وقالَ بعِبارَةٍ لَيِّنَةٍ: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[الذَّاريات]؟ ومَعنى: ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ أنَّه عليه السلام عجَّلَ بتَقديمِ الطَّعامِ، وفي ذلِكَ دَليلٌ على مَشروعِيَّةِ الاستِعدادِ للضَّيفِ في سائِرِ الأحيانِ.

❍ تقَدَّمَ أنَّ بشارَةَ المَلائِكَةِ لإبراهيمَ عليه السلام بإسحاقَ على كِبَرِه وكِبَرِ زَوجَتِه سارَّةَ آيَةٌ له عليه السلام، وهي كذلِكَ آيَةٌ لإسحاقَ عليه السلام أن وُلِدَ لامرَأَةٍ عَجوزٍ لا يولَدُ لمِثلِها عادَةً، فهو أمرٌ خارِجٌ عن العادَةِ، وهي كرامَةٌ لسارَّةَ رضي الله عنها، ولهذا بشَّرَتها الملائِكَةُ به مُباشَرَةً، وقالوا: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[هود].

❍ قصَّةُ قُدومِ المَلائِكَةِ إلى إبراهيمَ عليه السلام بمَثابَةِ التَّوطِئَةِ لإهلاكِ قَومِ لوطٍ عليه السلام، ويُلاحَظُ أنَّهم لمَّا أُرسِلوا بالعَذابِ والهَلاكِ قدَّموا البُشرى بإبراهيمَ عليه السلام وزَوجِه بولادَةِ إسحاقَ ومِن بَعدِه يَعقوبَ في حَياتِهما، فإنَّ في ذلِكَ بَيانًا مِن اللَّهِ تَعالى أنَّه إذا قضى بإغلاقِ بابِ الشَّرِّ قابَلَه بفَتحِ بابٍ للخَيرِ،

وهـذه سُـنَّةٌ قَدَرِيَّةٌ جارِيَةٌ.

❍ كانَ مِـن دُعـاءِ إبراهيـمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّـه قـالَ: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشُّعراء] مِـن كلِّ عمَـلٍ أو قولٍ يُخالِفُ الشَّـرعَ، خالٍ مِن الشَّـهواتِ والشُّـبُهاتِ، وعلـىٰ رَأسِ ذلِكَ الشِّـركُ والنِّفاقُ، فمَن سـلِمَ قَلبُـه مِـن ذلِـكَ فهو الفائِـزُ عنـدَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يـومَ القِيامَـةِ، فأثنـىٰ اللهُ تَعالىٰ علىٰ إبراهيـمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقَولِـه: ﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤﴾ [الصَّافَّـات]، وذلِـكَ مِمَّـا أكرَمَـه اللهُ تَعالـىٰ بـه، ويُعلَـمُ مِـن هـذا أنَّ مَـدارَ الفَـوزِ عنـدَ اللهِ يـومَ القِيامَـةِ علىٰ القَلـبِ، ولهـذا كانَ النَّبـيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِـرُ مِـن الدُّعـاءِ: «**يَا مُقَلِّـبَ الْقُلُـوبِ ثَبِّـتْ قَلْبِي عَلَـىٰ دِينِـكَ**»؛ كمـا عنـدَ أحمَـدَ والتِّرمِـذيِّ وابـنِ ماجـه، وقـالَ كذلِـكَ: «**اللَّهُـمَّ مُصَـرِّفَ الْقُلُـوبِ صَـرِّفْ قُلُوبَنَـا عَلَـىٰ طَاعَتِـكَ**»؛ كما عندَ مُسـلم.

❍ تقَدَّمَـت قِصَّـةُ النَّبـيِّ إبراهيـمَ مع ابنِـه إسـماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكيـفَ أنَّ اللهَ أوحىٰ إليـه أن يذبَـحَ ابنَـه البِكـرَ الَّذي طالَ انتِظـارُه له، وكيـفَ أنَّ الأبَ والابنَ اسـتَجابا للهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولـم يتأَخَّـرا عن قَبـولِ أمرِه، فلمَّـا علِمَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صِدقَهما فدىٰ إسـماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بكَبـشٍ أقـرَنَ، ورفَـعَ درَجتَهمـا في عِلِّيِّـينَ، وفي هـذا دَليـلٌ علىٰ أنَّ مَـن عزَمَ علـىٰ فِعـلِ الطَّاعةِ و سَـعىٰ لهـا سَـعيَها، وأخَـذَ بالأسـبابِ القَدَرِيَّةِ، ثـمَّ حصَلَ ما يَمنَعُـه مِـنَ إكمالِها = فـإنَّ اللهَ تَعالـىٰ بمَحضِ فضلِـه وكرَمِه يكتُبُ له أجـرَه كاملًا غيـرَ ناقِـصٍ، قـالَ النَّبـيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فـي الحَديـثِ المُتَّفَـقِ عليـه: «**مَـنْ هَـمَّ بِحَسَـنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَـا كَتَبَهَـا اللَّـهُ لَـهُ عِنْـدَهُ حَسَـنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُـوَ هَمَّ بِهَـا فَعَمِلَهَـا كَتَبَهَـا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْـرَ حَسَـنَاتٍ إِلَىٰ سَـبْعِمِائَةِ ضِعْـفٍ، إِلَىٰ أَضْعَـافٍ كَثِيـرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَـيِّئَةٍ فَلَـمْ يَعْمَلْهَـا كَتَبَهَـا اللَّهُ لَهُ عِنْـدَهُ حَسَـنَةً كَامِلَةً، فَـإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَـا فَعَمِلَهَـا كَتَبَهَا اللَّهُ لَـهُ سَـيِّئَةً وَاحِدَةً**».

❍ تقَـدَّمَ أنَّ ممَّـا وصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ به إسـماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قولَـه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريـم:٥٤]، ولا شـكَّ أنَّ الأنبيـاءَ كلَّهم صادِقونَ في وُعودِهـم؛ لأنَّ إخلافَ الوَعدِ مِـن صِفـاتِ المُنافِقينَ، لكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خصَّ إسـماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهـذا الوَصفِ، ولعلَّ ذلِـكَ لأنَّه صـدَقَ وعدَه لأبيه إبراهيـمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في قِصَّةِ الذَّبح لمَّـا ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصَّافَّـات]، وكذلِكَ كانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا

وصَفَه اللهُ تَعالىٰ بأنَّه صابِرٌ فقالَ: ﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥﴾[الأنبياء].

❍ في قصَّةِ الذَّبحِ لإسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فوائِدُ كثيرَةٌ لا تكادُ تُحصىٰ، مِن أهَمِّها:

▪ أنَّه علىٰ صِغَرِ سِنِّه فعَلَ ما لا يستَطيعُه الكِبارُ ذَوو العُقولِ الرَّاجِحَةِ، وذلِكَ لقُوَّةِ إيمانِه وحُسنِ تَربيَتِه، وهكذا يَكونُ النَّشءُ الصَّغيرُ إذا أُحسِنَت تَربيَتُه وتَزكيَتُه.

▪ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يَقُل: (إنِّي أُريدُ أن أذبَحَك)؛ لأنَّ ذلِكَ فيه شِدَّةٌ عليه، وإنَّما ألطَفَ له العِبارَةَ فقالَ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصَّافَّات:١٠٢].

▪ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خيَّرَه ولم يُجبِره، وذلِكَ اختِبارٌ لإسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

▪ أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ألهَمَ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَقولَ: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ ولم يَكِل نفسَه إلىٰ قُوَّةِ إيمانِه.

▪ أنَّ في استِسلامِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لأمرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الشَّاقِّ علىٰ النَّفسِ تَحقيقًا لمَعنىٰ الإسلامِ، الَّذي هو (**الاستِسلامُ لله بالتَّوحيدِ، والانقيادُ له بالطَّاعَةِ، والبَراءَةُ مِن الشِّركِ وأهلِه**).

▪ أنَّ الأنبياءَ هم أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً، قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما عندَ أحمَدَ والحاكِمِ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلَاءً: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَابْنَيْهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

[١] مَن هو خَليلُ اللهِ؟ ❍ إبراهيمُ. ❍ موسَىٰ. ❍ نوحٌ.
[٢] نبيَّان اشتَرَكا في بناءِ الكَعبَةِ: ❍ إبراهيمُ وإسماعيلُ. ❍ إبراهيمُ وإسحاقُ.
[٣] مَن هي أوَّلُ امرأَةٍ تزوَّجَها ابراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ❍ سارَّةُ. ❍ هاجَرُ.
[٤] ما اسمُ أمِّ إسماعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ❍ سارَّةُ. ❍ هاجَرُ.
[٥] النَّبيُّ الَّذي لم تُحرِقهُ النَّارُ هو: ❍ إبراهيمُ. ❍ إسماعيلُ. ❍ لوطٌ.
[٦] كيفَ وصَلَ صَوتُ إبراهيمَ حينَ أذَّنَ إلىٰ النَّاسِ جميعًا؟ ❍ كانَ ذا صَوتٍ جَهوريٍّ. ❍ أوصَلَهُ اللَّهُ بقُدرَتِهِ.
[٧] أوَّلُ مَن نادىٰ بالحَجِّ إلىٰ بَيتِ اللهِ: ❍ آدَمُ. ❍ إبراهيمُ. ❍ مُحمَّدٌ.
[٨] كيفَ أعجَزَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ النُّمرودَ عن التَّمادِي في الكُفرِ: ❍ أمَرَهُ أن يُحيِيَ المَوتَىٰ. ❍ أمَرَهُ أن يأتِيَ بالشَّمسِ مِن المَغرِبِ.
[٩] سُمِّيَ إبراهيمُ أبا الأنبياءِ: ❍ لأنَّ ابنَيهِ كانا نَبِيَّينِ. ❍ لأنَّ كُلَّ مَن جاءَ بعدَهُ مِن الأنبياءِ مِن ذُرِّيَّتِهِ.
[١٠] كم عددُ الطُّيورِ الَّتي أُمِرَ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بضمِّها؟ ❍ ٤. ❍ ٥. ❍ ٣.
[١١] مَن هو الَّذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّهِ؟ ❍ أبوهُ آزَرُ. ❍ النُّمرودُ. ❍ أخوهُ.
[١٢] مَن النَّبيُّ الَّذي كانَ أبوهُ كافِرًا؟ ❍ إبراهيمُ. ❍ إسماعيلُ. ❍ شُعيبٌ.
[١٣] تَرَكَ إبراهيمُ هاجَرَ وإسماعيلَ في: ❍ بَيتِ المَقدِسِ. ❍ مِصرَ. ❍ المَدينَةِ النَّبَويَّةِ. ❍ مكَّةَ.
[١٤] لُقِّبَ إبراهيمُ بـ: ❍ أبي الأنبياءِ. ❍ خَليلِ الرَّحمنِ. ❍ إمامِ الحُنَفاءِ. ❍ أحَدِ أولي العَزمِ. ❍ الْجَميعِ. ❍ الْجَميعِ إلَّا الأوَّلَ.
[١٥] إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أفضَلُ أولي العَزمِ: ❍ مُطلَقًا. ❍ بعدَ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
[١٦] لم تَثبُتِ الخُلَّةُ لأحَدٍ فيما عَلِمْنا إلَّا لـ: ❍ إبراهيمَ. ❍ محمَّدٍ. ❍ كِلَيهِما.
[١٧] كانت مِهنَةُ إبراهيمَ: ❍ البناءَ. ❍ التِّجارَةَ.
[١٨] زَوجَةُ إبراهيمَ هي: ❍ سارَّةُ. ❍ هاجَرُ. ❍ كِلاهُما.

[١٩] إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو (❍ أكثَرُ ❍ ثاني أكثَرِ) الأنبياءِ ذِكرًا في القُرآنِ.
[٢٠] أشبَهُ النَّاسِ بإبراهيمَ (❍ محمَّدٌ ❍ موسىٰ ❍ عيسىٰ ❍ آدمُ) عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
[٢١] دينُ النَّبيِّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الإسلامُ كبقيَّةِ الأنبياءِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢٢] كِتابُ النَّبيِّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو : ❍ الصُّحُفُ. ❍ الزَّبورُ.
[٢٣] آيَةُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ النَّجاةُ مِن النَّارِ. ❍ إحياءُ الطَّيرِ بإذنِ اللهِ. ❍ الرُّؤيا وفِداءُ إسماعيلَ بالكَبشِ. ❍ وُلِدَ له علىٰ الكِبَرِ. ❍ مَقامُهُ عند الكعبَةِ. ❍ أذانُهُ بالحَجِّ. ❍ لم يأتِ نبيٌّ بعده إلَّا مِن ذُرِّيَّتِهِ. ❍ مُستجابُ الدَّعوَةِ. ❍ الجميعُ.
[٢٤] اربط كُلَّ صِفَةٍ مِن صِفاتِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدَليلِها مِن القُرآنِ:

ربَّاهُ اللهُ وأكرَمَهُ بفَضائِلَ وصِفاتٍ حَميدَةٍ:	﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥﴾[إبراهيم].
خَيرُ البَرِيَّةِ:	أحاديثُ مُتَّفَقٌ عليه.
جَميعُ الأنبيَاءِ مِن بَعدِهِ مِن نَسلِهِ:	﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾[النَّحل]...
أُمِرَ النَّبيُّ ﷺ باتِّباعِ مِلَّتِهِ:	حَديثٌ أخرجَهُ مالِكٌ مُرسَلًا.
أوَّلُ مَنْ ضَيَّفَ الضَّيْفَ:	قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ**».
أوَّلُ مَنِ اخْتَتَنَ، وأوَّلَ مَن يُكْسَىٰ يومَ القِيامَةِ:	﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا﴾[النَّحل:١٢٣].
أُمِرْنَا أن نُصَلِّيَ عليهِ:	في أحاديثِ الصَّلاةِ الإبراهيمِيَّةِ.

[٢٥] مَن النَّبيُّ الَّذي سُمِّيَ بالذَّبيحِ؟ ❍ إسماعيلُ. ❍ إسحاقُ. ❍ يَعقوبُ.
[٢٦] كانَ إسماعيلُ يأمُرُ أهلَهُ بـ: ❍ الصَّلاةِ. ❍ الزَّكاةِ. ❍ كلاهما.
[٢٧] أُرسِلَ إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أهلِ: ❍ مكَّةَ. ❍ الشَّامِ. ❍ مِصرَ.
[٢٨] الدَّليلُ علىٰ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رسولٌ: ❍ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ﴾. ❍ ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ﴾. ❍ أنَّه أُنزِلَ عليه الصُّحُفُ. ❍ جميعُ ما تقَدَّمَ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني فقط. ❍ هو عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيٌّ وليسَ برَسولٍ.
[٢٩] فَدَىٰ اللهُ إسماعيلَ بـ: ❍ كَبشٍ. ❍ ناقَةٍ. ❍ بقَرَةٍ.

[٣٠] مَن هي أُمُّ إسحاقَ ﵇؟ ❍ سارَّةُ. ❍ هاجَرُ.
[٣١] بُعِثَ إسماعيلُ ﵇ إلىٰ أهل مَكَّةَ وهم قبيلَةُ جُرهُم: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٢] ممَّا وُصِفَ به إسماعيلُ ﵇ في القرآنِ: ❍ حليمٌ. ❍ صادقُ الوَعدِ.
❍ يأمُرُ أهلَه بالصَّلاةِ والزَّكاةِ. ❍ رَضِيَ اللهُ عنه. ❍ صابِرٌ. ❍ صالِحٌ.
❍ الجميعُ. ❍ الجميعُ إلَّا الأخيرَ.
[٣٣] ممَّا اختصَّ اللهُ به إسماعيلَ ﵇: ❍ بِناءُ الكَعبةِ مع أبيه. ❍ ذُرِيَّتُهُ هم العربُ المُستَعرِبَةُ ومِنهم نبيُّنا ﷺ. ❍ الجميعُ.
[٣٤] آيةُ إسماعيلَ ﵇: ❍ بِئرُ زَمزَمَ. ❍ الفِداءُ مِن الذَّبحِ . ❍ الجَميعُ.
[٣٥] وُلِدَ لِإسحاقَ يعقوبُ ﵉، ويُعرَفُ بإسرائيلَ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٦] قَومُ إسحاقَ هم أهلُ الشَّامِ الكَنعانِيُّونَ، وهم نفسُ القَومِ الَّذينَ بُعِثَ فيهم إبراهيمُ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٧] ممَّا وُصِفَ به إسحاقُ: ❍ عليمٌ. ❍ مُبارَكٌ عليه وعلىٰ ذُرِّيَّتِهِ. ❍ مَهدِيٌّ وهادٍ إلىٰ الحقِّ. ❍ صادِقٌ. ❍ صالِحٌ. ❍ الذَّبيحُ. ❍ الجميعُ إلَّا الذَّبيحُ.
[٣٨] آيةُ إسحاقَ ﵇ الوِلادَةُ مِن أبَوَينِ كَبيرَيْنِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٣٩] اختَرِ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

مَعنىٰ إبراهيمَ:	البِناءُ.
اسمُ أبي إبراهيمَ:	أبٌ رَحيمٌ.
لَقَبُ إبراهيمَ:	آزَرُ.
مِهنَةُ إبراهيمَ:	خَليلُ اللهِ، وأبو الأنبياءِ.
﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾	إسحاقُ ﵇
﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾	إسماعيلُ ﵇

[٤٠] خليلُ الرَّحمنِ (❍ إبراهيمُ ❍ محمَّدٌ ❍ كلاهما)، والخُلَّةُ هي (❍ أعلىٰ ❍ أوسَطُ) درجاتِ المَحبَّةِ.
[٤١] لم يُذكَر في القُرآنِ من قصَّتِه شيءٌ كثيرٌ: ❍ إسحاقُ. ❍ إسماعيلُ.
[٤٢] (❍ خيَّرَ ❍ أجبَرَ) إبراهيمُ ابنَه إسماعيلَ ﵉ في الذَّبحِ.

نَبيُّ اللهِ لُوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

نَسَبُه:	هو ابنُ هارانَ أخي إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
قَومُه:	آمَنَ مع النَّبيِّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمَّ أرسلَهُ اللهُ إلىٰ أهل سَدومَ ليَدعُوهم.
عمَلُهم:	كانَ قَومُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكفُرونَ باللهِ، ويَفعلونَ الفاحِشَةَ، فيَأتونَ الرِّجالَ مِن دونِ النِّساءِ، ويَفعَلونَ سائِرَ أنواعِ الخَبائِثِ.
ممَّا وَصَفَه اللهُ به:	[١] ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ٣٥﴾[القمر]. [٢-٣] ﴿وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا﴾[الأنبياء:٧٤]. [٤] ﴿وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥﴾[الأنبياء].
ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ ٢٧ مرَّةً، وذُكِرَت قِصَّتُهُ مع قَومِهِ في ٨ سُوَرٍ، وقُرِنَت قِصَّتُه غالبًا مع قصَّةِ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
هَلاكُ قَومِه:	أنزَلَ اللهُ بهِمُ العَذابَ، ﴿فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أي: مَدينَةُ سَدومَ ﴿سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ٧٤﴾[الحجر].

مِن وَسائلِ الوقايَةِ من الفَواحِشِ: تَقوىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ - الإكثارُ مِن الدُّعاءِ - تذكُّرُ أنَّ اللهَ يُعَوِّضُ عَبدَه إذا ترَكَ المَعصيَةَ للهِ - الهِجرَةُ مِن بلَدِ الكُفرِ - ترْكُ الكَلامِ في شَهوَةِ الفَرْجِ والفَمِ - المُبادرة بالزَّواجِ عندَ القُدرَةِ وإلَّا الصَّومُ - التَّقليلُ مِن الطَّعامِ والشَّرابِ - غَضُّ البصَرِ، والبُعدُ عن مَواطِنِ النِّساءِ - ترْكُ الخَلوَةِ بالنِّساءِ الأَجنَبيَّاتِ - أمرُ النِّساءِ بالحِجابِ، وعدَمُ لينِ الكلامِ معَهنَّ - قِراءَةُ سورَةِ يوسُفَ والتَّدَبُّرُ فيها - صُحبَةُ الصَّالِحينَ - تذَكُّرُ: (كما تَدينُ تُدانُ) - إشغالُ النَّفسِ بما ينفَعُها - اجتِنابُ ما يَزيدُ مِن الشَّهوَةِ - وَضعُ الهاتِفِ والكُمبيوتر في مَكانٍ يَراهُ الغَيرُ - المُحافَظَةُ علىٰ شَعيرَةِ إنكارِ المُنكَرِ.

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ لوطٍ عليه السلام مُختصَرةً:

نَسَبُه ومَبْعَثُه:

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾[العنكبوت]، ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾[الأنبياء]، ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾[العنكبوت].

هو لوطُ بنُ هارانَ بنِ تارَحَ، وتارَحُ -كما تقدَّم- هو آزَرُ أبو إبراهيمَ عليه السلام، فلوطٌ هو ابنُ أخي إبراهيمَ عليه السلام، وكانَ ممَّن آمنَ معه، وهاجَرَ معه لمَّا خرَجَ مِن بابِلَ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ﴾ وهو ببابِلَ قبلَ أن يَخرُجَ منها، ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيمُ عليه السلام لأبيه وقومِه: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦﴾[العنكبوت]، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾[الأنبياء] وهي أرضُ الشَّامِ، وتقَدَّمَ أنَّهما هاجَرا بعدَ ذلِكَ إلىٰ مِصرَ، ثمَّ عادا إلىٰ الشَّامِ، وأمرَ إبراهيمُ لوطًا عليه السلام أن يذهَبَ إلىٰ سَدومَ فيَدعُوَ أهلَها، وكانوا علىٰ الكُفرِ والفُجورِ، وكانوا قد ابتَدَعوا مَعصِيَةً لم يسبِقْهُم أحَدٌ مِنَ العالَمينَ إليها، وهي أنَّ رِجالَهُم كانوا يأتونَ الرِّجالَ شهوَةً مِن دونِ النِّساءِ، ولهذا نُسِبَت هذه الفَعلَةُ الشَّنيعَةُ إليهم، ولم تكُن هذه مَعصِيَتَهم الوَحيدَةَ؛ بل إنَّهم كانوا يَقطَعونَ الطَّريقَ، ويأتون في ناديهم كلَّ أنواعِ المُنكَرِ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ، ولم يكُن لهُم مُروءَةٌ ولا أنَفَةٌ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾[العنكبوت]، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾[الأنبياء].

دَعْوَتُه لِقَومِه:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشُّعراء]، ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النَّمل]، ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ [القمر].

لمَّا قدِمَ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ أهلِ سَدومَ دعاهُم إلىٰ تَوحيدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، وتَركِ ما كانوا عليه مِن الكُفرِ والمَعاصي، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾، وذلِكَ لأنَّهُم لمَّا كذَّبوا لوطًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كانوا مُكَذِّبينَ بسائِرِ الأنبياءِ والرُّسُلِ، فلا فرقَ بينَهُم، ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ أُخُوَّةَ إقامَةٍ، لا أُخُوَّةَ دينٍ ووَلاءٍ، ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾﴾ اللَّهَ الَّذي خلقَكُم ورزَقَكُم؟ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾﴾، وكان مِن أهَمِّ ما دعاهُم إليه بعدَ تَوحيدِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ أن دَعاهُم إلىٰ تَركِ الفاحِشَةِ، فقالَ: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ تَنكِحونَهم في أدبارِهِم، ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ اللَّاتي أحلَّ لكُم، وفطَرَكُم علىٰ حُبِّهِنَّ، والإفضاءِ إليهِنَّ؟! ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشُّعراء] تَجاوَزتُم ما أحلَّ اللَّهُ لكُم إلىٰ ما وراءَهُ مِن الحَرامِ.

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ أنَّ ذلِكَ مِن الفاحِشَةِ، وتعلَمونَه حقَّ اليَقينِ؛ لأنَّكُم أنتُم الَّذينَ ابتَدعتُموهُ ولم تُسبَقوا إليه، ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ وليسَ المُحرَّمُ -كما ادَّعىٰ بعضُ الجَهَلَةِ والمُغرِضينَ في هذاالزَّمانِ- أن يترُكَ الرَّجُلُ زَوجَتَهُ لرَجُلٍ، بل إنَّ أصلَ إتيانِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ هو عَينُ الفاحِشَةِ، ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ﴾ سُفَهاءُ ﴿تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النَّمل] عظيمَ حَقِّ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عليكُم. وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أي: عذابَ اللهِ وبأسَهُ الشَّديدَ الَّذي لو أُنزِلَ بهِم

هلكوا كما هلَكَ الظَّالِمونَ قبلَهُم، وكانوا أشَدَّ مِنهم قوَّةً، ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾﴾ [القمر] أي: لم يَلتفِتوا إلىٰ إنذارِهِ، وإنَّما شَكُّوا فيه وتَمارَوا بينَهُم.

جَوابُ قَوْمِه لَه:

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل]، ﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشُّعراء]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت].

لمَّا دعا لوطٌ قَومَهُ إلىٰ عِبادَةِ اللَّهِ وحدَهُ وتَركِ ما هم عليه مِن الفاحِشَةِ كذَّبوهُ وعادَوهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ﴾ وهُم أهلُهُ ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾، ولم يَذكُروا غيرَ أهلِهِ لأنَّه لم يُؤمِنْ معه أحَدٌ غيرُهم، ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النَّمل] مِن أدبارِ الرِّجالِ وأدبارِ النِّساءِ، ولا يُقِرُّونكُم علىٰ فِعلِكُم، فسُبحانَ اللَّهِ، كيفَ صارَتِ الطَّهارَةُ تُهمَةً ومَسبَّةً؟! و﴿قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ﴾ عن عَيبِ ما نحنُ فيه مِن الفاحِشَةِ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾، فلمَّا رأىٰ أنَّهم مُصِرُّونَ علىٰ ما هم فيه مِن الطُّغيانِ، وأنَّهم لن يستَجيبوا له ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ أي: المُبغِضينَ، فتبرَّأَ ممَّا هم عليه، ثمَّ دعا اللَّهَ أن يُنجيَهُ مِنهم فقالَ: ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الشُّعراء]، ودعا كذلِكَ بقَولِهِ: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت].

مَجيءُ المَلائِكَةِ ونُزولُ العَذابِ:

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ

ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾[هود].

تقدَّم في قِصَّةِ أبي الأنبياءِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ زيارةُ المَلائِكَةِ له، وتَبشيرُهُم إيَّاهُ بإسحاقَ ويعقوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ﴾ والخَوفُ مِن المَلائِكَةِ قبلَ أن يتحقَّقَ أمرُهُم، ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾[هود]، وذلِكَ أنَّ المَلائِكَةَ أخبَروهُ أنَّهم أُرسِلوا إلىٰ قومِ لوطٍ بالعَذابِ، فقالَ: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ﴾، يُريدُ: كيفَ تُهلِكونَ قَريَةً فيها لوطٌ النَّبيُّ المُؤمِنُ؟! فـ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ﴾[العنكبوت]، وما كُنَّا لنُهلِكَه وأهلَهُ، ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾﴾، ثمَّ قالَ تعالىٰ: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ﴾ الجِدالِ، ﴿إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ﴾[هود]، وأمرُ اللَّهِ إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ؛ كما قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ﴾[نوح:٤]، ﴿وَإِنَّهُمۡ﴾ أي: قومُ لوطٍ ﴿ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾﴾[هود].

ثمَّ انصَرَفَت المَلائِكَةُ مِن عندِ إبراهيمَ وقَدِمت علىٰ لوطٍ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا﴾ وكانوا في صورَةِ شُبَّانٍ حِسانٍ ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ لأنَّه لم يكُن يعلَمُ أنَّهم مِن المَلائِكَةِ، ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ لما خَشِيَ عليهم مِن قَومِهِ، ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾﴾ شَديدُ البَلاءِ، ﴿وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ﴾ لمَّا رَأوا ضَيفَهُ ﴿يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ أي: مُسرِعينَ يُهرولونَ، ﴿وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ ولم يَزَل هذا حالُهم، فلمَّا قَدِموا علىٰ لوطٍ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾ يُرشِدُهم إلىٰ أزواجِهم، والنَّبيُّ بمَنزلَةِ الأبِ للأُمَّةِ، ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ مِمَّا تُريدونَهُ مِن الفاحِشَةِ، ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ﴾ فتفضَحوني فيهم، ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾﴾ يَقبَلُ ما آمُرُكم بهِ؟! ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ﴾ أي: لا أرَبَ لَنا فيهِنَّ، ولا نَشتَهيهِنَّ، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ

﴿٧٩﴾ وهو إتيانُ الذُّكورِ!

فلمَّا رأىٰ لوطٌ عليه السلام إصرارَهم ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً﴾ لكُنتُ نكَّلتُ بكُم، ولم يكُن عَزيزًا فيهم؛ لأنَّهُ لم يكُن مِن صُلبِهم، قالَ النَّبيُّ ﷺ فيما أخرَجهُ التِّرمذِيُّ: «**رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَىٰ لُوطٍ، إِنْ كَانَ لَيَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ إِذْ قَالَ:** ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾، **فَمَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذُرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ**»، ﴿أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠﴾ كانَ يَأوي إلىٰ اللَّهِ جلَّ وعلا.

فلمَّا رأَتِ المَلائكَةُ ما ألَمَّ بلوطٍ عليه السلام ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن﴾ يَستَطيعوا أن ﴿يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾[هود]، وأَخذوا يُصَبِّرونَه فقالوا: ﴿لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ﴾[العنكبوت:٣٣]، وبشَّروهُ بإهلاكِ الظَّالِمينَ فقالوا: ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤﴾[العنكبوت]، وأمَروهُ بأن يَخرُجَ بأهلِهِ، قالوا: ﴿فَأَسۡرِ﴾ والإسراءُ هو المَشيُ باللَّيلِ ﴿بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾[هود] أي: في آخِرِ اللَّيلِ، وأمَروهُ أن يتَّبِعَ أدبارَهُم ويَمشِيَ خَلفَهُم، ﴿وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ﴾ بسبَبِ ما يَسمَعُ مِنَ الأصواتِ المَهولَةِ المُزعِجَةِ لما يَنزِلُ بالظَّالِمينَ مِن العَذابِ، ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ﴾، وذلِكَ لأنَّها خانَت لوطًا عليه السلام، وقد جاءَ عندَ الحاكِمِ عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**وَأَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ فَكَانَتْ تَدُلُّ عَلَىٰ الضَّيْفِ**»، وقيلَ: إنَّها خرَجَت معهم، فلمَّا سمِعَت صوتَ العَذابِ التَفتَت خلفَها وقالَت: (وا قوماهُ)، فأصابَها حجَرٌ مِن السَّماءِ فقتَلَها، ثُمَّ قالَتِ المَلائِكَةُ تُبشِّرُ لوطًا بقُربِ هَلاكِ الظَّالِمينَ: ﴿إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١﴾؟!

وكانَ قَومُ لوطٍ في هذه الأثناءِ واقِفينَ علىٰ البابِ يُريدونَ الضَّيفَ، ولوطٌ عليه السلام يُدافِعُهُم، قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾، وذلِكَ أنَّ جِبريلَ نزَلَ إليهم فضرَبَهُم بجَناحِهِ فأَعماهُم عن لوطٍ وأهلِهِ وعن الضَّيفِ، ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ٣٨﴾[القمر]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ عندَ طُلوعِ الشَّمسِ ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا﴾ أعلىٰ قَريَةِ سَدومَ

﴿ سَافِلَهَا ﴾ فقُلِبَت علىٰ رأسِها، ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾﴾ أي: مِن طينٍ مُستَحجِرَةٍ مُتَتابِعَةٍ مُعَدَّةٍ في السَّماءِ لإهلاكِهم، ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ﴾ كلُّ حَجَرٍ منها مَكتوبٌ عليه اسمُ الشَّخصِ الَّذي يُهلَكُ به، ﴿وَمَا هِيَ ﴾ أي: هذه النِّقمَةُ والعَذابُ الشَّديدُ ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ممَّن تشبَّهَ بقَومِ لوطٍ، وعمِلَ بعَمَلِهم ﴿بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[هود]، وقد ابتُلينا بهم في هذا الزَّمانِ، فنسأَلُ اللَّهَ أن يُسَلِّمَنا مِن العَذابِ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- أوَّلُ مَوضِعٍ ذُكِرَ فيه لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الأنعامِ، وأوَّلُ مَوضِعٍ ذُكِرَت فيه قصَّتُهُ مع قَومِهِ في سورَةِ الأعرافِ، وآخِرُ مَوضِعٍ في سورَةِ القَمَرِ.
- **لَطيفَةٌ**: بدَأَ اللهُ تَعالىٰ سورَةَ النَّجمِ بقَولِهِ: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾﴾، قيلَ: هو نجمُ الثُّرَيَّا إذا سقَطَ مع الفَجرِ، وقيلَ: هو النَّجمُ إذا رُمِيَت به الشَّياطينُ، ثمَّ قالَ تَعالىٰ في أواخِرِها: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾[النَّجم]، وهم قَومُ لوطٍ، حمَلَ جِبريلُ مَدينَتَهم فقلَبَها علىٰ رَأسِها ثمَّ أهواها إلىٰ الأرضِ.
- لمَّا ذكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أكثَرَ الأُمَمِ الظَّالِمَةِ كقَومِ نوحٍ وعادٍ وثَمودَ وغَيرِهم ذكَرَ دَعوَةَ أنبيائِهم لهُم إلىٰ التَّوحيدِ، واقتَصَرَ في كَثيرٍ مِن المَواضِعِ علىٰ ذلِكَ، وهذا بخِلافِ قَومِ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنَّه ما مِن مَوضِعٍ في القُرآنِ ذُكِرَ فيه دَعوَةُ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لهُم إلَّا وجاءَ فيه أنَّه دَعاهُم إلىٰ تَركِ ما كانُوا عليه مِن الفاحِشَةِ، وعظَّمَ ذلِكَ عليهم، وكانَ ذلِكَ بدايَةَ دَعوَتِه لهم، وذلِكَ لأمورٍ منها:
  - أنَّهم أحدَثوا فاحِشَةً لم يُسبَقوا إليها فكانت سِمَةً لهُم، وعلامَةً علىٰ كُفرِهم واستِكبارِهم علىٰ اللهِ جلَّ وعلا، ولهذا فإنَّ عليهم وِزرَ عمَلِهم لهذه المَعصِيَةِ، ووِزرَ كلِّ مَن عمِلَ بها إلىٰ يَومِ القِيامَةِ.
  - أنَّ أصلَ انحِرافِهم كانَ عمَلِيًّا، بخِلافِ بَقِيَّةِ الأُمَمِ الَّتي كانَ أصلُ انحِرافِها عقَلِيًّا عقَدِيًّا.
  - أنَّ الله وصَفَهم بقَولِه: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾[الحجر]،

وذلِكَ ما كانوا عليه مِن المَعصِيَةِ، والسَّكرانُ لا يصِحُّ أن يُخاطَبَ ويُحاجَجَ إلَّا بعدَ أن يُفيقَ مِن سكرَتِه.

- لأنَّهم غَرِقوا في المَعاصي والفَواحِشِ، والغَريقُ لا يصِحُّ مُخاطَبَتُه بالعَقلِ إلَّا بعدَ إنقاذِه مِن الغَرَقِ.
- لأنَّ طَهارَةَ الظَّاهِرِ مُقَدَّمَةٌ على طَهارَةِ الباطِنِ.

❍ قالَ لوطٌ عليه السلام لقومِه: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾[النَّمل:٥٥]، وفي هذا بَيانُ أنَّ المُحرَّمَ ليسَ فقط -كما ادَّعى بعضُ الجَهَلَةِ والمُغرِضينَ في هذا الزَّمانِ- أن يترُكَ الرَّجُلُ زَوجَتَهُ لرَجُلٍ، بل إنَّ أصلَ إتيانِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ هو عَينُ الفاحِشَةِ، ولذلِكَ قالَ في الآيَةِ الأُخرى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٥﴾[الشُّعراء]، ولَفظُ الذُّكرانِ فيه الوَصفُ بالرُّجولَةِ والامتِلاءِ بها، وفي ذلِكَ تَعظيمٌ وتَشنيعٌ لِفعلِهم.

❍ لمَّا جاءَتِ المَلائِكَةُ لوطًا تصَوَّروا في صورَةِ بشَرٍ، وفي ذلِكَ فَوائِدُ مِنها:

- ابتِلاءُ النَّبيِّ لوطٍ عليه السلام، ولهذا ﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ٧٧﴾[هود].
- إعطاءُ قَومِه فُرصَةً ليَرجِعوا عن غَيِّهم ويُؤمِنوا للوطٍ عليه السلام.

❍ هلكَت امرَأَةُ لوطٍ عليه السلام فيمن هلَكَ بسبَبِ دَلالَتِها على الضَّيفِ، وسمَّى اللهُ تَعالى ذلِكَ خِيانَةً للوطٍ عليه السلام، وأمَّا ما يظُنُّه النَّاسُ مِن أنَّها خانَت زَوجَها بالزِّنا فغيرُ صحيحٍ؛ لما تقدَّمَ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**وَأَمَّا امْرَأَةُ لُوطٍ فَكَانَتْ تَدُلُّ عَلَى الضَّيْفِ**»، وأخرَجَ عبدُ الرَّزَّاقِ عن سُلَيْمَانَ بْنِ قَتَّةَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُسْأَلُ وَهُوَ إِلَى جَنْبِ الْكَعْبَةِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:١٠]، فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِالزِّنَا، وَلَكِنْ كَانَتْ هَذِهِ تُخْبِرُ النَّاسَ أَنَّهُ مَجْنُونٌ، وَكَانَتْ هَذِهِ تَدُلُّ عَلَى الْأَضْيَافِ**».

❍ قالَ تَعالى في سورَةِ الشُّعراء: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ١٧١﴾، فجعَلَها فيهم لا مِنهُم، وذلِكَ لأنَّها وفَدَت مع لوطٍ عليه السلام عليهم، ولم تكُن مِن صُلبِهم، لكنَّه قالَ في سورَةِ الأعرافِ: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٨٣﴾[الأعراف]، فجعَلَها مِنهم، وذلِكَ لأنَّها لمَّا كفرَت وخانَت نبيَّ اللهِ صارَت مِنهم، ودُخولُ

امرَأَةِ لوطٍ عليه السلام في العَذابِ دليلٌ على أنَّ مَن لم يفعَل فِعلَ قَوم لوطٍ لكنَّه رَضِيَه لهم وقالَ: (كلُّ إنسانٍ حُرٌّ فيما يفعَلُ) فإنَّه يُلحَقُ بهم.

○ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩﴾[الحاقَّة]، وقالَ: ﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣﴾[النَّجم]، والمُؤتَفِكاتُ هي قُرىٰ قَوم لوطٍ، سُمِّيَت بذلِكَ لأنَّها ائتَفَكَت بهم، أي: انقلَبَت، قالَ قتادَةُ رحمه الله: (﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ﴾ قَوْمُ لُوطٍ ائْتَفَكَتْ بِهِمْ أَرْضُوهُمْ، فَجَعَلَ أَعَالِيَهَا سَافِلَهَا)، قالَ البَغَوِيُّ رحمه الله: (وَقِيلَ: يُرِيدُ الْأُمَمَ الَّذِينَ ائْتَفَكُوا بِخَطِيئَتِهِمْ، أَيْ أُهْلِكُوا بِذُنُوبِهِمْ).

○ النَّاظِرُ في ذَمِّ اللهِ تَعالىٰ للأُمَمِ الهالِكَةِ يرىٰ أنَّه لم تُذَمَّ أُمَّةٌ كما ذُمَّ قَومُ لوطٍ عليه السلام، فقد وُصِفوا بأنَّهم ﴿قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ۝٨١﴾[الأعراف]، ﴿قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ۝٥٨﴾[الحجر]، ﴿لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٧٢﴾[الحجر]، ﴿قَوۡمٌ عَادُونَ ۝١٦٦﴾[الشُّعراء]، ﴿قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ۝٥٥﴾[النَّمل].

○ انتَشَرَ في هذا الزَّمانِ فِعلُ قَوم لوطٍ حتَّىٰ دخَلَ بَعضَ بلادِ الإسلام، وصاروا يُسَمُّونَه بغَيرِ اسمِهِ، فيَقولونَ: رجُلٌ مِثلِيٌّ وامرَأَةٌ مِثلِيَّةٌ، وهو كتَسمِيَةِ الخَمرِ مَشروبًا روحِيًّا، والرِّبا فوائِدَ وغَيرِ ذلِكَ، وإنَّما نُسَمِّي هذا الفِعلَ كما هو: شُذوذًا وفاحِشَةً وانتِكاسًا للفِطرَةِ.

○ مِنَ التَّدابيرِ الَّتي تَقي الإنسانَ بإذنِ اللهِ تَعالىٰ مِنَ الزِّنا واللِّواطِ وغير ذلِكَ مِن الفَواحِشِ:

- تَقوىٰ اللهِ عز وجل والإكثارُ مِنَ الدُّعاءِ؛ كما دعا يوسُفُ عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾[يوسف:٣٣].
- استِحضارُ مَعنىٰ تَعويضِ اللهِ لعَبدِه إذا ترَكَ المَعصِيَةَ للهِ، قال صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا لِلَّهِ إِلَّا بَدَّلَكَ اللهُ بِهِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنْهُ**». أخرجه أحمد.
- الهِجرَةُ مِن بلَدِ الكُفرِ الَّذي تكثُرُ فيه الفَواحِشُ ودَواعي الفِتنَةِ وتكونُ فيه ظاهِرَةً للعَيانِ إلىٰ بلَدِ الإسلام الَّذي تَقِلُّ فيه وتَخفىٰ.
- تَركُ الكَلامِ في كُلِّ ما يتعَلَّقُ بشَهوَةِ الفَرجِ والفَم، قالَ الأحنَفُ بنُ قَيس رحمه الله: «**جَنِّبُوا مَجَالِسَنَا ذِكْرَ النِّسَاءِ وَالطَّعَامِ، إِنِّي أُبْغِضُ الرَّجُلَ يَكُونُ وَصَّافًا لِفَرْجِهِ وَبَطْنِهِ**»، ويُستَفادُ مِن قَولِ لوطٍ عليه السلام لقَومِه: ﴿وَتَأۡتُونَ

فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[العنكبوت:٢٩] وُجوبُ تَطهيرِ المَجالِسِ مِنَ الأقوالِ والأفعالِ الماجِنَةِ.

- المُبادرة بالزَّواج عندَ تَحقُّقِ القُدرَةِ، فإن لم يستطع فعليه بالصَّوم؛ لقولِه ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**».
- التَّقليلُ مِن الطَّعامِ والشَّرابِ؛ لما فيه مِن إضعافِ الشَّهوَةِ الجِنسيَّةِ.
- غَضُّ البصَرِ، والبُعدُ عن مَواطِنِ تَواجُدِ النِّساءِ كالأسواقِ.
- تَركُ الخَلوَةِ بالنِّساءِ الأجنَبيَّاتِ؛ لقولِه ﷺ: «**أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**». أخرَجَه أحمَدُ والتِّرمِذيُّ وابنُ ماجَهْ.
- أمرُ النِّساءِ بالحِجابِ، وعدَمُ لينِ الكلامِ معَهنَّ، أو الخَلوَةِ، أو مُصافَحَةِ النِّساءِ، أو الاختلاطِ بهنَّ.
- قِراءَةُ سورَةِ وقِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والتَّدَبُّرُ فيها، وكذلِكَ باقي قَصَصِ القُرآنِ والسُّنَّةِ وسِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وخاصَّةً ما كانَ في هذا البابِ.
- صُحبَةُ الصَّالِحينَ الَّذين يأمُرونَ بالمَعروفِ وينهَونَ عن المُنكَرِ.
- تذَكُّرُ قاعِدَةِ (**كما تَدينُ تُدانُ**)؛ فالزِّنا دينٌ لابُدَّ أن يُقضىٰ.
- إشغالُ النَّفسِ بما ينفَعُها وتجَنُّبُ الفراغِ، فالفراغُ قاتِلٌ؛ لأنَّ فيه اختِلاءً بالنَّفسِ الأمَّارَةِ بالسُّوءِ، وبالشَّيطانِ.
- اجتِنابُ الوَسائِلِ الَّتي تَزيدُ مِن الشَّهوَةِ وتُفضي إلىٰ الفَسادِ، ومِن ذلِكَ ما استَجَدَّ في زَمانِنا مِنَ الأجهِزَةِ الإلكترونيَّةِ والبرامِجِ الَّتي تحتَويها، فيَنبَغي حَذفُ هذه البَرامِجِ وعدَمُ الاغتِرارِ بالنَّفسِ، كما ينبَغي تَجَنُّبُ الاشتِراكِ المَفتوحِ في الشَّبكَةِ العَنكبوتيَّةِ، والاستِغناءُ عنه بالباقاتِ المَحدودَةِ.
- وَضعُ الهاتِفِ وجِهازِ الكُمبيوتر في مَكانٍ يَراهُ الغَيرُ؛ لأنَّ الإنسانَ يَضعُفُ مع الخَلوَةِ كما تقَدَّمَ.
- المُحافَظَةُ علىٰ شَعيرَةِ إنكارِ المُنكَرِ، ولو في أقَلِّ درَجاتِها الَّتي هي إنكارُه بالقَلبِ؛ لأنَّ في ذلِكَ إحياءً للقَلبِ وحَملًا له علىٰ المَعروفِ.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ لُوطٍ ﷺ:

[١] أُرسِلَ لوطٌ ﷺ إلىٰ أهلِ: ○ بابِلَ. ○ سَدومَ. ○ مِصرَ.
[٢] ما هو عَذابُ قومِ لوطٍ؟ ○ الصَّيحَةُ. ○ الرِّيحُ. ○ الحِجارَةُ مِن سِجِّيلٍ وقَلبُ القَريَةِ.
[٣] مِنَ الصِّفاتِ الَّتي ذُكِرَ بها النَّبيُّ لوطٌ ﷺ في القرآنِ: ○ الشُّكرُ. ○ الحُكمُ والعِلمُ. ○ الصَّلاحُ. ○ الجميعُ. ○ الجميعُ إلَّا الثَّاني.
[٥] وصَفَ لوطٌ ﷺ قومَه بقولِه: قَومٌ: ○ تَجْهَلُونَ. ○ مُسْرِفُونَ. ○ عَادُونَ. ○ الجميعِ.
[٦] لم يُؤمِن مع لوطٍ ﷺ إلَّا: ○ أهلُه. ○ أهلُه إلَّا امرأتَه. ○ أهلُه وقليلٌ معهم.
[٦] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ﴾ هذه أُخُوَّةُ: ○ إقامَةٍ. ○ دينٍ ووَلاءٍ. ○ الجَميع.
[٧] سبَبُ مَساءَةِ لوطٍ ﷺ لِقُدومِ الضَّيفِ: ○ خَوفُه عليهم مِن قَومِه. ○ كُرهُه إكرامَ الضَّيفِ. ○ خَوفُه مِن الضَّيفِ.
[٨] كانَت خِيانَةُ زَوجَةِ لوطٍ ﷺ بـ: ○ الدَّلالَةِ علىٰ الضَّيفِ. ○ الرِّضا بما كانَ عليه قومُه. ○ الثَّالثُ والرَّابعُ.
[٩] انتَشَرَ في هذه الأيَّامِ تسمِيَةُ فِعلِ قَومِ لوطٍ بغَيرِ اسمِه (○ صح ○ خطأ)، والصَّحيحُ فيه أنَّهُ (○ شَذوذٌ ○ فَاحشَةٌ ○ انتِكاسٌ للفِطرَةِ ○ الجميع).
[١٠] لم تُذَمَّ أمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ كما ذُمَّ قَومُ لوطٍ: ○ صح. ○ خطأ.
[١١] مَن رَضِيَ عمَلَ قَومٍ حُشِرَ معهم كما حُشِرَتِ امرَأةُ لوطٍ: ○ صح. ○ خطأ.
[١٢] دُخولُ امرأةِ لوطٍ ﷺ في العذابِ دليلٌ علىٰ أنَّ مَن لم يَفعَلِ الفاحِشَةَ لكن رَضِيَها فإنَّه (○ يُلحَقُ ○ لا يُلحَقُ) بالفاعِلينَ، و(○ لا يُقالُ ○ يُقالُ): كُلُّ إنسانٍ حُرٌّ فيما يفعَلُه، فإنكارُ المُنكَرِ (○ واجِبٌ ○ مُستحَبٌّ ○ جائِزٌ)، وأقلُّ درَجاتِه بـ(○ اليدِ ○ اللِّسانِ ○ القَلبِ).

[١٣] المُؤتَفِكاتُ هي (❍ قُرىٰ قَوم لوطٍ ❍ ما جُعِلَ عاليه سافِلَه ❍ الجميع)، وسُمِّيَت بذلِكَ (❍ لانقلابِها ❍ لأنَّهم ما سبَقَهم بها أحَدٌ ❍ الجميع).

[١٤] علىٰ قَوم لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ وِزرُهم. ❍ وِزرُ مَن عمِلَ عملَهم إلىٰ يَومِ القِيامَةِ. ❍ الجميع.

[١٥] مَعصِيَةُ قَومِ لوطٍ: ❍ الفاحِشَةُ. ❍ قَطعُ الطَّريقِ. ❍ إتيانُ المُنكَرِ مِن القَولِ والفِعلِ في ناديهم. ❍ الجَميع.

[١٦] لم تكُنْ لقَوم لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ مُروءَةٌ. ❍ أنَفَةٌ. ❍ الجَميع.

[١٧] ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾ أي: تجاوَزتُم ما أحَلَّ اللهُ لكم إلىٰ ما وراءَه مِن الحَرام: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٨] ﴿قَوۡمٌ مُّسۡرِفُونَ﴾ أي: هذا العَمَلُ الدَّنيءُ القَبيحُ هو في نَفسِه إسرافٌ، ومُجاوَزَةٌ للحَدِّ الَّذي حدَّه اللهُ لعِبادِه، ولو وقَعَ مِن صاحِبِه مرَّةً واحِدَةً في دَهرِه كلِّه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٩] اللِّواطِيَّةُ عكَسوا فِطرَةَ اللهِ الَّتي فطَرَ عَلَيْهَا الرِّجالَ، وقلَبوا الطَّبيعَةَ الَّتي ركَّبَها اللهُ في الذُّكورِ وهي شَهوَةُ النِّساءِ دون الذُّكورِ، فقلَبوا الأمْرَ، وعكَسوا الفِطرَةَ والطَّبيعَةَ، فأتَوا الرِّجالَ شهوَةً مِن دونِ النِّساءِ، ولهذا قلَبَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ دِيارَهم فجعَلَ عالِيَها سافِلَها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٠] اختَر مِن القائمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائمَةِ اليُسرىٰ:

الطَّهارَةُ تُهمَةٌ ومَسبَّةٌ عندَ أهلِ الأهواءِ:	﴿ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾.
يُشرَعُ بُغضُ أهلِ الشَّهواتِ والشُّبهاتِ:	﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾.
النَّبيُّ بمَنزِلَةِ الأبِ لأُمَّتِه:	﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.
كانَ لوطٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يأوي إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ:	﴿فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾.
لم يكُن مِن قَومِ لوطٍ مَن يَقبَلُ أمرَه:	﴿إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ﴾.
آمَنَ لوطٌ مع إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:	﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ﴾.
فيه الامتِلاءُ بالرُّجولَةِ:	﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي﴾.
كانَت امرَأَةُ لوطٍ تدُلُّ علىٰ الضَّيفِ:	﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞ﴾.
يَجِبُ تَطهيرُ المَجالسِ مِن المُنكراتِ:	﴿إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾.

نَبِيُّ اللهِ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

لَقَبُهُ:	خَطيبُ الأنبياءِ.
زَمانُهُ:	قيلَ: إنَّه أدرَكَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وآمَنَ معه، ودخَلَ معه دِمَشقَ.
قَومُهُ:	أُرسِلَ إلى مَديَنَ، وهي بأطرافِ الشَّام ممَّا يلي الحِجازَ، وأهلُها هم أصحابُ الأيكَةِ، وهي شجرَةٌ.
ممَّا وُصِفوا به:	[١] ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾[هود] في مَعيشَتِكُم ورِزقِكُم. [٢] ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾[الأعراف]. [٣] ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾[الأعراف].
ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١] الأمانَةُ، ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٧٨﴾[الشُّعراء]. [٢] الإصلاحُ، ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾[هود:٨٨]. [٣] الإنابَةُ، ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[هود]. [٤] التَّوكُّل، ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾[الأعراف:٨٩]. [٥] النُّصحُ، ﴿وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ﴾[الأعراف:٩٣].
ذِكرُهُ:	ذُكِرَ شُعَيبٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ ١١ مرَّةً.
ممَّا اختَصَّ به:	هو أحَدُ خمسَةِ أنبياءَ عرَبٍ، وهم: هودٌ، وصالِحٌ، وشُعَيبٌ، وإسماعيلُ، ومحمَّدٌ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
هَلاكُ قَومِهِ:	كانَ عذابُهُم بالصَّيحَةِ، قالَ تعالى: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾[هود].

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ شُعَيبٍ ﷺ مُختصَرةً:

قَومُه:

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ﴾[الأعراف:٨٥]، ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ٧٨﴾[الحجر]، ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧﴾[الشُّعراء].

أرسَلَ اللَّهُ شُعَيبًا ﷺ إلىٰ أهلِ مَدينَ، وهي قَريَةٌ بأَطرافِ الشَّامِ قَريبَةٌ مِن مَوضِعِ قَومِ لوطٍ ﷺ، وكانَ أهلُها مِنَ العرَبِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۗ﴾[الأعراف:٨٥]، ولم يكُن ﷺ مِن نَسلِهم، ولهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧﴾[الشُّعراء]، ولم يقُل: (أخوهُم) كما في قَصَصِ باقي الأنبياءِ، وذكَرَ غيرُ واحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: إنَّ أهلَ مَدينَ هم أصحابُ الأيكَةِ المَذكورونَ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ٧٨﴾[الحجر]، والأيكَةُ هي الشَّجَرَةُ المُلتَفَّةُ.

وكانَ أهلُ مَدينَ علىٰ الشِّركِ، وكانوا يَقطَعونَ الطَّريقَ، ويُفسِدونَ في الأرضِ، وعُرِفوا بالتَّطفيفِ وبَخسِ المِكيالِ والميزانِ، فبعَثَ اللَّهُ إليهم شُعَيبًا ﷺ يَدعوهُم، واختُلِفَ في نَسَبِهِ اختِلافًا كثيرًا، وقد جاءَ في «المُستَدرَكِ» عن مُحمَّدِ بنِ إسحاقَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (شُعَيبُ بنُ ميكائيلَ)، قالَ: كانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ إذا ذكَرَهُ قالَ: «**ذاكَ خَطيبُ الأنبياءِ؛ لِمُراجَعتِهِ قَومَهُ**»، وضبطَهُ بعضُهُم: شُعَيبُ بنُ مَلْكايِنْ بنِ يَشجُنَ، وقيلَ: إنَّه كانَ قد آمَنَ بإبراهيمَ ﷺ يومَ أُلقِيَ في النَّارِ وهاجَرَ معه، واللَّهُ أعلَمُ.

دَعوَتُه لِقَومِه:

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ

بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡۖ وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾[الأعراف]، ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ﴿٨٤﴾﴾[هود]، ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾﴾[هود]، ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾﴾[هود].

لمَّا أرسَلَ اللَّهُ تَعالىٰ شُعَيبًا إلىٰ أهلِ مَديَنَ دعاهُم إلىٰ تَوحيدِ اللَّهِ، و﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾، وهذه هي دَعوَةُ المُرسَلينَ، ﴿قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ﴾ وقامَتِ الحُجَجُ والبَراهينُ علىٰ صِدقِ ما جِئتُكُم بهِ، ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ واترُكوا ما أنتُم عليه مِنَ التَّطفيفِ، ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ فتَأكُلوا أموالَهُم بغَيرِ حقٍّ، ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالشِّركِ والمَعاصي ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾، فقد أصلَحَ اللَّهُ الأرضَ وأعَدَّها لأهلِ الطَّاعةِ، ﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ﴾ أي: تقطَعونَ الطَّريقَ وتتوعَّدونَ النَّاسَ بالقَتلِ إن لم يُعطوكُم أموالَهُم، ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ المُستَقيمِ ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبۡغُونَهَا﴾ أي: تَبغونَ أن تكونَ سَبيلُ اللَّهِ تَعالىٰ ﴿عِوَجٗاۚ﴾ مائلَةً.

وكانَ ممَّا قالَ لهُم: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا﴾ في العَدَدِ مُستَضعَفينَ في الأرضِ ﴿فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾ وجعَلَكُم أعِزَّةً فيها، ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾[الأعراف] الَّذينَ أصابَهُم العَذابُ الشَّديدُ، ﴿وَإِن كَانَ

طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ﴾ فاختَلفتُم فيما جِئتُكُم به، ﴿فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ﴾ وبينكُم، ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧﴾[الأعراف]، وقالَ لهُم: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ﴾ في مَعيشَتِكُم ورِزقِكُم، ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾[هود] في الدَّارِ الآخِرَة.

وممَّا قالَ لهم كذلِكَ: ﴿يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ﴾ أي: بَصيرَةٍ ﴿مِّن رَّبِّي﴾ فيما أدعو إليهِ ﴿وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾، يَحتمِلُ أن يُريدَ: النُّبُوَّةَ، أو الرِّزقَ الحَلالَ، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ﴾ فأرتكِبَهُ بعد أن نَهَيتُكُم عنه، ﴿إِنۡ أُرِيدُ﴾ فيما آمُرُكُم به أو أنهاكُم عنه ﴿إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ في جَميعِ أُموري، ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ أي: أرجِعُ، ثمَّ حذَّرهُم مِثلَ عذابِ مَن قبلَهُم فقالَ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ﴾ أي: عَداوَتي وبُغضي على ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ﴾ مِن العَذابِ في الدُّنيا، ﴿وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾ زَمنًا ولا مَكانًا، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ ممَّا أنتُم عليه مِن الشِّركِ والمَعاصي، ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ مُستقبلًا ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ٩٠﴾[هود] يُحِبُّ مَن تابَ إليه وأنابَ.

وقالَ لهُم كذلِكَ: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧﴾ اللَّهَ الَّذي خلَقَكُم ورزَقَكُم؟! ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ١٧٨ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٧٩﴾ فيما أدعوكُم إليه مِن تَركِ الشِّركِ والمَعاصي، ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٨٠﴾[الشُّعراء]، وقالَ لهُم: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٨٤﴾[الشُّعراء] أي: وآباءَكُم الأوَّلينَ.

جَوابُ قومِه:

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾[الأعراف:٨٨]، ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠﴾[الأعراف]، ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ

أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٧)﴾[هود]، ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)﴾[هود]، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨)﴾ [الشُّعراء].

لمَّا دعا شُعَيبٌ قومَهُ إلىٰ التَّوحيدِ وتَركِ ما هُم عليه مِن الضَّلالِ أَبَوْا واستكبَروا، و﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي: زُعماؤُهُم وأكابِرُهُم ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ قريةِ مَدينَ ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾ [الأعراف:٨٨] ولم يكُن شُعَيبٌ يومًا علىٰ مِلَّتِهم، ولمَّا كانُوا قد جُبِلوا علىٰ مُخالَفَةِ الحَقِّ قالوا لقَومِهِم: ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا﴾ فيما يَدعوكُم إليه ﴿إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ (٩٠)﴾[الأعراف]، وهذا مِنهُم صَدٌّ عن سَبيلِ اللَّهِ وإرجافٌ للمُؤمِنينَ، ولذلِكَ كانَ عِقابُهُم الرَّجفةَ كما سيأتي، و﴿قَالُواْ﴾ كذلِكَ علىٰ سَبيلِ التَّهكُّمِ والسُّخرِيَةِ: ﴿يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ﴾ أي: قِراءَتُكَ ﴿تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ مِنَ الأَوثانِ والأَصنامِ، ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ فنترُكَ التَّطفيفَ ونُخرِجَ الزَّكاةَ؟! ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٧)﴾ [هود]، وما كانَ استِهزاؤُهُم هذا ليَضُرَّ شُعَيبًا ولا المُؤمِنينَ معه.

وقالَ الظَّالِمونَ كذلِكَ: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ﴾ ونفهَمُ ﴿كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ في دَعوَتِكَ لنا، ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ﴾ أي: ضَريرَ البصَرِ، أو ذليلًا، أو قليلَ الأَتباعِ، ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ أي: قومُكَ ﴿لَرَجَمْنَٰكَۖ﴾ إمَّا رَميًا بالحِجارَةِ، وإمَّا بالسَّبِّ والشَّتمِ، ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١)﴾ فلا مَعَزَّةَ لكَ عِندَنا، ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ جَلَّ وعَلا؟! ﴿وَٱتَّخَذْتُمُوهُ﴾ اتَّخذتُم جَنابَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ﴾ لا تُطيعونَهُ ولا تُعَظِّمونَهُ، ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢)﴾[هود] يَعلَمُ جميعَ أعمالِكُم ويَجزيكُم عليها.

واتَّهموا شُعَيبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كما هي سُنَّةُ الظَّالِمينَ في كُلِّ زمانٍ ومَكانٍ فقالوا: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾﴾ أي: المَسحورينَ، ﴿وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ وكَيفَ نُطيعُ بشَرًا مِثلَنا؟! ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾ الَّذينَ يتعَمَّدونَ الكَذِبَ على اللَّهِ، وقالوا بجَهلِهم: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ أي: قِطَعًا أو عذابًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾﴾[الشُّعراء] يَعلَمُ إن كُنتُم تستَحِقُّون ما تسأَلونَه مِن العَذابِ، وهو غيرُ ظالِمٍ لكُم.

فلمَّا يَئِسَ مِنهُم قالَ مُهَدِّدًا لهُم: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ وطَريقَتِكُم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على طَريقَتي، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ مِنِّي ومِنكُم، ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾ أي: انتَظِروا ﴿إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾[هود] أي: مُنتَظِرٌ، وقالَ شُعَيبٌ ومَن معه مِن المُؤمِنينَ: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ واعتمَدنا، ودَعَوْا: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾[الأعراف] أي: احكُم بينَنا وبينَ قَومِنا وانصُرنا عليهم.

حُضُورُ الْعَذَابِ:

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾ [هود]، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشُّعراء].

لمَّا أصَرَّ أهلُ مَديَنَ على كُفرِهم وطُغيانِهم واستَعجَلوا عَذابَ اللَّهِ تَعالىٰ أجابَهُم اللَّهُ إلى ذلِكَ، وأنزَلَ بهم العذابَ الشَّديدَ، ووصَفَ اللَّهُ عذابَهُم بالصَّيحَةِ، والرَّجفَةِ، وعذابِ يَومِ الظُّلَّةِ.

قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ مِـن السَّـماءِ، والصَّيحـةُ هـي: الهَـلاكُ، يُقـالُ: صيـحَ بهـم إذا أُهلِكـوا، ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ صَرعَـىٰ لا أرواحَ لهُـم، ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ أي: كأنَّهُـم ما عاشُـوا فـي تِلكَ الدِّيـارِ، ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾﴾[هـود]؛ لأنَّهـــم كانـوا عربًـا مِثلَهُـم، وشـابَهوهُم فـي الكُفـرِ، وكانـوا قَريبيـنَ مِنهُـم مَكانًـا، وقـالَ تَعالـىٰ: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾[الأعـراف:٩١] أي: رجَفَـت بهِـم الأرضُ، وقـالَ تَعالـىٰ: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ أي: أظَلَّتهُـم سَـحابَةٌ فيها شـرٌّ مِنْ نَارٍ وَلَهَـبٍ وَوَهَجٍ عَظِيـمٍ، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ [الشُّـعراء] فاضَـت فيه نُفوسُـهُم، وزَهِقَـت أرواحُهـم، وأصبَحوا جُثَثًـا خامِدَةً.

فلمَّـا رأىٰ شُـعَيبٌ ما نزَلَ بهِـم مِن العَذابِ تَولَّـىٰ عنهُم وقالَ مُوَبِّخًـا ومُقَرِّعًا لهُـم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ الَّتي أُرسِـلتُ بهـا إليكُم، ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ مُخلِصًـا النَّصيحَـةَ، ﴿فَكَيْفَ﴾ اسـتِفهامُ إنـكارٍ ﴿ءَاسَىٰ﴾ أي: آسَـفُ ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾[الأعـراف]، لا آسَـفُ عليكُـم وقد كفَرتُم بمـا جِئتُكُم بـه.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللّهِ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

○ تقَـدَّمَ أنَّ النَّبـيَّ ﷺ سـمَّىٰ شُـعَيبًا عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطيـبَ الأنبيـاءِ، وذلِـكَ لفَصاحَتِـهِ وحُسـنِ بَيانِـهِ، ومـع ذلِـكَ قـالَ لـه قَومُـه: ﴿يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ﴾ [هـود:٩١]، وهـذا هـو حـالُ أهـلِ الأهـواءِ فـي كُلِّ زَمـانٍ ومَـكانٍ، يَجعَـلُ اللَّـهُ فـي آذانِهـم وَقـرًا، ويَجعَـلُ بينَهُـم وبيـنَ الحَقِّ ومَـن جاءَ بـه حِجابًا، ولهـذا قالَ بَعـضُ المُفَسِّـرينَ: إنَّما قالـوا ذلِكَ إعراضًا عن سَـماعِهِ واحتِقـارًا لكَلامِهِ، وقالَ بَعضُهـم: لأنَّهُـم كانـوا لا يُلقـونَ إليـه أفهامَهُـم لشِـدَّة نُفورِهم مِـن كَلامِه.

○ قـالَ تَعالـىٰ فـي سـورةِ الأعـرافِ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، وقالَ في سورة الشُّـعَراءِ: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾، ولـم يقُـل: (أخوهُـم) كما فـي بَقيَّـةِ الأنبياءِ، ومُناسَـبَةُ ذلِـكَ أنَّه عَزَّ وَجَلَّ لمَّا نسَـبَ

القَومَ إلىٰ مَدينَةِ مَدينَ ذكَرَ الأُخُوَّةُ؛ لأنَّ شُعيبًا ﷺ وإن لم يكُن مِن صُلبِهم فهُو قد ساكَنَهُم فصارَ أخًا لهُم بالمُجاوَرةِ، ولمَّا نسَبَ اللَّهُ ﷻ القَومَ إلىٰ ما كانوا عليه مِن الكُفرِ وعِبادَةِ الأيكَةِ لم يُناسِب أن يَذكُرَ الأُخُوَّةَ؛ لأنَّ المَقامَ مَقامُ عَداوَةٍ في الدِّينِ.

❍ ذكَرَ اللَّهُ تَعالىٰ مِن مَعاصي قَومِ شُعيبٍ ﷺ ما عُرِفوا به حتَّىٰ صارَ سِمَةً لهم وهو التَّطفيفُ والغِشُّ في الميزانِ، ولهذا قالَ لهم شُعَيبٌ ﷺ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾[هود:٨٥]، ويُستَفادُ مِن هذا أنَّ الشِّركَ يُفضي إلىٰ فسادِ الأخلاقِ والأعمالِ، وأنَّ الإيمانَ يُفضي إلىٰ حُسنِ الأخلاقِ والأعمالِ لما فيه مِن مُراقَبَةِ اللَّهِ ﷻ.

❍ يتبَيَّنُ مِن شدَّةِ إنكارِ شُعيبٍ ﷺ علىٰ قَومِه تَطفيفَهم وغِشَّهم في الميزانِ أنَّ ذلِكَ مِن كَبائِرِ الذُّنوبِ، وهو كذلِكَ في شَرعِنا، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣﴾[المطففين]، ويَدخُلُ في هذا أنواعُ الغِشِّ الَّتي استَحدَثَها النَّاسُ في هذا الزَّمانِ، وما أكثَرَها عند التُّجَّارِ! قالَ النَّبيُّ ﷺ كما عند التِّرمذيِّ وابنِ ماجَه: «**إنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إلَّا مَنِ اتَّقَىٰ اللَّهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ**»، فليَحذَرِ التُّجَّارُ هذا الوَعيدَ الشَّديدَ، وليتَّقوا اللَّهَ في تِجارَتِهم فلا يُدخِلوا بُطونَهم وبُطونَ مَن يَعولون إلَّا حلالًا طَيِّبًا.

❍ ذكَرَ شُعَيبٌ ﷺ مِن خَطايا قَومِه ما هو أعَمُّ مِن التَّطفيفِ وهو بَخسُ النَّاسِ أشياءَهم الَّتي يستَحِقُّونَها، فقالَ: ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الأعراف:٨٥]، والبَخسُ هو النَّقصُ عن الحَقِّ الواجِبِ بالتَّعييبِ والتَّزهيدِ أو المُخادَعَةِ عن القيمَةِ أو الاحتِيالِ، ويَدخُلُ في ذلِكَ مثَلًا بَخسُ الرَّجُلِ حقَّه مِن حُسنِ المُعامَلَةِ والتَّوقيرِ، فيَجِبُ علىٰ مَن سُئِلَ عن رَجُلٍ أن يُبيِّنَ فضلَه علىٰ ما هو عليه، وأن لا يَزدَرِيَه.

❍ قالَ شُعَيبٌ ﷺ لقَومِه: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾ [هود:٨٦]، قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**الَّذي يُبْقِي اللَّهُ لَكُمْ مِنْ أَمْوَالِكُمْ بَعْدَ تَوْفِيَتِكُمُ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ خَيْرٌ لَكُمْ مِمَّا تَسْتَكْثِرُونَ أَنْتُمْ بِهِ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِهِ**»،

وهذا مَعنًى مُهِمٌّ للغايةِ، ينبَغي لكُلِّ مُسلِمٍ أن يستَحضِرَه في مُعامَلاتِه.

❍ قالَ قومُ شُعيب عليه السلام مُستَهزِئين: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾[هود:٨٧]؟! قال سُفيانُ الثَّوريُّ رحمه الله: (إي واللَّهِ؛ تأمُرُهُ وتَنْهاهُ)، وذلِكَ لأنَّ اللَّهَ تعالىٰ يَقولُ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾[العنكبوت:٤٥].

❍ قالَ شُعيبٌ عليه السلام لقومِه: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٞ مِّنكُمۡ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٞ لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ فَٱصۡبِرُواْ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ بَيۡنَنَاۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٧﴾ [الأعراف]، الخِطابُ بالصَّبرِ يشمَلُ:

- **الطَّائِفَةَ المُؤمِنَةَ**: وفيه تَسليَةٌ لها وتَبشيرٌ بالنَّصرِ مِن اللَّهِ والتَّمكينِ في الأرضِ بعدَ الاستِضعافِ.
- **الطَّائِفَةَ الكافِرَةَ**: وفيه تَهديدٌ لها بالعِقابِ الَّذي سيَنزِلُ عليها مِن اللَّهِ إن استَمَرَّت في كُفرِها وطُغيانِها.

❍ قَولُ الكُفَّارِ مِن قومِ شُعَيبٍ عليه السلام: ﴿وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ﴾[هود:٩١] يُنظَرُ إليه مِن وَجهَين:

- **الأوَّلُ**: أنَّ أولي الرَّحِمِ وإن كانوا مِن أهلِ الضَّلالِ والزَّيغِ قد يكونونَ سبَبًا لدَفعِ الشُّرورِ عن المُسلِمِ، وهذه مِن الحِكَمِ الَّتي شُرِعَت لأجلِها صِلَةُ الرَّحِمِ.
- **الثَّاني**: أنَّ تَقديمَ الجاهِ والعَشيرَةِ والسُّلطانِ علىٰ حُكمِ اللَّهِ عز وجل مِن السَّفاهَةِ، ولِهذا كانَ رَدُّ شُعيبٍ عليه السلام عليهم: ﴿أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ﴾[هود:٩٢]؟!

❍ تقدَّمَ أنَّ اللَّهَ تعالىٰ وصَفَ عذابَ قومِ شُعَيبٍ عليه السلام بالصَّيحَةِ والرَّجفَةِ ويَومِ الظُّلَّةِ:

- فقالَ في سورَةِ الأعرافِ: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ أي: رجَفَت بهِم الأرضُ، ومُناسَبَةُ ذلِكَ أنَّه عز وجل ذكَرَ قبلَها إرجافَهُم وتَوعُّدَهُم لشُعَيبٍ عليه السلام والمُؤمِنينَ معه بالإخراجِ، قالَ تعالىٰ: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ﴾

[الأعراف:٨٨]، فقُوبِلَ الإرجافُ بالرَّجفَةِ.

- وأمَّا في سورة هودٍ فقد ذكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تهكُّمَهم واستِهزاءَهم بشُعَيب عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقولَهم: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾[هود]، ثمَّ قالَ بعدَها: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾، فقابَلَ استِهزاءَهم بذِكرِ الصَّيحَةِ الَّتي أسكَتَتهُم مع الرَّجفَةِ الَّتي أسكنَتهم، فأصبَحوا جاثِمينَ.
- وأمَّا في سورَةِ الشُّعراءِ فذكَرَ قولَهم لشُعيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ١٨٦ فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ [الشُّعراء]، فأجابَهم اللَّهُ تعالىٰ ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ١٨٩﴾[الشُّعراء].

ويتبيَّنَ مِن هذا أنَّ الجَزاءَ مِن جِنسِ العمَلِ، وهي قاعِدَةٌ مُطَّرِدَةٌ في الشَّرعِ.

اخْتِبَارٌ في قِصَّةِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١] خَطيبُ الأنبياءِ هو (❍ إبراهيمُ ❍ شُعيبٌ ❍ نوحٌ)، سُمِّيَ بذلِكَ (❍ لفَصاحَتِه ❍ لبَلاغَتِه ❍ كلاهما).

[٢] أصحابُ الأيكَةِ هم قَومُ: ❍ يوسُفَ. ❍ لوطٍ. ❍ شُعَيبٍ.

[٣] نبيٌّ ذُكِرَ في القُرآنِ، أمَرَ قَومَهُ بتَوحيدِ اللهِ، وإيفاءِ الكَيلِ، ونَهاهُم عن بَخسِ النَّاسِ أشياءَهُم، والإفسادِ في الأرضِ: ❍ إبراهيمُ. ❍ لوطٌ. ❍ شُعيبٌ.

[٤] كانَ عَذابُ قَومِ شُعَيبٍ بـ: ❍ الرَّجفَةُ والصَّيحَةُ. ❍ الطُّوفانُ. ❍ الحِجارَةُ مِن سِجِّيلٍ.

[٥] قَومُ شُعَيبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هم أهل (❍ مَدينَ ❍ عادٍ ❍ الأحقافِ)، وأهلُها هم أصحابُ (❍ الأيكة ❍ السَّدِّ).

[٦] كانَ قَومُ شُعَيبٍ: ❍ كُفَّارًا. ❍ يقطَعونَ الطَّريقَ. ❍ يَبخَسونَ المِكيالَ والميزانَ ويُطَفِّفُونَ. ❍ الجَميعُ.

[٧] ممَّا وُصِفَ به شُعَيبٌ ﷺ: ❍ الأمانَةُ. ❍ الإصلاحُ. ❍ الإنابَةُ.
❍ التَّوكُّل. ❍ النُّصحُ. ❍ الجميعُ.
[٨] شُعَيبٌ مِن الأنبياءِ الخَمسةِ العَرَبِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٩] هَلاكُ قَومِ شُعَيبٍ كانَ بالصَّيحَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٠] الشرك يَفضي إلىٰ فساد الأخلاق والأعمال كما في أصحاب الأيكة:
❍ صح. ❍ خطأ.
[١١] مِن أهَمِّ العِبَرِ الَّتي لابُدَّ من الإفادَةِ مِنها في سِيَرِ الأنبياءِ: ❍ الدَّعوَةُ للتَّوحيدِ. ❍ مُواجَهةُ الفَسادِ بالحِكمَةِ. ❍ الإصلاحُ. ❍ الجَميع.
[١٢] مِن أخلاقِ قَومِ شُعَيبٍ ﷺ: ❍ الكُفرُ باللهِ عَزَّوَجَلَّ. ❍ بَخسُ المِكيالِ.
❍ الفَسادُ. ❍ التَّطفيفُ. ❍ الجَميع.
[١٣] فسادُ قَومِ شُعيبٍ ﷺ كان في التِّجارَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٤] البيِّنَةُ المَذكورَةُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٥]: (❍ لم يذكُرها ❍ ذكَرَها) القرآنُ.
[١٥] نبيُّ اللهِ شُعيبٌ ﷺ هو خَطيبُ الأنبياءِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٦] اختَرِ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

إخوَةٌ بالمُجاوَرَةِ:	﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.
لم يَذكُرِ الأُخوَّةَ للبَراءَةِ مِن مَعبودِهم:	﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾.
قليلُ حلالٍ أعظَمُ مِن كثيرٍ حرام:	﴿أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾.
الصَّلاةُ تَنهىٰ عن الفَحشاءِ والمُنكَرِ:	﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾.
العَمَلُ بالعِلم:	﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾.
تَعظيمُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ:	﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾.
لأنَّهم مِعوَلُ هدمٍ:	﴿قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾.

نَبِيَّا اللهِ يَعْقُوبُ وَيُوسُفُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	أبَوَاه:	أبوهُ إسحاقُ بنُ إبراهيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وأمُّه رِفقا، وقد بُشِّرَ به إبراهيمُ وسارَّةُ مع إسحاقَ، ووُلِدَ في حَياتِهِما.
	لقبُه:	إسرائيلُ - فهو أبو بَني إسرائيلَ.
	أولادُه:	له اثنا عشَرَ ولَدًا، أفضَلُهُم **يوسُف** عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	ممَّا وَصَفَهُ اللهُ بِهِ:	[١] **التَّوكُّلُ**، ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[يوسف:٦٧]. [٢] **العِلمُ**، ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾[يوسف:٦٨]. [٣] **مِن ذرِّيَّتِهِ الأنبياءُ**، ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾[مريم:٥٨]. [٤] **النُّصحُ لبَنيهِ عندَ المَوتِ**، ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾[البقرة:١٣٣]. [٥] **تأويلُ الرُّؤيا**؛ كما في قصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. [٦] ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[يوسف:٦]. [٧] ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[يوسف].
	ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ يَعقوبُ باسمِهِ في القرآنِ ١٦ **مرَّةً**، وذُكِرَ مرَّةً واحدةً بلقبِهِ: إسرائيلَ، ونُسِبَ بنو إسرائيلَ إليه ٤٠ مرَّةً.
	آياتُه:	[١] ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾[يوسف:٩٤]. [٢] ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾[يوسف:٩٦].
	مَوتُه:	استَقدَمَهُ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى مِصرَ فسَكَنَها، ولمَّا ماتَ حَمَلَهُ يوسُفُ عملًا بِوَصيَّتِه فدَفَنَهُ في بَيتِ المَقدِسِ.

يوسف عليه السلام		
	أبَوَاهُ:	أبوه يَعقوبُ عليه السلام، وأُمُّه راحيلُ بنتُ خالِ يَعقوبَ.
	لَقَبُهُ:	[١] **الكَرِيمُ** بنُ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بن الكَريمِ. [٢] **الصِّدِّيق**، ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[يوسف:٤٦].
	قَومُهُ:	بُعِثَ إلى **أهلِ مِصرَ الأقباطِ**، فقد قالَ مُؤمِنُ آلِ فِرعَونَ لِقَومِهِ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[غافر:٣٤].
	مِمَّا وَصَفَهُ اللّه بِهِ:	[١-٤] ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾[يوسف]، ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[يوسف]. [٥-٧] ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[يوسف]. [٨] **مُخلَصٌ**، ﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾. [٩] ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[يوسف]، «**أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ**». مسلمٌ. [١٠] **مُستجابُ الدَّعوةِ**، ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[يوسف]. [١١] **الصِّدق**، ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾[يوسف]. [١٢] **الحِفظُ**، ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾[يوسف]. [١٣] **الكَيدُ**، ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ﴾[يوسف]. [١٤] **المُلكُ**، ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾[يوسف].
	ذِكرُهُ في القُرآنِ:	ذُكِرَ في القرآنِ ٢٧ **مرَّةً**، وأُنزِلَت سورةٌ باسمِهِ جاءَت فيها قصَّتُهُ مُطوَّلَةً، سمَّاها اللهُ ﴿أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾[يوسف:٣].
	آيَاتُهُ:	[١] تَصديقُ الصَّبيِّ أو الرَّجُلِ له في قصَّةِ مُراوَدَةِ امرأَةِ العَزيزِ لهُ عن نَفسِهِ. [٢] أُعطِيَ شَطْرَ الحُسنِ، أي: الجَمالِ.
	مَوْتُهُ:	دُفِنَ في مِصرَ، ثمَّ لمَّا خرَجَ موسَىٰ ببني إسرائيلَ مِن مِصرَ حمَلَهُ في التَّابوتِ عملًا بِوصيَّتِهِ.

قِصَّةُ نَبِيَّي اللهِ يَعقوبَ ويُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مُختصَرةً:

البِشارَةُ بيَعقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَولِدُه:

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾[هود]، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ﴾[الأنبياء:٧٢].

تقَدَّمَ في قِصَّةِ خَليلِ الرَّحمنِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه لمَّا بلَغَ مِن العُمُرِ مائةَ سَنَةٍ، وبلَغَت سارَّةُ زَوجَتُهُ تِسعينَ سنَةً جاءَته المَلائِكةُ يُبلغونَه نُزولَ العَذابِ بقَومِ لوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتُبَشِّرُهُ بإسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ﴾ فسمِعَتِ ما دارَ بينَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والمَلائِكةِ ﴿فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾، فيَعقوبُ هو ولَدُ إسحاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، واسمُ أمِّه رِفقا، وفي هذه البِشارَةِ دَلالَةٌ علىٰ أنَّ يَعقوبَ وُلِدَ في حَياةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وسارَّةَ لتقَرَّ أعيُنُهما أكثَرَ، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗ﴾[الأنبياء:٧٢] أي زِيادَةً علىٰ ما طلَبَ، وكانَ إبراهيمُ قد دعا أن يُرزَقَ ولَدًا، وقد أُوتِيَ إسحاقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ولَدَينِ تَوأَمَينِ: العيصَ، وهو أبو الرُّومِ، ويَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو إسرائيلُ الَّذي يُنسَبُ إليه بَنو إسرائيلَ، وقيلَ: إنَّه سُمِّيَ يَعقوبَ لأنَّه خرَجَ مِن بَطنِ أُمِّه بعدَ العيصِ وكان آخِذًا بعَقِبِه.

كِبَرُ يَعقوبَ وبِنَاؤُهُ بَيتَ المَقدِسِ ومَوتُ إسحاقَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

ذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أنَّه لمَّا شبَّ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خرَجَ إلىٰ حرَّانَ فأقامَ بها عشرينَ سنَةً، فتزوَّجَ فيها ووُلِدَ له ولَدٌ كثيرٌ، مِنهُم أحَدَ عشَرَ ابنًا فيهِمُ الصِّدِّيقُ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأُمُّه راحيلُ بنتُ خالِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمَّ أوحىٰ اللَّهُ إليه أن يَرجِعَ إلىٰ بِلادِ أبيهِ، وبَنىٰ عندَ رُجوعِه بيتَ المَقدِسِ البناءَ الأوَّلَ الَّذي كان بعدَ بِناءِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الكَعبَةَ بأربَعينَ سنَةً، وقد جاءَ في «الصَّحيحينِ» أنَّ أبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:

«الْمَسْجِدُ الْأَقْصَىٰ»، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً»، ثمَّ ولَدَت لـه بعد ذلِكَ راحيلُ ابنَها الثَّاني بِنيامينَ، وماتَت في طَلْقِها.

ثمَّ أقامَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أخيه العيصِ وأبيه إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقريَةِ حَبرونَ الَّتي كانَ قد أقامَ بها النَّبيُّ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلمَّا ماتَ إسحاقُ دفنه ابناه في المَغارَةِ الَّتي اشتَراها إسحاقُ ودفَنَ بها إبراهيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

رُؤْيَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف].

تقَدَّم أنَّ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُوتِيَ اثنا عشَرَ ولَدًا ذكَرًا، وإليهم تُنسَبُ أسباطُ بَني إسرائيلَ، وقد قصَّ اللَّهُ تَعالىٰ قِصَّتَهُ مُفصَّلَةً في سورَةِ يوسُفَ، ومِن ذلِكَ أنَّه رَأىٰ رُؤيا قبلَ أن يَبلُغَ الحُلُمَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾، وقد فسَّرَها غيرُ واحِدٍ مِن السَّلَفِ بأنَّ الكَواكِبَ إخوَتُهُ وأنَّ الشَّمسَ والقمرَ والِداهُ، والسُّجودُ بمَعنىٰ الإجلالِ والاحترامِ له، فلمَّا قصَّها علىٰ أبيهِ -وكانَ عالِمًا بتَفسيرِ الرُّؤىٰ- خَشِيَ أن يُحدِّثَ يوسُفُ إخوَتَهُ فيَحسُدوهُ، فـ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يَحتالوا لكَ حيلَةً يُؤذونَكَ بها، والَّذي قد يَحمِلُهم علىٰ ذلِكَ هو الشَّيطانُ، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾، ثمَّ بشَّرَهُ قائلًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي: يَختارُكَ مِن بَينِ النَّاسِ ويَجعلُكَ نَبيًّا، ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ فتتعلَّمُ تعبيرَ الرُّؤىٰ، ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ بالرِّسالَةِ ﴿وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف] يَعلَمُ حيثُ يَجعَلُ رِسالَتَه.

حَسَدُ إخوَةِ يوسُفَ عليه السلام لَهُ وإلقاؤُهُ في البئرِ:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾[يوسف]، ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾ [يوسف]، ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[يوسف].

تَحقَّقَ ما خَشِيَهُ يَعقوبُ عليه السلام مِن حسَدِ إخوَةِ يوسُفَ له، قالَ تَعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ أي: عِبَرٌ ومَواعِظُ ﴿لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾ عن ذلِكَ، ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعةٌ، ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾[يوسف] في تَقديمِه يوسُفَ وبنيامينَ علينا، وحُبِّه لهُما أكثَرَ مِنَّا، وأرادوا التَّخلُّصَ منه، فأشارَ بَعضُهُم بقَتلِه، وأشارَ آخَرُ بأن يُلقىٰ في بِئرٍ لعلَّ بعضَ المارَّةِ يَجِدُه فيَأخُذُه، فاستَحسَنوا رأيَ الأخيرِ وعَمِلوا به، وسَألوا أباهُم أن يُرسِلَه معهُم في الرَّعيِ وألَحُّوا في السُّؤالِ حتَّىٰ قَبِلَ ذلِكَ، فذَهَبوا به وألقَوهُ في البئرِ، فثبَّتَه اللَّهُ عز وجل وصبَّرَهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ وصَنيعِهِم الَّذي صَنعوا في حَقِّكَ مُستَقبلًا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٥﴾[يوسف] ولا يَعلَمون مَن تكونُ وقتَئذٍ.

ثمَّ عَمَدوا إلىٰ شاةٍ فذبَحوها وجَعَلوا مِن دَمِها علىٰ قَميصِ يوسُفَ عليه السلام، ونَسُوا أن يُخَرِّقوا القَميصَ، ثمَّ انصَرفوا إلىٰ أبيهم وهُم يَبكونَ، وزَعَموا كَذِبًا أنَّ الذِّئبَ أكَلَه لمَّا ذَهَبوا يَلعَبونَ وتَرَكوه عِندَ مَتاعِهم، فلم يُصَدِّقهُم يَعقوبُ عليه السلام لمَّا رأىٰ القَميصَ غيرَ مُخرَّقٍ، وقالَ: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ وزَيَّنَتهُ لكُم، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: سأَصبِرُ صَبرًا لا جَزَعَ فيه ولا شَكوىٰ، ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[يوسف] وتَذكُرُونَ مِن الكَذِبِ.

دُخُولُه مِصرَ ونَشأَتُه بِهَا:

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ

عَلِيمٌۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف].

لمَّا أُلقِيَ يوسُفُ في البئرِ ساقَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إليهِ أُناسًا مُسافِرينَ نزلوا قريبًا مِن البئرِ، وأرسَلوا مَن يتطَلَّبُ الماءَ لهُم، فلمَّا أدلىٰ دَلوَهُ في البئرِ تشبَّثَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدَّلوِ وخَرَجَ مِن البئرِ، فاستبشَرَ الرَّجُلُ به، فأسَرَّهُ هو ومَن معه عن باقي رُفقَتِهِم لِئَلَّا يُشارِكوهُم فيه، وأخبَروهُم أنَّهُم اشتَرَوه، وذكَرَ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ إخوَةَ يوسُفَ جلَسُوا يرقُبُونَه بعد أن ألقَوهُ في البئرِ، فلمَّا أخرَجَهُ السَّيَّارَةُ باعُوه لهُم، وكتَمَ يوسُفُ ذلكَ مَخافَةَ أن يَقتُلَهُ إخوَتُهُ.

ثُمَّ قَدِمَ السَّيَّارَةُ بيوسُفَ إلىٰ مِصرَ، وقَيَّضَ اللَّهُ له عَزيزَ مِصرَ الَّذي علىٰ خَزائِنِها فاشتَراهُ مِن السَّيَّارَةِ، وقيلَ: إنَّ اسمَهُ قطفيرُ، وتَوسَّمَ في يوسُفَ الخيرَ والصَّلاحَ فقال لزوجَتِهِ: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾، وامتَنَّ اللَّهُ تَعالىٰ علىٰ يوسُفَ بهذا فقالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضِ مِصرَ، ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ أي: تَعبيرِ الرُّؤىٰ، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ﴾ إذا أرادَ شَيئًا فلا رادَّ له، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١﴾ [يوسف] حِكمَةَ اللَّهِ في خَلقِهِ.

دُخولُه السِّجنَ:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف]، ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ [يوسف].

لمَّا بلَغَ يوسُفُ أشُدَّهُ واستكمَلَ عَقلُهُ أوتِيَ الحُكمَ والنُّبُوَّةَ، واللَّهُ أعلَمُ كم كانَ عُمُره حينَئِذٍ، وآتاهُ اللَّهُ جمالًا في الخِلقَةِ، وقد جاءَ في حديث

المِعراجِ عند مُسلمٍ أنَّه ﷺ لَقِيَ يوسُفَ عليه السلام في السَّماءِ الثَّالِثَةِ، قالَ ﷺ: «**إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ**» أي: نِصفَهُ، فأحبَّتهُ امرَأَةُ العَزيزِ الَّتي كانَ في بَيتِها حُبًّا شديدًا وفُتِنَت به، فتَجمَّلَت له -وكانت جَميلَةً- وراوَدَته عن نَفسِهِ، فامتَنَع مِن ذلِكَ وردَّها ردًّا جَميلًا، واعتَذَرَ بأنَّ العَزيزَ قد أكرَمَه ولم يكُن ليُقابلَه بالسُّوءِ، فلمَّا أصَرَّت وغَلَّقَت عليه الأبوابَ أراهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آيةً يَعلَمُها اللَّهُ صرَفَه بها عن امرَأَةِ العَزيزِ، ففَرَّ مِنها هارِبًا وهي تَطلُبُه مِن خَلفِهِ، فأخَذَت بقَميصِهِ فتقَطَّع حتَّىٰ سقَطَ عنه، فلمَّا وَصَلا إلىٰ البابِ لَقِيَا العَزيزَ، فانقَلَبَت بمَكرِها واتَّهَمت يوسُفَ أنَّه أرادَها فامتَنَعت عنه، فتكلَّمَ يوسُفُ عندَها وأخبَرَ أنَّها هي مَن أرادَتهُ وأنَّها شَقَّت قَميصَهُ لمَّا جذَبَته، وشَهِدَ شاهِدٌ مِن أهلِها أنَّه إن كان القَميصُ شُقَّ مِن الخَلفِ فإنَّ يوسُفَ هو الصَّادِقُ، وأصَحُّ ما قيلَ في الشَّاهِدِ قَولُ ابنِ عبَّاسٍ عند الطَّبريِّ أنَّه كانَ رَجُلًا ذا لِحيَةٍ.

فلمَّا تَحقَّقَ العَزيزُ بَراءَةَ يوسُفَ أمَرَهُ أن يَكتُمَ ما كانَ من امرَأَتِه، وأمرَها أن تستَغفِرَ، ومع ذلِكَ فقد انتَشَرَ أمرُها بينَ النِّساءِ، فعِبنَ ذلِكَ عليها، فلمَّا بلَغَها ذلِكَ احتالَت عليهِنَّ، فدعَتهُنَّ إلىٰ مَجلِسِها، وخَبَّأَت يوسُفَ عليه السلام، وقدَّمَت لهُنَّ مِن الأكلِ ما يُحتاجُ فيه إلىٰ سِكِّينٍ، ثمَّ أخرَجَتهُ عليهِنَّ فافتُتِنَّ بجَمالِهِ وقَطَّعنَ أيدِيَهُنَّ، ورَجَعت إليه فدَعتهُ إلىٰ نَفسِها مرَّةً أُخرىٰ وهدَّدته بالسِّجنِ إن هو أبَىٰ، فعِندَها قالَ يوسُفُ عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ مِن الفاحِشَةِ ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾ فتكِلْني إلىٰ نَفسي ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾ أي: أَمِلْ إليهِنَّ ﴿وَأَكُن﴾ بسَبَبِ ذلِكَ ﴿مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾، ولم يكُنِ اللَّهُ تَعالىٰ ليَخذُلَ عبدَهُ المُخلِصَ، ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعاءِ مَن دَعاهُ ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٣٤﴾ بأحوالِهم وما يُصلِحُهُم، فلمَّا أصرَّت امرَأَةُ العَزيزِ علىٰ مُراوَدَةِ يوسُفَ عليه السلام وخَشِيَ العَزيزُ أن تُفتَضَحَ امرَأَتُهُ بينَ النَّاسِ رَأىٰ أن يَسجُنَه مُدَّةً مِن الزَّمَنِ.

قِصَّةُ يُوسُفَ ﵇ مَعَ صَاحِبَيهِ فِي السِّجْنِ:

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف].

لمَّا دخَلَ يوسُفُ السِّجنَ اشتُهِرَ فيه بينَ السُّجَناءِ بالصَّلاحِ وكثرَةِ العِبادَةِ والصِّدقِ، حتَّىٰ لُقِّبَ بالصِّدِّيق، ودخَلَ معه السِّجنَ فَتَيانِ شابَّانِ أُعجِبا به وأَحَبَّاه حُبًّا شديدًا، وقيلَ: كان أحَدُهما ساقِيَ المَلِكِ والآخَرُ خبَّازَهُ، فشكَّ المَلِكُ أنَّهما يَنوِيانِ دَسَّ السُّمِّ له فحَبَسَهما، فكانَ أن رَأىٰ كُلٌّ مِنهُما رُؤيا، فرأىٰ الأوَّلُ أنَّه يَعصِرُ عِنبًا، ورأىٰ الثَّاني أنَّه يَحمِلُ فوقَ رَأسِهِ خُبزًا تأكُلُ الطَّيرُ مِنه، فعَرَضا رُؤياهُما علىٰ يوسُفَ ﵇، فقالَ: سَوفَ أُنبِّئُكُما بتَفسيرِ ذلِكَ قَبلَ أن يَأتِيَكُما طَعامٌ تَطعَمانِهِ اليَومَ، وقَبلَ أن يُخبِرَهُما بما يَكونُ دَعاهُما إلىٰ توحيدِ اللَّهِ ﷻ وإخلاصِ العِبادَةِ له، ثمَّ أجابَهُما فقالَ: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ﴾ أي: أنَّه يَخرُجُ مِنَ السِّجنِ، ﴿وَأَمَّا ٱلْأٓخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ وليسَ بناجٍ، ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ٤١﴾ [يوسف]، وأبهَمَ يوسُفُ ﵇ مَنِ النَّاجي ومِنَ الهالِكُ، لكنَّه أسَرَّ لمَن ظنَّ أنَّه يَنجو -وهو الأوَّلُ- وطلَبَ مِنه إذا هو قابَلَ المَلِكَ أن يذكُرَ له أمرَ يوسُفَ ﵇، لكنَّ الشَّيطانَ أنساهُ أن يذكُرَه فلبِثَ يوسُفُ ﵇ في السِّجنِ بِضعَ سِنينَ، والبِضعُ بينَ الثَّلاثِ والتِّسعِ، وقيلَ: لَبِثَ سَبعَ سِنينَ.

رُؤْيَا الْمَلِكِ وَتَعْبِيرُ يُوسُفَ ﵇ لَهَا وَخُرُوجُهُ مِنَ السِّجْنِ:

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٞ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ٤٣﴾، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤ قَالَ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٥٦﴾ [يوسف].

بعد مُضِيِّ بِضع سِنينَ رأىٰ المَلِكُ رُؤيا أشكَلَت عليه، وكانَت سبَبًا لخُروج يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ من السِّجنِ، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ﴾ من البَقَرِ ﴿عِجَافٌ﴾ أي: هَزيلَةٌ، ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾، فعَرَضَها علىٰ الكهَنَةِ والوُزَراءِ ليَعبُروها له، قالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [يوسف] أي: إن كنتُم تُحسِنون تأويلَ الرُّؤىٰ، ولم يكُن لهُم عِلمٌ بالتَّأويل فقالوا: هي مِن تَخاليطِ الأحلام، وتذكَّرَ الَّذي نجا مِن السِّجن يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسأَلَ المَلِكَ أن يُرسِلَه إليه، فأتاه وذكَرَ له رُؤيا المَلِكِ فعَبَرَها يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ له ولم يُعَنِّفه علىٰ نِسيانِهِ ماأوصاهُ به، وكان تأويلُهُ أنَّه سيأتيهِم المَطَرُ والخِصبُ سبعَ سِنينَ هنَّ البقَراتُ السَّبعُ السِّمانُ، تُنتِجُ الأرضُ فيهنَّ، وذلِكَ هو السُّنبلات الخُضرُ، ونصَحَهم أن يَقتَصِدوا خِلالَهنَّ في الأكل ولا يُسرِفوا، وأن يدَّخِروا ما حصَدوه في سُنبُلِه لئَلَّا يُسرِعَ إليه الفَسادُ، ثمَّ يأتي بعد ذلِكَ سَبعُ سِنينَ شِدادٌ لا مطَرَ فيهنَّ ولا يُنبِتنَ شيئًا، وهنَّ البقراتُ السَّبعُ العِجافُ، يأكُلونَ خِلالَهُنَّ ما ادَّخَروه قَبلُ، وذلِكَ هو السُّنبُلاتُ اليابِساتُ، ثمَّ يأتي بعدَ ذلِكَ كُلِّه عامٌ مُمطِرٌ يَرجِعونَ فيه إلىٰ ما كانوا عليه قَبلُ مِن النَّتاج والعَصرِ.

فلمَّا بلَغَ هذا التَّأويلُ المَلِكَ أعجَبَه وعَلِمَ أنَّه حَقٌّ، فطلَبَ مِنهم أن يُحضِروه إليه، فلمَّا جاءَ رَسولُ المَلِكِ إلىٰ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ امتَنَع عن الخُروج مِن السِّجنِ حتَّىٰ تثبُتَ بَراءَتُهُ، مع طولِ مُكثِه في السِّجنِ وكَونِهِ مَظلومًا، وذلِكَ دَليلٌ علىٰ شِدَّةِ صَبرِه، قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ لأَجَبْتُ الدَّاعِيَ**»، وأمَرَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الرَّسولَ أن يَرجِعَ إلىٰ المَلِكِ ويسأَلَه عن النِّسوَةِ اللَّاتي قطَّعن أيدِيَهُنَّ، فجَمَعَ المَلِكُ النِّسوَةَ وسأَلَهُنَّ عن ذلِكَ، فذكَرنَ ما يَعلَمنَ مِن بَراءَةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعِفَّتِهِ، واعترَفَتِ امرأَةُ العَزيزِ بذَنبِها ليَعلَمَ زَوجُها أنَّها لم تَخُنه في الحَقيقَةِ، وأنَّها راوَدَت يوسُفَ عن نَفسِه فامتَنَعَ ولم يُجِبها.

فلمَّـا تيقَّـنَ المَلِـكُ بَـراءَةَ يوسُـفَ ونَزاهَتَـهُ قـالَ: ﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ أي: أجعَلْـهُ مِن خاصَّتي، ﴿فَلَمَّا﴾ جاءَهُ يوسُـفُ و﴿كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾ أي: ذو مَكانَـةٍ وأَمانَـةٍ، فـ﴿قَالَ﴾ يوسُـفُ عليه السلام: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ وفـي هـذا جَـوازُ سُـؤالِ المَنصِـبِ لمَن علِـمَ مِن نَفسِـه القُـدرَةَ عليه، ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ خـازِنٌ أَميـنٌ ﴿عَلِيمٞ ٥٥﴾ ذو عِلـمٍ وبَصيـرَةٍ، وامتَـنَّ اللَّـهُ تعالىٰ علـىٰ يوسُـفَ فقـالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرضِ مِصرَ ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ﴾ أي: يَسـكُنُ فيهـا حيثُ شـاءَ بعد مـا أصابَه مِـن الضِّيقِ، ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾[يوسف].

دُخُولُ إِخْوَةِ يُوسُفَ عليه السلام عَلَيْهِ وَمَا جَرَى بَيْنَهُمْ:

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾[يوسف]، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾[يوسف]، ﴿فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾[يوسف]، ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾[يوسف].

بعـدَ مُضِـيِّ السِّـنينِ السَّـبعَةِ الأولىٰ جـاءَتْ سِـنونُ الشِّـدَّةِ والضِّيـقِ، فعمَّت بـلادَ مِصـرَ ومـا جاوَرها، ووصَلَـت إلىٰ بِلادِ الشَّـام حيـثُ النَّبـيُّ يَعقوبُ عليه السلام وبَنـوهُ، وصـارَ يوسُـفُ عليه السلام يَبيـعُ الطَّعـامَ علـىٰ مَـن يَـرِدُ إليـهِ مِن خـارِجِ مِصرَ بثَمَنِـهِ لا يَزيـدُ عليـه، لكنَّـه كانَ لا يُعطـي الرَّجُـلَ إلَّا حِمـلَ بَعيـرٍ في كُلِّ سـنَةٍ، فبلَـغَ ذلِـكَ إخوَةَ يوسُـفَ، فخَـرَجَ عشـرَةٌ مِنهُـم ببِضاعَتِهم يَرجـونَ المِيـرَةَ مِن يوسُـفَ عليه السلام، وحبَـسَ يَعقوبُ عليه السلام بنيامـينَ عندَه لِخَوفِـهِ عليه، ﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨﴾[يوسف]، أي: لـم يَعرفـوهُ

لِطولِ الأمَدِ وتغَيُّرِ المَلامِحِ، ولم يَكونُوا يتَوَقَّعونَ أن يَفعَلَ اللَّهُ به ما فعَلَ! فجهَّزَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لهُم جهازَهُم، وسألَهم إن كانَ لهُم إخوَةٌ فذَكَروا بنيامينَ، فقالَ: إن لم تقدَموا به معَكُم في العامِ القابِلِ فإنَّكُم ستُمنَعونَ الميرَةَ، وجعَلَ بِضاعَتَهُم الَّتي جَلَبوا معهُم يَشتَرونَ بها الميرَةَ في رِحالِهِم خَوفًا أن لا يَكونَ معهُم غَيرُها فيَمتَنِعوا عنِ القُدومِ في العامِ الثَّاني.

فلمَّا رَجَعوا إلىٰ بِلادِهم ذكَرُوا ذلكَ لأَبيهِم فامتَنَعَ مِن إرسالِ بِنيامينَ معهُم خَوفًا أن يُصيبَهُ ما أصابَ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قبلَه، ولمَّا فتَحوا مَتاعَهُم وَجَدوا بِضاعَتَهُم قد رُدَّت إليهم فأعجَبَهم ذلِكَ، وألَحُّوا علىٰ أبيهِم أن يُرسِلَ معهم أخاهُم، وأصابَتهُم الحاجَةُ الشَّديدةُ، فقَبِلَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد أن أخَذَ عليهِم المَواثيقَ والعُهودَ، وأوكَلَ عليهِمُ اللَّهَ تَعالىٰ تَغليظًا عليهم، ولمَّا وادَعَهُم أمَرَهم إذا قَدِموا مِصرَ أن لا يَدخُلوا مِن بابٍ واحِدٍ خَوفًا عليهم مِن أن تُصيبَهُم العَينُ لِجمالِهِم وحُسنِ هَيئَتِهِم، وبيَّنَ لهُم أنَّ ذلِكَ لن يَرُدَّ قضاءَ اللَّهِ إذا جاءَ فالحُكمُ له وَحدَهُ، فانطَلَقوا جَميعًا إلىٰ مِصرَ.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أكرَمَهُم وأحسَنَ إليهِم، ثمَّ ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ أي: اختَلَىٰ به دونَهُم، و﴿قَالَ﴾ له: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يوسُفُ، وأخبَرَهُ ما صَنَعوهُ به، وقال: ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ﴾ وتَحزَن ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ [يوسف] وما صَنَعوهُ مَعي، ثمَّ جهَّزَ لهُم جهازَهُم، وأمَرَ بَعضَ فِتيانِهِ أن يَجعَلوا إناءَ الفِضَّةِ الَّذي كانوا يَكيلونَ به الطَّعامَ في مَتاعِ بِنيامينَ، وكانَت تِلكَ حيلَةً مِنه علىٰ إخوانِهِ، ثمَّ نادىٰ مُنادٍ أنَّ إناءَ المَلِكِ قد سُرِقَ، وجَعَلَ لِمَن وَجَدَه وجاءَ به حِملَ بَعيرٍ مِنَ الطَّعامِ، وتكَفَّلَ بذلِكَ لهُم، فأنكَرَ إخوَةُ يوسُفَ أن يَكونُوا سارِقينَ، وذكَّروا فِتيانَ المَلِكِ بما سَبَقَ لهُم مِن السِّيرَةِ الحسَنَةِ، فقالُوا لهُم: لو وَجَدناه عِندَ أحَدِكُم فما يَكونُ جَزاؤُهُ عندَكُم؟ وكانَ السَّارِقُ في شَريعَةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُدفَعُ إلىٰ المَسروقِ مِنهُ، فأجابُوا بذلِكَ، وهذا هو ما أرادَهُ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بحيلَتِه.

﴿فَبَدَأَ﴾ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ البحثَ ﴿بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ بنيامينَ تَورِيَةً

مِنـه، ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ بنيامِينَ، فعَمِلَ بحُكمِهم علىٰ أنفُسِهم وأخَذَ بنيامِينَ عندَهُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ كَيدًا مَحبوبًا فيه الحِكمَةُ البالِغَةُ، ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ أي: في حُكمِ مَلِكِ مِصرَ، ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ ومِن ذلِكَ رَفعُ اللَّهِ تَعالىٰ ليوسُفَ عليه السلام، ﴿وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ٧٦﴾ [يوسف] ولا أعلَمَ وأحكَمَ مِن اللَّهِ.

فلمَّا حصَلَ ما حصَلَ حاوَلَ إخوَةُ يوسُفَ أن يُخَلِّصوا أخاهُم بِنيامِينَ مِن العَزيزِ، وذكَرُوا ليوسُفَ عليه السلام أنَّ له أبًا كَبيرًا في السِّنِّ يُحِبُّه حُبًّا شَديدًا طَمَعًا مِنهم أن يَعطِفَ عليه، وقالوا له: خُذ أحَدَنا مَكانَه، فأَبَىٰ ذلِكَ وأَخبَرَهُم أنَّه إن فعَلَ ذلِكَ كانَ ظالِمًا لمَن أخَذَه مَكانَ بِنيامِينَ وهو بَريءٌ، ولمَّا يَئِسُوا مِن استِجابَتِه انفَرَدوا عن النَّاسِ وجَعَلوا يتَناجَونَ بينَهُم ليَخرُجوا ممَّا وقَعُوا فيه، وذكَّرَهُم أكبَرُهُم -وهو الَّذي أشارَ بإلقائِهِ في البِئرِ- بالعَهدِ الَّذي أخَذَه عليهم أبوهُم، وأخبَرَهُم أنَّه لن يُفارِقَ مِصرَ حتَّىٰ يَرضَىٰ عنه أبوهُ أو يَشاءَ اللَّهُ تَخليصَ بِنيامِينَ فيَرجِعَ به، وأمَرَهُم أن يَرجِعوا إلىٰ يَعقوبَ عليه السلام ويَصدُقوا معه في حِكايَةِ ما كانَ مِن أمرِ بنيامِينَ، فرَجَعوا إلىٰ أبيهم وأخبَروهُ القِصَّةَ، وأشهَدوا مَن كانَ معهُم في سَفَرِهم ليُصَدِّقوهُم.

فلم يُصَدِّقهُم يَعقوبُ عليه السلام وقالَ كما قالَ لهُم حينَ رَجَعوا دونَ يوسُفَ: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ﴾، ثمَّ دعا اللَّهَ تَعالىٰ: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ﴾ أي: ثلاثَتَهُم، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بِحالي ﴿ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ في أفعالِهِ وقَدَرِه، ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ﴾ أي: أعرَضَ عن بَنيهِ، ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ حيثُ جدَّدَ فَقدُ بنيامِينَ حُزنَهُ علىٰ يوسُفَ مِن قَبلُ، ﴿وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤﴾ ساكِتٌ لا يَشكُوا لأحَدٍ مِن الخَلقِ، فخَشِيَ عليه بَنوهُ إن استَمَرَّ علىٰ تِلكَ الحالِ الهَلاكَ، وذَكَروا له ذلِكَ، فقالَ: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ﴾ وما أنا فيه مِن الهَمِّ ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ وَحدَهُ، ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦﴾ [يوسف] فأَرجو مِنه كُلَّ خيرٍ، ونَدَبَ بَنيهِ أن يَذهَبوا لِيَستَعلِموا عن خَبَرِ يوسُفَ وبِنيامِينَ، ولا ييأسوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ.

عَفْوُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ إِخْوَتِه، وَإِدْخَالُ عَائِلَتِه مِصْرَ:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيۡهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ [يوسف]، ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُوا۟ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ٩٩ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف].

خَرَجَ إخوةُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ مِصرَ يتحسَّسون خبَرَ يوسُفَ وأخيه، ويسألونَ العَزيزَ الميرةَ مرَّةً أُخرىٰ، وكانت قد أصابَتهُم الفاقةُ وقِلَّةُ ذاتِ اليَدِ، ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيۡهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ مِن الجَدبِ والقَحطِ، ﴿وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ﴾ نَبتغي بِها الميرةَ ﴿مُّزۡجَىٰةٖ﴾ أي: رَديئةٍ قليلةٍ، ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾ وأعطِنا بهذه البِضاعةِ الرَّديئةِ ما كُنتَ تُعطينا، ﴿وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ﴾ إمَّا بقَبولِ البِضاعةِ المُزجاةِ مِنَّا، أو بإعطائِنا أخانا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨﴾، فلمَّا رَأىٰ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما هم فيه مِن الجَهدِ والشِّدَّةِ، وتذكَّرَ أباهُ وما أصابَهُ مِن الحُزنِ لفَقدِ ابنَيه، رَقَّ لذلِكَ، وأخذَتهُ الرَّأفةُ والشَّفقةُ عليهم، فأذِنَ اللَّهُ له في أن يُعرِّفَهُم نَفسَهُ، فـ﴿قَالَ﴾ لهُم: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩﴾ [يوسف]؟ فتَعَجَّبوا لذلِكَ، وكيفَ أنَّه عرَفَهُم لسَنَتَين وكتَمَ ذلِكَ عنهم، فأخبرَهُم بما مَنَّ اللَّهُ تَعالىٰ عليه به مِن النِّعَم، ومِن ذلِكَ أنَّه جمَعَ بينَهُ وبينَ أخيهِ بعد فِراقٍ طَويلٍ، وعندَها اعترَفوا له بالفَضلِ، وأنَّهُم أخطَأوا في حَقِّه، فأظهَرَ لهُم العَفوَ، ووعَدَهُم أن لا يَذكُرَ صَنيعَهُم به، وزادَهُم الدُّعاءَ لهُم بالمَغفِرةِ.

ثُمَّ أعطىٰ يوسُفُ قَميصَهُ لإخوَتِه، وأمرَهُم أن يذهَبوا به إلىٰ أبيهِ فيُلقوهُ علىٰ وَجهِه، وأخبرَهُم أنَّه سيَعودُ إليه بصَرُهُ الَّذي كانَ قد ذهَبَ مِن كَثرةِ البُكاءِ علىٰ يوسُفَ وأخيه، وطلَبَ مِنهُم أن يُقدِموا يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكُلَّ بَنيه إلىٰ مِصرَ، فلمَّا

خرَجوا مِن مِصرَ مُتَّجِهينَ إلىٰ الشَّام قالَ يَعقوبُ ﵇ لمَن كانَ عِندَهُ مِن بَنيه: إنِّي أجِدُ ريحَ يوسُفَ، فلم يُصَدِّقوهُ، وقالوا: إنَّكَ لَفي خَطَإكَ القَديم، وما كان يَنبَغي أن يَقولوا له ذلِكَ؛ لأنَّه أبوهُم، ولأنَّه نَبيٌّ مُرسَلٌ، وكانَ الَّذي دخَلَ علىٰ أبيهِ بالقَميصِ يَهوذا، وهو الَّذي جاءَ بالقَميصِ المُلَطَّخِ قَبلُ، فأرادَ أن يمسَحَ هذا بهذا، فلمَّا أَلقَىٰ القَميصَ علىٰ وَجهِ أبيهِ رجَعَ إليه بصَرُه كما أخبرَهُم يوسُفُ ﵇، فعِندَها طلَبَ أولادُ يَعقوبَ ﵇ مِن أبيهِم أن يَستَغفِرَ لهُم، فأرجَأَهُم إلىٰ السَّحَرِ ليَكونَ أَدعىٰ لقَبولِ دُعائِه، ثمَّ رَحَلَ يَعقوبُ ﵇ وجَميعُ بَنيهِ إلىٰ مِصرَ كما طلَبَ مِنهُم يوسُفُ ﵇.

﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ ﴾، واشتَهَرَ عندَ أهلِ السِّيَرِ أنَّ أُمَّه كانَت قد ماتَت عندَ وِلادَةِ بنيامينَ، وأنَّ المَذكورَ هنا خالَتُهُ، وهذا هو ما يَذكُرُه بَنو إسرائيلَ في كُتُبِهم، وظاهِرُ القُرآنِ أنَّها أُمُّه، وأنَّها كانَت حيَّةً، ولا نَنصَرِفُ عن هذا الظَّاهِرِ إلَّا بدَليلٍ صَحيحٍ، ﴿وَقَالَ﴾ يوسُفُ لهُم: ﴿ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ مِن كُلِّ سوءٍ، ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ فأَجلَسَهُما معه علىٰ سَريرِه، ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ﴾ أي: أَبَواهُ وإخوَتُهُ الأحَدَ عشَرَ ﴿سُجَّدٗاۖ ﴾ سُجودَ تَحِيَّةٍ، وكانَ جائِزًا في الشَّرائِعِ الَّتي قَبلَنا، كما سجَدَت الملائِكَةُ لآدَمَ ﵇، ﴿وَقَالَ﴾ يوسُفُ: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ﴾ الَّتي قَصَّها عليه وهو صَغيرٌ، ﴿قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ﴾، ثمَّ ذكَرَ بَعضَ ما أنعَمَ اللَّهُ عليه به، وهذا مِن تَمامِ تَعظيمِ اللَّهِ تَعالىٰ، ومِن تَمامِ شُكرِ النِّعمَةِ بإضافَتِها إلىٰ المُنعِمِ بها، فقالَ ﵇: ﴿وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ﴾ إذا أرادَ شَيئًا قيَّضَ له أسبابَهُ المُوصِلَةَ إليه، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[يوسف].

وَفَاةُ يَعْقُوبَ ﵇ وَخُرُوجُ يُوسُفَ ﵇ بِهِ إِلَى الشَّامِ:

﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾[البقرة].

قِيلَ: إنَّ عُمُرَ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يومَ دخَلَ مِصرَ كانَ مائةً وثلاثينَ سنَةً، وأنَّه لَبِثَ بمِصرَ سبعَ عشرَةَ سنَةً ثمَّ حضَرَتْهُ الوَفاةُ، فأَوصىٰ بَنيه بالتَّوحيدِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ﴾، سألَهم عَلَيْهِ السَّلَامُ سُؤالَ تقريرٍ، فـ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾، ولم يكُن إسماعيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أبًا ليَعقوبَ كما هو مَعلومٌ، وإنَّما هو عَمُّه، وذَكَروه هُنا تَغليبًا، ولأنَّ العَمَّ بمَنزِلَةِ الأَبِ، ﴿إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ لا نُشرِكُ معَه أحدًا، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ [البقرة] مُطيعونَ خاضِعونَ، والإسلامُ هو مِلَّةُ كُلِّ الأَنبياءِ مهما تَنوَّعَت شَرائِعُهُم، قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ**» أي: مِن أَبٍ واحِدٍ، «**أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّىٰ، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»، والمَقصودُ بالأُمَّهاتِ هنا الشَّرائِعُ.

وأَوصَىٰ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُدفَنَ مع أبيهِ إسحاقَ وجَدِّه إبراهيمَ الخَليلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في المَغارَةِ الَّتي بحَبرونَ مِن أرضِ الشَّامِ، فلمَّا ماتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ استَأذَنَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَلِكَ مِصرَ في الخُروجِ، وشَيَّعَه معَه شُيوخُ مِصرَ وأكابِرُها، فدَفَنوه في المَغارَةِ ورَجَعوا إلىٰ مِصرَ، وأقامَ إخوَةُ يوسُفَ بمِصرَ، وأكرَمَهم يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأحسَنَ جِوارَهُم.

وَفَاةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف].

قالَ تَعالىٰ: علىٰ لِسانِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ قِصَّتِهِ في سورَةِ يوسُفَ: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ وهذا اعترافٌ منه عَلَيْهِ السَّلَامُ بما مَنَّ اللَّهُ عليه به مِن المُلكِ وتَعبيرِ الرُّؤىٰ، ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ثَناءٌ علىٰ اللَّهِ تَعالىٰ بما انفرَدَ به مِن الرُّبوبيَّةِ، ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ اعترافٌ باستِحقاقِ اللَّهِ للأُلوهيَّةِ والعِبادَةِ وحدَه لا شَريكَ له، ثمَّ دعا: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف]، وظاهِرُ السِّياقِ أنَّه دعا بهذا الدُّعاءِ

وهو صَحيحٌ، والدُّعاءُ بالمَوتِ في شَريعَتِنا غيرُ جائِزٍ إلَّا لمَن خَشِيَ الفِتنَةَ، قالَ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَق عليه: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»، فإمَّا أنَّ ذلِكَ كانَ جائِزًا في شَريعَتِه، أو أنَّه دعا بذلِكَ لمَّا حضَرَه المَوتُ، أو أنَّه لم يتمَنَّ المَوتَ وإنَّما دعا أن يَموتَ علىٰ الإسلام، قالَ القُرطُبيُّ رَحِمَهُ اللهُ: (وهذا قَولُ الجُمهورِ).

ولمَّا حضَرَ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ المَوتُ أَوصىٰ كما أوصىٰ أَبوهُ مِن قَبلُ أن يُدفَنَ بالشَّامِ عِندَ آبائِه، وقيلَ: إنَّه أَوصىٰ إلىٰ أَخيهِ يَهوذا، فلمَّا ماتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَنَّطوه ووَضَعوه في التَّابوتِ، لكنَّه بَقِيَ بمِصرَ إلىٰ أن أخرَجَهُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدَ سِنينَ طَويلَةٍ كما سَيأتي في قِصَّةِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

تَبْرِئَةُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْهَمِّ بِالْفَاحِشَةِ:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف].

أفضَلُ ما قيلَ في تَفسيرِ: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف]:

١. أنَّ جَوابَ ﴿لَوْلَآ﴾ مُقَدَّمٌ عليها؛ كما قالَ أبو عبيدَةَ رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيرِ ابنِ أبي حاتِمٍ» (١٢/ ٥٧٢): (هذا علىٰ التَّقديمِ والتَّأخيرِ، كأنَّه أرادَ: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ، وَلَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ لَهَمَّ بِهَا)، واختارَه أبو حَيَّانَ وغَيرُه، وعلىٰ قَولِ مَن منعَ ذلِكَ مِنَ النَّحوِيِّينَ يُقالُ: إنَّ جَوابَ ﴿لَوْلَآ﴾ مَحذوفٌ يَدُلُّ عليه ما قبلَه، وعلىٰ الحالَينِ فإنَّه لم يَحصُل مِنه هَمٌّ بالزِّنا -عِياذًا باللَّهِ-؛ لأنَّ اللَّه عَزَّوَجَلَّ أرادَ به الخَيرَ فأراه بُرهانَه.

٢. ذهَبَ الرَّازِيُّ والخازِنُ والنُّعمانِيُّ والنَّيسابورِيُّ وغَيرُهم مِنَ المُفَسِّرين إلىٰ أنَّ المَعنىٰ: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ أي: هَمَّ بدَفعِها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾، فإنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أراهُ البُرهانَ ليُعلِمَه بأنَّه لو دَفَعَها لشَقَّ قَميصَها مِن قُبُلٍ، ولَكانَ ذلِكَ حُجَّةً لها عندَ زَوجِها بأن تَقولَ: دفَعَني

ليُجبِرَني علىٰ الفاحِشَةِ، فلم يَدفَعها يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنَّما أدارَ لها ظَهرَه مُنصَرِفًا عنها، فشَقَّت قَميصَه مِن دُبُرٍ، فكانَ الدَّليلُ عليها.

ويَنبَغي أن يُعلَمَ أنَّه لم يَرِد في القرآنِ ولا في صَحيحِ السُّنَّةِ ما يدُلُّ علىٰ ماهِيَةِ البُرهانِ، ولا علىٰ مَن هو الشَّاهِدُ، ولا علىٰ أنَّ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَمَّ بالفاحِشَةِ، وإن كانَ بَعضُ المُفَسِّرينَ يَذكُرُ ذلِكَ، لكِنَّ المُحَقِّقينَ علىٰ خِلافِه، قالَ ابنُ الجَوزيِّ رَحِمَهُ اللهُ في «زادِ المَسيرِ» (٢/ ٤٢٩): (ولا يَصِحُّ ما يُروىٰ عن المُفسِّرين أنَّه حلَّ السَّراويلَ، وقعَدَ مِنها مَقعَدَ الرَّجُلِ، فإنَّه لو كانَ هذا دلَّ علىٰ العَزمِ، والأنبياءُ مَعصومونَ مِن العَزمِ علىٰ الزِّنا).

ثُمَّ إنَّ هذه الآيَةُ مِنَ المُتَشابِهِ الَّذي اختُلِفَ في تَفسيرِه اختِلافًا كَبيرًا، والقاعِدَةُ أنَّ ما كانَ مِن المُتَشابِهِ فإنَّه يَنبَغي رَدُّه إلىٰ المُحكَمِ الَّذي لا خِلافَ فيه، وممَّا يدُلُّ علىٰ استِحالَةِ وُقوعِ الهَمِّ مِن يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن سِياقِ القِصَّةِ نَفسِها في سورَةِ يوسُفَ:

١. تَبرِئَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقَولِه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾[يوسف]، دلَّ ذلِكَ علىٰ أنَّ ماهِيَةَ السُّوءِ والفَحشاءِ مَصروفَةٌ عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومِن دَلائِلِ هذه الآيَةِ: لامُ التَّأكيدِ والمُبالَغةِ في ﴿لِنَصۡرِفَ﴾، وعَطفُ الفَحشاءِ علىٰ السُّوءِ للتَّأكيدِ، وإثباتُ العُبودِيَّةِ له عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي أعلىٰ مَراتِبِ المَدحِ، ووَصفُه بأنَّه مِن ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ علىٰ المَفعولِيَّةِ، وفي قِراءَةٍ: ﴿ٱلۡمُخۡلِصِينَ﴾ علىٰ الفاعِلِيَّةِ.

٢. تَبرِئَةُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لنَفسِه بقَولِه: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾[يوسف:٢٦]، وقَولِه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾[يوسف:٣٣].

٣. تَبرِئَةُ امرأَةِ العَزيزِ له عَلَيْهِ السَّلَامُ بقَولِها: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾[يوسف].

٤. تَبرِئَةُ الشَّاهِدِ مِن أهلِها له عَلَيْهِ السَّلَامُ بقَولِه: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧﴾[يوسف].

٥. إقرارُ العَزيزِ ببراءَتِه عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولِه: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾[يوسف].

٦. تبرئةُ النِّسوةِ له عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولِهنَّ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾ [يوسف:٥١]، ومُجرَّدُ الهَمِّ لو وَقعَ سوءٌ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

- يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو إسرائيلُ الَّذي يُنسَبُ إليه بَنو إسرائيلَ، فهو أبوهم الأوَّلُ، ومع ذلِكَ فإنَّهم يَفترونَ عليه عدَّةَ افتِراءاتٍ في كُتُبِهم، مِنها أنَّهم زَعَموا أنَّه احتالَ لأَخذِ النُّبوَّةِ والبركَةِ مِن أبيهِ إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لنفسِهِ بدَلًا مِن أخيهِ العيصِ الَّذي كانَ أكبَرَ مِنه سنًّا وأَحَبَّ إلىٰ أبيهِ، وفي هذا قَدحٌ في يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ونِسبَةٌ للجَهلِ الشَّديدِ والغَفلَةِ إلىٰ أبيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفيه تَنَقُّصٌ مِن جَنابِ اللَّهِ تعالىٰ الَّذي قالَ: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾[الأنعام:١٢٤]، وهذا الَّذي وقَعَ مِنهم هُنا قد تكرَّرَ مع كَثيرٍ مِن الأنبياءِ، فصارَ القَدحُ في الأنبياءِ سَجِيَّةً لهُم، ولهذا فإنَّنا كُلَّما قرَأنا في كِتابِ اللَّهِ تعالىٰ وسُنَّةِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكُتُبِ أهلِ العِلمِ المُحقِّقينَ عن قَصَصِ الأنبياءِ ازدَدنا حُبًّا لهُم؛ بخِلافِ الإسرائيليَّاتِ فإنَّها تَزيدُ مَن طالَعَها بُغضًا في الأنبياءِ وبُعدًا عنهُم وعن دينِ اللَّهِ!

- مِن مَناقِبِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه لم يُذكَر كلامُه في مَوضِعٍ مِن مَواضِعِ القُرآنِ إلَّا ويَذكُرُ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فيه، وهذا دليلٌ علىٰ كَثرَةِ ذِكرِهِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ وحُضورِهِ في قَلبِه، ومِن ذلِكَ قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾[البقرة]، وقولُهُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾[يوسف]، وقولُهُ: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾[يوسف].

❍ مِن مَناقِبِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثِقَتُه برَبِّه وحُسنُ ظَنِّه به عَزَّ وَجَلَّ، حيثُ إنَّه فقَدَ أحَبَّ بَنيه إليه يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ أخاه، ومع ذلِكَ ظَلَّ صابِرًا مُحتَسِبًا، وقالَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾[يوسف]، وقالَ كذلِكَ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣﴾ [يوسف].

❍ مِن حِكمَةِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحُسنِ تَدبيرِه أنَّه لمَّا بعَثَ بَنيه إلىٰ مِصرَ في المرَّةِ الثَّانيةِ أمَرَهم أن لا يَدخُلوا مِن بابٍ واحِدٍ فقال: ﴿يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾، وذلِكَ خَوفًا عليهم مِن أن تُصيبَهُم العَينُ لِجمالِهم وحُسنِ هَيئَتِهم، وبيَّنَ لهُم أنَّ ذلِكَ لن يَرُدَّ قضاءَ اللَّهِ إذا جاءَ فالحُكمُ له وَحدَهُ، ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾، وأكَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا المَعنىٰ فقالَ: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ﴾، وبيَّنَ حِكمَةَ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعِلمَه فقالَ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٦٨﴾[يوسف].

❍ قالَ العلَّامةُ السِّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (ومِنها -أي: مِن الفَوائِدِ المُستنبَطَةِ مِن قِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ-: أنَّ استِعمالَ الأسبابِ الدَّافِعَةِ للعَينِ أو غَيرِها مِن المَكارِهِ، أو الرَّافِعَةِ لها بعدَ نُزولِها = غَيرُ مَمنوعٍ؛ بل جائِزٌ، وإن كانَ لا يقَعُ شَيءٌ إلَّا بقَضاءٍ وقَدَرٍ، فإنَّ الأسبابَ أيضًا مِن القَضاءِ والقَدَرِ).

❍ أخرَجَ التِّرمذيُّ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قالَ: «**إنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ**»، ولا يُعلَمُ نَبيٌّ ابنُ نَبيٍّ ابنِ نَبيٍّ ابنِ نبيٍّ غيرُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❍ أفرَدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ سورَةً لقصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسمَّاها باسمِه، وسمَّاها أحسَنَ القَصَصِ، قالَ تعالىٰ في أوَّلِها: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾[يوسف:٣]، ولعلَّ تَسمِيَتَها بأحسَنَ القَصَصِ للأسبابِ الآتِيَةِ:

- أنَّها تحتَوي علىٰ عالَمٍ كامِلٍ مِن العِبَرِ والحِكَمِ الجَليلَةِ، ولهذا قالَ تَعالىٰ في آخِرِ السُّورَةِ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا

كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[يوسف].

- أنَّ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تجاوَزَ عن إخوَتِه وصبَرَ علىٰ ما كانَ مِنهُم مِن أذًىٰ.
- أنَّ فيها ذِكرَ الأنبياءِ، والصَّالِحينَ، والعِفَّةِ، والغِوايَةِ، وسِيَرِ المُلوكِ، والمَمالِكِ، والرِّجالِ، والنِّساءِ، وحِيَلِ النِّساءِ ومَكرِهِنَّ، وفيها ذِكرُ التَّوحيدِ، والفِقهِ، وتَعبيرِ الرُّؤىٰ.
- أنَّ مَآلَ مَن ذُكِرَ فيها مِن أشخاصٍ كانَ إلىٰ السَّعادَةِ والنَّجاحِ.

❍ مِن اللَّطائِفِ أنَّ قِصَّةَ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما ذكَرَه اللهُ تعالىٰ في كِتابِه بدَأَت برُؤياه الَّتي قصَّها علىٰ أبيه، وانتَهَت بتَعبيرِ هذه الرُّؤيا وسُجودِ أبَوَيه وإخوَتِه تحِيَّةً له.

❍ كانَت رُؤيا يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بمَثابَةِ التَّوطِئَةِ لقِصَّتِه الطَّويلَةِ العَظيمَةِ، وهكَذا هي سُنَّةُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في خَلقِه، أنَّه إذا أرادَ أمرًا مِن الأُمورِ العِظامِ قدَّمَ بينَ يَدَيهِ مُقدِّمةً تَوطِئَةً له، وتَسهيلًا لأَمرِه، واستِعدادًا لما يَرِدُ فيه علَىٰ العَبدِ مِن المَشاقِّ، لُطفًا بعَبدِه، وإحسانًا إليه؛ كما حدَثَ مع النَّبيِّ محمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما ذهَبَت به خَديجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إلىٰ ورَقَةَ بنِ نَوفَلٍ.

❍ يتبيَّنُ مِن قِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشروعِيَّةُ تَعبيرِ الرُّؤيا، وأنَّه مِن العُلومِ المُفيدَةِ الَّتي يُيَسِّرُها اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمَن يَشاءُ مِن عِبادِه، إذ كانَ في تَعبيرِ رُؤيا المَلِكِ صَلاحٌ لأهلِ مِصرَ خِلالَ السَّنَواتِ العِجافِ.

❍ لمَّا قصَّ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤياه علىٰ أبيه قالَ له: ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾[يوسف]، ويُستَفادُ مِن هذا مَشروعِيَّةُ كِتمانِ ما تُخشىٰ مَضَرَّتُه، حتَّىٰ ولو كانَ ذلِكَ مِن العِلمِ؛ كما قالَ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**لا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**»، وفي حَديثِ الطَّبرانيِّ: «**اسْتَعِينُوا عَلَىٰ إِنْجَاحِ الْحَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ**».

❍ تَأويلُ الرُّؤيا فيه اجتِهادٌ مِن المُؤَوِّلِ وبِناءٌ للأُمورِ علىٰ المُناسَبَةِ والمُشابَهَةِ في الاسمِ والصِّفَةِ، قالَ السِّعديُّ رَحِمَهُ اللهُ في تَفسيرِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لرُؤيا

صاحِبَيه: (أوَّلَ رُؤيَا الَّذي رَأىٰ أنَّه يَعصِرُ خَمرًا أنَّ الَّذي يَعصِرُ في العادَةِ يكون خادِمًا لغَيرِه، والعَصرُ يُقصَدُ لغَيرِه، فلذلِكَ أوَّلَه بما يَؤولُ إليه، أنَّه يَسقِي ربَّه، وذلِكَ مُتضَمِّنٌ لخُروجِه مِن السِّجنِ، وأوَّلَ الَّذي رَأىٰ أنَّه يحمِلُ فوقَ رَأسِه خُبزًا تأكُلُ الطَّيرُ مِنه بأنَّ جِلدَةَ رَأسِه ولَحمَه وما في ذلِكَ مِن المُخِّ أنَّه هو الَّذي يَحمِلُه، وأنَّه سيَبرُزُ للطُّيورِ، بمَحَلٍ تتمَكَّنُ مِن الأكلِ مِن رَأسِه، فرأىٰ مِن حالِه أنَّه سيُقتَلُ ويُصلَبُ بعدَ مَوتِه فيَبرُزُ للطُّيورِ فتأكُلُ مِن رَأسِه، وذلِكَ لا يَكونُ إلَّا بالصَّلبِ بعدَ القَتلِ).

❍ جاءَ في رُؤيا يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما ذَكَرَهُ بقَولِهِ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾، وتقَدَّمَ أنَّ تَعبيرَها سُجودُ إخوَتِه ووالِدَيه تحِيَّةً له لمَّا أدخَلَهُم مِصرَ، حيثُ إنَّ إخوَتَه هم الكَواكِبُ، وذكَرَ بَعضُ المُفَسِّرينَ أنَّ الشَّمسَ هي أُمُّه وأنَّ القَمَرَ هو أَبوهُ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واستَدَلُّوا لذلِكَ بأنَّ القَمَرَ مُذكَّرٌ والشَّمسَ مُؤَنَّثةٌ، وبما أخرَجَهُ ابنُ حِبَّانَ والطَّبَرانِيُّ والبَيهَقيُّ عن صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّها كانَت نائِمَةً ورأسُها في حَجرِ زَوجِها ابنِ أبي الحُقَيقِ، قالت: «**فَرَأَيْتُ كَأَنَّ قَمَرًا وَقَعَ فِي حَجْرِي، فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ**» فأوَّلَ زَوجُها رُؤياها، قالت: «**فَلَطَمَنِي، وَقَالَ: تَمَنَّيْنَ مَلِكَ يَثْرِبَ؟**» يَقصِدُ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانَت رُؤياها حقًّا.

❍ ممَّا حمَلَ امرَأَةَ العَزيزِ علىٰ مُراوَدَةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن نَفسِه تَوَحُّدُها معه واختِلاؤُها به، ولهذا نهىٰ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن الخَلوَةِ، قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخرَجَه أحمَدُ والتِّرمِذِيُّ وابنُ ماجَه: «**أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ**».

❍ مِن سُنَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الكَونِيَّةِ أنَّ مَن آمَنَ به وأخلَصَ له في عِبادَاتِه ومُعامَلاتِه، فإنَّ اللهَ يدفَعُ عنه مِن أنواعِ السُّوءِ والفَحشاءِ وأسبابِ المَعاصي جَزاءَ ذلِكَ؛ كما في قِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف]، بل ويرفَعُ عنه ما نزَلَ به مِن البَلاءِ؛ كما في قِصَّةِ الثَّلاثَةِ الَّذينَ دخَلوا في الغارِ فسَدَّته عليهم الصَّخرَةُ فدَعَوُا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتَوسَّلوا بأعمالِهم الصَّالِحَةِ ففُرِجَت الصَّخرَةُ، والحَديثُ مُتَّفقٌ عليه.

○ وَصَفَ النِّسوَةُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحُسنِ ظاهِرًا وباطِنًا، فأمَّا الظَّاهِرُ فقولُهم: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١﴾ [يوسف]، وقد قالَ ﷺ كما عندَ مُسلم: «أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ» أي: نِصفَه، وأمَّا الباطِنُ فقولُهم: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [يوسف:٥١].

○ لمَّا تبيَّنَ للنِّسوةِ جَمالُ يوسُفَ الظَّاهرُ، وأُعجِبنَ به قُلنَ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١﴾ [يوسف]، فظهَرَ مِنهُنَّ العُذرُ لامرَأةِ العَزيزِ، وانقطَعَ لَومُهُنَّ لها، ولهذا أرادَت أن تُرِيَهُنَّ جمالَه الباطِنَ بالعِفَّةِ التَّامَّةِ فقالَت مُصرِّحةً: ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾.

○ اختارَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ السِّجنَ علىٰ المَعصِيَةِ، وهكذا ينبَغي لكُلِّ مُسلِمٍ إذا خُيِّرَ بينَ المَعصِيَةِ الموجِبَةِ للعُقوبَةِ الأُخرَوِيَّةِ وبينَ العُقوبَةِ الدُّنيَوِيَّةِ أن يَختارَ العُقوبَةَ العاجِلَةَ.

○ ينبَغي للدَّاعي إلىٰ اللهِ أن يتصَيَّدَ الفُرَصَ في دَعوَتِه كما فعَلَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حينَ سألَه صاحِباهُ في السِّجنِ تَأويلَ رُؤياهما، فإنَّه لمَّا أحَسَّ مِنهما القابِلِيَّةَ للدَّعوةِ طَمأنَهما أنَّه سيَعبُرُ رُؤياهما بقولِه: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾، ثمَّ جعَلَ يدعوهُما إلىٰ التَّوحيدِ مُبتَدِئًا بقولِه: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ٣٧﴾ [يوسف].

○ لمَّا رَأىٰ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ أحَدَ الفَتيَينِ يَنجو أوصاه أن يذكُرَه عند سَيِّدِه، لعلَّ ذلِكَ يَكونُ سببًا لخُروجِه مِن السِّجنِ، فيُستَفادُ مِن هذا جَوازُ الاستِعانَةِ بالغَيرِ لمَن أصابَه كَربٌ، وليسَ ذلِكَ مِن الشَّكوىٰ المَكروهَةِ، وتقدَّمَ أنَّ الفَتىٰ نَسِيَ فلم يذكُره، ثمَّ لمَّا قصَّ المَلِكُ علىٰ النَّاسِ رُؤياهُ وعجَزوا عن تأويلِها تذكَّرَ الفَتىٰ وجاءَ إلىٰ يوسُفَ يستَفتيه في ذلِكَ، فلم يُنكِر عليه يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نِسيانَه إيَّاه، ولم يُعَنِّفه؛ بل أجابَه جَوابًا تامًّا عن سُؤالِه، وهذا مِن تمامِ الإخلاصِ في تَعليمِ النَّاسِ وإرادَةِ الخَيرِ لهم.

○ مِن لُطفِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن عرَضَ المَلِكُ الرُّؤيا علىٰ مَلَإِه قبلُ فعَجَزوا عن تأويلِها قبلَ أن يُؤَوِّلَها يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فإنَّه لو عبرَها ابتِداءً لم

يكُن لها ذلِكَ المَوقِعُ، فلمَّا عجزوا عن تأويلِها زادَ اهتِمامُ المَلِكِ بها، فلمَّا عبرَها يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وقعَت مَوقِعًا عَظيمًا، وهذا نَظيرُ سُؤالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الملائِكَةَ عن الأسماءِ قبلَ سُؤالِه آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلمَّا عجزَت الملائِكَةُ وعلَّمَهم آدمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أسماءَ كلِّ شيءٍ حصَلَ بذلِكَ زِيادَةُ فَضلِهِ، وهو ما أرادَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بيانَه لهم، وكما يَظهَرُ فَضلُ أفضَلِ الخَلقِ مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومَ القِيامَةِ، عندَما يُلهِمُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الخَلقَ أن يستَشفِعوا بآدَمَ، ثمَّ بنوحٍ، ثمَّ بإبراهيمَ، ثمَّ بموسىٰ، ثمَّ بعيسىٰ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فيعتَذِرونَ عنها، ثمَّ يأتونَ محمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقولُ: «**أنا لَها**». مُتَّفَقٌ عليه.

❍ ينبَغي للمُسلِمِ أن يسعىٰ في دَفعِ التُّهمَةِ عن نَفسِه متىٰ قدَرَ علىٰ ذلِكَ، فإنَّ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ امتنَعَ عن الخُروجِ مِن السِّجنِ حتَّىٰ تتبَيَّنَ براءَتُه، وتشهَدَ علىٰ ذلِكَ امرَأةُ العَزيزِ والنِّسوَةُ اللَّاتي قطَّعنَ أيديَهُنَّ، فقالَ للرَّسولِ: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾[يوسف:٥٠].

❍ لمَّا مكَّنَ المَلِكُ ليوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾﴾[يوسف]، ويُستَفادُ مِن هذا جَوازُ طَلَبِ الوِلايَةِ لمَن كان كُفؤًا وعلِمَ أنَّه لا يوجَدُ مَن هو أكفَأُ مِنه، ولا بأسَ حينَئِذٍ مِن ذِكرِ الإنسانِ لفَضائِلِه لما في ذلِكَ مِن المَصلَحَةِ الرَّاجِحَةِ.

❍ لمَّا دخَلَ إخوَةُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه في المرَّتَينِ الأولَيَينِ لم يُعَرِّف نفسَهُ لهُم، واحتالَ لأن يَأخُذَ أخاهُ عندَه، ولم يتعَرَّف إليهم ويُقدِم يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبَنيهِ إلىٰ مِصرَ إلَّا في المرَّةِ الثَّالثَةِ، وذلِكَ ابتِلاءٌ مِن اللهِ تَعالىٰ ليَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والأنبِياءُ أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً، فلمَّا أذِنَ اللهُ ليوسُفَ بيَّنَ لهُم أنَّه أخوهُم وقَبِلَ مِنهُم اعتِذارَهُم، وأقدَمَهُم مِصرَ ليُكرِمَهُم ويُحسِنَ إليهِم.

❍ لمَّا احتالَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ إخوَتِه لم يكذِبْ وإنَّما استَعمَلَ المَعاريضَ، وهذا أمرٌ جائِزٌ ما لم يكُن فيه أكلٌ لحَقِّ الغَيرِ، ولهذا قالَ: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ﴾[يوسف:٧٩]، ولم يقُل: (مَن سرَقَ)، فهو إنَّما أوهَمَهم أنَّه سرَقَ ولم يُصَرِّح بذلِكَ.

❍ يُستَفادُ مِن احتيالِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ إخوَتِه جَوازُ استِعمالِ الحِيَلِ الَّتي يُتوَصَّلُ بها إلىٰ الحُقوقِ المَشروعَةِ، وأمَّا التَّحايُلُ لإسقاطِ واجِبٍ أو فِعلِ

مُحَرَّم فهو تَحايُلٌ مَمنوعٌ، ويُعاقَبُ صاحِبُه بنَقيضِ قَصدِه.

❍ لمَّا رجَعَ إخوَةُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أَبيهم في المرَّةِ الثَّانِيَةِ ذكَروا قاعِدَةً مهمَّةً في بابِ الشَّهادَةِ، وهي قولُهم: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾[يوسف:٨١]، والعِلمُ إنَّما يَحصُلُ بالمُعايَنَةِ أو بخبَرِ الصَّادِقِ، فمَن شَهِدَ بغَيرِ عِلمٍ فقد شَهِدَ علىٰ زورٍ، وأتىٰ كَبيرَةً مِن كَبائِرِ الذُّنوب.

❍ لمَّا بعَثَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنيهِ إلىٰ مِصرَ في المرَّةِ الثَّالِثَةِ قالَ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[يوسف:٨٧]، فبدَأَ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قبلَ أخيهِ مع كَونِه أبعَدَ زَمانًا، وفي ذلِكَ دَليلٌ علىٰ شِدَّةِ حُبِّ يَعقوبَ ليوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وعلىٰ يَقينِه باستِجابَةِ اللهِ تَعالىٰ لدُعائِه، وتَصديقِه لرُؤيا يوسُفَ في صِغَرِه، ولأنَّه إذا رَدَّ اللهُ له يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنَّه يَرُدُّ أخاهُ مِن بابِ أَولىٰ.

❍ قالَ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لبَنيه: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[يوسف:٨٦]، و﴿إِنَّمَآ﴾ تُفيدُ الحَصرَ، أي: لا أَشكو ما بي إلَّا إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وهذا لا يُنافي الصَّبرَ، وأمَّا الشَّكوىٰ لدىٰ المَخلوقينَ فهي ممَّا يُنافي الصَّبرَ، وممَّا ينبَغي الإعراضُ عنه إلَّا عندَ مَن بيَدِه رَفعُ الضُّرِّ.

❍ مِن حِلمِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحُسنِ خُلُقِه أنَّه عفا عن إخوَتِه لمَّا ظهَرَ مِنهُم النَّدَمُ والتَّوبَةُ؛ بل زادَهم الدُّعاءَ ووعَدَهم أن لا يذكُرَ صَنيعَهم ولا يَعيبَهم به، فـ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

❍ لمَّا رفَعَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أبَوَيه علىٰ العَرشِ قالَ مُخاطِبًا أباه: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ الَّتي رأىٰ في صِغَرِه، ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ فوَقَعَ تَصديقُ رُؤياه، ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ ولم يقُل: (مِنَ الْجُبِّ)، ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾[يوسف:١٠٠]، قالَ القُرطُبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تَفسيرِه»: (ولم يقُلْ: مِنَ الْجُبِّ استِعمالًا للكَرَم، لِئَلَّا يُذَكِّرَ إخوَتَه صَنيعَهم بعدَ عَفوِه عنهم بقَولِه: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾[يوسف:٩٢]... وقيلَ: لأنَّ في دُخولِ السِّجنِ كانَ باختِيارِه بقَولِه: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾[يوسف:٣٣]، وكانَ في الجُبِّ بإرادَةِ اللهِ تَعالىٰ له، وقيلَ: لأنَّه كانَ في السِّجنِ مع اللُّصوصِ والعُصاةِ، وفي الجُبِّ مع اللهِ تَعالىٰ، وأيضًا فإنَّ المِنَّةَ في

النَّجاةِ مِن السِّجنِ كانَت أكبَرَ).

❍ اختلَفَ العُلماءُ في نُبُوَّةِ إخوَةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم الأسباطُ، واستَدَلَّ مَن قالَ بنُبُوَّتِهم بقولِه تعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾[النِّساء:١٦٣]، وبأنَّهم كانوا كَواكِبَ نَيِّرَةً يُهتَدىٰ بها في رُؤيا يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأمَّا ما كانَ مِنهم مِن أَذِيَّةٍ ليوسُفَ وأخيه فقد تابوا مِنه تَوبَةً نَصوحًا مَقبولَةً، والتَّوبَةُ تَجُبُّ ما قبلَها مادامَت تحقَّقَت شُروطُها، وهذا هو الَّذي رجَّحه العلَّامَةُ السِّعدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

❍ تكرَّرت لفظَتا (وَلَمَّا) و(فَلَمَّا) كثيرًا في سورَةِ يوسُفَ، والتَّمييزُ بينَهما مِن وَجهَين:

- **الأوَّلُ**: ورَدَ لفظُ (وَلَمَّا) في ستَّةِ مَواضِعَ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ﴾، ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ﴾، ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ﴾، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾، ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾، ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾، وأمَّا باقي المَواضِعِ فجاءَت (فَلَمَّا).
- **الثَّاني**: (الفاءُ) تُفيدُ التَّرتيبَ والتَّعقيبَ بينَما (الواوُ) تُفيدُ مُطلَقَ الجَمعِ، فمثلًا لو تأمَّلنا في قَولِه: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾[يوسف] نجِدُ أنَّ الفاءَ هي المُناسِبَةُ؛ لأنَّ ذَهابَهم بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ بعدَ قَولِهم بفاصِلٍ زَمَنِيٍّ قَصيرٍ.

❍ يَذكُرُ كَثيرٌ مِن النَّاسِ في قِصَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمورًا لم تَرِد في الكِتابِ ولا في السُّنَّةِ، فليَنتَبِه مَن أرادَ أن يُكمِلَ القِصَّةَ أو يُحَسِّنَها بما يُذكَرُ في الإسرائيليَّاتِ الَّتي لا يُعرَفُ لها سَنَدٌ ولا ناقِلٌ وأغلَبُها كَذِبٌ= أنَّه مُستَدرِكٌ علىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومُكَمِّلٌ لشَيءٍ يزعُمُ أنَّه ناقِصٌ، وحَسبُكَ بأمرٍ يَنتَهي إلىٰ هذا الحَدِّ قُبحًا، فإنَّ تَفاصِيلَ هذه السُّورَةِ قد مُلِئَت في كَثيرٍ مِن التَّفاسيرِ بالأكاذيبِ والأُمورِ الشَّنيعَةِ المُناقِضَةِ لِما قَصَّه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

❍ مِن اللَّطائِفِ أنَّ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لُقِّبَ بالصِّدِّيقِ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦]، وكذلِكَ مَريَمُ بنتُ عِمرانَ لُقِّبَت بالصِّدِّيقَةِ: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾

[المائدة:٧٥]، وكذلكَ أُمُّ المُؤمِنينَ عائِشَةُ بِنتُ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما لُقِّبَت بالصِّدِّيقَةِ بِنتِ الصِّدِّيقِ؛ كما جاءَ في مُسنَدِ أحمَدَ عن مَسروقٍ رَحِمَهُ اللهُ: (حَدَّثَتْني الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللهِ الْمُبَرَّأَةُ)، ويَجمَعُ هَؤلاءِ الثَّلاثَةَ أنَّهم اتُّهِموا بالفاحِشَةِ كذِبًا وبُهتانًا، فبرَّأَهم اللهُ ممَّا اتُّهِموا به ورفَعَ ذِكرَهم بينَ النَّاسِ.

- وُصِفَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالإحسانِ في خمسَةِ مَواضِعَ مِن سورَةِ يوسُفَ:

١. قَولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾.

٢. قَولُ صاحِبَيه في السِّجنِ: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾.

٣. قَولُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾.

٤. قَولُ إخوَتِه: ﴿فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٧٨﴾.

٥. قَولُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفسِه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ يَعْقُوبَ وَيُوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] الأسباطُ: ❍ أبناءُ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ أبناءُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الاثنا عشَرَ وذُرِّيَّتُهم.

[٢] كم عددُ إخوَةِ يوسُفَ؟ ❍ ٥. ❍ ١٠. ❍ ١١.

[٣] ما اسمُ أبي يوسُفَ؟ ❍ إبراهيمُ. ❍ إسحاقُ. ❍ يَعقوبُ.

[٤] رَأىٰ يوسُفُ أحَدَ عشَرَ كوكبًا والشَّمسَ والقَمرَ له ساجِدينَ، فمَن الشَّمسُ والقَمرُ؟ ❍ أخوهُ وأُختُهُ. ❍ أبوهُ يَعقوبُ وأُمُّهُ. ❍ زَوجَتُهُ وابنُهُ.

[٥] مَن الَّذي أخرَجَ يوسُفَ مِن البِئرِ؟ ❍ عَزيزُ مِصرَ. ❍ امرَأَةُ العَزيزِ. ❍ سَيَّارَةٌ أرادُوا الاستِقاءَ مِن البئرِ.

[٦] ذهَبَ يوسُفُ بعدما خرَجَ مِن البئرِ إلىٰ: ❍ مِصرَ. ❍ القُدسِ. ❍ اليَمَنِ.

[٧] النَّبيُّ الَّذي أُفرِدَت سورَةٌ لِقصَّتِهِ: ❍ موسَىٰ. ❍ يوسُفُ. ❍ مُحمَّدٌ.

[٨] المَرأةُ الَّتي راوَدَتْ يوسُفَ عن نَفسِهِ هي: ❍ زَوجَةُ مِلكِ الشَّامِ. ❍ زُلَيخَةُ امرأَةُ العَزيزِ.

[٩] رجَعَ بصَرُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا ألقَىٰ عليه البَشيرُ قَميصَ يوسُفَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] هل كانَ إخوَةُ يوسُفَ أنبياءَ؟ ❍ نعم. ❍ لا. ❍ قَولان لأهلِ العِلمِ.

[١١] سببُ عَداوَةِ إخوَةِ يوسُفَ لهُ: ❍ الغَيرةُ. ❍ الحسَدُ. ❍ كلاهُما.

[١٢] النَّبيُّ الَّذي أُلقِيَ في السِّجنِ: ❍ موسَىٰ. ❍ يوسُفُ. ❍ شُعيبٌ.

[١٣] خافَ يَعقوبُ علىٰ يوسُفَ مِن: ❍ الأسَدِ. ❍ الكَلبِ. ❍ الذِّئبِ.

[١٤] آذىٰ إخوَةُ يوسُفَ أخاهُم بأن: ❍ ألقَوهُ في البِئرِ. ❍ ضَرَبوهُ. ❍ باعوهُ.

[١٥] سبَبُ خُروجِ يوسُفَ مِن السِّجنِ: ❍ طَلَبُهُ ذلِكَ مِن المَلِكِ. ❍ تَفسيرُهُ لرُؤيا المَلِكِ.

[١٦] النَّبيُّ الَّذي كانَ في السَّماءِ الثَّالثَةِ في حَديثِ المِعراجِ: ❍ موسَىٰ. ❍ إبراهيمُ. ❍ يوسُفُ.

[١٧] هو النَّبيُّ المُلقَّبُ بالصِّدِّيقِ هو: ❍ إسحاقُ. ❍ إبراهيمُ. ❍ يوسُفُ.

[١٨] نبيٌّ نُقِلَ بعدَ مَوتِهِ مِن مِصرَ إلىٰ فِلِسطينَ: ❍ يَعقوبُ. ❍ يوسُفُ. ❍ موسَىٰ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني.

[١٩] نبيٌّ يُلقَّبُ بأبي اليَهودِ: ❍ إسحاقُ. ❍ إبراهيمُ. ❍ يَعقوبُ.

[٢٠] لَقَبُ النَّبيِّ يَعقوبَ: ❍ الصِّدِّيقُ. ❍ خَطيبُ الأنبياءِ. ❍ إسرائيلُ.

[٢١] يَعقوبُ عليه السلام أبوه (❍ إسحاقُ ❍ إسماعيلُ)، وبُشِّرَ به (❍ إسحاقُ ❍ إبراهيمُ)، ووُلِدَ في حياةِ إبراهيمَ وزَوجَتِهِ سارَّةَ.

[٢٢] أفضَلُ أولادِ يَعقوبَ هو يوسُفُ عليهما السلام: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٣] ممَّا وُصِفَ به يَعقوبُ عليه السلام: ❍ التَّوكُّلُ. ❍ العِلمُ. ❍ مِن ذُرِّيَّتِهِ الأنبياءُ. ❍ النُّصحُ لبَنيهِ عندَ المَوتِ. ❍ تأويلُ الرُّؤيا. ❍ أتَمَّ اللَّهُ علىٰ آلِهِ النِّعمَةَ. ❍ التَّعلُّقُ باللَّهِ وعدَمُ اليَأسِ. ❍ الجَميعُ. ❍ الجَميعُ إلَّا تعبيرُ الرُّؤيا.

[٢٤] لُقِّبَ يوسُفُ عليه السلام بـ: ❍ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ بنِ الكَريمِ. ❍ الصِّدِّيقِ. ❍ الجميعِ.

[٢٥] بُعِثَ يوسُفُ عليه السلام إلىٰ أهلِ مِصرَ الأقباطِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٦] ممَّا وُصِفَ به يوسُفُ عليه السلام: ❍ اجتباهُ اللَّهُ. ❍ علَّمَه تأويلَ الرُّؤىٰ. ❍ أتَمَّ نِعمَتَه عليه. ❍ التَّمكينُ. ❍ الحُكمُ والعِلمُ والإحسانُ. ❍ مُخلَصٌ. ❍ أوتِيَ شَطرَ الحُسنِ. ❍ مُستجابُ الدَّعوَةِ. ❍ الصِّدقُ. ❍ الحِفظُ. ❍ الكَيدُ. ❍ المُلكُ. ❍ الجَميعُ.

[٢٧] ذُكِرَت قِصَّةُ يوسُفَ عليه السلام مُطوَّلَةً في سورَةٍ سمَّاها اللهُ عز وجل (❍ أحسَنَ ❍ أصدَقَ) القَصَصِ.

[٢٨] قِصَّةُ يوسُفَ عليه السلام هي أطوَلُ قِصَّةٍ وردَت في سورَةٍ واحدَةٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٩] قِصَّةُ يوسُفَ عليه السلام لم تَرِدْ في القرآنِ إلَّا مرَّةً واحِدَةً: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٠] بدَأت قِصَّةُ يوسُفَ عليه السلام برُؤيا وانتَهَت بوُقوعِها كما: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣١] لم يَأتِ في سورَةِ يوسُفَ عليه السلام إلَّا قِصَّتُه؛ كما لم يَرِد في سورَةِ نوحٍ عليه السلام إلَّا قِصَّتُه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٢] ذكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سورَةِ يوسُفَ أنَّه يقُصُّ علىٰ رَسولِه ﷺ في هذا الكِتابِ أحسَنَ القَصَصِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٣] ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ أي: لـ: ❍ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ إسحاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٣٤] أوَّلَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُؤيا يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ الشَّمسَ: (❍ أبوه ❍ أمُّه)، وأنَّ القمَرَ: (❍ أبوه ❍ أمُّه)، وأنَّ الكَواكِبَ: (❍ إخوَتُه ❍ عَشيرَتُه)، وأنَّه ستَنتَقِلُ به الأحوالُ إلىٰ أن يَصيرَ إلىٰ حالٍ يَخضَعونَ له فيه (❍ صح ❍ خطأ)، وأنَّ هذه النِّعمَةَ (❍ خاصَّةٌ بيوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ❍ ستشمَلُ آلَ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ).

[٣٥] مَعنىٰ قَولِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾: ❍ بأن يُؤتِيَكَ في الدُّنيا حسَنَةً. ❍ بأن يُؤتِيَكَ في الآخِرَةِ حسَنَةً. ❍ الجَميع.

[٣٦] لمَّا قالَ يَعقوبُ ليوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف:٥]: ❍ امتَثَلَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. ❍ لم يَمتَثِل.

[٣٧] قالَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لبَنيه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾، (أي: زيَّنَت لكُم أنفُسُكُم أمرًا قَبيحًا في التَّفريقِ بَيني وبَينَه)؛ لأنَّه رأىٰ مِن (❍ القَرائِنِ والأحوالِ ❍ رُؤيا يوسُفَ الَّتي قصَّها عليه ❍ الجَميع) ما دلَّه علىٰ ما قالَه.

[٣٨] جاءَ في كُلِّ مَوضِعٍ ذُكِرَ فيه يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورَةِ يوسُفَ ذِكرُه للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتَعَلُّقُه به وَحدَه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣٩] قَولُ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أي: صَبرًا سالِمًا مِن: ❍ السَّخَطِ. ❍ التَّشَكِّي إلىٰ الخَلقِ. ❍ الجَميع.

[٤٠] أكثَرُ ما وُصِفَ به يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ الإحسانُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤١] قَولُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾، قصَدَ أن يدعُوَهما إلىٰ الإيمانِ في هذه الحالِ الَّتي بدَت حاجَتُهما إليه، ليَكونَ أنجَعَ لدَعوَتِه، وأقبَلَ لهُما: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٢] لمَّا دخَلَت السِّنونَ المُجدِبَةُ، وسَرىٰ الجَدبُ حتَّىٰ وصَلَ إلىٰ فِلِسطينَ الَّتي يُقيمُ فيها يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبَنوه، أرسَلَ يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَنيه لأجلِ المِيرَةِ إلىٰ مِصرَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٣] ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾، هـذه المِحنَـةُ العَظيمَـةُ أعظَـمُ علـىٰ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِـن مِحنَةِ إخوَتِـه (❍ صح ❍ خطـأ)، وصَبرُه عليهـا أعظَمُ أجرًا (❍ صـح ❍ خطـأ)؛ لأنَّه صَـبرُ (❍ اختِيـارٍ ❍ اضطِرارٍ) مع وُجـودِ الدَّواعي الكَثيـرَةِ لوُقـوعِ الفِعـل، فقَـدَّمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَحبَّـةَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليهـا، وأمَّـا مِحنَتُـه بإخوَتِـه فصَـبرُه عليها صَـبرُ (❍ اختيـارٍ ❍ اضطِرارٍ).

[٤٤] قَـولُ يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَـن ظَـنَّ نَجاتَـه: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ مِن بابِ الأَخـذِ بالأسـبابِ: ❍ صـح. ❍ خطـأ.

[٤٥] لمَّـا قالَتِ امرَأَةِ العَزيـز: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، يَحتَمِلُ أنَّها أرادَت: ❍ زَوجَهـا، أي: ليَعلَـمَ زَوجُهـا أنَّه لم يَحصُل مِنها سِـوىٰ المُراوَدَةُ، ولـم تُفسِـد عليـه فِراشَـه. ❍ يُوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أي: حيـنَ أقَرَّت أنَّهـا هي الَّتـي راوَدَته، وأنَّه صـادِقٌ، فلـم تَخُنه في حـالِ غَيبَتِه عنهـا. ❍ الجَميع.

[٤٦] قولُ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ (❍ ليسَ فيه ❍ فيه) حِرصُه عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ الوِلايَةِ، وإنَّما هو رَغبَةٌ مِنه في النَّفعِ (❍ العامِّ ❍ الخاصِّ).

[٤٧] كُلُّ مَـن عـرَفَ مِن نَفسِـه الكَفاءَةَ والأمانَـةَ والحِفظَ (❍ فلَـه ❍ ليسَ له) أن يتقَـدَّمَ للمَناصِبِ.

[٤٨] قالَ يوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفتيانِه: ﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾، ولـم يُخبِر إخوَتَه بها: ❍ خشـيَةَ أن يتَحَرَّجـوا مِـن أخذِهـا. ❍ ليُبَيِّـنَ لهم إحسـانَه إليهـم بكَيلِه لهم كَيـلًا وافِيًـا بغَيـرِ ثَمَـنٍ. ❍ خشـيَةَ ألَّا يَجِـدوا الثَّمَنَ فـي العامِ القابِـلِ فيَكونَ ذلِـكَ سـببًا لعَـدَمِ قُدومِهم عليـه. ❍ الجَميع.

[٤٩] امتنَـعَ يوسُـفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِـن الخُـروجِ مِن السِّـجن أوَّلَ مـرَّةٍ: ❍ حتَّىٰ تتبَيَّنَ براءَتُـه التَّامَّـةُ. ❍ لصَبـرِه، وعقلِه، ورَأيِه التَّـامِّ. ❍ الجَميع.

[٥٠] مَعنـىٰ: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ﴾: ❍ خرَجَـت مِـن أَرضِ مِصـرَ مُقبِلَةً إلىٰ أَرضِ فِلسـطينَ. ❍ دخَلَت أرضَ فِلسـطينَ.

[٥١] مَعنـىٰ: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾: (❍ أَدِمْ علَـيَّ الإسـلامَ ❍ ثَبِّتْـني عليـه حتَّـىٰ تتَوَفَّـاني عليـه ❍ الجَميـع)، وهو (❍ مِن بـابِ ❍ ليسَ مِن بابِ) استِعجالِ المَوتِ.

[٥٢] مَعنىٰ قَولِ يَعقوبَ عليه السلام: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: ❍ أنَّ اللَّهَ عز وجل يَرُدُّهم عليه، ويُقِرُّ عَينَيه بالاجتِماعِ بهم. ❍ أنَّ الأمرَ إذا ضاقَ اتَّسَعَ. ❍ أنَّ مع العُسرِ يُسرًا. ❍ الفألُ الحسَنُ. ❍ حُسنُ الظَّنِّ باللَّهِ. ❍ أنَّ اللَّه يَأتي بالبَعيدِ قبلَ القَريبِ، ولهذا قالَ: ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾. ❍ الجَميع.

[٥٣] لماذا تأخَّرَ إبلاغُ يوسُفَ عليه السلام لإخوَتِه عن نَفسِه إلىٰ المرَّةِ الثَّالِثةِ الَّتي يقدَمون فيها عليه؟ ❍ امتِثالًا لأمرِ اللَّهِ عز وجل. ❍ ليَتحَقَّقَ ابتِلاءُ يَعقوبَ عليه السلام بفَقدِ ابنَيه الآخَرينِ. ❍ ليَكونَ في إبلاغِه لهم وَقعٌ كَبيرٌ عليهم؛ لما أرادَ اللَّهُ بهم مِنَ الخَيرِ. ❍ الجَميع.

[٥٤] قَولُ امرَأةِ العَزيزِ: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا﴾ فيه: ❍ تَبرِئةٌ لها. ❍ تَبرِئةٌ ليوسُفَ عليه السلام مِنَ الفِعلِ. ❍ كلاهما صَحيحٌ.

[٥٥] ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ هذا القَولُ مِنهنَّ: ❍ مَكرٌ يتَوَصَّلنَ به إلىٰ رُؤيَةِ يوسُفَ عليه السلام. ❍ قَصَدنَ به مُجرَّدَ اللَّومِ لها والقَدحِ فيها.

[٥٦] اختَرْ مِنَ القائمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِنَ اليُسرىٰ:

﴿أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾:	تَرهيبٌ لهم إن لم يأتوا بأخيهم.
﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ﴾:	أي: الثَّمَنَ الَّذي اشتَروا به الميرَةَ مِن يوسُفَ عليه السلام.
﴿ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ﴾:	تَرغيبٌ لهم في الإتيانِ بأخيهم.

[٥٧] قَولُ النِّسوَةِ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾ فيه (❍ جَمالُ الظَّاهِرِ ❍ جَمالُ الباطِنِ)، وقَولُهُنَّ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾ فيه (❍ جَمالُ الظَّاهِرِ ❍ جَمالُ الباطِنِ).

[٥٨] يُعرَفُ يوسُفُ عليه السلام بـ: ❍ الصِّدِّيقِ. ❍ العَزيزِ. ❍ الكَريمِ. ❍ الأوَّلِ والثَّاني فقط. ❍ الجَميع.

[٥٩] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾:	أي: مُتَتابِعاتٍ.
﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾:	لا نُعَبِّرُ إلَّا الرُّؤيا، وأمَّا الأَحلامُ الَّتي مِن الشَّيطانِ أو مِن حَديثِ النَّفسِ فَلا نُعَبِّرُها.
﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾:	لم يُعنِّفه يوسُفُ علىٰ نِسيانِه.
﴿تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا﴾:	أي: تَمنَعونَه مِن التَّقديمِ لهُنَّ.
﴿فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾:	أي: لا قَليلًا ولا كَثيرًا.
﴿إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾:	لم يَأتِ هذا مُصَرَّحًا به في رُؤيا المَلِكِ.
﴿عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾:	هذا جَزمٌ مِنهم بما لا يَعلَمونَ، وتَعذُّرٌ مِنهم.
﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾:	لأَنَّه أَبقىٰ له وأَبعَدُ مِن الالتِفاتِ إليه.
﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾:	أي: أجعَلُه خَصيصَةً لي، ومُقرَّبًا لدَيَّ.
﴿ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾:	أي: مُتَمَكِّنٌ، أمينٌ علىٰ الأَسرارِ.
﴿مَكِينٌ أَمِينٞ﴾:	أي: تمَحَّضَ وتبَيَّنَ.

[٦٠] اخترَ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

﴿وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم﴾:	أي: كَفيلٌ.
﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾:	لم يَقولوا: لم نَسرِقْ.
﴿وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ﴾:	لم يَقُل: وجَدَها، أو سرَقَها.
﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾:	
﴿جَزَٰٓؤُهُۥ﴾:	قَدِموا عليهم؛ لإبعادِ التُّهمَةِ.
﴿ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ﴾:	لأنَّهما ليسا شَقيقَين لهُما.
﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ﴾:	لم يَقولوا: ما الَّذي سَرَقنا؟
﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾:	لم يُفرِّق بينَهم، ولم ينسَ الأكبَرَ.
﴿أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾:	لم يَقولوا :إنَّ أخانا سرَقَ.
﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾:	بأن يتمَلَّكَه صاحِبُ السَّرِقَةِ.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾:	لم يقُل: نعم.
﴿قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ﴾:	لم يقُل: مِن الجُبِّ.
﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ﴾:	لم يقُل: نزَغَ الشَّيطانُ إخوَتي.
﴿إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾:	لم يقُل: مِن الجوعِ والنَّصَبِ.
﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾:	ولم يقُل: بِنا، أو بِكُم.
﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾:	كأنَّ الذَّنبَ صدَرَ مِن الطَّرَفَينِ.
﴿بَيْنِى﴾:	ولم يَقولوا: المُصَّدِّقينَ.
﴿وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾:	بدَأَ بنَفسِه ولم يُقَدِّمهُم أو يُفرِدهم.

نَبِيَّا اللهِ أَيُّوبُ وَذُو الكِفْلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ	أصلُه:	مِن ذُرِّيَّةِ العيص بن إسحاق، وليس مِن بَني إسرائيلَ.
	قَومُه:	بعَثَهُ اللهُ إلىٰ **أهلِ حورانَ**، وتقعُ جَنوبَ الشَّامِ.
	ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١] ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾[ص:٤١]. [٢-٣] ﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ٤٤﴾[ص]. [٤]﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾[الأنبياء:٨٤].
	ذِكرُه:	ذُكِرَ أيُّوبُ في القرآنِ **٤ مرَّاتٍ**.
	آيتُه:	أنَّهُ دعا اللهَ أن يكشِفَ عنه الضُّرَّ فأُوحِيَ إليه أن ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ٤٢﴾[ص].
ذو الكِفل عَلَيْهِ السَّلَامُ	أبُوهُ:	قيلَ: هو ابنُ النَّبيِّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيلَ غيرُ ذلِكَ.
	ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١-٢] ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٦﴾[الأنبياء]. [٣] ﴿وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٨﴾[ص].
	ذِكرُه:	ذُكِرَ ذو الكِفل في القرآنِ **مرَّتينِ**، ولم تُذكَر قِصَّتُه.
	مُختَصَرُ قِصَّتِه:	قيلَ: إنَّهُ تكفَّلَ لبَني قَومِهِ أن يَكفِيَهُم أمرَهُم، وأن يَقضِيَ بينهُم بالعَدلِ، فسُمِّيَ ذا الكِفل. وقيلَ: إنَّه كانَ مِن أنبياءِ بَني إسرائيلَ، استَخلَفَهُ اليَسَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ النَّاسِ بعدَهُ.

قصَّةُ نَبِيِّ اللهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرةً:

نَسَبُهُ وَمَكَانَتُهُ:

اسمُهُ أَيُّوبُ بْنُ موص، والمَشهورُ أنَّه مِن ذُرِّيَّةِ العيص بن إسحاقَ بن إبراهيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وقيلَ: إنَّ امرَأتَه هي لِيَا بنتُ مَنسا بنِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واتَّفَقَ أهلُ السِّيَرِ علىٰ أنَّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ بأرضِ حورانَ، وأنَّه كانَ ذا مالٍ كَثيرٍ، وأنَّه أُوتِيَ مِن الأنعامِ والعَبيدِ والأراضي، وكانَ له أولادٌ وأَهلونَ كَثيرٌ.

ابْتِلَاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ:

شاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يَبتَلِيَ عَبدَه أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بدَنِه وأهلِه، ولعَلَّ ذلِكَ لِما سبَقَ في عِلمِه مِن شَديدِ صَبرِه وقُوَّةِ تَوكُّلِه علىٰ رَبِّه عَزَّ وَجَلَّ؛ ليَكونَ البَلاءُ رِفعَةً له في الدَّرَجاتِ، وقد قال نَبيُّنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما أخرَجَه أحمَدُ: «**إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، وللتِّرمذيِّ وابنِ ماجه: «**يُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَىٰ حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّىٰ يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**».

وذَكَروا أنَّ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أُصيبَ بأنواعِ المَرَضِ في بَدَنِه حتَّىٰ لم يبقَ مِنه عضوٌ سليمٌ سِوىٰ قَلبِه ولِسانِه، فكانَ صابِرًا مُحتَسِبًا، ذاكِرًا للَّه تعالىٰ بقَلبِه ولِسانِه، وقيلَ: إنَّ ممَّا أُصيبَ به مَرَضَ الجُدَرِيِّ، وطالَ به المَرَضُ حتَّىٰ عافَهُ النَّاسُ، وقد ثبَتَ عند ابنِ حِبَّانَ والحاكِمِ مِن حَديث أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً**»، وقيلَ: إنَّه لمَّا ذهَبَ مالُهُ ولم يَعُد عِندَه ما يُنفِقُ منه صارَتِ امرأتُه تخدِمُ النَّاسَ، وكانَ النَّاسُ يَتحاشَونَها خَوفًا مِن أن تنقُلَ إليهم ما أصابَ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيلَ: إنَّه وصَلَ بها الحالُ إلىٰ أن باعَت ضَفيرَتَيها لامرَأةٍ مِن الأشرافِ بالطَّعامِ، فلمَّا عَلِمَ أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلِكَ غَضِبَ.

سُؤَالُه اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ الْبَلَاءَ:

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ۝٤١﴾[ص]، ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾[الأنبياء].

ذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أنَّ أيُّوبَ كانَ صابرًا علىٰ بَلائِهِ، وأنَّه لم يشأْ أن يسأَلَ اللَّهَ رَفعَه، وفي حَديثِ أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المُتَقَدِّم: «**إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ، إِلَّا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: تَعْلَمُ وَاللَّهِ لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: مُنْذُ ثَمَانَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللَّهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ**»، ولا شكَّ أنَّ هذا مِن تَسويلِ الشَّيطانِ وتَلبيسِه، وإلَّا فقد تقدَّم أنَّ الأنبياءَ -وهم أفضَلُ البَشَرِ وأتقاهُم للَّهِ- هم أشَدُّ النَّاسِ بَلاءً، «**فَلَمَّا رَاحَ إِلَيْهِ لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّىٰ ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ: لَا أَدْرِي مَا تَقُولُ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ عَلَىٰ الرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ فَيَذْكُرَانِ اللَّهَ، فَأَرْجِعُ إِلَىٰ بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللَّهُ إِلَّا فِي حَقٍّ**»، فسُبحانَ اللَّهِ، أيُّ تَقوىٰ هذه؟!

فلَمَّا اشتَدَّ علىٰ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ البَلاءُ دعا ربَّهُ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾ فذكَرَهُ بمَرتبَةِ العُبوديَّةِ، وهي أعلىٰ مَرتبَةٍ يَبلُغُها البَشَرُ، ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ﴾ أي: تَعَبٍ ومَشقَّةٍ، ﴿وَعَذَابٍ ۝٤١﴾[ص] في البَدَنِ والمالِ، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٨٣﴾[الأنبياء].

اسْتِجَابَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لِدُعَائِه:

﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ۝٤٢ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٤٣﴾[ص]، ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ۝٨٤﴾[الأنبياء].

لمَّا دعا أيُّوبُ اللَّهَ تَعالىٰ أن يَرفَعَ عنه البَلاءَ استَجابَ اللَّهُ دُعاءَهُ، جاءَ في حَديثِ أنسٍ رضي الله عنه المُتقدِّمِ: «**وَكَانَ يَخْرُجُ إِلَىٰ حَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَىٰ حَاجَتَهُ أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ أَيُّوبَ فِي مَكَانِهِ**: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾[ص]» أي: اضرِب برِجلِكَ الأرضَ يُخرِجِ اللَّهُ عَينًا بارِدَةً مِن الماءِ، فاغتَسِل مِنها واشرَب، فلمَّا فعَلَ ذلِكَ ذهَبَ ما به مِن البَلاءِ، «**فَاسْتَبْطَأَتْهُ**» لمَّا تأخَّرَ عنها «**فَبَلَغَتْهُ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلَاءِ، فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ**» لم تَعرِفهُ، فـ«**قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ هَذَا الْمُبْتَلَىٰ؟ وَاللَّهِ عَلَىٰ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا! قَالَ: فَإِنِّي أَنَا هُوَ**»، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ وذلِكَ أنَّهُم كانوا قد ماتوا فأحياهُم اللَّهُ جَميعًا، وزادَهُ ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾، وهذه سُنَّةُ اللَّهِ تَعالىٰ مع مَن دَعاهُ فأخلَصَ الدُّعاءَ، فإنَّه يَستَجيبُ له بإعطائِه ما سأَلَ ويَزيدُه ما شاءَ مِن فضلِه، ولهذا قالَ: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ علىٰ صَبرِهِ وثَباتِهِ، ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾[الأنبياء] مِن ذَوِي العُقولِ ليَعلَموا أنَّ عاقِبَةَ الصَّبرِ الفرَجُ، وأنَّ اللَّهَ ذو فَضلٍ واسعٍ.

وفي الحَديثِ أنَّه: «**كَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ**»، والأندَرُ هو ما تُحفَظُ فيه الحُبوبُ، «**أَنْدَرُ الْقَمْحِ، وَأَنْدَرُ الشَّعِيرِ، فَبَعَثَ اللَّهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ أَنْدَرِ الْقَمْحِ، أَفْرَغَتْ فِيهِ الذَّهَبَ حَتَّىٰ فَاضَتْ، وَأَفْرَغَتِ الْأُخْرَىٰ عَلَىٰ أَنْدَرِ الشَّعِيرِ الْوَرِقَ**» أي: الفِضَّةَ «**حَتَّىٰ فَاضَتْ**».

كَفَّارَةُ يَمِينِه:

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾[ص].

وكانَ مِن أَمرِ أيُّوبَ عليه السلام أنَّه غَضِبَ مِن امرَأَتِه يومًا في مُدَّةِ مَرَضِه فحلَفَ إن شَفاهُ اللَّهُ تَعالىٰ أن يضرِبَها مائةَ جَلدَةٍ، فلمَّا شَفاهُ اللَّهُ عز وجل لم

يُـرِد أن يُجازِيَهـا علـىٰ خِدمَتِهـا لـه وصَبرِها معـه تِلكَ السِّـنينَ الطَّويلـةَ بجَلدِها مائـةَ جَلـدَةٍ، فـأرادَ اللَّـهُ عَزَّوَجَلَّ أن يُكفِّـرَ عنـه ويَجعَـلَ لـه مَخرَجًا، فأوحـىٰ إليه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ أي: شِـمراخًا فيه مائةُ قَضيـبٍ، ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ ضَربَةً واحِدَةً، فتبَـرَّ بيَمينِـكَ ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾، وهـذا جَزاءُ مَـن اتَّقـىٰ وأنـابَ، ولذلِكَ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾[ص] رَجَّـاعٌ مُنيـبٌ إلـىٰ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

قِصَّةٌ أُخْرَى لِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أخـرَجَ البُخـاريُّ عن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـالَ: «**بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِـلُ عُرْيَانًـا، فَخَـرَّ عَلَيْـهِ جَرَادٌ مِـنْ ذَهَـبٍ**»، واللَّهُ أعلَـمُ هل كانَ جَرادًا حيًّـا أم جامِدًا، «**فَجَعَـلَ أَيُّـوبُ يَحْتَثِـي فِـي ثَوْبِـهِ**» أي: يأخُـذُ بيَـدِه ويَرمـي فـي ثَوبـه يَجمَعُـه، «**فَنَـادَاهُ رَبُّـهُ: يَـا أَيُّـوبُ**» إمَّا مُباشَـرَةً أو بواسِـطَةِ مَلَـكٍ، «**أَلَمْ أَكُـنْ أَغْنَيْتُـكَ عَمَّا تَـرَىٰ**» مِـن الجَـرادِ؟ وليسَ هـذا مُعاتَبَةً لـه، وإنَّما هو استِنطاقٌ بالحُجَّـةِ، «**قَالَ: بَلَـىٰ وَعِزَّتِـكَ**» قـد أغنَيتَنـي، «**وَلَكِـنْ لَا غِنَىٰ بِـي عَـنْ بَرَكَتِكَ**» أي: خَيـرِكَ، ولم يكُـن أيُّـوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ليَأخُـذَ المـالَ حُبًّـا للدُّنيا وهـو الصَّابـرُ المُنيبُ، وإنَّمـا أخذَه لأنَّـه برَكَـةٌ مِن اللَّـهِ تَعالـىٰ قَريبُ عَهـدٍ به.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

○ اختَلَـفَ أهـلُ السِّـيَرِ في اسـمِ زَوجَةِ أيُّـوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقـالَ بَعضُهم: لَيـا، وقالَ آخَـرُونَ: رَحمَـةُ، ولـم يصِحَّ في شَـرعِنا شَـيءٌ في ذلِكَ، واسـتَدَلَّ بَعـضُ الجُهَّالِ علـىٰ الثَّاني بقَولِـهِ تَعالـىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[ص]، وهـذا استِدلالٌ عَجيبٌ! وليـس قائِلُـه ببَعيـدٍ ممَّـن زعَمَ أنَّ اسـمَ أخـي يوسُـفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نكتَـل مُسـتَدِلًّا بقَولِـهِ تَعالـىٰ: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾[يوسـف:٦٣].

○ تقَـدَّمَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ وصَـفَ أيُّـوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّـه صابِرٌ، وقد أثنـىٰ اللهُ تَعالىٰ على الصَّابِريـن في مَواضِـعَ مِن القـرآنِ، مِنها قَولـه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ

﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجّ]، والصَّبرُ لُغَةً: الحَبسُ، وأمَّا شرعًا فهو: (**حَبسُ النَّفسِ عن مَحارِمِ اللهِ**)، وهو ثلاثةُ أنواعٍ جمَعَها كلَّها أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

١. صَبرٌ علىٰ أقدارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ المُؤلِمَةِ، ومنه صَبرُ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ مَرَضِه وما نزَلَ به، وهذا أمرٌ ظاهِرٌ.

٢. صَبرٌ علىٰ طاعةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ الطَّاعةَ تَحتاجُ إلىٰ مُجاهَدةِ النَّفسِ الأمَّارةِ بالسُّوءِ، ومُجاهَدَةِ الشَّيطانِ، ومِنه لُجوءُ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لرَفعِ ما نزَلَ به مِن البَلاءِ، وعدَمُ أخذِه بالأسبابِ المَمنوعَةِ.

٣. صَبرٌ عن مَعصيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ومِنه صَبرُ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن الجَزَعِ والتَّسَخُّطِ.

❍ مِن أنواعِ التَّوَسُّلِ المَشروعِ في الدُّعاءِ:

١. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائِه، ومِنه دُعاءُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذي أخرَجَه أحمَدُ: «**أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...**».

٢. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بصِفاتِه، ومِنه دُعاءُ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما عندَ أحمَدَ والنَّسائيِّ: «**اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَىٰ الْخَلْقِ، أَحْيِنِي...**».

٣. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأفعالِه، ومِنه: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ**».

٤. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالإيمانِ به، ومِنه: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا﴾.

٥. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بطاعَتِه؛ كما في قِصَّةِ أصحابِ الغارِ الثَّلاثَةِ.

٦. التَّوسُّلُ بذِكرِ حالِ الدَّاعي، ومِنه دُعاءُ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء].

٧. التَّوسُّلُ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بدُعاءِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ الَّذي تُرجىٰ إجابَةُ دُعائِه، ومِنه توَسُّلُ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بدُعاءِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النِّساء].

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: ٤٢]، أي: اضرِبِ الأرضَ بها ليَنبُعَ لك

مِنها عَينٌ تَغتَسِلُ مِنها وتَشرَبُ، فيَذهَبُ عنك الضُّرُّ والأذىٰ، فجَعَلَ رَكضَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ سببًا لحُصولِ الشِّفاءِ، وفي ذلِكَ تأكيدٌ لمَبدَإِ التَّسبُّبِ، وأنَّ الإنسانَ يَنبَغي له الأخذُ بالأسباب، ولا يَكفيهِ أن يتَوكَّلَ علىٰ اللهِ دونَ تَحرُّكٍ مِنه، واللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يجعَلُ السَّبَبَ الضَّعيفَ الَّذي لا يَقومُ بالمُسبَّبِ عادَةً سببًا مُؤثِّرًا، فإنَّ الرَّكضَ ليسَ مِن عادَتِه إنباعُ الماء، وكما في قصَّةِ مريم بنتِ عِمرانَ لمَّا أُمِرَت بهَزِّ جِذعِ النَّخلَةِ، والمرأةُ ليسَ بمَقدورِها عادَةً أن تَهُزَّ النَّخلَةَ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ﴾[ص:٤٤]، وهنا مَفعولُ الفِعلِ ﴿فَٱضۡرِب﴾ مَحذوفٌ، و لعلَّه -والعِلمُ عِندَ اللهِ- حُذِفَ للسَّتر، فلم يَأتِ في القُرآنِ أنَّه أُمِرَ بضَربِ زَوجَتِه، وإنَّما جاءَ ذلِكَ عن بَعضِ السَّلَفِ، وهو مِن القَصَصِ المَعروفَةِ عِندَ بَني إسرائيلَ، ولو كانَ المَقصودُ أن نَعرِفَ عَينَ المَضروبُ لجاءَ مُصَرَّحًا به في القُرآنِ، وإنَّما المَقصودُ أن نَعرِفَ أنَّ الضَّربَ الَّذي كانَ أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد حَلَفَ عليه يَحصُلُ بِرُّه فيه بأَخذِ الضِّغثِ -أي: الشِّمراخِ- والضَّربِ به.

❍ ذكَرَ أهلُ العِلمِ أنَّ مِن شُروطِ إكرامِ اللهِ تَعالىٰ للعَبدِ بالنُّبُوَّةِ أن يَكونَ ذا قُوَّةٍ علىٰ حَملِ الرِّسالَةِ، ولهذا فإنَّنا نجزِمُ أنَّه ليسَ مِن الأنبياءِ أصَمُّ ولا أبكَمُ مثلًا؛ بخِلافِ الأعمىٰ فإنَّ العَمىٰ لا يمنَعُ مِن أداءِ الرِّسالَةِ، وأمَّا ما أُصيبَ به أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن البَلاءِ والمَرضِ فإنَّه ليسَ قادِحًا في صِحَّةِ نُبُوَّتِه؛ لأنَّه كانَ عارِضًا ثمَّ زالَ عنه.

❍ قالَ تَعالىٰ عن أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ٤١﴾[ص]، وإضافَةُ البَلاءِ إلىٰ الشَّيطانِ مِن إضافَةِ التَّسبُّبِ؛ لأنَّ الشَّيطانَ كانَ سببًا في ذلِكَ، وإلَّا فإنَّ الحسَنَةَ والسَّيِّئَةَ كلاهما مِن خَلقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ خلقًا وإيجادًا، ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ٧٨﴾[النِّساء]؟!

❍ ينبَغي للمُسلِمِ أن يستَحضِرَ أنَّ ما يَحصُلُ له مِن نِعمَةٍ فإنَّه بمُقتَضىٰ رَحمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا لكَونِه يستَحِقُّ ذلِكَ، ولهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾[الأنبياء].

❍ يُستَفادُ مِن قولِه تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَحۡنَثۡ﴾[ص] أنَّ الأصلَ في الحَنِثِ التَّحريمُ، وقد يَعرِضُ له ما يجعَلُه مَكروهًا، أو مُباحًا، أو مُستَحَبًّا، أو واجِبًا، علىٰ ما قرَّرَه أهلُ العِلمِ في بابِ الأيمانِ والنُّذورِ.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ وَذِي الْكِفْلِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] بُعِثَ أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أهلِ (❍ حورانَ ❍ سَدومَ ❍ بابِلَ)، وكانَ ذا مالٍ ولـه أولادٌ كَثيرونَ (❍ صح ❍ خطأ).

[٢] ممَّا وُصِفَ به أيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ العُبودِيَّةُ. ❍ الصَّبرُ. ❍ الأَوبَةُ. ❍ مُستجابُ الدَّعوةِ. ❍ جميعُ ما سبَقَ.

[٣] آيَةُ أيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ رَفعُ الضُّرِّ عنه. ❍ النَّجاةُ مِن النَّارِ. ❍ الجميع.

[٤] لا يَكادُ يُذكَرُ أحدٌ مِن أهلِ البَلاءِ إلَّا ويُذكَرُ صَبرُ أيُّوبَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] نبيٌّ ابتُلِيَ بفُقدانِ المالِ والأولادِ وصحَّةِ الجسَدِ، ومع ذلِكَ لم يَزِده ذلِكَ إلَّا طاعَةً وشُكرًا للهِ: ❍ إبراهيمُ. ❍ صالِحُ. ❍ أيُّوبُ.

[٦] ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡ﴾ لم يُذكَر لنا المَضروبُ للسَّترِ عليه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَ﴾ أي: ❍ هَروِلْ. ❍ اضرِبْ.

[٨] وُصِفَ ذو الكِفلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ: ❍ الصَّبرِ والصَّلاحِ. ❍ أنَّهُ خَيِّرٌ. ❍ الجميع.

[٩] سُمِّيَ ذو الكِفلِ بذلِكَ لأنَّه: ❍ تكفَّلَ لبَني قَومِه أن يَكفِيَهُم أمرَهُم، وأن يَقضِيَ بينَهُم بالعَدلِ. ❍ استَخلَفَه اليَسَعُ علىٰ النَّاسِ بعدَه. ❍ الجَميعُ.

[٥٦] اختَرِ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُها مِن اليُسرىٰ:

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ﴾:	بإعطائِه ما سَألَ وزِيادَةَ فَضلٍ.
﴿وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ﴾:	ليعلموا أنَّ عاقِبَةَ الصَّبرِ الْفَرَجُ.
﴿رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا﴾:	أعلىٰ مرتَبَةٍ يَبلُغُها البَشَرُ.
﴿وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ٨٤﴾:	علىٰ صَبرِه وثَباتِه.

ذُو النُّونِ يُونُسُ بْنُ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اسمُهُ:	يونُسُ بنُ مَتَّىٰ، قيلَ: إنَّهُ مِن بَني إسرائيلَ، وقيلَ غيرُ ذلِكَ.
لَقَبُهُ:	﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾، أي: الحوتِ ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا﴾[الأنبياء:٨٧].
قَومُهُ:	أُرسِلَ إلىٰ أهلِ نِينَوَىٰ بالعِراقِ، وكانوا كُفَّارًا، فلم يَستَجيبوا لهُ.
ممَّا وَصَفَهُ اللهُ بِهِ:	[١] مُستَجابُ الدَّعوَةِ، ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾[الأنبياء:٨٨]. [٢] مُسَبِّحٌ، ﴿كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣﴾[الصَّافَّات]. [٣] أنعَمَ اللهُ عليهِ، ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[القلم:٤٩]. [٤-٥] ﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾[القلم:٥٠].
آيَتُهُ:	الحوتُ، وذلِكَ أنَّه أُلقِيَ في البَحرِ، فالتَقَمَهُ الحوتُ، فنادَىٰ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾[الأنبياء]، فنَجَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.
ذِكرُهُ في القُرآنِ:	ذُكِرَ يونُسُ في القرآنِ ٤ مرَّاتٍ، وسُمِّيَت سورةٌ باسمِهِ، وذُكِرَ مرَّةً بذي النُّونِ، ومرَّةً بصاحِبِ الحوتِ.
ذِكرُهُ في السُّنَّةِ:	[١] «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ». مُتَّفَقٌ عليه. [٢] «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ». أخرَجَه أحمَدُ، والتِّرمِذيُّ.
مَصيرُ قَومِهِ:	ألقَىٰ اللهُ في قُلوبِهِم الإيمانَ بعدَ خُروجِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن بَينِهِم، فنَجَوا مِنَ العَذابِ.

قصَّةُ نَبِيِّ اللهِ يُونُسَ عليه السلام مُختصَرَةً:

نَسَبُه عليه السلام وقومُه:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٩﴾ [الصَّافَّات]، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس]، ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ [الصَّافَّات].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٣٩﴾ [الصَّافَّات]، وذكَرَ نبيُّنا صلى الله عليه وسلم يونُسَ عليه السلام منسوبًا إلىٰ أبيه فقالَ كما في الحديثِ المُتَّفَق عليه عن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ**»، وهو صلى الله عليه وسلم إنَّما قالَ هذا تواضُعًا، وبيانًا لفضلِ يونُسَ عليه السلام، وإشارةً إلىٰ فضلِ سائرِ الأنبياءِ عليهم السلام، ولعلَّه كانَ قبلَ أن يُعلِمَهُ اللَّهُ عز وجل أنَّه خيرُ ولَدِ آدمَ.

ولا يُعلَمُ كامِلُ نَسَبِهِ، لكن قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ﴾ [يونس] وهم أهلُ نينَوَىٰ مِن أرضِ المَوصِلِ، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾ [الصَّافَّات]، وقد أوصَلَ بَعضُهُم الزِّيادَةَ إلىٰ سَبعينَ ألفًا، واللَّهُ أعلَمُ بقدرِها.

خُرُوجُه عليه السلام من بَلَدِه وتَوْبَةُ قَوْمِه:

﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء]، ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ٩٨﴾ [يونس].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ والنُّونُ هو الحُوتُ، أي: وصاحِبَ الحُوتِ، وهو يونُسُ عليه السلام، ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقومِهِ بسبَبِ كُفرِهِم وعِنادِهم، ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء]، ومَعنىٰ (نَقْدِر): نُضَيِّق تضييقًا، أو نَقضي قضاءً، قالَ أهلُ التَّفسيرِ: إنَّه لمَّا طالَ كُفرُ قومِ يونُسَ وعِنادُهم وعَدَهُم أن يَخرُجَ مِن بينِهم وأن يَنزِلَ عليهم العَذابُ بعدَ ثلاثةِ أيَّامٍ، فأخافَهُم ذلِكَ، وجَعَلوا

يَرقُبونَـه، فلمَّـا خـرَجَ مِـن بَيـنِ أظهُرِهـم أيقَنوا وُقـوعَ العَـذابِ، فقَـذَفَ اللَّهُ في قُلوبِهـم الإيمـانَ، قـالَ تعالـىٰ: ﴿فَلَوۡلَا﴾ بمَعنـىٰ مـا النَّافيـةِ ﴿كَانَتۡ قَرۡيَةٌ﴾ فيما سـلَفَ مِـن القُـرونِ ﴿ءَامَنَتۡ﴾ بتَمامِهـا ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾، فإنَّهـم أنابـوا إلـىٰ اللَّـهِ، وتضرَّعـوا لـه، واستكانوا بيـنَ يَدَيـهِ، وسَـألوهُ رَفـعَ العَـذابِ عنهُـم، وقيلَ: إنَّهُـم لَبِثوا كذلِكَ أربَعيـنَ ليلَةً، فـ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ كلُّهُم رَحِمناهُم و﴿كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ۝٩٨﴾ [يونـس] أي: أخَّرناهُـم إلـىٰ أجَـلٍ، واختَلَفَ أهلُ التَّفسيرِ هـل يَنفَعُهُم إيمانُهم فـي الآخِرَةِ أم لا، والَّـذي يَظهَـرُ مِـنَ السِّـياقِ أنَّـه يَنفَعُهُم.

الْتِقَامُ الْحُوتِ له عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٣٩ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝١٤٠ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ۝١٤١ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ۝١٤٢﴾ [الصَّافَّات].

لمَّا خرَجَ يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن بَينِ قَومِهِ مُغاضِبًا لهُم رَكِبَ سَفينَةً في البَحرِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِذۡ أَبَقَ﴾ أي: فَرَّ وهرَبَ ﴿إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ۝١٤٠﴾ وهو المَملوءُ بالأَمتِعَةِ، فلمَّا كانوا في وسَطِ البَحرِ ماجَت بهم السَّفينَةُ وكادوا يغرَقونَ، ولم يَجِدُوا مَخرَجًا إلَّا أن يُخَفِّفوا مِن حِملِ السَّفينَةِ، فتَشاوَروا ورَأَوا أن يَقترِعوا، فمَن وقَعَت عليه القُرعَةُ ألقَوهُ في البَحرِ، ﴿فَسَاهَمَ﴾ أي: قارَعَ يونُسُ معهُم ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ۝١٤١﴾ أي: المَغلوبينَ في القُرعَةِ، وتكرَّرَ ذلِكَ ثلاثَ مرَّاتٍ، فألقىٰ نفسَهُ في البَحرِ، فأمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حوتًا أن يَلتَقِمَهُ ويَحفَظَهُ فلا يُهَشِّمَ عَظمَهُ ولا لَحمَهُ، ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ۝١٤٢﴾ [الصَّافَّات] أي: آتٍ بما يُلامُ عليهِ.

دُعَاؤُهُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَخُرُوجُهُ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ:

﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الأنبياء]، ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝١٤٤ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ۝١٤٥ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ۝١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ۝١٤٨﴾ [الصَّافَّات]، ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا

تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القلم].

لمَّا التَقَمَ الحوتُ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَسِبَ أنَّه قد ماتَ، فلمَّا عَلِمَ أنَّه حيٌّ قامَ فصلَّىٰ للَّهِ تَعالىٰ، وبَقِيَ في بَطنِ الحوتِ ما شاءَ اللَّهُ له أن يَبقىٰ، وقيلَ: إنَّه بَقِيَ فيه أربَعينَ يومًا، فلمَّا طالَ بَقاؤُهُ فيه أثقلَه الغَمُّ وكَظمُهُ، قالَ تَعالىٰ مُخاطِبًا نبيَّنا ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا اللَّهَ ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم] مغمومٌ، ﴿فَنَادَىٰ﴾ يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الثَّلاثِ: ظُلمَةِ بَطنِ الْحُوتِ، وَظُلْمَةِ البَحرِ، وظُلمَةِ اللَّيلِ، وكانَ دُعاؤُه: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فاعترَفَ بذَنبِه، وتابَ مِن خَطيئَتِه، وهذا شَرطٌ مِن شُروطِ قَبولِ التَّوبَةِ، وفي حَديثِ سَعدِ بنِ أبي وقَّاصٍ عند التِّرمذيِّ مَرفوعًا: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ:** ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾؛ **فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ**»، فلمَّا دعا اللَّهَ مُخلِصًا له الدُّعاءَ استَجابَ له، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ دُعاءَهُ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ الَّذي كانَ فيه، ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مَضَتْ سُنَّتُنا أنَّنا ﴿نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء] مِن البَلاءِ.

قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ إمَّا لأنَّه كانَ مِن المُصَلِّينَ الذَّاكِرينَ اللَّهَ قَبلَ البَلاءِ، أو إشارَةً إلىٰ تَسبيحِهِ في بَطنِ الحوتِ، ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ أي: إلىٰ يومِ القِيامَةِ، واستَدَلَّ بَعضُ النَّاسِ بهذا علىٰ أنَّ حوتَ يونُسَ يَبقىٰ حيًّا إلىٰ يَومِ القِيامَةِ، وهو قَولٌ حادِثٌ لا يُعلَمُ مَن قالَ به مِن السَّلَفِ ولا مِن المُفَسِّرينَ المُعتبَرينَ، وهو مع ذلِكَ استِدلالٌ ضَعيفٌ.

قالَ تَعالىٰ: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ وهي الأرضُ الَّتي لا بناءَ فيها ولا نَباتَ ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ ضَعيفُ البَدَنِ، ﴿وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ وهو القَرعُ، ومَعلومٌ أنَّ ورَقَ القَرعِ كَبيرٌ ناعِمٌ يَصلُحُ لأنْ يُستَظَلَّ به، وله ريحٌ يُبعِدُ

الذُّبابَ ونَحوَه، كما أنَّ ثَمَرَه مُغَذٍّ، وقالَ تَعالى: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ﴾ أي: رَحمةٌ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾، ولكِنَّ رَحمَةَ اللَّهِ أدرَكَته بما سبَقَ له مِن عَمَلٍ صالِحٍ فنُبِذَ حينَ نُبِذَ وهو غَيرُ مَذموم، بل أنبَتَ اللَّهُ عليه اليَقطينَ -كما سبَقَ- حِفظًا له مِن السُّوءِ، ﴿فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي: اختارَهُ ﴿فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾[القلم].

حَجُّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أخرَجَ مُسلِمٌ مِن حَديثِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه: «**أَتَى عَلَى ثَنِيَّةِ هَرْشَى**»، والثَّنِيَّةُ هي الطَّريقُ بينَ الجَبَلَينِ، وهَرشى ثَنِيَّةٌ قَريبَةٌ مِن الجحفَةِ، «**فَقَالَ: أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ؟ قَالُوا: ثَنِيَّةُ هَرْشَى، قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى** عَلَيْهِ السَّلَامُ **عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةٍ**» أي: مُكتَنِزَةِ اللَّحمِ، تامَّةِ الجِسمِ، سَمينَةٍ لا هَزيلَةٍ، «**عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، خِطَامُ نَاقَتِهِ**» الَّذي تُقادُ به «**خُلْبَةٌ**» أي: لِيفٌ «**وَهُوَ يُلَبِّي**».

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللّهِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- مِن اللَّطائِفِ أنَّ ذا النُّونِ يونُسَ بنَ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُكِرَ في سورة نونٍ، وهي سورَةُ القلَم، وذلِكَ قولُهُ تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾[القلم].
- ممَّا يُستَفادُ مِن قِصَّةِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه لمَّا ترَكَ دعوَةَ قَومِه، وخرَجَ مِن بَينِهم قبلَ أن يَأمُرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بالخُروجِ، قالَ تعالى: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء]، أي: ظَنَّ أنَّنا لن نُضَيِّقَ عليه بسبَبِ خُروجِه، فحصَلَ معه ما حصَلَ مِن التِقامِ الحوتِ له، وذلِكَ تَضييقٌ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عليه، وهكذا كُلُّ مَن ترَكَ الدَّعوَةَ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مع قُدرَتِه عليها فإنَّ اللهَ يُضَيِّقُ عليه.
- وممَّا يُستَفادُ مِن هذه القِصَّةِ أهَمِّيَّةُ الصَّبرِ في الدَّعوَةِ إلى اللهِ تَعالى، قالَ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ [آل عمران].

❍ لمَّا ماجَت السَّفينَةُ الَّتي ركِبَها يونُسُ عليه السلام بأهلِها وكادوا يغرَقونَ، رَأَوا أن يُخَفِّفوا مِن حِملِ السَّفينَةِ، وذلِكَ بأن يَقتَرِعوا، فمَن وقَعَت عليه القُرعَةُ ألقَوهُ في البَحرِ، وذلِكَ لأنَّهم لو لم يَقتَرِعوا لتَشاحُّوا، ولم يرضَ أحَدٌ أن يَكونَ هو الَّذي يُلقى، وهذا أمرٌ غيرُ جائزٍ في شَرعِنا، قالَ ابنُ العَرَبيِّ رحمه الله: (الِاقْتِرَاعُ عَلَىٰ إِلْقَاءِ الْآدَمِيِّ فِي الْبَحْرِ لَا يَجُوزُ فَكَيْفَ الْمُسْلِمُ؟! فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ فِيمَنْ كَانَ عَاصِيًا أَنْ يُقْتَلَ وَلَا أَنْ يُرْمَىٰ بِهِ فِي النَّارِ وَالْبَحْرِ)، وأمَّا مَحَلُّ إعمالِ القُرعَةِ في شَرعِنا فعندَ أحَدِ أمرَينِ:

- عندَ تَزاحُمِ حُقوقِ جَماعَةٍ مِن النَّاسِ بحيثُ لا يَكونُ لأحَدِهم مَزِيَّةٌ علىٰ الآخَرينَ؛ كما لو تَزاحَمَ اثنانِ علىٰ الإمامَةِ أو الأذانِ وتَساوَوا في الأهلِيَّةِ.
- عندَ وُجودِ الإبهامِ؛ كما لو طلَّقَ رجُلٌ امرَأتَه، وكانَ له زَوجَتانِ، ولم يكُن نَوىٰ إحداهُما علَىٰ التَّعيينِ.

❍ قالَ تَعالىٰ عن يونُسَ عليه السلام: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾﴾ [الصَّافَّات]، أي: آتٍ بما يُلامُ عليهِ، وهو خُروجُه مِن قَومِه مُغاضِبًا لهم قبلَ أن يأذَنَ اللَّهُ له، وكانَ الواجِبُ عليه أن يَصبِرَ، قالَ تعالىٰ لنَبيِّنا صلى الله عليه وسلم: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم]، وحمَلَ بَعضُ المُفَسِّرينَ هذه الآيَةَ علىٰ مَعنىٰ: أتىٰ بما يَلومُه النَّاسُ عليه، وإن لم يَكُن مُلامًا علىٰ الحَقيقَةِ، وأمَّا قولُه تعالىٰ: ﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾﴾ [القلم] فقالَ ابنُ عاشورٍ رحمه الله: (طَرِيقَةُ الْمُفَسِّرِينَ فِي نَشْرِ هَذَا الْمَطْوِيِّ أَنَّ جُمْلَةَ ﴿وَهُوَ مَذۡمُومٞ﴾ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَأَنَّ تِلْكَ الْحَالَ قَيْدٌ فِي جَوَابِ لَوْلَا، فَتَقْدِيرُ الْكَلَامِ: لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ نَبْذًا ذَمِيمًا، أَيْ: وَلَكِنَّ يُونُسَ نُبِذَ بِالْعَرَاءِ غَيْرَ مَذْمُوم)، وعلىٰ الوَجهَينِ فإنَّ هذا لا يُنقِصُ مِن قَدرِ نَبيِّ اللَّهِ يونُسَ عليه السلام، ولدَفعِ هذا التَّوهُّمِ قالَ نبيُّنا صلى الله عليه وسلم: «**لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ**». مُتَّفَقٌ عليه.

❍ مِن فَضائلِ يونُسَ عليه السلام أنَّ اللهَ عز وجل اختَصَّه بخَصيصَةٍ لم تَحصُل لغَيرِه، وهي أنَّه عبدَ اللهَ سبحانه وتعالى في مَكانٍ لم يَعبُده فيه أحَدٌ مِن البَشَرِ فيما يُعلَم،

وهو بَطنُ الحوت، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ الثَّلاثِ ومِنها ظُلمَةُ بَطْنِ الْحُوتِ ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء].

❍ لم يأتِ في القرآنِ ولا في السُّنَّةِ بيانُ مُدَّةِ بَقاءِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بَطنِ الحوتِ، وقد قيلَ إنَّه لَبِثَ فيه أربَعينَ يومًا، وقيلَ غيرُ ذلِكَ، ولا داعِيَ للخَوضِ في تَحديدِ ذلِكَ، فإنَّه لو كانَ فيه مَصلَحَةٌ لنا لما أُبهِمَ عنَّا.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١] مَن هو النَّبيُّ الَّذي كانَ يُلَقَّبُ بذي النُّونِ؟ ❍ موسَىٰ. ❍ إبراهيمُ. ❍ يونُسُ.

[٢] لقَبُ يُونُسَ بنِ (❍ مَتَّىٰ ❍ النُّونِ) هو (❍ ابنُ متَّىٰ ❍ ذو النُّون)، والنُّون هو (❍ الحوتُ ❍ اسمٌ لمَكانٍ).

[٣] بُعِثَ يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ أهل: ❍ نينَوىٰ. ❍ مَدينَ. ❍ الشَّام.

[٤] ممَّا وُصِفَ به يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ مُستَجابُ الدَّعوَةِ. ❍ مُسدَّدٌ. ❍ مِن المُسَبِّحينَ. ❍ أنعَمَ اللَّهُ عليه. ❍ مُجتبَىٰ وصالِحٌ. ❍ الجميعُ.

[٥] آيَةُ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هي الحوتُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] سُمِّيَت سورَةٌ باسمِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (❍ صح ❍ خطأ)، وذُكِرَ مرَّةً بـ: (❍ ذي النُّونِ ❍ صاحبِ الحوتِ ❍ الجميع).

[٧] كانَ مَصيرُ قَومِ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ أُهلِكوا جَميعًا. ❍ آمَنوا جَميعًا. ❍ آمنَ بعضُهُم وكَفَرَ بعضُهُم.

[٨] كلُّ مَن تَركَ الدَّعوَةَ مع قُدرَتِه عليها فإنَّ اللهَ يُضيِّقُ عليه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: أتىٰ بما يُلامُ عليه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] آخرُ مَوضعٍ ذُكِرَ فيه يونُسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورَةِ: ❍ القلَمِ. ❍ العلَقِ. ❍ القصَصِ.

[١١] ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: نُضيِّقَ عليه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٢] ذُكِرَ في سورَةِ يونُسَ عدَمُ قَبولِ تَوبَةِ فِرعونَ حين أدرَكَته الوَفاةُ، وتَوبَةُ قَومِ يونُسَ لعِلمِ اللهِ بصِدقِهم: ❍ صح. ❍ خطأ.

كَلِيمُ اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الاسمُ:	مُوسَىٰ - ومَعناهُ: الـمُنتَشَلُ مِن الـماءِ.
اسمُ الأبِ:	عِمْرَانُ - مِن سُلالة يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
اسمُ الأخِ:	هَارُونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بُعِثَ معه ليَشُدَّ أَزرَهُ ويكونَ له ظَهيرًا.
اسمُ الخادِمِ:	يُوشَعُ بنُ نونٍ - صار نَبيًّا بعدَ مَوتِ مُوسَىٰ وهارونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
اسمُ الـمُعلِّمِ:	الـخَضِرُ - واختلفوا هل هو نبيٌّ أم رجلٌ صالحٌ.
اللَّقَبُ:	كليمُ الله، ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النِّساء:١٦٤].
الزَّوجَةُ:	تزوَّجَ ابنَةَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ بمَدينَ، وأمهَرَها رَعيَ الغنَمِ ١٠ سِنينَ.
الكِتابُ:	التَّوراةُ والصُّحُفُ، واختُلِفَ هل هما كتابانِ أم كتابٌ واحدٌ.
الـمَكانُ:	وُلِدَ في مِصْرَ، وتُوفِّيَ في الطُّور، وهو الآنَ في السَّماء السَّادِسَةِ.
الـمِهنةُ:	كانَ يرعَىٰ الغنَمَ؛ كما فعَلَ سائِرُ الأنبياءِ.
الـمُـرَبِّيَةُ:	آسِيَةُ بنتُ مُزاحِمٍ، وهي امرأةُ فرعونَ، ومِن النِّساءِ الكُمَّلِ.
العَصَا:	كان عَلَيْهِ السَّلَامُ يحمل عصًا يتوَكَّأُ عليها، ويهُشُّ بها غنَمِه، وغيرُ ذلِكَ.
الدِّينُ:	الإسلامُ بمَعناه العامِّ، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤﴾[يونس]، وسُـمِّيَ أتباعُه باليَهودِ إمَّا لقولِـهم: ﴿هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾[الأعراف]، أو نِسبَةً ليَهوذا أكبر أولادِ يَعقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مِمَّا وُصِفَ به:	[١] «رَجُلًا آدَمَ، طِوَالًا، جَعْدًا؛ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ». مُتَّفقٌ عليه. [٢] ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[القصص]. [٣] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[القصص:١٤]. [٤] ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾[الأحزاب]. [٥] قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللهُ: (كان مُستجابَ الدَّعوةِ عندَ اللهِ). [٦] أحَدُ أولي العَزم. [٧] ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾[طه]. [٨] «رَحِمَ اللهُ مُوسَىٰ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». مُتَّفقٌ عليه. [٩] «إِنَّ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَا هُوَ يَخْطُبُ قَوْمَهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ قَالَ لَهُمْ: مَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنِّي». أخرجه أحمد. [١٠] ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾[طه]. [١١] الشَّهامةُ، والرُّجولة، والمُبادرةُ لخدمةِ الغيرِ، والوَفاءُ بالعَهدِ، ونُصرَةُ المَظلوم، والتَّواضُعُ، والحِرصُ علىٰ طلَبِ العِلم، وقُوَّةُ الحُجَّةِ، واللُّجوءُ إلىٰ اللهِ، والغضَبُ له، وسُرعَةُ التَّوبَةِ إلىٰ اللهِ، وسُرعَةُ اتِّخاذِ القَرارِ، واستِشعارُ حَجمِ المَسؤوليَّةِ، والزُّهدُ في الدُّنيا، وقَبولُ النَّصيحَةِ، والحَياءُ...
آياتُه كثيرةٌ، وهي على قِسمَين:	[أ] **قبلَ خُروجِه من مصرَ:** ومنها الآياتُ التِّسعُ: [١] ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾[الأعراف]. [٢] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾[الأعراف]. [٣] ﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾[طه]. [٤] ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ﴾[الشُّعراء:٦٣]. [٥-٩] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾[الأعراف:١٣٣]. [ب] **بعدَ خُروجِه من مصرَ:** ومنها: [١] ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾. [٢] ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ﴾. [٣] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ﴾.

هو أكثَرُ الأنبياءِ ذِكرًا في القُرآنِ:	ذُكر ١٣٦ مرَّةً في ٣٤ سورةً، وأكثَرُ ذِكرِه في الأعرافِ (٢١ مرَّةً)، والقَصَصِ (١٨ مرَّةً)، وطه (١٧ مرَّةً)، واقتَرَنَ ذِكرُه في مَواضِعَ كَثيرةٍ بالدُّعاءِ؛ نحو: ﴿رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾[طه]، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾، ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾ [القصص]، ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي﴾[الأعراف:١٥١].
مِن خَصائِصِ أُمَّتِه:	[١] بُعثَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أُمَّتين: أمَّةِ القبطِ مع فِرعونَ، وأمَّةِ بني إسرائيل بعد هلاكِ فِرعونَ. [٢] هو آخرُ الأنبياءِ الَّذين أهلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أُممَهم، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ﴾[القصص:٤٣]. [٣] هو أكثرُ الأنبياءِ أتباعًا بعد نبيِّنا ﷺ، قال ﷺ: «رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ أُمَّتِي هَذِهِ؟ قِيلَ: هَذَا مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ». مُتَّفَقٌ عليه.

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللهُ فيمن خالَفَ ما جاءَ به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من اليَهودِ: (الأمَّةُ الغضبيَّةُ هم اليهودُ أهلُ الكذبِ، والبُهتِ، والغدرِ، والمكرِ، والحِيَلِ، قتلةُ الأنبياءِ، وأكَلَةُ السُّحتِ -وهو الرِّبا والرِّشا-، أخبثُ الأُمَمِ طَوِيَّةً، وأرداهُم سَجِيَّةً، وأبعَدُهم من الرَّحمةِ، وأقرَبُهم من النِّقمةِ، عادَتُهم البغضاءُ، ودَيْدَنُهم العداوةُ والشَّحناءُ، بيتُ السِّحرِ والكذبِ والحِيَلِ، لا يرونَ لمن خالفَهم في كُفرِهم وتكذيبِهم الأنبياءَ حُرمةً، ولا يَرقُبونَ في مُؤمنٍ إلًّا ولا ذمَّةً، ولا لمن وافقهم عندهم حقٌّ ولا شفقةٌ، ولا لمن شاركَهُم عندهم عدلٌ ولا نصفةٌ، ولا لمن خالطَهُم طُمأنينةٌ ولا أَمَنَةٌ، ولا لمن استعملَهُم عندهم نصيحةٌ، بل أخبَثُهم: أعقَلُهم، وأحذَقُهم: أغَشُّهُم، وسليمُ النَّاصِيَةِ -وحاشاه أن يوجد بينهم-: ليس بيهوديٍّ علىٰ الحقيقةِ، أضيقُ الخلقِ صُدورًا، وأظلَمُهم بيوتًا، وأنتَنُهم أَفْنِيَةً، وأوحَشُهم سجِيَّةً، تَحِيَّتُهم لعنةٌ، ولِقاؤُهم طِيَرَةٌ، شِعارُهُم: الغضبُ، ودِثارُهُم: المَقْتُ)، «هِدايَةُ الحَيارىٰ» (ص١٥).

هارونُ عَلَيْهِ السَّلَامُ		
	نَسَبُه:	هو ابنُ عِمرانَ، وهو الأخُ الأكبرُ لموسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
	قَومُه:	بعَثَهُ اللهُ مُؤَيِّدًا لأخيه موسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ استجابةً لطلَبه، فكانَا رَسولَينِ إلىٰ فِرعَونَ وقومِهِ القِبطِ، وإلىٰ بَني إسرائيلَ.
	ممَّا وَصفَه اللهُ به:	[١] ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩﴾ [طه]، ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص:٣٥]. [٢] ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤﴾ [طه]. [٣] ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا﴾ [القصص]. [٤] ﴿وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا﴾ [القصص:٣٥]. [٥] ﴿ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا﴾ [الأنبياء:٤٨]. [٦-١١] ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١١٤﴾ ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُمَا﴾ ﴿وَنَصَرۡنَٰهُمۡ﴾، ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلۡمُسۡتَبِينَ ١١٧ وَهَدَيۡنَٰهُمَا﴾ ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١١٩ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ١٢٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢١﴾ [الصَّافَّات].
	ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ هارُونُ في القرآنِ ٢٠ مرَّةً، وقُدِّمَ علىٰ موسَىٰ في مَوضِعٍ واحِدٍ: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ [طه].
	مَوتُه:	ماتَ هارونُ قبلَ موسىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وكانَ ذلِكَ في زَمَنِ التِّيهِ، وقيلَ: إنَّ بني إسرائيلَ اتَّهموا موسىٰ بقَتلِ أخيهِ!

سَبَبُ كثرَةِ تَكرارِ قصَّةِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ: قوَّة الحُجَّة، وكثرةُ الآياتِ، وشدَّةُ الاستكبارِ والطُّغيانِ عند فرعونَ، قال ابنُ سِعديٍّ رَحِمَهُ اللهُ: (كثيرًا ما يَقرنُ الباري بينَ نُبُوَّةِ محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونُبُوَّةِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبين كتابَيهما وشريعتَيهما؛ لأنَّ كتابَيهما أفضلُ الكُتُبِ، وشريعتَيهما أكمَلُ الشَّرائع، ونُبُوَّتيهما أعلىٰ النُّبُوَّاتِ، وأتباعَهما أكثرُ المُؤمنينَ)، كما أنَّ أمَّتَه باقيَةٌ بخِلاف مَن قبلَهم.

قصَّةُ نَبيِّ اللَّهِ موسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرةً:

قبلَ مَولِدِه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف]، ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص].

لمَّا خرَجَ يوسُفُ بنُ يَعقوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِن السِّجن في مِصرَ، ومكَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ له في الأرضِ، أقدَمَ بني إسرائيلَ مِن الشَّامِ إلىٰ مِصرَ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف]، وإسرائيلُ هو يَعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فسكَنَ بنو إسرائيلَ مِصرَ مُكرَّمينَ في زَمَنِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلمَّا ماتَ يوسُفُ لَقوا مِن فِرعَونَ وملإِه شدَّةً، وساموهُم سوءَ العذابِ.

قالَ تعالىٰ: ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾ يا أيُّها الرَّسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿مِن نَّبَإِ﴾ خبَرِ ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: تكبَّرَ وطغىٰ ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ طَوائِفَ، يُصرِّفُ كلَّ طائفةٍ في أمرٍ مِن أُمورِ دَولَتِه، ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ وهُم بَنُو إسرائيلَ، خِيارُ أهلِ زَمانِهم، استَعمَلَهُم في أخسِّ الصَّنائِعِ والحِرَفِ، وهو مع ذلِكَ ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ الذُّكورَ، فلا يُولَدُ لبَني إسرائيلَ ولَدٌ ذكَرٌ إلَّا ذبحَهُ جُنودُ فِرعَونَ مِن ساعَتِه، وذلكَ خوفًا مِن أن يوجَدَ مِن أبنائِهم مَن يُزيلُ مُلكَهُ، فعاقبَهُ اللهُ بنَقيضِ قَصدِه، وأرسَلَ إليهِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأزالَ مُلكَهُ، وأهلكَهُ وجُندَهُ، ﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ أي: يُبقي بَناتِهم أحياءً، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾؛ كانَ مِن أكثَرِ خلقِ اللهِ فسادًا في الأرضِ علىٰ مَرِّ التَّاريخِ، وذكَرُوا أنَّ فِرعَونَ وملأَهُ خَشوا هَلاكَ بني إسرائيلَ،

فأمَرَ فِرعَونُ بقَتلِ الأبناءِ عامًا وإبقائِهم عامًا، فوُلِد هارونُ بنُ عِمرانَ في عامِ المُسامَحَةِ، ووُلِدَ موسَىٰ في عامِ القَتلِ.

قالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فكانَ ذلِكَ كما أرادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، ﴿وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ﴾ وهو وزيرُهُ ومُساعِدُهُ علىٰ طُغيانِهِ ﴿وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾ مِن بني إسرائيلَ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[القصص].

قِصَّةُ أُمِّه مع ولادَتِه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [القصص].

لمَّا حَمَلَت أمُّ موسَىٰ به لم يَظهَرْ عليها مَخايِلُ الحَملِ، ولم يُتفطَّنْ لها، فلمَّا وَلَدَتهُ ذكرًا أحبَّتهُ حُبًّا شديدًا، وكانَ مَن رآهُ أحبَّهُ، وذلِكَ قولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾[طه:٣٩]، فخافَت عليه أُمُّه مِن فِرعَونَ ومَلَإِه أن يَقتُلوهُ، وضاقَت بذلِكَ ذَرعًا، فألهَمَها اللهُ أن تُلقِيَهُ في النَّهرِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ وَحيَ إلهامٍ وإلقاءٍ في الرَّوعِ ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ﴾ حتَّىٰ يشبَعَ، ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ وكانت دارُها علىٰ حافَّةِ النِّيلِ، فجَعَلَتهُ في تابوتٍ ومهَّدَت لهُ فيهِ مَهدًا؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى

﴿ٱلْيَمِّ﴾[طـه:٣٩]، فكانَـت تُرضِعُـهُ وتَجعلُـهُ في التَّابـوتِ، وتربطُ التَّابـوتَ بحبلٍ، وتُلقيـهِ في النِّيل.

فنَسِيَت يومًـا أن تَربطَـهُ، فأخَـذَهُ اليَمُّ فألقاهُ بالسَّـاحل، قـالَ تَعالىٰ: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾[طـه:٣٩]، فطَمأنَهـا اللهُ بـأَنْ أوحَـىٰ إليهـا: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٧﴾، فوعَدَهـا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مـا كانَـت تَرجـوه مِن نَجـاةِ ابنِهـا وعَودَتِـهِ إليهـا وزِيـادَةً، ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ﴾ الـلَّامُ للعاقِبَةِ أو التَّعليـل، ﴿لَهُمْ عَدُوًّا﴾ في دينِهم ﴿وَحَزَنًا﴾ علىٰ مـا يَنالُهُـم مِنـه مِـن المَكـروهِ، ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ ٨﴾.

فلمَّـا رآهُ فِرعَـونُ هَـمَّ بِقَتلِـهِ، ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وهـي آسِـيَةُ بِنـتُ مُزاحِـم: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾، أي: عسـىٰ أن يكُـونَ قُـرَّةَ عَيـنٍ لـي ولَـكَ يـا فِرعَـونُ، وذلِـكَ لأنَّهـا لمَّـا رَأتـهُ أحبَّتـهُ حُبًّـا شـديدًا، فـكانَ لهـا قُـرَّةَ عَيـنٍ كما أرادَت، ولـم يكُـن لِفِرعَـونَ، وذَلِـكَ أنَّها آمَنَت فيمـا بَعدُ، وكانَت مِن خَيرِ نِسـاءِ العالَميـنَ، وشَـهِدَ اللهُ لهـا بالجنَّـةِ؛ بل ضرَبَهـا اللهُ مثَلًا للَّذيـن آمنوا، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾[التَّحريـم]، وأمَّـا فِرعَـونُ فقـالَ عنـه النَّبـيُّ ﷺ في حديـث الفُتـونِ: «**وَالَّـذِي يُحْلَـفُ بِهِ، لَـوْ أَقَرَّ فِرْعَـوْنُ أَنْ يَكُـونَ لَـهُ قُرَّةَ عَيْـنٍ كَمَا أَقَـرَّتِ امْرَأَتُهُ، لَهَـدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَاهَـا، وَلَكِنَّ اللَّـهَ حَرَمَـهُ ذَلِـكَ**». أخرجَـهُ النَّسـائيُّ في الكُبرىٰ.

وقالَت آسِـيَةُ لِفرعَـونَ: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ فتَبَنَّاهُ؛ لأنَّها لـم يكُـن لهـا ولَدٌ مِـن فرعـونَ، فوافَـقَ فِرعَـونُ علىٰ إبقـاءِ موسَـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٩﴾ بمـا أرادَهُ اللهُ وقـدَّرَه مِـن كَونِـهِ سـببًا لهَلاكِ فِرعَـونَ ومَلإِه.

فلمَّـا فقـدَت أُمُّ موسـىٰ ولَدَهـا حَزِنَـت، ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ﴾ أي: قلـبُ ﴿أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾ مِـن كلِّ شـيءٍ مِـن أُمـورِ الدُّنيـا إلَّا موسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ﴾ أي: أن تُظهِـرَ للنَّـاسِ أنَّـهُ كانَ لهـا ولَـدٌ وفَقَدتـهُ، وكانَـت تُخفِي

عنهم ذلكَ، ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾، فثبَّتَها اللهُ وصبَّرَها، ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ الأكبرِ منهُ ﴿قُصِّيهِ﴾ أي: تتبَّعي أثرَهُ وابحَثِي عنهُ، ﴿فَبَصُرَتْ﴾ أُختُهُ ﴿بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ أي: مِن غيرِ أن يُتفطَّنَ لها أنَّها تبحثُ عنه.

قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ تحريمًا قَدريًّا، فلم يقبَل أيًّا مِن النِّساءِ المُرضِعاتِ اللَّواتي في دارِ فِرعَونَ، فخرَجوا به إلىٰ السُّوقِ يبتغونَ مَن تُرضِعُهُ، فرأَتهُ أُختُهُ فعرَفتهُ، فلمَّا رأَتْ حيرَتَهُم ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾، فلمَّا عَرَضوهُ علىٰ أُمِّهِ قَبِلَ ثَديَها، ففرِحَت آسيةُ وجعَلتهُ عِندَ أُمِّهِ تُرضِعُهُ، وأكرَمَتها بالنَّفقةِ، وذلِكَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه] أي: تُطعَمَ وتُرَفَّهَ، وتُغذَّىٰ بأطيَبِ المآكِلِ، وتلبَسَ أحسَنَ المَلابِسِ بمَرأىٰ مِنِّي، قالَ تعالىٰ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾[القصص]، وليسَ هُناكَ مَن هُو أصدَقُ ولا أوفَىٰ بوَعدِهِ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

بُلوغُه أَشُدَّهُ:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القصص].

قالَ ابنُ عبَّاسٍ في حديثِ الفُتونِ: «**تَنَاوَلَ مُوسَىٰ لِحْيَةَ فِرْعَوْنَ فَمَدَّهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ، قَالَ الْغُوَاةُ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ لِفِرْعَوْنَ: أَلَا تَرَىٰ مَا وَعَدَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ نَبِيَّهُ؟ إِنَّهُ زَعَمَ أَنْ يَرُبَّكَ وَيَعْلُوكَ وَيَصْرَعَكَ؟ فَأَرْسَلَ إِلَىٰ الذَّبَّاحِينَ لِيَذْبَحُوهُ -وَذَلِكَ مِنَ الْفُتُونِ يَا ابْنَ جُبَيْرٍ-، بَعْدَ كُلِّ بَلَاءٍ ابْتُلِيَ بِهِ وَأُرِيدَ بِهِ فُتُونًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ فَقَالَتْ: مَا بَدَا لَكَ فِي هَذَا الْغُلَامِ الَّذِي وَهَبْتَهُ لِي؟ فَقَالَ: أَلَا تَرَيْنَهُ، إِنَّهُ يَزْعُمُ سَيَصْرَعُنِي وَيَعْلُونِي، قَالَتِ: اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَمْرًا يُعْرَفُ فِيهِ الْحَقُّ، ائْتِ بِجَمْرَتَيْنِ وَلُؤْلُؤَتَيْنِ فَقَرِّبْهُنَّ إِلَيْهِ، فَإِنْ بَطَشَ بِاللُّؤْلُؤِ وَاجْتَنَبَ الْجَمْرَتَيْنِ عَرَفْتَ أَنَّهُ يَعْقِلُ، وَإِنَّ تَنَاوَلَ الْجَمْرَتَيْنِ وَلَمْ يُرِدِ**

اللُّؤْلُؤَتَيْنِ عَلِمْتَ أَنَّ أَحَدًا لا يُؤْثِرُ الْجَمْرَتَيْنِ عَلَىٰ اللُّؤْلُؤَتَيْنِ وَهُوَ يَعْقِلُ، فَقَرَّبَ ذَلِكَ إِلَيْهِ فَتَنَاوَلَ الْجَمْرَتَيْنِ، فَنَزَعُوهُمَا مِنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يَحْرِقَا يَدَيْهِ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَلا تَرَىٰ؟ فَصَرَفَهُ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَمَا كَانَ قَدْ هَمَّ بِهِ، وَكَانَ اللَّهُ بَالِغًا فِيهِ أَمْرَهُ»، ثمَّ قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ وذلِكَ إمَّا ببُلوغِ الحُلُمِ، أو بُلوغ ثلاثينَ سنةً، ﴿وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ أي: تناهَىٰ شَبابُه، وتمَّ خَلقُهُ واستَحْكَمَ، وذلِكَ عندَ الأربعينَ ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ فِقهًا في الدِّينِ، وعقلًا، وعملًا، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤﴾، فوصَفَهُ اللهُ ﷻ بالإحسانِ، وهو أعلىٰ مَراتِبِ الدِّينِ، وكانَ بَنُو إسرائيلَ يَحتَمونَ بهِ، فيَنصُرُهُم علىٰ مَن أرادَهُم بسُوءٍ.

قَتْلُهُ رَجُلًا مِنْ مَلإِ فِرْعَوْنَ:

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ١٧ فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَسۡتَصۡرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ١٨ فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ١٩﴾ [القصص].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾ يومًا ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾ بينَ المَغرِبِ والعِشاءِ أو عِندَ نِصفِ النَّهارِ، ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ﴾ أي: يَتَضارَبانِ، ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ مِن بَني إسرائيلَ، ﴿وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ﴾ مِنَ الأقباطِ، ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ﴾ أي: ضَرَبَهُ بكَفِّه أو بعَصاهُ ﴿مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ فقتَلَهُ، ولم يكُن يَنوي قَتلَهُ، فعندَها ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿هَٰذَا﴾ الَّذي حَصَلَ مِنِّي مِن قَتلي للرَّجُلِ ﴿مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥﴾، ثمَّ دعا ربَّهُ وأنابَ إليهِ و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾، وكانَ كغيرِه مِن

الأنبياءِ والرُّسُلِ مُستَجابَ الدَّعوَةِ، ﴿فَغَفَرَ﴾ اللهُ ﴿لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ مِن الجاهِ والعِزَّةِ والنِّعَمِ ﴿فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ الكافِرينَ بكَ.

﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا﴾ مِن الأقباطِ بسبَبِ قَتلِهِ رجُلًا مِنهُم، ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ أي: ينتظِرُ ما يكونُ مِنهُم، فمَرَّ في بَعضِ الطُّرُقِ ﴿فَإِذَا﴾ الإسرائيليُّ ﴿ٱلَّذِي ٱسۡتَنصَرَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ﴾ يتضارَبُ مع رجُلٍ آخَرَ مِن الأقباطِ، فجعَلَ الإسرائيليُّ ﴿يَسۡتَصۡرِخُهُۥ﴾ علىٰ عدُوِّهِ، فـ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾﴾ أي: كثيرُ الشَّرِّ، ﴿فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ﴾ موسَىٰ ﴿أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا﴾ وهو القِبطِيُّ، حَسِبَ الإسرائيليُّ أنَّه يُريدُهُ بذلِكَ فـ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [القصص]، فعلِمَ القِبطِيُّ أنَّ موسَىٰ هو قاتِلُ صاحِبِهم بالأمسِ، فنقَلَ الخبَرَ وبلَغَ ذلِكَ فِرعَونَ، فعَزَمَ علىٰ قَتلِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأرسَلَ الجُندَ في طَلَبِهِ.

خروجُه من مِصرَ:

﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ﴾ مِن بَني إسرائيلَ علِمَ بخُروجِ الجُندِ في طلَبِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ﴾ فسلَكَ طريقًا أقصَرَ، فلمَّا وصَلَ إلىٰ موسَىٰ ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ﴾ أي: يتَشاوَرونَ ﴿بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ﴾ مِن البَلَدِ، ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾، وصدَقَ الرَّجُلُ في نُصحِهِ، ﴿فَخَرَجَ﴾ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنۡهَا﴾ وَحيدًا ﴿خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾، وكانَ قبلَ ذلِكَ مُترَفًا مُنعَّمًا، ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ وهُم فِرعَونُ ومَلَأُهُ، وقيلَ: إنَّ اللهَ أرسَلَ إليهِ مَلَكًا دلَّهُ علىٰ الطَّريقِ، فاتَّبعَ موسَىٰ طَريقَ مَدينَ، ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص]، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَهُ.

اللِّقاءُ المُباركُ في مَدْيَنَ:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ﴾ وهو بئرٌ يرِدُهُ رُعاةُ الشَّاءِ ﴿وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ﴾ أي: تمنعانِ غنمَهُما من أن تَرِدَ على الماءِ مع الغَنَمِ الأُخرىٰ، وذلكَ خشيةَ أن يُصيبَهُما أذىً، ﴿قَالَ﴾ لهُما موسَىٰ: ﴿مَا خَطۡبُكُمَاۖ﴾؟ أي: لِماذا لا تَرِدانِ مع النَّاسِ؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ﴾ أي: حتَّىٰ يفرُغَ النَّاسُ من السَّقيِ، ﴿وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾﴾، فهذا الَّذي ألجأنا إلىٰ السَّقيِ، ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ موسَىٰ عليه السلام، قال ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: «**فَجَعَلَ يَغْتَرِفُ فِي الدَّلْوِ مَاءً كَثِيرًا، حَتَّىٰ كَانَ أَوَّلَ الرِّعَاءِ، وَانْصَرَفَتَا بِغَنَمِهِمَا إِلَىٰ أَبِيهِمَا**».

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ﴾ موسَىٰ عليه السلام ﴿إِلَى ٱلظِّلِّ﴾ فاستظَلَّ بشجرةٍ، وكانَ قد أصابَهُ من السَّفرِ تعبٌ شديدٌ، ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ أي: مُحتاجٌ، ورجعَتِ المرأتانِ إلىٰ أبيهما قبلَ الوقتِ المُعتادِ، فسألَهُما أبوهُما عن ذلكَ، فقصَّتا عليهِ خبرَهُما، فبعثَ إحداهُما لِتدعُوَ موسَىٰ عليه السلام، ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ مشيَ النِّساءِ الحرائرِ، مُستتِرةً عن أعيُنِ الرِّجالِ، فلمَّا قدِمَت علىٰ موسَىٰ ﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ﴾،

أي: لِيُكافِئَكَ علىٰ صَنيعِكَ معنا، صرَّحَت له بالسَّبَبِ حتَّىٰ لا يتوَهَّمَ غيرَ ذلِكَ، فقَبِلَ موسَىٰ الدَّعوَة وقدِمَ علىٰ الرَّجُل، وقيلَ: اسمُهُ شُعَيبٌ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ﴾ أي: حكَىٰ لَهُ ما حَصَلَ لهُ بمِصرَ والْجَأَهُ إلىٰ الخُروجِ مِنها، فـ﴿قَالَ﴾ الرَّجُلُ: ﴿لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ فطِبْ نَفسًا وقَرَّ عينًا، فعِندَها ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ﴾ أي: اجعَلهُ أجيرًا عندَكَ يرعىٰ لنا الغنَمَ علىٰ أُجرةٍ، وعلَّلت ذلِكَ بقَولِها: ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾، وذلِكَ لِما رأَتْ مِن قُوَّتِهِ عندَ السَّقيِ، وأمانتِهِ في مُعامَلَتِهِ لهما وهما امرَأتانِ ضَعيفَتانِ أجنبيَّتانِ عنه، وكانَت تِلكَ فِراسَةً مِنها، فلمَّا رأىٰ الرَّجُلُ قُوَّةَ موسَىٰ وأمانتَهُ وحاجَتَهُ إلىٰ مكانٍ يأوِي إليهِ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ﴾ أي: أُزَوِّجَكَ ﴿إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾، وسمَّىٰ لهُ المَهرَ فقالَ: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ﴾ أي: ثَمانِيَ سنَواتٍ ترعَىٰ الغنَمَ، ﴿فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ فتكونُ السَّنتانِ حُسنَ قَضاءٍ مِنكَ، ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾، فقبِلَ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ شرطَ الرَّجُلِ و﴿قَالَ ذَٰلِكَ﴾ الشَّرطُ الَّذي اشتَرطتَ ﴿بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ﴾ سَواءٌ كانَ الأقلَّ أو الأكثَرَ ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨﴾[القصص]، وكفَىٰ باللهِ وكيلًا.

قَضاءُ الأجلِ وعودتُه إلى مِصرَ:

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾[القصص].

في «صحيحِ البُخاريِّ» عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيَّ الْأَجَلَيْنِ قَضَىٰ مُوسَىٰ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي، حَتَّىٰ أَقْدَمَ عَلَىٰ حَبْرِ الْعَرَبِ فَأَسْأَلَهُ، فَقَدِمْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: «**قَضَىٰ أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ فَعَلَ**».

قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ﴾ أي: أتَمَّ ﴿مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾ وهو عشرُ سِنينَ، اشتاقَ إلىٰ أهلِهِ بمِصرَ، فأرادَ أن يَزورَهُم سِرًّا، فحَمَلَ أهلَهُ الَّذينَ معهُ وغنَمَهُ الَّذي وهَبَهُ له صِهرُهُ، ﴿وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾[القصص] مُتَّجِهًا إلىٰ مِصرَ.

مُرورُه بالوادِي المُقدَّسِ طُوَى:

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجۡعَلُ لَكُمَا سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص].

فلمَّا سارَ بأهلِهِ مرَّ بجبَلِ الطُّورِ بسَيناءَ إلىٰ الشَّرقِ مِن مِصرَ، وفي ليلةٍ مُظلِمَةٍ حاوَلَ إيقادَ النَّارِ فلَم يستَطِع، ثُمَّ ﴿ءَانَسَ﴾ أي: رأىٰ ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا﴾ تُضيءُ علىٰ بُعدٍ، ﴿قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ حتَّىٰ آتِيَها، ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾؛ لأنَّه كان قد ضَلَّ الطَّريقَ، ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ﴾ أي: قِطعةٍ ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ تَستَدفِئونَ بِها مِنَ البَردِ، ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا﴾ أي: النَّار ﴿نُودِيَ﴾ ناداهُ اللهُ بصَوتٍ سَمِعَهُ بأُذُنَيهِ ﴿مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ مِن جانِبِ الوادي ممَّا يلي الجبَلَ عن يَمينِ موسَىٰ عليه السلام مِن ناحِيَةِ الغَربِ، ﴿فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ شَجَرَةٍ خَضراءَ، فقالَ لهُ ربُّه عزَّ وجلَّ مُخاطبًا إيَّاهُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ فتعجَّبَ موسَىٰ عليه السلام ممَّا سَمِعَ، وقالَ اللهُ لهُ مُبيِّنًا لهُ اصطِفاءَهُ إيَّاهُ نبيًّا رسولًا: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ أي: تخسَرَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

ثـمَّ سـألَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾، وبيَّنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وظيفتَها فقالَ: ﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾، فأرادَ اللهُ أن يُريَهُ قُدرتَهُ، فـ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾[طه]، فلمَّا رأىٰ موسَىٰ ذلِكَ خافَ علىٰ نَفسِهِ، ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾[القصص]، فطَمأنَهُ اللهُ فـ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾، وقالَ: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾[القصص]، وقالَ: ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾[النمل].

ثمَّ أراهُ اللهُ آياتٍ أُخرىٰ ليَزدادَ اطمِئنانًا، فقالَ: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾[طه]، وقالَ: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾ يَدُلَّانِ علىٰ صِدقِكَ حينَ تَدعو فِرعَونَ وقَومَه ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾[القصص]، فكانَ هذا مَبدَأَ رِسالَةِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أمرَهُ اللَّهُ بدَعوةِ فِرعَونَ فقالَ: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾[طه].

فقَبِلَ موسَىٰ الرِّسالَةَ، ودَعا ربَّهُ فـ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾[طه]، قيلَ: إنَّ سببَ العُقدَةِ الجَمرَةُ الَّتي تناوَلَها وهو صغيرٌ، وعلِمَ موسَىٰ أنَّ فِرعونَ وملأَهُ لن يستَجيبوا له، فـ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾﴾، و﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي﴾[الشُّعراء]، ثمَّ طلَبَ مِنَ اللهِ أن يُرسِلَ معه أخاهُ هارونَ ليُؤيِّدَهُ في دَعوَتِهِ لفرعَونَ وقَومِهِ، فقالَ: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾، فاستَجابَ اللهُ طلَبَهُ و﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾[القصص]، وكانَ ممَّا علَّلَ به موسَىٰ طلَبَ إشراكِ أخيهِ معه أن قالَ: ﴿وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾[طه].

مُواجهتُه لفرعونَ:

﴿فَاذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ
ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٧ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ
سِنِينَ ١٨ وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠
مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢١
وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥
قَالَ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧ قَالَ
رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ
مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣
قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ﴾
[الشُّعراء]، ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا
رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾[الإسراء]،
﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا
عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا
مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ
لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤ فَلَمَّا
كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾[الأعراف].

قالَ اللهُ تعالىٰ لموسَىٰ وهارونَ: ﴿فَاذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ١٥ فَأۡتِيَا
فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ أَنۡ أَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٧﴾، فقَدِمَ موسَىٰ
وهارونُ علىٰ فِرعَونَ، ودَعواهُ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، فـ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ مُعترِضًا علىٰ
موسَىٰ: ﴿أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨﴾ وجعَلَ يَمُنُّ عليه،
وذكَّره بخَطيئتِهِ فقالَ: ﴿وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩﴾،
فلم يُنكِرْ موسَىٰ ذلِكَ، وأقَرَّ علىٰ نفسِهِ فـ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٢٠﴾

قبلَ أن يُنعِمَ اللهُ علَيَّ بالرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ، ﴿فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢١﴾، ثمَّ قالَ موسَىٰ لِفرعونَ: ﴿وَتِلۡكَ نِعۡمَةٞ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنۡ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٢٢﴾؟ أي: أينَ إحسانُكَ إليَّ من كُفرِكَ باللهِ، وادِّعائِكَ الرُّبوبيَّةَ مِن دونِهِ، وإساءَتِكَ إلىٰ بَني إسرائيلَ؟!

ثمَّ سألَ فِرعونُ موسَىٰ عن رَبِّهِ الَّذي يَدعو لِعِبادَتِه فـ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٣ قَالَ﴾ موسَىٰ ﷺ: هو ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾ الخالِقُ الرَّازِقُ المُدَبِّرُ، وهو وَحدَهُ المُستَحِقُّ للعِبادَةِ، ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ٢٤ قَالَ﴾ فِرعونُ ﴿لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ٢٥﴾ إلىٰ قولِ موسَىٰ وتَعجَبونَ مِن زَعمِهِ أنَّ لكُم إلهًا غَيري؟ فـ﴿قَالَ﴾ لهُم موسَىٰ: إنَّ اللهَ هو ﴿رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٦﴾ الَّذينَ كانوا قَبلَ أن يوجَدَ فِرعونُ، ﴿قَالَ﴾ فِرعونُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ يقولُ ذلِكَ غيرَ مُقِرٍّ لموسَىٰ ﷺ بالرِّسالَةِ ﴿لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾ ليس له عَقلٌ في دَعواهُ أنَّ لكُم إلهًا غيري، فـ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ: اللهُ هو ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨﴾، فإن كانَ فِرعونُ ربًّا فليَعكِس ذلِكَ، وهذا هو عينُ احتِجاجِ إبراهيمَ ﷺ قبلَهُ في مُناظَرَةِ النُّمرودِ.

فلمَّا انقَطَعَت حُجَجُ فِرعونَ وعجزَ عن مُحاجَّةِ موسَىٰ ﷺ ﴿قَالَ﴾ لموسَىٰ مُهَدِّدًا: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾، فلم يخَف موسَىٰ، وإنَّما عرَضَ عليهِ ما جاءَ به من الآيات، فـ﴿قَالَ﴾ لِفرعونَ: ﴿أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ٣٠﴾، هل ستُؤمِنُ باللهِ وتتوبُ إليهِ؟ ﴿قَالَ﴾ فِرعونُ: ﴿فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٣١ فَأَلۡقَىٰ﴾ موسَىٰ ﴿عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ٣٢ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ٣٣﴾، أي: أخرَجَ يدَهُ مِن جَيبِهِ فرَآها بيضاءَ مِن غَيرِ بَرَصٍ، ثمَّ ردَّها فعادَت إلىٰ لونِها الأوَّلِ، فلم يُصدِّق فِرعونُ بعدَ أن رأىٰ الآياتِ البيِّناتِ الواضِحاتِ، و﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ﴾[الشُّعراء]، وقالَ فِرعونُ لموسىٰ: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ١٠١﴾ قيلَ: بمَعنىٰ ساحِرٍ، فهو فاعِلٌ بلَفظِ المَفعولِ، فـ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ لِفرعونَ في ثَباتٍ وعَزيمَةٍ: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الآياتِ

الَّتي أَرَيتُكَ ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ أي: حُججًا وبَراهينَ علىٰ صِدقي، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾[الإسراء] أي: هالِكًا ومَلعونًا.

قالَ تعالىٰ عن فِرعَونَ وقَومِهِ: ﴿وَقَالُواْ﴾ لِموسَىٰ: ﴿مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾، فعاقبَهُم اللهُ عز وجل بأنواعٍ مِن العَذابِ، قالَ عز وجل: ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ أي: الأمطارَ المُغرِقَةَ، وقيلَ: كثرَةُ المَوتِ، ﴿وَٱلۡجَرَادَ﴾ فلم يترُكْ لهُم زرعًا، ﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾ وهو السُّوسُ أو القَملُ أو البرغوثُ، ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ حتَّىٰ كثُرَ أذاها لهُم، ﴿وَٱلدَّمَ﴾ حتَّىٰ امتلأَت بِهِ أنهارُهُم وآبارُهُم، ﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ بيِّناتٍ واضِحاتٍ، ومع ذلِكَ قالَ: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ﴾ وهو ما سبَقَ ذِكرُهُ ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ١٣٤﴾، فدَعا لهُم موسَىٰ فكشَفَ اللهُ عنهُم ذلِكَ كُلَّهُ، ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾[الأعراف]، فلم يُوفُوا بوَعدِهم لموسَىٰ، واستَمرَّ فِرعَونُ ومَلَأُهُ في كُفرِهِم وبَغيِهِم علىٰ بني إسرائيلَ.

قصَّتُه مع السَّحرة:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٢ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٤٣ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ٤٥ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٩ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ٥٠ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥١﴾ [الشُّعراء].

فلمَّا انقطَعَت حُجَّةُ فِرعَونَ وقَومِهِ، ولم يجِدوا ما يرُدُّونَ به علىٰ موسَىٰ وهارونَ، اتَّهمَ فِرعَونُ موسَىٰ بالسِّحرِ، وقالَ لقَومِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ٣٥﴾؟ أي: بماذا تُشيرونَ عليَّ؟ ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي: أجِّلهُما إلىٰ وَقتٍ لاحِقٍ، ﴿وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾ الَّتي بمَملكَتِكَ عُمَّالًا ﴿حَٰشِرِينَ ٣٦﴾ يَجمَعوا و﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ٣٧﴾[الشُّعراء] بارِعٍ في السِّحرِ، عالِمٍ بطَرائِقِهِ، فيشهَدونَ بأنَّ الَّذي أتىٰ به موسَىٰ سِحرٌ.

ثمَّ ﴿قَالَ﴾ فِرعَونُ لموسَىٰ: ﴿أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ٥٨﴾ ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ﴾، وهو اليومُ الَّذي يتفرَّغونَ فيه مِن أعمالِهِم، ويجتَمِعونَ فيهِ، فأرادَ موسَىٰ أن يشهَدوا ما يكُونُ بينَهُ وبينَ السَّحَرَةِ، لعلَّهُم يُصدِّقونَ برسالَتِهِ ويتَّبِعونَهُ، ﴿وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ٥٩﴾ ليكونَ أظهَرَ لهُم وأجلَىٰ، ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾[طه]، ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ مِن الأقباطِ وبني إسرائيلَ ﴿هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ٣٩﴾ معنا؟ ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ٤٠﴾ تفاؤُلًا منهم أنَّ السَّحَرَةَ سيَغلِبونَ موسَىٰ وهارونَ.

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ الَّذينَ جمَعَهُم فِرعَونُ إلىٰ مَجلِسِه ﴿قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ٤١﴾؟ يطلُبونَ مِنه الإحسانَ إليهِم إذا غَلَبوا موسَىٰ عليه السلام، ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ٤٢﴾[الشُّعراء]، فوَعَدَهُم الإحسانَ إليهِم، وأن يجعَلَهُم مِن المُقرَّبينَ لَديهِ، فلمَّا أرادوا مُنازَلَةَ موسَىٰ عليه السلام وعَظَهُم، فـ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم﴾ يُهلِكَكُم هلاكًا لا بقيَّةَ له ﴿بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ﴾ خسِرَ ﴿مَنِ ٱفْتَرَىٰ ٦١﴾ الكَذِبَ علىٰ اللهِ، ﴿فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم﴾ أي: تشاجَرَ السَّحَرَةُ فيما ﴿بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ٦٢﴾، فأسرَّ بعضُ السَّحَرَةِ لبعضٍ ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ٦٣﴾ وهي السِّحرُ؛ لأنَّ هؤلاءِ

السَّحَرَةَ كانُوا مُعَظَّمِينَ بسببِه، ﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ﴾ واحدًا، فألقُوا ما بأيديكُم مرَّةً واحِدَةً لِتبَهَروا أبصارَ النَّاسِ وتَغلِبوا موسَىٰ وهارونَ، ﴿وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ٦٤﴾[طه]، فإن استَعلَينا نحنُ فقد وعَدَنا فِرعَونُ العَطاءَ الجَزيلَ وأن يُقرِّبَنا مِنه، وإن استَعلَىٰ موسَىٰ كانت له الرِّياسَةُ.

فلمَّا عَزَمُوا أمرَهُم ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ أنتَ أوَّلًا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ﴾ نحنُ ﴿أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ٦٥﴾[طه]، ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ﴾ أنتُم أوَّلًا ﴿مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ٤٣﴾ لِنَرَىٰ ما تَصنَعونَهُ مِن السِّحرِ، ﴿فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ٤٤﴾[الشُّعراء]، ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾، فخيَّلُوا إلىٰ أبصارِهِم أنَّ ما فَعَلوهُ حقيقةٌ، وليس الأمرُ كذلِكَ وإنَّما هو مُجرَّدُ تخييلٍ، ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾[الأعراف]، ومِن عظَمَةِ سِحرِهِم أنَّهُ جَعَلَ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قويَّ الإيمانِ والعَزيمَةِ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧﴾، فعِندَها ثبَّتَهُ اللهُ وأيَّدَهُ، ﴿قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾ بِما مَعَكَ مِن الحَقِّ والآياتِ البيِّناتِ، ﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ﴾ أي: تأكُلْ ﴿مَا صَنَعُوٓاْۖ﴾ مِن الحِبالِ والعِصِيِّ، ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾[طه]، وهذا الَّذي وعَدَهُ اللهُ بِهِ هو الَّذي حصَلَ، ﴿فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ٤٥﴾[الشُّعراء]، ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ﴾ فِرعَونُ وشيعَتُهُ ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ١١٩﴾[الأعراف] وكانُوا يَرجُونَ الاستِعلاءَ علىٰ موسَىٰ، فعاقَبَهُم اللهُ بنقيضِ قَصدِهِم.

﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ٤٦﴾ لمَّا رأَوا آيَةَ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِما عَلِموا مِن أنَّ ذلِكَ ليسَ سِحرًا كسِحرِهم، وإنَّما حقيقةٌ عايَنوها في وَضحِ النَّهارِ، فسَجَدوا للهِ الَّذي أرسَلَهُ بالحَقِّ، و﴿قَالُوٓاْ﴾ مِن حينِهِم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾، وذلِكَ لِما أرادَ اللهُ بِهِم مِن الخَيرِ، ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٤٨﴾ فلمَّا رأىٰ فِرعَونُ ذلِكَ ﴿قَالَ﴾ لهُم: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ﴾؟ أي: كانَ ينبَغي أن تستَأذِنوني قبلَ أن تُعلِنوا إيمانَكُم، كلُّ ذلِكَ استِكبارًا مِنه وعِنادًا، ثمَّ قالَ: ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾، وهذا استِمرارٌ مِنهُ في المُكابَرَةِ؛ لأنَّ النَّاسَ يعلَمونَ أنَّ

السَّحَرَةَ لم يسبِق لهم أن لقُوا موسَىٰ قبلَ ذلِكَ اليوم، ثمَّ توعَّدَهُم فقالَ: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ كيفَ يكونُ عَذابي لكُم، ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فلأَجعلَنَّكُم مُثلَةً، ولأَقتُلَنَّكُم شرَّ قِتلَةٍ، ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ أي: لا يضُرُّنا ذلِكَ ولا نُبالي بهِ، ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾﴾ فلن يُضيعَ أجرَنا إذا آمنَّا وصبَرنا على أذاكَ، ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ السَّابقَةَ وما أكرَهتَنا عليهِ مِنَ السِّحرِ، ﴿أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾[الشُّعراء] أي: بسبَبِ أنَّنا بادَرنا بالإيمانِ قبلَ قَومِنا الأقباطِ.

وقالَ السَّحَرَةُ كذلِكَ لِفرعَونَ: ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۗ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾[طه].

غَرَقُ فِرعَونَ ونَجاةُ بَني إسرائيلَ:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الشُّعراء].

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾[يونس].

فلمَّا فشَلَت خُطَّةُ فِرعَونَ أمامَ النَّاسِ، وأيَّدَ اللهُ عزَّ وجلَّ نبيَّهُ موسَىٰ عليه السلام، وأَظهَرَ حُجَّتَهُ، وآمَنَ السَّحَرَةُ، لم يبقَ لِفرعَونَ وسيلَةٌ مع موسَىٰ إلَّا أن يَقتُلَهُ، فأرادَ اللهُ أن ينصُرَ أولياءَهُ كما وعَدَهُم، ويُهلِكَ الظَّالِمينَ، فأمَرَ اللهُ موسَىٰ أن يَخرُجَ ببني إسرائيلَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ﴾ والإسراءُ هو المَشيُ ليلًا ﴿بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾، فأصبحَتِ المَدينةُ خاليَةً مِنهم، فغاظَ ذلِكَ فِرعَونَ، ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ أي: مَن يَجمَعُ الجُندَ، ونادىٰ فيهم: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يُريدُ بَني إسرائيلَ ﴿لَشِرْذِمَةٌ﴾ طائِفَةٌ ﴿قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾ يَصِلُنا مِنهُم كُلَّ حينٍ ما يَغيظُنا، ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ ونحنُ دائمًا علىٰ حَذَرٍ مِنهُم أن يغدُروا بِنا، وأرادَ اللهُ خُروجَهُم ليُهلِكَهُم، قالَ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ أي: أورَثنا دِيارَهُم، وأموالَهُم بني إسرائيلَ، وكانَ بنو إسرائيلَ قد استَعاروا مِنهُم حُليًّا كثيرًا، ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ فأدرَكَ فِرعَونُ وجُندُه بني إسرائيلَ عندَ شُروقِ الشَّمسِ، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ﴾ أي: رأىٰ بَعضُهُم بعضًا، ﴿قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾؛ لأنَّهُم انتَهَوا إلىٰ البَحرِ، ولا مَفَرَّ لهُم، لكِنَّ موسَىٰ عليه السلام ثبتَ، وعَلِمَ أنَّ اللهَ ناصِرُ عِبادِهِ المُؤمِنينَ، فـ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾؛ لأنَّه هُو الَّذي أمرَني أن أخرُجَ بكُم، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ﴾، فضرَبَ موسَىٰ البَحرَ بعَصاهُ كما أمَرَهُ اللهُ، ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ البَحرُ ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ أي: كالجَبَلِ العَظيمِ، وقيلَ: إنَّه انفلَقَ عن اثنَي عشَرَ طريقًا، لِكُلِّ سِبطٍ طَريقُهم، ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ أي: قرَّبنا فِرعَونَ وجُندَهُ، فكانَ أوَّلُهم عندَ آخرِ بَني إسرائيلَ حينَ انفلَقَ البَحرُ، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾﴾ فسَلَكُوا في الطَّريقِ اليَبَسِ الَّذي جُعِلَ لهُم حتَّىٰ خَرَجوا مِن الجانِبِ الآخَرِ، فنَجَوا كلُّهُم ولم يَغرَق مِنهُم أحَدٌ.

فلمَّا رأىٰ فِرعَونُ انفِلاقَ البَحرِ خافَ، وتَرَدَّدَ في الوُلوجِ فيهِ، ثمَّ حَمَلَتهُ نَفسُهُ علىٰ التَّقَدُّمِ خَشيَةَ ما قد يقولُهُ جُنودُهُ إذا تَوَلَّىٰ، فدَخَلَ بجُندِهِ يَتبَعُ

بني إسرائيلَ، فلَمَّا نجا بنو إسرائيلَ مع موسَىٰ، وهمَّ جُندُ فِرعَونَ بالوُصولِ إلىٰ الطَّرفِ الثَّاني، أمرَ اللهُ البَحرَ فارتطَمَ عليهم، قالَ تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾[الشُّعراء] فِرعَونَ وجُندَهُ، وقالَ: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ﴾ أي: أدركَ فِرعَونَ ﴿ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾[يونس]، وما كانَ اللهُ لِيقبَلَ توبَتَهُ، فإنَّ التَّوبةَ تنقَطِعُ بالغَرغَرَةِ، وبطُلوعِ الشَّمسِ مِن مَغرِبِها، وبحضورِ العذابِ العامِّ، وهذا الغَرَقُ الَّذي أصابَهُم مِن العذابِ العامِّ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ﴾ [غافر]، ولهذا قالَ اللهُ: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾؟ كيفَ نَقبَلُ توبَتَكَ الآنَ وقد عايَنتَ العذابَ؟ وفي الحَديثِ: «**لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ قَالَ:** ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، **فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا آخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ؛ مَخَافَةَ أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ**». أخرَجَهُ التِّرمِذيُّ.

ثمَّ إنَّ بعضَ النَّاسِ لم يُصَدِّق بغَرَقِ فِرعَونَ، فأخرَجَ اللهُ جسَدَهُ مِن البَحرِ، فرَفَعَهُ علىٰ نَشَزٍ مِن الأرضِ ليَراهُ النَّاسُ، قالَ تعالىٰ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ أي: نرفَعُ بَدَنَكَ فيكونُ علىٰ نَجوَةٍ مِن الأرضِ، ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ دالَّةً علىٰ موتِكَ وهلاكِكَ، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾[يونس] لا يتَّعِظونَ ولا يَعتَبِرونَ بها.

وكانَت نَجاةُ موسَىٰ وبني إسرائيلَ في يَوم عاشوراءَ، وقد جاءَ في الحَديثِ: «**قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَرَأَىٰ الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّىٰ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَىٰ، قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**». مُتَّفقٌ عليه.

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ وهم بَنو إسرائيلَ ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ﴾ قيلَ: هي الشَّامُ، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ

رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[الأعراف] أي: يَبنون.

قصَّةُ العَجوزِ:

فلمَّا أغرَقَ اللهُ فِرعَونَ وجُندَهُ خرَجَ موسَىٰ ببني إسرائيلَ يُريدُ الأرضَ المُقدَّسةَ وهي أرضُ الشَّامِ، وعِندَ خُروجِهِم حصَلَت قِصَّةٌ عجيبَةٌ، قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَعَجَزْتُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ عَجُوزِ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟»، فَسَأَلُوهُ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ مُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمَّا سَارَ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ مِصْرَ ضَلُّوا الطَّرِيقَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ عُلَمَاؤُهُمْ: إِنَّ يُوسُفَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَخَذَ عَلَيْنَا مَوْثِقًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ مِصْرَ حَتَّىٰ نَنْقُلَ عِظَامَهُ مَعَنَا، قَالَ: فَمَنْ يَعْلَمُ مَوْضِعَ قَبْرِهِ؟ قَالَ: عَجُوزٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَبَعَثَ إِلَيْهَا فَأَتَتْهُ، فَقَالَ: دُلِّينِي عَلَىٰ قَبْرِ يُوسُفَ، قَالَتْ: حَتَّىٰ تُعْطِيَنِي حُكْمِي، قَالَ: مَا حُكْمُكِ؟ قَالَتْ: أَكُونُ مَعَكَ فِي الْجَنَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُعْطِيَهَا ذَلِكَ، فَأَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَيْهِ أَنْ أَعْطِهَا حُكْمَهَا، فَانْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَىٰ بُحَيْرَةٍ -مَوْضِعِ مُسْتَنْقَعِ مَاءٍ-، فَقَالَتِ: انْضِبُوا هَذَا الْمَاءَ، فَنَضَبُوهُ، فَقَالَتِ: احْتَفِرُوا، فَحَفَرُوا وَاسْتَخْرَجُوا عِظَامَ يُوسُفَ عليه السلام، فَلَمَّا أَقَلُّوهَا إِلَىٰ الْأَرْضِ إِذَا بِطَرِيقٍ مِثْلِ النَّهَارِ». أخرجه ابنُ حبَّانَ والحاكمُ، وصحَّحهُ الألبانيُّ.

مُرورُهم على عَبَدَةِ الأَصنامِ:

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[الأعراف].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ﴾، قيلَ: كانت أصنامُهم علىٰ صُوَرِ البَقرِ، فـ﴿قَالُواْ﴾ بنو إسرائيلَ: ﴿يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ عظمَةَ اللهِ وجلالَهُ

ومـا يجِـبُ له مِـن التَّنزيـهِ، ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾أي: هالِـكٌ ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ مِـن عِبادَةِ الأصنـام، ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾﴾، ثـمَّ ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[الأعـراف]، لا يصِـحُّ أن يُعبَـدَ إلَّا اللهُ الَّذي فضَّلَكُـم علـىٰ غَيرِكُـم بـأن هَداكُم للإيمـانِ بـه، وأنجاكُم مـن عَدُوِّكُم.

مُحاوَلَتُه دُخولَ بَيتِ المَقدس ببَني إسرائيلَ:

﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[المائدة].

فلمَّـا اتَّجَهَ بَنو إسـرائيلَ إلىٰ بيـتِ المَقدِسِ وجَـدوا فيها قومًا مِـن الجَبَّارينَ، فنَدَبَهُم موسَـىٰ ﷺ إلـىٰ قِتالِهم وإخراجِهم مِن بيـتِ المَقدِسِ، فقالَ: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُواْ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ ﴾ فتَمتَنِعـوا عـن قِتالِ عَدُوِّكُـم، ﴿فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ بعـدَ أن كُنتُم أنتـم الرَّابحينَ، ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴾ عُتـاةً كَفَـرَةً، ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا ﴾، وذلِـكَ لأنَّهُـم كانـوا قد رأَوا ما نَـزَلَ بفِرعَـونَ وجُندِهِ، فخافُوا علىٰ أنفُسِـهم مِـن القِتالِ، وكانَ حقُّهُـم أن يثِقـوا برَبِّهِم، ويَعلَمـوا أنَّ اللهَ ناصِرُهُم كمـا نصَرَهُم قبلُ، قالوا: ﴿فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾، لكِـنَّ اللهَ قـدَّرَ كَونًا أنَّـهُ إنَّما يَنصُرُ مَن يَنصُـرُه، ويَخذُلُ مَـن يَخذُلُهُ.

ثـمَّ ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ بالإيمانِ والشَّـجاعَةِ لِقَومِهِـم: ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن

كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾، فإذا توكَّلتُم علىٰ اللهِ نصرَكُم علىٰ عدُوِّكُم، لكنَّ أكثَرَ بَني إسرائيلَ أصرَّ علىٰ النُّكولِ، و﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾، وهذا وَهَنٌ عظيمٌ مِنهُم، قيلَ: إنَّ موسَىٰ وهارونَ لمَّا سَمِعا قولَ قَومِهِما سجَدَا للهِ عز وجل إعظامًا لهذا القَولِ وغضبًا للهِ، ثمَّ ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ مُعتَذِرًا لِرَبِّهِ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ﴾ أي: لا يُطيعُني في أمرِكَ إلَّا أنا وأخي، ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: اقضِ بينَنا وبينَ مَن نكَلَ، وقيلَ: افصِل بينَنا وبينَهُم، فعاقَبَهُم اللهُ علىٰ نُكولِهم، ﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ بيتُ المَقدِسِ ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فلا يستَطيعونَ الخُروجَ مِن هذا التيهِ أربَعينَ سنةً، ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[المائدة] تَسليَةً لموسَىٰ عليه السلام، وقد حَصَلَت لبَني إسرائيلَ في هذا التِّيهِ مع موسَىٰ عليه السلام أُمورٌ عجيبةٌ سنَذكُرُ بعضَها.

ذَهابُه إلى الطُّورِ:

لمَّا انصَرَف موسَىٰ ومَن معه عن بيتِ المَقدِسِ نزَلوا حولَ طورِ سَيناءَ، وصَعِدَ موسَىٰ الجبَلَ، فكَلَّمهُ اللهُ عز وجل مِن وَراءِ حِجابٍ، وأمرَهُ أن يُذَكِّرَ بَني إسرائيلَ بنِعَمِ اللهِ عليهِم، وأن يأمُرَهُم بالاغتِسالِ، ثمَّ يُدنِيَهُم إلىٰ الجبَلِ لِيَسمَعوا كلامَ اللهِ، فسَمِعوا ولم يَعقِلوا، وأنزَلَ عليهِم أحكامًا عظيمَةً فيها حِفظُ مَصالِحِهم.

ذِكرُ بعضِ ما حَصَلَ في التِّيهِ:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾[طه]، ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا

﴿وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾[البقرة].

قالَ تعالىٰ مُمتنًّا علىٰ بَني إسرائيلَ: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾، فقد أنزلَ اللهُ عليهم في الأرضِ الَّتي ليس فيها زرعٌ ولا ضرعٌ المَنَّ، وهو طعامٌ نَزَلَ عليهم مِن السَّماءِ، يُصبحونَ فيَجِدونَه في بُيوتِهم، فيأخُذُون منه قَدرَ حاجَتِهم، ومَن ادَّخرَ مِنه فسَدَ، وإذا كانوا بالنَّهارِ غَشِيَهُم طَيرٌ يُقالُ له السَّلوىٰ، فيَصيدونَهُ بغَيرِ كُلفةٍ، فيأكُلونَ مِنهُ، وكذلِكَ أنزَلَ اللهُ عليهِم الغَمامَ يُظلِّلُهم نهارًا مِن حَرِّ الشَّمس، كلُّ ذلِكَ إنعامٌ مِن اللهِ علىٰ بَني إسرائيلَ، قالَ تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾[طه]، وكانَ مِن نِعَمِ اللهِ عليهم أن فجَّرَ لهُم الماءَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ﴾ لحَجَرٍ كانوا يَحمِلونَهُ معهم، ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ﴾ فشَرِبَ كلُّ سِبطٍ مِن عَينٍ، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾[البقرة].

فقابَلَ بَنو إسرائيلَ هذه النِّعَمَ بالجُحودِ وعدَمِ الصَّبرِ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ﴾ وهو المَنُّ والسَّلوىٰ، ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ﴾، فذكَروا أشياءَ كانُوا يأكُلونَها قَبلُ، ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾؟! أي: أتستبدِلونَ الطَّعامَ الهَنيءَ النَّافِعَ الَّذي ينزِلُ عليكُم بالطَّعامِ الدَّنيءِ الَّذي ذكَرتُم؟! ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾ أي: بَلَدًا مِن البُلدانِ ﴿فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ﴾ مِنَ الطَّعامِ، فإنَّه مَوجودٌ في كُلِّ مَكانٍ، وبسببِ جُحودِهم نِعمَةَ اللهِ وكَونِ طلَبِهم لا ضَرورةَ فيهِ فإنَّهُم لم يُجابوا إليه، وعاقَبَهُم اللهُ علىٰ ذلِكَ، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ شرعًا وقدرًا، ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾[البقرة].

سُؤالُ رُؤيَةِ اللهِ:

﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[الأعراف].

ثـمَّ واعَـدَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ موسَـىٰ أن يصـومَ ثلاثيـنَ يومًـا، قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾، فلمَّـا أكمَـلَ موسَـىٰ الثَّلاثيـنَ يومًـا استاكَ بلِحاءِ شَـجَرةٍ ليُغَيِّـرَ ريحَ فمِـهِ، ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ فأتَـمَّ اللهُ لـه عشـرًا أُخـرىٰ، ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾، فلَمَّـا حَضَـرَ الميقـاتُ عَمَـدَ موسَـىٰ إلـىٰ الطُّـورِ ليُكلِّـمَ اللهَ، ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ وهذا لِاشـتياقِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلـىٰ رُؤيـةِ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ كما هو حـالُ المُؤمِنيـنَ، ﴿قَالَ﴾ اللهُ له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ في الحَيـاةِ الدُّنيـا، وأمَّـا في الآخِرةِ فـإنَّ المُؤمنينَ يَرونَ ربَّهُـم عَزَّ وَجَلَّ، ويَكونُ ذلِكَ لهُـم أفضَـلَ الثَّوابِ وأعظَمَـهُ، قـالَ: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ فكُشِـفَ الحِجـابُ عـن الجَبَـلِ وبـانَ لـه النُّـورُ ﴿جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ فاسـتَوىٰ الجَبَـلُ إلـىٰ الأرضِ فصـارَ تُرابًـا، وهـذا مع أنَّ الجَبَـلَ أعظَـمُ بُنيَـةً مِـن الإنسـانِ، ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ مَغشِـيًّا عليـه لمَّا رأىٰ ذلِـكَ، ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ موسَـىٰ مِـن صَعقَتِـهِ ﴿قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾.

وعندَهـا ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسَـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ لـكَ مِن وَراءِ حِجابٍ بلا واسِـطَةٍ، ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[الأعراف]، قيلَ اشتملَتِ الألواحُ على التَّوراةِ، وقيلَ: أُنزلت قبلَ التَّوراةِ، وفي الحَديثِ المُتَّفق عليه يقولُ آدمُ مُخاطِبًا موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**يَا مُوسَىٰ اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ**»، ففيه أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ كتبَ الألواحَ بيدِهِ.

قِصَّتُه مع السَّامريِّ:

﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾[طه].

وفي غِيابِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عبدَ قومُهُ العِجلَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾؟ أي: لِمَ سَبقتَ قومَكَ إلىٰ الطُّورِ وخلَّفتَهُم وراءَكَ؟ ﴿قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى﴾ قريبونَ مِنَ الطُّورِ، ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ أي: لِتزدادَ عنِّي رِضًا، فـ﴿قَالَ﴾ اللهُ لموسَىٰ: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ

وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ فعبَدوا العِجلَ مِن دونِ اللهِ، ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾ أي: جزِعًا مِن أن يُعذِّبَهُم اللهُ قبلَ توبَتِهم، أو حَزينًا من فِعلِهم.

فلمَّا أدرَكَ قومَهُ ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ فوعَدكُم خيري الدُّنيا والآخرةِ؟ ﴿أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ﴾ في انتِظارِ ما وعَدكُم اللهُ فنسيتُم؟ ﴿أَمۡ﴾ أي: بل ﴿أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾﴾، فأجابَهُ بَنو إسرائيلَ و﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا﴾ بإرادَتِنا واختيارِنا، ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ﴾ وهي الحُليُّ الَّتي كانوا قد استَعاروها مِن الأقباطِ قبلَ هَلاكِهِم مع فِرعَونَ، فتورَّعنا مِن أخذِها، ﴿فَقَذَفۡنَٰهَا﴾ في حُفرةٍ، ﴿فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾﴾ التُّرابَ الَّذي التقَطَهُ مِن أثَرِ فرَسِ جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حينَ مَشَوا في البحرِ، ودعا السَّامِريُّ أن تصيرَ الحُليُّ عِجلًا، فكانَ له ذلِكَ، ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ﴾ يُصدِرُ صَوتًا إذا مرَّت فيه الرِّيحُ، فافتُتِنَ بَنو إسرائيلَ ﴿فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾، فاتَّهَموا موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه نَسِيَ ربَّه هنا وذهَبَ يبحَثُ عنه في الطُّورِ! ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾؟!

قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الَّذي خلَقَكم ويرزُقُكُم ويُدبِّرُ أُمورَكُم، ﴿فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾﴾، لكنَّهُم استَضعفوهُ، ولم يُجيبوهُ في دَعوَتِهِ، وكادوا يَقتُلونَهُ، و﴿قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ﴾ نَعبُدُه ونَسجُدُ له ﴿حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾، فلمَّا رجَعَ موسَىٰ غَضبانَ عليهم بدَأَ بأخيهِ يسألُهُ فـ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ﴾ فتُخبِرَني بأمرِهم؟ ﴿أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾﴾ فيما كُنتُ عَهِدتُ إليكَ مِن خِلافَتي في بني إسرائيلَ؟ فعندَها ﴿قَالَ﴾ هارونُ: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾ فإنَّما مَنَعني أن ألحَقَ بكَ فأُخبِرَكَ ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ﴾ لي: إنَّكَ بتَركِهم وحدَهم فقد ﴿فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه]، وقالَ هارونُ لموسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ

﴿١٥٠﴾، فعندَها دعا موسَىٰ ربَّهُ فـ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾[الأعراف].

ثمَّ ذهبَ موسَىٰ إلىٰ السَّامِرِيِّ يسألُهُ عن أمرِه، ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ وهو جِبريلُ كما تقدَّمَ، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ في الحُفرةِ لمَّا ألقىٰ النَّاسُ الحُليَّ، ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾﴾ فأعجبَها ذلكَ، ﴿ قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ﴾، فلا يمسُّكَ النَّاسُ ولا تَمَسُّهُم، ولا يُخالِطُكَ بَنو إسرائيلَ، عِقابًا لك بسببِ ما أحدَثتَ مِن المُنكرِ والشِّركِ باللهِ، ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ للعُقوبةِ مِن اللهِ ﴿لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ﴾، بل هو آتيكَ لا مَحالةَ، ﴿ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ﴾ وهو العِجلُ، ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾﴾[طه].

وقد عاقبَ اللهُ بني إسرائيلَ علىٰ عِبادَتِهم العِجلَ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة]، فامتثَلَ بعضُهم، ثمَّ أرادَ عُلماؤُهم أن يَعتذِروا للهِ عَزَّوَجَلَّ عن صنيعِ قومِهم وعِبادَتِهم العِجلَ، حتَّىٰ يرفَعَ اللهُ عنهُم أمرَهُ إيَّاهُم بأن يقتُلوا أنفُسَهم، ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ﴾[الأعراف] بأمرٍ مِن اللهِ، فذهبَ بهم إلىٰ الميقاتِ، فلمَّا جاؤوا الميقاتَ اشترَطوا علىٰ موسَىٰ أن يُرِيَهُم اللهَ، ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[البقرة]، ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف].

رفعُ الطُّورِ:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[البقرة].

لمَّا جاءَ موسَىٰ قومَهُ بالألواحِ فيها التَّوراةُ أمرَهُم أن يقبَلوها ويعمَلوا بما فيها، فاشترَطوا عليه أن يعلَموا ما فيها أوَّلًا، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ أن تأخُذوا ما آتيناكُم مِن التَّوراةِ بقُوَّةٍ وحَزمٍ وطاعةٍ للهِ، ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ لمَّا أَبيتُم ذلِكَ، وقُلنا: ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ ورُفِعَ الطُّورُ حتَّىٰ كانَ كالظُّلَّةِ فوقَ رُؤوسِهم، فلمَّا خَشوا أن يقَعَ عليهم سَجَدوا علىٰ خُدودِهم، وجَعلوا يَنظُرونَ إلىٰ الجَبَلِ وهم سُجودٌ، فكشَفَ اللهُ عنهم ذلِكَ، ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ﴾ أي: بعدَ مُشاهَدَةِ ذلِكَ الميثاقِ العظيمِ، ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾[البقرة].

قصَّةُ البقرة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[البقرة].

وذلِكَ أنَّ رجُلًا مِن بَني إسرائيلَ قُتِلَ، فاختَصَمَ فيه النَّاسُ، فجاءَ وَلِيُّهُ إلىٰ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يسألُهُ، فأوحَىٰ إليه اللهُ أن يأمُرَهُم أن يذبَحوا بقرةً، قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ﴾ مِن دونِ تحديدٍ،

فـ﴿قَالُوٓاْ﴾ مُعترِضين: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾؟! وما كانَ نبيُّ اللهِ أن يهزأَ بهم، ولكنَّهم أرادوا أن يُشَدِّدوا علىٰ أنفُسِهم، ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ﴾ وهذا مِن تَشديدِهم، ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا فَارِضٞ﴾ هَرِمَةٌ ﴿وَلَا بِكۡرٌ﴾ صغيرةٌ في السِّنِّ، ﴿عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: وَسَطٌ بين الصَّغيرةِ والكَبيرةِ، ﴿فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ٦٨﴾ ولا تُشَدِّدوا علىٰ أنفُسِكُم، فشدَّدوا و﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا﴾ أي: صافٍ، ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩﴾ أي: تُعجِبُهم، ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ﴾ ذَلَّلَها العَمَلُ فهي ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ﴾ مِن العُيوبِ، ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ﴾ أي: لا بَياض، فحينئذٍ ﴿قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾ إذ عَرَفوا البَقَرَةَ الَّتي وصفَ لهُم، وقيلَ: إنَّ صاحِبَها باعَها لهُم بوزنِها ذهبًا، وقيلَ: بعشرةِ أضعافِ ذلِكَ، فلمَّا شدَّدوا شدَّد اللهُ عليهم، ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١﴾، ثمَّ قالَ: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾ أي: تنازعتُم فيها، ﴿وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ﴾ أي: بأيِّ جُزءٍ مِنها، ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣﴾ [البقرة]، فأحيا اللهُ المَيِّتَ، وأنطَقَهُ فأخبرَهم مَن قتلَه، ثمَّ رجعَ مَيتًا كما كانَ، وكانت تِلكَ آيةً دالَّةً علىٰ صِدقِ رِسالَةِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لقاؤه بالخضر:

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ٦٢ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ٦٤ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ

تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ
ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي
ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ
لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرۡهِقۡنِي مِنۡ أَمۡرِي عُسۡرٗا ﴿٧٣﴾
فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا
﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا
تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ
أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ
أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾
أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ
سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا
﴿٨٠﴾ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ
يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ
أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع
عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف].

وذلِكَ أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أخبَرَ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عن رجُلٍ أوتِيَ عِلمًا لم يعلمهُ موسَىٰ، أخرَجَ الشَّيخانِ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**قامَ مُوسَىٰ النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ...**» في حديثٍ طَويلٍ.

وقد ساقَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هذه القصَّةَ فقالَ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ يوشَعَ بن نونٍ، الَّذي صارَ نبيًّا بعد مَوتِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿لَآ أَبۡرَحُ﴾ أي: عَزَمتُ أنِّي لا أزالُ أسيرُ ﴿حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ﴿٦٠﴾﴾ مِن الزَّمانِ أسيرُ بَحثًا عن الرَّجُلِ، فسارَ موسَىٰ ويوشَعُ وحَمَلا معهُما حوتًا مملوحًا، وقيلَ لموسَىٰ: متىٰ فَقَدتَ الحوتَ فستَجِدُ الرَّجُلَ، ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا

حُوتَهُمَا﴾ وسَقطَ الحوتُ في الماءِ ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾﴾ أي: صارَ يسيرُ في الماءِ حتَّىٰ تَوارىٰ عنهُم، وأبصَرَهُ يوشَعُ، ونَسِيَ أن يُخبِرَ موسَىٰ.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلِكَ المَكانَ ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ أي: تعبًا، فعندَها تذكَّرَ يوشَعُ الحوتَ و﴿قَالَ﴾ لموسَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾، فـ﴿قَالَ﴾ موسَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾ أي: رجَعا يتتبَّعانِ أثرَهُما إلىٰ المَكانِ الَّذي فقَدا فيه الحوتَ، ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾ الصَّالِحينَ ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾، وهو الخضرُ ﷺ، وقد اختَلَفَ أهلُ السِّيَرِ هل هو نَبيٌّ أم لا؟

فـ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾ أي: لن تستطيعَ أن تَصبِرَ علىٰ ما سَترىٰ مِنِّي مِن أُمورٍ تُخالِفُ شَريعتَكَ، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾ أي: عِلمًا، فـ﴿قَالَ﴾ له موسَىٰ: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ﴾ الخضرُ: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ أي: حتَّىٰ أُبيِّنَه لك، فوافَقَ موسَىٰ علىٰ شرطِهِ، ﴿فَٱنطَلَقَا﴾ معًا يَمشِيانِ علىٰ ساحِلِ البَحرِ، فرَأىٰ موسَىٰ ثلاثَةَ أُمورٍ لم يُدرِكْها:

الأمرُ الأوَّلُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ﴾ وكانَ أصحابُها قد حَمَلوهُم بلا أُجرَةٍ، فـ﴿خَرَقَهَا﴾ الخضرُ، فتعَجَّبَ موسَىٰ مِن صَنيعِهِ و﴿قَالَ﴾ مُستنكِرًا: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾ أي: عظيمًا، فذكَّرَهُ الخضرُ بشَرطِهِ و﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾، فعِندَها اعتَذرَ موسَىٰ إليهِ بالنِّسيانِ فـ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾ أي: لا تُعسِّر عليَّ فإنِّي لم أتعمَّدْ.

الأمرُ الثَّاني: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا﴾ يَلعَبُ مع الغِلمانِ، فعَمَدَ إليه الخضرُ ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾، فاستَنكَرَ موسَىٰ ذلِكَ و﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ

جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾﴾ أي: مُنكَرًا، فـ﴿قَالَ﴾ الخضرُ مرَّةً أُخرىٰ لموسَىٰ: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾﴾، وزادَ في هذهِ المرَّةِ ﴿لَّكَ﴾ فدلَّ علىٰ زِيادَةِ التَّشديدِ مِنه علىٰ موسَىٰ عليه السلام، فاعترَفَ موسَىٰ و﴿قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾﴾ أي: لا تُلامُ علىٰ تَركِ مُصاحَبَتي إذا سألتُكَ مرَّةً أُخرىٰ.

الأمرُ الثَّالِثُ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا﴾ مائلًا ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ أي: يُريدُ أن يسقُطَ، ﴿فَأَقَامَهُۥۖ﴾ أي: بَناهُ بيَدَيهِ، فـ﴿قَالَ﴾ له موسَىٰ مُستنكِرًا: ﴿لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾﴾ أي: لِمَ لَم تسألْهُم أجرًا علىٰ إصلاحِكَ للجِدارِ وهم قد أبَوا أن يُطعِمونا ويُضيِّفونا.

فعِندَها ﴿قَالَ﴾ الخضرُ لموسَىٰ: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ﴾، لكنِّي ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ﴾ أي: بتَفسيرِ ﴿مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾﴾ مِنَ الأُمورِ الثَّلاثَةِ، ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ أي: أمامَهُم ﴿مَّلِكٞ﴾ ظالِمٌ ﴿يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ سَليمَةٍ ﴿غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾﴾ وظُلمًا لأصحابِها، فإذا وجدَها مَعيبَةً ترَكَها ولم يأخُذها، فكانَ في خَرقِهِ لها حِفظٌ لها لأصحابِها مِن أن يأخُذَها المَلِكُ مِنهم، ﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ﴾، وكانَ الولَدُ سيَكونُ كافِرًا، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ﴿٨٠﴾﴾ أي: أن يَحمِلَهُما حُبُّه علىٰ أن يُتابِعاهُ في الكُفرِ، ﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ ولَدًا ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ﴾ أي: أزكَىٰ مِنه، ﴿وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا ﴿٨١﴾﴾ أي: يَكونانِ أرحَمَ به، أو يَكونُ أبَرَّ بهما، ﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ﴾ أي: في القَريَةِ الَّتي أقامَ الخضرُ بها الجِدارَ المائِلَ، ﴿وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ﴾ مالٌ مَدفونٌ ﴿لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا﴾، ومِن جَزاءِ الوالِدِ الصَّالِحِ أن يَحفَظَ اللهُ ذُرِّيَّتَهُ، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا﴾ فيَكونَ فيه نَفعٌ لهما، وهذه الأُمورُ الثَّلاثةُ الَّتي فعَلَتُها كانَت ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ لأصحابِ السَّفينَةِ، ولوالِدَي الغُلامِ، ولليَتيمَينِ، ﴿وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف].

قِصَّتُه مع قارونَ:

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص].

وأكثَرُ أهلِ السِّيَرِ مِن السَّلَفِ علىٰ أنَّ قارونَ ابنُ عَمِّ موسَىٰ ﷺ، وقيلَ: إنَّه كانَ يُسمَّىٰ المُنَوِّرَ لحُسنِ صَوتِهِ بالتَّوراةِ، ثمَّ افتُتِنَ بمالِه، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾ أي: الأموالِ ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ أي: لَيَصعُبُ حَملُها عليهم، ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ الصَّالِحونَ مِنهُم: ﴿لَا تَفْرَحْ ۖ﴾ أي: لا تَبطَر بما أنتَ فيهِ مِن المالِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ المَرِحينَ الأَشِرينَ البطرينَ، ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ﴾، فاستَعمِل ما آتاكَ اللهُ مِن مالٍ كثيرٍ في طاعَةِ رَبِّكَ، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ فإنَّه سيَحصُلُ لكَ بصرفِ أموالِكَ في طاعَةِ اللهِ الثَّوابُ في الدُّنيا كذلِكَ، ﴿وَأَحْسِن﴾ إلىٰ خَلقِ اللهِ ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾ بمالِكَ الَّذي آتاكَهُ اللهُ، فـ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

فلم يَستَجِب قارونُ لنَصيحَةِ قَومِهِ، و﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ﴾ يقولُ: إنَّما آتاني اللهُ هذا المالَ لعِلمِه أنِّي أستَحِقُّهُ، ولمَحبَّتِهِ إيَّايَ، فقالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ

ردًّا علىٰ دَعواهُ: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمـالِ، ولو كانَت كثـرَةُ أموالِهـم لمَحبَّةِ اللهِ لهُم لَما أهلَكَهُـم اللهُ، ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾؛ لِكَثـرَةِ ذُنوبِهـم، ﴿فَخَرَجَ﴾ قارونُ ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ﴾ العَظيمَـةِ مُتجَمِّـلًا، فـ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ مِـن قَومِهِ لمَّا رأَوهُ علىٰ تِلكَ الحـالِ: ﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ في الحَيـاةِ الدُّنيـا، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ مِنهُـم لمَّـا سَـمِعوا مَقالَـةَ أولئِكَ: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ تَقريعًـا لهُـم، ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخِـرَةِ ﴿خَيْرٌ﴾ مِن هـذا الَّـذي تَرونَـهُ ﴿لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾، أي: لا يُلَقَّـىٰ الجنَّـةَ، أو: لا يُلَقَّـىٰ هـذه الكَلِمَةَ الَّتي قالوها.

وكانَ عِقـابُ اللهِ لقـارونَ في الدُّنيـا أن خَسَـفَ بـه الأرضَ، قـالَ تعالـىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾، قيـلَ: لأنَّ موسَـىٰ عليه السلام دعـا عليـه، وقيـلَ: لأنَّـه فضَّـلَ نفسَـهُ علىٰ موسَـىٰ، وفي الحديـثِ المُتَّفَقِ عليـه: «**بَيْنَمَـا رَجُلٌ يَجُـرُّ إِزَارَهُ مِنَ الْخُيَلَاءِ خُسِـفَ بِهِ فَهُـوَ يَتَجَلْجَلُ فِـي الْأَرْضِ إِلَىٰ يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ**»، قال بَعضُ الشُّـرَّاحِ: هـو قـارونُ، ﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ لمَّا خُسِـفَ بِه، فلـم ينفَعـهُ مالُـهُ ولا خَدَمُـهُ، ﴿وَمَا كَانَ﴾ هـو ﴿مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ بنَفسِـهِ، ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ﴾ لمَّـا أعجَبَتهُـم زينَتُـهُ ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ﴾ أي: ألـم تَـرَوا أنَّ ﴿ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾، وليـسَ المـالُ دالًّا علـىٰ رِضـا اللهِ عز وجل ومَحبَّتِـهِ، ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بلُطفِـهِ ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كمـا خَسَـفَ بـه؛ لأنَّنـا تَمَنَّينـا لـو كُنَّـا مَكانَـهُ، ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القصص]، يَعنـونَ أنَّ قـارونَ كانَ كافِـرًا، ولا يُفلِـحُ الكافِـرُ.

حَجُّه:

أخـرَجَ مُسـلِمٌ عَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُـولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم مَـرَّ بِـوَادِي الْأَزْرَقِ، فَقَـالَ: «**أَيُّ وَادٍ هَـذَا؟**»، فَقَالُـوا: هَـذَا وَادِي الْأَزْرَقِ، قَـالَ: «**كَأَنِّـي أَنْظُـرُ إِلَـىٰ مُوسَـىٰ عليه السلام هَابِطًـا مِـنَ الثَّنِيَّـةِ، وَلَـهُ جُـؤَارٌ إِلَـىٰ اللهِ بِالتَّلْبِيَـةِ**»، ووادي الأزرَق

قَرِيبٌ مِن مكَّةَ بينَهُ وبينَها ميلٌ واحدٌ.

وَفاتُهُ:

تَوَفَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ هارونَ ثمَّ موسَىٰ عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ قبلَ انقِضاءِ زَمَنِ التِّيهِ، وقيلَ: إنَّ هارونَ لمَّا ماتَ اتَّهَمَ بَنو إسرائيلَ موسَىٰ أنَّهُ قتَلَهُ، وأنَّهُم اتَّهموا يوشَعَ بنَ نونٍ بقَتلِ موسَىٰ لمَّا ماتَ!

وأخرَجَ الشَّيخان مِن حَديثِ أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «**أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَىٰ مُوسَىٰ** عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ» اختِبارًا لموسَىٰ، وكانَ يأتي النَّاسَ عِيانًا، «**فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ**» أي: لطَمَهُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، «**فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ**» إذا كانَ يُريدُ الحَياةَ «**يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ**» أي: علىٰ ظَهرِ ثورٍ، «**فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ**» يزيدُها اللَّهُ في عُمُرِهِ، «**قَالَ**» موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أَيْ رَبِّ ثُمَّ مَاذَا؟**» أي: ما الَّذي سَيَكونُ بعدَ انقِضاءِ هذه الزِّيادَةِ؟ أحَياةٌ أم مَوتٌ؟ «**قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ**» أي: مادُمتُ مَيِّتًا لا مَحالَةَ فلأَمُتِ الآنَ، «**قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ**» بيتِ المَقدِسِ «**رَمْيَةً بِحَجَرٍ**» أي: قَدرَ ما يَبلُغه الحَجَرُ إذا رُمِيَ، ولم يَطلُب أن يُدفَنَ في بَيتِ المَقدِسِ نَفسِهِ خَشيَةَ أن يُعلَمَ قَبرُهُ فيُفتَنَ النَّاسُ بهِ، ويَكونَ وَسيلَةً إلىٰ الشِّركِ.

قالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَىٰ جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ**»، والكَثيبُ هو الرَّملُ المُجتَمِعُ.

ذِكرُ أَشْهَرِ الأنبياءِ بَينَ موسَى وشَمْوِيلَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

يوشَعُ بنُ نونٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ	اسمُه:	هو يوشَعُ بنُ نونٍ، مِن ذُرِّيَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.
	قومُه:	تنبَّأَ بعد مَوتِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبُعِثَ إلىٰ **بَني إسرائيلَ**.
	آياتُه:	«**إنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْبَسْ عَلَىٰ بَشَرٍ إلَّا لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ**». أخرَجَهُ أحمَدُ.
	ذِكرُه:	ذُكِرَ غيرَ مُصرَّحٍ باسمِهِ: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾[الكهف].
	مُلَخَّصُ قِصَّتِه:	كانَ موسَىٰ جهَّزَ بَني إسرائيلَ لِقتالِ الجَبَّارينَ إذا انتهت مُدَّةُ التِّيهِ، وجعلَ علىٰ كُلِّ سِبطٍ مِنهُم نَقيبًا -أي: أميرًا-، ثمَّ ماتَ موسَىٰ قبلَ ذلِكَ، فلمَّا انقضَىٰ التِّيهُ خَرَجَ يوشَعُ ببَني إسرائيلَ ففتَحَ بيتَ المَقدِسِ، وقيل: إنَّه عاشَ بعدَ موسَىٰ ٢٧ سنةً ثمَّ توَفَّاهُ اللهُ.

الخَضِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	اسمُه ونُبُوَّتُه:	اختُلِفَ في اسمِهِ ونسَبِهِ وزَمانِهِ اختِلافًا كثيرًا، وزَعَمَ بعضُهُم أنَّه ابنُ آدمَ لِصُلبِهِ، وأنَّه يعيشُ حتَّىٰ يُكَذِّبَ الدَّجَّالَ، ولا يصِحُّ في ذلِكَ شيءٌ، واختُلِفَ في نُبُوَّتِهِ والرَّاجِحُ أنَّه نبِيٌّ.
	آياتُه:	[١] ما تقدَّمَ ذِكرُهُ مِن أفعالٍ في قِصَّتِهِ مع موسَىٰ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. [٢] جاء عندَ البُخاريِّ: «**إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرَ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرْوَةٍ**» أي: أرضٍ «**بَيْضَاءَ**» يابِسَةٍ ليسَ فيها نَباتٌ، «**فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضْرَاءَ**»؛ لِما نَبَتَ فيها مِن العُشبِ.
	ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ في القُرآنِ غيرَ مُصرَّحٍ باسمِهِ، ﴿عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾[الكهف:٦٥].

حزقيل عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسمُهُ:	حِزقيلُ بنُ بوذَىٰ، وقيلَ: هو ابنُ العَجوزِ الَّتي تقدَّمَ ذِكرُها عندَ خُروجِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ببَني إسرائيلَ مِن مِصرَ.
زَمانُه:	قامَ بأمرِ بَني إسرائيلَ بعدَ موسَىٰ يوشَعُ بنُ نونٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ثمَّ كالِبُ بنُ يوفَنَّا زَوجُ أُختِ موسَىٰ، ثمَّ بعدَه حِزقيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
مُلَخَّصُ قِصَّتِه:	ذُكِرَت آيَتُهُ في القُرآنِ، ولم يُصرَّح باسمِهِ، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ بالطَّاعونِ، ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ﴾ فماتُوا كلُّهُم، ﴿ثُمَّ﴾ بعدَ مُدَّةٍ مرَّ النَّبيُّ حِزقيلُ بهِم، فدعا اللهَ أن يُحيِيَهُم فـ﴿أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة].

إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسمُهُ:	إلياسُ بنُ ياسينَ، مِن ذُرِّيَّةِ هارونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيلَ: بَل أخو الخَضِرِ.
قَومُهُ:	أرسَلَهُ اللهُ بعدَ حِزقيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بزَمانٍ إلىٰ بَني إسرائيلَ ببَعلَبَكَّ غربَ دِمَشقَ، وكانُوا يعبُدونَ صَنَمًا يُقالُ له: بَعلٌ، ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[الصَّافَّات].
ممَّا وَصَفَه اللهُ به:	[١] الذِّكرُ الحَسَنُ، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾﴾[الصَّافَّات]. [٢] سلَّمَهُ اللَّهُ، ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصَّافَّات]. [٣-٤] ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.
ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مرَّتَينِ بلفظِ إلياسَ، ومرَّةً واحدَةً بلفظِ (إل ياسين) كما في سورةِ يس.
مَوتُه:	لمَّا دعا إلياسُ قَومَهُ إلىٰ اللهِ كذَّبوهُ وأرادوا قَتلَهُ، واللهُ أعلَمُ بما كانَ بعدَ ذلِكَ ففيه اختِلافٌ كثيرٌ.

اليَسَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ		
	اسمُهُ:	قيلَ: أسباطُ، وقيلَ: هو ابنُ عَمِّ إلياسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو مِن ذُرِّيَّةِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	زَمانُهُ:	أرسَلَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ بَني إسرائيلَ بعد إلياسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	وَصفُهُ:	أنَّه مِن **الأخيارِ**، ﴿وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾﴾[ص].
	ذِكرُهُ في القُرآنِ:	ذُكِرَ اليسَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القرآنِ **مرَّتَينِ**، في سورتي الأنعام وص.
	مُلَخَّصُ قِصَّتِهِ:	سُلِبَ بَنو إسرائيلَ في زَمانِهِ تابوتَ الميثاقِ الَّذي كانوا يحمِلونَهُ معهم في الحُروبِ فيُنصَرونَ ببركَتِهِ، وبَقَوا بعدَ اليسَعِ كالغنَمِ بلا راعٍ، إلىٰ أن جاءَ شَمويلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ بَعْدَهُ:

❍ مِن أهَمِّ ما يُستَفادُ مِن قِصَّةِ نَبيِّ اللهِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ اللهَ يَبتَلي المُؤمِنينَ بأنواعِ البَلاءِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢﴾[العنكبوت]، والحِكمَةُ مِن هذا الابتِلاءِ التَّمحيصُ والتَّفريقُ بينَ الصَّادِقِ والكاذِبِ، وبينَ الصَّابرِ والقانِطِ، قالَ تعالىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٢﴾[آل عمران]؟! فإذا صبَرَ المُؤمِنونَ علىٰ الابتِلاءِ وجاهَدوا في سَبيلِ اللهِ مكَّنَ اللهُ لهم وأورَثَهم الأرضَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةً وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥﴾[القصص]، وقالَ موسَىٰ لقَومِه: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾[الأعراف].

❍ وممَّا يُستَفادُ مِن قِصَّةِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كثرَةُ مُعالَجَتِه لبَني إسرائيلَ، وكثرَةُ التِوائِهم وتَغيُّرِهم وعِصيانِهم للهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ما كانَ يُخرِجُهم مِن فِتنَةٍ إلَّا ودخَلوا في أُخرىٰ أشَدَّ منها، وهذه هي طَبيعَةُ بَني إسرائيلَ الَّتي مِن أجلِها ضرَبَ اللهُ عليهم الذِّلَّةَ والمَسكَنَةَ، وسامَهم سوءَ العَذابِ، وقد ذكَرَ اللهُ تَعالىٰ جُملَةً مِن فِتَنِهم مُختَصَرَةً بقَولِه: ﴿فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَعَفَوۡنَا عَن ذَٰلِكَۚ وَءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ سُلۡطَٰنًا مُّبِينًا ١٥٣ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدًا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ١٥٤﴾[النِّساء] والآياتِ بعدَها، وقد بَقِيَت هذه الطَّبيعَةُ في اليَهودِ إلىٰ يومِنا هذا، نسأَلُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينتَقِمَ منهم، وأن يَجعَلَ الدَّائِرَةَ عليهم.

❍ مع كُلِّ الفِتَنِ الَّتي عالَجَها موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مع بَني إسرائيلَ بَقِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صابرًا مُحتَسِبًا، وعامَلَهم مُعامَلَةً لَيِّنَةً في غالِبِها إلَّا عندَ كَونِ الحَزمِ أصلَحَ، وهكذا يَنبَغي للدَّاعي إلىٰ اللهِ أن يكونَ قَصدُه دائِمًا صَلاحَ المَدعُوِّ، ولنا في نَبِيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أُسوةٌ حسنةٌ، فقد جاءَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّها قالَتْ للنَّبيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ؟**»، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**».

❍ مِن عَجيبِ اللَّطائفِ أنَّ كلَّ سورةٍ تبدأُ بالطَّاءِ تَرِدُ فيها قِصَّةُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أَوائِلِها مُفصَّلَةً قَبلَ سائِرِ القَصَصِ؛ مِثلَ: (طه، وطس، وطسم القَصَص، وطسم الشُّعَرَاء)، وليس في المَواطِنِ الأُخرىٰ مِمَّا يُبدَأُ فيه بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ مِثلُ ذلِكَ! كما أنَّ ما يَبدَأُ بـ(طسم) تكونُ قِصَّةُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه أطوَلَ مِمَّا يبدَأُ بـ(طس).

❍ لم يَرِد ذِكرُ هامانَ في الكُتُبِ الَّتي بينَ يَدَي أَهلِ الكِتابِ، وقد أنكَرَ اليَهودُ وُجودَه وخَطَّؤوا فيه القُرآنَ، إلىٰ أن ظهَرَ الاسمُ مَكتوبًا في بَعضِ الآثارِ الفِرعونِيَّةِ، وأنَّ مَعناهُ: المَسؤولُ عن المَشاريعِ البِنائِيَّةِ الكُبرىٰ، وكَونُه مَسؤولًا عن البِناءِ يَتوافَقُ مع ما جاءَ في القُرآنِ مِن قَولِ فِرعونَ: ﴿فَأَوۡقِدۡ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[القصص:٣٨]، واللهُ أعلَمُ.

❍ قالَ تعالىٰ عن أمِّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٠﴾[القصص:١٠]، والمَقصودُ: ليَزيدَ إيمانُها، فإنَّها كانَت مُؤمِنَةً قبلَ أن يَحصُلَ لها ما حصَلَ، وإنَّما أرادَ اللهُ أن يُنعِمَ عليها فيرفَعَها بصَبرِها واحتِسابِها، وفي هذا دَليلٌ علىٰ أنَّ الإيمانَ يَزيدُ ويَنقُصُ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ

﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ٧﴾[القصص]، مِن بَلاغَةِ هذه الآيَةِ أنَّها جمَعَت:

- خبَرين: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ و ﴿خِفْتِ﴾.
- أمرَين: ﴿أَرْضِعِيهِ﴾ و ﴿فَأَلْقِيهِ﴾.
- نَهيَين: ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ و ﴿وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾.
- بَشارَتَين: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ﴾ و ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

❍ الوَحيُ المَذكورُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ ليس وَحيَ النُّبُوَّةِ، فإنَّ الوَحي يأتي في نُصوصِ الشَّرعِ علىٰ مَعانٍ:

- **الوَّحيُ بالإلهامِ والإلقاءِ في الرَّوعِ**: ومِنه قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾[النَّحل:٦٨].
- **الوَّحيُ بالرُّؤيا المَناميَّةِ**: قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثَين المُتَّفقِ عليهما: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ**»، «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**».
- الوَحيُ الشَّرعِيُّ: وهو وَحيُ النُّبُوَّةِ أو الرِّسالَةِ.

وما حصَلَ لأُمِّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحتَمِلُ أن يَكونَ مِن النَّوعِ الأوَّلِ أو الثَّاني.

❍ اللَّامُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[القصص:٨] للتَّعليل، أي: تَعليلِ قَضاءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ التِقاطَهم لموسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ بقَضاءِ اللهِ وقدَرِه، وإنَّما رتَّبَه اللهُ علىٰ فِعلِهم وحذَفَ ذِكرَ القَضاءِ لأنَّ فِعلَهم سبَبٌ له، ولأنَّ ذلِكَ أبلَغُ في تَقريعِهم وإصابَتِهم بالغَمِّ والحسرَةِ، وممَّا يُستَفادُ مِن هذه الجُملَةِ أنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إذا أرادَ شيئًا كونًا فإنَّه يُهَيِّئُ أسبابَه شيئًا فشيئًا، ولا يأتي به دُفعَةً واحِدَةً.

❍ يُستَفادُ مِن قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[القصص:١١] أنَّ الأخذَ بالأسبابِ الكَونيَّةِ النَّافِعَةِ لا يُنافي الصَّبرَ والتَّوكُّلَ علىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

❍ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ١٢﴾[طه] دَلالَةٌ علىٰ استِحبابِ المَشيِ حافِيًا في البِقاعِ الشَّريفَةِ.

❍ النَّاظِرُ في قصَّةِ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجِدُ أنَّه لا يفعَلُ شيئًا إلَّا ويَستَعينُ اللهَ تَعالىٰ

ويدعوه، ومن ذلك قوله لمَّا قتل القبطيَّ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص:١٦]، وقوله لمَّا خرج من مصر: ﴿رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص]، وقوله لمَّا قصد مدين: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص]، وقوله بعد أن سقى للمرأتين: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص]، وقوله بعد أن قَبِل نكاح ابنة الرَّجُلِ الصَّالح: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القصص]، وغير ذلك.

○ ذكر بعض أهل العلم أنَّه يُشرَعُ الدُّعاءُ بـ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص] لمن أراد النِّكاح، وأنَّ هذا الدُّعاءَ سببٌ في تيسُّر النِّكاح وأسبابه.

○ يُستفادُ من قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥] أنَّ من عمل عملًا خالصًا لله، ثمَّ جُوزِيَ عليه بغير قصدٍ منه فقبل الجزاء، أنَّ ذلك لا يُنقِصُ من أجر عمله الَّذي عمل.

○ قول البنت لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص] من تمام فقهها وحُسن فهمها، فإنَّ هذين الوصفين يحصُلُ بهما تمامُ الأعمال كلِّها سواءٌ كانت ولايةً، أو خدمةً، أو صناعةً، أو غيرها من الأمور، قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَإِنَّ الْوِلَايَةَ لَهَا رُكْنَانِ: الْقُوَّةُ وَالْأَمَانَةُ... وَالْقُوَّةُ فِي كُلِّ وِلَايَةٍ بِحَسْبِهَا؛ فَالْقُوَّةُ فِي إِمَارَةِ الْحَرْبِ تَرْجِعُ إِلَىٰ شَجَاعَةِ الْقَلْبِ وَإِلَىٰ الْخِبْرَةِ بِالْحُرُوبِ وَالْمُخَادَعَةِ فِيهَا... وَالْقُوَّةُ فِي الْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ تَرْجِعُ إِلَىٰ الْعِلْمِ بِالْعَدْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِلَىٰ الْقُدْرَةِ عَلَىٰ تَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ، وَالْأَمَانَةُ تَرْجِعُ إِلَىٰ خَشْيَةِ اللهِ وَأَلَّا يَشْتَرِيَ بِآيَاتِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا).

○ قال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَفْرَسُ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: ابْنَةُ صَاحِبِ مَدْيَنَ إِذْ قَالَتْ:** ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ **[القصص]، وَخَدِيجَةُ فِي النَّبِيِّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ**». أخرجه الحاكم وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ.

○ لفظُ الإمام يُطلَقُ غالبًا على من كان متبوعًا في الخير، قال تعالى

عـن إبراهيـمَ وإسـحاقَ ويَعقـوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣]، لكِنَّه يُطلَقُ كذلِكَ علىٰ مَن كانَ مَتبوعًا في الشَّرِّ، قالَ تَعالىٰ عن فِرعَونَ ومَلَإِه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[القصص:٤١].

❍ لمَّا بعَثَ اللهُ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ فِرعَونَ وقَومِه قالَ موسىٰ: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾[طه]، ويُستَفادُ مِن هذا أنَّ الفَصاحَةَ والبَيانَ مِن الوَسائِلِ المُعينَةِ علىٰ الدَّعوَةِ إلىٰ اللهِ، ويُستَفادُ كذلِكَ أنَّ مِن آدابِ الدُّعاءِ أن يَدعُوَ الإنسانُ اللهَ ما يَحصُلُ به المَطلوبُ، فإنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يسأَلْ زَوالَ اللَّثغَةِ وإنَّما سأَلَ حُصولَ الإفهامِ الَّذي هو المَقصودُ، واللهُ أعلَمُ بما يتحَقَّقُ به ذلِكَ.

❍ سَبَقَ أنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سأَلَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ النُّبُوَّةَ لأخيهِ هارونَ بقَولِهِ: ﴿ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾[القصص]، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَه، وأرسَلَ معه أخاه هارونَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾[مريم]، ولهذا فإنَّه لا يوجَدُ أحَدٌ مِن الإخوَةِ أشَدُّ مِنَّةً وفَضلًا علىٰ أخيهِ مِن موسىٰ علىٰ هارونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

❍ في قَولِ اللهِ تَعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾[طه]، خافَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ علىٰ الدَّعوَةِ ولم يخَفْ علىٰ نَفسِه؛ لأنَّه كانَ قد رَأىٰ تَحَوُّلَ العَصا عندَ الطُّورِ، فكانَ في ذلِكَ تَهيِئَةٌ له، قالَ القُرطُبيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «تفسيرِه» (١١/ ٢٢٢): (قيلَ: خافَ أن يَفتَتِنَ النَّاسُ قبلَ أن يُلقِيَ عَصاهُ، وقيلَ: خافَ حينَ أبطَأَ عليه الوَحيُ بإلقاءِ العَصا أن يفتَرِقَ النَّاسَ قَبلَ ذلِكَ فيُفتَتَنوا)، وفي زِيادَةِ ﴿فِى نَفْسِهِۦ﴾ إشارةٌ إلىٰ أنَّها خيفَةُ تفكُّرٍ لم يظهَرْ أثَرُها علىٰ مَلامِحِه، فجاءَهُ التَّثبيتُ مِن اللهِ قبلَ أن يَنطِقَ بها لِسانُه أو تعمَلَ بها جَوارِحُه، ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾[طه]، وهكذا هو فَرَجُ اللهِ قَريبٌ ممَّن سأَلَه.

❍ قُدِّمَ موسَىٰ علىٰ هارونَ في كلِّ آياتِ القُرآنِ إلَّا في مَوضِعٍ واحِدٍ في سورَةِ طه، وهو قَولُه تَعالىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾[طه]، وفي هذا مُراعاةٌ لفَواصِلِ الآياتِ، كما أنَّ سِياقَ السُّورَةِ فيه بَيانُ فضلِ هارونَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتَخصيصٌ لـه بزيـادَةِ الذِّكرِ، ولهذا لـم يَرِد الخِطـابُ بالتَّثنِيَـةِ إلَّا في هذه السُّـورَةِ، كمـا أنَّـه لـم يُذكَر خَوفُـه لمَّا ألقـىٰ السَّـحَرَةُ حِبالَهُـم، بينَما قـالَ تَعالىٰ عـن موسَـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾[طـه]، وهـو خَـوفٌ علىٰ الدَّعـوَةِ كمـا تقدَّمَ.

❍ ذكَـرَ اللهُ تَعالـىٰ في قصَّـةِ موسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنواعًـا مِـن الخَـوفِ، فقـالَ عـن أمِّ موسـىٰ عَلَيْهَا السَّلَامُ: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾[القصـص:٧]، وقـالَ عن موسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾[طـه]، وقـالَ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾[طـه]، ويُستَفادُ مِـن هـذا كُلِّـه أنَّ الخَـوفَ مِـن طَبيعَةِ الإنسـانِ وجِبلَّتِـه، وأنَّـه لا يُنقِـصُ مِـن قَـدرِ صاحِبِـه إلَّا أن يَحمِلَـه علـىٰ تَركِ ما أُمِـرَ بـه شـرعًا، أو فِعـلِ ما نُهِـيَ عنه.

❍ في قولِـه تَعالـىٰ: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾[طـه]، قـالَ الأصبَهـانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (سُـبحانَ اللهِ! ما أعظَمَ شَـأنَهم! أَلْقَـوْا حِبالَهـم وعِصِيَّهُم للكُفـرِ والجُحـودِ، ثمَّ أَلقَوا رُؤوسَـهم بَعدَ سـاعَةٍ للشُّـكرِ والسُّـجودِ، فمـا أعظَمَ الفَـرقَ بَيـنَ الإلقاءَينِ!).

❍ يُلاحَـظُ في دَعـوَةِ موسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لفِرعَـونَ أنَّـه اسـتَعمَلَ أسـاليبَ مُختَلِفَـةً في خِطابِـهِ، حيـثُ اتَّصَفَ خِطابُـه أحيانًا باللِّيـنِ والرَّأفَـةِ، وذلِكَ في بِدايَـةِ أمرِه، قالَ تَعالـىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[طـه]، وأحيانًـا يَكـونُ أشَـدَّ مِـن ذلِـكَ كقولِـه: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾[الشُّـعراء]؟! واتَّصَـفَ في آخِـرِ أمرِه بالشِّـدَّةِ والغِلظَةِ كقولِـه: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾﴾[الإسـراء]، وهكـذا يَنبَغي لـكُلِّ مَن تصَدَّىٰ للدَّعـوَةِ إلـىٰ اللهِ أن يُراعِيَ في خِطابـه حـالَ المَدعُوِّ وحـالَ عامَّـةِ النَّاسِ.

❍ قـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾، قيـلَ: هـو ابـنُ عَـمِّ فِرعَـونَ، وكانَ مُؤمِنًـا ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ خَوفًـا مِـن فِرعَـونَ ومَـلَإِه، فلمَّـا سَـمِعَ فِرعَـونَ وهـو يُريـدُ قَتـلَ موسـىٰ قـالَ: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ يُريـدُ موسَـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿أَن﴾ أي: بسَـبَبِ أن ﴿يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[غافـر:٢٨]؟! ولـم يَقُـل: (أتَقتُلـونَ موسَـىٰ؟)؛ كأنَّـه رَجُـلٌ نكِـرَةٌ لا يَعرِفُـه، قـالَ العلَّامَـةُ ابـنُ عُثَيمِيـنَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (لأنَّ

المَقامَ يَقتَضي ألَّا يُبيِّنَ أنَّ له اتِّصالًا به ومَعرِفةً، فلو قالَ: أتقتُلونَ موسَىٰ؟ لقَالوا: هذا الرَّجُلُ يَعرِفُ موسَىٰ، ولَأخَذوه)، وقالَ: (لأنَّه ليسَ المَقصودُ مَعرِفةَ الاسمِ، إنَّما المَقصودُ مَعرِفةُ القَضِيَّةِ، أمَّا تَعيينُ الأسماءِ فهي مِن فُضولِ العِلْمِ).

❍ اليَومُ الَّذي أغرَقَ اللهُ تَعالىٰ فيه فِرعَونَ وجُندَه ونجَّىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ والمُؤمِنينَ معه هو يَومُ عاشوراءَ، وهو اليَومُ العاشِرُ مِن شَهرِ اللهِ المُحَرَّمِ، فقد جاءَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَرَأَىٰ الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**»، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّىٰ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَىٰ، قَالَ: «**فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**»، وأمَّا جَعلُ الشِّيعَةِ الرَّوافِضِ هذا اليَومَ مأتَمًا يحزَنونَ فيه علىٰ مَقتَلِ السِّبطِ الحُسَينِ بن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويَضرِبونَ أنفُسَهم، ويَفعَلونَ فيه المُنكَراتِ = فليس مِن دينِ اللَّهِ تَعالىٰ في شَيءٍ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾[الأعراف:١٤٢]، وهذه قِراءَةُ الجُمهورِ، وقَرَأَ أبو عَمرٍو وأبو جعفَرٍ ويَعقوبُ: ﴿وَوَعَدْنَا﴾ مِن غيرِ مَدٍّ، قالَ ابنُ عاشورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ: ﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾ بِأَلِفٍ بَعْدَ الْوَاوِ عَلَىٰ صِيغَةِ الْمُفَاعَلَةِ الْمُقْتَضِيَةِ حُصُولَ الْوَعْدِ مِنْ جَانِبَيْنِ: الْوَعْدِ وَالْمَوْعُودِ، وَالْمُفَاعَلَةُ عَلَىٰ غَيْرِ بَابِهَا، لِمُجَرَّدِ التَّأْكِيدِ، عَلَىٰ حَدِّ: سَافَرَ، وَعَافَاهُ اللهُ، وَعَالَجَ الْمَرِيضَ، وَقَاتَلَهُ اللهُ) فالمَعنىٰ في هذه الأفعالِ حاصِلٌ مِن جانِبٍ واحِدٍ، قالَ الرَّازي: (وقيلَ: المُفاعَلَةُ علىٰ بابِها، بتَقديرِ أنَّ اللهَ وعَدَ موسىٰ أنْ يُعطِيَه الشَّريعَةَ، وأمَرَه بالحُضورِ للمُناجاةِ، فوَعَدَ موسىٰ ربَّه أن يمتَثِلَ لذلِكَ).

❍ قالَ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾[الأعراف:١٤٣]، وقالَ قَومُه: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾[البقرة:٥٥]، والفَرقُ بينَ القَولَينِ مِن وَجهَينِ:

- أنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ ذلِكَ شَوقًا إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وليتلَذَّذَ بالنَّظَرِ إليه، أمَّا أولَئِكَ فقالوه تشَكُّكًا، ولهذا استَحَقُّوا العُقوبَةَ.
- أنَّ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ ذلِكَ مُخاطِبًا اللهَ عَزَّوَجَلَّ الَّذي يملِكُ أن يُرِيَه نفسَه،

وأمَّا أولَئِكَ فخاطَبوا موسىٰ ﵇ بما يَعلَمونَ أنَّه ليس له قُدرَةٌ عليه، فكانَ طَلَبُهم مِن بابِ التَّعجيز.

❍ ممَّا يُتَعَجَّبُ له في قِصَّةِ عِبادَةِ بَني إسرائيلَ للعِجلِ سُرعَةُ تَغَيُّرِهم وكُفرِهم باللهِ ﷿ بعد مُعايَنَتِهم للآياتِ الدَّالَّةِ علىٰ اللهِ، وعلىٰ صِدقِ نُبُوَّةِ موسىٰ ﵇، ومُعايَنَةِ هَلاكِ فِرعَونَ وجُندِه، ولعَلَّ مِن أسبابِ ذلِكَ أنَّهم رُبُّوا في مِصرَ علىٰ الاستِعبادِ والذُّلِّ والتَّخويفِ والتَّجويع، فصاروا كالرَّعاعِ الهَمَجِ الَّذين يتبَعونَ كلَّ ناعِقٍ، فسَهُلَ علىٰ السَّامِرِيِّ أن يَقودَهم إلىٰ الهَلاكِ، ولهذا فإنَّ الدَّاعِيَ إلىٰ اللهِ ينبَغي أن يُرَبِّيَ النَّاسَ علىٰ أن يَكونوا أحرارًا، وعلىٰ اتِّباعِ الدَّليل، وعدَمِ الاغتِرارِ بكُلِّ مُفَوَّهٍ خطيبٍ وكُلِّ ذي جاهٍ.

❍ لمَّا رجَعَ موسَىٰ ﵇ إلىٰ قَومِه ووجَدَهم قد عبَدوا العِجلَ ألقىٰ الألواحَ الَّتي فيها التَّوراةُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾[الأعراف:١٥٠]، قالَ جُمهورُ المُفَسِّرينَ: ألقىٰ الألواحَ غَضَبًا علىٰ قَومِه، وليسَ إهانَةً لها، والصَّحيحُ أنَّها لم تتكسَّر، إذ لم يَرِد ما يَدُلُّ علىٰ ذلِكَ في نَصٍّ ثابِتٍ.

❍ لمَّا عنَّفَ موسىٰ أخاه هارونَ ﵉ في تَركِ الإنكارِ علىٰ بني إسرائيلَ بعدَ أن عبَدوا العِجلَ، وأخَذَ بلِحيَتِه يَجُرُّه إليه، قالَ هارونُ: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ﴾[طه:٩٤]، قالَ ابنُ كَثيرٍ ﵀: (تَرَفَّقَ له بذِكرِ الأمِّ مع أنَّه شَقيقُه لأبَوَيه؛ لأنَّ ذِكرَ الأمِّ هاهنا أرَقُّ وأبلَغُ، أي: في الحُنُوِّ والعَطفِ)، فلمَّا ذكَرَ له هارونُ ﵇ سبَبَ سُكوتِه عنهم تحَقَّقَ براءَتَه، وقالَ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١﴾[الأعراف]، ثمَّ تحَوَّلَ خِطابُه إلىٰ السَّامِرِيِّ ومَن تَبِعَه مِن قَومِه.

❍ احتَجَّ بَعضُ أهلِ العِلمِ بقَبضِ موسىٰ لِحيَةَ هارونَ ﵉ بأنَّ لِحيَةَ هارونَ ﵇ كانَت تَزيدُ عنِ القَبضَةِ، وإلَّا ما كانَ بإمكانِ موسَىٰ ﵇ أن يأخُذَ بها.

❍ قالَ تَعالىٰ في وَصفِ عَبَدَةِ العِجلِ: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾[البقرة:٩٣]، قالَ قَتادَةُ ﵀: (أُشْرِبُوا حُبَّهُ حَتَّىٰ خلَصَ

ذَلِكَ إِلَىٰ قُلُوبِهِمْ)، وكذا قال أبو العاليَةِ والرَّبيعُ بنُ أنَسٍ، وهو ما ذهَبَ إليه جُمهورُ المُفَسِّرينَ، قالَ ابنُ الجَوزِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أي: سُقوا حُبَّ العِجلِ، فحذَفَ المُضافَ وهو الحُبُّ، وأقامَ المُضافَ إليه مَقامَه... فأُضمِرَ الحُبُّ؛ لأنَّ المَعنىٰ معلومٌ)، وقالَ السُّدِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَخَذَ مُوسَىٰ الْعِجْلَ فَذَبَحَهُ الْبَرْدَ، ثُمَّ ذَرَّ فِي الْبَحْرِ، فَلَمْ يَبْقَ بَحْرٌ يَجْرِي يَوْمَئِذٍ إلا وَقَعَ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ: اشْرَبُوا مِنْهُ، فَشَرِبُوا، فَمَنْ كَانَ يُحِبُّهُ خَرَجَ عَلَىٰ شَارِبَيْهِ الذَّهَبُ)، واللَّفظُ لا يُؤَيِّدُ هذا القولَ، قالَ أبو عُبيدَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَنْ قَالَ: إِنَّ الْعِجْلَ أُحْرِقَ ثُمَّ ذُرِّيَ فِي الْمَاءِ فَشَرِبُوهُ، فَلَمْ يَعْرِفْ كَلَامَ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّهَا لَا تَقُولُ فِي الْمَاءِ: أُشْرِبَ فُلَانٌ فِي قَلْبِهِ).

❍ قالَ تَعالىٰ في سِياقِ قِصَّةِ العِجل: ﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ﴾ السَّامِرِيُّ ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ﴾ قالَ الَّذينَ تَبِعوه: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾﴾[طه]، اختلَفَ المُفَسِّرونَ في النَّاسي، فرُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (نَسِيَ موسَىٰ، ضلَّ عنه -أي: عن مَكانِ العِجلِ- فلم يَهتَدِ له)، ورُوِيَ عنه: (أي: ترَكَ ما كانَ عليه مِن الإسلام)، يَعني: السَّامِرِيَّ، وعن قَتادَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (قالَ السَّامِرِيُّ: موسَىٰ نَسِيَ ربَّه عِندَكم)، وقيلَ غيرُ ذلِكَ.

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ أي: بيتَ المَقدِسِ، ﴿فَكُلُواْ مِنۡهَا﴾ أي: أبَحنا لكم أن تأكُلوا مِنها ﴿حَيۡثُ شِئۡتُمۡ﴾ أي: في أيِّ مَكانٍ كنتم مِن البَلَدِ، في وَسَطِها أو في أطرافِها، ﴿رَغَدٗا﴾[البقرة:٥٨] أي: مُطمَئِنِّينَ، وليس هذا مِن بابِ إباحَةِ الغَنائِمِ لهم؛ لأنَّ الغَنائِمَ لم تُبَحْ إلَّا لأُمَّةِ محمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِما جاءَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**»، فالإذنُ هنا ليسَ علىٰ سَبيلِ التَّمليكِ وإنَّما علىٰ سَبيلِ الإباحَةِ، وأمَرَهم اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أن يَدخُلوا سُجَّدًا، وأنْ يسألوه المَغفِرَةَ عندَ دُخولِهم بقَولِهم: (حِطَّةٌ)، فحَرَّفوا ذلِكَ ودخَلوا يزحَفونَ علىٰ أستاهِهم إلىٰ الوَراءِ استِكبارًا واستِهزاءً، وقالوا: (حِنطَةٌ)، فكانوا فاسِقينَ بذلِكَ.

❍ ذكَرَ أهلُ العِلمِ أنَّ عصا موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَت نِعمَةً علىٰ موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وعلىٰ بَني إسرائيلَ:

- أمَّا كونُها نِعمَةً علىٰ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فلأنَّها آيَةٌ دالَّةٌ علىٰ رِسالَتِه.
- وأمَّا كَونُها نِعمَةً علىٰ بَني إسرائيلَ فلأنَّها كانَت سبَبًا في نَجاتِهم مِن فِرعَونَ، ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾[الشُّعراء:٦٣]، وسببًا كذلِكَ في إزالَةِ عَطَشِهم، ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾[البقرة:٦٠].

❍ في قصَّة موسَىٰ مع الخضِر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَوائَدُ كَثيرَةٌ مِنها:

- تَنبيهُ بَني إسرائيلَ إلىٰ أهَمِّيَّةِ طَلَبِ العِلمِ، حيثُ حرِصَ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّبيُّ العالِمُ علىٰ لِقاءِ الخضِر، وسافَرَ في طَلَبِه، ولَزِمَه في مَسيرِه، كلُّ ذلِكَ طلَبًا لما معه مِن العِلمِ الَّذي لم يُعلِّمه اللهُ إيَّاهُ، والرِّحلَةُ في طَلَبِ العِلمِ مِن أعظَمِ المَطالِبِ.
- الشَّيطانُ يقِفُ في طَريقِ طلَبِ العِلمِ، ويَجتَهِدُ في مَنعِ الطَّالِبِ منه، وفي هذه القِصَّةِ تسَلَّطَ الشَّيطانُ علىٰ الخادِمِ فأنساهُ ذِكرَ الحوتِ لئَلَّا يَجتَمِعَ موسَىٰ والخضِرُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ولم يستَطِعِ الشَّيطانُ أن يتسَلَّطَ علىٰ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لعُلُوِّ هِمَّتِه وحِرصِه علىٰ طلَبِ العِلمِ، فيَنبَغي لكُلِّ طالِبِ عِلمٍ أن يَحذَرَ مِن مَكايِدِ الشَّيطانِ في هذا البابِ.
- ظنَّ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه لا يوجَدُ أعلَمُ مِنه علىٰ الأرضِ، فأرشَدَه اللَّهُ إلىٰ الخضِرِ ليُعلِمَه أنَّ الإنسانَ مهما أوتِيَ مِن عِلمٍ فإنَّه يَجهَلُ أكثَرَ ممَّا يَعلَمُ، فلا يَنبَغي لأحَدٍ مِنَّا أن يَغتَرَّ بنَفسِه.
- الإرشادُ إلىٰ ما جاءَ به الأنبياءُ مِن الحِرصِ علىٰ مَصالِحِ النَّاسِ، والقِيامِ بما أمرَهُم اللهُ به.
- قالَ تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ موسَىٰ وفَتاهُ المَكانَ الَّذي يَقصِدانِه -وهو مَجمَعُ البَحرَينِ- ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾[الكهف] أي: تعبًا، ولم يَتعَب حتَّىٰ تَجاوَزَ المَكانَ المَقصودَ، وفيه بَيانُ عُلُوِّ هِمَّةِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وحِرصِهِ علىٰ لِقاءِ الخضِرِ والتَّعلُّمِ مِنه.
- في القِصَّةِ الكَثيرُ مِن الآدابِ الَّتي يَنبَغي للطَّالِبِ التَّحلِّي بها في طلَبِه للعِلمِ ومُصاحَبَتِه للعالِمِ، ومِن أهَمِّها التَّواضُعُ والاعتِرافُ بالفَضلِ،

وكذلِكَ الآدابُ الَّتي يَنبَغي للعالِم أن يتَحَلَّىٰ بها مع الطَّالِبِ، ومِن أهَمِّها بَيانُ الخَطَإ عندَ وُقوعِه مِن الطَّالِبِ، والتَّدَرُّجُ في العِتابِ، ومُراعاةُ النِّسيانِ واعتِبارُه عُذرًا شَرعِيًّا.

▪ الدَّرسُ العَمَلِيُّ أَعلىٰ وأَفيَدُ مِن النَّظَرِيِّ، فلا يَستَوي رجُلٌ تَرَبَّىٰ علىٰ الكُتُبِ والتَّسجيلاتِ المَرئِيَّةِ أو المَسموعَةِ مع رجُلٍ عارَكَتهُ الأحداثُ وحَوادِثُ الحَياةِ فكانَت تربِيَةً له، فتَجِدُ الثَّاني أشَدَّ صَلابَةً في عُودِه وجَودَةِ مَعدَنِه، وفي صِفاتِه وأخلاقِه، وفي ثَباتِه علىٰ الحَقِّ.

▪ قالَ تعالىٰ: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرٗا ٧١﴾[الكهف]، قال ناصرُ الدِّين ابنُ المُنيرِ السَّكَندَرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «الانتِصاف»: (بادَرَ مُوسَىٰ بالإنكارِ التِهابًا وحَمِيَّةً للحَقِّ، فقالَ: ﴿أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا﴾، ولم يَقُلْ: لتُغرِقَنا، فنَسِيَ نَفسَه واشتَغَلَ بغَيرِه، في الحالَةِ الَّتي كلُّ أحَدٍ فيها يَقولُ: نَفْسِي نَفْسِي، لا يَلوي علىٰ مالٍ ولا وَلَدٍ، وتِلكَ حالَةُ الغَرَقِ، فسُبحانَ مَن جَبَلَ أنبياءَه وأَصْفِيَاءَه علىٰ نُصحِ الخَلقِ، والشَّفَقَةِ عليهم، والرَّأفَةِ بهم).

▪ مِن اللَّطائِفِ أنَّ اللهَ تَعالىٰ جعَلَ اجتِماعَ موسَىٰ والخضرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ -البَحرينِ في العِلمِ والصَّلاحِ- عندَ مَجمَعِ البَحرَينِ الحَقيقِيَّينِ، وفي حَديثِ أحمَدَ: «**وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ، قَالَ الْخَضِرُ: مَا يَنْقُصُ عِلْمِي وَلَا عِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، إِلَّا كَمَا نَقَصَ هَذَا الْعُصْفُورُ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ**».

▪ مُراعاةُ العدَدِ ثلاثَةٍ في الشَّرعِ، وقد جاءَ في هذه القِصَّةِ مُراعاةُ الثَّلاثِ مرَّاتٍ في الإعذارِ إلىٰ النَّاسِ، وفي انتهاءِ الأمرِ، وهذا في الشَّرعِ كثيرٌ؛ كالطَّلاقِ مَثلًا الحَدُّ الأخيرُ الَّذي يجِبُ فيه الانفِصالُ ولا رُجوعَ بعدَه إلَّا بعدَ زَوجٍ آخرَ هو ثلاثُ مرَّاتٍ.

▪ مِن تَواضُعِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه أرادَ الأكلَ مع خادِمِه، ﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾[الكهف:٦٢] بصيغَةِ الجَمعِ فهما مُشتَرِكانِ فيه.

❍ في قصَّةِ النَّبيِّ حِزقيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ تعالىٰ: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ

عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾؟! وهـذا استفهامُ تَدَبُّرٍ وتفكُّرٍ، ولم يشُكَّ عليه السلام في قُدرَةِ اللهِ جلَّ وعلا علىٰ ذلكَ، والدَّليلُ علىٰ ذلكَ أنَّ اللهَ لمَّا أماتَهُ مائةَ عام ثمَّ أحياهُ وبيَّنَ له ما كانَ مِن شأنِهِ ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة]، وهذا نَحوُ ما كانَ مِن شأنِ إبراهيمَ الخليل عليه السلام في قولِه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠].

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ مُوسَى عليه السلام وَمَنْ بعْدَهُ:

[١] النَّبيُّ الَّذي لُقِّبَ بكَليمِ اللهِ: ❍ مُحمَّدٌ. ❍ موسَىٰ. ❍ داوُدُ.
[٢] النَّبيُّ الَّذي تحوَّلَت عَصاهُ إلىٰ حيَّةٍ: ❍ مُحمَّدٌ. ❍ موسَىٰ. ❍ داوُدُ.
[٣] مَن ماتَ أوَّلًا موسَىٰ أم هارونُ؟ ❍ موسَىٰ. ❍ هارونُ.
[٤] ذهَبَ موسَىٰ عليه السلام بعدَ خُروجِهِ مِن مِصرَ خائفًا إلىٰ: ❍ القُدسِ. ❍ مَديَنَ. ❍ الطُّورِ.
[٥] طلَبَ مُوسَىٰ العِلمَ مِن: ❍ داوُدَ. ❍ سُليمانَ. ❍ الخَضِرِ.
[٦] مِن آياتِ موسَىٰ: ❍ العَصا. ❍ اليَدُ. ❍ الطُّوفانُ. ❍ الجَرادُ. ❍ القُمَّلُ. ❍ الدَّمُ. ❍ الضَّفادِعُ. ❍ الجَدبُ. ❍ نَقصُ الثَّمراتِ. ❍ الجَميعُ.
[٧] علىٰ مَن أُنزِلَت التَّوراةُ؟ ❍ عيسَىٰ. ❍ موسَىٰ. ❍ دَاوُدُ.
[٨] أين كلَّمَ اللهُ موسَىٰ عليه السلام؟ ❍ في مِصرَ. ❍ في الطُّورِ. ❍ في القُدسِ.
[٩] أكثَرُ الأنبياءِ ذِكرًا في القُرآنِ باسمِه: ❍ مُحمَّدٌ. ❍ إبراهيمُ. ❍ موسَىٰ.
[١٠] كَم رَجُلًا اختارَ موسَىٰ مِن قَومِه ليَعتَذِروا إلىٰ اللهِ؟ ❍ ١٠. ❍ ٢٠. ❍ ٧٠.
[١١] ما اسمُ وَزيرِ فِرعونَ؟ ❍ السَّامريُّ. ❍ قارونُ. ❍ هامانُ.
[١٢] الَّذي فَتَنَ بَني إسرائيلَ في غِيابِ موسَىٰ: ❍ السَّامريُّ. ❍ قارونُ. ❍ هامانُ.

[١٣] في أيِّ سورَةٍ قصَّةُ موسَىٰ مع الخَضِرِ؟ ○ الكَهف. ○ طهَ. ○ القَصَص.

[١٤] أُرسِلَ موسَىٰ إلىٰ: ○ الأقباط. ○ بني إسرائيلَ. ○ كلاهُما.

[١٥] كانَ هَلاكُ فِرعَونَ؟ ○ قَبلَ نُزولِ التَّوراةِ. ○ بَعدَ نُزولِ التَّوراةِ.

[١٦] عددُ عُيونِ الماءِ الَّتي فَجَّرَتها عصا موسَىٰ عليه السلام: ○ ٥. ○ ١٠. ○ ١٢.

[١٧] المَرأةُ الَّتي أوحىٰ اللهُ إليها في القُرآنِ؟ ○ مَريمُ. ○ أمُّ موسَىٰ.

[١٨] في أيِّ يَمٍّ ألقَت أمُّ موسَىٰ ابنَها؟ ○ البَحرُ الأحمرُ. ○ النِّيلُ.

[١٩] الطَّاغِيَةُ الَّذي خَسَفَ اللهُ به وبدارِه: ○ النُّمرودُ. ○ قارونُ. ○ فِرعَونُ.

[٢٠] مَن مِن عِبادِ اللهِ الصَّالِحينَ أعطاهُ اللهُ العِلمَ والحِكمَةَ، وكانَ لهُ وَصايا نافِعَةٌ ورَدَ ذِكرُها في القُرآنِ؟ ○ الخَضِرُ. ○ لُقمانُ. ○ حِزقيلُ.

[٢١] نبيَّانِ اجتَمَعا في وقتٍ واحدٍ: ○ إبراهيمُ ولوطٌ. ○ داوُدُ وسُليمانُ. ○ موسَىٰ وهارونُ. ○ الجَميعُ.

[٢٢] موسىٰ عليه السلام هو أكثرُ الأنبياءِ ذِكرًا في القُرآن: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٣] هارونُ هو الأخُ (○ الأكبرُ ○ الأصغرُ) لموسَىٰ عليهما السلام.

[٢٤] ماتَ هارونُ عليه السلام (○ قبلَ ○ بعدَ) مَوتِ موسَىٰ عليه السلام في زمنِ التِّيهِ.

[٢٥] يُوشَعُ بنُ نونٍ عليه السلام (○ ذُكِرَ ○ لم يُذكَرْ ○ ذُكِرَ بدونِ ذِكرِ اسمِه) في القُرآنِ.

[٢٦] بُعِثَ يوشَعُ عليه السلام بعدَ مَوتِ: ○ موسىٰ. ○ داوُدَ. ○ عيسىٰ.

[٢٧] النَّبيُّ الَّذي حبَسَ اللهُ له الشَّمسَ حتَّىٰ يُتِمَّ القِتالَ هو: ○ يوشَعُ. ○ داوُدُ. ○ شُعَيبٌ.

[٢٨] ذُكِرَ يوشَعُ بنُ نونٍ عليه السلام في القُرآنِ بدونِ اسمِه: ○ صح. ○ خطأ.

[٢٩] بُعِثَ إلياسُ عليه السلام إلىٰ قَومٍ كانَ لهم صنَمٌ يُقالُ لهُ: ○ بعل. ○ سواع.

[٣٠] الَّذي فتَحَ بيتَ المَقدِسِ بعدَ التِّيهِ هو: ○ حِزقيلُ. ○ شُعَيبٌ. ○ داوُدُ. ○ يوشَعُ.

[٣١] ذُكِرَ يوشَعُ بنُ نونٍ عليه السلام في سورَةِ: ○ البقَرَةِ. ○ الكَهفِ. ○ طه.

[٣٢] اختَرِ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

أخو موسَىٰ هو:	لِيَشُدَّ أزرَهُ في الدَّعوَةِ.
نالَ هارونُ الرِّسالَةَ:	الخَضِرُ.
أرادَ موسَىٰ لهارونَ الرِّسالَةَ:	هو أكثرُ الأنبياءِ مُطلَقًا.
خادِمُ موسَىٰ هو:	الإسلامُ، ولم يأتِ باليَهودِيَّةِ.
مِن حيثُ الآياتُ:	سَعةُ العلمِ، والحياءُ، والتَّوكُّلُ.
مِن حيثُ ذِكرُهُ في القُرآنِ:	الكليمُ.
مِن أوصافِه الخُلُقِيَّةِ:	هارونُ ﷺ.
مِن أوصافِه الخَلقِيَّةِ:	هامانُ.
دينُ موسَىٰ:	يوشَعُ بنُ نونٍ ﷺ.
مُعلِّمُ موسَىٰ هو:	التَّوراةُ والصُّحُفُ.
لقبُ موسَىٰ هو:	أُمَّتَينِ: الأقباطِ، وبَني إسرائيلَ.
عَدُوُّ موسَىٰ هو:	بِشَفاعَةِ موسَىٰ.
وَزيرُ عَدُوِّه هو:	﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ ...
أُمِرَت أُمُّه بأمرَينِ، ونُهِيت عن أمرَينِ، وبُشِّرت ببَشارَتين:	﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ أي: كَمُلَ في الخِلقَةِ البَشَرِيَّةِ.
مِهنَةُ موسَىٰ هي:	يتوكَّأُ عليها، ويهُشُّ بها علىٰ غَنَمِهِ.
مُرَبِّيَةُ موسَىٰ هي:	هو أكثرُ الأنبياءِ بعدَ نَبيِّنا.
أُرسِلَ موسَىٰ إلىٰ:	الرَّعيُ.
كانَ موسَىٰ يحمِلُ معه عصًا:	آسِيَةُ امرأةُ فِرعَونَ.
عَبدَ قومُهُ بعد نَجاتِهم:	العِجلَ الَّذي صنعَهُ السَّامريُّ مِن ذهَبِ القَومِ وأثَرِ جِبريلَ ﷺ.
كِتابُ موسَىٰ هو:	فِرعَونُ، واسمُه رَمسيسُ الثَّاني.

[٣٣] اربط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ موسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدليلِها:

الصَّبرُ الكَثيرُ:	﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ٢٥﴾.
سَعةُ العِلمِ:	﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ﴾.
التَّوكُّل علىٰ اللهِ:	﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.
القُوَّةُ والأمانةُ:	﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾.
انشِراحُ الصَّدرِ:	«أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ».
الشَّهامَةُ والرُّجولةُ والمُبادَرةُ لخِدمَةِ الغَيرِ:	﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾.
الوَفاءُ بالعَهدِ:	«مَا فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنِّي».
نُصرَةُ المَظلومِ:	﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾.
التَّواضُعُ والاعتِرافُ بالفَضلِ، والحِرصُ علىٰ العِلمِ:	﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ﴾.
سُرعَةُ اتِّخاذِ القَرارِ:	﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ﴾.
رُجوعُهُ وأوبَتُه إلىٰ اللهِ:	﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ﴾.
لُجوؤُهُ إلىٰ اللهِ، وثِقَتُهُ به وبالنَّصرِ:	﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾.
رَأفَتُه ورَحمَتُه:	﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾.
الغَضبُ إذا انتهُكِت المَحارِمُ:	كما في قصَّةِ الَّذي وَكَزَه موسىٰ.
شِدَّةُ الْحَياءِ:	«كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا».
قُوَّتُه في عَرضِ الحَقِّ:	﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾.
استِشعارُه لحَجمِ المَسؤوليَّةِ:	﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.
زُهدُه في الدُّنيا واختيارُ الآخِرَةَ:	﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي﴾.
قَولُ النَّصيحَةِ:	﴿لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾.

[٣٤] اختَر مِن خَصائِصِ موسَىٰ وأُمَّتِهِ:

بُعِثَ في:	الَّذينَ أهلَكَ اللهُ أُمَمَهُم.
هو آخِرُ الأنبياءِ:	أتباعًا بعدَ نبيِّنا ﷺ.
هو أكثَرُ الأنبياءِ:	أُمَّتَينِ.

[٣٥] اربِط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ هارونَ ﷺ بدليلِها:

وَزيرُ موسَىٰ، شدَّ اللهُ به عَضُدَه:	﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا﴾.
التَّسبيحُ والذِّكرُ:	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.
الفَصاحَةُ:	﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾.
السُّلطانُ:	﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾﴾، ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾.
أوتِيَ الكِتابَ:	﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.
مَنَّ اللهُ عليه، ونصَرَه، وهَداهُ، وجعَلَ له الذِّكرَ الحسَنَ، وسلَّمَهُ، وكانَ مُحسِنًا:	﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾.
قُدِّمَ موسَىٰ علىٰ هارونَ إلَّا في مَوضِعٍ واحدٍ:	﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُمَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَـٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾﴾.

[٣٦] اختَر مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

مَعنىٰ اسمِ موسَىٰ:	عِمرانُ.
اسمُ أبي موسَىٰ:	في مِصرَ.
موسَىٰ مِن سُلالَةِ:	المُنتَشَلُ من الماءِ.
وُلِدَ موسَىٰ:	علىٰ مَشارِفِ القُدسِ.
دُفِنَ موسَىٰ:	يَعقوبَ بنِ إسحاقَ.

[٣٧] اربِط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ إلياسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدليلِها:

الذِّكرُ الحَسَنُ:	﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ١٣٠﴾
سلَّمَه اللهُ:	﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٢٩﴾.
عبدٌ مُؤمِنٌ مُحسِنٌ:	﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣١ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣٢﴾.

نَبِيَّا اللهِ شَمْوِيلُ وَدَاوُدُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

شَمْوِيل عَلَيْهِ السَّلَامُ	اسمُه:	شَـمويلُ -أو صَمويـلُ- بـنُ بالـىٰ، وقيـلَ: أَشْـمَوِيلُ، ومَعنـاهُ بالعِبرانيَّـةِ: سَـمِعَ اللهُ دُعَائِـي.
	قومُه:	أرسلَهُ اللهُ إلىٰ بَني إسرائيلَ ليَلُمَّ شَملَهُم.
	ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِـرَ في القُـرآنِ غيـرَ مُصـرَّحٍ باسـمِهِ، ﴿أَلَمْ تَـرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْـدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَـالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُـمُ﴾[البقـرة:٢٤٦].

دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ	اسمُه:	داوُدُ بنُ إِيشَا، مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بن يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	قومُه:	أرسلَهُ اللهُ إلىٰ بَني إسرائيلَ بعدَ شَمويلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
	كِتَابُه:	أنزَلَ اللهُ إليهِ الزَّبورَ، ونَزَلَ مُنَجَّمًا -أي: مُفرَّقًا- كما نزَلَ القُرآنُ.
	ممَّا وَصَفَهُ اللهُ به:	[١-٣] ﴿وَءَاتَـٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ﴾[البقرة]. [٤] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥﴾[النَّمل]. [٥-٦] ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي: القُوَّةِ، ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾[ص]. [٧-٨] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[ص]. [٩-١٠] ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ٢٥﴾[ص]. [١١] ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص:٢٦]. [١٢] «أَحَـبُّ الصَّـلَاةِ إِلَـىٰ اللَّهِ صَـلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَـبُّ الصِّيَامِ إِلَـىٰ اللَّهِ صِيَـامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُـومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَـهُ، وَيَصُـومُ يَوْمًـا وَيُفْطِرُ يَوْمًـا». مُتَّفَقٌ عليه.
	ذِكرُه:	ذُكِرَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ ١٦ مرَّةً.

داوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ		
	آياتُه:	[١] ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ [الأنبياء:٧٩]. [٢] ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ]، فكانَ يَفتِلُ الحَديدَ بيَدِهِ كيفَ يشاءُ. [٣] كانَ يقرَأُ الزَّبورَ بصوتٍ لم تسمع الآذانُ مِثلَهُ، قالَ ﷺ لأبي موسَىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». مُتَّفقٌ عليه.
	موتُه:	صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عاشَ مائةَ سنةٍ، ثمَّ جاءَه مَلَكُ المَوتِ فقبَضَ روحَهُ، ودفَنَهُ ابنُه سُليمانُ.

قِصَّةُ نَبِيَّيِ اللهِ شَمْوِيلَ وَدَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مُختَصَرَةً:

سُؤَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَلِكًا يُقَاتِلُونَ مَعَهُ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٤٧ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٤٨﴾ [البقرة].

بَقِيَ بَنو إسرائيلَ مِن بَعدِ اليسَعِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كالغَنَمِ بلا راعٍ، قد بادَ مُلكُهم وسامَهُم العَمالِقةُ العَذابَ، وأرهَقَتهُم الحُروبُ، فلمَّا اشتَدَّ ذلِكَ عليهم أرسَلَ الله إليهم شَمويلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيلَ: إنَّه مِن ذُرِّيَّةِ هارونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ هو النَّبيُّ شَمويلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءَنا، فخَشِيَ عليهم إن بعَثَ اللهُ لهُم مَلِكًا وأوجَبَ عليهِم الجِهادَ أن يتَخلَّفوا عنه ولا يَفوا بعَهدِهم، فـ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ﴾ أي: ما يَمنَعُنا مِن أن نُقاتِلَ ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا﴾ وأرضِنا الَّتي جعَلَ اللهُ لنا، ﴿وَأَبْنَآئِنَا ۖ﴾ أي: سُبِيَ أبناؤُنا مِن عَدُوِّنا؟! وكانَ ما خَشِيَهُ النَّبيُّ شَمويلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حقيقةً، ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟﴾ ونكَلوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾.

وكانَ مِن شَأنِهم أنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أجابَهُم إلىٰ ما سألوه، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ﴾ وكانَ رَجُلًا مِن أجنادِهم ﴿مَلِكًا ۚ﴾ عليكم، ولم يكُن مِن سِبطِ يَهوذا الَّذين كانَ فيهم مُلكُ بَني إسرائيلَ، ولهذا ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ﴾ فهو فقيرٌ لا مالَ له، وكانَ الأَولىٰ لهُم أن يَقولوا: سَمِعنا وأطَعنا، واللهُ أعلَمُ حيثُ يَجعَلُ المُلكَ! ﴿قَالَ﴾ لهم النَّبيُّ شَمويلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ﴾ واختارَهُ مِن بَينِكُم، ولستُ أنا الَّذي مَلَّكتُه عليكُم، ﴿وَزَادَهُۥ﴾ اللهُ ﴿بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾ فجعَلَهُ أعلَمَ وأقوىٰ مِنكُم، وهذه مِن الصِّفاتِ الَّتي يَنبَغي تَوَفُّرُها في مَن يتوَلَّىٰ أمرَ النَّاسِ، ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ ولا يُسأَلُ عمَّا يفعَلُ، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ أي: واسِعُ الفَضلِ ﴿عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ بمَن يستَحِقُّ المُلكَ.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ شَمويلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ ءَايَةَ﴾ وعلامَةَ ﴿مُلْكِهِۦٓ﴾ عليكُم ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الَّذي أُخِذَ مِنكُم، وكانوا إذا لَقوا عَدُوًّا قدَّموه أمامَهم فلا يَقومُ لهُم عَدُوٌّ، فسُلِبَ مِنهم بعد اليَسَعِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقَدَّمَ، وبشَّرَهم أنَّ التَّابوتَ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ تَسكُنونَ إليه إذا

جاءَكُم، وتعلَمونَ صِدقَ نبيِّكُم، ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ وكانَ فيه -علىٰ ما يُذكَر- عصَا موسَىٰ عليه السلام وبقايا ألواحِ التَّوراةِ، وبعضُ الثِّيابِ، ﴿تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ فتأتيكُم به، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٤٨﴾ [البقرة] باللهِ واليومِ الآخِرِ.

قِتَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَ طَالُوتَ:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٢٤٩ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٥١﴾ [البقرة].

لمَّا جاءَ بَني إسرائيلَ التَّابوتُ الَّذي جعلَه اللَّهُ آيةً لهُم علىٰ صِدقِ شَمويلَ عليه السلام وتمليكِ طالوتَ عليهم صدَّقوا وأذعَنوا، ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ﴾ مُتَّجِهًا لِغَزوِ جالوتَ ومَن معه مِن العَماليقِ الجَبابِرَةِ الطُّغاةِ، ﴿قَالَ﴾ للجُنودِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم﴾ أي: مُختَبِرُكم ﴿بِنَهَرٖ﴾ بين الأردُنِ وفِلِسطينَ، ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي﴾ أي: لا يُقاتِلُ معي اليَومَ، ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ يَصحَبُني ويُقاتِلُ معي، ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ﴾ فلا بأسَ بذلِكَ، ﴿فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ﴾، وفي «صحيحِ البُخاريِّ» عن البَراءِ بنِ عازِبٍ رضي الله عنهما: «**كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَتَحَدَّثُ أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَىٰ عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ -وَلَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ**

إِلَّا مُؤْمِنٌ- بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلَاثمِائَةٍ».

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ﴾ أي: النَّهرَ ﴿هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ استقلُّوا أنفُسَهُم و﴿قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ لكثرتِهم وقُوَّتِهم، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي: يتيقَّنونَ ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ يومَ القِيامَةِ، وهم أهلُ العِلمِ منهم، قالوا: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾، فليسَ النَّصرُ بمُجرَّدِ العدَدِ، ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾ يُؤيِّدُهم وينصُرُهم، ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ في أرضِ المَعركَةِ دَعَوُا اللهَ فـ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ﴾ أي: أنزِل ﴿عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا﴾ أمامَ عَدُوِّنا فلا نَفِرَّ ونهرب، ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠﴾، فأجابَهُم اللهُ إلىٰ سُؤالِهم وأيَّدَهُم علىٰ عَدُوِّهم، ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾.

وكانَ في جَيشِ طالوتَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكَرَ أصحابُ السِّيَرِ أنَّ طالوتَ وعَدَ مَن يَقتُلُ جالوتَ أن يُزَوِّجَه ابنتَه، فانتَخَبَ اللهُ لذلِكَ داوُدَ، ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾، وذكَرَ بعضُ السَّلفِ أنَّه قتَلَه رميًا بالمِقلاعِ، وأحَبَّ بَنوا إسرائيلَ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فآلَ إليه المُلكُ عليهم بعدَ طالوتَ، وذلِكَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾[البقرة:٢٥١]، وذكَرَ بَعضُ السَّلفِ قِصَّةً حصَلَت بين طالوتَ وداوُدَ قالَ عنها ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللهُ: (فِي بَعْضِ هَذَا نَظَرٌ ونَكارَةٌ، واللَّهُ أعلَمُ).

مُلكُ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنُبُوَّتُه:

﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾[البقرة:٢٥١]، ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[ص:٢٦].

هو داوُدُ بنُ إيشا، مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بنِ يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانَ المُلكُ في سِبطِ اللَّاوي والنُّبُوَّةُ في سِبطِ يَهوذا، فلمَّا كانَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جمَعَ اللَّهُ له بينَ المُلكِ والنُّبُوَّةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾ بعدَ طالوتَ، ﴿وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أي: النُّبُوَّةَ بعدَ شَمويلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾[البقرة:٢٥١] مِن العِلمِ

الَّـذي اختصَّـهُ به ﷺ، وقـالَ تَعالـىٰ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٦] استخلَفناكَ مِن بَعدِ مَن كانَ قبلَك مِن المُلوكِ والأنبياءِ، وممَّا يُذكَرُ أنَّ داوُدَ عليه السلام هـو الخَليفـةُ الثَّـاني في الأرضِ، والأوَّل هـو آدمُ عليه السلام كما في قَولِهِ تَعالـىٰ: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠].

ممَّا أُوتيَه داوُدُ عليه السلام في مُلكِه:

﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الأنبياء]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[سبأ]، ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص].

كانَ مِن فَضل اللَّهِ تَعالىٰ علىٰ داوُدَ أن آتاهُ مُلكًا عَظيمًا، واختَصَّهُ بخَصائِصَ جَليلَةٍ، قـالَ تعالَـىٰ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ فكانَت الجِبالُ والطَّيرُ يُصَلِّينَ معه إذا صَلَّىٰ، وذلِكَ لعُذوبَةِ صَوتِه، وحُسنِ قِراءَتِهِ للزَّبورِ، ولذلِكَ لمَّا سَمِعَ النَّبيُّ ﷺ حُسنَ قِراءَةَ أبي موسىٰ الأشعَريِّ رضي الله عنه للقُرآنِ قـالَ -كما في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه-: «**لَقَدْ أُوتيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»، أي: مِن مَزاميرِ داوُدَ عليه السلام، عبَّرَ عنه بـالآلِ، ﴿وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ ذلِكَ لِما سبَقَ في عِلمِ اللهِ وكُتِبَ في اللَّوحِ المَحفوظِ، ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ وهي الدُّروعُ، وكانوا قبلَ ذلِكَ يَعمَلونَها علىٰ شَكلِ صَفائِحَ، فلمَّا جاءَ داوُدُ عليه السلام صنَعَها مِن الحِلَقِ، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾ وتَحميكُم ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ في الحَربِ، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الأنبياء] أيُّها النَّاسُ لله عز وجل فَضلَهُ عليكُم في ذلِكَ وغَيرِه؟

وقـالَ تَعالـىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ والتَّأويبُ

هو التَّسبيحُ كما تقدَّمَ، أمَرَ اللهُ الجِبالَ والطَّيرَ أن يُسَبِّحنَ معه، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ فكانَ يَفتِلُه بيَدِه دونَ أن يُدخِلَهُ النَّارَ أو يضرِبَه بالمِطرَقَةِ، ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ أي: اصنَعِ الدُّروعَ الكامِلَةَ الواسِعَةَ الَّتي تُغَطِّي جُلَّ البَدَنِ، ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾ أي: عندَ صُنعِكَ للدُّروعِ السَّابِغَةِ كُن وسَطًا بينَ جَعلِها حَصينَةً وجَعلِها خَفيفَةً، أو تَوسَّطْ في المِسمارِ فلا تجعَلْه صَغيرًا ولا كَبيرًا، ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ فيما أعطَيتُكُم مِنَ النِّعَمِ، ﴿إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾[سبأ] لا يَخفَىٰ عليَّ شَيءٌ مِن أعمالِكُم.

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ أي: القُوَّةِ في العِلمِ والعَمَلِ، والقُوَّةِ في الطَّاعَةِ، وكانَ كَثيرَ العِبادَةِ، فقد جاءَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَىٰ اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**»، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾ يَرجِعُ إلىٰ اللهِ في جَميعِ أُمورِه، ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ أي: في أوَّلِ اليَومِ وآخِرِه، ﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ كذلِكَ تُسَبِّحُ معه ﴿مَحْشُورَةً﴾ أي: وهي مَحبوسَةٌ في السَّماءِ، ﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ مُطيعٌ، ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ فجَعَلناه كامِلًا، وآتيناه مِن كُلِّ ما يَحتاجُ إليه المُلوكُ، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: الفَهمَ والفِطنَةَ والعَدلَ، ويَجمَعُ ذلِكَ النُّبُوَّةُ، ﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[ص] أي: الإصابَةَ في القَضاءِ.

وكما أنعَمَ اللهُ علىٰ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بمُلكٍ عَظيمٍ فقد أنزَلَ إليه كِتابًا عَظيمًا، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾[النِّساء]، قيلَ: إنَّه أقرَبُ الكُتُبِ المُنَزَّلَةِ إلىٰ القُرآنِ، وقد سَمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ قُرآنًا كما عندَ البُخاريِّ: «**خُفِّفَ عَلَىٰ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»، وهذه مَنقَبَةٌ أُخرىٰ له عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قِصَّةُ الخَصْمِ:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِى بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ﴾ سُؤالٌ للتَّشويقِ ﴿نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ﴾ هما رَجُلانِ تَخاصَما ﴿إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾﴾ أي: دخَلا عليه مِن فَوقِ السُّورِ وهو في مِحرابِ بَيتِه، ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ﴾ فزَعًا جِبِلِّيًّا؛ لأنَّهما دخَلا عليه وهو في أشرَفِ جُزءٍ مِن بَيتِه، وكانَ قد أغلَقَ علىٰ نَفسِهِ في ذلِكَ اليَوم واجتَهَدَ في العِبادَةِ، وأمَرَ أن لا يَدخُلَ عليه أحَدٌ، فـ﴿قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ﴾ إنَّما نحنُ ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ﴾ أي: اعتَدىٰ، ﴿بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ﴾ أي: لا تَحِف وتَظلِم في حُكمِك بينَنا، ﴿وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾﴾ أي: دُلَّنا علىٰ الحُكمِ العَدلِ، وقالَ أحَدُهما: ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ علىٰ ديني ﴿لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً﴾ وهي أُنثىٰ الضَّأنِ، ﴿وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾ أي: هَبها لي لأُكمِلَ المائةَ، ﴿وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ أي: غلَبَني في الجِدالِ، وكأنَّهُ كانَ فَصيحًا ذا بَيانٍ شَديدٍ، فلمَّا سَمِعَ داودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلِكَ ﴿قَالَ﴾ قبلَ أن يسمَعَ مِن صاحِبِه: ﴿لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ﴾ الشُّرَكاءِ ﴿لَيَبۡغِى بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمۡۗ﴾ جعَلَ القَليلَ مُقابِلًا للكَثيرِ.

ثمَّ تذكَّرَ داودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه أخطَأَ في انفِرادِهِ وخَلوَتِه دونَ النَّاسِ ممَّا اضطَرَّ هذينِ الخَصمَينِ إلىٰ تَسَوُّرِ المِحرابِ، وأخطَأَ في الحُكمِ قبلَ أن يسمَعَ مِن الخَصمِ، ﴿وَظَنَّ﴾ أي: عَلِمَ ﴿دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ أي: اختبَرناه بذلِكَ، ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجِدًا ﴿وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ أي: رجَعَ إلىٰ اللهِ، ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ﴾ لمَّا تابَ وأنابَ، ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ أي: زِيادَةً في القُربِ مِنَّا، ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ أي: مَرجِعٍ في الآخِرَةِ.

ثـمَّ بيَّـن اللهُ تَعالـىٰ أنَّـه كانَ ينبَغي لـداوُدَ عليه السلام أن يَخـرُجَ إلىٰ النَّـاسِ لِيَحكُمَ بينَهُـم، فقـالَ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ للَّـهِ تَعالـىٰ في تَبليغِ شَـرعِهِ والحُكـمِ بيـنَ النَّـاسِ، ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ﴾ في الحُكـمِ نَفسِـهِ، وفي طَريقَتِـه ولَوازِمِـه، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[ص]، وفي هـذا تَعليـمٌ لسـائِرِ الحُـكَّامِ والمُفتينَ.

مَوْتُ دَاوُدَ عليه السلام:

صـحَّ عـن النَّبـيِّ ﷺ أنَّ داوُدَ عليه السلام عـاشَ مائةَ سـنةٍ، ثمَّ جـاءَه مَلَـكُ المَوتِ فقَبَـضَ روحَـهُ، ودَفَنَـهُ ابنُه سُـلَيمانُ عليه السلام، أخرَجَ أحمَـدُ عن النَّبـيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**كَانَ دَاوُدُ النَّبِـيُّ فِيـهِ غَيْـرَةٌ شَـدِيدَةٌ، وَكَانَ إِذَا خَـرَجَ أُغْلِقَتِ الْأَبْـوَابُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَـىٰ أَهْلِـهِ أَحَـدٌ حَتَّـىٰ يَرْجِـعَ، قَـالَ: فَخَـرَجَ ذَاتَ يَـوْمٍ وَغُلِّقَـتِ الـدَّارُ، فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُـهُ تَطَّلِـعُ إِلَـىٰ الـدَّارِ، فَـإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَـطَ الـدَّارِ، فَقَالَـتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ: مِـنْ أَيْـنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُـلُ الدَّارَ وَالـدَّارُ مُغْلَقَـةٌ؟ وَاللَّـهِ لَتُفْتَضَحُنَّ بِـدَاوُدَ، فَجَاءَ دَاوُدُ فَـإِذَا الرَّجُـلُ قَائِـمٌ وَسَـطَ الـدَّارِ، فَقَـالَ لَـهُ دَاوُدُ: مَـنْ أَنْـتَ؟ قَالَ: أَنَـا الَّذِي لَا أَهَـابُ الْمُلُـوكَ، وَلَا يَمْتَنِـعُ مِنِّـي الْحُجَّـابُ، فَقَـالَ دَاوُدُ: أَنْتَ وَاللَّـهِ إِذَنْ مَلَكُ الْمَـوْتِ، فَمَرْحَبًـا بِأَمْـرِ اللَّـهِ، فَرَمَـلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْـثُ قُبِضَتْ رُوحُـهُ، حَتَّىٰ فَرَغَ مِـنْ شَـأْنِهِ وَطَلَعَـتْ عَلَيْـهِ الشَّـمْسُ، فَقَـالَ سُـلَيْمَانُ لِلطَّيْـرِ: أَظِلِّـي عَلَـىٰ دَاوُدَ، فَأَظَلَّـتْ عَلَيْـهِ الطَّيْرُ حَتَّـىٰ أَظْلَمَـتْ عَلَيْهِـمُ الْأَرْضُ، فَقَـالَ لَهَا سُـلَيْمَانُ: اقْبِضِي جَنَاحًـا جَنَاحًـا**»، قَـالَ أَبُـو هُرَيْـرَةَ: يُرِينَـا رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ كَيْـفَ فَعَلَـتِ الطَّيْرُ، وَقَبَـضَ رَسُـولُ اللَّـهِ يَـدَهُ ﷺ، «**وَغَلَبَـتْ عَلَيْـهِ يَوْمَئِـذٍ الْمَضْرَحِيَّـةُ**»، أي: غلبت علىٰ التَّظليـلِ عليـه الصُّقـورُ ذاتُ الأجنِحَـةِ الطَّويلَةِ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ شَمْوِيلَ وَدَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

○ ممَّا يتكرَّرُ في قصصِ أنبياءِ بَني إسرائيلَ خُبثُ اليَهودِ وكَثرَةُ نُكولِهم، فإنَّ اللهَ تَعالىٰ لمَّا أجابَهم إلىٰ سُؤالِهم واختارَ طالوتَ مَلِكًا عليهم اعترَضوا عليه، وقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾[البقرة:٢٤٧]، ونَسوا أنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أعلَمُ بمَن هو أحَقُّ بالمُلكِ، كما أنَّه أعلَمُ بمَن هو أهلٌ للنُّبوَّةِ والرِّسالَةِ، فترَكَ أكثَرُهم القِتالَ مع طالوتَ، وكان ما كانَ ممَّا سبَقَ ذِكرُه.

○ أنكَرَ اليَهودُ نُبوَّةَ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجَعَلوه مَلِكًا مِن المُلوكِ، وذكَروا أنَّه مِن أعدَلِ المُلوكِ، لكِنَّهم مع ذلِكَ افتَرَوا عليه افتِراءً كبيرًا، ومِن ذلِكَ أنَّهم زَعَموا أنَّه زَنىٰ بامرَأةِ أحَدِ جُنودِه، وأنَّها حمَلَت مِن ذلِكَ الزِّنَىٰ، وأنَّه لمَّا رغِبَ فيها تسَبَّبَ في مَقتَلِ زَوجِها، وذلِكَ بإرسالِه إلىٰ الغَزوِ وجَعلِه في مُقَدِّمَةِ الجَيشِ، فلمَّا قُتِلَ زَوجُها تزوَّجَها، وذكَروا أنَّها أُمُّ سُلَيمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكلُّ هذا مَحضُ افتِراءٍ علىٰ نَبيٍّ مِن أنبياءِ اللهِ المُخلَصينَ، نَعوذُ باللهِ مِن صَنيعِهم، ونبرَأُ إليه منهم ومِن تنَقُّصِهم الأنبياءَ وعَيبِهم إيَّاهم.

○ أنزَلَ اللهُ تَعالىٰ علىٰ داوُدَ الزَّبورُ، ومَعناهُ المَزبورُ، أي: المَكتوبُ، وعندَ أحمدَ مِن حَديثِ واثِلَةَ بنِ الأسقعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**»، زادَ البيهَقيُّ والطَّبَرانيُّ: «**وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**».

○ جاءَ عندَ البُخاريِّ أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**خُفِّفَ عَلَىٰ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنُ**» أي: الزَّبورُ، «**فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ، وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**»، وفي هذا تَسميَةٌ للزَّبورِ بالقُرآنِ.

○ قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾[سبأ:١٠]، قدَّمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الجِهَةَ ﴿مِنَّا﴾ علىٰ الفَضلِ ليَتبَيَّنَ عِظَمُ ذلِكَ الفَضلِ؛ لأنَّ الشَّيءَ إذا نُسِبَ إلىٰ جِهَةٍ عَظيمَةٍ

كانَ عَظيمًا، ونُكِّرَ الفَضلُ ليَشمَلَ كلَّ فَضلٍ أوتِيَه داودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ دينيًّا كانَ أو دُنيَويًّا.

❍ استدَلَّ أهلُ العِلمِ بقَولِه تَعالىٰ: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾[سبأ:١٠] علىٰ أنَّ الجَمادَ يُحِسُّ بخِطابِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإلَّا كانَ تَوْجيهُ الخِطابِ إليه عَبَثًا، والقرآنُ مُنزَّهٌ عن العَبَثِ، ولهذا نَظائِرُ مُتعَدِّدَةٌ في القرآنِ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾[سبأ]، استَدَلَّ بها بَعضُهم علىٰ أنَّ داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ حَدَّادًا، ويُؤَيِّدُ ذلِكَ أنَّه عُلِّمَ صُنعَ الدُّروعِ السَّابِغَةِ، ثمَّ اختَلَفَ أهلُ العِلمِ في مَعنىٰ الإلانَةِ علىٰ قولَينِ:

- أنَّ اللهَ تَعالىٰ ألانَ له الحَديدَ بتَسخيرِ وتَهيِئَةِ الوَسائِلِ الَّتي تُساعِدُه علىٰ ذلِكَ، وتُسَرِّعُه.
- أنَّ اللهَ تَعالىٰ ألانَ له الحَديدَ بغَيْرِ السَّبَبِ المَعلومِ، فصارَ الحَديدُ بيَدِه مِثْلَ العَجينِ يَقدِرُ علىٰ أن يُدوِّرَه كيفَ يَشاءُ، ولعَلَّ هذا أقرَبُ.

❍ تقدَّمَت قِصَّةُ الخَصمَينِ الَّذينَ تَسَوَّرا المِحرابَ علىٰ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقد ذكَرَ بعضُ المُفَسِّرينَ قِصَّةً مَنقولَةً عن أهلِ الكِتابِ، وفيها أُمورٌ مُنكَرَةٌ لا يَصِحُّ نِسبَتُها إلىٰ نَبيٍّ مِن أنبياءِ اللهِ المُجتبَينَ، قالَ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تفسيره»: (ذكَرَ المُفسِّرونَ ههُنا قِصَّةً أكثَرُها مَأخوذٌ مِن الإسرائيليَّاتِ، ولم يَثبُت فيها عن المَعصومِ حَديثٌ يَجِبُ اتِّباعُه، ولكن روىٰ ابنُ أبي حاتِمٍ هنا حديثًا لا يَصِحُّ سنَدُه؛ لأنَّه مِن رِوايَةِ يَزيدَ الرَّقاشِيِّ عن أنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويَزيدُ وإن كانَ مِن الصَّالِحينَ، لكنَّه ضَعيفُ الحَديثِ عند الأئِمَّةِ؛ فالأَولىٰ أن يُقتَصَرَ علىٰ مُجرَّدِ تِلاوَةِ هذه القِصَّةِ، وأن يُرَدَّ عِلمُها إلىٰ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ)، وما قَدَّمنا هو تَفسيرٌ للقِصَّةِ علىٰ ظاهِرِها، وفيه كِفايَةٌ بإذنِ اللَّهِ، وقد قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ**»، ومِن ذلِكَ اتِّباعُ سُنَّتِهم في القَدحِ في الأنبياءِ وذِكرِهم بما يُشينُهم.

❍ في آخِرِ قِصَّةِ الخَصمَينِ في سورَةِ ص بيَّنَ اللهُ تَعالىٰ أنَّه كانَ ينبَغي لداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَخرُجَ إلىٰ النَّاسِ ليَحكُمَ بينَهُم، فقالَ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص:٢٦] للَّهِ تَعالىٰ في تَبليغِ شَرعِهِ والحُكمِ بينَ النَّاسِ، وهكَذا يَنبَغي

لكُلِّ مَن وَلِيَ أمرًا مِن أُمورِ النَّاسِ أن يُقَدِّمَ القِيامَ علىٰ أُمورِهم علىٰ شَأنِهِ الخاصِّ ولو كانَ عِبادَةً؛ لأنَّ النَّفعَ المُتَعَدِّيَ أولىٰ مِن النَّفعِ القاصِرِ.

❍ جاءَ عندَ أبي داوُدَ مِن حَديثِ أبي سَعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «**قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ ص، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ**» وهي عندَ قولِه تعالىٰ: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾[ص]، «**نَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمٌ آخَرُ قَرَأَهَا، فَلَمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ تَشَزَّنَ النَّاسُ**» أي: تَهَيَّأَ النَّاسُ «**لِلسُّجُودِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا هِيَ تَوْبَةُ نَبِيٍّ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُكُمْ تَشَزَّنْتُمْ لِلسُّجُودِ، فَنَزَلَ فَسَجَدَ وَسَجَدُوا**»، وجاءَ عندَ النَّسائيِّ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**سَجَدَهَا دَاوُدُ تَوْبَةً، وَنَسْجُدُهَا شُكْرًا**» للَّهِ تعالىٰ علىٰ قَبولِه توبَةَ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❍ جاءَ عندَ التِّرمذيِّ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «**جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ**»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ**»، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ**».

❍ جَعَلَ اللهُ تَعالىٰ داوُدَ خَليفَةً في الأرضِ فقالَ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾[ص:٢٦] وهو الخَليفَةُ الثَّاني في الأرضِ، والأوَّل هو آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كما في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[البقرة:٣٠]،وعلىٰ هذا تكونُ علاقَةُ داوُدَ بآدَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِن وجهَين: الخِلافَةِ في الأرضِ، والزِّيادَةِ في العُمرِ كما تقَدَّمَ في قِصَّةِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[سبأ]، وفي هذا دَليلٌ علىٰ أنَّ الشُّكرَ لا يَكونُ باللِّسانِ فقط، بل يكونُ كذلِكَ بالقَلبِ والجَوارِحِ، ولهذا ذكَرَ ابنُ أبي حاتِمٍ في «تَفسيرِه» (١٠/ ٣١٦٣) عن محمَّدِ بنِ كَعبٍ القُرَظِيِّ رَحِمَهُ اللهُ أنَّه قالَ: (الشُّكْرُ: تَقوَىٰ اللهِ، والعَمَلُ بطاعَتِه).

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ شَمْوِيلَ وَدَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

[١] نبيٌّ وُصِفَ بأنَّ صِيامَهُ أفضَلُ الصِّيامِ وقِيامَه أفضَلَ القِيامِ: ○ إبراهيمُ. ○ موسىٰ. ○ داوُدُ.

[٢] النَّبيُّ الَّذي لُقِّبَ بخَليفَةِ اللهِ في القُرآنِ: ○ داوُدُ. ○ سُلَيمانُ. ○ إلياسُ.

[٣] مَن هو النَّبيُّ الَّذي قَتَلَ جالوتَ؟ ○ داوُدُ. ○ سُلَيمانُ. ○ طالوتُ.

[٤] النَّبيُّ الَّذي ألانَ اللهُ له الحَديدَ: ○ داوُدُ. ○ سُلَيمانُ. ○ شَمويلُ.

[٥] أُرسِلَ داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ: ○ بَني إسرائيلَ. ○ أهلِ مِصرَ.

[٦] نبيٌّ آتاهُ اللهُ الحِكمَةَ وفَصلَ الخِطابِ: ○ لوطٌ. ○ داوُدُ. ○ سُليمانُ.

[٧] علىٰ مَن نزَلَ الزَّبورُ؟ ○ يونُسُ. ○ داوُدُ. ○ سُليمانُ.

[٨] النَّبيُّ الَّذي ابتَدَعَ صُنعَ الدُّروعِ، وكانَ يأكُلُ مِن عمَلِ يَدِهِ: ○ يوشَعُ. ○ داوُدُ. ○ سُليمانُ.

[٩] داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بنِ يَعقوبَ: ○ صح. ○ خطأ.

[١٠] اربط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بدليلِها:

أوتِيَ المُلكَ والحِكمةَ والعِلمَ:	﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾.
فضَّلَهُ اللهُ:	﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾.
أوتِيَ القُوَّةَ وكانَ أوَّابًا:	﴿وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾.
شدَّ اللهُ مُلكَه وآتاهُ حُسنَ الخِطابِ:	﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾.
له الزُّلفىٰ وحُسنُ المآبِ عندَ اللهِ:	«أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ...».
جعلَهُ اللهُ خليفةً في الأرضِ:	﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.
أحَبُّ الصِّيامِ والصَّلاةِ إلىٰ اللهِ صِيامُه وقِيامُه:	﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

[١١] عاشَ داوُدُ عليه السلام (❍ ٦٠ ❍ ١٠٠) سنةً.
[١٢] كانَ داوُدُ في جَيشِ (❍ طالوتَ ❍ جالوتَ)، ثمَّ آتاهُ اللهُ (❍ النُّبُوَّةَ ❍ المُلكَ ❍ الجميعَ)، وأُرسِلَ إلىٰ بني إسرائيلَ (❍ صح ❍ خطأ)، وكِتابُه (❍ الزَّبورُ ❍ الإنجيلُ ❍ التَّوراةُ)، نزلَ مُنجَّمًا كما نزل القُرآنُ (❍ صح ❍ خطأ).
[١٣] أنزَلَ اللهُ تَعالىٰ علىٰ داوُدَ الزَّبورَ، ومَعناهُ: ❍ المَزبورُ. ❍ المَكتوبُ. ❍ كلاهما صحيحٌ، ولا فرقَ.
[١٤] قصَّةُ الخَصمَينِ الَّذينَ تَسَوَّرا المِحرابَ علىٰ داودَ عليه السلام: ❍ ثبَتَ في تَفسيرِها أحاديثُ صَحيحةٌ. ❍ لم يثبُت فيها شيءٌ.
[١٥] يَنبَغي لكُلِّ مَن وَلِيَ أمرًا مِن أُمورِ النَّاسِ أن يُقدِّمَ القِيامَ علىٰ أُمورِهم علىٰ شَأنِهِ الخاصِّ: ❍ ولو كانَ عِبادَةً. ❍ إلَّا العِبادَةَ.
[١٦] النَّفعُ المُتَعَدِّي أولىٰ مِن النَّفع القاصِرِ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[١٧] داودُ عليه السلام هو الخَليفَةُ (❍ الأوَّلُ ❍ الثَّاني ❍ الثَّالثُ) في الأرضِ.
[١٨] علاقةُ داوُدَ بآدَمَ عليهما السلام مِن جِهَةِ: ❍ الخِلافَةِ في الأرضِ. ❍ الزِّيادَةِ في العُمرِ. ❍ الجَميع.
[١٩] ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ فيه دليلٌ علىٰ أنَّ الشُّكرَ يَكونُ باللِّسانِ فقط: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٢٠] بَقِيَ بَنو إسرائيلَ مِن بَعدِ (❍ اليسَع ❍ شَمويلَ) عليه السلام كالغَنَم بلا راعٍ، حتَّىٰ أرسَلَ اللَّهُ إليهم (❍ شَمويلَ ❍ داوُدَ) عليه السلام، فاختارَ اللَّهُ (❍ طالوتَ ❍ جالوتَ ❍ داوُدَ) مِلكًا يُقاتِلونَ معه عدُوَّهم.
[٢١] اربِط من القائمَةِ اليُمنىٰ بما يُناسِبُه مِن اليُسرىٰ:

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ﴾:	طالوتُ.
﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ﴾:	التَّابوتُ.
﴿فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾:	أي: تابَ للهِ تَعالىٰ.
﴿وَخَرَّ رَاكِعٗا﴾:	شَمويلُ عليه السلام.
﴿وَأَنَابَ﴾:	أي: ساجِدًا للهِ تعالىٰ.

نَبِيُّ اللهِ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

اسمُهُ:	سُلَيمانُ بنُ داوُدَ، مِن ذُرِّيَّةِ يَهوذا بن يَعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
زَمانُهُ:	أرسلَهُ اللهُ بعدَ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فورِثَ عنهُ النُّبوَّةَ والمُلكَ.
قَومُهُ:	أَرسَلَه اللهُ إلىٰ **بَني إسرائيلَ**، ويَظهَرُ أنَّهُ أُرسِلَ إلىٰ أُمَمٍ أُخرَىٰ كذلِكَ؛ كما في قِصَّتِهِ مع قَومِ سَبَإٍ، وهم ليسوا مِن بَني إسرائيلَ.
ممَّا وَصفَهُ اللهُ بهِ:	[١-٣] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾[الأنبياء:٧٩]. [٤] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾[النَّمل]. [٥-٦] ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[النَّمل]. [٧-٩] ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾[ص]، ﴿ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾[ص].
ذِكرُهُ:	ذُكِرَ سُلَيمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ **١٧ مرَّةً**.
آياتُهُ:	[١] **البِساطُ**، وهو مِن خَشَبٍ، يَحمِلُ عليهِ كلَّ ما يَحتاجُهُ مِن أُمورِ مملكَتِهِ وجَيشِهِ، ثمَّ يأمُرُ الرِّيحَ فتحمِلُهُ إلىٰ حيثُ شاءَ، ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾[الأنبياء:٨١]. [٢] **التَّحكُّمُ في الشَّياطينِ**، ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾[ص]. [٣] ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ﴾[سبأ:١٢] وهو النُّحاسُ. [٤] ﴿وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾. [٥] ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ﴾[النَّمل:١٦]، أي: ممَّا يَحتاجُ إليه المُلوكُ. [٦] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ﴾[سبأ:١٤].

قِصَّةُ نَبِيِّ اللهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُختصَرةً:

نُبُوَّتُه عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَا اختصَّه اللهُ بِه:

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[ص]، ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾[النَّمل]، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[ص]، ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنبياء]، ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾[سبأ].

قالَ تَعالىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ۚ ﴾ نبيًّا، وكانَ له بَنونَ كثيرٌ غيرُ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ ﴾ في كثرةِ الطَّاعةِ والعِبادةِ، ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[ص] رجَّاعٌ إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وكانَ سُليمانُ خليفةً لداوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في النُّبُوَّةِ والمُلكِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ۖ ﴾ خصَّهُم اللهُ به دونَ غيرِهم، ﴿وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ بهذا العِلمِ، وبجَمعِ النُّبُوَّةِ والمُلكِ العظيمِ لهُما، ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ ﴾ في النُّبُوَّةِ والمُلكِ، وأمَّا المالُ فإنَّ الأنبياءَ لا يُورِّثونَه، فقد قالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ البيهقيِّ -وأصلُه في «الصَّحيحَين»: «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ**»، ﴿وَقَالَ ﴾ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

مُخبرًا بنِعَم اللَّهِ عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ فكانَ يَعرِفُ لُغتَهُم، ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ ممَّا يَحتاجُ إليه المُلوكُ؛ كعِدَّةِ الحَربِ ونَحوِها، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾ [النَّمل] مِن اللهِ علىٰ مَن شاءَ مِن عِبادِه.

وقد سأل سُليمانُ اللهَ تعالىٰ فـ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ أي: لا يُؤتاه أحَدٌ مِن البَشَرِ بَعدي، ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾ تهَبُ ما تَشاءُ لمَن تَشاءُ، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَهُ، قال ﷻ: ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً﴾ لَيِّنةً مُطيعةً له، ﴿حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦﴾ [ص] أي: حيثُ أرادَ مِن البِلادِ، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ وهي بِلادُ الشَّامِ، ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ٨١﴾ [الأنبياء]، فكانَ له بِساطٌ مِن خشَبٍ يَحمِلُ عليه كُلَّ ما يَحتاجُ إليه مِن أُمورِ مملَكَتِه وجُندِه، ثُمَّ يأمُرُ الرِّيحَ فتَحمِلُه وتَسيرُ به إلىٰ حَيثُ شاءَ، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾ أي: تَسيرُ مِن الفَجرِ إلىٰ انتِصافِ النَّهارِ مَسيرَةَ شَهرٍ للمُسرِعِ، ﴿وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ﴾ [سبأ:١٢] فتَسيرُ مِن نِصفِ النَّهارِ إلىٰ المَساءِ مَسيرَةَ شَهرٍ.

وممَّا وهَبَه اللهُ لسُليمانَ عليه السلام استِجابةً لدُعائِه أنَّه كانَ يتصَرَّفُ في الجِنِّ والشَّياطينِ بالقُوَّةِ والقَهرِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ [ص]، فمِنهم مَن يَستَعمِلُهُ في البِناءاتِ الهائِلَةِ، ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾ جَمعُ مِحرابٍ وهو البِناءُ الحسَنُ دونَ القَصرِ، ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ مِن النُّحاسِ أو الطِّينِ والزُّجاجِ، ﴿وَجِفَانٖ﴾ جَمعُ جَفنةٍ ﴿كَٱلۡجَوَابِ﴾ وهي الحِياضُ الكَبيرةُ، ﴿وَقُدُورٖ﴾ كَبيرةٍ جِدًّا ﴿رَّاسِيَٰتٍۚ﴾ [سبأ:١٣] ثابِتاتٍ في مَكانِها لا تتحَوَّلُ لعِظَمِها، ومِنهم مَن ﴿يَغُوصُونَ﴾ في الماءِ ليَستَخرِجوا ﴿لَهُۥ﴾ اللآلِئَ والجَواهِرَ، ومِنهم مَن يَعمَلونَ ﴿عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ أي: غيرَ ذلِكَ مِن الأعمالِ، ﴿وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ٨٢﴾ [الأنبياء] فلا يُصيبونَ سُليمانَ عليه السلام بأيِّ سوءٍ بحِراسَتِنا له، ومِنهم مَن كانَ يَحبِسُه ولا يُطلِقُه، ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾ [ص]، قالَ تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا﴾ ويَخرُجْ عن طاعةِ سُليمانَ عليه السلام

﴿نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ١٢﴾ [سبأ] أي: الحريق.

وممَّا أعطاهُ اللهُ تعالىٰ لسُليمانَ كذلِكَ قولُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ [سبأ] والقِطرُ هو النُّحاسُ، المَعدِنُ الصَّلبُ المَعروفُ، فكانت له عَينٌ تَجري بالنُّحاسِ السَّائِلِ كجَرَيانِ الماءِ.

قالَ تعالىٰ: ﴿هَٰذَا﴾ الَّذي أعطَينا سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن المُلكِ والسُّلطانِ والأُمورِ العَجيبَةِ هو ﴿عَطَآؤُنَا﴾ لك ﴿فَٱمۡنُنۡ﴾ وأعطِ مَن شِئتَ مِنه، ﴿أَوۡ أَمۡسِكۡ﴾ عمَّن شِئتَ مِن النَّاسِ، ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٣٩﴾ ولا جُناحَ عليك، ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ﴾ وقُربًا خاصًّا ﴿وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٠﴾ [ص] أي: رُجوعٍ في الآخِرَةِ.

قِصَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ النَّمْلَةِ:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل].

قالَ تعالىٰ: ﴿وَحُشِرَ﴾ أي: جُمِعَ ﴿لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٧﴾، أي: يرُدُّ أوَّلُهم علىٰ آخِرِهم حتَّىٰ لا يتقدَّمَ أحَدٌ عن مَكانِه المُحَدَّدِ له، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ﴾ أي: مَرُّوا ﴿عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ خافَت علىٰ النَّملِ أن تَحطِمَها حوافِرُ الخَيلِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ ولا يَقصِدونَ تَحطيمَكُم، فسَمِعَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قولَها وعَقلَه، ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾، وتذَكَّرَ نِعمَةَ اللهِ عليه، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ﴾ أي: ألهِمني ﴿أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ﴾ مِن تَعليمي مَنطِقَ الحَيَوانِ وغَيرِ ذلِكَ، ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ اللَّذَينِ كانا مُسلِمَينِ لك، ﴿وَأَنۡ أَعۡمَلَ﴾ عمَلًا ﴿صَٰلِحٗا﴾ تُحِبُّه و﴿تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ﴾ إذا توَفَّيتَني ﴿فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النمل] مع الرَّفيقِ الأعلىٰ في الجنَّةِ.

قصَّتُه عليه السلام مع ملكة سبأ:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ٢٦ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [النَّمل]...

مِن القَصَصِ العَجيبَةِ الَّتي ذكَرَها اللهُ سبحانه وتعالى في كِتابِه عن سُليمان عليه السلام قصَّتُه مع مَملكَةِ سَبَإٍ ومَلِكَتِها، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ﴾ سُليمانُ عليه السلام يومًا ﴿ٱلطَّيۡرَ﴾، وكانَ في سفَرٍ واحتاجَ إلىٰ الماءِ، فطلَبَ الهُدهُدَ الَّذي كان يدُلُّه علىٰ الماءِ، فلم يجِدْهُ في الطَّيرِ، ﴿فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠﴾، فإن كانَ غابَ بغَيرِ عُذرٍ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا﴾ ولم يُبيِّن لنا صِفتَه، ﴿أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ﴾ فيموتُ، ﴿أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ﴾ أي: عُذرٍ عن تأَخُّرِه ﴿مُّبِينٖ ٢١﴾ واضِحٍ، ﴿فَمَكَثَ﴾ الهُدهُدُ ﴿غَيۡرَ بَعِيدٖ﴾ أي: زمَنًا يَسيرًا، ثمَّ جاءَ ﴿فَقَالَ﴾ لسُليمانَ عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾ أي: اطَّلَعتُ علىٰ ما لم تَطَّلِع عليه أنتَ وجُنودُكَ! ﴿وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ﴾ بأرضِ اليَمَنِ ﴿بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ أي: خَبَرٍ صادِقٍ، ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ﴾، قالَ ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنهما كما عندَ ابنِ أبي شَيبَةَ: «**اسْمُهَا بِلْقِيسُ بِنْتُ ذِي شِرَهٍ، وَكَانَتْ هَلْبَاءَ شَعْرَاءَ**» أي: كَثيرةَ الشَّعرِ، ﴿تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ﴾ ممَّا يَحتاجُ إليه المُلوكُ مِن مَتاعِ الدُّنيا، ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ﴾ السَّريرُ الَّذي تَجلِسُ عليه ﴿عَظِيمٞ ٢٣﴾.

قالَ الهُدهُدُ مُستغرِبًا: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وعن طَريقِ الحَقِّ ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ٢٤﴾ إليها، ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾ أي: لا يَعرِفونَ أنَّ طَريقَ الحَقِّ أن يَسجُدوا للهِ ﴿ٱلَّذِي

﴿يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فيُنزِلُ الماءَ مِنَ السَّماءِ، ويُخرِجُ النَّباتَ مِنَ الأرضِ، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ﴾ أيُّها العِبادُ في أنفُسِكُم ﴿وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾ وتُظهِرونَ، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٦﴾ ليسَ في المَخلوقاتِ أعظَمُ مِنه، فعِندَها ﴿قَالَ﴾ سُليمانُ عليه السلام للهُدهُدِ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ في هذا الخَبرِ ﴿أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾ لتتخلَّصَ مِنَ الوَعيدِ الَّذي أوعَدتُكَ، ثمَّ كتَبَ كِتابًا إلىٰ بلقيسَ وقالَ للهُدهُدِ: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ٢٨﴾ [النَّمل] وبماذا يُجيبونَ.

فذهَبَ الهُدهُدُ بالكِتابِ، ودخَلَ قصرَ بلقيسَ، وألقاهُ بينَ يدَيها، فتَعَجَّبَت لذلِكَ، ثمَّ تولَّىٰ إلىٰ ناحِيَةٍ يَنظُرُ ما يَكونُ مِنها، فـ﴿قَالَتۡ﴾ لمَن عِندَها مِن أهلِ المَشورَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ٢٩﴾ لِما رأَتهُ مِن إلقاءِ الطَّائِرِ لهُ، ومِن تَوَلِّيهِ عنها أدَبًا وانتِظارِه، ثمَّ فتَحَته وقَرَأَتهُ، وقالَت: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ﴾ وتتَجَبَّروا ﴿وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣١﴾ مُوَحِّدينَ للهِ عز وجل طائِعينَ لي في أمري، وهذا كِتابٌ غايَةٌ في الوَجازَةِ والبَلاغَةِ! فـ﴿قَالَتۡ﴾ بلقيسُ لوُزَرائِها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ٣٢﴾ وتُشيرونَ عليَّ، ﴿قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ﴾ فلَسنا خائِفينَ مِن سُليمانَ لشِدَّتِنا، ﴿وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾، إن شِئتِ حَربَهُ فنحنُ معَكِ، فكانَت أفهَمَ مِنهُم وأحذَقَ، و﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً﴾ عُنوَةً ﴿أَفۡسَدُوهَا﴾ وخرَّبوها، ﴿وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾ أي: قصَدوا أشرافَها ووُلاتَها فأهانوهُم بالقَتلِ أو الأَسرِ، ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٣٤﴾ [النَّمل].

ثمَّ رأَت المَلِكَةُ أن تَسلُكَ مَسلَكَ المُصالَحَةِ والمُوادَعَةِ، فقالَت: ﴿وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ﴾ عظيمَةٍ تَليقُ بمَقامِ سُليمانَ عليه السلام، ﴿فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣٥﴾، لعَلَّ سُليمانَ عليه السلام يَقبَلُ الهَدِيَّةَ ويَكُفُّ بأسَهُ عنَّا، ويَكتَفي بأن يَأخُذَ الخَراجَ مِنَّا، وإنَّما قالَت ذلِكَ لِما علِمَت مِن قُوَّةِ سُليمانَ عليه السلام وجُندِه، ﴿فَلَمَّا جَآءَ﴾ رُسُلُها إلىٰ ﴿سُلَيۡمَٰنَ﴾ لم يَنظُر في الهَدِيَّةِ، و﴿قَالَ﴾

مُستَنكِرًا فِعلَها: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ﴾ تَرشونَني به لأُقِرَّكُم علىٰ ما أنتُم عليه مِنَ الشِّركِ؟! ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ مِنَ المُلكِ والأَموالِ والجُندِ ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ أي: أنتُم الَّذينَ تفرَحونَ بالهَدايا وتَنقادونَ لصاحِبِها ولَستُ أنا! ثمَّ قالَ للرَّسولِ: ﴿ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بهَدِيَّتِهم، ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ ولا يُطيقونَ قِتالَهُم، ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ﴾ مِن بَلَدِتِهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ مُهانونَ مَدحورونَ، فلمَّا رجَعَ الجُندُ إلىٰ المَلِكةِ وأَخبَروها برَدِّ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما شاهَدوهُ عندَه مِنَ القُوَّةِ والبَأسِ، عَلِمَت أنَّه ليسَ كالمُلوكِ، وأذعَنَت له، وأَقبَلَت إليه في جُنودِها خاضِعَةً لأَمرِه مُطيعَةً له.

فلمَّا عَلِمَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بمَقدَمِها سَرَّهُ ذلِكَ، وأرادَ أن يُظهِرَ لها ولقَومِها عظَمَةَ المُلكِ الَّذي أعطاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فـ﴿قَالَ﴾ لمَن عندَه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا﴾ الَّذي هو سَريرُ مُلكِها، وتقَدَّمَ وَصفُ الهُدهُدِ له بالعَظَمَةِ، ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾؛ لأنَّهُم إذا أسلَموا حَرُمَت أموالُهُم، ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ﴾ مارِدٌ ﴿مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: مِن مَجلِسِكَ الَّذي أنتَ فيه، وقالَ بَعضُ السَّلَفِ: كانَ يَجلِسُ للقَضاءِ والحُكوماتِ مِن أوَّلِ النَّهارِ إلىٰ زَوالِ الشَّمسِ، ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ﴾ علىٰ حَملِه ﴿أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ علىٰ ما فيه مِنَ اللُّؤلُؤِ والجَواهِرِ، فقالَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أُريدُ أعجَلَ مِن ذلِكَ، فـ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، قالَ بَعضُ السَّلَفِ: هو رَجُلٌ مِن بَني إسرائيلَ اسمُه آصِفٌ، وقيلَ: كانَ كاتِبَ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقالَ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي: قبلَ أن ترمَشَ عينُكَ، ثمَّ قامَ فتوضَّأَ ودعا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ بينَ يَدَيه ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ ونِعمَتِه علَيَّ ﴿لِيَبْلُوَنِىٓ﴾ ويَختَبِرَني ﴿ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّه ينفَعُ نفسَهُ بشُكرِه، ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بنعمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه وإحسانِه إليه فإنَّما يظلِمُ نفسَهُ، ولا يُضُرُّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ شيئًا، ﴿فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ﴾ عن شُكرِه ﴿كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[النَّمل] يُعطِي النِّعمَةَ مَن يشكُرُها ومَن لا يشكُرُها.

ثمَّ أرادَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَختَبِرَ مَعرِفَةَ بِلقيسَ بعَرشِها فـ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا﴾

أي: غيِّروا بعضَ صِفاتِه ﴿نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ﴾ إليه فتعرِفُه ﴿أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ٤١ فَلَمَّا جَآءَتۡ﴾ عُرِضَ عليها عَرشُها و﴿قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ﴾؟ فـ﴿قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ أي: يُشبِهُهُ ويُقارِبُه، فقالَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٤٣﴾، هذا كلُّه مِن قَولِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانَت لم تُظهِر إسلامَها له بَعدُ.

وكانَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أمَرَ الشَّياطينَ أن يَبنوا لها قَصرًا مِن الزُّجاجِ، وأَجرى تَحتَهُ الماءَ، ثُمَّ ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾ أي: القَصرَ، ﴿فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ أي: ماءَ بَحرٍ ﴿وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ﴾ لِئَلَّا تبتَلَّ ثِيابُها، فعِندَها ﴿قَالَ﴾ لها سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ﴾ مَبنِيٌّ بناءً مُحكَمًا ﴿مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ أي: مِن زُجاجٍ، فلمَّا رَأت بلقيسُ عَظَمَةَ مُلكِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عرَفَت أنَّه نَبيٌّ كَريمٌ، و﴿قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ بما سلَفَ مِن كُفري وشِركي باللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: مُتابَعةً له عَلَيْهِ السَّلَامُ في دينِه ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٤﴾ [النَّمل].

قِصَّتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْخَيْلِ:

﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾[ص].

ذكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في كِتابِه مِن شَأنِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه عُرِضَ عليه يومًا الخَيلُ، قالَ تَعالى: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ﴾ الخَيلُ ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾ الَّتي تَقِفُ على ثَلاثِ قَوائِمَ وطَرَفِ حافِرِ القائِمِ الرَّابِعِ ﴿ٱلۡجِيَادُ ٣١﴾ وهي السَّريعَةُ، وقيلَ: إنَّها كانَت عِشرينَ ألفَ فرَسٍ، وأنَّها كانَ لها أجنِحَةٌ، ويُؤَيِّدُ ذلِكَ ما أخرَجَه أبو داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «**قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَوْ خَيْبَرَ، وَفِي سَهْوَتِهَا سِتْرٌ**»، والسَّهوَةُ شَيءٌ شَبيهٌ بالرَّفِّ والطَّاقِ يُوضَعُ فيهِ الأشياءُ، «**فَهَبَّتِ الرِّيحُ فَكَشَفَتْ نَاحِيَةَ السِّتْرِ عَنْ بَنَاتٍ لِعَائِشَةَ لُعَبٍ**» أي: كانَ في السَّهوَةِ دُمًى لعائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تلعَبُ بِها، «**فَقَالَ: مَا هَذَا يَا عَائِشَةُ؟ قَالَتْ:**

بَنَاتِي، وَرَأَىٰ بَيْنَهُنَّ فَرَسًا لَهُ جَنَاحَانِ مِنْ رِقَاعٍ» أي: مِن قِطعِ ثَوبٍ، «فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَىٰ وَسْطَهُنَّ؟ قَالَتْ: فَرَسٌ، قَالَ: وَمَا هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ؟ قُلْتُ: جَنَاحَانِ، قَالَ: فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَانِ؟! قَالَتْ: أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟ قَالَتْ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ»، ولم يُنكِرْ ﷺ عليها ذلِكَ.

فلمَّا رأىٰ سُليمانُ عليه السلام الخَيلَ أعجَبَه حُسنُها، وانشَغَلَ بها حتَّىٰ فاتَهُ وَقتُ صَلاةِ العَصرِ وهو ناسٍ لها، فلمَّا انتبَه لذلِكَ غاظَهُ فَواتُ وَقتِ الصَّلاةِ ﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ مِن المالِ والخَيلِ وشَغَلَني ذلِكَ ﴿عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ﴾ الشَّمسُ ﴿بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ الَّذي هو خَطُّ الأُفُقِ حيثُ تَغيبُ الشَّمسُ، فغَضِبَ لذلِكَ وقالَ: ﴿رُدُّوهَا﴾ أي: الخَيلَ الَّتي شَغَلَته ﴿عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ﴾ أي: العَراقيبِ ﴿وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾[ص] بالسَّيفِ، فقتَلَها جَميعًا، فأمَّا ضَربُ الأعناقِ بالسَّيفِ فلا إشكالَ فيه، وأمَّا ضَربُ السُّوقِ فهو نَوعٌ مِن التَّعذيبِ، ولعلَّه كانَ بعدَ مَوتِها، واللهُ أعلَمُ.

ثـمَّ تـابَ عليه السلام ممَّـا بـدَرَ منه مِن فَـواتِ وَقـتِ الصَّـلاةِ، فقـالَ: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾[ص]، وقـد تقـدَّمَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى اسـتَجابَ دُعـاءَهُ وأعطـاهُ أُمـورًا عَجائِبَ.

قِصَّةُ الْكُرْسِيِّ:

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾[ص].

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾ أي: اختبَرناه، وأبهَمَ اللهُ تَعالىٰ هذه الفِتنَةَ، ولم يُبَيِّنْها لنا، فالواجِبُ أن نُبهِمَها ولا نَخوضَ فيها، وقد ذكَرَ جَماعَةٌ مِن المُفَسِّرينَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى سلَبَ مِن سُليمانَ مُلكَه، وذكَروا قَصَصًا مِن الإسرائيلِيَّاتِ الَّتي فيها تنَقُّصٌ شَديدٌ مِن شَأنِ سُليمانَ عليه السلام، ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ مِنَ الشَّياطينِ، جلَسَ علىٰ كُرسِيِّ سُليمانَ عليه السلام في غَيبَتِه وجعَلَ يتصَرَّفُ في شُؤونِ مَملَكتِه، وعجَزَ سُليمانُ عليه السلام عن إنزالِه منه، فعرَفَ أنَّه اختِبارٌ مِن اللهِ له، ﴿ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾[ص] إلىٰ اللهِ تَعالىٰ، فرَدَّ اللهُ عليه مُلكَه وصرَفَ الشَّيطانَ عن الكُرسِيِّ.

قِصَّةُ عَدَمِ قَوْلِه ﷺ: إِنْ شَاءَ اللهُ:

أخرَجَ الشَّيخانِ مِن حَديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ** عَلَيْهِمَا السَّلَامُ» يومًا مِن الأيَّامِ: «**لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ مِائَةِ امْرَأَةٍ أَوْ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ**» أُجامِعُهُنَّ، فإمَّا أن يكُنَّ أزواجًا له وكانَ ذلِكَ سائِغًا في مِلَّتِهم، وإمَّا أن يكُنَّ إماءً له، وإمَّا أن يَكونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قد خصَّه بذلِكَ كما خصَّ نبيَّنا ﷺ، قالَ: «**كُلُّهُنَّ يَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»، وعزَمَ في قَولِه ولم يَستَثْنِ، وفي هذا دليلٌ علىٰ استِحبابِ إرادَةِ الولَدِ بنِيَّةِ الجهادِ في سَبيلِ اللَّهِ، «**فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» يُذَكِّرُه أن يَقولَها، «**فَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»، كأنَّهُ ذُهِلَ عنها ولم ينتَبِه، «**فَلَمْ يَحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقِّ رَجُلٍ**» أي: نصفِ إنسانٍ، «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ**» وهذا مِن صُوَرِ الحَلِفِ باللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، «**لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» لاستَجابَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ دُعاءَه و«**لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ**»، وإنَّما لم يستَجِب اللَّهُ له حتَّىٰ يُرِيَ عِبادَه أنَّ الأمرَ أمرُه، وأنَّ الإنسانَ مهما بلَغَ في المَرتَبَةِ عِندَ اللَّهِ تعالىٰ والوَجاهَةِ؛ فإنَّه لا مَفَرَّ له مِن أمرِ اللَّهِ تعالىٰ.

قِصَّةُ حُكْمِه ﷺ بَيْنَ الْمَرْأَتَيْنِ فِي الْوَلَدِ:

أخرَجَ الشَّيخانِ عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الْأُخْرَىٰ: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَىٰ دَاوُدَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **فَقَضَىٰ بِهِ لِلْكُبْرَىٰ**» اجتِهادًا منه عَلَيْهِ السَّلَامُ، واللَّهُ أعلَمُ لِمَ قَضىٰ للكُبرىٰ، فإمَّا أن تكونَ قد دَخلَت به في يَدِها، أو أن يَكونَ فيه شَبَهٌ مِنها، أو لأنَّه رأىٰ أنَّ كِبَرَ السِّنِّ مَظِنَّةٌ للصِّدقِ وترْكِ قَولِ الزُّورِ، أو لأنَّ الكَبيرَةَ كانَت قد توَقَّفَت عن الإنجابِ وكانَت الصُّغرىٰ شابَّةً، أو لغَيرِ ذلِكَ مِن العِلَلِ والقَرائِنِ المُعتبَرَةِ في القَضاءِ، «**فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ** عَلَيْهِمَا السَّلَامُ **فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا**» يُريدُ إخافَتَهُما ليَرىٰ أيَّهُما أكثَرُ شَفَقَةً علىٰ الولَدِ،

«فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا»، أي: تنازَلَت عنه للكُبرىٰ، وذلِكَ خَوفًا وشفَقَةً مِنها علىٰ الولَدِ، فعَلِمَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّه ابنُها «فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرَىٰ»، فكانَ أفهَمَ مِن داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكِلاهُما نَبِيٌّ مُجتبًىٰ وقاضٍ مُولًّىٰ مِن اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ.

قِصَّةُ الحُكْمِ في الْحَرْثِ:

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأنبياء].

قالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾﴾، ذكَرَ ابنُ عبَّاسٍ وابنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ غَنَمًا تعَدَّت علىٰ كَرمٍ كانَت قد أنبَتَت عَناقيدُه فأفسَدَتهُ، فاشتكىٰ أصحابُ الكرمِ إلىٰ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَضىٰ باجتِهادِه بالغَنَمِ لصاحِبِ الكَرمِ تَعويضًا له، وقَضىٰ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يُدفَعُ الكَرمُ لصاحِبِ الغَنَمِ يَقومُ عليه حتَّىٰ يُعيدَهُ كما كانَ، وبالغَنَمِ لصاحِبِ الكَرمِ يَنتَفِعُ بها، فإذا أُصلِحَ الكَرمُ عادَ كلٌّ إلىٰ مِلكِه، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: كانَ سُليمانُ أفهَمَ مِن داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأقربَ إلىٰ الصَّوابِ، وليسَ هذا نَقصًا في حُكمِ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا قالَ تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ دفعًا للتوهُّمِ، وتَبرئَةً لداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثمَّ قالَ: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾[الأنبياء]، وذلِكَ أنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لمَّا ذكَرَ ما امتازَ به سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن كَونِه أقربَ إلىٰ الصَّوابِ، أرادَ أن يَذكُرَ ميزَةً لداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ليَتعادَلَ كلٌّ مِنهما.

قِصَّةُ مَوْتِه عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[سبأ].

قالَ تَعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ﴾ علىٰ سُليمانَ عليه السلام ﴿ٱلْمَوْتَ﴾ بَقِيَ واقِفًا مُتَّكِئًا علىٰ عَصاهُ فَترَةً طَويلَةً، وهُم لا يَعلَمونَ بمَوتِه، وكانوا يَخافونَه، فـ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾ وهي الأَرَضَةُ ﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ﴾ أي: عَصاهُ حتَّىٰ انكسَرَت، ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سُليمانُ عليه السلام إلىٰ الأرضِ ﴿تَبَيَّنَتِ﴾ وتَحَقَّقَت ﴿ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[سبأ] الَّذي جعَلَهُم فيه سُليمانُ عليه السلام هذه المُدَّةَ الطَّويلَةَ.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما موقوفًا: «**كَانَ سُلَيْمَانُ نَبِيُّ اللَّهِ عليه السلام إِذَا قَامَ فِي مُصَلَّاهُ رَأَىٰ شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: مَا اسْمُكِ؟ فَتَقُولُ: كَذَا، فَيَقُولُ: لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ فَتَقُولُ: لِكَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَتْ لِدَوَاءٍ كُتِبَ، وَإِنْ كَانَتْ لِغَرْسٍ غُرِسَتْ، فَبَيْنَمَا هُوَ يُصَلِّي يَوْمًا إِذْ رَأَىٰ شَجَرَةً نَابِتَةً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكِ؟ قَالَتِ: الْخَرْنُوبُ، قَالَ: لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتِ؟ قَالَتْ: لِخَرَابِ هَذَا الْبَيْتِ، قَالَ سُلَيْمَانُ عليه السلام: اللَّهُمَّ عَمِّ عَلَىٰ الْجِنِّ مَوْتِي حَتَّىٰ يَعْلَمَ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ، قَالَ: فَنَحَتَهَا عَصًا فَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا، قَالَ: فَأَكَلَتْهَا الْأَرَضَةُ فَسَقَطَ فَخَرَّ فَوَجَدُوهُ مَيِّتًا حَوْلًا، فَتَبَيَّنَتِ الْإِنْسُ أَنَّ الْجِنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا حَوْلًا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ -وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقْرَؤُهَا هَكَذَا-، فَشَكَرَتِ الْجِنُّ الْأَرَضَةَ فَكَانَتْ تَأْتِيهَا بِالْمَاءِ حَيْثُ كَانَتْ**».

فَوائِدُ مُهِمَّةٌ مِن قِصَّةِ نَبِيِّ اللّهِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

❍ قالَ بَعضُ أهلِ السِّيَرِ: مَلَكَ الأرضَ -مَشرِقَها ومَغرِبَها- أربَعَةٌ مِن النَّاسِ: مُؤمِنانِ وكافِرانِ، فالمُؤمِنانِ: سُليمانُ بنُ داوُدَ وذو القَرنَينِ، والكافِرانِ: بُختَنَصَّرُ ونُمرودُ بنُ كَنعانَ، لم يَملِكها غَيرُهم.

❍ أنعَمَ اللهُ تَعالىٰ علىٰ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن ألانَ له الحَديدَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾[سبأ]، فكانَ يَفتِلُه بيَدَيه، وأنعَمَ علىٰ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بأن جعَلَ له عَينًا مِن النُّحاسِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾[سبأ:١٢]، قالَ العلَّامَةُ ابنُ عُثَيمينَ رَحِمَهُ اللهُ: (هذا قد يَكونُ أبلَغَ ممَّا أُوتيَه داوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّ داود عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠﴾، أمَّا هذا فأَسالَ اللهُ تعالىٰ له عَينَ القِطْرِ، يَعني: فجَّرَ له عَينًا من النُّحاسِ تَسيلُ كما يَسيلُ الماءُ مع أنَّها نُحاسٌ، وهذا دليلٌ علىٰ كَمالِ قُدرَةِ اللهِ؛ لأنَّ المَعروفَ أنَّ النُّحاسَ مَعدِنٌ جامِدٌ، فجعَلَه اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لسُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَينًا سائِلةً كأنَّها الماءُ، وقَولُه: ﴿عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ يَدفَعُ ما قيلَ: إنَّ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يُذيبُ النُّحاسَ فيَسيلُ، كما أنَّ الرَّصاص إذا أَذَبْناه يَصيرُ سائِلًا؛ كالزِّئْبَق).

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ وَرِثَ عنه النُّبُوَّةَ والمُلكَ، ﴿وَقَالَ﴾ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾، وهذا مِن تَمامِ التَّواضُعِ والاعتِرافِ بالفَضلِ للهِ، فإنَّه لم يَقُل: (تعَلَّمْنا)، وإنَّما قالَ: ﴿عُلِّمْنَا﴾، وأكَّدَ ذلكَ بقَولِه: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾[النَّمل]، وفي تَقديمِه عَلَيْهِ السَّلَامُ ذِكرَ التَّعليمِ علىٰ سائِرِ الفَضائِلِ بَيانٌ لفَضلِ العِلمِ، وأنَّه أجَلُّ نِعَمِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ العَبدِ وأزكاها.

❍ ممَّا يُستَفادُ مِن الآيةِ السَّابِقَةِ جَوازُ التَّحَدُّثِ بنِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وقد قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾[الضُّحىٰ]، روىٰ ابنُ أبي حاتِمٍ رَحِمَهُ اللهُ عن الحسَنِ بنِ عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه قالَ في هذه الآيةِ: (إذا أَصَبْتَ خَيرًا فحَدِّثْ إِخْوانَكَ)، ولاسيَما إذا أردَفَ المُسلِمُ ذلكَ بذِكرِ فَضلِ اللّهِ تَعالىٰ عليه، لكن يَنبَغي للمُسلِمِ أن يَكونَ فَطِنًا، وأن لا يُحَدِّثَ بالنِّعمَةِ مَن قد يَحسُدُه عليها،

وربَّما أصابَه بالعَينِ، والعَينُ حَقٌّ.

❍ لمَّا رأت النَّملَةُ جيشَ سُليمانَ عليه السلام قالت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾، ولم تَقُل: (ادْخُلْنَ مَساكِنَكُنَّ)، مع أنَّ ميم الجَماعَةِ تُستَعمَلُ لجَماعَةِ العُقَلاءِ، وذلِكَ تنزيلًا لهُنَّ مَنزِلَةَ العاقِلِ، ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾، ولم تَقُل: (وَجُنْدَهُ)؛ لأنَّ جَيشَه كانَ فيه الإنسُ والجِنُّ والطَّيرُ، وقد خَشِيَت النَّملَةُ عليهم الهلَكَةَ لمَّا راعَها كَثرَةُ الجُنودِ، فانظُر يا رعاك اللهُ إلىٰ هذه النَّملَةَ الَّتي لم تُؤتَ عقلًا تُميِّزُ به، كيفَ ألهمَها اللهُ عز وجل الحِرصَ علىٰ مُجتَمَعِها الَّذي تنتَمي إليه! وهكذا المُسلِمُ لابُدَّ أن يهتَمَّ لقَومِه وعَشيرَتِه، وأن يَروعَه ما قد يُؤذيهم، ودُخولُ النَّمل مَساكِنَه فيه حِمايَةٌ له؛ لأنَّ مَساكِنَه في باطِنِ الأرضِ، ولأنَّها تكونُ عادَةً في مَكانٍ مُرتَفِعٍ لا يَأتيه الجُندُ غالِبًا، قالَت: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾[النَّمل]، وفي هذا حُسنُ ظَنٍّ مِنها بسُليمانَ عليه السلام وجَيشِه، فإنَّها لم تَخشَ أن يَقصِدوا إهلاكَ النَّملِ، ثمَّ انظُر إلىٰ بَلاغَةِ هذه الآيَةِ الَّتي تضَمَّنَت: نِداءً، وأمرًا، وإرشادًا، وتَحذيرًا، وإعذارًا...

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾[النَّمل:١٩]، والتَّبَسُّمُ هو أوَّلُ مَراتِبِ الضَّحِكِ، ليس فيه صَوتٌ، وهو أكثَرُ ضَحِكِ الأنبياءِ عليهم السلام، ومنهم نَبيُّنا صلى الله عليه وسلم؛ كما في شَمائِلِ التِّرمِذِيِّ: «**جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ**»، والآيَةُ تحتَمِلُ مَعنَيَين:

- أنَّ سُليمانَ عليه السلام ضَحِكَ مُتبَسِّمًا.
- أنَّه ابتَدَأَ بالتَّبَسُّمِ ثمَّ انتهىٰ بالضَّحِكِ، والضَّحِكُ هو المَرتَبَةُ الثَّانِيَةُ، وفيه صَوتٌ خَفيفٌ، وأمَّا المَرتَبَةُ الثَّالِثَةُ وهي القَهقَهَةُ فليسَت مِن شِيَمِ الأنبياءِ عليهم السلام.

❍ الأصلُ أنَّ الإنسانَ لا يَفقَهُ كلامَ الحَيواناتِ، ولا يُستَثنىٰ مِن ذلِكَ إلَّا ما ثبَتَ بالدَّليلِ الصَّحيحِ عن المَعصومِ؛ كما في تَعليمِ سُلَيمانَ عليه السلام مَنطِقَ الطَّيرِ، وفَهمِه كَلامَ النَّملَةِ، وكما في حَديثِ الشَّيخَينِ في قِصَّةِ الذِّئبِ الَّذي قالَ للرَّاعي لمَّا استَنقَذَ منه الشَّاةَ: «**اسْتَنْقَذْتَهَا مِنِّي، فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ؟!**»، وأمَّا ما يَذكُرُه بَعضُ النَّاسِ مِن أنَّ الحيَواناتِ قبلَ سُليمانَ عليه السلام كانَت تتكلَّمُ

فيُفهَمُ قولُها ثمَّ تغيَّرت فلا دليلَ عليه مُطلَقًا فيما يُعلَمُ.

○ قالَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾[النَّمل:١٩]، فالَّذي ينبَغي للمُسلِمُ أن يَشكُرَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى علىٰ نِعَمِه الجَزيلَةِ بقَلبِه ولِسانِه وجَوارِحِه، قالَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الشُّكرُ هو ظُهورُ أثَرِ نِعمَةِ اللهِ علىٰ لِسانِ عَبدِه ثَناءً واعتِرافًا، وعلىٰ قَلبِه شُهودًا ومَحبَّةً، وعلىٰ جَوارِحِه انقِيادًا وطاعَةً)، وشُكرُ النِّعمَةِ هو نِعمَةٌ كذلِكَ لما يترَتَّبُ عليه عندَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الأجرِ العَظيمِ، قالَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُقالُ: الشُّكرُ علىٰ الشُّكرِ أتَمُّ مِنَ الشُّكرِ، وذلِكَ بأن ترىٰ شُكرَكَ بتوفيقِه، وذلِكَ التَّوفيقُ مِن أجَلِّ النِّعَمِ عليك، فتَشكُرُه علىٰ الشُّكرِ، ثمَّ تشكُرُه علىٰ شُكرِ الشُّكرِ إلىٰ ما لا يَتَناهىٰ...).

○ قالَ سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ في دُعائِه: ﴿وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ [النَّمل]، وفي هذا إشكالٌ قد يَرِدُ علىٰ بَعضِ النَّاسِ، وهو أنَّ مرتَبَةَ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أعلىٰ مِن مَرتَبَةِ الصَّالِحينَ، فكيفَ يسأَلُ اللهَ أن يَكونَ في الصَّالِحينَ؟ والجَوابُ عنه أنَّ لَفظَ الصَّالِحينَ يُطلَقُ إطلاقَين:

- **في سِياقِ ذكرِ المَراتِبِ**: وهي المَذكورَةُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾[النِّساء]، ومَرتَبَةُ الصَّلاحِ هي أقَلُّ المَراتِبِ الأربعَةِ المَذكورَةِ، وفي كُلٍّ خيرٌ.
- **الصَّلاحُ المُطلَقُ**: وهو أعلىٰ مَرتَبَةً، وهو الَّذي يوصَفُ به الأنبياءُ؛ كما في هذه الآيَةِ، وكما في قَولِه تَعالىٰ عن إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢﴾[النَّحل]، وقَولِ يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في دُعائِه: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾[يوسف].

○ ذكَرَ المُفَسِّرونَ أقوالًا في صِفَةِ العَذابِ الَّذي توَعَّدَ به سُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الهُدهُدَ إذا كان غِيابُه بغَيرِ عُذرٍ، فقيلَ: بنَتفِ ريشِه ورَميِه في الشَّمسِ، وقيلَ: بحَبسِه مع طُيورٍ مِن غَيرِ جِنسِه، وقيلَ غيرُ ذلِكَ، ولم يُبيَّن لنا مِن طَريقٍ ثابِتٍ صِفَةُ العَذابِ، والقاعِدَةُ -كما مرَّ معنا قبلُ- أنَّ ما سكَتَ عنه الشَّارِعُ

في سِياقِ قَصَصِ الأنبياءِ فلا فائِدَةَ لنا في بَحثِه.

❍ لمَّا حضرَ الهُدهُدُ ابتدَأَ خِطابَه لسُليمانَ ﵇ بقولِه: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ﴾[النَّمل:٢٢]، وهذا الخِطابُ مِنه فيه فَوائِدُ جمَّةٌ مِنها:

- أنَّ فيه أدبًا مع سُليمانَ ﵇، فإنَّه لم يقُل: (أنتَ جاهِلٌ) ونَحوَها مِن الألفاظِ الغَليظَةِ، بل بيَّن له ﵇ أنَّه لا يُحيطُ بكُلِّ شيءٍ، وهذا مِثلُ قَولِ إبراهيمَ ﵇: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾[مريم:٤٣].
- أنَّه لم يُخاطِبه بمِثلِ ما يُخاطِبُ النَّاسُ به المُلوكَ والرُّؤساءَ وغيرَهم ممَّا ليس فيه فائِدَةٌ، ولَم يُعَظِّمه مثلًا بقولِه: (بما لم تُحيطوا به)، وإنَّما خاطَبَه مُخاطَبَةَ مَخلوقٍ لمَخلوقٍ، والنَّاظِرُ في خِطابِ الصَّحابَةِ للنَّبيِّ ﷺ يَجِدُ مَثلَ هذا.

❍ مِن اللَّطائِفِ أنَّ الهُدهُدَ لمَّا ذكَرَ عرشَ مَلِكَةِ سَبَإٍ بقَولِه: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾[النَّمل]، أعقبَه بالثَّناءِ علىٰ اللهِ ﷻ وبيانِ أنَّ عرشَه هو العَرشُ الأعظَمُ الَّذي ليس في المَخلوقاتِ مِثلُه، فقالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ٢٦﴾[النَّمل]، وهذا دَليلٌ علىٰ فِطنَةِ الهُدهُدِ وحُسنِ تَوحيدِه لرَبِّه عزوجل.

❍ قالَ الهُدهُدُ: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[النَّمل:٢٤] بالإفرادِ، وهذا دَليلٌ علىٰ أنَّ سَبيلَ الحَقِّ واحِدٌ لا يتعَدَّدُ، وأمَّا سُبُلُ الباطِلِ فكَثيرَةٌ مُتعَدِّدَةٌ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾[الأنعام:١٥٣]، وأمَّا السُّبُلُ المَذكورَةُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[المائدة:١٦] فمَعناها شُعَبُ الإيمانِ الَّتي يترَكَّبُ مِنها.

❍ في قَولِ سُليمانَ ﵇ للهُدهُدِ: ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٧﴾[النَّمل] بيانُ أهَمِّيَّةِ التَّثبُّتِ في الأُمورِ العِظامِ وعندَ قِيامِ الشُّبهَةِ حتَّىٰ ولو كانَ النَّاقِلُ فيها صادِقًا.

❍ استَدَلَّ أهلُ العِلمِ بكتابِ سُليمانَ ﵇ إلىٰ مَلِكَةِ سَبَإٍ بمَشروعِيَّةِ ابتداءِ الكُتُبِ والخِطاباتِ بالبَسمَلَةِ، وقالَ بَعضُهم: يُستَفادُ مِنه أنَّ الأَولىٰ في

الرَّسائِلِ والخِطاباتِ أن يُبدَأَ فيها باسم المُرسِلِ لا المُرسَلِ إليه.

○ يُستَفادُ مِن قَولِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ للرَّسولِ: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ۝٣٧﴾ [النَّمل] مَشروعِيَّةُ إظهارِ القُوَّةِ للعَدُوِّ، وهو داخِلٌ في قَولِه تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠] فإنَّه يَدخُلُ في القُوَّةِ: القَوليَّةُ، والمادِيَّةُ، والمَعنَوِيَّةُ.

○ قَولُ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨﴾ [النَّمل] يُبيِّنُ أنَّه عَلِمَ بقُدوم المَلِكَةِ وقَومِها عليه، فإمَّا أن يَكونَ عِلمُه عن وَحيٍ، وإمَّا أن يَكونَ عن فِراسَةٍ تفَرَّسَها، والفِراسَةُ مِن القَرائِنِ الَّتي يَجوزُ الأخذُ بها في الحُكمِ إذا كانَت قَوِيَّةً.

○ يُستَفادُ مِن قَولِ الجِنِّيِّ: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النَّمل:٣٩] شِدَّةُ قُوَّةِ الجِنِّ وسُرعَتُهم، والمَلائِكَةُ أشَدُّ قُوَّةً وأسرَعُ.

○ لمَّا سُئِلَتِ المَلِكَةُ عن العَرشِ: ﴿أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ﴾ [النَّمل:٤٢]، وهذا مِن فِطنَتِها واحتِرازِها لنَفسِها، فإنَّها لو قالت: (نعم) أو (لا) لاحتَمَلَ أن يَكونَ خطَأً، كما أنَّ جَوابَها هذا مُناسِبٌ للسُّؤالِ لكَونِهما بصيغَةِ التَّشبيهِ.

○ قالَ تَعالىٰ: ﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا﴾ [النَّمل:٤٤]، وهذا دَليلٌ علىٰ أنَّها كانت مُتَسَتِّرَةً، وهذا هو الأصلُ والمَشروعُ بالنِّسبَةِ للمرأَةِ، وأمَّا الرَّجُلُ فإنَّ المَشروعَ في حَقِّه أن يَكونَ لِباسُه إلىٰ نِصفِ السَّاقِ.

○ يُؤخَذُ مِن قِصَّةِ الخَيلِ مَشروعِيَّةُ اقتِناءِ الخَيلِ، وأنَّ ذلِكَ مِن سُنَنِ المُرسَلينَ، قالَ النَّبيُّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»، والمَقصودُ هو الخَيلُ المُعَدَّةُ للجِهادِ في سَبيلِ اللَّهِ، ففي الحَديثِ الآخَرِ المُتَّفَقِ عليه: «**الْخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَىٰ رَجُلٍ وِزْرٌ: فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ بِهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، وَلَوْ أَنَّهُ انْقَطَعَ طِيَلُهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ، كَانَتْ آثَارُهَا وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا،**

ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلَا ظُهُورِهَا، فَهِيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ عَلَىٰ ذَلِكَ وِزْرٌ».

❍ في قصَّةِ قَضاءِ داوُدَ وسُليمانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في الحَرثِ الَّذي نفَشَت في الغَنَمُ، علَّقَ البُخاريُّ رَحِمَهُ اللهُ بصيغَةِ الجَزم عن الحسَنِ البَصريِّ أنَّه تَلا قولَه تعالىٰ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۝٧٨﴾[الأنبياء]، ثمَّ قالَ: (حَمِدَ اللهُ سُليمانَ، ولم يَلُم داوُدَ، ولولا ما ذَكَرَ اللهُ مِن أمرِ هذين لرَأَيتُ أنَّ القُضاةَ هَلَكُوا، فإنَّه أثنىٰ علىٰ هذا بعِلمِه، وعَذَرَ هذا باجتِهادِه).

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

[١] نبيٌّ أعطاهُ اللهُ مُلكًا لم يُعطِهِ لأحَدٍ بَعدَه: ❍ داوُدُ. ❍ سُلَيمانُ. ❍ إبراهيمُ.

[٢] انفرَدَ نبيَّانِ كريمانِ فقط بالنُّبُوَّةِ والمُلكِ: ❍ إبراهيمُ ولوطٌ. ❍ داوُدُ وسُليمانُ. ❍ موسَىٰ وهارونُ.

[٣] النَّبيُّ الَّذي سخَّرَ اللهُ له الجِنَّ والطَّيرَ والرِّيحَ، وعلَّمَه مَنطِقَ الطَّيرِ: ❍ لوطٌ. ❍ داوُدُ. ❍ سُليمانُ.

[٤] مَلِكَةُ قَوم كانوا يَعبُدونَ الشَّمسَ، عاشَت في زَمَنِ نبيٍّ عَلِمَ بعِبادَتِهم للشَّمسِ، فأرسَلَ إليهم أن يأتُوهُ مُسلِمينَ، وذَهبَتْ إلىٰ النَّبيِّ ودخَلَتْ في دِينِ اللهِ، فمَن هي؟ ❍ آسِيةُ. ❍ مَريمُ. ❍ زُلَيخَةُ. ❍ بَلقيسُ.

[٥] كيفَ عَرَفَ النَّاسُ بمَوتِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ ❍ أخبرَتهم النَّملَةُ. ❍ أكلَتِ الأرَضَةُ عَصاهُ فوقَعَ علىٰ الأرضِ.

[٦] النَّبيُّ الَّذي سخَّرَ اللهُ له الرِّيحَ: ❍ يونُسُ. ❍ داوُدُ. ❍ سُليمانُ.

[٧] تألَّفَ جَيشُ سَليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ: ❍ الإنسِ. ❍ الجِنِّ. ❍ الطَّيرِ. ❍ الجميع.

[٨] النَّبيُّ سُليمانُ هو ابنُ (❍ داوُدَ ❍ هارونَ)، ووَرِثَ عنه (❍ النُّبُوَّةَ ❍ المُلكَ ❍ الجميعَ).

[٩] اربط كُلَّ صفةٍ مِن أوصافِ سليمان عليه السلام بدليلِها:

أوتِيَ الفَهمَ والحُكمَ والعِلمَ:	﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾.
فضَّلَهُ اللهُ:	﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾.
أوتِيَ الشُّكرَ والصَّلاحَ:	﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾.
عَبدٌ أوَّابٌ:	﴿ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾.
مُنيبٌ إلىٰ اللهِ:	﴿أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا﴾.

[١٠] اربط آياتِ سُليمان عليه السلام بدليلِها:

البِساطُ:	﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾.
التَّحكُّمُ في الشَّياطينِ:	﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾، ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾...
أُسيلَتْ له عَينُ القِطرِ:	﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾.
مُخاطَبَةُ الطَّيرِ والحَيوانِ:	﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾.
أوتِيَ مِن كُلِّ شَيءٍ:	﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ٣٨﴾.

[١١] اختبَرَت ملِكةُ سبَإٍ لمَّا ﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾ وحسِبَته ماءً فكان لها أن (❍ تمتنِعَ مِنَ الدُّخولِ ❍ تدخُلَ مِن غَيرِ رَفعِ ثِيابِها فتبتَلَّ ❍ ترفَعَ شيئًا مِن ثِيابِها لئلَّا تبتَلَّ ❍ الجَميع)، فاختارَت ما يدُلُّ علىٰ عَقلِها وهو رَفعُ ثِيابِها (❍ صح ❍ خطأ).

[١٢] ورِثَ سُليمانُ مِن داودَ عليهما السلام: ❍ النُّبُوَّة. ❍ المُلكَ. ❍ كلاهما.

[١٣] في قَولِ النَّملَةِ: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ﴾ تنزيلٌ للنَّملِ مَنزِلَةَ العاقِلِ باستِعمالِ واوِ الجماعَةِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٤] في خِطابِ الهُدهُدِ لسليمانَ عليه السلام أدَبٌ كبيرٌ بغَيرِ مُبالَغَةٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٥] مِن بَلاغَةِ القرآنِ أنَّ آيَةَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٌ ...﴾ اشتَمَلَت علىٰ: ❍ نداءٍ. ❍ أمرٍ. ❍ إرشادٍ. ❍ تَحذيرٍ. ❍ إعذارٍ. ❍ الجَميع.

[١٦] مَعنىٰ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا﴾ أنَّ سُليمانَ ﷺ: ❍ ضَحِكَ مُتبَسِّمًا. ❍ ابتَدَأَ بالتَّبَسُّمِ ثمَّ انتَهىٰ بالضَّحِكِ. ❍ قهقَهَ. ❍ يحتَمِلُ الأوَّلَ والثَّاني أمَّا القهقَهَةُ فليست مِن شِيَمِ الأنبياءِ.

[١٧] ما يَذكُرُه النَّاسُ مِن أنَّ الحيَواناتِ قبلَ سُليمانَ ﷺ كانَت تتكلَّمُ فيُفهَمُ قولُها ثمَّ تغيَّرَت: ❍ صحيحٌ. ❍ لا دليلَ عليه فيما يُعلَمُ.

[١٨] المَقصودُ بالصَّــلاحِ في قَولِ سُليمانَ ﷺ: ﴿وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: ❍ الصَّلاحُ الَّذي هو أقلُّ المَراتِبِ الأربعَةِ. ❍ الصَّلاحُ المُطلَقُ الَّذي لا يوصَفُ به إلَّا الأنبياءُ.

[١٩] توَعَّدَ سُليمانُ ﷺ الهُدهُدَ بـ: ❍ نَتفِ ريشِه ورَميِه في الشَّمسِ. ❍ حَبسِه مع طُيورٍ مِن غَيرِ جِنسِه. ❍ عَذابٍ لا نعلَمُ كُنهَه وصِفَتَه.

[٢٠] مِن فِقهِ الهُدهُدِ أنَّه لمَّا قالَ: ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾، أعقَبَ ذلِكَ ببَيانِ عظَمَةِ اللَّهِ ﷻ وعَرشِه فقالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢١] يُستَفادُ مِن كِتابِ سُليمانَ ﷺ إلىٰ ملِكَةِ سبَإٍ مَشروعِيَّةُ: ❍ ابتِداءِ الرَّسائِلِ بالبسمَلَةِ. ❍ أن يُبدَأَ فيها باسمِ المُرسِلِ لا المُرسَلِ إليه. ❍ كلاهما.

[٢٢] قالَ اللهُ تَعالىٰ في قصَّةِ الحُكمِ في الحَرثِ: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ﴾، وهذا ليس نقصًا في حُكمِ داوُدَ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٣] في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾، الصَّحيحُ: ❍ أنَّ اللهَ ﷻ سلَبَ مِن سُليمانَ مُلكَه. ❍ أبهَمَ اللهُ هذه الفِتنَةَ، فالواجِبُ ألَّا نَخوضَ فيها.

[٢٤] تابَ سُليمانُ ﷺ مِن تَفويتِه وَقتَ الصَّلاةِ تَوبَةً نَصوحًا، فقَبِلَ اللَّهُ منه ذلِكَ، وزادَه مِن واسِعِ فَضلِه أن أعطاهُ أُمورًا عَجائِبَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٥] مَعنىٰ قَولِ سُليمانَ ﷺ: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾: ❍ مِن المَخلوقاتِ مُطلَقًا. ❍ ممَّا يَحتاجُ إليه المُلوكُ؛ كعِدَّةِ الحَربِ ونَحوِها.

[٢٦] مَعنىٰ ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾: ❍ عَصاهُ. ❍ كُرسِيَّه. ❍ ساقَه.

[٢٧] صحَّ في الحَديثِ أنَّه كانَ لسُليمانَ ﷺ خيلٌ بأجنِحَةٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

نَبِيّا اللهِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عليهما السلام:

زكريا عليه السلام	اسمُه:	زَكَرِيَّا -أو زكريَّاءُ- بنُ بَرخِيا، مِن ذُرِّيَّةِ سُليمانَ عليهما السلام.
	زمانُه:	كانَ بعدَ سُلَيمانَ عليه السلام بزَمَنٍ.
	قومُه:	أَرسَلَهُ اللهُ إلىٰ بَني إسرائيلَ.
	مِهنَتُه:	«كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا». أخرجَهُ مُسلِمٌ.
	أهلُه:	هو أبو يحيىٰ عليه السلام، وزَوجَتُهُ أُختُ مَريمَ بنتِ عِمرانَ أُمِّ عيسَىٰ عليه السلام، وكانَ زَكَرِيَّا عليه السلام كفَلَ مريَمَ وهي صَغيرَةٌ.
	ممَّا وَصفَهُ اللهُ بِه:	[١] العُبودِيَّةُ للَّهِ، ﴿عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾[مريم]. [٢] مُستَجابُ الدَّعوَةِ، ﴿٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾[الأنبياء:٩٠]. [٣-٥] ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾[الأنبياء].
	ذِكرُه:	ذُكِرَ زَكَرِيَّا عليه السلام في القُرآنِ ٧ مرَّاتٍ.
	آيَتُه:	[١] أنَّه وُهِبَ وَلَدًا علىٰ الكِبَرِ وامرَأَتُهُ عاقِرٌ، ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾[مريم]. [٢] سألَ آيَةً يَعرِفُ بها حُصولَ ما بُشِّرَ به، ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾، فحُبِسَ لِسانُه.
	موتُه:	اختُلِفَ هل ماتَ مَوتًا، أم أنَّه هرَبَ مِن قَومِهِ، فدخَلَ في شَجَرَةٍ، فوَضَعوا عليها المِنشارَ، فقَطَعوهُ نِصفَينِ.

يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ

اسمُهُ:	يحيىٰ بنُ زَكَرِيَّا، مِن ذُرِّيَّةِ سُلَيمانَ بنِ داوُدَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
عَلاقَتُهُ بعيسَىٰ:	[١] «فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَةِ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا». مُتَّفَقٌ عليه. [٢] تَقارُبُ أوصافِهِم كما جاءَ في آياتِ سورَةِ مريَمَ. [٣] جعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قصَّةَ يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي وُلِدَ علىٰ كِبَرٍ وعُقمٍ خِلافًا لما اعتادَه النَّاسُ مُقَدِّمَةً لِقصَّةِ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذي وُلِدَ بلا أبٍ.
زَمانُهُ:	أُرسِلَ إلىٰ **بَني إسرائيلَ** بعدَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأدرَكَ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
مِمَّا وَصَفَهُ اللَّهُ بِهِ:	[١] **أَوَّلُ مَن صَدَّقَ بعيسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٣٩]. [٢-٤] ﴿وَسَيِّدًا﴾في العِلمِ والعِبادَةِ، ﴿وَحَصُورًا﴾لا يولَدُ له، أو ليسَ له ذَنبٌ، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٣٩﴾[آل عمران:٣٩]. [٥] لم يُسَمَّ أحَدٌ باسمِهِ قبلَهُ، ولا يُساميهِ أحَدٌ في الفَضلِ إلَّا مَن استُثنِيَ، ﴿لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ٧﴾[مريم]. [٦-١١] ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ١٢ وَحَنَانًا﴾ فهو ذو عَطفٍ، ﴿وَزَكَوٰةً﴾ وهي: الطَّهارَةُ مِن الذُّنوبِ والمَعاصي، ﴿تَقِيًّا﴾، ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ﴾، ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾[مريم].
ذِكرُهُ:	ذُكِرَ يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في القُرآنِ **٥ مرَّاتٍ**.
آياتُهُ:	أُوتِيَ الحُكمَ صَبِيًّا، وفَهِمَ التَّوراةَ، وكانَ يَعمَلُ بها، قالَ ابنُ المُبارَكِ: (قَالَ الصِّبْيَانُ لِيَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا: اذْهَبْ بِنَا نَلْعَبْ، فَقَالَ: مَا لِلَّعِبِ خُلِقْنَا).
مَوتُهُ:	ورَدَ عن عددٍ مِن الصَّحابَةِ أنَّ يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ماتَ مَقتولًا.

قِصَّةُ نَبِيَّي اللهِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مُختصَرةً:

مَبعَثُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وكفالتُه لِمَريَمَ بِنْتِ عِمرَانَ:

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[آل عمران]، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[آل عمران].

هو زَكَرِيَّا -أو زكرِيَّاءُ- بنُ برخيا، مِن ذُرِّيَّةِ سُليمانَ بنِ داوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقد ذكَرَ أهلُ السِّيَرِ عددًا مِن الأنبياءِ بَينَ سُليمانَ وزكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، مِنهُم شِعيَا بنُ أَمْصِيَا، وأَرْمِيَا بنُ حَلْقِيَا، ودَانْيَالُ، والعُزَيْرُ -علىٰ القولِ بأنَّهُ نبِيٌّ- عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وغالبُ أخبارِهم مَأخوذٌ مِن الإسرائيليَّاتِ، فأعرَضنا عن ذِكرِهم.

قالَ تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾، قيلَ: اسمُها حَنَّةُ بنتُ فاقودَ، وكانَت عاقِرًا، فسألَتِ اللهَ تعالىٰ الولَدَ، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَها، وحمَلَت بمَريَمَ، فقالَت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ خالِصًا مُفرَّغًا للعِبادَةِ وخِدمَةِ المَسجِدِ الأقصىٰ، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لدُعائي ﴿ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ بما في قَلبي، ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ أي: ولَدَت مَريَمَ ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ منها ومِن كُلِّ خَلقِه، قالَت: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ فالذَّكَرُ أشَدُّ في العِبادَةِ، وأقدَرُ علىٰ خِدمَةِ المَسجِدِ الأقصىٰ، كأنَّ هذا اعتِذارٌ منها للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قالَت: ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾، هو بالآراميَّةِ السِّريانيَّةِ: (مَاري أَمَا)، ومَعناه: أَمَةُ الرَّبِّ، أو خادِمَةُ الرَّبِّ، ﴿وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أي: ابنَها عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾، وفي «الصَّحيحَين» مِن حَديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ**

صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنَهَا»، وتَلا أبو هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الآيَةَ.

قالَ تَعالَىٰ: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ أي: قَبِلَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نَذرَها لمَريَمَ، ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ فجَعلَها حسَنةَ الخَلقِ والخُلُقِ، ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[آل عمران:٣٧] أي: جعلَهُ كافِلًا لها، إمَّا ليُتمِها أو لفَقرِ أهلِها، وذلِكَ سَعادَةً لها، حتَّىٰ تَعيشَ في كَنَفِ نَبيِّ اللهِ فتَنتَفِعَ بذلِكَ، ولِتكونَ في كفالَةِ خالَتِها زَوجةِ زَكَريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي حَديثِ البُخاريِّ: «**الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ**»، وقالَ تعالىٰ لنَبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ﴾ أي: سِهامَهُم الَّتي يَقتَرِعونَ بها، لِيَنظُروا ﴿أَيُّهُمْ﴾ يَفوزُ بالفَضلِ و﴿يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾، كُلُّهم يُريدُ الأجرَ، ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[آل عمران] بينَهُم أيُّهُم أحَقُّ بها وأَولىٰ، فكانَ الفائِزُ بذلِكَ زَكَريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فكانَت مَريَمُ في كَفالَةِ زَكَريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكانَت شَديدَةَ الخَلوَةِ والعِبادَةِ، قالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ وهو مَكانُ عِبادَتِها ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ فيَجِدُ عِندَها فاكِهَةَ الصَّيفِ في الشِّتاءِ، وفاكِهَةَ الشِّتاءِ في الصَّيفِ، فـ﴿قَالَ﴾ مُتَعَجِّبًا: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾؟ أي: مِن أينَ لَكِ هذا؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[آل عمران]، والجُملَةُ الأخيرَةُ إمَّا مِن قَولِ مَريَمَ أو تَقريرٌ مِن اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

سُؤَالُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يَرزُقَهُ الوَلَدَ:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ

ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾[مريم].

وقد أخبَرَنا اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِن شَأنِ زَكَرِيَّا عليه السلام أنَّه حُرِمَ الولَدَ حتَّىٰ كبُرَ وصارَ شَيخًا، وكانت امرَأتُه عاقِرًا، فلمَّا رأىٰ عِبادَةَ مَريَمَ، وما أعطاها اللهُ تعالىٰ مِن الكَراماتِ حنَّ إلىٰ الولَدِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾﴾ ذكَرَه بصِفَةِ العُبودِيَّةِ الَّتي هي أعلىٰ الصِّفاتِ وأفضَلُها، ووصَفَ ما يَأتي مِن قِصَّةٍ بأنَّه رَحمَةٌ مِنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالنَّبِيِّ زَكَرِيَّا عليه السلام، ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ زكَرِيَّا عليه السلام ﴿رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾﴾؛ لأنَّ الدَّعوَةَ الخَفِيَّةَ أحَبُّ إلىٰ اللهِ وأقرَبُ إلىٰ الإخلاصِ، ولِئَلَّا يهزَأَ مِنه النَّاسُ لطَلَبِه الولَدَ وليس مِن العادَةِ أن يُرزَقَ مِثلُهُ الولَدَ، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي﴾ أي: ضعُفَ عَظمِي، ﴿وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا﴾ أي: غلَبَ عليه الشَّيبُ، وهذا كلُّه إشارَةٌ مِنه إلىٰ كِبَرِ سِنِّه عليه السلام، وقيلَ: إنَّه كان قد بلَغَ سَبعينَ سنَةً، ﴿وَلَمۡ أَكُنۢ﴾ قبلَ هذا ﴿بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ﴿٤﴾﴾، يُريدُ أنَّه كانَ إذا سألَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ شيئًا أجابَهُ، ﴿وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي﴾، والمَوالي هم عَصَبَتُه، خَشِيَ أن يَسوءَ تَصرُّفُهُم مِن بَعدِه، وأرادَ أن يَجعَلَ اللهُ له ولَدًا يَكونُ نبيًّا فيهم بعدَهُ فيَسوسَهُم بشَرعِ اللهِ، ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا﴾ وهذا سبَبٌ آخَرُ يَبعُدُ معه حُصولُ الولَدِ في العادَةِ، ﴿فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾﴾ أي: ولَدًا ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ أي: يرِثُ النُّبُوَّةَ لا المالَ، فقد قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما عند مُسلم-: «**كَانَ زَكَرِيَّاءُ نَجَّارًا**»، وليس مِن عادَةِ النَّجَّارينَ كثرَةُ المالِ، ولا مِن عادَةِ الأنبياءِ الحِرصُ علىٰ تَوريثِ المالِ، بل قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ**». أخرجه أحمدُ.

قالَ زَكَرِيَّا عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾﴾[مريم] أي: مَرضِيًّا عندك وعند خَلقِكَ في الدِّينِ والخُلُقِ، وقالَ: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾، فأُجيبَ زكَرِيَّا عليه السلام إلىٰ دُعائِه، ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ الَّذي يَختَلي فيه ليُصَلِّيَ للهِ تَعالىٰ، ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ﴾ يولَدُ لك، ويَكونُ نَبيًّا ﴿مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي: مُصَدِّقًا بعيسَىٰ عليه السلام الَّذي

سيولَدُ بعدَه، وقالَ بعضُ السَّلَفِ: هو أوَّلُ مَن آمَنَ بعيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَسَيِّدًا﴾ في العِلمِ والعِبادَةِ والحِلمِ، ﴿وَحَصُورًا﴾ معصومًا مِن الذُّنوبِ والمَعاصي، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[آل عمران]، وفي هذا بِشارَةٌ لزكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بأنَّ الولَدَ الَّذي سيُعطاهُ سيَكونُ نبيًّا.

وأُخبرَ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ باسمِ الولَدِ الَّذي يولَدُ له، قالَت المَلائِكَةُ: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾﴾، أي: لم يُسَمَّ أحدٌ بمِثلِ اسمِه قبلَه، أو لم يكُن قبلَه شَبيهٌ له، أو لم يَسبق لعاقِرٍ أن تَلِدَ قبلَ ولادَةِ أُمِّه له، فتعجَّبَ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِن البِشارَةِ و﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ أي: ولَدٌ ذكَرٌ ﴿وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾﴾؟! وهذانِ سبَبانِ يَكفي أحَدُهُما عادَةً في عدَمِ حُصولِ الولَدِ، فـ﴿قَالَ﴾ الملَكُ مُجيبًا له: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ﴾ سَهلٌ، وكيف لا يَكونُ سَهلًا عليَّ ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ﴾ يا زكَرِيَّا ﴿مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾﴾؟! أي: سأَخلُقُه مِن العدَمِ كما خلَقتُكَ أنتَ مِن العدَمِ، فعِندَها سأَلَ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يجعَلَ له آيَةً يَعرِفُ بها حُصولَ ما بُشِّرَ به مِن الولَدِ، وليطمَئِنَّ قلبُه، ﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾﴾ أي: أن يُحبَسَ لِسانُكَ عن الكَلامِ ثلاثَ لَيالٍ مُتتالِيَةٍ مِن غيرِ عِلَّةٍ ولا مَرضٍ، وكذلِكَ كانَ، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ﴾ الَّذي بُشِّرَ فيه، ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: أشارَ بيدِه ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾ [مريم] أي: سَبِّحوا اللهَ ونَزِّهوهُ عن النَّقصِ في الصَّباحِ والعَشِيِّ؛ شُكرًا له علىٰ نِعمِه الكَثيرَةِ.

وقد أثنَىٰ اللَّهُ تَعالَىٰ علىٰ زكَرِيَّا وزَوجِه وولَدِه، قالَ: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ﴾ دُعاءَهُ ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ﴾ ورِيثًا له في النُّبُوَّةِ والعِلمِ، ﴿وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ﴾ بأن كانَت عاقِرًا فولَدَت، ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ بفِعلِ الطَّاعاتِ والقُرُباتِ، ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا﴾ في ما عِندَنا ﴿وَرَهَبٗاۖ﴾ ممَّا عندَنا، ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء] مُتذَلِّلينَ خائِفينَ ومُصَدِّقينَ.

نَشْأَةُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَنُبُوَّتُه:

حصَلَ ما بُشِّرَ به زكريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحمَلَت زَوجَتُه بيَحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ووضَعَته، قالَ تعالىٰ: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ أي: تَعَلَّم التَّوراةَ بجِدٍّ واجتِهادٍ، وهي الكِتابُ الَّذي كانَ بَنو إسرائيلَ يَدرُسونَه وَقتَها ولمَّا يُبعَث عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعدُ، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ﴾ أي: الفَهمَ والعِلمَ ﴿صَبِيًّا ١٢﴾ صَغيرًا، وهذا مِن فَضلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليه، قالَ عبدُ اللهِ بنُ المُبارَكِ رَحِمَهُ اللهُ: (قالَ الصِّبيانُ لِيَحيىٰ بنِ زكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: اذهَب بنا نلعَبُ، فقالَ: ما لِلَّعِبِ خُلِقنا!)، ﴿وَحَنَانًا﴾ أي: رحمَةً وتَعَطُّفًا ومَحبَّةً ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾ ليَحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَزَكَوٰةً﴾ وهي: الطَّهارَةُ مِن الذُّنوبِ والمَعاصي، وفِعلُ الطَّاعاتِ، ﴿وَكَانَ تَقِيًّا ١٣﴾ للهِ طاهِرًا لم يَحصُل مِنه ذَنبٌ، وقد أخرَجَ أحمَدُ وغَيرُه عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلَّا قَدْ أَخْطَأَ، أَوْ هَمَّ بِخَطِيئَةٍ لَيْسَ يَحْيَىٰ بْنَ زَكَرِيَّا**»، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ﴾ مُطيعًا لهُما، مُجانِبًا للعُقوقِ بالقَولِ والفِعلِ، ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤﴾ أي: لم يكُن مُستكبِرًا عن طاعَةِ رَبِّه ووالِدَيه، فلمَّا كانَت هذه صِفاته جَزاهُ اللَّهُ بها أن أمَّنَهُ في ثلاثَةِ أحوالٍ فقالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ﴾ القِيامَةِ عندَما ﴿يُبْعَثُ حَيًّا ١٥﴾[مريم] كما يُبعَثُ سائِرُ الخَلقِ، وخصَّ هذه الأوقاتِ الثَّلاثَةَ بالذِّكر لأنَّها أشَدُّ ما تكونُ علىٰ الإنسانِ، إذ يَنتقِلُ فيها مِن عالَمٍ كانَ ألِفَه إلىٰ آخرَ جَديدٍ.

مِنْ مَوَاعِظِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ:

أخرَجَ أحمَدُ وبَعضُ أصحابِ «السُّنن» عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيىٰ بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كلِماتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ وأَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ بِهِنَّ، فأَوْحَىٰ اللَّهُ إِلَىٰ عِيسىٰ: إِمَّا أَنْ يُبَلِّغَهُنَّ أَوْ تُبَلِّغَهُنَّ، فأَتاهُ عِيسىٰ فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ أُمِرْتَ بِخَمْسِ كلِماتٍ أَنْ تَعْمَلَ بِهِنَّ وتأْمُرَ بَنِي إِسْرائِيلَ أَنْ يَعْمَلوا بِهِنَّ، فَإِمَّا أَنْ تُبَلِّغَهُنَّ وإِمَّا أَنْ أُبَلِّغَهُنَّ، فقالَ لهُ: يَا رُوحَ اللَّهِ إِنِّي أَخْشَىٰ إِنْ سَبَقْتَنِي أَنْ أُعَذَّبَ أَوْ يُخْسَفَ بِي، فَجَمَعَ يَحْيَىٰ**

بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ حَتَّىٰ امْتَلأَ المَسْجِدُ، فَقَعَدَ علىٰ الشُّرُفاتِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَىٰ عليهِ، ثمَّ قالَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِماتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلوا بهِنَّ، وَأَوَّلُهُنَ: أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، فإِنَّ مَثَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ كَمَثَلِ رَجلٍ اشْتَرَىٰ عَبْداً مِنْ خالِصِ مالِهِ بِذَهَبٍ أَوْ وَرِقٍ، ثمَّ أَسْكَنَهُ داراً فقالَ: اعْمَلْ وارْفَعْ إِليَّ، فَجَعَلَ العَبْدُ يَعْمَلُ ويَرْفَعُ إِلَىٰ غَيْرِ سَيِّدِهِ، فأَيُّكُمْ يَرْضَىٰ أَنْ يَكونَ عَبْدُهُ كذلِكَ؟ وَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ فاعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئًا.

وأَمَرَكُمْ بالصَّلَاةِ، وَإِذا قمْتمْ إِلَىٰ الصَّلاةِ فَلَا تَلْتَفِتُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يُقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَىٰ وَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، وأمَرَكُمْ بالصِّيَامِ، ومَثَلُ ذلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ معَهُ صُرَّةُ مِسْكٍ فِي عِصابَةٍ كلُّهُمْ يَجدُ رِيحَ المِسْكِ، وإِنَّ خَلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. وأَمَرَكُمْ بالصَّدَقَةِ، وَمَثَلُ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ العَدُوُّ، فَشَدُّوا يَدَيْهِ إِلَىٰ عُنُقِهِ، وقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فقالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ أَنْ أَفْتَدِي نَفْسِي مِنْكُمْ؟ فَجَعَلَ يَفْتَدِي نَفْسَهُ مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ حَتَّىٰ فَكَّ نَفْسَهُ، وأمَرَكُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ كَثِيرًا، ومَثَلُ ذلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ العَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ، فأَتَىٰ حِصْنًا حَصِينًا، فأَحْرَزَ نَفْسَهُ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطانِ إِذا كَانَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ».

مَوْتُ زَكَرِيَّا ويَحْيَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ:

ذكَرَ اللَّهُ تعالىٰ عن بَنِي إسرائيلَ أنَّهم كانوا يَقتُلون الأنبياءَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾[البقرة:٦١]، وقد ذكَرَ بَعضُ أهلِ السِّيَرِ أنَّ ممَّن قَتَلوه زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأنَّه دخلَ في شَجَرَةٍ فشَقُّوه بالمِنشارِ نِصفَينِ، ولم يَرِد في ذلِكَ نَصٌّ يُعتَمَدُ عليه.

وكانَ ممَّن قَتَلوه مِن الأنبياءِ يَحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد أخرَجَ ابنُ أبي شَيبَةَ وغَيرُه عن أسماءَ بنتِ أبي بَكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا موقوفًا قالَت: «أُهْدِيَ رَأْسُ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا إِلَىٰ بَغِيٍّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ»، قالَت ذلِكَ لابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فأقَرَّها ولم

يُنكِر عليها، وقالَ عُروَةُ ابنُها: «مَا قُتِلَ يَحْيَىٰ بْنُ زَكَرِيَّا إِلَّا فِي امْرَأَةٍ بَغِيٍّ قَالَتْ لِصَاحِبِهَا: لَا أَرْضَىٰ عَنْكَ حَتَّىٰ تَأْتِيَنِي بِرَأْسِهِ، قَالَ: فَذَبَحَهُ، فَأَتَاهَا بِرَأْسِهِ فِي طَشْتٍ»، وقالَ سَعيدُ بنُ المُسَيِّبِ رحمه الله: (قَدِمَ بُخْتَنَصَّرُ دِمَشْقَ فَإِذَا هُوَ بِدَمِ يَحْيَىٰ بْنِ زَكَرِيَّا يَغْلِي، فَسَأَلَ عَنْهُ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَتَلَ عَلَىٰ دَمِهِ سَبْعِينَ أَلْفًا فَسَكَنَ).

وقد ذكَرَ أهلُ السِّيَرِ أقوالًا أُخرىٰ في كيفِيَّةِ قَتلِ يَحيىٰ عليه السلام، وليس في ذلِكَ شَيءٌ مَرفوعٌ إلىٰ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أو مَوقوفٌ علىٰ مَن لم يُعرَف بالأخذِ عن بَني إسرائيلَ، واللَّهُ تعالىٰ أعلَمُ.

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى عليهما السلام:

❍ استَدَلَّ أهلُ العِلمِ بقَولِ أمِّ مريمَ: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾[آل عمران:٣٥] علىٰ أنَّ خِدمَةَ الوالِدِ سَواءٌ كانَ أبًا أو أُمًّا واجِبَةٌ علىٰ الولَدِ؛ لأنَّ مَعنىٰ ﴿مُحَرَّرًا﴾ أي: مِن الخِدمَةِ، بحَيثُ لا تستَخدِمُه ولا تَستَغِلُّ حَياتَه.

❍ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾[آل عمران:٣٦] قِراءَتانِ:

▪ قَرَأَ الجُمهورُ: ﴿وَضَعَتْ﴾، فيَكونُ القائِلُ لهذه الجُملَةِ هو اللَّهُ سبحانه وتعالى، والمَعنىٰ: اللَّهُ عز وجل أعلَمُ منها ومِن كُلِّ خَلقِه بجِنسِ الوَلَدِ.

▪ قَرَأَ ابنُ عامِرٍ وشُعبَةُ ويَعقوبُ: ﴿وَضَعْتُ﴾، فيَكونُ القائِلُ هو مَريَمُ، ويَكونُ قَولُها هذا مِن بابِ الاحتِرازِ عن الأمرِ الموهِمِ للخَطَأ؛ لأنَّها تُخاطِبُ اللهَ عز وجل وتُعلِمُه بما هو أعلَمُ به مِنها، فاعتَرَضَت قَولَها بهذه الجُملَةِ تَعظيمًا للهِ عز وجل وحِفظًا لحَقِّه.

❍ قالَت أُمُّ مريمَ مُعتَذِرَةً إلىٰ اللهِ سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾[آل عمران:٣٦]، فالذَّكَرُ أَقدَرُ علىٰ خِدمَةِ المَسجِدِ الأقصىٰ الَّذي نَذَرَت مَولودَها لَه، وقالَ بَعضُ أهلِ العِلمِ: لم تَكُن خِدمَةُ النِّساءِ للمَسجِدِ الأقصىٰ سائِغَةً عندَهم فلهذا اعتَذَرَت، ويُستَدَلُّ بعُمومِ هذه الآيَةِ علىٰ أنَّ الذَّكَرَ والأُنثىٰ يختَلِفانِ في

الطَّبيعَةِ والأخلاقِ والمُعامَلَةِ، بل وأحيانًا في الأحكام الشَّرعِيَّةِ كذلِكَ، وقد قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾[النِّساء].

❍ استَدَلَّ بعضُ أهلِ العِلمِ بقولِ أمِّ مريَمَ: ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ علىٰ مَشروعِيَّةِ تَسمِيَةِ المَولودِ يومَ وِلادَتِه، ويُؤَيِّدُ هذا ما جاء عندَ مُسلِم عن نَبيِّنا ﷺ قالَ: «**وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ**»، ويُؤخَذُ كذلِكَ مِن قَولِها: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾[آل عمران:٣٦] علىٰ مَشروعِيَّةِ إعاذَةِ الولَدِ مِن الشَّيطانِ الرَّجيمِ، وعلىٰ جَوازِ الدُّعاءِ للمَعدومِ الَّذي لم يوجَد بَعدُ.

❍ قالَ تَعالىٰ: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ﴾ ولم يقُل: (اللهَ)، ﴿قَالَ رَبِّ﴾ ولم يقُل: (اللَّهُمَّ) أو (يا اللهُ) أو (يا إلَهي) ونَحوَها، ﴿هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾[آل عمران]، وهكذا مَن نظَرَ في أدعِيَةِ الأنبياءِ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ في القرآنِ يَجِدُ أنَّ أكثَرَها مُصدَّرٌ بذِكرِ الرُّبوبِيَّةِ، وذلِكَ لأنَّ إجابَةَ الدَّاعي فِعلٌ، وكلُّ أفعالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن مُقتَضىٰ رُبوبيَّتِه.

❍ يُؤخَذُ مِن قَولِه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ﴾ أنَّه لا ينبَغي للمُسلِمِ أن يسأَلَ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُطلَقَ الذُّرِّيَّةِ، بل ينبَغي أن يُقيِّدَها بالطِّيبِ أو الصَّلاحِ أو التَّقوىٰ ونَحوِ ذلِكَ.

❍ دعا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ ربَّه عَزَّ وَجَلَّ بقولِه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم:٤]؛ لأنَّ الشَّيبَ دَليلٌ علىٰ الضَّعفِ وكِبَرِ السِّنِّ، وهو رَسولُ المَوتِ، ورائِدُه ونَذيرُه؛ فتوسَّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ اللهِ تعالىٰ بضَعفِه وعَجزِه، وهذا مِن أَحبِّ الوَسائِلِ إلىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأنَّه يدُلُّ علىٰ التَّبَرِّي مِن الْحَوْلِ والقُوَّةِ، وتَعَلُّقِ القَلبِ بحَوْلِ اللهِ وقُوَّته.

❍ ذكَرَ بَعضُ أهلِ العِلمِ عِدَّةَ مُناسَباتٍ لتَسمِيَةِ النَّبيِّ يَحيَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بهذا الاسمِ، مِنها:

- أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَحيا بسَبَبِه عُقمَ أُمِّه، ولهذا لمَّا بُشِّرَ به زَكَريَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قالَ:

﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾[آل عمران:٤٠].

- أنَّ اللهَ تَعالىٰ أحيا بسَببِه شَرائِعَ وشُعَبَ الإيمانِ.
- أنَّه سبَقَ في عِلمِ اللهِ أنَّه يُقتَلُ شَهيدًا، والشُّهَداءُ أحياءٌ عِندَ ربِّهم، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[آل عمران].

○ جاءَ في تَبشيرِ المَلائِكةِ لزَكَريَّا عليه السلام بيَحيىٰ عليه السلام وَصفُه بأنَّه: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾[آل عمران]، قالَ بَعضُ أهلِ العِلمِ: (كُلُّ مَن ذُكِرَ في القُرآنِ بوَصفِ النُّبُوَّةِ فهو رَسولٌ)، فيَكونُ يَحيىٰ عليه السلام نَبيًّا رَسولًا، واللهُ أعلَمُ.

○ لمَّا بلَغَتِ البِشارةُ زكَريَّا عليه السلام قالَ: ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾[مريم:١٠]، يُريدُ آيَةً يَعرِفُ بها حُصولَ ما بُشِّرَ به مِنَ الولَدِ، وهذا ليسَ مِن بابِ الشَّكِّ، وإنَّما مِن بابِ الاطمِئنانِ، فإنَّ طلَبَ ما تَطمَئِنُّ به النَّفسُ جائِزٌ لا حرَجَ فيه، ولا يَقدَحُ في كَمالِ التَّصديقِ والتَّسليمِ، بل قد يَكونُ واجِبًا، ومِثالُه قَولُ إبراهيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾[البقرة:٢٦٠].

○ استَدَلَّ بَعضُ أهلِ العِلمِ بقَولِ المَلائِكةِ لمَريَمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ﴾ [آل عمران:٤٢] علىٰ نُبُوَّةِ مريَمَ، وهذا استِدلالٌ غيرُ صَحيحٍ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى لم يُرسِل قَطُّ امرَأةً نَبيَّةً، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِم﴾[يوسف:١٠٩]، وأمَّا الاصطِفاءُ المَقصودُ هنا فمَعناه أنَّها اختيرَت لأمرٍ لا يُشارِكُها فيه أحَدٌ، وقد قالَ نبيُّنا صلى الله عليه وسلم في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ**»، والصَّحيحُ أنَّ مريَمَ مِنَ الصِّدِّيقينَ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ﴾ [المائدة:٧٥]، والصِّدِّيقيَّةُ هي المَرتَبةُ الثَّانيةُ مِن مَراتِبِ الصَّالِحينَ.

○ قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَطَهَّرَكِ﴾[آل عمران:٤٢] فيه تَبرِئةٌ لمَريمَ ممَّا رَماها به اليَهودُ المَلعونون، فإنَّهم اتَّهَموها بالزِّنىٰ والعِياذُ باللهِ، ووصَفَ اللهُ عز وجل قَولَهم بالبُهتانِ فقالَ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾[النِّساء].

○ أكثَرُ قصَصِ أنبياءِ بَني إسرائيلَ الَّتي ذكَرَ اللهُ تَعالىٰ في كِتابِه وافَقَ القُرآنُ

فيها ما بأيدي أهلِ الكِتابِ وهذا مِن دَلائِلِ نُبُوَّتِه ﷺ وصِدقِه؛ لأنَّه لم يَقرَأ في كُتُبِهم ولم يتعلَّم مِنهُم، كما أنَّ قصَصَ القُرآنِ احتوَت على بَعضِ ما لم يَرِد في كُتُبِهم، وهذا يدُلُّ أكثَرَ على صِدقِ القُرآنِ، ومِن أمثِلَةِ ذلِكَ قصَّةُ استِهامِهم على كَفالَةِ مَريَمَ، فإنَّها لم تُذكَر في كُتُبِ أهلِ الكِتابِ، قالَ تَعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾[آل عمران].

❍ قالَ اللهُ تَعالى عن يَحيَى عليه السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾[مريم]، وقالَ على لِسانِ عيسَى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[مريم]، قالَ الكَرمانيُّ رحمه الله في «لُبابِ التَّفاسيرِ» (ص١٣٥٣): (يَحتَمِلُ تَنكِيرُ سَلامٌ في الأُولى وتَعريفُ السَّلام في الأُخرى وَجهَينِ: أحَدُهُما: أنَّ نَكِرَةَ الجِنسِ ومَعرِفَةَ الجِنسِ يُفيدانِ فائِدَةً واحِدَةً، نَحوُ: واللهِ لا أشرَبُ ماءً، ولا أشرَبُ الماءَ، هما سَواءٌ، والثَّاني: أنَّ الأوَّلَ مِن اللهِ، والقَليلُ مِنه سُبحانَه كَثيرٌ، وقيلَ: الألِفُ واللَّامُ هاهُنا للعَهدِ، يَعودُ إلى قَولِه: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ﴾)، وأخرَجَ الطَّبريُّ رحمه الله في «تَفسيرِه» (١٨/ ١٦١) عن الحسَنِ البَصريِّ رحمه الله قالَ: (إنَّ عيسَى ويحيَى التَقَيَا، فقالَ له عيسَى: استَغفِر لي، أنت خَيرٌ مِنِّي، فقالَ له الآخَرُ: استَغفِر لي، أنت خَيرٌ مِنِّي، فقالَ له عيسَى: أنتَ خَيرٌ مِنِّي، سَلَّمتُ على نَفسي، وسلَّمَ اللهُ عليكَ، فعرَفَ واللهِ فَضلَها).

❍ قَدَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى قصَّةَ زَكَرِيَّا ويَحيى عليهما السلام قبلَ قِصَّةِ عيسَى عليه السلام في سورَتَي آلِ عِمرانَ ومَريَمَ، ولعلَّ سبَبَ ذلِكَ أنَّه أرادَ أن يُمَهِّدَ لقصَّةِ وِلادَةِ عيسَى عليه السلام مِن غَيرِ أبٍ بقِصَّةٍ أقرَبَ مِنها لا تتقَبَّلُها العُقولُ بسُهولَةٍ ولكنَّها لا تستبعِدُها تمامًا، وهي قِصَّةُ إنجابِ امرَأةٍ عَجوزٍ كانت في شَبابِها عاقِرًا مِن شَيخٍ عَجوزٍ، وما يَحمِلُ على قَبولِ هذه القِصَّةِ هو إرجاعُها إلى قُدرَةِ اللَّهِ سبحانه وتعالى، فكذلِكَ يَنبَغي إرجاعُ قِصَّةِ عيسَى عليه السلام إلى قُدرَةِ اللَّهِ.

كَلِمَةُ اللهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

الاسمُ:	عِيسَىٰ، وهو الـمَسيحُ يمسَحُ الأبرَصَ والأَكْـمَهَ فيُشْـفَيانِ بإذنِ اللهِ؛ أمَّا المَسيحُ الدَّجَّالُ فمَمسوحُ العَينِ، أي: أعوَرُها.
النَّسبُ:	يُنسَبُ لأُمِّهِ مَريَمَ بنتِ عِمرانَ؛ لأنَّه لا أبَ له، وفي ذلِكَ آيةٌ له، ومَريَمُ مِن النِّساءِ القِلَّةِ الكُمَّلِ؛ كما جاءَ في «الصَّحيحَينِ».
اللَّقبُ:	[١] رُوحُ اللهِ: أي: روحٌ خلقَها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وأضافَها إلىٰ نفسِه تَشريفًا. [٢] كَلِمَةُ اللهِ: لأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ خلقَهُ بقولِه: (كُنْ) فكانَ.
الكِتابُ:	بُعِثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بـ«الإنجيلِ» مُصدِّقًا لمَا في التَّوراةِ.
خَلقُه:	خُلِقَ بأَمرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وقرَنَ اللهُ خَلقَهُ بخَلقِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حيثُ خُلِقَ بأَمرِه عَزَّ وَجَلَّ: (كُنْ)، وكانَ قويَّ البُنيَةِ، مُتوسِّطَ الطُّولِ، عَريضَ الصَّدرِ، شَعرُهُ باهِتٌ مُجعَّدٌ طويلٌ يقَعُ بينَ كَتِفَيْهِ، بَشَرَتُهُ مُشْرَبَةٌ بِالْحُمرَةِ، وأَشبَهُ النَّاسِ به عُروَةُ بنُ مَسعودٍ الثَّقَفِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
ممَّا وُصِفَ به:	[١] أَحَدُ أولي العَزمِ، وآخِرُ أنبياءِ بَني إسرائيلَ. [٢] في حديثِ الشَّفاعَةِ يعتذِرُ كلُّ نبيٍّ عنها ويذكُرُ ذنبًا، إلَّا عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقولُ: «اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». مُتَّفق عليه. [٣] ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾[البقرة:٨٧]. [٤] ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾[آل عمران]. [٥] ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾[الزُّخرف:٦٣]. [٦] ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[النِّساء:١٧٢]. [٧] ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[المؤمنون:٥٠].

قومُه ودينُه:	أُرسِلَ إلىٰ بَني إسرائيلَ، وجاءَهم بالإسلام بمفهومِه العامِّ وهو: (الاستسلامُ للهِ وحدَه)، وهو دينُ جميعِ الأنبياءِ.
آياتُه:	[١] ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ﴾ [آل عمران:٤٦]. [٢] ﴿أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾. [٣] ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ﴾. [٤] ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ﴾. [٥] ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾. [٦] ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾[النِّساء:١٥٨]. [٧] ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾[النِّساء]. [٨] ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً﴾[المائدة:١١٤].
ذِكرُه في القُرآنِ:	ذُكِرَ باسمِه عيسَىٰ ٢٥ مرَّةً، وبلَفظِ عيسَىٰ بنِ مَريَمَ ١٦ مرَّةً، وبلَفظِ ابنِ مريَمَ ١٧ مرَّةً، وبلَفظِ المَسيحِ مُجرَّدًا ٣ مرَّاتٍ.
ذِكرُه عليه السلام في السُّنَّة:	[١] «أَنا أَوْلَىٰ النَّاسِ بابْنِ مَرْيَمَ، وَالأنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، ليسَ بَيْنِي وبيْنَهُ نَبِيٌّ». مُتَّفقٌ عليهِ. [٢] «مَا مِن بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وابْنِهَا». مُتَّفقٌ عليهِ. [٣] «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّىٰ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، ويَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، ويَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضَ المالُ، حتَّىٰ لا يَقْبَلَهُ أحَدٌ». مُتَّفقٌ عليهِ.
موتُه:	لم يَمُت؛ بل رفَعَه اللهُ إليه، وسيَعودُ في آخِرِ الزَّمانِ، فيَقتُلُ الدَّجَّالَ، والخِنزيرَ، ويَكسِرُ الصَّليبَ، ويضَعُ الجِزيَةَ، ويَحكُمُ بالعَدلِ، ثمَّ يَموتُ فيُصَلِّي عليه المُسلِمونَ، ويَدفِنونَه.

الرَّدُّ على ما ادَّعاهُ النَّصارى في عيسَى عليه السلام:

[١] **ادَّعَوْا بأَنَّ عيسَىٰ ابنُ اللهِ**، وهذا قَولٌ عَظيمٌ ومُنكَرٌ كَبيرٌ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ﴿٩٣﴾﴾[مريم].

[٢] **ادَّعَوْا بأَنَّ عيسَىٰ هو اللهُ**، وإنَّما هو بَشَرٌ، وهو عَبدُ اللهِ ورَسولُهُ، ومَن اعتقَدَ أنَّهُ إلهٌ فقد كَفَرَ، ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ﴾[المائدة:١٧].

[٣] **ادَّعَوْا بأَنَّ اللهَ ثالِثُ ثلاثةٍ**، ومَن قالَ ذلِكَ فهو كافِرٌ، ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ﴾[المائدة:٧٣].

والمَسيحُ ابنُ مَريَمَ بَشَرٌ عليه السلام، وُلِدَ مِن أُمٍّ، يَأكُلُ ويَشرَبُ، ويَقومُ ويَنامُ، ويتألَّمُ ويَبكِي، والإلَهُ مُنَزَّهٌ عن ذلِكَ، فكَيفَ يَكونُ إلَهًا؛ بَلْ هو عَبدُ اللهِ ورَسولُهُ، ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾[المائدة].

والعَوامِلُ الَّتي تُوَسِّعُ الفارِقَ بَينَ المُسلِمينَ والنَّصارىٰ كَثيرَةٌ، والخِلافُ العَقَدِيُّ الَّذي بيننا وبينهم لا يسمَحُ بالتَّقارُبِ إلَّا أن يَترُكوا ما هُم فيه مِن كُفرٍ وضَلالٍ، ويلتَحِقوا برَكْبِ المُوَحِّدينَ لرَبٍّ وإلهٍ واحدٍ، الشَّاهِدينَ للنَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ بالرِّسالَةِ، المُعتَقِدينَ ببَشَرِيَّةِ عيسَىٰ عليه السلام.

مِن خَطايا النَّصارى الأُخْرى:

[١] **مَوقِفُهُم مِن اليَهودِ ومِن المُسلِمينَ**: فاليَهودُ يُكذِّبونَ عيسَىٰ عليه السلام، ويزعُمونَ أنَّهم صَلَبوهُ وقَتَلوهُ، ويتَّهِمونَ أُمَّهُ بالزِّنَىٰ! ومع هذا فإنَّ النَّصارىٰ يُوالونَهُم ويَنصُرونَهم، ويُعادونَ المُسلِمينَ الَّذين يُعظِّمون عيسىٰ عليه السلام وأُمَّهُ.

[٢] **تَحريفُهُم للإنجيلِ**: تَحريفَ لَفظٍ بالتَّغييرِ أو الزِّيادَةِ، وتَحريفَ مَعنًىٰ

بِنِسْبَةِ السُّوءِ والشَّرِّ للهِ تعالىٰ ولدينِهِ.

[٣] **كُفرُهُم بنُبُوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ:** مع أنَّهُ مَنصوصٌ عليه في العَهدَينِ الجَديدِ والقَديم.

[٤] **إيمانُهُم بصِحَّةِ التَّوْراةِ المُحَرَّفَةِ:** وفيها سَبُّ اللهِ، وانتِقاصُهُ، وسَبُّ الأنبياءِ، وغيرُه ممَّا يُعلَمُ مِنه شَناعَةُ ما هُم عليهِ مِن الكُفرِ.

[٥] **وَصفُهُم الأنبياءَ بالنَّقائصِ.**

نِقاطٌ مُهِمَّةٌ يستَعينُ بها مَن أرادَ مُحاوَرَةَ النَّصارى:

[١] **سَنَدُ الأَناجيلِ** الَّتي بينَ أَيْدِي النَّصارىٰ اليَومَ، فكلُّها كُتِبَ بعدَ رَفْعِ عيسَىٰ بزمانٍ، وليسَتْ هي الإنجيلَ الَّذي أنزَلَهُ اللهُ علىٰ عيسَىٰ، بل ولا تصِحُّ نِسبَةُ الأناجيلِ الأربعةِ إلىٰ مَن يُدَّعىٰ أنَّهُم كتبوها!

[٢] **التَّناقُضُ الظَّاهِرُ،** والاختِلافُ البَيِّنُ، والأغلاطُ الواضِحَةُ في هذه الأناجيلِ، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النِّساء].

[٣] ما اشتَمَلَتْ عليهِ هذه الأَناجيلُ مِن **نِسبَةِ أُمورٍ عَظائِمَ** إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وإلىٰ أنبيائِه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

[٤] ما تحتَويهِ هذه الأَناجيلُ -علىٰ تَحريفِها- مِن **البِشارَةِ بالنَّبِيِّ مُحمَّدٍ ﷺ.**

[٥] **التَّناقُضُ** والاضْطِرابُ الشَّديدانِ في ذِكرِ **قِصَّةِ الصَّلبِ**، وفي بَيانِ **عَقيدَةِ التَّثْليثِ**.

[٦] دِراسَةُ **تاريخِ المَجامِعِ النَّصرانِيَّةِ**، ونَقضُ بَعضِها لبَعضٍ، بل تكفيرُ بَعضِها لبَعضٍ.

قصَّةُ نَبيِّ اللهِ عيسَى عليه السلام مُختصَرَةً:

مَوْلِدُه عليه السلام:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ
حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن
كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ
لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ
وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ
بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا
وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا
تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ
بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ
ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ
صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ
وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾
وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم].

ذكر الله عزَّ وجلَّ قصَّة ولادة عيسىٰ عليه السلام بعد قصَّة زكريَّا عليه السلام وأنَّ الله عزَّ وجلَّ وهبه يحيىٰ عليه السلام رحمةً منه بعد أن بلغ من الكبر عِتِيًّا، وقصَّة زكريَّا عليه السلام بمثابة التَّوطئة لقصَّة عيسىٰ عليه السلام، حيث إنَّ زكريَّا عليه السلام كفل مريم بعد أن وهبتها أمُّها لخدمة بيت المقدس، فاتَّخذ لها مِحرابًا لا يدخله أحدٌ غيرها، فاجتهدت في العبادة أكثر من غيرها حتَّىٰ غبطها زكريَّا عليه السلام، وكانت لا تخرج إلَّا زمن حيضها أو لحاجةٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ [مريم]، فبشَّرتها

الملائكة باصطفاء الله عَزَّوَجَلَّ لها: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[آل عمران]، ثمَّ بشرتها بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[آل عمران:٤٥].

ثمَّ جاءها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[مريم]، ثمَّ نفخ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في جيبها، ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾[الأنبياء:٩١]، فنزلت النَّفخة إلىٰ فرجها فانسلكت فيه، ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بطنها ﴿فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾﴾[مريم]؛ لأنَّها ضاقت بأمر حملها ذرعًا، وعلمت أنَّ النَّاس سيتكلَّمون في شأنها، وهذا فعلًا ما كان، حتَّىٰ اتُّهمت في عرضها وهي المُحصنة العفيفة، ﴿فَأَجَآءَهَا﴾ أي: ألجأها واضطرَّها ﴿ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾، وكان ذلك ببيت لحم من أرض فلسطين، ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[مريم:٢٣] تمنَّت الموت في وقت الفتنة، وهذا جائزٌ، وفي الحديث الَّذي أخرجه بعض أصحاب «السُّنن»: «**وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ**»، ﴿وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ أي: لم تُخلق بالكُلِّيَّة.

ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ جبريل أو عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ أي: نهرًا تشربين منه، ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ﴾ بلسان الحال والإشارة: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾ أي: صمتًا ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾، وينبغي الإشارة إلىٰ أنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمَّا وُلد لم يمسَّه الشَّيطان، قال ﷺ: «**مَا مِن بَنِي آدَمَ مَوْلُودٌ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ، غَيْرَ مَرْيَمَ وَابْنِهَا**». مُتَّفقٌ عليه.

ثـمَّ قـال تعالـىٰ: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾﴾ أي: أمـرًا عظيمًـا مُنكـرًا، قالـوا: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ﴾ تشـبيهًا لهـا بهـارون النَّبـيِّ ﷺ أو بغيـره في كثـرة العبـادة، أو أنَّ لها أخًا حقيقيًّا اسـمه هـارون، وقد كان بنـو إسـرائيل: «**يُسَـمُّونَ بِالْأَنْبِيَـاءِ وَالصَّالِحِيـنَ قَبْلَهُـمْ**». مُتَّفـقٌ عليه.

ثـمَّ قالُـوا: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ أي: لسـت مـن بيتٍ شـيمتهم الفاحشـة -والعيـاذ بـالله-، فتوكَّلـت علـىٰ الله ﷻ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ﴾ أي: إلـىٰ عيسـىٰ ﷺ أن كلِّمـوه، ﴿قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾ لا يعقـل الخطـاب ولا يُحسـن الجـواب؟! فتكلَّـم عيسـىٰ ﷺ وهـو صبـيٌّ في المهـد، ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ فـكان أوَّل مـا تكلَّـم بـه ﷺ أن شـهد لنفسـه بالعبوديَّـة لله ﷻ، ﴿ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾﴾ والله ﷻ لا يختـار لنبوَّتـه مـن كان كما زعمـوا، ﴿وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أدعو إلـىٰ عبادة الله ﷻ وحـده وتنزيهه عن كلِّ نقـصٍ، ﴿وَأَوْصَـٰنِى﴾ الله ﷻ ﴿بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ كمـا أوصىٰ ﷻ عبـاده، ﴿وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى﴾ فتأكَّد عليـه حقُّها لتمحُّض جهتهـا، ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ فلسـت بفـظٍّ ولا غليـظٍ، ﴿وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريـم]، وهـذه الأوقـات الثَّلاثـة الَّتـي ذكرهـا هي أشـدُّ مـا يكون علىٰ الإنسـان؛ لأنَّه ينتقـل في كلٍّ منهـا من عالمٍ إلـىٰ عالـمٍ آخر.

صِفَتُه ﷺ:

جـاءَ في الحَديـثِ المُتَّفَـقِ عليـه قَولُـه ﷺ: «**وَرَأَيْـتُ عِيسَـىٰ فَـإِذَا هُـوَ رَجُـلٌ رَبْعَـةٌ**» مُتَوَسِّـطُ القامَـةِ «**أَحْمَـرُ كَأَنَّمَـا خَـرَجَ مِـنْ دِيمَـاسٍ**» أي: حمَّـام، وعنـد البخـاريِّ: «**فَأَمَّـا عِيسَـىٰ فَأَحْمَـرُ جَعْدٌ**» شَـديدُ الخَلـقِ «**عَرِيضُ الصَّـدْرِ**»، وعند مسـلم: «**أَقْـرَبُ النَّاسِ بِهِ شَـبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْـعُودٍ الثَّقَفِيُّ**» صَحابِـيٌّ جَليلٌ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كانَ سَـيِّدَ ثَقيـفٍ، أسـلَمَ عقِـبَ غَزوَةِ الطَّائِفِ وحَسُـنَ إسـلامُهُ، ولَهُمـا: «**رَأَيْتُ رَجُـلًا آدَمَ**» أي: فيـه سُـمرَةٌ، «**كَأَحْسَـنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِـنْ أُدْمِ الرِّجَالِ، لَـهُ لِمَّةٌ**» أي:

شَعرٌ مُتَدَلٍّ يُجاوِزُ شَحمَةَ الأُذُنَينِ «كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنَ اللِّمَمِ، قَدْ رَجَّلَهَا» أي: سرَّحَها بِمِشطٍ «فَهِيَ تَقْطُرُ مَاءً، مُتَّكِئًا عَلَىٰ رَجُلَيْنِ أَوْ عَلَىٰ عَوَاتِقِ رَجُلَيْنِ، يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَسَأَلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقِيلَ: الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ»، ولهُما كذلِكَ: «وَرَأَيْتُ عِيسَىٰ رَجُلًا مَرْبُوعًا» أي: مُتوَسِّطَ القامَةِ «مَرْبُوعَ الْخَلْقِ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ سَبِطَ الرَّأْسِ» أي: مُسترسِلَ الشَّعرِ.

أَقْسَامُ النَّاسِ حَسَبَ اعْتِقَادِهِمْ فِي عِيسَى عليه السلام:

ولهذا فقد انقسم النَّاس في عيسىٰ عليه السلام إلىٰ ثلاثة أقسام:

- قسمٌ فرَّطوا فيه فجعلوه ولد زنًىٰ -والعياذ بالله- وهم اليهود، قال تعالىٰ: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾[النِّساء].
- وقسمٌ أفرطوا فيه فجعلوه هو الله أو هو ابن الله وهم النَّصارىٰ، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة:١٧]، وقال: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[التَّوبة:٣٠].
- وقسمٌ توسَّطوا فيه فاعتقدوه نبيًّا من أولي العزم من الرُّسل، لا يصحُّ إسلام امرئٍ حتَّىٰ يؤمن به وبنبوَّته عليه السلام، وهؤلاءِ هم المُسلِمونَ.

بِعْثَتُهُ عليه السلام:

ثمَّ لمَّا شبَّ عيسىٰ عليه السلام خافت عليه أمُّه من اليهود، ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾[المؤمنون]، يُخبر تعالىٰ أنَّه برحمته آوىٰ عيسىٰ وأمَّه إلىٰ أرضٍ مُنبسطةٍ مُرتفعةٍ ذات خصبٍ وماءٍ،واختُلف أيُّ أرضٍ هي علىٰ أقوالٍ، فلمَّا بلغ ثلاثين من عمره أرسله الله عز وجل إلىٰ بني إسرائيل، وأنزل إليه الإنجيل، وفي حديث الطَّبرانيِّ والبيهقيِّ: «أُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»، وكان عليه السلام شديد الإيمان بالله عز وجل، ففي الحديث المُتَّفق عليه: «رَأَىٰ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ رَجُلًا يَسْرِقُ، فَقَالَ لَهُ: أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: كَلَّا وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَقَالَ عِيسَىٰ: آمَنْتُ بِاللهِ وَكَذَّبْتُ عَيْنَيَّ».

إيمانُ الحَوارِيِّينَ بعيسىٰ عليه السلام:

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصَّف].

وأيَّد الله عز وجل نبيَّه عيسىٰ عليه السلام بالآيات الدَّالَّة علىٰ صدقه، ومن ذلك: إحياؤه الموتىٰ بإذن الله، وشفاء الأكمه والأبرص بإذن الله، وأنَّه كان يصنع من الطِّين كهيئة الطَّير فينفُخُ فيه، فيخلق الله فيه الرُّوح ويكون طيرًا حقيقةً، وأنَّه كان يُنبِّئ النَّاس بما يأكلونه وما يدَّخرونه في بيوتهم، فلمَّا أقام عيسىٰ عليه السلام الحُجج والبراهين علىٰ صحَّة نبوَّته، ودعا بني إسرائيل إلىٰ الإيمان به واتِّباعه استمرَّ أكثرهم علىٰ الكفر والعناد والطُّغيان، فانتدب الله عز وجل له منهم طائفةً كانوا له أنصارًا وأعوانًا، قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصَّف]، قيل: إنَّ النَّصارىٰ سُمُّوا بذلك لأنَّهم نصروا عيسىٰ عليه السلام، وقيل: بل لأنَّ الحواريِّين كانوا بقريةٍ يُقال لها: النَّاصرة.

قصَّةُ المائدَة:

﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ

رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[المائدة].

وكان من أمر الحواريِّين أنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أمرهم بصيام ثلاثين يومًا، فلمَّا أتمُّوها قالوا لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، فخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها، ولا يُؤدُّوها حقَّ شروطها، فوعظهم وقال: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾، فألحُّوا عليه و﴿قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾، أي: نريد أن تطمئنَّ قلوبنا أنَّ الله تقبَّل صيامنا وأجاب طلبنا، فلمَّا لم يُقلعوا عن طلبهم قام عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ مُصلَّاه ودعا الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾، فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم مائدةً حتَّىٰ استقرَّت بين يدي عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، و﴿قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[المائدة].

رَفْعُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾[آل عمران]، ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النِّساء:١٥٧].

واشتدَّت عداوة المُكذِّبين لعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ووشوا به عند الملك، وأرادوا قتله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران]، فقضىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُنجِّي عبده ويرفعه إليه، فقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾[آل عمران]، وشبَّه الله عَزَّ وَجَلَّ عليهم فأخذوا غيره فصلبوه وقتلوه، قال عَزَّ وَجَلَّ عن اليهود: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النِّساء:١٥٧]، وصدَّقهم النَّصارىٰ في ذلك فادَّعوا أنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مات مَصلوبًا، وهذا كلُّه كذبٌ

وزورٌ، وإنَّما رفعه الله إليه فهو في السَّماء إلىٰ أن يشاء الله عَزَّوَجَلَّ، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث المِعراج: «**فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ، قَالَ: مُحَمَّدٌ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَىٰ عِيسَىٰ وَيَحْيَىٰ فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ**». مُتَّفقٌ عليه.

أخرَجَ النَّسائيُّ في «الكُبرىٰ» والحاكِمُ وغيرُهم عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «**لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **إِلَىٰ السَّمَاءِ، خَرَجَ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ وَهُمْ فِي بَيْتٍ، اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يُلْقَىٰ شَبَهِي عَلَيْهِ فَيُقْتَلَ مَكَانِي فَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي؟ فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ، فَقَامَ الشَّابُّ، فَقَالَ: أَنَا، فَقَالَ: اجْلِسْ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ الشَّابُّ: أَنَا، فَقَالَ عِيسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ**: نَعَمْ أَنْتَ، فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَىٰ** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **ثُمَّ رُفِعَ عِيسَىٰ مِنْ رَوْزَنَةٍ كَانَ فِي الْبَيْتِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ، فَأَخَذُوا الشَّابَّ لِلشَّبَهِ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ، فَتَفَرَّقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **مَا شَاءَ، ثُمَّ صَعِدَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ، فَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَىٰ الْمُسْلِمَةِ، فَقَتَلُوهَا، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ طَامِسًا حَتَّىٰ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

نُزُولُه عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزَّمَانِ:

وقد أُخبرنا بأنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يرجع إلىٰ الأرض في آخر الزَّمان، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾[النِّساء:١٥٩] أي: بعد نزوله إلىٰ الأرض في آخر الزَّمان وقبل قيام السَّاعة، بل إنَّ نزوله عَلَيْهِ السَّلَامُ من علامات قُرب السَّاعة.

وجاء في أحاديث المسيح الدَّجَّال الصَّحيحة الَّتي ضمَّها الشَّيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللهُ في سياقٍ واحدٍ: «فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ».

وقال: «لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، بَيْنَ مُمَصَّرَتَيْنِ، كَأَنَّ رَأْسَهُ يَقْطُرُ وَإِنْ لَمْ يُصِبْهُ بَلَلٌ، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ».

وقال: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ -أو: أَمَّكُمْ- مِنْكُمْ؟ فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ - يَمْشِي الْقَهْقَرَىٰ - لِيَتَقَدَّمَ عِيسَىٰ، فَيَقُولُ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَضَعُ عِيسَىٰ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، تَقَدَّمْ فَصَلِّ، فَيُصَلِّي بِهِمْ إِمَامُهُمْ، ثُمَّ يَأْتِي الدَّجَّالُ جَبَلَ إِيلِيَاءَ، فَيُحَاصِرُ عِصَابَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَقُولُ لَهُمُ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ: مَا تَنْتَظِرُونَ بِهَذَا الطَّاغِيَةِ إِلَّا أَنْ تُقَاتِلُوهُ حَتَّىٰ تَلْحَقُوا بِاللهِ، أَوْ يُفْتَحَ لَكُمْ؟ فَيَأْتَمِرُونَ أَنْ يُقَاتِلُوهُ إِذَا أَصْبَحُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ وَيُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتْ صَلَاةُ الصُّبْحِ، فَيُصْبِحُونَ وَمَعَهُمْ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ، فَيَؤُمُّ النَّاسَ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ رَكْعَتِهِ قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، قَتَلَ اللهُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ وَظَهَرَ الْمُسْلِمُونَ.

قَتْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْمَسِيحِ الدَّجَّالِ:

فَإِذَا انْصَرَفَ قَالَ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَرَاءَهُ الدَّجَّالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلًّى وَسَاجٍ، فَيَطْلُبُهُ عِيسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَيَذْهَبُ عِيسَىٰ بِحَرْبَتِهِ نَحْوَ الدَّجَّالِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ

الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ، فَيُهْلِكُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ عَقَبَةِ أَفِيقٍ، فَيَهْزِمُ اللهُ الْيَهُودَ، وَيُسَلَّطُ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ وَيَقْتُلُونَهُمْ، فَلَا يَبْقَىٰ شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللهُ يَتَوَارَىٰ بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ -لَا حَجَرٌ، وَلَا شَجَرٌ، وَلَا حَائِطٌ، وَلَا دَابَّةٌ- إِلَّا الْغَرْقَدَةَ فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ الْمُسْلِمَ؛ هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ.

بَعْدَ هَلَاكِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ:

ثُمَّ يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ سِنِينَ سَبْعًا لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، فَيَكُونُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي أُمَّتِي مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ مِلَّتِهِ، حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مَهْدِيًّا مُقْسِطًا، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ فَلَا يُسْعَىٰ عَلَىٰ شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَىٰ الْمَالِ فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ، حَتَّىٰ تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَتَكُونَ الدَّعْوَةُ وَاحِدَةً لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيُثَنِّيَنَّهُمَا، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ» أي: مِن الدَّجَّالِ، «فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ.

خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ:

وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ جَبَلِ الْخَمَرِ -وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ- فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنِشَابِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نِشَابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا، وَيُحْصَرُ

نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللهِ، فَيُرْسِلُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ، حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَمِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونُ الْفَرَسُ بِالدُّرَيْهِمَاتِ».

وقال ﷺ: «طُوبَىٰ لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ، طُوبَىٰ لِعَيْشٍ بَعْدَ الْمَسِيحِ، يُؤْذَنُ لِلسَّمَاءِ فِي الْقَطْرِ، وَيُؤْذَنُ لِلْأَرْضِ فِي النَّبَاتِ، فَلَوْ بَذَرْتَ حَبَّكَ عَلَىٰ الصَّفَا لَنَبَتَ، وَلَا تَشَاحَّ وَلَا تَحَاسُدَ وَلَا تَبَاغُضَ، وَتُنْزَعُ حُمَةُ كُلِّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَىٰ الْأَرْضِ حَتَّىٰ تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ لَا تَضُرُّهُمْ، حَتَّىٰ يُدْخِلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي الْحَيَّةِ فَلَا تَضُرُّهُ، وَتُفِرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونَ الذِّئْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا.

مَوْتُه عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَفْنُهُ:

وَتُمْلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السِّلْمِ كَمَا يُمْلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسْلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاثُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ، فَيَمْكُثُ عِيسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

فَوَائِدُ مُهِمَّةٌ مِنْ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

❍ عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو آخِرُ نَبِيٍّ قبلَ نبيِّنا ﷺ، قالَ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفَقِ عليه: «**أَنَا أَوْلَىٰ النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**»، وهو آخِرُ مَن أرسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِن بَنِي يَعقوبَ بنِ إسحاقَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثمَّ انتقَلت الرِّسالَةُ بعدَه إلىٰ مُحمَّدٍ ﷺ مِن ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

❍ ذكَرَ اللهُ تَعالىٰ عن بَنِي إسرائيلَ نِداءَهم لمريَمَ بقَولِهم: ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم:٢٨]، فظَنَّ بَعضُ النَّاسِ أنَّها أُختُ موسىٰ وهارونَ ابنَي عِمرانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وهذا خطَأٌ شَنيعٌ، فإنَّ بينَهما زمَنًا بَعيدًا وأنبياءَ كَثيرًا، وإنَّما اختَلَفَ المُفَسِّرونَ في وَجهِ هذا النِّداءِ علىٰ أقوالٍ:

- أنَّها نِسبَةٌ لها إلىٰ الصَّلاحِ؛ لأنَّ أهلَ الصَّلاحِ كانوا يُسَمَّونَ هارونَ.
- أنَّها نُسِبَت إلىٰ هارونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنَّها مِن ولَدِه.
- أنَّ لها أخًا اسمُه هارونُ، وكانَ بَنو إسرائيلَ يتَسَمَّونَ بأسماءِ أنبيائِهم تيَمُّنًا.

❍ سُمِّيَ كُلٌّ مِن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ والدَّجَّالُ الَّذي يخرُجُ في آخِرِ الزَّمانِ مَسيحًا:

- فأمَّا عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فسُمِّيَ مَسيحًا بمَعنىٰ الماسِحِ؛ لأنَّه كانَ لا يَمسَحُ ذا عاهَةٍ إلَّا بَرِئَ بإذنِ اللهِ.
- وأمَّا الدَّجَّال فسُمِّيَ مَسيحًا بمَعنىٰ المَمسوحِ؛ لأنَّ عينَه مَمسوحَةٌ، فهو أعوَرُ العَينِ.

❍ ذُكِرَ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في عدَّةِ مَواضِعَ مِن القرآنِ مَنسوبًا إلىٰ أُمِّه؛ كقَولِه تعالىٰ: ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٥]، ويُؤخَذُ مِنه جوازُ انتِسابِ الإنسانِ إلىٰ أمِّه إذا لم يكُن له أبٌ، وأخَذَ مِنها بَعضُ أهلِ العِلمِ أنَّ مَن لم يكُن له أبٌ ولا عصَبَةٌ عصَبَتُه أُمُّه.

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ [آل عمران]، نزَلَت هذه الآيَةُ في وَفدِ نَجرانَ مِن النَّصارىٰ الَّذين قَدِمُوا علىٰ النَّبيِّ ﷺ، وكانوا يُحاجُّونَ النَّبيَّ ﷺ، وقالوا له: هل رَأيتَ مِثلَ عيسىٰ أو أُنبِئتَ به؟ فأمَرَه جِبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يَتلُوَ عليهم هذه الآيَةَ، يَقولُ اللهُ

عَزَّ وَجَلَّ: إنَّ شَبَه عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ في خَلقي إيَّاه مِن غَيرِ أبٍ كشَبهِ آدَمَ الَّذي خَلقتُه مِن تُرابٍ ثمَّ قُلتُ له: (كُنْ) فكانَ مِن غَيرِ أبٍ ولا أُمٍّ.

❍ في قَولِه تعالىٰ لمَريَمَ: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾[مريم] أَمرٌ بالتَّسَبُّبِ في الرِّزقِ، وتكَلُّفِ الكَسْبِ، فمع أنَّها في مَوضِعِ ضَعفٍ وقِلَّةِ حِيلَةٍ، ومع كَونِ النَّخلَةِ لا يَهُزُّها النَّفَرُ مِن الرِّجالِ الأَقوياءِ، جعَلَ اللَّهُ تَحريكَها سبَبًا لحُصولِ البَرَكَةِ ونُزولِ الرُّطَبِ، فلا يَنبَغي للإنسانِ أن يَقتَصِرَ علىٰ التَّوكُّلِ بقَلبِه والدُّعاءِ بلِسانِه، بل عليه مع ذلِكَ أن يَأخُذَ بالأسبابِ المُعتادَةِ، وفي هذه الآيَةِ كذلِكَ أَصلٌ لم يَقُلْه الأطِبَّاءُ، وهو أنَّ الرُّطَبَ فيه نَفعٌ للنُّفَساءِ.

❍ ذكَرَ اللهُ تَعالىٰ في سِياقِ قِصَّةِ مريَمَ بنتِ عِمرانَ وابنِها عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ آيَةً مِن آياتِه فقالَ: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾، ولا شَكَّ أنَّ هذه آيَةٌ؛ لأنَّه ليس مِن عادَةِ البَشَرِ الكَلامُ في المَهدِ، فكانَ كَلامُه عَلَيْهِ السَّلَامُ خارِجًا عن العادَةِ، قالَ: ﴿وَكَهۡلٗا﴾ [آل عمران:٤٦] أي: فوقَ الغُلامِ ودونَ الشَّيخِ، والمَعنىٰ: يُكَلِّمُ النَّاسَ بوَحيِ اللَّهِ الَّذي يوحيه إليه، وبما فيه مِن أوامِرَ ونَواهِيَ، وقيلَ: هي آيَةٌ أُخرىٰ لعيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي أنَّه يَنزِلُ إلىٰ الأرضِ في آخِرِ الزَّمانِ، فيُكَلِّمُ النَّاسَ وهو يومَئِذٍ كَهلٌ، ويَلبَثُ في النَّاسِ -كما تقدَّمَ- ما شاءَ اللَّهُ أن يَلبَثَ، ثمَّ يَقبِضُهُ اللَّهُ تَعالىٰ إليه.

❍ قالَ تَعالىٰ عن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾[آل عمران]، فأمَّا الحِكمَةُ فهي الشَّريعَةُ، وأمَّا الكِتابُ فيحتَمِلُ مَعنيَينِ لا يتنافيانِ:

- **الكِتابَة**: أي: حُسنَ الخَطِّ.
- **الكُتُبَ السَّابِقَة**: فيكونُ قَولُه: ﴿وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨﴾ مِن بابِ عَطفِ الخاصِّ علىٰ العامِّ.

❍ يُستَفادُ مِن الآيَةِ السَّابِقَةِ جَوازُ إطلاقِ لَفظِ الخالِقِ علىٰ غَيرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[المؤمنون]؛ لأنَّ خلقَه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الخَلقُ الكامِلُ الَّذي يَكونُ مِن العَدَمِ.

❍ قـالَ تَعالـىٰ علـىٰ لِسـانِ عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[آل عمـران:٤٩]، هنـا ثـلاثُ مَراتِـبَ:

- **المَرتَبَـةُ الأولـىٰ**: أنَّـه عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَـوِّرُ كمَثـلِ الطَّيـرِ وصورَتِـه، فالخَلـقُ هنا بمَعنـىٰ التَّصويـرِ، وليـس بمَعنـىٰ الإيجـادِ مِنَ العَـدَمِ، فالإيجـادُ مِـن العَدَمِ مِـن خَصائِـصِ رُبوبيَّـةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولا يُشـارِكُه فيهـا أَحَـدٌ مُطلَقًـا، وإنَّما كانَ عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُصَـوِّرُ مِـن الطِّيـنِ علـىٰ شَـكلِ الطَّيرِ.
- **المَرتَبَـةُ الثَّانِيَـةُ**: أنَّـه عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ يَنفُـخُ فيه بـإِذنِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الشَّـرعِيِّ، فيَخلُقُ اللهُ فيـه الـرُّوحَ بإذنِـه الكَونِـيِّ فيَصيـرُ حَيًّـا، وهـذا مَعنـىٰ قِـراءَةِ الجُمهـورِ: ﴿فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾.
- **المَرتَبَـةُ الثَّالِثَـةُ**: قـرَأَ نافِعٌ وأبـو جعفَرٍ ويَعقـوبُ: ﴿فَيكُـونُ طَائِرًا﴾ أي: أنَّ هـذا الطَّيـرَ بعـدَ أن تُنفَـخَ فيه الـرُّوحُ يَطيـرُ فيَصيـرُ طائِرًا.

❍ قالَ عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾[آل عمران:٤٩]، وقـالَ اللَّهُ تَعالىٰ فـي الآيَـةِ الأُخـرىٰ: ﴿وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ﴾[المائـدة:١١٠]، والجَمـعُ بينَهمـا أنَّـه عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ يُحيـي المَوتـىٰ الَّذيـن علـىٰ الأرضِ، وكذلِـكَ الَّذيـن فـي باطِنِها فيُخرِجُهـم مِنهـا، وقد يسـأَلُ بَعضُ النَّاسِ: هـل كانَ الَّذين يُحييهم عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بـإذنِ اللَّـه يَبقَـونَ أحيـاءً بعـدَ ذلِـكَ أم أنَّهـم يَعـودونَ أمواتًـا؟! وهـذا سُـؤالٌ لا يَنبَغـي؛ لأنَّـه مِـن أُمـورِ الغَيـبِ الَّتي يُنهـىٰ عن الخَـوضِ فيهـا، ويُقتَصَـرُ علىٰ ما جـاءَ في الأخبـارِ الصَّحيحَـةِ عـن المَعصوم.

❍ قـالَ تَعالـىٰ علـىٰ لِسـانِ عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ﴾[آل عمـران:٤٩]، والحِكمَـةُ مِـن إخبارِهـم بذلِـكَ:

- إطلاعُهم علىٰ أنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتيه الوَحيُ مِن اللهِ بذلِكَ.
- تَحذيرُهـم مِـن أن يَأكُلـوا شـيئًا مُحرَّمًـا عليهـم، ولعلَّه لهذا قـالَ بعدَها: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ﴾[آل عمـران:٥٠].

❍ ممَّـا فُضِّـلَ به عيسـىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خاطَبَـه بقَولِه: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾[آل عمـران]، فمُجَـرَّدُ المُخاطَبَـةِ بالخُصـوصِ مَزِيَّـةٌ، لكنَّه زادَه عليهـا أن رفَعَه وطهَّرَه.

❍ يَدخُلُ في قَولِ عيسىٰ ﷺ: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [آل عمران:٥٠] ما كانَ اللهُ قد حرَّمَه علىٰ اليَهودِ ممَّا حرَّمَ يَعقوبُ ﷺ علىٰ نَفسِه، قالَ تَعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ﴾ [آل عمران:٩٣]، ومِن ذلِكَ قولُه تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ﴾ [الأنعام:١٤٦]، وسببُ هذا التَّشديدِ عليهم هو ظُلمُهم، قالَ تعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النِّساء:١٦٠]، فلمَّا جاءَ عيسىٰ ﷺ رفَعَ عنهم الإصرَ وأحَلَّ لهم ذلِكَ.

❍ قالَ تعالىٰ علىٰ لِسانِ عيسىٰ ﷺ: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [آل عمران:٥٠]، والتَّصديقُ هنا له مَعنَيانِ صَحيحانِ:

- أنَّه شاهِدٌ بِصِدقِ التَّوراةِ وأنَّها حَقٌّ.
- أنَّه مُطابِقٌ لِما أخبرَت به.

❍ لمَّا نادىٰ عيسىٰ ﷺ: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾؟ أجابَه الحَوارِيُّون: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران:٥٢]، ويُؤخَذُ مِن هذا جَوازُ إِشهادِ المُسلِمِ علىٰ نَفسِه بالإيمانِ والإسلام ونَحوِ ذلِكَ، ولا يَكونُ ذلِكَ رِياءً، لاسِيَما إذا كانَ في سِياقِ بَيانِ الاتِّباعِ؛ لأنَّ فيه تَقويَةً للمَتبوعِ وشَدًّا علىٰ يَدَيه.

❍ قالَ الحَوارِيُّونَ لعيسىٰ ﷺ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ﴾ [المائدة:١١٢]، وفيها قِراءَتانِ:

- قرَأَ الجُمهورُ: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾؟ أي: هل يَستَجيبُ لك رَبُّكَ إن سأَلتَه فيُنَزِّلَ علينا المائِدَةَ؟
- قرَأَ الكِسائِيُّ: ﴿هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبَّكَ﴾؟ وتَقديرُ الكلامِ: هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْأَلَ رَبَّكَ؟

والَّذي يظهَرُ -واللهُ أعلَمُ- أنَّهم سأَلوا ذلِكَ لتَطمَئِنَّ نُفوسُهم، لا تكذيبًا مِنهم بقُدرَةِ اللهِ ﷻ علىٰ ما سَألوه، ولهذا قالوا: ﴿نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ

قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾ [المائدة].

- قالَ تعالىٰ عن الَّذين كفروا بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران]، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يَجوزُ أن يوصَفَ بالمَكرِ مُطلَقًا؛ لأنَّ ذلِكَ ليس كمالًا، وإنَّما يُقالُ: اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ماكِرٌ بالماكِرينَ، فإنَّ المَكرَ يكونُ حينَئِذٍ صِفَةَ كَمالٍ؛ لأنَّ فيه مُجازاةً لهم بما هو مِن جِنسِ فِعلِهم، كما أنَّه دَليلٌ علىٰ كَمالِ قُوَّةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وإحاطَتِه بخَلقِه.
- لمَّا سأَلَ الحَوارِيُّونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أن يُنَزِّلَ عليهم المائِدَةَ ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة]، وفي هذا خَطَرُ طَلَبِ الآياتِ مِن الأُمَمِ، وأنَّه إذا جاءَت الآياتُ المَطلوبَةُ فقد عَرَّضوا أنفُسَهم للهَلاكِ.
- اختلَفَ العلماءُ في قَولِه تَعالىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران] علىٰ أقوالٍ:
  - أنَّها بمَعنىٰ القَبضِ، أي: رفَعَه اللهُ إليه مِن غيرِ مَوتٍ.
  - أنَّ رَفعَ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ وهو نائِمٌ، قالوا: ومِن تَفضيلِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنَبيِّه مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه أسرىٰ به يَقظَةً لا مَنامًا.
  - أنَّ الآيَةَ فيها تَقديمٌ وتَأخيرٌ، وأنَّ الوَفاةَ تَكونُ بعدَ إنزالِه في آخِرِ الزَّمانِ.
- قالَ تَعالىٰ مُبَشِّرًا عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:٥٥]، فأمَّا أتباعُه عَلَيْهِ السَّلَامُ قبلَ مَبعَثِ نَبيِّنا محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهم النَّصارىٰ الَّذين بَقوا علىٰ الدِّينِ الحَقِّ، وأمَّا بَعدَ مَبعَثِ مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنَّ أُمَّةَ مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هم أتباعُ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنَّهم هم الَّذين أخَذوا بوَصِيَّتِه، وبالميثاقِ الَّذي أخَذَه اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عليه وعلىٰ بَقِيَّةِ الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران:٨١].
- سُمِّيَ النَّصارىٰ بذلِكَ:
  - مِن النُّصرَةِ؛ لأنَّهم ناصَروا عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
  - نِسبَةً إلىٰ قَريَةِ النَّاصِرَةِ في فِلسطينَ، يُقالُ إنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وُلِدَ بها.
- غَلا النَّصارىٰ في عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حتَّىٰ جَعَلوه هو اللَّهَ، أو هو ابنُ اللَّهِ، تَعالىٰ

اللَّهُ عن قَولِهم عُلُوًّا كبيرًا، وذلِكَ كُفرٌ صَريحٌ بنَصِّ القرآنِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[المائدة:٧٢]، وقالَ في الآيَةِ الَّتي بعدَها: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[المائدة:٧٣]، وهذا معلومٌ مِن الدِّينِ بالضَّرورَةِ لا يَمتَري فيه اثنانِ مِن أهلِ الإسلامِ، وقد نبَتَت نابتَةٌ مُغرِضَةٌ في زَمانِنا هذا، لَبِسوا ثوبَ العُلَماءِ، وادَّعَوا أنَّ النَّصارىٰ بعد نَبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ يَدخُلونَ الجنَّةَ ولو لم يُؤمِنوا به، فليَعلَم أولَئِكَ ومَن اغترَّ بهم أنَّ مَن لم يُكفِّرِ الكافِرَ المَعلومَ كُفرُه بالضَّرورَةِ فإنَّه يَخرُجُ بذلِكَ مِن الإسلامِ جُملَةً واحِدةً؛ لأنَّه مُكَذِّبٌ لصَريحِ القرآنِ، نَعوذُ باللَّهِ مِن الخِذلانِ.

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؟! وهذا السُّؤالُ يُرادُ به تَوبيخُ القائِلينَ بذلِكَ، وإلَّا فإنَّ اللَّه عَزَّوَجَلَّ يَعلَمُ أنَّ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يقُل لهم ذلِكَ، قالَ تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٧٩]، ولِهذا أجابَ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقَولِه: ﴿قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾[المائدة:١١٦].

❍ قالَ تعالىٰ: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾[المائدة:٤٧]، وهذا أمرُ وُجوبٍ، واستَدَلَّ بَعضُ الجُهَّالِ به علىٰ أنَّ النَّصارىٰ بعدَ مَبعَثِ مُحمَّدٍ ﷺ يسَعُهم أن يعمَلوا بالإنجيلِ الَّذي بينَ أيديهم، وأنَّه لا يَلزَمُهم الإيمانُ بالنَّبيِّ ﷺ، وهذا غلَطٌ، فإنَّ الإنجيلَ الَّذي أُنزِلَ علىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأُمِروا بالعَمَلِ به هو الَّذي فيه البِشارَةُ بمُحمَّدٍ ﷺ والأمرُ باتِّباعِه، فلا يَصِحُّ القَولُ بأنَّهم حكَّموه حتَّىٰ يُؤمِنوا بمحمَّدٍ ﷺ ويتَّبِعوا ما جاءَ به.

❍ قالَ تعالىٰ عن النَّصارىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾، ولم يَقُل: (مِن النَّصارىٰ)، وذلِكَ إلزامًا لهم بما ادَّعوه، ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ نِسيانَ عمَلٍ، أي: تَركوه ولم يَعمَلوا به، ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ عِقابًا لهم علىٰ ترَكِهم ما أُمِروا به مِن اتِّباعِ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[المائدة:١٤]، وذلِكَ هو حالُهم المُشاهَدُ اليَومَ، تَحسَبُهم جَميعًا وهم شَتَّىٰ، فرَّقَ اللَّهُ شَملَهم، ونصَرَ حِزبَه المُؤمِنينَ عليهم.

اخْتِبَارٌ في قِصَّةِ زَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

[١] اختَرِ مِن القائِمَةِ اليُمنىٰ ما يُناسِبُهُ مِن القائِمَةِ اليُسرىٰ:

لَقَبُ عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو:	كانَ يَمسَحُ علىٰ الأَكمَهِ والأَبرَصِ فيُشفَيانِ بإذنِ اللهِ.
لُقِّبَ بالمَسيحِ لأنَّهُ:	أُمِّهِ؛ لأنَّهُ لا أبَ لهُ.
يُنسَبُ عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ:	المَسيحُ، وكلِمَةُ اللهِ، وروحُ اللهِ.
في نِسبَتِهِ إلىٰ أُمِّهِ:	بَني إسرائيلَ.
الكِتابُ الَّذي أُنزِلَ إليه هو:	لا يَذكُرُ في حديثِ الشَّفاعَةِ ذَنبًا.
هو آخِرُ الأنبياءِ مِن:	الإنجيلُ مُصدِّقًا لما في التَّوراةِ.
يَنزِلُ عيسَىٰ:	الإسلامُ؛ كبَقِيَّةِ الأنبياءِ.
مِن فَضائِلِهِ أنَّه:	في آخِرِ الزَّمانِ.
دينُ عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هو:	الحَوارِيِّينَ.
الطَّائِفَةُ الَّتي آمنت به مِن بَني إسرائيلَ يُسَمَّونَ:	آيَةٌ له.

[٢] مَعنىٰ قَولِ أمِّ مريمَ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ أنَّ الذَّكَرَ: ❍ أفضَلُ مِن الأنثىٰ مُطلقًا. ❍ أقدَرُ علىٰ خِدمَةِ المَسجِدِ الأقصىٰ الَّذي نذَرَت مَولودَها له.

[٣] ممَّا ثبَتَ في الحَديثِ الصَّحيحِ أنَّ زكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ❍ كانَ نجَّارًا. ❍ رعىٰ الغنَمَ كسائِرِ الأنبياءِ. ❍ كلاهما صحيحٌ.

[٤] سُمِّيَ يحيىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلِكَ: ❍ لأنَّ اللهَ أَحيا بسَبَبِه عُقمَ أُمِّه. ❍ لأنَّ اللهَ أحيا بسَبَبِه الشَّرعَ. ❍ لما سبَقَ في عِلمِ اللهِ أنَّه شَهيدٌ، والشُّهَداءُ أحياءٌ عِندَ رَبِّهم. ❍ الجميعُ.

[٥] كُلُّ مَن ذُكِرَ في القُرآنِ بوَصفِ النُّبُوَّةِ فهو رَسولٌ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] قَولُ المَلائِكَةِ لمَريَمَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ﴾ يدُلُّ علىٰ نُبُوَّتِها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] قصَّةُ إلقاءِ الأقلام بكَفالَةِ مريَمَ: ❍ وردَت عند أهلِ الكِتابِ. ❍ لم تَرِد عندَهم فهي دليلٌ علىٰ صِدقِ محمَّدٍ ﷺ.

[٨] نبيٌّ صامَ عن الكَلامِ لمُدَّة ثلاثةِ أيَّام: ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ عيسَىٰ.

[٩] مَن هو كَفيلُ مَريمَ بنتِ عِمرانَ؟ ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ هارونُ.

[١٠] مَن هو النَّبيُّ المُلقَّبُ بروح الله؟ ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ عيسَىٰ.

[١١] مَن هو النَّبيُّ المُلقَّبُ بالمَسيحِ؟ ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ عيسَىٰ.

[١٢] النَّبيُّ الَّذي بقِيَ حيًّا حتَّى الآنَ: ❍ يحيىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ عيسَىٰ.

[١٣] أيُّ هؤلاء الأنبياءِ ذُكِرَ اسمُهُ أكثرَ في القُرآنِ؟ ❍ عيسَىٰ. ❍ زَكَرِيَّا. ❍ يحيىٰ. ❍ هارونُ.

[١٤] أكثَرُ اسمٍ ذُكِرَ به في القُرآنِ هو: ❍ عيسَىٰ. ❍ عيسَىٰ بن مَريَم.

[١٥] وَرَدَ ذِكرُ عيسَىٰ عليه السلام في القُرآنِ باسمِ: ❍ عيسَىٰ. ❍ عيسَىٰ بن مَريَمَ. ❍ ابنِ مَريَمَ. ❍ الجَميعُ. ❍ الجَميعُ إلَّا الأخيرُ.

[١٦] أشبَهُ النَّاسِ بعيسَىٰ عليه السلام؟ ❍ عُروَةُ بنُ مَسعودٍ الثَّقَفيُّ. ❍ عبدُ اللَّهِ بنُ مَسعودٍ. ❍ تَميمٌ الدَّارِيُّ.

[١٧] لُقِّبَ عيسىٰ عليه السلام بـ: ❍ كلمَةِ اللَّهِ. ❍ روحِ اللَّهِ. ❍ كلاهما.

[١٨] مِن فَضائلِ عيسىٰ عليه السلام أنَّه في حَديثِ الشَّفاعَةِ لا يذكُرُ لنَفسِه ذنبًا كغيرِه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٩] مِن افتِراءِ النَّصارىٰ في عيسىٰ عليه السلام قولُهم بأنَّه: ❍ هو اللَّهُ. ❍ ابنُ اللَّهِ. ❍ ثالثُ ثلاثَةٍ. ❍ الجميع.

[٢٠] قالَت مريَمُ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ﴾، وهذا مِن بابِ: ❍ تمَنِّي المَوتِ المَمنوعِ شرعًا. ❍ تمَنِّي المَوتِ في وَقتِ الفِتنَةِ، وهو جائزٌ.

[٢١] قولُهم: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾، يقصِدون: ❍ تَشبيهَها بهارونَ النَّبيِّ عليه السلام في كثرَةِ العبادَةِ. ❍ أخًا لها اسمُه هارونُ. ❍ أنَّها أُختُ هارونَ وموسىٰ عليهما السلام. ❍ يَحتَمِلُ الأوَّلَ والثَّاني.

[٢٢] وافَقَ النَّصارىٰ اليَهودَ في ادِّعائِهم أنَّ عيسىٰ صُلِبَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٣] وصَفَ النَّبيُّ ﷺ عيسىٰ ﵇ أكثَرَ مِن غَيرِه مِن الأنبياءِ حتَّىٰ نعرِفَه إذا نـزَلَ في آخِرِ الزَّمانِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٤] سُمِّيَ النَّصارىٰ بذلِكَ: ❍ لأنَّهم نصروا عيسىٰ ﵇. ❍ لأنَّ الحواريِّين كانوا بقريةٍ يُقال لها: النَّاصرة. ❍ كلاهما.

[٤٥] سأَلَ الحَوارِيُّون عيسىٰ ﵇ أن يسأَلَ اللهَ إنزالَ مائِدَةٍ مِن السَّماءِ يَطعَمونَ مِنها: ❍ لأنَّهم كانوا مُكَذِّبينَ له. ❍ لتطمئنَّ قلوبُهم ويَثبُتَ الإيمانُ فيها.

[٤٦] ممَّا يفعَلُه عيسىٰ ﵇ في آخِرِ الزَّمانِ: ❍ قَتلُ الخِنزيرِ. ❍ كَسرُ الصَّليبِ. ❍ قَتلُ المَسيحِ الدَّجَّالِ. ❍ الحُكمُ بشَريعَةِ محمَّدٍ ﷺ. ❍ إمامَةُ المُسلمينَ. ❍ الدُّعاءُ علَىٰ يأجوجَ ومَأجوجَ. ❍ الجميع.

[٤٧] إحياءُ المَوتىٰ مِن خَصائصِ الرُّبوبيَّةِ ونَفخُ عيسىٰ ﵇ في الطَّيرِ مُجرَّدُ سببٍ جعلَه اللهُ ﷿ ليَكونَ آيةً له: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤٨] اربط كُلَّ آيَةٍ مِن آياتِ عيسَىٰ ﵇ بدليلِها:

يُكلِّمُ النَّاسَ وهو رضيعٌ:	﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾.
يُحيي المَوتىٰ، ويُشفي الأكمَهَ والأبرَصَ، ويصنَعُ مِن الطِّينِ علىٰ شَكلِ الطَّيرِ وينفُخُ فيه فيكونُ طَيرًا، ويُنبِّئُ النَّاسَ بما يأكلونَ وما يَدَّخِرونَ في بُيوتِهم بإذنِ اللهِ:	﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡ﴾.
رفعَه اللهُ إليه، ولم يُصلَبْ:	﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدٗا﴾.
يَعودُ إلىٰ الأرضِ في آخرِ الزَّمانِ فيَقتُلُ الدَّجَّالَ، ويُؤمِنُ به أهلُ الكِتابِ:	﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾.
أنزَلَ لبَني إسرائيلَ مائدةً من السَّماءِ:	﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾.

آخِرُ الأَنْبِيَاءِ محمَّدٌ ﷺ:

نسبُهُ ﷺ:	هو ﷺ مُحمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ بن هاشمِ بنِ عبدِ مَنافِ ابنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعبِ بنِ لُؤيِّ بنِ غالبِ بنِ فِهرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزيمةَ بنِ مُدرِكةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بن نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ، وعَدنانُ مِن ولَدِ إسماعيلَ الذَّبيحِ بنِ إبراهيمَ الخَليل عليهما السلام. وهو ﷺ خيرُ أهلِ الأرضِ نسبًا علىٰ الإطلاقِ، وفي الحديثِ أنَّ هِرَقْلَ -مَلِكَ الرُّومِ- قالَ لأبي سُفيانَ رضي الله عنه: «**سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا**». مُتَّفقٌ عليه.
اصطفاؤُه ﷺ:	قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**». أخرجه مسلمٌ.

أسماؤُه ﷺ:

كلُّها نعُوتٌ، وليسَت أعلامًا مَحضَةً تُفيدُ مُجرَّدَ التَّعريفِ، بل هي أسماءٌ مُشتقَّةٌ مِن صِفاتٍ قائِمَةٍ به تُوجِبُ له المَدحَ والكَمالَ، ومنها:

مُحمَّدٌ:	وهو أشهَرُ أسمائِه ﷺ، وبه سُمِّيَ في التَّوراةِ صَريحًا. ومَعناهُ: (كَثيرُ الخِصالِ الَّتي يُحمَدُ عليها).
أَحْمَدُ:	أي: أَحمَدُ الخَلقِ للهِ، ويَحمَدُه أهلُ السَّماءِ والأرضِ وأهلُ الدُّنيا والآخِرَةِ لكَثْرَةِ خِصالِهِ، وهو الاسمُ الَّذي سمَّاه به المسيحُ عليه السلام.
المُتوكِّلُ:	سُمِّيَ به لأنَّه توكَّلَ علىٰ اللهِ في إقامَةِ الدِّينِ توكُّلًا لم يَشرَكْهُ فيه غيرُه.

أسماؤُهُ ﷺ	الماحي:	الَّذي يَمحُو اللهُ به الكفرَ، ولم يُمْحَ الكُفرُ بأحَدٍ كما مُحِيَ به.
	الحاشِرُ:	الَّذي يُحشَرُ النَّاسُ علىٰ قَدَمَيهِ، فكأنَّهُ بُعِثَ ليَحشُرَ النَّاسَ.
	العاقِبُ:	الَّذي ليسَ بعدَهُ نبيٌّ، فهو بمَنزِلَةِ الخاتِمِ.
	المقفِّي:	الَّذي قَفَىٰ علىٰ آثَارِ مَن تَقدَّمَهُ، فقَفَّىٰ اللهُ به علىٰ آثَارِ مَن سَبقَهُ مِن الرُّسُلِ.
	نبيُّ التَّوبَةِ:	الَّذي فتَحَ اللهُ به بابَ التَّوبَةِ علىٰ أهلِ الأرضِ، فتابَ عليهِم تَوبَةً لم يحصُلْ لهم مِثلُها قَبلَهُ، وكانَ ﷺ أكثَرَ النَّاسِ استِغفَارًا وتَوبَةً.
	نبيُّ المَلْحَمَةِ:	الَّذِي بُعِثَ بجِهادِ أعداءِ اللهِ، فلم يُجاهِدْ نبِيٌّ وأمَّتُهُ قَطُّ ما جاهَدَ رَسولُ اللهِ مُحمَّدٌ ﷺ وأمَّتُهُ، والمَلاحِمُ الكِبارُ الَّتي وَقَعَتْ لم يُعهَدْ مِثلُها قَبلَه.
	نبيُّ الرَّحْمَةِ:	الَّذِي أرسَلَهُ اللهُ رَحمَةً للعَالَمينَ، فرَحِمَ به أهلَ الأرضِ كُلَّهُم، فأمَّا المُؤمِنونَ فنالوا النَّصيبَ الأَوفَرَ مِن الرَّحمَةِ، وأمَّا الكُفَّارُ فأهلُ الكِتابِ مِنهُم عاشُوا في ظِلِّهِ، وتحتَ حَبلِهِ وعَهدِهِ.
	الفَاتِحُ	فَتَحَ اللهُ بِهِ بابَ الهُدَىٰ بعدَ أن كانَ مُرتَجًا، وفتَحَ به الأَعيُنَ العُمْيَ، والآذانَ الصُّمَّ، والقُلوبَ الغُلفَ، وفتَحَ اللهُ به أمصَارَ الكُفَّارِ، وفتَحَ به أبوابَ الجنَّةِ، وفتَحَ به طُرُقَ العِلمِ النَّافِعِ والعَمَلِ الصَّالِحِ.
	الأَمِينُ	هو أحَقُّ العالَمينَ بهذا الاسمِ، فهو أَمينُ اللهِ علىٰ وَحيِهِ ودِينِهِ، وهو أَمينُ مَن في السَّماءِ، وأَمينُ مَن في الأرضِ؛ بل إنَّ كفَّارَ قُرَيشٍ سَمَّوهُ الأَمينَ قَبلَ أن يُبعَثَ رَسولًا.

أسماؤه ﷺ	البَشِير النَّذِير:	المُبَشِّرُ لمَن أطاعَهُ بالثَّوابِ، والنَّذيرُ لمَن عَصاهُ بالعِقابِ.
	سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ:	قـال ﷺ: «**أَنَـا سَـيِّدُ وَلَـدِ آدَمَ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَلَا فَخْـرَ**». أخرجه التِّرمـذيُّ وابـن ماجه.
	السِّرَاجُ المُنِير:	الَّـذي يُنيـرُ مِـن غَيـرِ إِحـراقٍ، بخِـلافِ الوَهَّـاجِ فـإنَّ فيـه نَـوعَ إِحـراقٍ.
	وهـو عَبـدُ اللهِ، لـه عُبوديَّـةُ خاصَّـةِ الخاصَّـةِ؛ لأنَّـهُ ﷺ كمَّـلَ مَراتِـبَ العُبودِيَّـةِ.	

أوصافُهُ ﷺ إجمالًا:	أكمَلُ وَصفِهِ ﷺ هـو مـا وَصَـفَ بـه نفسَـهُ، قـالَ ﷺ: «**أَنَـا مُحَمَّـدٌ عَبْـدُ اللهِ وَرَسُـولُهُ، مَـا أُحِـبُّ أَنْ تَرْفَعُونِـي فَـوْقَ مَنْزِلَتِـي الَّتِي أَنْزَلَنِـي اللهُ عَزَّوَجَلَّ**». أخرجـه أحمد.
	كانَ ﷺ أحسَـنَ النَّاسِ خَلْقًـا وخُلُقًا، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم]، وأخـرج مسـلمٌ عـن عائِشَـةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**إِنَّ خُلُـقَ نَبِـيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُـرْآنَ**»، يَعمَـلُ بـِهِ، ويَقِـفُ عِندَ حُـدودِهِ؛ فيَرضَـىٰ لِرِضَاهُ، وَيَسـخَطُ لِسَـخَطِهِ.
	وهـو خَليـلُ اللهِ، قـال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِـي خَلِيـلًا كَمَـا اتَّخَـذَ إِبْرَاهِيـمَ خَلِيـلًا**». أخرجـه مسـلمٌ.

أوصافُه ﷺ الخَلْقيّةُ:	جَسَدُهُ الشَّرِيفُ:	أخرج مسلمٌ عن أنسٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ» أي: أبيَض مُسْتَدِيرًا «كَأَنَّ عَرَقَهُ اللُّؤْلُؤُ، إِذَا مَشَىٰ تَكَفَّأَ، وَلَا مَسِسْتُ دِيبَاجَةً» نوعٌ نفيسٌ من الحرير «وَلَا حَرِيرَةً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمِمْتُ مِسْكَةً وَلَا عَنْبَرَةً أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».
	قَامَتُهُ:	قالَ البراءُ بنُ عازبٍ رضي الله عنهما: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَرْبُوعًا» أي: مُتوسِّطَ القامَةِ «بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، لَهُ شَعْرٌ يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنِهِ، رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، لَمْ أَرَ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ». مُتَّفقٌ عليه.
	وَجْهُهُ:	قالَ كَعبُ بنُ مالِكٍ رضي الله عنه: «فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ». مُتَّفقٌ عليه. وعند البخاريِّ عن البَراءِ رضي الله عنه أنَّ وجهَه مُستديرٌ: «مِثْلَ الْقَمَرِ».
	شَعْرُهُ:	أخرج البخاريُّ عن أنَسٍ رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ ضَخْمَ الْيَدَيْنِ، لَمْ أَرَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَكَانَ شَعْرُ النَّبِيِّ ﷺ رَجِلًا لَا جَعْدَ» أي: لا التِواءَ فيهِ ولا تقبُّض، «وَلَا سَبِطَ» أي: ولا مُسترسِل.
	فَمُهُ وَعَيْنُهُ:	أخرج مسلمٌ عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَلِيعَ الْفَمِ» أي: واسِعَهُ، «أَشْكَلَ الْعَيْنِ» أي: فيهِ حُمرةٌ في بياضِ العينَينِ، «مَنْهُوسَ الْعَقِبَيْنِ» أي: قليلَ لحمِ العَقِب.
	عَرَقُهُ:	أخرج مسلمٌ عن أنَسٍ رضي الله عنه: «دَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ» أي: نامَ نومَةَ القيلولَةِ «عِنْدَنَا، فَعَرِقَ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ» أي: تجمعُ «الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ؛ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ».

	خاتم النبوة:	كانَ لـه خاتَـمُ النُّبُـوَّةِ بيـنَ كَتِفَيـهِ، وهو شَـيءٌ بـارِزٌ في جَسَـدِهِ ﷺ؛ كالشَّـامَةِ، أخـرج مسـلمٌ عـن جابـرِ بـنِ سَـمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّـه قـالَ: «وَرَأَيْـتُ الْخَاتَـمَ عِنْـدَ كَتِفِـهِ مِثْـلَ بَيْضَـةِ الْحَمَامَةِ، يُشْـبِهُ جَسَـدَهُ».
أوصافه ﷺ الخلقية:	إجلال أصحابه له:	أخرج مسلمٌ عن عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ»، عند البخاريِّ أنَّ عُروَةَ بنَ مَسعودٍ الثَّقَفِيَّ قال يَصِفُهُ ﷺ لقُرَيشٍ يومَ الحُدَيبِيَةِ: «واللهِ إنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أصْحَابُهُ ما يُعَظِّمُ أصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، واللهِ إنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بها وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا أمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أمْرَهُ، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ علَىٰ وَضُوئِهِ، وإذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وما يُحِدُّونَ إلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا له».
	أدبه مع الله:	أخـرج أحمـد وأبو داود عن عبـدِ اللهِ بنِ الشِّـخِّيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قُلْنَـا: أَنْتَ سَـيِّدُنَا، فَقَـالَ: «السَّـيِّدُ اللهُ»، قُلْنَـا: وَأَفْضَلُنَـا وَأَعْظَمُنَا طَـوْلًا، قَالَ: «قُولُـوا بِقَوْلِكُـمْ -أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ-، وَلَا يَسْـتَجْرِيَنَّكُمُ الشَّـيْطَانُ».
	شجاعته:	قـالَ عَلِـيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كُنَّـا إِذَا حَمِـيَ الْبَـأْسُ وَلَقِـيَ الْقَـوْمُ الْقَـوْمَ اتَّقَيْنَـا بِرَسُـولِ اللهِ ﷺ، فَـلَا يَكُونُ أَحَـدٌ مِنَّا أَدْنَـىٰ إِلَىٰ الْقَوْمِ مِنْـهُ». أخرجه أحمـد والحاكم.
	خشيته:	أخـرج البخـاريُّ عـن أنـس بـن مالـكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّـه ﷺ قـال: «أَمَـا وَاللهِ إِنِّـي لَأَخْشَـاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُـمْ لَـهُ».
	إحسانه لأهله:	قـالَ ﷺ: «خَيْرُكُـمْ خَيْرُكُـمْ لِأَهْلِـهِ، وَأَنَـا خَيْرُكُـمْ لِأَهْلِـي». أخرجـه أبـو داود والتِّرمـذيُّ.

أوصافه ﷺ الخُلُقية:	حياؤه:	قالَ أبو سَعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَىٰ شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ». مُتَّفقٌ عليه.
	تيسيره:	قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «مَا خُيِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْثَمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ». مُتَّفقٌ عليه.
	لا ينتقم لنفسه:	تتمَّة الحديث السَّابق: «وَاللهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ قَطُّ حَتَّىٰ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ».
	لا يعيب الطعام:	أخرج مسلمٌ عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ».
	يقبل الهدية:	أخرج البخاريُّ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ، وَيُثِيبُ عَلَيْهَا».
	لا يأكل الصدقة:	أخرج الشَّيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه ﷺ قال: «إِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَأْكُلُونَ الصَّدَقَةَ».
	تواضعه:	قالَ عُقبةُ بنُ عامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تَرْعُدُ فَرَائِصُهُ، فقالَ لَهُ ﷺ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ؛ فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ». أخرجه ابن ماجه.
	خدمته أهله:	عن الأسوَدِ بنِ يَزيدَ رَحِمَهُ اللهُ قالَ: سألتُ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ -تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ- فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ». أخرجه البخاريُّ.
	تغافله عن الجاهلين:	«أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؟! يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ». أخرجه البخاريُّ.

أوصافه ﷺ الخُلُقِيَّةُ:

صدقه:	قـالَ عَبدُ اللهِ بنُ مَسـعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: حدَّثَنا رَسُـولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْـدُوقُ. مُتَّفقٌ عليه.
خادمه: خُلُقه مع	قـالَ أنَسٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْـرَ سِـنِينَ، فَمَـا قَالَ لِي أُفٍّ، وَلا لِـمَ صَنعْتَ، وَلا أَلَّا صَنعْـتَ**». مُتَّفقٌ عليه.
عدمُ تميُّزه ﷺ عن أصحابه بشيءٍ، وكونُه واسعَ الصَّدرِ رحبَه:	أخرج البخاريُّ عن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَىٰ جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: هَذَا الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ أَجَبْتُكَ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشْتَدٌّ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ فَلَا تَجِـدَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَـلْ مَا بَدَا لَكَ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: نَشَدْتُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ؛ آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَىٰ النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللهَ؛ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللهَ؛ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَـالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: فَأَنْشُدُكَ اللهَ؛ آللهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هَذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَىٰ فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، فَقَالَ الرَّجُلُ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، وَأَنَا رَسُولُ مَنْ وَرَائِي مِنْ قَوْمِي، وَأَنَا ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ أَخُو بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.
خبزه:	أخرج مسلمٌ عن عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ**».
زهده في الدُّنيا:	عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه ﷺ قال: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَالِثَةٌ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ إِلَّا شَيْئًا أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**». مُتَّفقٌ عليه.

أوصافه ﷺ الخلقية:

لا يشتم:

قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «**لَمْ يَكُنْ ﷺ فاحِشًا ولَا مُتفَحِّشًا، ولَا صَخَّابًا فِي الْأَسْواقِ، ولَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ**». أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ.

مع النساء:

قالَتْ عائِشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «**مَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ**». مُتَّفقٌ عليه.

مسكنه وعيشته:

أخرج مسلمٌ عن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: دَخَلْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَىٰ حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَىٰ عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أُفِيقٌ مُعَلَّقٌ... قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟!**» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ؛ وَمَالِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَىٰ فِيهَا إِلَّا مَا أَرَىٰ، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَىٰ فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصَفْوَتُهُ وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ؟! فَقَالَ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؛ أَلَا تَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟**» قُلْتُ: بَلَىٰ.

هديه ﷺ في اللبّاس والطعّام والشّراب:

أحبُّ الألوان إليه:

كَانَ أَحَبَّ الْأَلْوَانِ إِلَيْهِ الْبَيَاضُ، وَقَالَ: «**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**». أخرجه أبو داود والتِّرمذيُّ.

لباسه:

مَا تَيَسَّرَ مِنَ اللِّبَاسِ، مِنَ الصُّوفِ تَارَةً، وَالْقُطْنِ تَارَةً، وَالْكَتَّانِ تَارَةً، وَكَانَ إِذَا لَبِسَ قَمِيصَهُ بَدَأَ بِمَيَامِنِهِ.

وسطيّته:

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: (كَانُوا يَكْرَهُونَ الشُّهْرَتَيْنِ مِنَ الثِّيَابِ الْعَالِي وَالْمُنْخَفِضِ)، ولأبي داود عن ابْنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ ثُمَّ تَلَهَّبُ فِيهِ النَّارُ**»؛

هَدْيُهُ ﷺ فِي اللِّبَاسِ وَالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ:

وَسَطِيَّتُهُ:	لِأَنَّهُ قَصَدَ بِهِ الِاخْتِيَالَ وَالْفَخْرَ فَعَاقَبَهُ اللهُ، وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كذلك أَنَّه ﷺ قَالَ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». مُتَّفَقٌ عليه.
طَعَامُهُ ﷺ	كَانَ لَا يَرُدُّ مَوْجُودًا وَلَا يَتَكَلَّفُ مَفْقُودًا، فَمَا قُرِّبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الطَّيِّبَاتِ إِلَّا أَكَلَهُ، إِلَّا أَنْ تَعَافَهُ نَفْسُهُ فَيَتْرُكَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيمٍ، وقد أخرج الشَّيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلَّا تَرَكَهُ**»، كَمَا تَرَكَ أَكْلَ الضَّبِّ لَمَّا لَمْ يَعْتَدْهُ.
صِفَةُ أَكْلِهِ ﷺ:	❍ كَانَ مُعْظَمُ مَطْعَمِهِ يُوضَعُ عَلَىٰ الْأَرْضِ فِي السُّفْرَةِ. ❍ وَكَانَ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ، وَلَا يَأْكُلُ مُتَّكِئًا. ❍ وَكَانَ يُسَمِّي اللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَوَّلِ طَعَامِهِ، وَيَحْمَدُهُ فِي آخِرِهِ. ❍ وَكَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ طَعَامِهِ لَعِقَ أَصَابِعَهُ.
مَشْرَبُهُ:	كَانَ أَكْثَرُ شُرْبِهِ قَاعِدًا، بَلْ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا، وَجَوَازُهُ لِعُذْرٍ يَمْنَعُ مِنَ الْقُعُودِ، وكَانَ إِذَا شَرِبَ نَاوَلَ مَنْ عَلَىٰ يَمِينِهِ وَإِنْ كَانَ عَلَىٰ يَسَارِهِ أَكْبَرَ مِنْهُ.

هَدْيُهُ ﷺ فِي النِّكَاحِ وَالْمُعَاشَرَةِ:

❍ قَالَ ﷺ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**». أخرجه النَّسائيُّ.

❍ وَكَانَ يَقْسِمُ بَيْنَهُنَّ فِي الْمَبِيتِ وَالْإِيوَاءِ وَالنَّفَقَةِ.

❍ أخرج الشَّيخان عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «**كَانَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ**»، وَلَمْ يَقْضِ لِلْبَوَاقِي شَيْئًا.

❍ وَكَانَتْ سِيرَتُهُ مَعَ أَزْوَاجِهِ حُسْنَ الْمُعَاشَرَةِ وَحُسْنَ الْخُلُقِ.

❍ وَكَانَ يُسَرِّبُ إِلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَنَاتِ الْأَنْصَارِ يَلْعَبْنَ مَعَهَا، وَكَانَ إِذَا هَوِيَتْ شَيْئًا لَا مَحْذُورَ فِيهِ تَابَعَهَا عَلَيْهِ.

❍ وَكَانَ يَتَّكِئُ فِي حِجْرِهَا وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَرُبَّمَا كَانَتْ حَائِضًا.

في النِّكَاحِ والمُعَاشَرَةِ:

- وَكَانَ يَأْمُرُهَا وَهِيَ حَائِضٌ فَتَتَّزِرُ ثُمَّ يُبَاشِرُهَا.
- وَكَانَ يُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ.
- وَكَانَ مِنْ لُطْفِهِ وَحُسْنِ خُلُقِهِ مَعَ أَهْلِهِ أَنَّهُ يُمَكِّنُهَا مِنَ اللَّعِبِ، وَسَابَقَهَا فِي السَّفَرِ عَلَىٰ الْأَقْدَامِ مَرَّتَيْنِ، وَتَدَافَعَا فِي خُرُوجِهِمَا مِنَ الْمَنْزِلِ مَرَّةً.
- وَكَانَ إِذَا سَافَرَ وَقَدِمَ لَمْ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَكَانَ يَنْهَىٰ عَنْ ذَلِكَ.

هَدْيُهُ ﷺ فِي النَّوْمِ وَالانْتِبَاهِ:

- كَانَ ﷺ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ لِلنَّوْمِ قَالَ: «**بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»، و«**كَانَ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**». أخرجهما البخاريُّ. و«**كَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَىٰ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ**». أخرجه أصحاب «السُّنن». وللبخاريِّ: كَانَ إِذَا انْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»، ثُمَّ يَتَسَوَّكُ.
- كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ آخِرَهُ، وَرُبَّمَا سَهِرَ أَوَّلَهُ فِي مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ.
- كَانَ ﷺ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ.
- كَانَ ﷺ إِذَا نَامَ لَمْ يُوقِظُوهُ حَتَّىٰ يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَسْتَيْقِظُ.
- كَانَ نَوْمُهُ ﷺ أَعْدَلَ النَّوْمِ (نِصفُ اللَّيلِ الأوَّلِ وسُدسُه الأخيرُ)، وَهُوَ أَنْفَعُ مَا يَكُونُ مِنَ النَّوْمِ.

هَدْيُهُ ﷺ فِي مُعَامَلَاتِهِ:

- كَانَ ﷺ يُمَازِحُ وَيَقُولُ فِي مِزَاحِهِ الْحَقَّ.
- كَانَ ﷺ يُوَرِّي وَلَا يَقُولُ فِي تَوْرِيَتِهِ إِلَّا الْحَقَّ.
- كَانَ ﷺ يُشِيرُ وَيَسْتَشِيرُ.
- كَانَ ﷺ يَعُودُ الْمَرِيضَ، وَيَشْهَدُ الْجِنَازَةَ، وَيُجِيبُ الدَّعْوَةَ، وَيَمْشِي مَعَ الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالضَّعِيفِ فِي حَوَائِجِهِمْ.

هَدْيُهُ ﷺ فِي مُعَامَلَاتِهِ:

- سَمِعَ ﷺ مَدِيحَ الشِّعْرِ وَأَثَابَ عَلَيْهِ، وما مُدح به جزءٌ يسيرٌ من محامده، أَمَّا مَدْحُ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ فَأَكْثَرُه الْكَذِبُ.
- خَصَفَ ﷺ نَعْلَهُ بِيَدِهِ وَرَقَّعَ ثَوْبَهُ بِيَدِهِ، وَرَقَّعَ دَلْوَهُ وَحَلَبَ شَاتَهُ وَفَلَىٰ ثَوْبَهُ وَخَدَمَ أَهْلَهُ وَنَفْسَهُ، وَحَمَلَ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ.
- رَبَطَ ﷺ عَلَىٰ بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ تَارَةً، وَشَبِعَ تَارَةً.
- أَضَافَ ﷺ وَأُضِيفَ.
- احْتَجَمَ ﷺ فِي وَسَطِ رَأْسِهِ وَعَلَىٰ ظَهْرِ قَدَمِهِ، وَفِي الْأَخْدَعَيْنِ وَالْكَاهِلِ.
- تَدَاوَىٰ ﷺ وَكَوَىٰ وَلَمْ يَكْتَوِ، وَرَقَىٰ وَلَمْ يَسْتَرْقِ، وَحَمَىٰ الْمَرِيضَ مِمَّا يُؤْذِيهِ.
- كَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ مُعَامَلَةً، وَكَانَ إِذَا اسْتَسْلَفَ سَلَفًا قَضَىٰ خَيْرًا مِنْهُ.

هَدْيُهُ ﷺ فِي مِشْيَتِهِ:

- كَانَ أَسْرَعَ النَّاسِ مِشْيَةً وَأَحْسَنَهَا وَأَسْكَنَهَا.
- كان أسرع من أصحابه مشيًا ويجهدهم اللُّحوق به.
- وكَانَ يَمْشِي حَافِيًا وَمُنْتَعِلًا.
- كَانُوا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ خَلْفَهُمْ.
- كَانَ ﷺ يُمَاشِي أَصْحَابَهُ فُرَادَىٰ وَجَمَاعَةً.

هَدْيُهُ ﷺ فِي الذِّكْرِ:

- كانَ أكمَلَ النَّاسِ ذِكْرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَلْ كَانَ كَلَامُهُ كُلُّهُ فِي ذِكْرِ اللهِ وَمَا وَالَاهُ.
- وكانَ ﷺ يذكُرُ اللهَ إذا استيقَظَ مِن النَّوم، وإذا استفتحَ الصَّلاةَ، وإذا خرَجَ مِن بَيتِه، وإذا دخَلَ المَسجِدَ، وفي الصَّباحِ والمَساءِ، وعند لُبسِ الثَّوبِ، وإذا دخَلَ المَنزِلَ أو خرَجَ مِنه، وعند دُخولِ الخَلاءِ، وقبلَ الوُضوءِ وبعدَه، وإذا سَمِعَ الأذانَ، وعند رُؤيَةِ الهِلالِ، وقبلَ الأكلِ وبعدَه، وعندَ العُطاسِ...

سُنَنُ الفِطْرَةِ وتَوَابِعُهَا:	عَدَدُ السُّنَنِ:	أخرج مسلمٌ عن النَّبيِّ ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَنَتْفُ الْإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ»، ونسي الرَّاوي العاشرة.
	تَيَمُّنُهُ ﷺ:	كَانَ يُعْجِبُهُ ﷺ التَّيَمُّنُ فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَطُهُورِهِ، وَأَخْذِهِ، وَعَطَائِهِ، وَكَانَتْ يَمِينُهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَطُهُورِهِ، وَيَسَارُهُ لِخَلَائِهِ وَنَحْوِهِ مِنْ إِزَالَةِ الْأَذَىٰ.
	الحَلْقُ:	كَانَ هَدْيُهُ ﷺ فِي حَلْقِ الرَّأْسِ تَرْكَهُ كُلَّهُ أَوْ أَخْذَهُ كُلَّهُ.
	السِّوَاكُ:	كَانَ ﷺ يُحِبُّ السِّوَاكَ، وَكَانَ يَسْتَاكُ مُفْطِرًا وَصَائِمًا، وَيَسْتَاكُ عِنْدَ الِانْتِبَاهِ مِنَ النَّوْمِ، وَعِنْدَ الْوُضُوءِ، وَعِنْدَ الصَّلَاةِ، وَعِنْدَ دُخُولِ الْمَنْزِلِ، وَكَانَ يَسْتَاكُ بِعُودِ الْأَرَاكِ.
	الطِّيبُ:	كَانَ ﷺ يُكْثِرُ التَّطَيُّبَ وَيُحِبُّ الطِّيبَ.
	الشَّارِبُ واللِّحْيَةُ:	قَالَ ﷺ: «خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَفِّرُوا اللِّحَىٰ وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ». مُتَّفَقٌ عليه.
	التَّوْقِيتُ:	لمسلم عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وُقِّتَ لَنَا فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ... أَنْ لَا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً».

هَدْيُهُ ﷺ فِي كَلَامِهِ:	كَلَامُهُ ﷺ	○ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هَذَا، وَلَكِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ بَيِّنٍ فَصْلٍ يَحْفَظُهُ مَنْ جَلَسَ إِلَيْهِ». أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ. ○ كَانَ كَثِيرًا مَا يُعِيدُ الْكَلَامَ ثَلَاثًا لِيُعْقَلَ عَنْهُ، وَإِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا.

هديه ﷺ في كلامه، وضحكه، وبكائه، وخطبته:		❍ لا يَتكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ، وَيتكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلَام. ❍ كَانَ لَا يَتكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيه، وَلَا يَتكَلَّمُ إِلَّا فِيمَا يَرْجُو ثَوَابَهُ. ❍ لَمْ يَكُنْ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا وَلَا صَخَّابًا.
	ضحكه:	كَانَ كُلَّ ضَحِكِهِ ﷺ التَّبَسُّمُ، فَكَانَ نِهَايَةُ ضَحِكِهِ أَنْ تَبْدُوَ نَوَاجِذُهُ.
	بكاؤه ﷺ	❍ لَمْ يَكُنْ ﷺ يبكي بِشَهِيقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ، وَلَكِن تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّىٰ تَهْمُلَا، وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ. ❍ كَانَ بُكَاؤُهُ ﷺ تَارَةً رَحْمَةً لِلْمَيِّتِ، وَتَارَةً خَوْفًا عَلَىٰ أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً عَلَيْهَا، وَتَارَةً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَتَارَةً عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ.
	خطبته ﷺ	❍ خَطَبَ ﷺ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَالْمِنْبَرِ وَالْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ. ❍ قال جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ**». أخرجه مسلمٌ. ❍ كَانَ ﷺ لَا يَخْطُبُ خُطْبَةً إِلَّا افْتَتَحَهَا بِحَمْدِ اللهِ. ❍ كَانَ ﷺ يَخْطُبُ فِي كُلِّ وَقْتٍ بِمَا تَقْتَضِيهِ حَاجَةُ الْمُخَاطَبِينَ وَمَصْلَحَتُهُمْ.

من خصائصه ﷺ	بعث بالحنيفيَّة السمحة:	قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ: (جمع بين كونها حنيفيَّةً وكونها سمحةً، فهي حنيفيَّةٌ في التَّوحيد سمحةٌ في الأخلاق، وضدُّ الأمرين: الشِّرك، وتحريم الحلال).
	بعث إلى الثقلين:	قال ﷺ: «**وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَىٰ قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَىٰ النَّاسِ عَامَّةً**». أخرجه البخاريُّ.
	كتابه ودعوته:	﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم].

من خصائصه ﷺ

آياته:	أكبر آياته ﷺ القرآن، وما من آيةٍ أوتيها رسولٌ أو نبيٌّ قبله إلَّا وله ﷺ منها حظٌّ ونصيبٌ.
محبته دين:	قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». مُتَّفقٌ عليه.
مبغضه: حكم	كافرٌ كفرًا أكبر، قال ﷻ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ③﴾ [الكوثر].
الخليل:	قال ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**». أخرجه مسلمٌ.
أحد أولي العزم:	قال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[الأحزاب:٧].
علمه:	قال ﷺ: «**إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللهِ أَنَا**». أخرجه البخاريُّ. وقال ﷻ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾[الأنعام:٥٠].
حكم مطيعه ومخالفه:	قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران:٣١]، وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ⑬⑨﴾[آل عمران]، وللبخاريِّ عنه ﷺ: «**كُلُّكُمْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ**»، قالوا: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ**»، ولأحمد: «**جُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرِي**».
أمته ﷺ:	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠]، «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**». مُتَّفقٌ عليه.

من خصائصه ﷺ

بلده ﷺ:

بلده ﷺ مكّة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌۢ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران].

ومكّة بلدٌ حرامٌ، قال ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ**». مُتَّفقٌ عليه. وهي بلدٌ للمسلمين إلىٰ يوم القيامة، قال ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ**». مُتَّفقٌ عليه.

قِبْلَتُهُ ﷺ:

قبلته ﷺ إلىٰ الكعبة، وكانت قبل ذلك إلىٰ بيت المقدس، قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤].

والمسجد الحرام هو أوّل مسجدٍ وُضع في الأرض، قال أبو ذرٍ رضي الله عنه: «**سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ فَقَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**». مُتَّفقٌ عليه.

وقال ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». مُتَّفقٌ عليه.

وقال ﷺ: «**فَضْلُ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِائَةُ أَلْفِ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِي أَلْفُ صَلَاةٍ، وَفِي مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ خَمْسُمِائَةِ صَلَاةٍ**». أخرجه البزّار.

وقال ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَىٰ ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ**». مُتَّفقٌ عليه.

وقال ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتُمُ الغَائِطَ فلا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، ولَا تَسْتَدْبِرُوهَا ولَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا**». مُتَّفقٌ عليه.

أولادُهُ ﷺ سبعةٌ: ثلاثةُ ذكورٍ وأربعُ إناثٍ:

[١] القاسمُ، وبه كان يُكنىٰ.	[٢] زينبُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
[٣] رُقيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.	[٤] أمُّ كلثومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
[٥] فاطمةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.	[٦] عبدُ اللهِ، ولُقِّبَ بالطَّيِّب والطَّاهر.

[٧] إبراهيم، وهو ولد مارية القبطيَّة سُرِّيَّة النَّبيِّ ﷺ، وباقي أولاده ﷺ كلُّهم من خديجة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، لَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ غَيْرِهَا.

كُلُّ أَوْلَادِهِ ﷺ تُوُفُّوا قَبْلَهُ إِلَّا فَاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَإِنَّهَا تَأَخَّرَتْ بَعْدَهُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَرَفَعَ اللهُ لَهَا بِصَبْرِهَا وَاحْتِسَابِهَا مِنَ الدَّرَجَاتِ مَا فُضِّلَتْ بِهِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وفاطمة أَفْضَلُ بَنَاتِهِ عَلَىٰ الْإِطْلَاقِ.
وقد أدرك بناته ﷺ كلُّهنَّ الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ.

أَعْمَامُهُ ﷺ أَحَدَ عَشَرَ: لم يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلَّا اثْنَانِ (حَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا):

[١] سيِّد الشُّهداء حمزة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.	[٢] العبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.	
[٣] أبو طالبٍ، واسمُه عبدُ مَنافٍ.	[٤] أبو لهبٍ، واسمه عبد العُزَّىٰ.	
[٥] الزُّبير.	[٦] عبد الكعبة.	
[٧] المُقوِّمُ.	[٨] ضرارٌ.	[٩] قُثَم.
[١٠] المُغيرة، ولقبُه حجل.	[١١] الغَيداق، واسمه مُصعبٌ.	

عمَّاتُه ستَّةٌ:

[١] صَفيَّةُ، وهي أمُّ الزُّبير بن العوَّام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقد أسلمت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.		
[٢] أمُّ حكيمٍ البيضاءُ.	[٣] عاتِكةُ.	
[٤] برَّةُ.	[٥] أَروىٰ.	[٦] أُميمةُ.

زَوْجَاتُه ﷺ: يُجْمَعْنَ فِي جُمْلَةِ (حَجَزَ صَخْرٌ سَمْعَهُ):	حَجَزَ:	(ح) = حفصة بنت عمر بن الخطّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. (ج) = جويرية بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. (ز) = زينب بنت جحشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا + بنت خزيمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
	صَخْرٌ:	(ص) = صفيَّة بنت حُيَيٍّ بن أخطب رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. (خ) = خديجة بنت خويلدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. (ر) = أمُّ حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
	سَمْعَهُ:	(س) = سودة بنت زمعة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. (م) = ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. (ع) = عائشة بنت أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. (هـ) = أمُّ سلمة هند بنت أبي أميَّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

[١] خَدِيجَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	أُولَى زَوْجَاتِهِ ﷺ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ الْقُرَشِيَّةُ الْأَسَدِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، تَزَوَّجَهَا ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ وَلَهَا أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْهَا حَتَّى مَاتَتْ، وَأَوْلَادُهُ كُلُّهُمْ مِنْهَا إِلَّا إبراهيم، وَهِيَ الَّتِي آزَرَتْهُ عَلَى النُّبُوَّةِ وَجَاهَدَتْ مَعَهُ وَوَاسَتْهُ بِنَفْسِهَا وَمَالِهَا، وَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهَا السَّلَامَ مَعَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ لَا تُعْرَفُ لِامْرَأَةٍ سِوَاهَا، وَمَاتَتْ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ.
[٢] سَوْدَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	تَزَوَّجَ ﷺ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِأَيَّامٍ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ الْقُرَشِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَهِيَ الَّتِي وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
[٣] عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	تَزَوَّجَ ﷺ بَعْدَهَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ، الْمُبَرَّأَةَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، حَبِيبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَرَضَهَا عَلَيْهِ الْمَلَكُ قَبْلَ نِكَاحِهَا فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ وَقَالَ: «هَذِهِ زَوْجَتُكَ». أخرجه التِّرمذيُّ. تَزَوَّجَهَا فِي شَوَّالٍ وَعُمْرُهَا سِتُّ سِنِينَ، وَبَنَى بِهَا فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْهِجْرَةِ وَعُمْرُهَا تِسْعُ سِنِينَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا، وَمَا نَزَلَ عَلَيْهِ ﷺ الْوَحْيُ

[٣] عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ غَيْرِهَا، وَكَانَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ، وَنَزَلَ عُذْرُهَا مِنَ السَّمَاءِ، وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ كُفْرِ قَاذِفِهَا، وَهِيَ أَفْقَهُ نِسَائِهِ وَأَعْلَمُهُنَّ، بَلْ أَفْقَهُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ وَأَعْلَمُهُنَّ عَلَىٰ الإِطْلَاقِ، وَكَانَ الْأَكَابِرُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْجِعُونَ إِلَىٰ قَوْلِهَا وَيَسْتَفْتُونَهَا.
[٤] حَفْصَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	ثُمَّ تَزَوَّجَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ مَعَ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ مَاتَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِثْرَ غَزْوَةِ أُحُدٍ فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ.
[٥] زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	ثُمَّ تَزَوَّجَ زَيْنَبَ بِنْتَ خُزَيْمَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْقَيْسِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ بَنِي هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ، وَتُوُفِّيَتْ عِنْدَهُ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَهَا بِشَهْرَيْنِ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُلَقَّبُ بِأُمِّ الْمَسَاكِينِ.
[٦] أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	ثُمَّ تَزَوَّجَ أُمَّ سَلَمَةَ هِنْدَ بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ الْقُرَشِيَّةَ الْمَخْزُومِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَاسْمُ أَبِي أُمَيَّةَ: حُذَيْفَةُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَهِيَ آخِرُ نِسَائِهِ ﷺ مَوْتًا، تُوُفِّيَتْ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ لِلْهِجْرَةِ.
[٧] جُوَيْرِيَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	وَتَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي ضِرَارٍ الْمُصْطَلِقِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَكَانَتْ مِنْ سَبَايَا بَنِي الْمُصْطَلِقِ، فَجَاءَتْهُ ﷺ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَىٰ كِتَابَتِهَا، فَأَدَّىٰ عَنْهَا كِتَابَتَهَا وَتَزَوَّجَهَا.
[٨] زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	ثُمَّ تَزَوَّجَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَهِيَ ابْنَةُ عَمَّتِهِ أُمَيْمَةَ، وَفِيهَا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[الأحزاب:٣٧]، وَبِذَلِكَ كَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَىٰ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ وَتَقُولُ: «**زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ**». أخرجه البخاريُّ. وَمِنْ خَصَائِصِهَا أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كَانَ هُوَ وَلِيَّهَا الَّذِي زَوَّجَهَا لِرَسُولِهِ ﷺ

...	مِنْ فَوْقِ سَمَاوَاتِهِ، وَتُوُفِّيَتْ فِي أَوَّلِ خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَكَانَتْ أَوَّلًا عِنْدَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَبَنَّاهُ، فَلَمَّا طَلَّقَهَا زَيْدٌ زَوَّجَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِيَّاهَا لِتَتَأَسَّىٰ بِهِ أُمَّتُهُ فِي ذَلِكَ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا بَأْسَ مِنْ نِكَاحِ الْمُتَبَنِّي مَنْ كَانَتْ تَحْتَ مُتَبَنَّاهِ.
[٩] أُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	ثُمَّ تَزَوَّجَ أُمَّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَاسْمُهَا رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ الْقُرَشِيَّةُ الْأُمَوِيَّةُ، تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِبِلَادِ الْحَبَشَةِ مُهَاجِرَةً، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ النَّجَاشِيُّ أَرْبَعَمِائَةِ دِينَارٍ، وَسِيقَتْ إِلَيْهِ مِنْ هُنَاكَ وَمَاتَتْ فِي أَيَّامِ أَخِيهَا مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
[١٠] صَفِيَّةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	وَتَزَوَّجَ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ سَيِّدِ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ أَخِي مُوسَىٰ، فَهِيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ابْنَةُ نَبِيٍّ وَزَوْجَةُ نَبِيٍّ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَكَانَتْ قَدْ صَارَتْ لَهُ مِنَ السَّبْيِ أَمَةً فَأَعْتَقَهَا، وَجَعَلَ عِتْقَهَا صَدَاقَهَا، فَصَارَ ذَلِكَ سُنَّةً.
[١١] مَيْمُونَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا	ثُمَّ تَزَوَّجَ ﷺ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ الْهِلَالِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَهِيَ آخِرُ مَنْ تَزَوَّجَ بِهَا، تَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ بَعْدَ أَنْ حَلَّ مِنْهَا.

لَا خِلَافَ أَنَّهُ ﷺ تُوُفِّيَ عَنْ تِسْعٍ، وَأَوَّلُ نِسَائِهِ لُحُوقًا بِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سَنَةَ عِشْرِينَ، وَآخِرُهُنَّ مَوْتًا أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَسِتِّينَ فِي خِلَافَةِ يَزِيدَ ابْنِ مُعَاوِيَةَ.

قصَّةُ نَبيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مُختصَرَةً:

حَاضِنَتُهُ ﷺ أُمُّ أَيْمَنَ: بَرَكة الحبشيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان ﷺ ورثها من أبيه، وكانت دايته، زوَّجها ﷺ من حِبِّه زيد بن حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فولدت له أسامة بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهي الَّتي دخل عليها أبو بكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد موت النَّبيِّ ﷺ وهي تبكي، فقالا لها: ما يُبكيك؟ إنَّ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ؟ فقالت: (إنِّي لأعلم أنَّ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ، وأنَّ رسول الله ﷺ قد صار إلىٰ خيرٍ ممَّا كان فيه، ولكنْ أبكي أنَّ الوحيَ قد انقطع عنَّا من السَّماء!! فهيَّجتهما علىٰ البكاء فجعلا يبكيان معها.

عَمَلُهُ ﷺ: رعىٰ ﷺ الغنم، وكان ذلك سببًا في صبره ورحمته بالضُّعفاء ورعايته لهم، قال ﷺ: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الْغَنَمَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**». أخرجه البخاريُّ.

تِجَارَتُهُ وَزَوَاجُهُ: لمَّا بلغ خمسًا وعشرين سنةً خرج إلىٰ الشَّام في تجارةٍ، فوصل إلىٰ بُصرىٰ ثمَّ رجع، فتزوَّج عقب رجوعه خديجة بنت خُوَيلدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أوَّل زوجاته.

بِنَاءُ الْكَعْبَةِ: لمَّا بلغ ﷺ خمسًا وثلاثين تضعضعت الكعبة فقامت قريشٌ في إعادة بنائها، فتقاسمت بطون قريشٍ الكعبة وأخذ كلٌّ منهم ناحيةً، فلمَّا بلغ البنيان ناحية الحجر الأسود اختلفوا فيمن يرفعه إلىٰ موضعه، ولبثوا علىٰ ذلك أربع ليالٍ أو خمسًا، ثمَّ اتَّفقوا علىٰ أن يحكم بينهم أوَّل من يدخل من باب المسجد، فكان ﷺ أوَّل من دخل، فحكَّموه بينهم، فأمر بثوبٍ وجعل فيه الحجر، ثمَّ حملت كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ منه حتَّىٰ بلغوا موضعه فوضعه هو ﷺ بيده.

خَلْوَتُهُ: قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**حُبِّبَ إِلَيْهِ ﷺ الْخَلَاءُ؛ فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ -يَتَعَبَّدُ- فِيهِ اللَّيَالِيَ أُولَاتِ الْعَدَدِ**». مُتَّفقٌ عليه. وبُغِّضَتْ إليه الأوثان ودين قومه، فلم يكن شيءٌ أبغض إليه من ذلك.

نُبُوَّتُهُ ﷺ: لمَّا كَمُلَ له أربعون سنةً أشرق عليه نور النُّبُوَّة، وأكرمه الله تعالىٰ برسالته في يوم الاثنين، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ**

اللهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ -وَهُوَ التَّعَبُّدُ- اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَىٰ خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّىٰ جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي؛ فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾ [العلق]، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللهِ مَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ.

فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ؛ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَىٰ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ، قَالَ ﷺ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَىٰ كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥﴾ [الْمُدَّثِّر]، فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ». مُتَّفَقٌ عليه.

مراتِبُ الوحيِ سَبْعٌ:	**[١] الرُّؤْيا الصَّادِقةُ:**	وكانت مبدأ وحيه ﷺ؛ كما في حديث الشَّيخين: «**فَكَانَ لَا يَرَىٰ رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ**».
	[٢] الإلقاءُ في رُوعِه:	يُلقيه المَلَكُ في رَوعِه ﷺ وقلبه من غير أن يراه، قال ﷺ: «**إنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رَوْعِي وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ...**». أخرَجه عبدُ الرَّزَّاقِ.
	[٣] تمثُّلُ المَلَكِ:	قال ﷺ: «**ويَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ أَحْيَانًا رَجُلًا فيُكَلِّمُنِي، فَأَعِي مَا يَقُولُ**». مُتَّفقٌ عليه. وفي هذه المرتبَةِ كانَ يراه الصَّحابةُ رضي الله عنهم أحيانًا.
	[٤] صلصَلةُ الجرَسِ:	قال ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ**». مُتَّفقٌ عليه. وقالَت عائشَةُ رضي الله عنها: «**رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا**». أخرجه البخاريُّ. بل إنَّ راحِلتَه لتبرُكُ به إلىٰ الأرضِ إذا كانَ راكِبَها.
	[٥] المَلَكُ في صُورتِه:	يراه ﷺ في صُورَتِه الَّتي خُلِقَ عليها، فيوحِي إليه ما شاءَ اللهُ أن يُوحِيَه، وهذا وقعَ له مرَّتَينِ كما ذكَرَ اللهُ في سورَةِ النَّجمِ.
	[٦] وَحيٌ منَ اللهِ:	وهو ما أوحاهُ الله إليه مُباشرَةً وهو فوقَ السَّمواتِ السَّبعِ ليلَةَ المِعراجِ مِن فَرضِ الصَّلاةِ وغَيرِ ذلِكَ.
	[٧] كلامُ اللهِ لَهُ:	حيثُ كلَّمَه اللهُ عز وجل مِنه إليه بلا واسِطَةِ مَلَكٍ؛ كما كلَّمَ اللهُ سبحانه وتعالى موسَىٰ عليه السلام.

مراتب دعوته ﷺ			
	[١] النُّبُوَّةُ.	[٢] إِنْذَارُ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ.	[٣] إِنْذَارُ قَوْمِهِ.
	[٤] إِنْذَارُ قَوْمٍ مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ وَهُمُ الْعَرَبُ قَاطِبَةً.		
	[٥] إِنْذَارُ جَمِيعِ مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَتُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.		

مَرَاحِلُ دَعْوَتِه ﷺ:	
	[١] **الدَّعوة السِّرِّيَّة**: ودامت ثلاث سنين أوَّل البعثة.
	[٢] **الدَّعوة الجهريَّة**: لمَّا أُمر بذلك: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾[الحجر:٩٤].

أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِه ﷺ مِنَ:		
	الرِّجال: أبو بكرٍ الصِّدِّيق.	**النِّساء**: خديجةُ بنت خويلدٍ.
	الصِّبيان: عليُّ بن أبي طالبٍ.	**الموالي**: زيدُ بن حارثة.
	العبيد: بلال بن رباحٍ الحبشيُّ.	

أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرآن: نزل عليه الخمس آياتٍ الأولىٰ من سورة العلق: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾.

مِنَ السَّابِقِينَ إِلَى الإِيمَانِ: مِن أوائل من آمن به ﷺ بعد من ذكرنا أهل بيته ﷺ ثمَّ عثمان بن عفَّان، وطلحة بن عبيد الله، والزُّبير بن العوَّام، وسعد بن أبي وقَّاصٍ، وعبد الرَّحمن بن عوفٍ، وخبَّاب بن الأرتِّ، وصهيبٌ الرُّوميُّ، وعمَّار بن ياسرٍ، وأمُّه سميَّة، وأبو عبيدة عامر بن الجرَّاح، وعثمان بن مظعونٍ، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعتبة بن غزوان رضي الله عنهم أجمعين.

أَذِيَّةُ الـمُشْرِكِينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِه: لمَّا رأىٰ المشركون صدق دعوة النَّبيِّ ﷺ واجتماع النَّاس حوله آذوهم أشدَّ الإيذاء، ومن صور أذيَّتهم لهم:

- إشاعتهم عنه ﷺ أنَّه ساحرٌ لينفر النَّاس منه ويخافوه.
- إشاعتهم عنه ﷺ أنَّه مجنونٌ ليُسفِّهَه النَّاسُ ولا يأخذوا بكلامِهِ.
- إشاعتهم عنه ﷺ أنَّه كاذب، ويدحض ذلك أنَّه كان قد عُرف بينهم بالأمين لصدقه وأمانته.
- السُّخرية به ﷺ وبما جاء به.
- إثارة الشَّغب والضَّوضاء إذا جاء النَّبيُّ ﷺ ليدعو النَّاس ليصدُّوهم عن استماع الوحي وما يأتي به من الحقِّ.
- استقبال من أتىٰ من خارج مكَّة للعمرة أو الحجِّ أو غيرهما وتحذيره من النَّبيِّ ﷺ.
- أذيَّته في جسده ﷺ كما فعل عقبة بن أبي مُعيطٍ إذ جذبه مرَّةً من ثوبه حتَّىٰ كاد يخنقه حتَّىٰ ردَّه عنه أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وألقىٰ عليه سلا جزورٍ حتَّىٰ رفعته عنه ابنته فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.
- محاولة قتله ﷺ إذ عرضوا علىٰ عمِّه أبي طالبٍ أن يبدلوه إيَّاه بعمارة بن الوليد ويقتلوه، وأرادوا قتله كذلك عند إرادته ﷺ الهجرة.
- تعذيب من استضعفوه من المؤمنين وشدَّة أذيَّتهم كما كانوا يضعون الحجر علىٰ بطن بلالٍ وكما فعلوا بآل عمَّار بن ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وغيرهم.

الهِجْـرَةُ إِلَى الْحَبَشَـةِ: لمَّا كثُر المسلمون وخاف منهم الكُفَّار اشتدَّ أذاهم له ﷺ وفتنتهم إيَّاهم، فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلىٰ الحبشة، وقال ﷺ: «**إِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ النَّاسُ عِنْدَهُ**». أخرجه البيهقيُّ. وكانت هِجرَتانِ إلىٰ الحبشَةِ:

- **الهِجْـرَةُ الأُولَىٰ**: هاجر فيها اثنا عشر رجلًا وأربع نسوةٍ، منهم عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو أوَّل من خرج، ومعه زوجته رُقيَّة بنت رسول الله ﷺ، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوارٍ، ثمَّ بلغهم أنَّ قريشًا أسلمت، وكان هذا الخبر كذبًا، فرجعوا إلىٰ مكَّة، فلمَّا بلغهم أنَّ الأمر أشدُّ ممَّا كان، رجع منهم من رجع، ودخل جماعةٌ فلقوا من قريشٍ أذًىٰ شديدًا، وكان ممَّن دخل عبدالله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

❍ **الهِجْـرَةُ الثَّانِيَـةُ**: خـرج فيهـا ثلاثـةٌ وثمانون رجـلًا وثماني عشـرة امرأةً، فأقامـوا عند النَّجاشـيِّ علىٰ أحسـن حالٍ، فبلغ ذلك قريشًـا، فأرسـلوا عمرو بن العـاص وعبـدالله بـن أبي ربيعـة في جماعـةٍ ليكيدوهـم عند النَّجاشـيِّ، فـردَّ الله كيدهـم في نحورهم.

إِسْلَامُ حَمْزَةَ وَعُمَرَ: في السَّـنة السَّادسـة من البعثة أسـلم حمزة بن عبدالمُطَّلب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكان يُسـمَّىٰ أعـزَّ قريـشٍ، فعـزَّ بـه رسـول الله ﷺ، ثـمَّ أسـلم عمـر بـن الخطَّـاب ببركـة دعـاء النَّبـيِّ ﷺ، فتقـوَّىٰ المؤمنـون بهمـا وامتنعوا مـن قريشٍ.

شِـعْبُ أَبِـي طَالِـبٍ: اشْـتَدَّ أَذَىٰ قريشٍ لِرَسُـولِ اللهِ ﷺ فَحَصَـرُوهُ وَأَهْـلَ بَيْتِهِ فِي شِـعْبِ أَبِـي طَالِـبٍ ثَـلَاثَ سِـنِينَ، وَفِي الشِّـعْبِ وُلِـدَ عَبْـدُ اللهِ بْـنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَنَالَـه ﷺ أَذَىٰ شَـدِيدٌ مِـنَ الْكُفَّـارِ، وَخَرَجَ مِـنَ الْحَصْرِ وَلَهُ تِسْـعٌ وَأَرْبَعُونَ سَـنَةً.

وَفَـاةُ أَبِـي طَالِـبٍ وَخَدِيجَـةَ: وَبَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْـهُرٍ مَـاتَ عَمُّـهُ أَبُو طَالِبٍ وَلَهُ سَـبْعٌ وَثَمَانُـونَ سَـنَةً، ثُمَّ مَاتَتْ خديجـة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِيَسِـيرٍ، فَاشْـتَدَّ أَذَىٰ الْكُفَّارِ لَهُ.

خُرُوجُـهُ ﷺ إِلَى الطَّائِـفِ: خَـرَجَ ﷺ إِلَـىٰ الطَّائِـفِ هُـوَ وَزَيْدُ بْـنُ حَارِثَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدْعُـو إِلَـىٰ اللهِ تَعَالَـىٰ، وَأَقَامَ بِهَـا أَيَّامًا فَلَـمْ يُجِيبُـوهُ، وَآذَوْهُ وَأَخْرَجُـوهُ، وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَـارَةِ حَتَّـىٰ أَدْمَـوْا كَعْبَيْهِ، فَانْصَـرَفَ عَنْهُمْ رَسُـولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًـا إِلَىٰ مَكَّةَ، ثُـمَّ دَخَـلَ مَكَّةَ فِـي جِـوَارِ الْمُطْعِمِ بْـنِ عَدِيٍّ.

إِسْلَامُ عَدَّاسٍ: فِي طَرِيقِ رُجُوعِهِ ﷺ لَقِيَ عَدَّاسًا النَّصْرَانِيَّ فَآمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ.

إِيمَـانُ الْجِـنِّ: وَفِـي طَرِيقِـهِ ﷺ أَيْضًا بِمَوْضِـعٍ يُقَالُ لَـهُ نَخْلَـةُ صُرِفَ إِلَيْـهِ نَفَرٌ مِـنَ الْجِنِّ سَـبْعَةٌ مِـنْ أَهْـلِ نَصِيبِيـنَ، فَاسْـتَمَعُوا الْقُرْآنَ وَأَسْـلَمُوا.

الْإِسْـرَاءُ وَالْمِعْـرَاجُ: ثُمَّ أُسْـرِيَ بِرُوحِهِ ﷺ وَجَسَـدِهِ إِلَىٰ الْمَسْـجِدِ الْأَقْصَىٰ، ثُمَّ عُـرِجَ بِـهِ إِلَىٰ فَـوْقِ السَّـمَاوَاتِ بِجَسَـدِهِ وَرُوحِهِ إِلَـىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَخَاطَبَـهُ وَفَرَضَ عَلَيْـهِ الصَّلَوَاتِ.

عَرْضُـهُ ﷺ الْإِسْـلَامَ عَلَـى الْقَبَائِلِ: أَقَـامَ ﷺ بِمَكَّةَ مَا أَقَامَ يَدْعُـو الْقَبَائِلَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَـىٰ، وَيَعْـرِضُ نَفْسَـهُ عَلَيْهِـمْ فِي كُلِّ مَوْسِـمٍ أَنْ يُـؤْوُوهُ حَتَّـىٰ يُبَلِّغَ رِسَـالَةَ رَبِّهِ

وَلَهُمُ الْجَنَّةُ، فَلَمْ تَسْتَجِبْ لَهُ قَبِيلَةٌ، وَادَّخَرَ اللهُ ذَلِكَ كَرَامَةً لِلْأَنْصَارِ، فَانْتَهَىٰ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْهُمْ سِتَّةٍ، فَاسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَرَجَعُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَدَعَوْا قَوْمَهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ فَشَا فِيهِمْ وَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا ذِكْرٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

الْأَنْصَارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَبَيْعَةُ الْعَقَبَةِ: وهما بيعَتان:

- ثُمَّ قَدِمَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ مِنَ السِّتَّةِ الْأَوَّلِينَ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ بَيْعَةِ النِّسَاءِ الْوَارِدَةِ فِي سُورَةِ الْمُمْتَحِنَةِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَىٰ الْمَدِينَةِ.
- فَقَدِمَ عَلَيْهِ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَامْرَأَتَانِ، وَهُمْ أَهْلُ الْعَقَبَةِ الْأَخِيرَةِ، فَبَايَعُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يَمْنَعُوهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ، فَتَرَحَّلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِلَيْهِمْ، وَاخْتَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا.

الْإِذْنُ فِي الْهِجْرَةِ: أَذِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فِي الْهِجْرَةِ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا أَرْسَالًا مُتَسَلِّلِينَ، أَوَّلُهُمْ فِيمَا قِيلَ: أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْمَخْزُومِيُّ، وَقِيلَ: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، فَقَدِمُوا عَلَىٰ الْأَنْصَارِ فِي دُورِهِمْ، فَآوَوْهُمْ، وَنَصَرُوهُمْ، وَفَشَا الْإِسْلَامُ بِالْمَدِينَةِ.

ثُمَّ أُذِنَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْهِجْرَةِ، فَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَلَهُ إِذْ ذَاكَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، وَدَلِيلُهُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ اللَّيْثِيُّ، فَدَخَلَ غَارَ ثَوْرٍ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ، فَأَقَامَا فِيهِ ثَلَاثًا، ثُمَّ سَلَكَا طَرِيقَ السَّاحِلِ.

دُخُولُهُ ﷺ الْمَدِينَةَ: لَمَّا انْتَهَىٰ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ -وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ- نَزَلَ بِقُبَاءَ فِي أَعْلَىٰ الْمَدِينَةِ عَلَىٰ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، فَأَقَامَ عِنْدَهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ يَوْمًا.

أَوَّلُ مَسْجِدٍ فِي الْإِسْلَامِ: وَأَسَّسَ ﷺ مَسْجِدَ قُبَاءٍ، قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ كُلَّ سَبْتٍ، مَاشِيًا وَرَاكِبًا**». مُتَّفَقٌ عليه. وقال ﷺ:

«**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ كَعُمْرَةٍ**». أخرجه التِّرمذيُّ وابن ماجه.

بِنَاءُ مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ: ثُمَّ رَكِبَ ﷺ نَاقَتَهُ وَسَارَ، وَجَعَلَ النَّاسُ يُكَلِّمُونَهُ فِي النُّزُولِ عَلَيْهِمْ وَيَأْخُذُونَ بِخِطَامِ النَّاقَةِ، فَيَقُولُ: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، فَبَرَكَتْ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ، وَكَانَ مِرْبَدًا لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ غُلَامَيْنِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، فَنَزَلَ عَنْهَا عَلَىٰ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ثُمَّ بَنَىٰ ﷺ مَسْجِدَهُ مَوْضِعَ الْمِرْبَدِ بِيَدِهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِالْجَرِيدِ وَاللَّبِنِ، ثُمَّ بَنَىٰ ﷺ مَسْكَنَهُ وَمَسَاكِنَ أَزْوَاجِهِ إِلَىٰ جَنْبِهِ، وَأَقْرَبُهَا إِلَيْهِ مَسْكَنُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، ثُمَّ تَحَوَّلَ ﷺ بَعْدَ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَيْهَا.

الْمُؤَاخَاةُ: بعد أن بنىٰ ﷺ المسجد آخىٰ بين المُهاجرين -وكانوا تسعين رجلًا- وبين الأنصار علىٰ: المواساة، ويتوارثون بعد الموت إلىٰ وقعة بدرٍ.

الْيَهُودُ: لمَّا قدم النَّبيُّ ﷺ المدينة ورآه اليهود علموا أنَّه رسول الله حقًّا وأنَّه الَّذي كانوا يجدونه مكتوبًا عندهم في التَّوراة، ومع ذلك لم يسلم منهم إلَّا نفرٌ قليلٌ منهم عالمهم وحَبرهم عبد الله بن سلَام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ووادع النَّبيُّ ﷺ قبائل اليهود وهم بنو قينُقاع وبنو النَّضير وبنو قُريظة.

تَحْوِيلُ الْقِبْلَةِ: بعد فرض الصَّلاة في المعراج، كان ﷺ يصلِّي إلىٰ بيت المقدس، وكان يودُّ أن تُحوَّل قبلته إلىٰ الكعبة فَجَعَلَ يُقَلِّبُ وَجْهَهُ فِي السَّماء يرجو ذلك، فأنزل اللهُ عَلَيْهِ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ﴾[البقرة:١٤٤] في السَّنة الثَّانية للهجرة، فغيَّر ﷺ قبلته إلىٰ الكعبة.

الْإِذْنُ بِالْجِهَادِ: بعد أن استقرَّ النَّبيُّ ﷺ في المدينة النَّبويَّة ومنَعه الأنصارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ نزل قول الله تعالىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾[الحج]، فأذن الله تعالىٰ للمؤمنين بقتال المُشركين.

وكان من أوائل غزواته ﷺ غزوة الأبواء وبُواطٍ والعُشيرة وبعض السَّرايا.

غَزْوَةُ بَدْرٍ: في رمضان من السَّنة الثَّانية خرج رسول الله ﷺ في ثلاث مائةٍ وبضعة عشر رجلًا من المؤمنين في طلب عير قريشٍ العائدة من الشَّام، فانحرف أبو سفيان عن الطَّريق بالعير وأغرىٰ الشَّيطان قريشًا فخرجت لقتال المؤمنين، فالتقوا في بدرٍ وكانت غزوة بدرٍ الكبرىٰ الَّتي سُمِّيت يوم الفرقان.

ولمَّا التقىٰ الجيشان دعا رسول الله ﷺ ربَّه وتضرَّع إليه، فأيَّد الله المؤمنين بالملائكة يقاتلون معهم، ونصرهم الله تعالىٰ علىٰ القوم الكافرين وأعلىٰ كلمته، وقُتل في بدرٍ من المشركين سبعون رجلًا، واستُشهد من المؤمنين أربعة عشر رجلًا.

غَزْوَةُ قَيْنُقَاعَ: في السَّنة الثَّالثة من الهجرة نقض بنو قينقاع الصُّلح، فحاصرهم النَّبيُّ ﷺ خمس عشرة ليلةً ثمَّ نزلوا علىٰ حكمه فأطلقهم، وكانوا سبعمائة.

غَزْوَةُ أُحُدٍ: وفي شوَّالٍ كانت غزوة أُحُدٍ، حيث خرجت قريشٌ لتثأر لقتلىٰ بدرٍ في نحوٍ من ثلاثة آلاف رجلٍ، وأتوا المدينة، فخرج النَّبيُّ ﷺ في نحوٍ من سبع مائةٍ من أصحابه إلىٰ أُحُدٍ، وانخذل عنه المنافقون.

وكانت الكرَّة أوَّل النَّهار للمسلمين، ثمَّ امتحن الله المسلمين وردَّ الكرَّة للمشركين حتَّىٰ خلصوا إلىٰ رسول الله ﷺ فجرحوه وكسروا رباعيته، وقاتل معه يومئذٍ الملائكة، واستُشهد سبعون من الصَّحابة رضي الله عنهم منهم حمزة بن عبد المُطَّلب ومُصعب بن عميرٍ وأنس بن النَّضر وحنظلة الغسيل وغيرهم.

وأبلىٰ طلحة بن عبيد الله بلاءً حسنًا يومها حتَّىٰ قال رسول الله ﷺ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»، وانحاز رسول الله ﷺ والمسلمون إلىٰ الجبل، وكفَّ الله أيدي المشركين عنهم.

وكان يوم أحدٍ يوم بلاءٍ وتمحيصٍ، امتحن الله فيه المؤمنين، وأظهر المنافقين، وأكرم من شاء بالشَّهادة.

وبعد الغزوة سمع ﷺ بخروج قريشٍ مرَّةً أخرىٰ يريدون استئصال المسلمين، فخرج إليهم مع ما بالمؤمنين من قرح، فلمَّا بلغ المسلمون حمراء الأسد بلغ ذلك قريشًا فانخذلوا ورجعوا إلىٰ مكَّة.

السَّنَةُ ٤هـ: في السَّنة الرَّابعة كانت وقعة بئر معونة الَّتي قُتل فيها سبعون من قرَّاء الصَّحابة، وكانت غزوة بني النَّضير الَّذين حاصرهم النَّبيُّ ﷺ حتَّىٰ قذف الله في قلوبهم الرُّعب، وأجلاهم النَّبيُّ ﷺ من المدينة، وفيهم نزلت سورة الحشر.

غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعِ: في السَّنة الخامسة خرج النَّبيُّ ﷺ لقتال بني المُصطلق، ورجع ﷺ منتصرًا، وفي طريقه شُرع التَّيمُّم، ووقعت حادثة الإفك، حيث اتَّهم المُنافقون أمَّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي الطَّاهرة المُطهَّرة، واشتدَّ ذلك عليها وعلىٰ رسول الله ﷺ حتَّىٰ أنزل الله براءتها في سورة النُّور، وجُلد القاذفون الحدَّ.

غزوةُ الأحزاب: وفي شوَّال من السَّنة الخامسة كانت غزوة الخندق (الأحزاب)، حيث تواطأ اليهود مع قريشٍ ومن حالفهم علىٰ قتال النَّبيِّ ﷺ وأصحابه، فاجتمع من قريش وبني سُليمٍ وبني أسدٍ وفزارة وأشجع وغيرهم عشرة آلافٍ وأتوا المدينة.

وأشار سلمان الفارسيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ بحَفر خندقٍ يحميهم من الأحزاب، فخرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلافٍ وتحصَّن بجبل سلع وجعل الخندق أمامه، واستأمن حُلفاءه بني قريظة إلَّا أنَّهم نقضوا العهد ووافقوا الأحزاب، فأرسل النَّبيُّ ﷺ نُعيم بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليهم وإلىٰ الأحزاب فاستعمل معهم الخدعة وأفسد بينهم، ثمَّ أرسل الله علىٰ الأحزاب جندًا من الرِّيح تُقوِّض خيامهم وتكفأ قدورهم، فزلزلتهم الرِّيح وألقت في قلوبهم الرُّعب وخذَّلتهم، فانصرفوا لم ينالوا كيدًا.

وخرج ﷺ إلىٰ بني قريظة وحكَّم فيهم سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي هذه الغزوة نزلت سورة الأحزاب.

صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ: في السَّنة السَّادسة خرج النَّبيُّ ﷺ في ألفٍ وأربعمائةٍ من أصحابه يريد العمرة، فلمَّا بلغ الحديبية منعته قريشٌ من دخول مكَّة، وصالحهم علىٰ أن تضع الحرب أوزارها عشر سنين، فكان ذلك فتحًا

للمؤمنين كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[الفتح].

وكان ممَّا حصل عليه الصُّلح أن تسمح قريشٌ للمؤمنين بدخول مكَّة في السَّنة التَّالية للعمرة، فكانت عمرة القضاء في ذي القعدة من السَّنة السَّابعة.

غَزْوَةُ خَيْبَرَ: بعد رجوعه ﷺ من الحديبية بعشرين يومًا خرج إلىٰ خيبر شمال المدينة فحاصر اليهود قريبًا من عشرين ليلةً جهد المسلمون فيها جهدًا شديدًا، فخطبهم النَّبيُّ ﷺ وحضَّهم علىٰ الجهاد، فلمَّا أيقن اليهود بالهلكة سألوه ﷺ الصُّلح فصالحهم علىٰ حقن دمائهم وخروجهم من خيبر بما عليهم من الثِّياب فقط، ثمَّ استعملهم علىٰ أرضهم علىٰ شطر ما يخرج منها.

قُدُومُ جَعْفَرَ: لمَّا كان ﷺ في خيبر قدم أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المدينة مسلمًا، وفيها كذلك قدم جعفر بن أبي طالبٍ ابن عمِّه ﷺ ومن بقي معه في الحبشة فوافوا رسول الله ﷺ في خيبر، وقدم معهم الأشعريُّون أبو موسىٰ وأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

غَزْوَةُ مُؤْتَةَ: في السَّنة الثَّامنة كانت غزوة مؤتة، وسببها أنَّ شرحبيل بن عمرٍو الغسَّانيَّ قتل رسول رسول الله ﷺ إلىٰ ملك الرُّوم، فأرسل النَّبيُّ ﷺ ثلاثة آلافٍ من أصحابه وأمَّر عليهم حِبَّه زيد بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال فيما أخرجه أحمد: «**إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَىٰ النَّاسِ، وَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ**»، فخرج إليهم هرقل ومن والاه من العرب في مائتي ألفٍ، فالتقوا في مؤتة وكانت الحرب، فاستُشهد أُمراؤه ﷺ، ثمَّ أخذ خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الرَّاية فأحسن قيادة الجيش وانحاز بالمسلمين حتَّىٰ خلَّصهم من عدوِّ الله وعدوِّهم.

فَتْحُ مَكَّةَ الأَعْظَمُ: في نفس السَّنة، عدت بنو بكرٍ وهم حُلفاء قريشٍ علىٰ خزاعة وهم حُلفاء النَّبيِّ ﷺ، وأعانتهم قريشٌ علىٰ ذلك خُفيةً، فلمَّا بلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ عزم علىٰ فتح مكَّة، وقدم أبو سفيان المدينة ليكلِّمه ﷺ فلم يسمع منه، وكلَّم أبا بكرٍ وعمر وعليًّا أن يُكلِّموه ﷺ فأبوا عليه، ودعا ﷺ الله أن يعمِّي علىٰ قريشٍ فلا يعلموا بخروجه إليهم فاستجاب له، وخرج ﷺ في عشرة آلافٍ حتَّىٰ دخل مكَّة.

وأسلم قُبيل الفتح عمُّ رسول الله ﷺ العبَّاس بن عبد المُطلِّب رضي الله عنه.

وكان ممَّا قاله ﷺ عند فتح مكَّة: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ»، فلم يُقاتل ﷺ إلَّا من بادره بالقتال، إلَّا قلَّةً ممَّن آذاه ﷺ وآذىٰ المسلمين أهدر دمهم.

ولمَّا دخل ﷺ مكَّة طاف بالبيت غير محرم، ثمَّ دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة فكسر ﷺ ما فيها وما حولها من الأصنام، ثمَّ أرجع المفتاح إلىٰ عثمان بن طلحة.

وأسلم بعد فتح مكَّة خلقٌ كثيرٌ، بل صارت القبائل تفد إلىٰ النَّبيِّ ﷺ مسلمةً .

هَدْمُ الْأَصْنَامِ: بعد أن فتح الله علىٰ نبيِّه ﷺ مكَّة أرسل أصحابه لكسر ما حول مكَّة من الأصنام، فأرسل عمرو بن العاص رضي الله عنه لهدم سُواعٍ، وسعد بن زيدٍ رضي الله عنه لهدم مناة، وخالد بن الوليد رضي الله عنه لهدم العُزَّىٰ، والطُّفيل رضي الله عنه لهدم ذي الكفَّين، وأرسل عليًّا رضي الله عنه لهدم صنم طيءٍ.

غَزْوَةُ حُنَيْنٍ: لمَّا سمعت هوازن بفتح مكَّة أجمعوا السَّير إلىٰ رسول الله ﷺ، وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم، فخرج إليهم ﷺ في اثني عشر ألفًا وأعجبت المسلمين كثرتهم حتَّىٰ أتوا وادي حُنينٍ، فشدَّت هوازن عليهم شدَّة رجلٍ واحدٍ حتَّىٰ انشمر النَّاس عن النَّبيِّ ﷺ من شدَّة الفزع، وثبت معه ﷺ نفرٌ من المهاجرين وأهل بيته، ثمَّ ثبَّت الله الَّذين آمنوا فرجعوا إليه ﷺ وقاتلوا معه حتَّىٰ نصرهم الله علىٰ عدوِّهم، وفرَّت هوازن إلىٰ الطَّائف.

ثمَّ جاء أربعة عشر رجلًا من هوازن مسلمين إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فسألوه أن يمنَّ عليهم بالسَّبي ففعل وفعل النَّاس معه.

غَزْوَةُ الطَّائِفِ: بعد أن فرغ ﷺ من هوازن، عزم علىٰ غزو الطَّائف، فأتاها وحاصر الحصن ثمانية عشر يومًا، ثمَّ رجع ﷺ ولم يلق قتالًا.

غَـزْوَةُ تَبُـوكَ: وفي سـنة تسـع كانت غـزوة تبوك (غـزوة العُسـرة)، وكانت في وقـتٍ شـديد الحرِّ وفي وقـت الثِّمـار والظِّـلال، فـكان الخـروج إليهـا أشـدَّ ما يكـون علـىٰ النَّـاس، ولمَّـا أراد ﷺ الخـروج حـضَّ النَّـاس علـىٰ النَّفقـة فأنفق عثمـان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثـلاث مائة بعيـرٍ بأحلاسـها وأقتابها ومعهـا ألف دينـارٍ، فقال ﷺ: «مَـا ضَـرَّ عُثْمَـانَ مَـا فَعَـلَ بَعْـدَ الْيَـوْمِ»، وأنفـق الصَّحابـة ما يقـدرون عليه.

وتخلَّـف عنـه ﷺ عامَّـة المُنافقيـن، وتخلَّـف ثلاثـةٌ مـن خيار أصحابـه لغير عـذرٍ هـم كعـب بن مالـكٍ وهـلال بن أميَّـة ومـرارة بـن الرَّبيـع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فاعتذروا إليـه ﷺ لمَّـا رجـع المدينـة، وفيهـم نزلـت آيـة التَّوبـة: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[التَّوبـة:١١٨]، فتـاب الله عليهـم لِما علم مـن صدقهـم، وذمَّ الله المُنافقين في هـذه السُّـورة وختـم عليهـم، فسُـمِّيت السُّـورة بالفاضحـة؛ لأنَّهـا فضحتهم.

وفي هـذه الغـزوة صالـح النَّبـيُّ ﷺ صاحـب أيلـة علـىٰ الجزيـة، وكـذا أهل جربـا وأذرح، وكتـب لهـم كتابًـا، وصالـح أُكيـدر دومـة علـىٰ الجزيـة كذلـك، وأقـام ﷺ بتبـوك بضـع عشـرة ليلـةً ثـمَّ انصـرف إلـىٰ المدينـة ولـم يلـق قتالًا.

ولمَّـا رجـع إلـىٰ المدينـة أمـره الله تعالـىٰ بهـدم مسـجد الضِّـرار الَّـذي بنـاه المنافقـون ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[التَّوبـة:١٠٧]، فهدمـه ﷺ، وهـذه آخـر غـزوةٍ غزاهـا ﷺ بنفسـه.

قُـدُومُ الْوُفُـودِ: بعـد غـزوة تبـوك أسـلمت ثقيـفٌ، وسُـمِّيت سـنة تسـع سـنة الوُفـود، فصـارت القبائـل تفـد إلـىٰ النَّبـيِّ ﷺ مسـلمةً، ومنهـم وفـد بنـي تميمٍ وسـيِّدهم عطـارد بـن حاجـبٍ التَّميمـيُّ، ووفـد طـيءٍ وسـيِّدهم زيـد الخيـل، ووفـد عبد القيس وسـيِّدهم الجـارود العبديُّ، ووفـد بني حنيفة وفيهـم مسـيلمة الكـذَّاب الَّـذي ادَّعـىٰ النُّبـوَّة فيمـا بعد.

حَجَّـةُ أَبِـي بَكْـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وفي السَّـنة التَّاسـعة بعث النَّبـيُّ ﷺ أبا بكـرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرًا علـىٰ الحـجِّ، فأقام الحـجَّ للنَّاس، وبعـث ﷺ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقرأ مطلع سـورة التَّوبة علـىٰ النَّـاس ونبـذ إلىٰ أهـل الشِّـرك عهودهـم، وأذَّن في النَّـاس أنَّه لا يحـجُّ بعد هـذا العـام مشـركٌ ولا يطـوف بالبيت عريـانٌ كمـا كان يفعل أهـل الجاهليَّة.

حَجَّةُ الْوَدَاعِ: وفي السَّنة العاشرة حجَّ رسول الله ﷺ حجَّة الوداع، وخرج معه المسلمون من شتَّىٰ القبائل والبلدان حتَّىٰ بلغوا أكثر من مائة ألفٍ، فعلَّمهم ﷺ مناسك الحجِّ، وخطبهم يوم عرفة وتلا قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[المائدة:٣]، فأخبرهم أنَّ الدِّين قد كمل، وأوصاهم بالتزام ما جاء في الكتاب والسُّنَّة وحرَّم دماءهم وأموالهم وأعراضهم علىٰ بعضهم، فكانت خطبة وداعٍ منه ﷺ.

بَعْثُ أُسَامَةَ: وفي شهر صفر من السَّنة الحادية عشرة جهَّز ﷺ جيشًا لقتال الرُّوم، واستعمل عليه أسامة بن زيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فخرج وعسكر بالجرف ثمَّ بلغهم مرضه ﷺ.

مَرَضُهُ ﷺ وَمَوْتُهُ: ثمَّ خيَّر الله تعالىٰ نبيَّه ﷺ بين الدُّنيا وبين لقاء الله تعالىٰ والجنَّة فاختار لقاءه والجنَّة، فمرض ﷺ مرضًا شديدًا، واستأذن أزواجه أن يُمرَّض في بيت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فأذِنَّ له، فلمَّا لم يقدر علىٰ الصَّلاة في المسجد أمر أبا بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يصلِّي بالنَّاس إشارةً إلىٰ أحقِّيَّته بالخلافة من بعده.

فلمَّا كان يوم الاثنين الثَّاني عشر من ربيعٍ الأوَّل من السَّنة الحادية عشرة خرج ﷺ إلىٰ النَّاس وهم يصلُّون الصُّبح فرفع السِّتر وفتح الباب حتَّىٰ رأوه، فأشار إليهم أن يتمُّوا صلاتهم وتبسَّم لهم، ثمَّ لمَّا اشتدَّ الضُّحىٰ توفِّي ﷺ، وكانت وفاته أكبر مصيبةٍ حلَّت بالمسلمين، فاغتمَّ المسلمون لموته ﷺ غمًّا شديدًا، ثمَّ اجتمع النَّاس علىٰ أبي بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فبايعوه بالخلافة، ولم يتخلَّف عن بيعته أحدٌ لما يعلم النَّاس من سابقته في الإسلام وفضله علىٰ سائر الأمَّة بعد نبيِّها ﷺ.

ثمَّ غُسِّل ﷺ وكُفِّن في ثلاثة أثوابٍ بيضٍ، ثمَّ دُفن في موضعه الَّذي تُوفِّي فيه في حجرة أمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وتلك سنَّة الله في أنبيائه أنَّهم يُدفنون حيث يُقبضون، وصلَّىٰ عليه الإنس والجنُّ صلوات ربِّي وسلامه عليه، نشهد أنَّه ﷺ قد أدَّىٰ الأمانة ونصح للأمَّة وجاهد في الله حقَّ جهاده، فجزاه الله عن أمَّته خير ما جزىٰ نبيًّا عن أمَّته، والحمد لله ربِّ العالمين.

خاتمةٌ: قال حسّانُ بن ثابتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شاعرُ رسولِ اللهِ ﷺ:

يَا رَبِّ! فَاجْمَعْنَا مَعًا وَنَبِيَّنَا ... فِي جَنَّةٍ تُثْنِي عُيُونَ الْحُسَّدِ
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَاكْتُبْهَا لَنَا ... يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْعُلَا وَالسُّؤْدَدِ
صَلَّى الْإِلَهُ وَمَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ ... وَالطَّيِّبُونَ عَلَى الْمُبَارَكِ أَحْمَدِ

مُلَخَّصُ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ ﷺ وَبُعُوثِهِ وَسَرَايَاهُ:

غَزَوَاتُهُ ﷺ وَبُعُوثُهُ وَسَرَايَاهُ كُلُّهَا كَانَتْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ فِي مُدَّةِ عَشْرِ سِنِينَ، فَأَمَّا سَرَايَاهُ وَبُعُوثُهُ فَقَرِيبٌ مِنْ سِتِّينَ، وَأَمَّا الْغَزَوَاتُ فَسَبْعٌ وَعِشْرُونَ، قَاتَلَ ﷺ فِي تِسْعٍ مِنْهَا هِيَ: بَدْرٌ، وَأُحُدٌ، وَالْخَنْدَقُ، وَقُرَيْظَةُ، وَالْمُصْطَلِقُ، وَخَيْبَرُ، وَالْفَتْحُ، وَحُنَيْنٌ، وَالطَّائِفُ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ فِي بَعْضِهَا:

مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي غَزَوَاتِهِ ﷺ

- غَزْوَةُ بَدْرٍ: نَزَلَتْ فِيهَا سُورَةُ الْأَنْفَالِ، وَتُسَمَّىٰ سُورَةَ بَدْرٍ.
- غَزْوَةُ أُحُدٍ: نَزَلَ فِيهَا آخِرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾[آل عمران:١٢١] إِلَىٰ قُبَيْلِ آخِرِهَا بِيَسِيرٍ.
- غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ وَخَيْبَرَ: نَزَلَ فِيهَا صَدْرُ سُورَةِ الْأَحْزَابِ.
- غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ: نَزَلَ فِيهَا سُورَةُ الْحَشْرِ.
- غَزْوَةُ الْحُدَيْبِيَةِ وَخَيْبَرَ: نَزَلَ فِيهَا سُورَةُ الْفَتْحِ، وَأُشِيرَ فِيهَا إِلَىٰ الْفَتْحِ، وَذُكِرَ الْفَتْحُ صَرِيحًا فِي سُورَةِ النَّصْرِ.
- غَزْوَةُ تَبُوكَ: نَزَلَ فِيهَا آيَاتٌ مِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ.

وَجُرِحَ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ أُحُدٌ، وَقَاتَلَتْ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ فِي بَدْرٍ وَأُحُدٍ وَحُنَيْنٍ، وَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَزَلْزَلَتِ الْمُشْرِكِينَ وَهَزَمَتْهُمْ، وَرَمَىٰ فِيهَا الْحَصْبَاءَ فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ فَهَرَبُوا، وَكَانَ الْفَتْحُ فِي غَزْوَتَيْنِ: بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ، وَقَاتَلَ بِالْمَنْجَنِيقِ فِي غَزْوَةٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ الطَّائِفُ، وَتَحَصَّنَ فِي الْخَنْدَقِ فِي وَاحِدَةٍ وَهِيَ الْأَحْزَابُ، أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

اخْتِبَارٌ فِي قِصَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

[١] سعادة العبد في الدَّارين مُعلَّقةٌ بهدي النَّبيِّ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢] الرُّسل تُبعث في نسب قومها: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٣] أكمل وصفه ﷺ هو ما وصف به نفسه: «**أَنَا مُحَمَّدٌ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤] الحرير والدِّيباج ألين من كفِّ النَّبيِّ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] جمع الله لنبيِّه ﷺ كمال الأخلاق ومحاسن الشِّيَم، وآتاه من العلم والفضل وما فيه النَّجاة والفوز والسَّعادة في الدُّنيا والآخرة ما لم يؤت أحدًا من العالمين: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] النَّبيُّ ﷺ أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ولا مُعلِّم له من البشر: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] كان إذا لبس قميصه بدأ بميامنه: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٨] كَانَ مُعْظَمُ مَطْعَمِهِ ﷺ يُوضَعُ عَلَىٰ الْأَرْضِ فِي السُّفْرَةِ وَهِيَ كَانَتْ مَائِدَتَهُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] كَانَ إِذَا سَافَرَ وَقَدِمَ لَمْ يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَيَنْهَىٰ عَنْ ذَلِكَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] رَبَطَ ﷺ عَلَىٰ بَطْنِهِ الْحَجَرَ مِنَ الْجُوعِ تَارَةً وَشَبِعَ تَارَةً: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] تَدَاوَىٰ ﷺ وَكَوَىٰ وَلَمْ يَكْتَوِ، وَرَقَىٰ وَلَمْ يَسْتَرْقِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٢] أولاده ﷺ سبعةٌ: أربعة ذكورٍ وثلاث إناثٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٣] بُعث بالحنيفيَّة، وضدُّ الأمرين: الشِّرك، وتحريم الحلالِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٤] لَمْ يَكُنْ ﷺ يَصْنَعُ شَيْئًا مِمَّا يَصْنَعُهُ الْمُبْتَلَوْنَ بِالْوَسْوَاسِ مِنْ نَتْرِ الذَّكَرِ، وَالنَّحْنَحَةِ، وَالْقَفْزِ، وَمَسْكِ الْحَبْلِ، وَطُلُوعِ الدَّرَجِ، وَحَشْوِ الْقُطْنِ فِي الْإِحْلِيلِ، وَصَبِّ الْمَاءِ فِيهِ وَتَفَقُّدِهِ الْفَيْنَةَ بَعْدَ الْفَيْنَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ بِدَعِ أَهْلِ الْوَسْوَاسِ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٥] أولاده ﷺ كلُّهم من خديجة، لَمْ يُولَدْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٦] كُلُّ أَوْلَادِهِ ﷺ الذُّكورِ والإناثِ تُوُفِّيَ قَبْلَهُ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٧] لَا خِلَافَ أَنَّهُ ﷺ تُوُفِّي عَنْ تِسْعٍ: عائشةَ، وحفصةَ، وزينبَ بنت جحشٍ، وأمِّ سلمةَ، وصفيَّةَ، وأمِّ حبيبةَ، وميمونةَ، وسَودةَ، وجُويريَّةَ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٨] خديجة أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهَا السَّلَامَ مَعَ جِبْرِيلَ، وَهَذِهِ خَاصَّةٌ لَا تُعْرَفُ لِامْرَأَةٍ سِوَاهَا: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٩] رعىٰ ﷺ الغنَمَ فكان سببًا في صَبرِه ورَحمَتِه بالضُّعفاء ورِعايَتِه لهم: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٠] لمَّا كَمُلَ له ﷺ أربعون سنةً أشرق عليه نور النُّبُوَّة، وأكرمه الله تعالىٰ برسالته في يوم الجمعة: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢١] اشْتَدَّ أَذَىٰ قريشٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَحَصَرُوهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثَلَاثَ سِنِينَ، وَخَرَجَ ﷺ مِنَ الْحَصْرِ وَلَهُ تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢٢] كان النَّبيُّ ﷺ مربوعًا أي: ❍ مُتوسِّط القامة. ❍ طويل القامة.

[٢٣] خيرُ أهلِ الأرضِ نسبًا إطلاقًا: ❍ يونسُ بنُ متَّىٰ ﷺ. ❍ محمَّدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ﷺ.

[٢٤] أسماؤه ﷺ: ❍ كلُّها نعوتٌ. ❍ أعلامٌ محضةٌ تفيد مُجرَّد التَّعريف. ❍ مُشتقَّةٌ من صفاتٍ قائمةٍ به توجب له المدح والكمال. ❍ الجميع. ❍ الأوَّل والثَّالث فقط.

[٢٥] «خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» أي: ❍ يرضىٰ لرضاه. ❍ يسخط لسخطه. ❍ الجميع.

[٢٦] خليلُ الله هو: ❍ إبراهيم ﷺ. ❍ محمَّدٌ ﷺ. ❍ الجميع.

[٢٧] «كَانَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ» أي: ❍ قمحيٌّ. ❍ أبيض. ❍ شديد البياض.

[٢٨] أطيبُ الطِّيبِ: ❍ المِسك. ❍ عَرقُ النَّبيِّ ﷺ.

[٢٩] خاتَم نبوَّته ﷺ: ❍ بينَ كتِفَيه. ❍ يُشبِهُ جسَدَه. ❍ مِثلُ بيضَةِ الحمامَةِ. ❍ الجَميع.

[٣٠] أحبُّ الألوانِ إليه: ❍ البياض. ❍ السَّواد. ❍ ما تيسَّر من الألوان.

[٣١] لباسُه ﷺ: ❍ لا يلبَسُ الصُّوفَ. ❍ يلبَسُ القُطنَ والكتَّانَ. ❍ يلبَسُ ما تيسَّرَ مِن اللِّباسِ. ❍ الأوَّلُ والثَّاني فقط.

[٣٢] لباسه ﷺ: ❍ الغالي من الثِّيابِ. ❍ المُنخفضُ مِنها لزُهدِه. ❍ الوَسَطُ.

[٣٣] كان ﷺ يسمِّي اللهَ ويحمَدُه: ❍ علىٰ أوَّل طعامه. ❍ في آخره. ❍ أوَّله وآخره.
[٣٤] كان أكثر شُربه ﷺ: ❍ قاعدًا. ❍ قائمًا. ❍ الجميع.
[٣٥] «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ»: ❍ النِّساء. ❍ الطِّيب. ❍ الجميع.
[٣٦] «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي»: ❍ الجنَّة. ❍ الصَّلاة. ❍ الجميع.
[٣٧] كانت سيرته مع أزواجه حسن: ❍ المُعاشرة. ❍ الخُلُق. ❍ الجميع.
[٣٨] «وَقَّتَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ فِي قَصِّ الشَّارِبِ وَتَقْلِيمِ الْأَظْفَارِ أَلَّا نَتْرُكَ أَكْثَرَ مِنْ (......) يَوْمًا وَلَيْلَةً»: ❍ ثلاثين. ❍ أربعين. ❍ خمسين.
[٣٩] كان هديه ﷺ في حلق الرَّأس: ❍ يحلق بعضه ويدع بعضه. ❍ تركه كلَّه أو أخذه كلَّه.
[٤٠] كَانَ يُحِبُّ السِّوَاكَ، وَكَانَ يَسْتَاكُ: ❍ مُفطرًا. ❍ صائمًا. ❍ الجميع.
[٤١] كَانَ ضحكه ﷺ: ❍ كلُّه التَّبسُّم. ❍ جلُّه التَّبسُّم.
[٤٢] بُعث ﷺ إلىٰ: ❍ النَّاس كافَّةً. ❍ الثَّقلين الجنِّ والإنس.
[٤٣] أفضل بناته ﷺ علىٰ الإطلاق: ❍ الجميع. ❍ فاطمة. ❍ زينب.
[٤٤] مَا نَزَلَ عَلَيْهِ ﷺ الْوَحْيُ فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ غَيْرِهَا: ❍ حفصة. ❍ أمُّ سلمة. ❍ عائشة.
[٤٥] وُلد ﷺ بمكَّة: ❍ عام الفيل. ❍ قبل الهجرة بـ٥٣ سنةً. ❍ الجميع.
[٤٦] مبدأ وحيه ﷺ: ❍ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ. ❍ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ. ❍ الجميع.
[٤٧] عدد مراتب الوحي: ❍ خمسةٌ. ❍ سبعةٌ. ❍ ثلاثةٌ.
[٤٨] مراتب دعوته ﷺ: ❍ اثنتان. ❍ ثلاثةٌ. ❍ خمسةٌ.
[٤٩] ثُمَّ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ ﷺ وَجَسَدِهِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَىٰ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ فَوْقِ السَّمَاوَاتِ (........) إِلَىٰ اللهِ ﷻ، فَخَاطَبَهُ وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ: ❍ بجسده. ❍ بروحه. ❍ بجسده وروحه.
[٥٠] أوَّل مسجدٍ: ❍ الحرام. ❍ النَّبويُّ. ❍ الأقصىٰ. ❍ قباء.
[٥١] تحويل القبلة كان: ❍ بمكَّة قبل الهجرة. ❍ في السَّنة الثَّانية للهجرة. ❍ في السَّنة الثَّالثة للهجرة.

[٥٢] غزوة بدرٍ كانت في رمضان في السَّنة (❍ الثَّانية ❍ الثَّالثة) للهجرة.

[٥٣] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

إنَّ الله اصطفى:	كنانة	بني هاشم	إسماعيل	قريش
كنانة من ولد	❍	❍	❍	❍
قريشًا من	❍	❍	❍	❍
بني هاشم من	❍	❍	❍	❍
نبيَّه ﷺ من	❍	❍	❍	❍

[٥٤] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

نسبُه ﷺ:	اسمه	اسم أبيه	اسم جده	أب الجد	قبل الجد الأعلىٰ	الجد الأعلىٰ
هاشم	❍	❍	❍	❍	❍	❍
عبد المُطَّلب	❍	❍	❍	❍	❍	❍
عبد الله	❍	❍	❍	❍	❍	❍
محمد	❍	❍	❍	❍	❍	❍
إسماعيل	❍	❍	❍	❍	❍	❍
إبراهيم	❍	❍	❍	❍	❍	❍

[٥٥] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

صِل كلَّ اسم بشرحه:	محمَّد	أحمد	العاقب	السِّراج
أحمد النَّاس لربه	❍	❍	❍	❍
الَّذي يُنير من غير إحراقٍ	❍	❍	❍	❍
كثير الخصال الَّتي يُحمَد عليها	❍	❍	❍	❍
ليس بعده نبيٌّ، فهو بمنزلة الخاتم	❍	❍	❍	❍

[٥٦] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كان ﷺ:	كفًّا	ريحًا	عشرةً	خَلْقًا وخُلُقًا	خشيةً
أحسن النَّاس	❍	❍	❍	❍	❍
وألينهم	❍	❍	❍	❍	❍
وأطيبهم	❍	❍	❍	❍	❍
وأحسنهم	❍	❍	❍	❍	❍
وأشدَّهم	❍	❍	❍	❍	❍

[٥٧] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كان ﷺ:	لله تعالى	طعامًا	لنفسه	الصَّدقة	الهديَّة
لا ينتقم	❍	❍	❍	❍	❍
وينتقم	❍	❍	❍	❍	❍
وما عاب	❍	❍	❍	❍	❍
ويقبل ويُكافئ على	❍	❍	❍	❍	❍
ولا يقبل	❍	❍	❍	❍	❍

[٥٨] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كان ﷺ:	الجنازة	الدَّعوة	الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ وَالضَّعِيفِ فِي حَوَائِجِهِمْ	المَريض
يعود	❍	❍	❍	❍
ويشهد	❍	❍	❍	❍
ويجيب	❍	❍	❍	❍
ويمشي مع	❍	❍	❍	❍

[٥٩] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

من أفعاله ﷺ:	شاته	ثوبه بيده	اللَّبن في بناء المسجد	نعله بيده	أهله ونفسه
خصف	❍	❍	❍	❍	❍
ورقَّع	❍	❍	❍	❍	❍
وحلب	❍	❍	❍	❍	❍
وخدم	❍	❍	❍	❍	❍
وحمل	❍	❍	❍	❍	❍

[٦٠] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

من الفطرة:	الأظفار	الإبط	العانة	اللِّحية	الشَّارب
قصُّ	❍	❍	❍	❍	❍
إعفاء	❍	❍	❍	❍	❍
تقليم	❍	❍	❍	❍	❍
نتف	❍	❍	❍	❍	❍
حلق	❍	❍	❍	❍	❍

[٦١] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

هديه ﷺ في الطَّعام:	مفقودًا	إلَّا أكله	فيتركه من غير تحريمٍ	موجودًا
لا يردُّ				
ولا يتكلَّف				
ما قُرِّب إليه شيءٌ من الطَّيِّبات				
إلَّا أن تعافه نفسه				

[٦٢] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كان ﷺ:	إذا فرغ	الأكلة	بأصبعٍ واحدةٍ	بالخمس ويدفع بالرَّاحة	الثَّلاث
يأكل بأصابعه					
ويلعقها					
وهو أشرف ما يكون من					
فإنَّ المُتكبِّر يأكل					
والجشع الحريص يأكل					

[٦٣] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

أوَّل من آمن بالرَّسول ﷺ:	عليُّ بن أبي طالبٍ	بلال بن رباحٍ	زيد بن حارثة	أبو بكرٍ الصَّدِّيق
من الرِّجال				
من الصِّبيان				
من الموالي				
من العبيد				

[٦٤] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

كفالته ﷺ:	أبوطالبٍ	عبد المُطَّلب	نحو ثمان سنين	عبد الله بن عبد المُطَّلب	سبع سنين
لمَّا كان حملًا مات أبوه					
ماتت أمُّه ولم يستكمل					
كفله بعد أمِّه جدُّه					
ثمَّ توفِّي وله ﷺ					
ثمَّ كفله عمُّه الشَّقيق					

[٦٥] اربط كلَّ عِبارَةٍ بما يُناسِبُها:

غزواته ﷺ وبعوثه:	عشر سنين	ستِّين	سبعٌ وعشرون	تسعٍ منها	غزوةٍ واحدةٍ
كلُّ بعوثه وسراياه كانت بعد الهجرة في مدَّة	❍	❍	❍	❍	❍
سراياه وبعوثه قريبٌ من	❍	❍	❍	❍	❍
عدد غزواته ﷺ	❍	❍	❍	❍	❍
قاتل ﷺ في	❍	❍	❍	❍	❍
وجُرح ﷺ في	❍	❍	❍	❍	❍

الـمُحَبَّرَةُ فِي التَّارِيخِ:

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ بْنِ بَدْرِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ أُسَيْدٍ الْقُرَشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ (ت ٢٤٩هـ) فِي مَنْظومَتِه «الْمُحَبَّرَةِ فِي التَّارِيخِ»:

مُقَدِّمَةٌ

١ الْحَمْـــدُ للهِ الْمُعِيـــدِ الْمُبْـــدِي ... حَمْـدًا كَثِيـرًا وَهُـوَ أَهْـلُ الْحَمْـدِ
٢ ثُــمَّ الصَّـــلَاةُ أَوَّلًا وَآخِــرَا ... عَلَــىٰ النَّبِــيِّ بَاطِنًــا وَظاهِــرَا
٣ يَــا سَــائِلِي عَــنِ ابتِــدَاءِ الْخَلْــقِ ... مَسْــأَلَةَ الْقَاصِــدِ قَصْــدَ الْحَــقِّ
٤ أَخْبَرَنِــي قَــوْمٌ مِــنَ الثِّقَــاتِ ... أُولُــو عُلُــومٍ وَأُولُــو هَيْئَــاتِ
٥ تَقَدَّمُــوا فِــي طَلَــبِ الْآثَــارِ ... وَعَرَفُــوا حَقَــائِقَ الْأَخْبَــارِ
٦ وَفَهِمُـــوا التَّــوْرَاةَ وَالْإِنْجِيــلَا ... وَأَحْكَمُــوا التَّنْزِيــلَ وَالتَّأْوِيــلَا
٧ أَنَّ الَّــذِي يَفْعَــلُ مَــا يَشَــاءُ ... وَمَــنْ لَـــهُ الْعِـــزَّةُ وَالْبَقَــاءُ

آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

٨ أَنْشَــــأَ خَلْــقَ آدَمٍ إِنْشَــــاءَ ... وَقَـــدَّ مِنْــهُ زَوْجَـــهُ حَــوَّاءَ
٩ مُبْتَدِئًــا ذَلِــكَ يَــوْمَ الْجُمْعَــهْ ... حَتَّــىٰ إِذَا أَكْمَــلَ مِنْــهُ صُنْعَــهْ
١٠ أَسْكَنَـــــهُ وَزَوْجَـــهُ الْجِنَانَــا ... فَــكَانَ مِــنْ أَمْرِهِمَــا مَــا كَانَــا
١١ غَرَّهُمَــــا إِبْلِيـــسُ فَاغْتَــرَّا بِــهِ ... كَمَـــا أَبَـــانَ اللهُ فِــي كِتَابِــهِ
١٢ دَلَّاهُمَــا الْمَلْعُــونُ فِيمَــا صَنَعَــا ... فَأُهْبِطَــا مِنْهَــا إِلَــىٰ الْأَرْضِ مَعَــا
١٣ [فَوَقَـــعَ الشَّيْــــخُ أَبُونَــا آدَمْ ... بِجَبَــلٍ فِــي الْهِنْــدِ يُدْعَــىٰ وَاسِــمْ][١]
١٤ لَبِئْسَــمَا اعْتَــاضَ عَــنِ الْجِنَــانِ ... وَعَــنْ جِــوَارِ الْمَلِــكِ الْمَنَّــانِ
١٥ وَالضَّعْـفُ مِـنْ خَلِيقَـةِ الْإِنْسَـانِ ... لَا سِيَمَـــا فِــي أَوَّلِ الزَّمَـــانِ
١٦ مَــا لَبِثَــا فِــي الْفَــوْزِ يَوْمًــا وَاحِــدَا ... حَتَّىٰ اسْـتَعَاضَا مِنْهُ جُهْـدًا جَاهِدَا[٢]

---

١ ذكرَه ابنُ قُتَيبَةَ رَحِمَهُ اللهُ وغيرُه عن بعضِ أهلِ العلم، ولا يصِحُّ فيه شيءٌ.
٢ وجاءَ في الحَديثِ أنَّه لبِثَ ما بينَ العَصرِ إلىٰ المَغرِبِ، صحَّحه الحاكِمُ ووافقَه الذَّهبِيُّ.

شِيثٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٧ فَشَقِيَا وَوَرَّثَا الشَّقَاءَ   أَبْنَاهُمَا وَالْهَمَّ وَالْعَنَاءَ
١٨ وَلَمْ يَزَلْ مُسْتَغْفِرًا مِنْ ذَنْبِهِ   حَتَّىٰ تَلَقَّىٰ كَلِمَاتِ رَبِّهِ
١٩ فَأَمِنَ السَّخْطَةَ وَالْعِقَابَا   وَاللهُ تَوَّابٌ عَلَىٰ مَنْ تَابَا
٢٠ ثُمَّ اسْتَمَلَّا وَأَحَبَّا النَّسْلَا   فَحَمَلَتْ حَوَّاءُ مِنْهُ حَمْلَا
٢١ وَوَضَعَتْ إِبْنًا وَبِنْتًا تَوْأَمَا   فَسُرَّ لَمَّا سَلِمَتْ وَسَلِمَا
٢٢ وَاقْتَنَيَا الْإِبْنَ فَسُمِّي قَايِنَا[٣]   وَعَايَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا عَايَنَا
٢٣ ثُمَّ أَغَبَّتْ بَعْدَهُ قَلِيلَا   فَوَضَعَتْ مُتْئِمَةً هَابِيلَا
٢٤ فَشَبَّ هَابِيلُ وَشَبَّ قَايِنُ   وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا تَبَايُنُ
٢٥ فَقَرَّبَا لِحَاجَةٍ قُرْبَانَا   وَخَضَعَا لِلَّهِ وَاسْتَكَانَا
٢٦ فَقُبِلَ الْقُرْبَانُ مِنْ هَابِيلِ   وَلَمْ يَفُزْ قَايِنُ بِالْقَبُولِ
٢٧ فَثَارَ لِلْحَيْنِ الَّذِي حُيِّنَ لَهْ   إِلَىٰ أَخِيهِ ظَالِمًا فَقَتَلَهْ
٢٨ [ثُمَّ اسْتَفَزَّ أُخْتَهُ فَهَرَبَا   وَفَارَقَا أُمًّا أَلُوفًا وَأَبَا
٢٩ فَبَعُدَتْ دَارُهُمَا مِنْ دَارِهِ   وَزَهِدَا فِي الْخَيْرِ مِنْ جِوَارِهِ
٣٠ فَأَخْلَفَ اللهُ عَلَيْهِ **شِيثَا**   وَلَمْ يَزَلْ بِاللهِ مُسْتَغِيثَا
٣١ حَتَّىٰ إِذَا أَحَسَّ بِالْحِمَامِ   وَذَاكَ بَعْدَ سَبْعِ مِيَةِ عَامِ
٣٢ كَانَتْ إِلَىٰ شِيثَ ابْنِهِ الْوَصِيَّهْ   وَلَيْسَ شَيْءٌ يُعْجِزُ الْمَنِيَّهْ
٣٣ أَنِ اعْبُدِ اللهَ وَجَانِبْ قَايِنَا   وَكُنْ لَهُ وَنَسْلِهِ مُبَايِنَا
٣٤ فَلَمْ يَزَلْ شِيثُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ   مُعْتَصِمًا بِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ
٣٥ يَحْفَظُ مَا أَوْصَىٰ بِهِ أَبُوهُ   لَا يَتَخَطَّاهُ وَلَا يَعْدُوهُ
٣٦ حَتَّىٰ إِذَا مَا حَضَرَتْ وَفَاتُهُ   وَخَافَ أَنْ يَفْجَأَهُ مِيقَاتُهُ
٣٧ أَوْصَىٰ أَنُوشًا وَأَنُوشُ كَهْلُ   بِمِثْلِ مَا أَوْصَىٰ أَبُوهُ قَبْلُ
٣٨ فَلَمْ يَزَلْ أَنُوشُ يَقْفُو أَثَرَهْ   لَا يَتَعَدَّىٰ جَاهِدًا مَا أَمَرَهْ

---

٣ اسمُه في التَّوراةِ: (قايين)، ويُسَمِّيه العرَبُ: (قابيل).

٣٩ ثُـمَّ تَـلَاهُ إِبْنُـهُ قِينَـانُ ... وَقَوْلُـهُ وَفِعْلُـهُ الْإِيمَانُ
٤٠ ثُـمَّ تَـلَا قِينَـانَ مَهْلَائِيـلُ ... فَسَنَّ مَا سَنَّتْ لَـهُ الْكُهُـولُ
٤١ ثُـمَّ اسْتَقَـلَّ بِالْأُمُـورِ يَـرْدُ ... أَخْنُوخُ وَهْـوَ فِـي الْعُلُـومِ فَـرْدُ
٤٢ وَكَـانَ فِـي زَمَانِـهِ تُوبِيلُ ... الْخَالِـعُ الْمُضَلِّـلُ الضَّلِيـلُ
٤٣ أَوَّلُ مَـنْ تَتَبَّـعَ المَلَاهِيَـا ... وَأَظْهَـرَ الْفَسَـادَ وَالْمَعَاصِيَـا
٤٤ وَكَانَ مِـنْ نَسْـلِ الْغَـوِيِّ قَايِنِ ... وَغَيْـرُ بِـدْعٍ خَايِـنٌ مِـنْ خَايِنِ
٤٥ فَاغْتَـرَّ مِـنْ أَوْلَادِ شِـيثٍ عَالَمَـا ... حَتَّـىٰ عَصَـوْا وَانْتَهَكُـوا الْمَحَارِما
٤٦ وَخَالَفُـوا وَصِيَّـةَ الْآبَـاءِ ... وَافْتُتِنُـوا بِاللَّهْـوِ وَالنِّسَـاءِ
٤٧ وَلَـمْ يَـزَلْ يَـارِدُ يَأْلُـو قَوْمَـهُ ... نُصْحًـا وَكَانُـوا يُكْثِـرُونَ لَوْمَـهُ
٤٨ حَتَّـىٰ إِذَا مَـاتَ اسْـتَقَلَّ بَعْـدَهُ ... إِدْرِيـسُ بِالْأَمْـرِ فَـأَوْرَىٰ زَنْـدَهُ — إِدْرِيسُ عليه السلام
٤٩ وَهُـوَ خَنُـوخُ بِالْبَيَـانِ أَعْجَمَـا ... صَلَّـىٰ عَلَيْـهِ رَبُّنَـا وَسَـلَّمَا
٥٠ أَوَّلُ مَبْعُـوثٍ إِلَـىٰ الْعِبَـادِ ... وَآمِـرٍ بِالْخَيْـرِ وَالرَّشَـادِ
٥١ وَأَوَّلُ النَّـاسِ قَـرَا وَكَتَبَـا ... وَعَلَّـمَ الْحِسَـابَ لَمَّـا حَسَـبَا
٥٢ فَلَـمْ يُطِعْـهُ أَحَـدٌ مِـنْ أَهْلِـهِ ... وَاخْتَلَطُـوا بِقَايِـنٍ وَنَسْلِـهِ
٥٣ فَرَفَـعَ اللهُ إِلَيْـهِ عَبْـدَهُ ... مِـنْ بَعْدِ مَا اخْتَارَ الْمُقَامَ عِنْدَهُ
٥٤ وَصَـارَ مَتُّوشَـلَخُ مُسْتَخْلَفَـا ... مِنْ بَعْـدِ إِدْرِيسَ النَّبِـيِّ الْمُصْطَفَىٰ
٥٥ فَحَـذَّرَ النَّـاسَ عَذَابًـا نَـازِلَا ... فَلَـمْ يَجِدْ فِـي الْأَرْضِ مِنْهُـمْ قَابِلَا
٥٦ غَيْـرَ ابْنِـهِ لَمْـكٍ فَأَوْصَـىٰ لَمْـكَا ... وَصِيَّـةً كَانَـتْ تُقًـىٰ وَنُسْـكَا
٥٧ فَوَعَـظَ النَّـاسَ فَخَالَفُـوهُ ... وَنَفَـرُوا عَنْـهُ وَفَارَقُـوهُ][٤]
٥٨ فَأَرْسَـلَ اللهُ إِلَيْهِـمْ نُوحَـا ... عَبْـدًا لِمَـنْ أَرْسَـلَهُ نَصُوحَـا — نُوحٌ عليه السلام
٥٩ فَعَـاشَ أَلْفًـا غَيْـرَ خَمْسِـينَ سَـنَهْ ... يَدْعُـو إِلَـىٰ اللهِ وَتَمْضِـي الْأَزْمِنَـهْ

---

٤ كلُّ هذا مَأخوذٌ مِنْ أخبارِ بَني إسرائيلَ، ولم يَرِد ما يُؤَيِّدُه في شَرعِنا، وتقدَّمَ الخِلافُ في إدريسَ عليه السلام، وذِكرُ قولِ مَن رجَّحَ كونَه بعدَ إبراهيمَ عليه السلام، وما استُدِلَّ به لذلِكَ.

٦٠ يَدْعُوهُمُ سِرًّا وَيَدْعُو جَهْرَا ... فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَاكَ إِلَّا كُفْرَا
٦١ وَانْهَمَكُوا فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ ... وَأَظْهَرُوا عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ
٦٢ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ أَنْ يُطَاعَا ... وَحَجَبُوا مِنْ دُونِهِ الْأَسْمَاعَا
٦٣ دَعَا عَلَيْهِمْ دَعْوَةَ الْبَوَارِ ... مِنْ بَعْدِ مَا أَبْلَغَ فِي الْإِنْذَارِ
٦٤ وَاتَّخَذَ الْفُلْكَ بِأَمْرِ رَبِّهِ ... حَتَّىٰ نَجَا بِنَفْسِهِ وَحِزْبِهِ
٦٥ وَأَقْبَلَ الطُّوفَانُ مَاءً طَاغِيَا ... فَلَمْ يَدَعْ فِي الْأَرْضِ خَلْقًا بَاقِيَا
٦٦ غَيْرَ الَّذِينَ اعْتَصَموا فِي الْفُلْكِ ... فَسَلِمُوا مِنْ غَمَرَاتِ الْهُلْكِ
٦٧ وَكَانَ هَذَا كُلُّهُ فِي آبِ ... قَبْلَ انْتِصَافِ الشَّهْرِ فِي الْحِسَابِ
٦٨ فَعَزَمُوا عِنْدَ اقْتِرَابِ الْمَعْمَعَهْ ... أَنْ يَرْكَبُوا الْفُلْكَ وَأَنْ يَنْجُوا مَعَهْ
٦٩ وَكَانَ مِنْ أَوْلَادِ نُوحٍ وَاحِدُ ... مُخَالِفٌ لِأَمْرِهِ مُعَانِدُ
٧٠ فَبَادَ فِيمَنْ بَادَ مِنْ عِبَادِهِ ... وَسَلِمَ الْبَاقُونَ مِنْ أَوْلَادِهِ
٧١ [سَامٌ وَحَامٌ وَالصَّغِيرُ الثَّالِثُ ... وَهُوَ فِي التَّوْرَاةِ يُدْعَىٰ يَافِثُ
٧٢ فَأَكْثَرُ الْبِيضَانِ نَسْلُ سَامِ ... وَأَكْثَرُ السُّودَانِ نَسْلُ حَامِ
٧٣ وَيَافِثٌ فِي نَسْلِهِ عَجَائِبُ ... يَأْجُوجُ وَالْأَتْرَاكُ وَالصَّقَالِبُ]٥
٧٤ وَمِنْ بَنِي سَامِ بْنِ نُوحٍ إِرَمُ ... وَأَرْفَخْشَدُ وَلَاوِذٌ وَغَيْلَمُ
٧٥ فَكَثُرَتْ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ عَادُ ... وَشَاعَ مِنْهَا الْعَيْثُ وَالْفَسَادُ
٧٦ وَعَادُ مِنْ أَوْلَادِ عُوصٍ بْنِ إِرَمْ ... وَمِنْ بَنِي عُوصٍ جَدِيسٌ وَطَسَمْ
٧٧ فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيهِمْ **هُودَا** ... فَجَرَّدَ الْحَقَّ لَهُمْ تَجْرِيدَا هُودٌ عليه السلام
٧٨ فَعَانَدُوهُ شَرَّ مَا عِنَادِ ... وَانْهَمَكُوا فِي الْكُفْرِ وَالْإِلْحَادِ
٧٩ [فَقَالَ: يَا رَبِّ أَعِزَّ الْقَطْرَا ... عَنْهُمْ فَعَدَّهُمْ سِنِينَ عَشْرَا]
٨٠ وَأَرْسَلَ الرِّيحَ عَلَيْهِمِ عَاصِفَا ... فَلَمْ تَدَعْ مِنْ آلِ عَادٍ طَائِفَا
٨١ [وَكَانَ وَفْدٌ مِنْهُمُ سَبْعُونَا ... سَارُوا إِلَىٰ مَكَّةَ يَسْتَقُونَا

---

٥ ذكَرَ هذا جماعَةٌ مِن السَّلَفِ -رحِمَهم الله-، ولا يصِحُّ فيه خبرٌ مَرفوعٌ.

٨٢ فَابْتَهَلُـــوا وَرَفَعُـــوا أَيْدِيهِـــمُ ... وَكَانَ لُقْمَـانُ بْـنُ عَـادٍ مِنْهُـمُ
٨٣ فَسَـــأَلَ الْبَقَـــاءَ وَالتَّعْمِيـرَا ... فَعَـاشَ حَتَّـىٰ أَهْلَـكَ النُّسُـورَا
٨٤ وَوَافَقَـــتْ دَعْوَتُـــهُ إِجَابَـــهْ ... إِذْ لَـمْ يَكُـن بِمُرْتَـضٍ أَصْحَابَـهْ[٦]
٨٥ وَأَثْمَـرَتْ ثَمُـودُ بَعْـدَ عَـادِ ... فَسَـكَنَتْ حِجْـرًا وَبَطْـنَ الْـوَادِي
٨٦ فَأَرْسَـلَ اللهُ إِلَيْهِـمْ صَالِحَـا ... فَتَـىٰ حَدِيـثَ السِّـنِّ مِنْهُـمْ رَاجِحَا
صَالِحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ
٨٧ فَلَمْ يَـزَلْ يَدْعُوهُـمُ حَتَّـىٰ اكْتَهَـلْ ... وَلَـمْ يُجِبْـهُ مِنْهُـمُ إِلَّا الْأَقَـلْ
٨٨ وَأَحْضَـــرُوهُ صَخْـــرَةً مَلْسَـاءَ ... وَقَالُـوا أَخْلِـصْ عِنْدَهَـا الدُّعَـاءَ
٨٩ فَهَـلْ لِمَـنْ تَعْبُـدُهُ مِـنْ طَاقَـهْ ... أَنْ تَتَشَـظَّىٰ وَلَـدًا عَـنْ نَاقَـهْ
٩٠ فَانْفَلَقَـتْ حَتَّـىٰ بَـدَا زَجِيلُهَـا ... عَـنْ نَاقَـةٍ يَتْبَعُهَـا فَصِيلُهَـا
٩١ فَعَقَـرُوا النَّاقَـةَ لِلشَّـقَاءِ ... فَعَاجَلَتْهُـمْ صَيْحَـةُ الْفَنَـاءِ
٩٢ فَتِلْـكَ حِجْـرٌ مِـنْ ثَمُـودٍ خَالِيَـهْ ... فَهَلْ تَرَىٰ فِـي الْأَرْضِ مِنْهُـمْ بَاقِيَهْ
٩٣ ثُـمَّ اصْطَفَـىٰ رَبُّـكَ إِبْرَاهِيمَـا ... فَلَـمْ يَـزَلْ فِـي خَلْقِـهِ رَحِيمَـا
إِبْرَاهِيمُ وَلُوطٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
٩٤ فَـكَانَ مِـنْ إِخْلَاصِـهِ التَّوْحِيـدَا ... أَنْ هَجَـرَ الْقَرِيـبَ وَالْبَعِيـدَا
٩٥ وَشَـرَعَ الشَّـرَائِعَ الْحِسَـانَا ... وَكَسَّـرَ الْأَصْنَـامَ وَالْأَوْثَانَـا
٩٦ وَقَـالَ لُـوطٌ إِنَّنِـي مُهَاجِـرُ ... وَبِالَّـذِي تَأْمُـرُ قَوْمِـي آمِـرُ
٩٧ مَـا قَـدْ تَوَلَّـىٰ شَـرْحَهُ الْقُـرْآنُ ... وَفِـي الْقُـرَانِ الصِّـدْقُ وَالْبَيَـانُ
٩٨ فَشَـكَرَ اللهُ لَـهُ الْإِيمَانَـا ... وَخَصَّـهُ الْحُجَّـةَ وَالْبُرْهَانَـا
٩٩ وَقَمَـعَ النُّمْـرُودَ عَاتِـي دَهْـرِهِ ... بِحُجَـجِ اللهِ وَحُسْـنِ صَبْـرِهِ
١٠٠ وَجَعَـلَ الْحِكْمَـةَ فِـي أَوْلَادِهِ ... وَاخْتَارَهُـمْ طُـرًّا عَلَـىٰ عِبَـادِهِ
١٠١ وَجَعَـلَ الْأَمْـرَ لِإِسْـمَاعِيلِ ... فَهُـوَ أَسَـنُّ وَلَـدِ الْخَلِيـلِ
إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

---

٦ ذكَرَ ابنُ إسحاقَ رَحِمَهُ اللهُ قصَّةَ حَبسِ القَطرِ، إلَّا أنَّه جعَلَها مدَّةَ ثلاثِ سِنينَ، وذكَرَ كذلِكَ استِسقاءَ السَّبعينَ رَجُلًا، ولا يصِحُّ في شيءٍ مِن ذلِكَ خبَرٌ مَرفوعٌ، إلَّا أنَّ ما قصَّه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من فرَحِ قَومِ هودٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بالعارِضِ وظنِّهم أنَّه يأتيهم بالمطَرِ يُؤيِّدُ كونَهم قَحِطوا، واللهُ أعلَمُ.

١٠٢ وَوَلَدَتْ هَاجَرُ قَبْلَ سَارَهْ … وَقَبْلَهَا بُلِّغَتِ الْبِشَارَهْ
١٠٣ مِنْ رَبِّهَا وَسَمِعَتْ نِدَاءَ … قَدْ سَمِعَ اللهُ لَكِ الدُّعَاءَ
١٠٤ وَأُسْكِنَتْ فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ … وَشَبَّ إِسْمَاعِيلُ فِي الْحَجُونِ
١٠٥ وَكَانَ يومًا عِنْدَهُ جِبْرِيلُ … وَعِنْدَهُ النَّبِيُّ إِسْمَاعِيلُ
١٠٦ وَهُوَ صَغِيرٌ فَاشْتَكَىٰ الظَّمَاءَ … فَخَرَجَتْ هَاجَرُ تَبْغِي الْمَاءَ
١٠٧ فَهَمَزَ الْأَرْضَ فَجَاشَتْ جَمْجَمَا … تَفُورُ مِنْ هَمْزَتِهِ أَنْهُرَ مَا
١٠٨ وَأَقْبَلَتْ هَاجَرُ لَمَّا يَئِسَتْ … فَرَاعَهَا مَا عَايَنَتْ فَأَبْلَسَتْ
١٠٩ وَجَعَلَتْ تَبْنِي لَهُ الصَّفَائِحَا … لَوْ تَرَكَتْهُ كَانَ مَاءً سَائِحَا
١١٠ وَجَاوَرَتْهُم جُرْهُمٌ فِي الدَّارِ … رَاغِبَةً فِي الصِّهْرِ وَالْجِوَارِ
١١١ فَوَلَدُوا النِّسَاءَ وَالرِّجَالَا … خَؤُولَةٌ شَرَّفَتِ الْأَخْوَالَا
١١٢ وَوَطَّنُوا مَكَّةَ دَهْرًا دَاهِرَا … حَتَّىٰ إِذَا مَا قَارَفُوا الْكَبَائِرَا
١١٣ وَبَدَّلُوا شِرْعَةَ إِبْرَاهِيمِ … وَشَبَّهُوا التَّحْلِيلَ بِالتَّحْرِيمِ
١١٤ أَجْلَتْهُمُ عَنْهَا بَنُو كِنَانَهْ … فَدَخَلُوا بِالذُّلِّ وَالْمَهَانَهْ
١١٥ وَوَلِيَ الْبَيْتَ وَأَمْرَ النَّاسِ … الْأَكْرَمُونَ مِنْ بَنِي إِلْيَاسِ
١١٦ [فَلَمْ تَزَلْ شِرْعَةُ إِسْمَاعِيلِ … فِي أَهْلِهِ وَاضِحَةَ السَّبِيلِ][7]
١١٧ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ الْأَمْرُ إِلَىٰ قُصَيِّ … مُجَمِّعٍ خَيْرِ بَنِي لُؤَيِّ
١١٨ فَسَلَّمَ النَّاسُ لَهُ الْمَقَامَا … وَالْبَيْتَ وَالْمَشْعَرَ وَالْحَرَامَا
١١٩ وَصَارَتِ الْقَوْسُ إِلَىٰ بَارِيهَا … وَصَادَفَتْ رَمِيَّةٌ رَامِيهَا
١٢٠ وَوُطِّنَتْ فِي أَهْلِهَا الْمَكَارِمُ … وَرُفِعَتْ لِشَيْدِهَا الدَّعَائِمُ
١٢١ وَوَرَّثَ الشَّيْخُ بَنِيهِ الشَّرَفَا … وَكُلُّهُم أَغْنَىٰ وَأَجْدَىٰ وَكَفَىٰ

٧ صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّ أوَّلَ مَن أدخَلَ الأصنامَ إلىٰ مكَّةَ، وغيَّرَ شَرعَ إبراهيمَ ﷺ، وسيَّبَ السَّوائِبَ وبحَرَ البَحيرةَ هو عَمرو بنُ لُحَيٍّ بنِ قَمَعَةَ بنِ خِندِفٍ، وهو أبو كَعبٍ الَّذي سُمِّي خُزاعَةَ، وإليه تُنسَبُ القَبيلَةُ المَعروفَةُ، وعلىٰ هذا فيكونُ تَغييرُ شَرعِ إبراهيمَ ﷺ حصَلَ في عَصرِ كِنانَةَ، وهو قبلَ قُصَيٍّ بمُدَّةٍ طَويلَةٍ، واللهُ أعلَمُ.

إسحاق عليه السلام

١٢٢ وَاسْمَعْ حَدِيثَ عَمِّنَا **إِسْحَاقَا** ... فَإِنَّنِي أَسُوقُهُ أَنْسَاقَا
١٢٣ جَاءَ عَلَىٰ فَوْتٍ مِنَ الشَّبَابِ ... وَمِئَةٍ مَرَّتْ مِنَ الْأَحْقَابِ
١٢٤ فَأَيَّدَ اللهُ بِهِ الخَلِيلَا ... وَعَضَدَ الصَّادِقَ إِسمَاعِيلَا
١٢٥ وَعَجِبَتْ سَارَةُ لَمَّا بُشِّرَتْ ... بِهِ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَذُعِرَتْ
١٢٦ قَالَتْ: وَأَنَّىٰ تَلِدُ الْعَجُوزُ؟! ... قِيلَ: إِذَا قَدَّرَهُ الْعَزِيزُ
١٢٧ وَقِيلَ: مِنْ وَرَائِهِ يَعْقُوبُ ... مَقَالَةٌ لَيْسَ لَهَا تَكْذِيبُ
١٢٨ فَتَمَّ وَعْدُ اللهِ جَلَّ ذِكْرُهُ ... وَغَلَبَ الْأَمْرَ جَمِيعًا أَمْرُهُ

يعقوب عليه السلام

١٢٩ فَكَانَ مِنْ قِصَّةِ **يَعْقُوبَ** النَّبِي ... مَا لَيْسَ يَخْفَىٰ ذِكْرُهُ فِي الْكُتُبِ
١٣٠ قَدْ أَفْرَدَ اللهُ بِذَاكَ سُورَهْ ... مَعْرُوفَةً بِيُوسُفٍ مَشْهُورَهْ
١٣١ وَمَاتَ يَعْقُوبُ بِأَرْضِ مِصْرِ ... مِنْ بَعْدِ تِسْعٍ كَمُلَتْ وَعَشْرِ

يوسف عليه السلام

١٣٢ وَإِنَّمَا طَالَعَ مِصْرَ زَائِرَا ... **لِيُوسُفٍ** ثُمَّ ثَوَىٰ مُجَاوِرَا
١٣٣ حَتَّىٰ إِذَا أَيقَنَ بِالْحِمَامِ ... أَوْصَىٰ بِأَنْ يُقْبَرَ بِالشَّآمِ
١٣٤ فَحَمَلَ التَّابُوتَ حَتَّىٰ قَبَرَهْ ... يُوسُفُ بِالشَّامِ عَلَىٰ مَا أَمَرَهْ
١٣٥ ثُمَّ أَتَىٰ مِصْرَ فَعَاشَ حِقَبَا ... حَتَّىٰ قَضَىٰ مِنَ الْحَيَاةِ أَرَبَا
١٣٦ وَكَانَ مِنْ أُسْرَتِهِ سَبْعُونَا ... أَتَوْهُ مَعْ يَعْقُوبَ زَائِرِينَا
١٣٧ وَكَانَ فِرْعَوْنُ يَلِيهِمْ قَسْرَا ... فَسَامَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ دَهْرَا

موسى وهارون عليهما السلام

١٣٨ فَبَعَثَ اللهُ إِلَيْهِمْ **مُوسَىٰ** ... مِنْ بَعْدِ مَا قَدَّسَهُ تَقْدِيسَا
١٣٩ فَخَلَّصَ الْقَوْمَ مِنَ الْعَذَابِ ... وَهُمْ عَلَىٰ مَا قِيلَ فِي الْحِسَابِ
١٤٠ [سِوَىٰ الذَّرَارِي وَالرِّجَالِ الْعُجْفِ ... مِنَ الرِّجَالِ سِتُّ مِيَةِ أَلْفِ]
١٤١ وَنَقَلَ التَّابُوتَ ذُو الْعَهْدِ الْوَفِي ... مُوسَىٰ وَفِي التَّابُوتِ جِسْمُ يُوسُفِ
١٤٢ لَمْ يَثْنِهِ عَنْ ذَاكَ بُعْدُ الْعَهْدِ ... وَلَا الَّذِي مَرَّ بِهِ مِنْ جُهْدِ
١٤٣ [وَبَيْنَهُمْ إِحْدَىٰ وَخَمْسُونَ سَنَهْ ... وَمِئَةٌ كَامِلَةٌ مُمْتَحَنَهْ][٨]

---

٨ هذا والَّذي قبلَه مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَني إسرائيل، ولا يصِحُّ فيه شيءٌ مَرفوعٌ.

١٤٤ وَمَكَثُوا فِي التِّيهِ أَرْبَعِينَا ... وَلَمْ يَعِيشُوا مِثْلَهَا سِنِينَا

١٤٥ وَمَاتَ **هَارُونُ** بنُ عِمْرانَ النَّبِي ... مِنْ قَبْلِ مُوسَىٰ فِي مَنَامٍ طَيِّبِ

١٤٦ وَقِيلَ مَا أُخِّرَ عَنْ أَخِيهِ ... إِلَّا لِأَمْرٍ قَدْ قُضِي فِي التِّيهِ

يُوشَعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٤٧ ثُمَّ تَنَبَّا **يُوشَعُ بْنُ نُونِ** ... وَصِيُّ مُوسَىٰ الصَّادِقِ الْأَمِينِ

١٤٨ [فَخَاضَ بَحْرَ أُرْدُنَ الْعَمِيقَا ... وَجُعِلَ الْبَحْرُ لَهُ طَرِيقَا

١٤٩ وَحُرِّقَتْ مِنْ خَوْفِهِ أَرِيحَا] ... وَفَتَحَ اللهُ بِهِ الْفُتُوحَا

١٥٠ وَقَالَ لِلشَّمْسِ: قِفِي فَوَقَفَتْ ... وَرَدَّهَا مِنْ قَصْدِهَا فَانْصَرَفَتْ

١٥١ وَذَلَّلَ الْمُلُوكَ حَتَّىٰ ذَلَّتِ ... وَقُلِّلَتْ فِي عَيْنِهِ فَقَلَّتِ

١٥٢ وَأَسْكَنَ الشَّامَ بَنِي اسْرَائِيلِ ... وَعْدًا مِنَ الرَّحْمنِ فِي التَّنْزِيلِ

مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

١٥٣ [ثُمَّ تَنَبَّا وَقَفَاهُ **كَالِبُ** ... وَقَالَ لِلْأَسْبَاطِ: إِنِّي ذَاهِبُ

١٥٤ وَخَلَّفَ الْحَلِيمَ **حَزْقَائِيلَا** ... ابْنَ الْعَجُوزِ بَعْدَهُ بَدِيلَا]

١٥٥ وَكَثُرَتْ مِنْ بَعْدِهِ الْأَحْزَابُ ... وَنَصَبُوا بَعْلَهُمْ وَعَابُوا

١٥٦ فَقَالَ **إِلْيَاسُ بْنُ يَاسِينَ** لَهُمْ ... وَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِمْ

١٥٧ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَأَلْقُوا بَعْلَا ... فَاسْتَكْبَرُوا وَأَوْعَدُوهُ الْقَتْلَا

١٥٨ [فَلَمْ يَزَلْ مُسْتَخْفِيًا سَيَّاحَا ... حَتَّىٰ دُعِي بِالْمَوْتِ فَاسْتَرَاحَا

١٥٩ وَقِيلَ فِي التَّوْرَاةِ: إِنَّ فَرَسَا ... أَتَاهُ فِي صَبَاحِهِ أَوْ فِي مَسَا

١٦٠ حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَهُ إِلْيَاسُ ... غَابَ فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ النَّاسُ][٩]

١٦١ وَلَمْ يَزَلْ ابْنُ الْخُطُوبِ **الْيَسَعُ** ... يَرْدَعُهُمْ دَهْرًا فَلَمْ يَرْتَدِعُوا

١٦٢ وَسُلِبُوا التَّابُوتَ مِنْ بَعْدِ الْيَسَعْ ... وَمَاتَ عَالِي رَأْسِهِمْ مِنَ الْجَزَعْ

١٦٣ وَظَهَرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعْدَاءُ ... وَعَمَّهُمْ بَعْدَ الْهُدَىٰ الْعَمَاءُ

شَمْوِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٦٤ فَسَأَلُوا نَبِيَّهُمْ **سَمْوِيلَا** ... أَنْ يَسْتَقِيلَ الْمَلِكَ الْجَلِيلَا

١٦٥ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُوَلِّي وَالِيَا ... عَلَيْهِمُ يُقَاتِلُ الْأَعَادِيَا

---

٩ كلُّ هذا مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَني إسرائيل، ولا يصِحُّ فيه شيءٌ مَرفوعٌ.

١٦٦ وَعَاهَــــدُوهُ أَنْ يُطِيعُــوا أَمْـرَهُ ... وَأَنْ يُعِـــــزُّوهُ وَيُعْلُــوا قَـدْرَهُ

١٦٧ فَبَعَـــثَ اللهُ لَهُـــمْ طَالُوتَـــا ... فَاتَّبَعُـــوهُ وَغَـــزَوْا جَالُوتَــا

١٦٨ وَكَــانَ دَاوُدُ أَقَــامَ بَعْـــدَهُ ... فِـي أَهْلِـهِ ثُـمَّ أَتَــاهُ وَحْـدَهُ

داوُد عليه السلام

١٦٩ [وَكَلَّمَتْـــهُ صَخْـــرَةٌ صَمَّـاءُ ... نَادَتْـهُ حَيْــثُ يَسْـمَعُ النِّـدَاءُ

١٧٠ خُذْنِـي فَإِنِّـي حَجَـرُ الْخَلِيـلِ ... يُقْتَـلُ بِـي جَالُــوتُ عَـنْ قَلِيـلِ

١٧١ وَكَانَ أَيْضًـــا سَــأَلَتْهُ قَبْلَهَـــا ... صَخْـرَةُ إِسْـحَاقَ النَّبِـيِّ حَمْلَهَـا

١٧٢ فَشَـاهَدَ الْحَـرْبَ عَلَـىٰ أَنَاتِـهِ ... وَاصْطَكَّـتِ الْأَحْجَارُ فِـي مِخْلَاتِهِ

١٧٣ وَكُلُّهَـا يَطْمَـــعُ فِـي إِسْـدَائِهِ ... مُنْتَقِـــمٌ لِلَّـهِ مِـنْ أَعْدَائِـــهِ

١٧٤ فَنَـــالَ دُاوُدُ بِبَعْضِهِنَّـــــهْ ... جَالُـوتَ إِذْ كَانَـــتْ لَـهُ مَظِنَّـهْ][١٠]

١٧٥ فَأَهْلَـــكَ اللهُ لَــــهُ عَـــدُوَّهْ ... وَفَــــازَ بِالْمُلْـــكِ وَبِالنُّبُـوَّهْ

١٧٦ [وَكَانَ طَالُـــوتُ لَـهُ حَسُـودَا ... فَأَظْفَـــرَ اللهُ بِـــــهِ دَاوُدَا][١١]

١٧٧ وَكَانَ قَـدْ أَسَّـسَ بَيْـتَ الْمَقْـدِسِ ... بُـورِكَ فِـي الْأَسَـاسِ وَالْمُؤَسِّـسِ

١٧٨ وَإِنَّمَـــا تَمَّمَـــهُ سُـلَيْمَانْ ... مِـنْ بَعْـدِهِ حَتَّـىٰ اسـتَقَلَّ الْبُنْيَـانْ

سُلَيمانُ عليه السلام

١٧٩ وَكَانَ قَـدْ وَصَّـــاهُ بِاسْـتِتْمَامِهِ ... دَاوُدُ إِذْ أَشْفَـــىٰ عَلَـىٰ حِمَامِــهِ

١٨٠ وَقَـامَ بِالْمُلْـكِ سُـلَيْمَانُ الْمَلِـكْ ... نَحْـوَ أَرْبَعِيـنَ سَـنَةً حَتَّـىٰ هَلَـكْ

١٨١ وَكَـــانَ مِـنْ أَوْلَادِهِ عِشْـــرُونَا ... مِـنْ بَعْـدِهِ بِالْمُلْـكِ قَائِمُونَـا

١٨٢ ثُـمَّ أَزَالَ الْمُلْـــكَ بُخْتَنَصَّـرُ ... عَنْهُـمْ فَقَـامَ بَعْدَهُـمْ وَقَصَّـرُوا

١٨٣ وَخَـرَّبَ الشَّـقِيُّ بَيْـتَ الْمَقْـدِسِ ... وَكَانَ مَشْـغُوفًا بِقَتْـلِ الْأَنْفُـسِ

١٨٤ وَمَـاتَ بِالرَّمْلَـةِ عَـنْ بَنِينَـــا ... مِـنْ بَعْـــدِهِ بِالْمُلْـكِ قَائِمِينَـا

---

١٠ هذا مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَني إسرائيل، ولا يصِحُّ فيه شيءٌ مَرفوعٌ.

١١ هـذا ممَّـا يُنتَقَـدُ علـىٰ النَّاظـم رَحِمَهُ اللهُ، وهو مِـن افتِـراءاتِ بَني إسـرائيلَ، فـإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ اختـارَ طالوتَ مَلِـكًا علىٰ بَني إسـرائيلَ، ووصَفَـه بالعِلـم والقُـوَّة، وأمَرَهم بالتِـزام أمرِه والجِهـادِ تحـتَ رايَتِه، ومَن كانَ هكَـذا لـم يَجُـز أن يوصَفَ بالحسَـدِ والمَكـرِ لـداوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وافتِراؤُهـم علىٰ طالوتَ ليـسَ بغَريبٍ، فإنَّهـم قـد افتَـرَوا علـىٰ داوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسِـه وعلىٰ غَيـرِه مِن الرُّسُـلِ بمـا هو أعظَـمُ مِن هذا.

مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ

١٨٥ فَقَتَلَ الْأَخِيرَ مِنْ بَنِيهِ ... دَارًا وَصَارَ مُلْكُهُمْ إِلَيْهِ

١٨٦ [وَكَانَ فِي زَمَانِهِ] **أَيُّوبُ** ... الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ الْمُنِيبُ

١٨٧ وَبَعْدَ أَيُّوبَ **ابْنُ مَتَّىٰ يُونُسُ** ... وَفِيهِ لِلَّهِ كِتَابٌ يُدْرَسُ

١٨٨ وَيُونُسٌ وَلَّىٰ فَقَامَ **شَعْيَا** ... فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَا

١٨٩ وَقِيلَ: إِنَّ **الْخِضْرَ** مِنْ إِخْوَانِهِ ... وَإِنَّهُ قَدْ كَانَ فِي زَمَانِهِ

١٩٠ **وَزَكَرِيَّاءُ وَيَحْيَىٰ** الطَّاهِرُ ... قَدْ أَنْذَرَا لَوْ أَغْنَتِ الْمَنَاذِرُ

١٩١ كِلَاهُمَا أُكْرِمَ بِالشَّهَادَهْ ... فَسَعِدَا وَأَيَّمَا سَعَادَهْ

عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

١٩٢ وَكَانَ يَحْيَىٰ أَدْرَكَ ابْنَ مَرْيَمِ ... طِفْلًا صَغِيرًا فِي الزَّمَانِ الْأَقْدَمِ

١٩٣ وَبَعْدَ ذَاكَ مَلَكَ الْإِسْكَنْدَرُ ... وَالِاسْمُ ذُو الْقَرْنَيْنِ فِيمَا يُذْكَرُ

١٩٤ وَكَانَ **عِيسَىٰ** [بَعْدَ ذِي الْقَرْنَيْنِ ... بِنَحْوِ خَمْسِينَ وَمَائَتَيْنِ

١٩٥ يَنْقُصُ حَوْلًا فِي حِسَابِ الرُّومِ ... بِذِكْرِهِ فِي الْخَبَرِ الْمَعْلُومِ][١٢]

١٩٦ وَكَانَ فِي أَيَّامِهِ الْأَشْغَانُونْ ... وَهُمْ مُلُوكٌ لِلْبِلَادِ غَازُونْ

١٩٧ فَجَذَّهُمْ بِالسَّيْفِ أَرْدَشِيرُ ... ثُمَّ ابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَابُورُ

١٩٨ وَانْقَطَعَ الْوَحْيُ وَصَارَ مُلْكَا ... وَأَعْلَنُوا بَعْدَ الْمَسِيحِ الشِّرْكَا

١٩٩ فَخَصَّ بِالطَّوْلِ بَنِي اسْمَاعِيلِ ... أَضَافَهُمْ لِلشَّرَفِ الْجَلِيلِ

٢٠٠ فَلَزِمَتْ مَكَّةَ وَالْبَوَادِيَا ... وَحَلَّتِ الْأَرْيَافَ وَالْحَوَاشِيَا

٢٠١ وَظَهَرَتْ بِالْيَمَنِ التَّبَابِعَهْ ... شِمْرُ بْنُ رِعْشٍ وَمُلُوكٌ خَالِعَهْ

٢٠٢ وَاسْتَوْلَتِ الرُّومُ عَلَى الشَّامَاتِ ... فَآثَرَتْ رَفَاهَةَ الْحَيَاةِ

٢٠٣ وَأَجْمَعَتْ لِلْفُرْسِ أَرْضَ بَابِلِ ... وَقَنَعَتْ بِآجِلٍ مِنْ عَاجِلِ

٢٠٤ فَهَذِهِ جُمْلَةُ أَخْبَارِ الْأُمَمْ ... مَنْقُولَةٌ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمْ

٢٠٥ وَكُلُّ قَوْمٍ لَهُمُ تَكْثِيرُ ... وَقَلَّمَا تُحَصَّلُ الْأُمُورُ

٢٠٦ وَعَمِيَتْ فِي الْفَتْرَةِ الْأَخْبَارُ ... إِلَّا الَّتِي سَارَتْ بِهَا الْأَشْعَارُ

---

١٢ هذا مَأخوذٌ مِن أخبارِ بَنِي إسرائيل، واللهُ أعلَمُ بِصحَّتِه.

٢٠٧ وَالْفُـرْسُ وَالـرُّومُ لَهُـمْ أَيَّـامُ ... يَمْنَـعُ مِـنْ تَفْخِيمِهَـا الْإِسْـلَامُ
٢٠٨ وَإِنَّمَـا يَقْنَـعُ أَهْـلُ الْعَقْـلِ ... بِكُتُـبِ اللهِ وَقَـوْلِ الرُّسْـلِ
٢٠٩ ثُـمَّ أَزَالَ الظُّلْمَـةَ الضِّيَـاءُ ... وَعَـاوَدَتْ جِدَّتَـهَا الْأَشْيَـاءُ
٢١٠ وَدَانَـتِ الشُّعُـوبُ وَالْأَحْيَـاءُ ... وَجَـاءَ مَـا لَيْـسَ بِـهِ خَفَـاءُ
٢١١ أَتَـاهُـمُ الْمُنْتَجَـبُ الْأَوَّاهُ ... مُحَمَّـدٌ صَلَّـىٰ عَلَيْـهِ اللهُ
٢١٢ أَكْـرَمُ خَلْـقِ اللهِ طُـرًّا نَفْسَـا ... وَمَوْلِـدًا وَمَحْتِـدًا وَجِنْسَـا
٢١٣ يَقْضِـي لَهُ بِالشَّـرَفِ الْأَشْـرَافُ ... لَا مِرْيَـةٌ فِيـهِ وَلَا خِـلَافُ
٢١٤ أَقَـامَ فِـي مَكَّتِـهِ سِنِينَـا ... حَتَّـىٰ إِذَا اسْتَكْمَـلَ أَرْبَعِينَـا
٢١٥ أَرْسَلَـهُ اللهُ إِلَـىٰ الْعِبَـادِ ... أَشْـرِفْ بِـهِ مِـنْ مُنْـذِرٍ وَهَـادِ
٢١٦ فَظَـلَّ يَدْعُوهُـمْ ثَـلَاثَ عَشْـرَهْ ... بِمَكَّـةٍ قَبْـلَ حُضُـورِ الْهِجْـرَهْ
٢١٧ ثُـمَّ أَتَـىٰ مَحِلَّـةَ الْأَنْصَـارِ ... فِـي عُصْبَـةٍ مِـنْ قَوْمِـهِ خِيَـارِ
٢١٨ أَوَّلُهُـمْ صَاحِبُـهُ فِـي الْغَـارِ ... أَفْضَـلُ تِلْـكَ الْعُصْبَـةِ الْأَبْـرَارِ
٢١٩ صِدِّيقُهَـا الصَّـادِقُ فِـي مَقَالِـهِ ... الْمُحْسِـنُ الْمُجْمِـلُ فِـي أَفْعَالِـهِ
٢٢٠ وَذَاكَ فِـي شَـهْرِ رَبِيـعِ الْأَوَّلِ ... لِلَيْلَتَيْـنِ بَعْـدَ عَشْـرٍ كُمَّـلِ
٢٢١ فَسُـرَّتِ الْأَنْصَـارُ بِالْمُهَاجِـرَهْ ... وَكُلُّهُـمْ يُؤْثِـرُ دَارَ الْآخِـرَهْ
٢٢٢ وَاحْتَشَـدَتْ لِحَرْبِـهِ الْقَبَائِـلُ ... فَثَبَـتَ الْحَـقُّ وَزَالَ الْبَاطِـلُ
٢٢٣ فَلَـمْ يَـزَلْ فِـي يَثْـرِبٍ مُهَاجِـرَا ... عَشْـرَ سِـنِينَ غَازِيًـا وَنَافِـرَا
٢٢٤ حَتَّـىٰ إِذَا مَـا ظَهَـرَ الْإِيمَـانُ ... وَخَضَعَـتْ لِعِـزِّهِ الْأَوْثَـانُ
٢٢٥ وَبَلَّـغَ الرِّسَـالَةَ الرَّسُـولُ ... وَوَضَـحَ التَّأْوِيـلُ وَالتَّنْزِيـلُ
٢٢٦ وَعُـرِفَ النَّاسِـخُ وَالْمَنْسُـوخُ ... وَكَـانَ مِـنْ هِجْرَتِـهِ التَّأْرِيـخُ
٢٢٧ نَـادَاهُ مَـنْ رَبَّـاهُ فَاسْتَجَابَـا ... مِـنْ بَعْـدِ مَـا اخْتَـارَ لَـهُ أَصْحَابَـا
٢٢٨ عَدَّلَهُـمْ فِـي مُحْكَـمِ الْكِتَـابِ ... لِعَبْـدِهِ وَلِـذَوِي الْأَلْبَـابِ

مُحَمَّدٌ ﷺ

٢٢٩ مِنْ سُورَةِ الْحَشْرِ وَفِي آيَاتِ … مِنَ الْقُرَانِ غَيْرِ مُشْكِلَاتِ

٢٣٠ قَامَ أَبُو بَكْرٍ الَّذِي وَلَّاهُ … أَمْرَ صَلَاةِ النَّاسِ وَارْتَضَاهُ

٢٣١ فَعَاشَ حَوْلَيْنِ وَعَاشَ أَشْهُرَا … ثَلَاثَةً تَزِيدُ ثُلْثًا أَوْفَرَا

٢٣٢ وَمَاتَ فِي شَهْرِ جُمَادَىٰ الْآخِرَهْ … يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ لِسَبْعٍ غَابِرَهْ

٢٣٣ وَكَانَتِ الرِّدَّةُ فِي أَيَّامِهِ … فَصَلُحَ النَّقْضُ عَلَىٰ إِبْرَامِهِ

٢٣٤ وَقَامَ مِنْ بَعْدِ أَبِي بَكْرٍ عُمَرْ … فَبَرَزَتْ أَيَّامُهُ تِلْكَ الْغُرَرْ

٢٣٥ تَضَعْضَعَتْ مِنْهُ مُلُوكُ فَارِسِ … وَخَرَّتِ الرُّومُ عَلَىٰ الْمَعَاطِسِ

٢٣٦ أَسْلَمَ كِسْرَىٰ فَارِسٍ إِيوَانَهُ … وَأَصْبَحَتْ مَفْرُوسَةً فُرْسَانُهُ

٢٣٧ وَأَجْلَتِ الرُّومُ عَنِ الشَّآمِ … وَأَدْبَرَتْ مَخَافَةَ الْإِسْلَامِ

٢٣٨ وَدَانَتِ الْأَقْطَارُ لِلْفَارُوقِ … وَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ الضِّيقِ

٢٣٩ وَوَهَبَ اللهُ لَهُ الشَّهَادَهْ … خَاتِمَةً دَلَّتْ عَلَىٰ السَّعَادَهْ

٢٤٠ وَذَاكَ مِنْ بَعْدِ سِنِينَ عَشْرِ … وَشَطْرِ حَوْلٍ يَا لَهُ مِنْ شَطْرِ

٢٤١ وَقَامَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الرِّضَا … بِالْأَمْرِ ثِنْتَيْ عَشْرَةٍ ثُمَّ مَضَىٰ

٢٤٢ مُسْتَشْهِدًا عَلَىٰ طَرِيقِ الْحَقِّ … لَمْ يَثْنِهِ عَنْهُ بَنَاتُ الطُّرْقِ

٢٤٣ وَفُوِّضَ الْأَمْرُ إِلَىٰ عَلِيِّ … الْهَاشِمِيِّ الْفَاضِلِ الزَّكِيِّ

٢٤٤ فَقَامَ بِالْأَمْرِ سِنِينَ أَرْبَعَا … وَتِسْعَةً مِنَ الشُّهُورِ شَرَّعَا

٢٤٥ ثُمَّ مَضَىٰ مُسْتَشْهِدًا مَحْمُودَا … عَاشَ حَمِيدًا وَمَضَىٰ مَفْقُودَا

٢٤٦ وَكَانَ هَذَا عَامَ أَرْبَعِينَا … مِنْهَا انْقَضَتْ مِنْ عِدَّةِ السِّنِينَا

٢٤٧ وَانْتَقَلَ الْأَمْرُ عَنِ الْمَدِينَهْ … وَكَانَ حَقًّا مَا رَوَىٰ سَفِينَهْ

٢٤٨ عَنِ النَّبِيِّ فِي وُلَاةِ الْأُمَّهْ … مِنَ الْمُلُوكِ وَمِنَ الْأَئِمَّهْ

٢٤٩ ثُمَّ تَوَلَّىٰ أَمْرَهُمْ مُعَاوِيَهْ … فَعَاشَ عَشْرًا بَعْدَ عَشْرٍ خَالِيَهْ

٢٥٠ حَتَّىٰ إِذَا أَوْفَاهُمُ عِشْرِينَا … مَاتَ مِنَ التَّارِيخِ فِي سِتِّينَا

خُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ

٢٥١ وَمَلَـكَ الْأَمْـرَ ابْنُـهُ يَزِيـدُ ... لَا حَـازِمُ الـرَّأْيِ وَلَا رَشِـيدُ
٢٥٢ وَقُتِـلَ الْحُسَـيْنُ فِـي زَمَانِـهِ ... أَعُـوذُ بِالرَّحْمَـنُ مِـنْ خُذْلَانِـهِ
٢٥٣ وَإِنَّمَـا عَـاشَ ثَـلَاثَ حِجَـجِ ... وَأَشْـهُرًا مِـنْ بَعْـدِ حَمْـلِ الْمَخْرَجِ
٢٥٤ ثُـمَّ ابْنُـهُ مُعَيَّـةُ الْمُضَعَّـفُ ... كَـانَ لَـهُ دِيـنٌ وَعَقْـلٌ يُعْـرَفُ
٢٥٥ فَـدَامَ شَـهْرًا ثُـمَّ نِصْـفَ شَـهْرِ ... وَجَـاءَهُ الْمَـوْتُ عَزِيـزَ الْأَمْـرِ
٢٥٦ وَتَـرَكَ النَّـاسَ بِغَيْـرِ عَهْـدِ ... تَوَقِّيًـا مِنْـهُ وَفَضْـلَ زُهْـدِ
٢٥٧ وَفُـوِّضَ الْأَمْـرُ إِلَـىٰ مَـرْوَانِ ... بَعْـدَ يَزِيـدَ وَهُـوَ شَـيْخٌ فَـانِ
٢٥٨ فَقَتَـلَ الضَّحَّـاكَ فِـي ذِي الْقِعْـدَهْ ... بِرَاهِـطٍ ثُـمَّ اسْتَمَـالَ جُنْـدَهْ
٢٥٩ وَلَـمْ يَعِـشْ إِلَّا شُـهُورًا عَشْـرَهْ ... وَلَيْـسَ شَـيْءٌ يَتَعَـدَّىٰ قَـدْرَهْ
٢٦٠ وَلَـمْ يَـزَلْ إِبْـنُ الزُّبَيْـرِ بَعْـدَهُ ... تِسْـعَ سِـنِينَ لَيْـسَ يَأْلُـو جُهْـدَهُ
٢٦١ مُعْتَصِمًـا بِالْكَعْبَـةِ الْحَـرَامِ ... مُمْتَنِعًـا مِـنْ إِمْـرَةِ الشَّـآمِ
٢٦٢ حَتَّـىٰ تَوَلَّـىٰ قَتْلَـهُ الْحَجَّـاجُ ... مِـنْ بَعْـدِ مَـا ضَاقَـتْ بِـهِ الْفِجَـاجُ
٢٦٣ وَكَـانَ هَـدْمُ الْكَعْبَـةِ الْمَصُونَـهْ ... وَوَقْعَـةُ الْحَـرَّةِ بِالْمَدِينَـهْ
٢٦٤ وَقَـامَ عَبْـدُ الْمُلْـكِ بْـنُ مَـرْوَانْ ... مُسْـتَنْهِضًا لِلْحَـرْبِ غَيْـرَ وَسْـنَانْ
٢٦٥ حَتَّـىٰ إِذَا دَانَـتْ لَـهُ الْآفَـاقُ ... وَأَقْفَـرَتْ مِـنْ مُصْعَـبَ الْعِـرَاقُ
٢٦٦ وَمِـنْ أَخِيـهِ الْبَلَـدُ الْحَـرَامُ ... وَخَـافَ مِـنْ سَطْوَتِـهِ الْأَنَـامُ
٢٦٧ مَـاتَ وَقَـدْ عَـاشَ ثَـلَاثَ عَشْـرَهْ ... وَأَشْهُـرًا أَرْبَعَـةً بِالْإِمْـرَهْ
٢٦٨ وَمَلَـكَ النَّـاسَ ابْنُـهُ الْوَلِيـدُ ... وَعِنْـدَهُ الْأَمْـوَالُ وَالْجُنُـودُ
٢٦٩ سَـبْعَ سِـنِينَ بَعْدَهَـا ثَمَانِيَـهْ ... كَامِلَـةً مِـنَ الشُّـهُورِ وَافِيَـهْ
٢٧٠ ثُـمَّ سُـلَيْمَانُ بْـنُ عَبْـدِ الْمَلِـكِ ... اخْتِيـرَ لِلْعَهْـدِ وَلَمَّـا يَتْـرُكِ
٢٧١ فَعَـاشَ حَوْلَيْـنَ وَثُلْـثَ حَـوْلِ ... ثُـمَّ أَتَـىٰ دَابِـقِ مُرْخَـىٰ الذَّيْـلِ
٢٧٢ فَمَاتَ وَاسْتَوْلَىٰ عَلَـىٰ الْأَمْرِ عُمَرْ ... بِسِـيرَةٍ مَحْمُـودَةٍ بَيْـنَ السِّـيَرْ

خُلَفَاءُ بَنِي الْعَبَّاسِ

٢٧٣ فَعَـاشَ عَامَيْـنِ وَنِصْـفَ عَـامِ ... بِدَيْـرِ سَـمْعَانَ سِـوَىٰ الْأَيَّـامِ
٢٧٤ ثُـمَّ تَوَلَّـىٰ أَمْرَهُـمْ **يَزِيـدُ** ... وَاللهُ فَعَّـالٌ لِمَـا يُرِيـدُ
٢٧٥ وَهُـوَ مِـنْ أَوْلَادِ عَبْـدِ الْمَلِـكِ ... ثَالِثُهُـمْ فِـي عَهْـدِهِ الْمُشْـتَرِكِ
٢٧٦ فَعَـاشَ حَوْلَيْـنِ إِلَـىٰ حَوْلَيْـنِ ... تَزِيـدُ أَشْـهُرًا قَرِيـرَ الْعَيْـنِ
٢٧٧ ثُـمَّ تَوَلَّـىٰ بَعْـدَهُ **هِشَـامُ** ... أَخُـوهُ فَامْتَـدَّتْ لَـهُ الْأَيَّـامُ
٢٧٨ فَلَـمْ يَـزَلْ عِشْـرِينَ عَامًـا وَالِيَـا ... إِلَّا شُهُـورًا خَمْسَـةً بَوَاقِيَـا
٢٧٩ ثُـمَّ **الْوَلِيـدُ بْـنُ يَزِيـدَ** الْغَافِـلُ ... تَعَاوَرَتْـهُ الْأُسْـدُ الْبَوَاسِـلُ
٢٨٠ مِـنْ بَعْـدِ شَـهْرَيْنِ وَبَعْـدَ عَـامِ ... وَبَعْـدَ عِشْـرِينَ مِـنَ الْأَيَّـامِ
٢٨١ وَنَصَـبَ الْحَـرْبَ لَـهُ ابْـنُ عَمِّـهِ ... مُسْتَنْكِـرًا سِيـرَتَهُ بِزَعْمِـهِ
٢٨٢ فَقُتِـلَ الْوَلِيـدُ بِالْبَخْـرَاءِ ... مِـنْ بَعْـدِ أَنْ أَثْخَـنَ بِالْأَعْـدَاءِ
٢٨٣ ثُـمَّ **يَزِيـدُ بْـنُ الْوَلِيـدِ** النَّاقِـصُ ... عَافَصَـهُ الْحَيْـنُ الَّـذِي يُعَافِـصُ
٢٨٤ فَلَـمْ يَعِـشْ إِلَّا شُـهُورًا سِـتَّةْ ... حَتَّـىٰ أَزَالَتْـهُ الْمَنَايَـا بَغْتَـهْ
٢٨٥ وَبَايَعُـوا **مَـرْوَانَ** أَجْمَعِينَـا ... فَكَـانَ حِصْنًـا لَهُـمُ حَصِينَـا
٢٨٦ وَلَـمْ يَـزَلْ خَمْـسَ سِنِينَ وَافِيَـهْ ... يَمْلِكُهُـمْ وَأَشْـهُرًا ثَمَانِيَـهْ
٢٨٧ حَتَّـىٰ أَتَـىٰ اللهُ وَلِـيُّ النِّعْمَـهْ ... بِالْحَـقِّ مِنْـهُ رَأْفَـةً وَرَحْمَـهْ
٢٨٨ وَاخْتَـارَ لِلنَّـاسِ **أَبَـا الْعَبَّـاسِ** ... مِـنْ أَنْجَـدِ النَّـاسِ خِيَـارِ النَّـاسِ
٢٨٩ آلِ النَّبِـيِّ مِـنْ بَنِـي الْعَبَّـاسِ ... أَئِمَّـةٍ أَفَاضِـلٍ أَكْيَـاسِ
٢٩٠ فَعَـادَ نَصْـلُ الْمُلْـكِ فِـي قِرَابِـهِ ... وَرَجَـعَ الْحَـقُّ إِلَـىٰ أَصْحَابِـهِ
٢٩١ ثُـمَّ رَقَـىٰ الْمِنْبَـرَ يَـوْمَ الْجُمْعَـهْ ... فِـي مَسْـجِدِ الْكُوفَـةِ يُـذْرِي دَمْعَهْ
٢٩٢ فَقَـامَ فِـي الدِّيـنِ قِيَـامَ مِثْلِـهِ ... بِرَأْيِـهِ الْمَيْمُـونِ حَسْـبَ فِعْلِـهِ
٢٩٣ وَمَـاتَ بَعْـدَ أَرْبَـعٍ كَوَامِـلِ ... وَسَـبْعَةٍ مِـنْ أَشْـهُرٍ فَوَاضِـلِ
٢٩٤ وَقَـامَ بِالْخِلَافَـةِ **الْمَنْصُـورُ** ... فَاسْتَوْسَقَـتْ بِعَزْمِـهِ الْأُمُـورُ

٢٩٥	فَعَـاشَ ثِنْتَيْـنِ وَعِشْـرِينَ سَـنَهْ	يَحْمِي حِمَىٰ الْمُلْكِ وَيُفْنِي الْخَوَنَهْ
٢٩٦	ثُـمَّ تُوُفِّـي مُحْرِمًـا بِمَكَّـهْ	فَـوَرِثَ **الْمَهْـدِيُّ** عَنْـهُ مُلْكَـهْ
٢٩٧	فَعَـاشَ عَشْـرَ حِجَـجٍ وَشَـهْرَا	وَنِصْـفَ شَـهْرٍ ثُـمَّ زَارَ الْقَبْـرَا
٢٩٨	وَاسْـتَخْلَفَ **الْهَـادِيَ مُوسَىٰ** بَعْدَهُ	وَكَـانَ قَـدْ وَلَّاهُ قَبْـلُ عَهْـدَهُ
٢٩٩	وَعَـاشَ مُوسَـىٰ سَـنَةً وَشَـهْرَيْنْ	تَنْقُـصُ يَوْمًـا وَاحِـدًا أَوِ اثْنَيْـنْ
٣٠٠	وَقَـامَ بِالْخِلَافَـةِ **الرَّشِـيدُ**	الْمَلِـكُ الْمُمَنَّـعُ السَّـعِيدُ
٣٠١	فَعَـاشَ عِشْـرِينَ وَوَفَّـىٰ عَدَّهَـا	وَعَـاشَ عَامَيْـنِ وَعَامًـا بَعْدَهَـا
٣٠٢	وَنِصْـفَ شَـهْرٍ ثُـمَّ وَافَـاهُ الْأَجَـلْ	بِطُـوسَ يَوْمَ السَّـبْتِ فَانْهَـدَّ الْجَبَلْ
٣٠٣	وَبَايَعُـوا **مُحَمَّـدَ الْأَمِينَـا**	وَنَكَثُـوا الْبَيْعَـةَ أَجْمَعِينَـا
٣٠٤	إِلَّا قَلِيـلًا وَالْقَلِيـلُ أَحْمَـدُ	وَالْمَـوْتُ لِلنَّـاسِ جَمِيعًا مَوْعِـدُ
٣٠٥	فَأَمَّنُـوهُ ثُـمَّ قَتَلُـوهُ	مَـا هَكَـذَا عَاهَدَهُـمْ أَبُـوهُ
٣٠٦	مَـا عَـاشَ إِلَّا أَرْبَعًـا وَأَشْـهُرَا	حَتَّـىٰ تَهَـادَوْا رَأْسَـهُ مُعَفَّـرَا
٣٠٧	وَبَايَعُـوا **الْمَأْمُـونَ عَبْـدَ اللهِ**	فَبَايَعُـوا يَقْظَـانَ غَيْـرَ سَـاهِ
٣٠٨	وَفَّـاهُمُ خِلَافَـةَ الْمَنْصُـورِ	فِـي عَـدَدِ السِّـنِينَ وَالشُّـهُورِ
٣٠٩	ثُـمَّ أَتَـىٰ الـرُّومَ فَمَـاتَ غَازِيَـا	كَانَ الْبَذَنْـدَوْنَ الْمَحَـلَّ الْقَاصِيَـا
٣١٠	وَقُلِّـدَ الْأَمْـرَ **أَبُـو إِسْحَـاقِ**	فَانْقَـضَّ كَالصَّقْـرِ عَلَـىٰ الْعِـرَاقِ
٣١١	مُعْتَصِمًـا بِـاللهِ غَيْـرَ غَافِـلِ	فَأَيَّـدَ الْأَمْـرَ بِـرَأْيٍ فَاضِـلِ
٣١٢	وَقَـامَ فِيهِـمْ حِجَجًـا ثَمَانِيَـا	وَمِثْلَهَـا مِـنَ الشُّـهُورِ بَاقِيَـا
٣١٣	وَنَحْـوَ عِشْـرِينَ مِـنَ الْأَيَّـامِ	وَخَمْـسٍ اَدْنَتْـهُ مِـنَ الْحِمَـامِ
٣١٤	وَمَـاتَ فِـي شَـهْرِ رَبِيـعِ الْأَوَّلِ	وَعُمْـرُهُ خَمْسُـونَ لَـمْ يَسْـتَكْمِلِ
٣١٥	فَبَايَعُـوا مِـنْ بَعْـدِهِ **لِلْوَاثِـقِ**	وَكَـانَ ذَاكَ بِالْقَضَـاءِ السَّـابِقِ
٣١٦	وَلَـمْ يَـزَلْ فِـي بَسْـطَةٍ وَمَنَعَـهْ	خَمْـسَ سِـنِينَ وَشُـهُورًا تِسَـعَهْ

٣١٧ وَزَادَ أَيَّامًا عَلَيْهَا خَمْسَهْ ... مَعْدُودَةً ثُمَّ تَوَارَىٰ رَمْسَهْ

٣١٨ وَبَايَعَ النَّاسُ الْإِمَامَ **جَعْفَرَا** ... خَلِيفَةَ اللهِ الْأَغَرَّ الْأَزْهَرَا

٣١٩ بَعْدَ ثَلَاثِينَ وَمِيتَيْ عَامِ ... وَبَعْدَ حَوْلَيْنِ سِوَىٰ الْأَيَّامِ

٣٢٠ خَلَتْ مِنَ الْهِجْرَةِ فِي الْحِسَابِ ... فِي الْعَرَبِيِّ الْمُحْكَمِ الصَّوَابِ

٣٢١ لِسِتَّةٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّهْ ... فَأَوْضَحَ السَّبِيلَ وَالْمَحَجَّهْ

٣٢٢ وَقَامَ فِي النَّاسِ لَهُمْ خَلِيفَهْ ... خِلَافَةً مُنِيفَةً شَرِيفَهْ

٣٢٣ قَدْ سَكَّنَ اللهُ بِهِ الْأَطْرَافَا ... فَمَا تَرَىٰ فِي مُلْكِهِ خِلَافَا

٣٢٤ أَقَامَ عَشْرًا ثُمَّ خَمْسًا بَعْدَهَا ... مِنَ السِّنِينَ فَأَبَانَ مَجْدَهَا

٣٢٥ ثُمَّ تَوَلَّىٰ قَتْلَهُ الْفَرَاغِنَهْ ... وَسَاعَدَتْهُم عُصْبَةٌ فَرَاعِنَهْ

٣٢٦ لِأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّالِ ... فَأَصْبَحَ الْمُلْكُ أَخَا اخْتِلَالِ

٣٢٧ وَبَايَعُوا مِنْ بَعْدِهِ **لِلْمُنْتَصِرْ** ... فَأَصْبَحَ الرَّابِحُ مِنْهُمْ قَدْ خَسِرْ

٣٢٨ فَعَاشَ فِي السُّلْطَانُ سِتَّةَ اَشْهُرِ ... أَخْرَجَهُمْ مِنْ مُلْكِهِ وَالْعَسْكَرِ

٣٢٩ ثُمَّ أَتَاهُ بَغْتَةً حِمَامُهُ ... سُبْحَانَ مَنْ يُعَاجِلُ انْتِقَامُهُ

٣٣٠ فَانْتَخَبَ اللهُ لَهُمْ إِمَامَا ... يُؤَيِّدُ اللهُ بِهِ الْإِسلَامَا

٣٣١ وَبَايَعُوا بَعْدَ **الرِّضَا لِأَحْمَدِ** ... **الْمُسْتَعِينِ** بِالْإِلَهِ الْأَوْحَدِ

٣٣٢ وَكَانَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ وُلَاتِهَا ... مِنْ آلِ عَبَّاسٍ وَمِنْ حُمَاتِهَا

٣٣٣ فَنَحْنُ فِي خِلَافَةٍ مُبَارَكَهْ ... خَلَتْ عَنِ الْإِضْرَارِ وَالْمُشَارَكَهْ

٣٣٤ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَىٰ إِنْعَامِهِ ... جَمِيعُ هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَحْكَامِهِ

٣٣٥ ثُمَّ السَّلَامُ أَوَّلًا وَآخِرَا ... عَلَىٰ النَّبِيِّ بَاطِنًا وَظَاهِرَا

الكتاب الخامس:

«الْقِيَامَةِ وَأَشْرَاطِهَا»

إعدادِ الفقير إلى عفو ربِّه:

هيثم بن محمَّد سرحان

المُدرِّس بمعهد الحرم بالمسجد النَّبويِّ -سابقًا-

والمُشرِف على معهد السُّنَّة

مُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ، أمَّا بعد؛ فإنَّ الإيمانَ باليومِ الآخر أصلٌ عظيمٌ من أصول الإيمان، لا يَصِحُّ الإيمانُ إلَّا به، إذ به يستحضر المؤمنُ حقيقةَ المصير، فيعمل لما بعد الموت، ويَزهد في الدُّنيا الفانية، ويرجو ثواب ربِّه، ويخشىٰ أليم عقابه.

وقد تضافرت نصوصُ الكتاب والسُّنَّة في بيان شأن يوم القيامة، وذكر أهواله، والتَّحذير ممَّا قبله، والدَّلالة علىٰ ما بعده من نعيمٍ مُقيمٍ أو عذابٍ أليم، ومن هذا المُنطلق جاءت هذه الرِّسالة المُختصرة لتقريب معاني اليوم الآخر إلىٰ القارئ بأسلوبٍ مُيسَّرٍ، مع الالتزام بما ثبت في نصوص الوحيين، دون خوضٍ في الغيب بغير علمٍ، ولا توسُّعٍ فيما لا دليل عليه.

نسأل الله الحيَّ القيُّوم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن ينفع به القارئ والكاتب والمُساعد، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ محمَّدٍ النَّبيِّ الأمِّيِّ، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقِيَامَةِ وَأَشْرَاطِهَا

يتلخَّصُ مُعتَقَدُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعَةِ في القيامة وأشراطها في النِّقاطِ الآتيَةِ:

١) نُؤمِنُ باليومِ الآخرِ إيمانًا جازمًا، وهو يومُ القيامةِ الَّذي يبعثُ اللهُ فيه الخلائقَ للحسابِ والجزاءِ، قال تعالىٰ: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾[البقرة].

٢) نُؤمِنُ بأنَّ للقيامة أشراطًا وعلاماتٍ تسبقُ قيامَها، أخبرَ بها اللهُ في كتابِه، وبيَّنها رسولُه ﷺ في سنَّته.

٣) نُؤمِنُ بأنَّ أشراطَ السَّاعةِ منها صُغرىٰ، ومنها كُبرىٰ، وأنَّ الصُّغرىٰ تتقدَّم الكبرىٰ، وقد وقع كثيرٌ منها، ولا يزال بعضها يتتابع.

٤) نُؤمِنُ بأنَّ من أشراطِ السَّاعةِ الصغرىٰ: بعثةَ النَّبيِّ ﷺ، وكثرةَ الفتنِ، وظهورَ الفسادِ، وتضييعَ الأمانةِ، وتقاربَ الزَّمانِ، وكثرةَ القتلِ، وانشغالَ النَّاسِ بالدُّنيا.

٥) نُؤمِنُ بأنَّ أشراطَ السَّاعةِ الكبرىٰ حقٌّ ثابتٌ؛ كخروجِ المسيحِ الدَّجَّال، ونزولِ عيسىٰ ابنِ مريم عليه السلام، وخروجِ يأجوجَ ومأجوج، وطلوعِ الشَّمسِ من مغربِها، والدَّابَّةِ، والدُّخانِ، والنَّارِ الَّتي تحشرُ النَّاسَ.

٦) نُؤمِنُ أنَّ هذه الأشراطَ تقعُ علىٰ الحقيقةِ لا علىٰ المجازِ، ولا يجوز تأويلُها أو صرفُها عن ظاهرِها بغير دليل صحيح.

٧) نُؤمِنُ أنَّ علمَ وقتِ السَّاعةِ مُختَصٌّ بالله تعالىٰ، لا يعلمه نبيٌّ مُرسلٌ ولا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[لقمان:٣٤].

٨) نُؤمِنُ بأنَّ الإيمانَ بأشراطِ السَّاعةِ يزيدُ العبدَ استعدادًا للقاءِ اللهِ، وخوفًا من الفتنِ، وحثًّا علىٰ الثَّباتِ والعملِ الصَّالح.

٩) نلتزمُ في بابِ أشراطِ السَّاعةِ بإثباتِ ما صحَّ، وتركِ التَّكلُّفِ، وعدمِ الجزمِ بما لم يرد به نصٌّ صحيحٌ.

١٠) نُؤمِنُ بأنَّ الإيمانَ باليوم الآخرِ ركنٌ من أركانِ الإيمانِ، لا يصحُّ إيمانُ عبدٍ إلَّا به، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ

ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾[النِّساء].

١١) نُؤمِنُ بالموتِ، وأنَّه حقٌّ علىٰ كلِّ نفسٍ، وبما بعده من فتنةِ القبر، وسؤالِ المَلَكَيْنِ، ونعيمِ القبرِ أو عذابِه، كما دلَّ عليه الكتابُ والسُّنَّةُ.

١٢) نُؤمِنُ بالبعثِ بعدَ الموتِ بعثًا حقيقيًّا للأجسادِ والأرواحِ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾[يس].

١٣) نُؤمِنُ بالحشرِ، وأنَّ النَّاسَ يُحشرون حفاةً عُراةً غُرلًا، ويقفون بين يدي اللهِ للحسابِ، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[مريم].

١٤) نُؤمِنُ بالميزانِ الحقيقيِّ الَّذي يُنصَب يوم القيامة، وأنَّه ميزانٌ له كفَّتان، توزنُ فيه الأعمالُ، وصحفُها، وأصحابُها.

١٥) نُؤمِنُ بالكتبِ الَّتي تُحصي أعمال العباد، وأنَّ كلَّ مُؤمنٍ يُعطىٰ كتابَه بيمينه، وكلَّ كافرٍ يُعطىٰ كتابه بشماله من وراء ظهره، ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾[الإسراء:٧١]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾[الحاقَّة:٢٥]، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾[الانشقاق].

١٦) نُؤمِنُ بالحوضِ الموردِ لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، يشرب منه المؤمنون من أمَّته، ماؤه أشدُّ بياضًا من اللَّبن، وأحلىٰ من العسل، من شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا.

١٧) نُؤمِنُ بالصِّراطِ المنصوبِ علىٰ متنِ جهنم، يمرُّ عليه النَّاسُ علىٰ قدرِ أعمالهم، فمنهم من ينجو، ومنهم من يسقط.

١٨) نُؤمِنُ بالشَّفاعةِ الثَّابتةِ بالكتابِ والسُّنَّةِ، ونُثبتُ منها ما أثبته اللهُ ورسولُه ﷺ، وننفي ما نفاه اللهُ ورسولُه ﷺ.

١٩) نُؤمِنُ بالجنَّةِ والنَّارِ، وأنَّهما مخلوقتان موجودتان الآن، لا تفنيان ولا تبيدان، وأنَّ الجنةَ دارُ النَّعيمِ، والنَّارَ دارُ العذابِ.

٢٠) نُؤمِنُ أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يومَ القيامةِ رؤيةً حقيقيَّةً بلا كيفٍ ولا إحاطةٍ، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة].

يَـوْمُ الْقِيَـامَـةِ وَمُقَدِّمَـاتُهُ

يـومُ القيامـةِ هو اليـومُ العظيمُ الَّـذي يُقيـمُ اللهُ فيه الخلقَ لـربِّ العالمين، ويُحاسَـبُ فيـه العبـادُ علـىٰ أعمالهـم، ويظهـر فيه تمـامُ العـدل الإلهـيِّ، وتُجزىٰ كلُّ نفسٍ بما كسبت، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شـرًّا فشـرٌّ.

ويُسـمَّىٰ في اللُّغـةِ يـومَ القيامـة مـن القيـام، وهـو النُّهـوض والارتفاع، وذلـك لقيام النَّـاس مـن قبورهم لربِّ العالمين؛ كما قال تعالـىٰ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المُطفِّفيـن]، وأمَّـا في الاصطلاح الشَّـرعيِّ، فهو: اليـومُ الَّذي يُبعَثُ فيـه الخلقُ بعد المـوت، ويُحشَـرون للحسـاب والجزاءِ، وتُقـامُ فيه موازيـن العدل، ويصيـر النَّاس إلـىٰ الجنَّـة أو النَّار بحسـب إيمانهـم وما لهم من الحسـنات والسَّـيِّئات.

وقـد أخـبر الله تعالـىٰ ورسـولُه ﷺ عـن هـذا اليـوم، ومـا يسـبقه مـن الأحـداث والآيـات، رحمـةً بالعبـاد، وإنـذارًا لهـم، وتنبيهًـا للغافليـن؛ فذكـر أشـراطَ السَّـاعة وعلاماتهـا الَّتـي تـدلُّ علـىٰ قُـرب وقوعِهـا.

والأشـراط جمـع شَـرَطٍ، وهـو في اللُّغـة: العلامـة، ومنـه قولهـم: أشـرطَ الشَّـيءَ إذا جعلـه ذا علامـةٍ، والأمـارات جمع أمـارةٍ، وهـي في اللُّغة: ما يُسـتَدلُّ به علـىٰ غيره، وتُطلـق الأشـراط والأمـارات في الاصطـلاح الشَّـرعيِّ علـىٰ: العلامات الَّتـي تظهر قبـل قيـام السَّـاعة، وتدلُّ علـىٰ قُربهـا، وتكون آيـاتٍ تنبيهيَّـةً علىٰ دُنُـوِّ نهايـة الدُّنيا.

وأشـراطُ السَّـاعة مـن أمـور الغيب الَّتي لا سـبيل إلـىٰ معرفتهـا بالعقـل أو التَّجربة، وإنَّمـا يُتلقَّـىٰ العلـم بهـا مـن الوحـي؛ كتـاب الله تعالىٰ وسُـنَّة نبيِّـه ﷺ، قـال تعالـىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ١٨٧﴾ [الأعـراف]، وقـال: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ٤٥ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ ضُحَىٰهَا ٤٦﴾ [النَّازعـات]، فالعلـم بوقـت حدوثهـا، وبتفاصيـل علاماتها مـردُّه إلىٰ النُّصـوص الصَّحيحة، لا إلـىٰ الظُّنـون والتَّخمينات.

أقسام أشراط السَّاعة باعتبار قُربها من القيامة وعِظَم شأنها:

القسم الأوَّل: الأشراط الصُّغرى

وهي العلامات الَّتي تتقدَّم قيام السَّاعة بزمنٍ طويل، وقد وقع كثيرٌ منها، ولا يزال بعضها يتجدَّد ويتكرَّر، وغالبها من الأمور المُعتادة الَّتي يألفها النَّاس، لكنَّها إذا اجتمعت دلَّت علىٰ فساد الزَّمان وقُرب نهاية الدُّنيا، ومن أمثلتها: قبضُ العلم، وظهورُ الجهل، وكثرة الفتن، وشربُ الخمر، وانتشارُ المعازف، والتَّطاولُ في البُنيان، وغير ذلك ممَّا صحَّ به الخبر في النُّصوص الشَّرعيَّة.

القسم الثَّاني: الأشراط الكبرى

هي الأمور العِظام، والآيات الجِسام، الَّتي تظهر قُبيل قيام السَّاعة، وهي غير مُعتادة الوقوع، وإذا ظهرت تتابعت، ودلَّت دلالةً قاطعةً علىٰ قُرب انقضاء الدُّنيا وانتهاء زمن التَّكليف، ولم يَرِد في نصٍّ صحيح تحديدُ عددها علىٰ وجه الجزم، ولا ترتيبُها ترتيبًا صريحًا لا خلاف فيه، إلَّا أنَّ النُّصوص دلَّت علىٰ عِظم شأنها وخطرها، وأنَّها إذا بدأت لم يُمهَل النَّاس بعدها إلَّا قليلًا.

سَبَبُ دِرَاسَةِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ:

- تصديق ما أخبر الله به ورسوله ﷺ من الغيب.
- تحقيق ركن الإيمان باليوم الآخر.
- أنَّ هذه الأشراط من دلائل نُبوَّة النَّبيِّ ﷺ.
- إرشادُ المُوحِّد عند الفتن والنَّوازل المُدلهمَّة.
- حمل النُّفوس علىٰ الاستعداد للقاء الله عَزَّوَجَلَّ.
- الزَّجر عن الاغترار بالدُّنيا وطول الأمل.

مِـنْ أَسْـمَـاءِ يَـوْمِ الْقِيَـامَـةِ

تعـدَّدت أسـماء يـوم القيامـة في القـرآن، وتنوَّعـت أوصافه؛ وكلُّ اسـمٍ من الأسـماء يـدلُّ علـىٰ معنًـىٰ خاصٍّ، ويكشـف جانبًـا من أهوال هـذا اليـوم العظيم، ومشـاهدِه الَّتـي تكـون فيـه، وما يقـع فيه من حسـابٍ وجـزاءٍ، وهـذا التَّعـدُّد في الأسـماء ليس مـن بـاب التَّـرادُفِ المُجـرَّد؛ بل من بـاب تنوُّع الـدَّلالات.

سُمِّيَ يَومُ القيامَةِ بهذا الاسمِ:

- **لـقيَامِ النَّاسِ:** ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[المُطفِّفين:٦].
- **لـقيَامِ الأشْهادِ:** ﴿وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].
- **لوَضعِ الـمَوازينِ:** ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[الأنبياء:٤٧].

ونذكر من بين هذه الأسماء ما يلي:

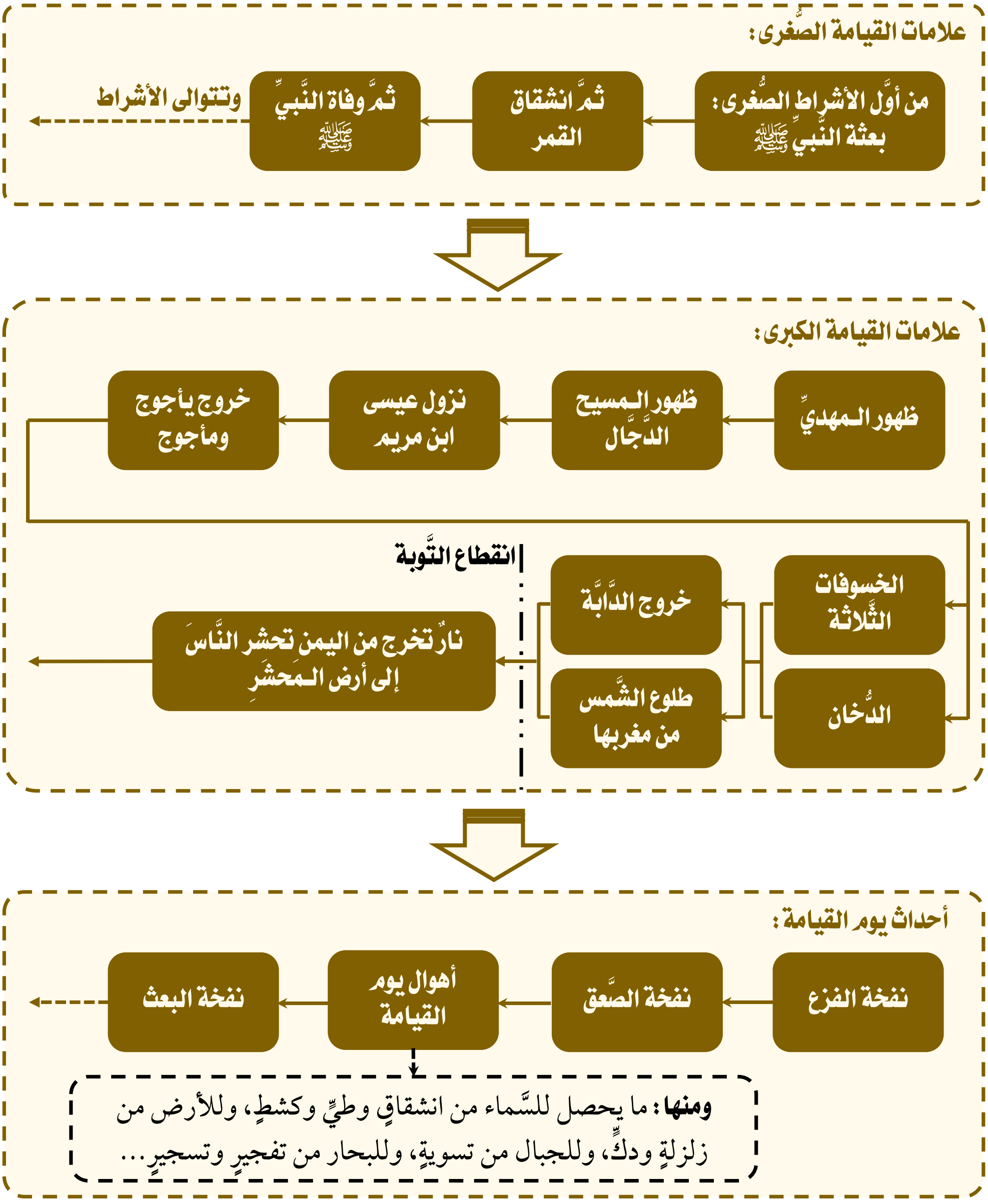
(١)	**السَّاعة:**	﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا﴾[غافر:٥٩].
(٢)	**يومُ البعثِ:**	﴿لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ﴾[الرُّوم: ٥٦].
(٣)	**يومُ الدِّينِ:**	﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾[الفاتحة].
(٤)	**يومُ الحسرةِ:**	﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾[مريم: ٣٩].
(٥)	**الدَّارُ الآخرةِ:**	﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾[العنكبوت:٦٤].
(٦)	**يومُ التَّنادِ:**	﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾[غافر].

(٧)	يومُ الفصلِ:	﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾[الصَّافَّات].
(٨)	يومُ الجَمعِ:	﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾[الشُّورى:٧].
(٩)	يومُ الحسابِ:	﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾[ص].
(١٠)	يومُ الوعيدِ:	﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾[ق].
(١١)	يومُ الخلودِ:	﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾[ق].
(١٢)	يومُ الخروجِ:	﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾[ق].
(١٣)	الواقعةُ:	﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾[الواقعة].
(١٤)	الحاقَّةُ:	﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾﴾[الحاقَّة].
(١٥)	الطَّامَّةُ الكبرى:	﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾[النازعات].
(١٦)	الصَّاخَّةُ:	﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾[عبس].
(١٧)	الآزِفَةُ:	﴿أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾﴾[النجم].
(١٨)	القارعةُ:	﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾﴾[القارعة].

الْفَرْقُ بَيْنَ الْأَشْرَاطِ الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى

أشراط السَّاعة الصُّغرى	أشراط السَّاعة الكبرى
علاماتٌ تسبق قيام السَّاعة بزمنٍ طويلٍ أو قريبٍ، وتكون تمهيدًا لها.	آياتٌ عظيمةٌ جِسامٌ تسبق قيام السَّاعة مُباشرةً.
تمتدُّ علىٰ مدَّةٍ طويلةٍ، يتخلَّلها تراخٍ وتأخُّرٌ.	تقع في زمنٍ قصيرٍ مُتتابعٍ قُبَيل القيامة.
لا يلزم أن تكون مُتتابعةً، وقد تقع مُتفرِّقةً.	تتتابع عند ظهورها تتابعًا سريعًا.
وقع كثيرٌ منها، ولا يزال بعضها يتكرَّر.	لم يقع شيءٌ منها بعد (إلَّا ما حصل الخلاف فيه).
قد تقع في مكانٍ دون آخرَ، أو في قومٍ دون قوم.	تعمُّ العالم كلَّه، وتُؤثِّر في نظام الكون كلِّه.
غالبها أحداثٌ مَألوفةٌ في أصلها، والعلامة كثرة وقوعها.	أحداثٌ خارقةٌ عظيمةٌ غير مألوفةٍ.
النَّاس فيها في دار امتحانٍ، والتَّوبة مَقبولةٌ.	عند ظهورها يوشك زمن الامتحان علىٰ الانقضاء.
قد يُنكرها بعض النَّاس أو يُغفل عنها.	لا يمكن دفعها ولا تأويلها عند وقوعها.
الغاية منها التَّنبيه والتَّحذير من الغفلة وطول الأمل.	الغاية منها قطع الأعذار، والإيذان بقرب نهاية الدُّنيا.
مثالها: بعثة النَّبيِّ ﷺ، وكثرة الفتن، وتضييع الأمانة، وكثرة القتل.	مثالها: الدَّجَّال، ونزول عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وطلوع الشَّمس من مغربها.

خُلَاصَةُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ



عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الصُّغْرَىٰ

إنَّ من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بعباده أن أخبرهم بما يكون قبل قيام السَّاعة من الآيات والعلامات، تنبيهًا للغافلين، وإنذارًا للمُقصِّرين، وإقامةً للحجَّة علىٰ العالمين، ودلالةً علىٰ نبوَّة خير المُرسلين ﷺ.

وقد جاءت النُّصوص الشَّرعيَّة بذكر علاماتٍ صغرىٰ تسبق السَّاعة بزمانٍ طويل، وتتكاثر قرب وقوعها، يظهر فيها اختلال الموازين، وانتشار الفتن، وتغيُّر الأحوال؛ ليكون المؤمن علىٰ بصيرةٍ من أمره، مُستعدًّا للقاء ربِّه، آخذًا من دنياه لآخرته.

وهذه العلامات الصُّغرىٰ كثيرةٌ جدًّا في النُّصوص، لكن رأينا أن نورد بعضها ممَّا صحَّت به الأحاديث عن النَّبيِّ ﷺ علىٰ سبيل الاختصار:

(١)	بِعثةُ النَّبيِّ ﷺ:	قال ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وأشار بالسَّبَّابة والوُسطىٰ. مُتَّفقٌ عليه.
(٢)	وفاةُ النَّبيِّ ﷺ:	قال ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ... مَوْتِي». أخرجه البخاريُّ.
(٣)	انشقاقُ القمرِ:	قال تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[القمر].
(٤)	فتحُ بيتِ المَقدسِ:	قال ﷺ: «اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ... ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ». أخرجه البخاريُّ.
(٥)	طاعُونُ عَمواسَ (سنة ١٨هـ):	قال ﷺ: «ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ». أخرجه البخاريُّ.

(٦) استفاضةُ الـمالِ:	قـال ﷺ: «ثُمَّ اسْـتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّـىٰ يُعْطَىٰ الرَّجُلُ مِائَـةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَـاخِطًا». أخرجه البخاريُّ.
(٧) كثرةُ الفِتنِ:	قـال ﷺ: «بَـادِرُوا بِالأعْمَـالِ فِتَنًـا كَقِطَـعِ اللَّيْـلِ الْمُظْلِـمِ». أخرجـه مسـلمٌ.
(٨) اقتِتالُ فِئتَينِ عظيمَتَينِ:	قـال ﷺ: «لا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّـىٰ تَقْتَتِـلَ فِئَتَـانِ دَعْوَاهُمَـا وَاحِـدَةٌ». مُتَّفـقٌ عليـه.
(٩) كثرةُ الكذّابينَ:	قال ﷺ: «سَـيَكُونُ فِـي أُمَّتِي كَذَّابُـونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُـمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِـيٌّ». أخرجه أبو داود، وصحَّحه الألبانــيُّ.
(١٠) ضياعُ الأمانةِ:	قـال ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَـتِ الأَمَانَـةُ فَانْتَظِـرِ السَّـاعَةَ». أخرجـه البخـاريُّ.
(١١) رفعُ العلمِ:	قـال ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبِـضُ الْعِلْـمَ انْتِزَاعًـا يَنْتَزِعُـهُ مِـنَ الْعِبَادِ، وَلَكِـنْ يَقْبِـضُ الْعِلْـمَ بِقَبْـضِ الْعُلَمَاءِ». مُتَّفـقٌ عليه.
(١٢) كثرةُ الجهلِ:	قـال ﷺ: «فَيَبْقَـىٰ نَـاسٌ جُهَّـالٌ»، وقـال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْـرَاطِ السَّـاعَةِ أَنْ يُرْفَـعَ الْعِلْـمُ، وَيَثْبُـتَ الْجَهْـلُ». مُتَّفـقٌ عليهما.
(١٣) انتشارُ الزِّنا:	قـال ﷺ: «إِنَّ مِـنْ أَشْـرَاطِ السَّـاعَةِ... وَيَظْهَـرَ الزِّنَـا». مُتَّفـقٌ عليه .
(١٤) أكلُ الـمالِ الحرامِ:	قال ﷺ: « لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ بِحَلَالٍ أَوْ بِحَرَامٍ». أخرجه النَّسائيُّ، وصحَّحه الألبانـيُّ.

(١٥)	كثرةُ القتلِ:	قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ»، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ الْقَتْلُ». مُتَّفقٌ عليه.
(١٦)	تقاربُ الزّمانِ:	قال ﷺ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ». مُتَّفقٌ عليه. وعند أصحاب السُّنن: «فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ...».
(١٧)	كثرةُ الزّلازلِ:	قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ». مُتَّفقٌ عليه.
(١٨)	كثرةُ النّساءِ وقلّةُ الرّجالِ:	قال ﷺ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ... تَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ». مُتَّفقٌ عليه.
(١٩)	تطاوُلُ النّاسِ في البُنيانِ:	لمَّا سُئل ﷺ عن أمارات السَّاعة قال: «أَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». مُتَّفقٌ عليه.
(٢٠)	التّنافُسُ في الدُّنيا:	قال ﷺ: «أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا... فَتَنَافَسُوهَا». مُتَّفقٌ عليه.
(٢١)	كثرةُ أعوانِ الظّلمةِ:	قال ﷺ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ شُرَطَةٌ، يَغْدُونَ فِي غَضِبِ اللهِ...». أخرجه أحمد، وصحَّحه الألبانيُّ.
(٢٢)	قطيعةُ الرّحِمِ:	قال ﷺ: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ... وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ». أخرجه أحمد، وصحَّحه الألبانيُّ.
(٢٣)	كثرةُ شهادةِ الزُّورِ:	قال ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ... وَشَهَادَةَ الزُّورِ، وَكِتْمَانَ شَهَادَةِ الْحَقِّ». أخرجه أحمد، وصحَّحه الألبانيُّ.

(٢٤)	استحلال المَعازف:	قال ﷺ: «لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحِرَ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ». أخرجه البخاريُّ.
(٢٥)	المَسخُ والخَسف والقَذف:	قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ فِي أُمَّتِي خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ». أخرجه ابن حبَّان، وصحَّحه الألبانيُّ.
(٢٦)	أن تلدَ الأمَةُ ربَّتَها:	لمَّا سُئل ﷺ عن أمارات السَّاعة قال: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا». مُتَّفقٌ عليه.
(٢٧)	كثرَةُ الخيانَة:	قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى... وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ، وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ». أخرجه الحاكم وغيره، وصحَّحه الألبانيُّ.
(٢٨)	كثرَةُ التِّجارة:	قال ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ... وَفُشُوَّ التِّجَارَةِ، حَتَّى تُعِينَ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا عَلَى التِّجَارَةِ». أخرجه أحمد، وصحَّحه الألباني.
(٢٩)	كثرَةُ الكتابَة:	قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ... وَيَظْهَرَ الْقَلَمُ». أخرجه أحمد، واستشهد به الألبانيُّ.
(٣٠)	زخرفَةُ المَساجِد:	قال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَبَاهَى النَّاسُ فِي الْمَسَاجِدِ». أخرجه أصحاب السُّنن، وصحَّحه الألبانيُّ.
(٣١)	كثرَةُ دُعاة الضَّلالَة:	قال ﷺ: «دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». مُتَّفقٌ عليه.
(٣٢)	تصديقُ الكاذِب:	قال ﷺ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ». أخرجه ابن ماجه، وصحَّحه الألبانيُّ.

(٣٣)	فُحشُ القَولِ والفِعلِ:	قـال ﷺ: «لَا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّـىٰ يَظْهَـرَ الْفُحْـشُ». أخرجـه ابـن حِبَّـان والحاكـم، وصحَّحـه الألبانـيُّ لغيره.
(٣٤)	تَصَدُّرُ الرُّوَيبِضَةِ:	قـال ﷺ: «وَيَنْطِقُ فِيهَـا الرُّوَيْبِضَـةُ»، وهـو: «الرَّجُـلُ التَّافِهُ فِي أَمْـرِ الْعَامَّةِ». أخرجـه ابن ماجه، وصحَّحه الألبانـيُّ.
(٣٥)	سوءُ الجِوارِ:	قـال ﷺ: «لَا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّـىٰ يَظْهَرَ... وَسُـوءُ الْجِـوَارِ». أخرجـه الحاكـم وغيـره، وصحَّحه الألبانـيُّ.
(٣٦)	تمنِّي الـموتِ:	قـال ﷺ: «لَا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّـىٰ يَمُـرَّ الرَّجُـلُ بِقَبْـرِ الرَّجُـلِ فَيَقُـولُ: يَـا لَيْتَنِـي مَكَانَـهُ». مُتَّفـقٌ عليـه.
(٣٧)	خروجُ نارٍ من الحِجازِ:	قـال ﷺ: «لَا تَقُـومُ السَّـاعَةُ حَتَّـىٰ تَخْـرُجَ نَـارٌ مِـنْ أَرْضِ الْحِجَـازِ، تُضِـيءُ أَعْنَـاقَ الْإِبِـلِ بِبُصْـرَىٰ». مُتَّفـقٌ عليـه.

تنبيهاتٌ مهمَّةٌ:

- لا يلـزم مـن عـدم اكتمال أشـراط السَّـاعة الصُّغـرىٰ أنَّ الكـبرىٰ بعيـدةٌ؛ بل إنَّ بعـض الأشـراط الصُّغـرىٰ يقـع مـع الكـبرىٰ، مثل رفـع القـرآن الكريم.
- ينبغـي أن يحـذر المسـلم مـن التَّوسُّـع في تنزيـل الوقائع علىٰ أشـراط السَّـاعة، وأن لا يجـزم بشـيءٍ مـن ذلـك إلَّا مـا كان معلومًا مُفصَّـلًا؛ كبعثته ﷺ، وانشـقاق القمـر، وأمَّـا مـا جـاء مُجمـلًا في النُّصـوص، فيجـب التَّسـليم بكونه علامـةً علىٰ قـرب السَّـاعة، وأمَّا تنزيلـه علىٰ الوقائع فمُجـرَّد ظنٍّ.
- أكثـر أشـراط السَّـاعة ممَّـا سـبق ذكـره قـد وقع فعـلًا، وهـذا علامـةٌ علـىٰ دنُوِّ العلامـات الكـبرىٰ، فليعتـبر المُسـلم، وليجتهـد في الإعـداد ليـوم الدِّيـن، يـوم لا تملـك نفـسٌ لنفـسٍ شـيئًا، والأمر يومئـذٍ لله.

عَلَامَاتُ السَّاعَةِ الْكُبْرَى

إذا كانت علامات السَّاعة الصُّغرىٰ تأتي تِباعًا علىٰ امتداد الزَّمان، فإنَّ علاماتها الكبرىٰ آياتٌ عِظامٌ، إذا ظهرت تتابعت، وخرج النَّاس من زمن الامتحان إلىٰ مشارف النِّهاية، ففي «صحيح ابن حبَّان»: «**خُرُوجُ الْآيَاتِ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ تَتَابَعْنَ كما تَتَابَعُ الخَرَزُ**»، والعلامات الكبرىٰ هي أحداثٌ جِسامٌ تقلب نظام العالم، وتُنبِئ بقُربِ انقضاء الدُّنيا، وتقطُّعِ الأعذارِ، وذِكرُها في الوحي تذكيرٌ بحقيقة المصير، ودعوةٌ إلىٰ المُبادرة بالتَّوبة والاستعداد ليومٍ لا مردَّ له من الله.

ومن أهمِّ ما جاء في بيان العلامات الكبرىٰ ما أخرجه مسلمٌ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**»، قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ، فَذَكَرَ ...**»، وليس قوله ﷺ: «**عَشْرَ آيَاتٍ**» من باب الحصر، فإنَّ العدد هنا لمُجرَّد التَّنبيه، كما أنَّ ترتيب هذه الآيات لم يرد ذكره صريحًا في كلِّها، وإن كان قد ورد ترتيب بعضها.

تنبيهٌ مهمٌّ: ذكر أهل العلم أنَّ بعض العلامات الصُّغرىٰ يكون وُقوعه مُتزامنًا مع الكُبرىٰ، ومن ذلك:

- **الرِّيح الطَّيِّبة**: كما في حديث مسلمٍ: «**ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَوَفَّىٰ كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ**»، فلا يبقىٰ علىٰ الأرض مُؤمنٌ، قال ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ: اللَّهُ اللَّهُ**» أخرجه مسلمٌ، ولأحمد: «**حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وفي حديث البخاريِّ: «**مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ**».
- **رفع القرآن**: كما في أثر ابن مسعودٍ رضي الله عنه عند الدَّارميِّ: «**لَيُسْرَيَنَّ عَلَىٰ الْقُرْآنِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَلَا يُتْرَكُ آيَةٌ فِي مُصْحَفٍ وَلَا فِي قَلْبِ أَحَدٍ إِلَّا رُفِعَتْ**».
- **هدم الكعبة**: قال ﷺ: «**يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ**» مُتَّفقٌ عليه.

(١) ظُهُورُ الْمَهْدِيِّ:

مَنْ هُوَ؟ رَجُلٌ مِن أهلِ بيتِ النَّبيِّ ﷺ، مِن ذُرِّيَّةِ الحسَنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما، اسمُه مُحمَّدُ -أو أحمَدُ- بنُ عَبدِ اللهِ، وهو أَجلَىٰ الجَبهَةِ، أَقنَىٰ الأَنْفِ.

خروجه: يَخرُجُ مِن قِبَلِ المَشرِقِ، يُبْعَثُ علىٰ اختِلافٍ مِن النَّاسِ وزَلازِلَ، يَتوبُ اللهُ عليهِ في ليلَةٍ ويُوَفِّقُه بعدَ أن لم يكُنْ كذلِكَ، فيَملأُ الأرضَ قِسطًا وعَدلًا كما مُلِئَت جورًا وظُلمًا، يَملِكُ سبعَ سِنينَ، ويُصَلِّي خلفه المَسيحُ عليه السلام، فإذا ماتَ فلا خيرَ في الحَياةِ بعدَه لكَثْرَةِ الفِتَنِ.

تنبيهٌ: عن سفيان الثَّوريِّ رحمه الله: **(إن مرَّ بك المهديُّ وأنت في البيت، فلا تخرج إليه حتَّىٰ يجتمع إليه النَّاس)**، [سؤالات الآجرِّيِّ لأبي داود].

(٢) ظُهُورُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ:

مَنْ هُوَ؟ هو رَجُلٌ مِن بَني آدَمَ، أعوَرُ العَينِ اليُمنىٰ، وعينُه الأُخرىٰ كأنَّها عِنَبَةٌ طافِيَةٌ، يَخرُجُ في آخِرِ الزَّمانِ مِن غَضبَةٍ يَغضَبُها، فيُفتَنُ به النَّاسُ.

فتنته: يُؤتَىٰ خَوارِقَ للعادَةِ؛ كأن يَأْمُرَ السَّماءَ أن تُمطِرَ والأرضَ أن تُنبتَ فيَستَجيبانِ له بإذنِ اللهِ، وتَتبَعُه كُنوزُ الأرضِ، ويُسلَّطُ علىٰ رَجُلٍ يَقتُلُه ثمَّ يُحييه، يدَّعي أنَّه نَبيٌّ ولا نبيَّ بعدَ مُحمَّدٍ ﷺ، ثمَّ يدَّعي أنَّه اللهُ وليسَ اللَّهُ عز وجل بأعوَرَ.

مدة بقائه: يَلبَثُ أربَعينَ يَومًا: يَومٌ كسنَةٍ، ويَومٌ كشَهرٍ، ويَومٌ كأُسبوعٍ، وباقيها كأيَّامِنا، يَمسَحُ الأرضَ إلَّا مكَّةَ والمَدينَةَ تَمنَعُه الملائِكَةُ مِن دُخولِهِما.

هلاكه: يَظهَرُ المَهدِيُّ، فيَجتَمِعُ المُسلِمونَ إليه ببَيتِ المَقدِسِ، ثمَّ يَنزِلُ عيسىٰ ابنُ مريمَ عليه السلام فيَقتُلُ المَسيحَ الدَّجَّالَ بحَربَتِه، فيَهلِكُ عدُوُّ اللهِ، ويهلِكُ معه مُقاتِلَتُه مِن اليَهودِ.

الواجب: «**مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَّالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ**» أخرجه أبو داود، فإن لم يستطع: «**فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ**» أخرجه مسلمٌ.

أَجْلَىٰ الجَبْهَةِ: مُنحسر الشَّعر عن مُقدَّم الرَّأس. أَقْنَىٰ الأَنْفِ: مُنحنيه، أو مُرتفعه، أو طويله.

(٣) نُزُولُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَفْعُهُ: لمَّا اشتدَّت عداوَةُ اليَهودِ لعيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وأرادُوا قَتلَه رَفعَه اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ السَّماءِ، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[آل عمران:٥٥]، فهو هُناكَ إلىٰ أن يَشاءَ اللهُ.

نُزُولُهُ: يَنزِلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ».

أَوْصَافُهُ: جاءَ في الأحاديثِ الصَّحيحةِ أنَّه: «رَجُلٌ مَرْبُوعٌ إِلَىٰ الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ»، «جَعْدٌ»، «عَرِيضُ الصَّدْرِ»، «آدَمُ»، «لَهُ لِمَّةٌ»، «سَبِطُ الرَّأْسِ».

قَتْلُهُ الدَّجَّالَ: «يَطْلُبُهُ عِيسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَيَذْهَبُ عِيسَىٰ بِحَرْبَتِهِ نَحْوَ الدَّجَّالِ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَّالُ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ فَيَقْتُلُهُ، فَيُهْلِكُهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَ عَقَبَةِ أَفِيقٍ».

إِمَامَتُهُ لِلنَّاسِ: «يَلْبَثُ النَّاسُ بَعْدَهُ سِنِينَ سَبْعًا لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، فَيَكُونُ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي أُمَّتِي مُصَدِّقًا بِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ مِلَّتِهِ، حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مَهْدِيًّا مُقْسِطًا، فَيُقَاتِلُ النَّاسَ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَتُجْمَعُ لَهُ الصَّلَاةُ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ فَلَا يُسْعَىٰ عَلَىٰ شَاةٍ وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ...».

مَوْتُهُ: «يَمْكُثُ عِيسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّىٰ فَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ» ويَكونُ ذلِكَ بعدَ هَلاكِ يَأجوجَ ومَأجوجَ.

مَهْرُودَتَيْنِ: شُقَّتَيْنِ (نصف الملاءة) أو حُلَّتَيْنِ. الجُمانُ: حبوبٌ من فضَّةٍ صُيِّغت علىٰ مثالِ اللُّؤلؤِ.

(٤) خُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ:

مَنْ هُمْ: هُم خَلقٌ مِن بَني آدَمَ، ففي حديث بعث النَّار: «**أَبْشِرُوا فَإِنَّ مِنْكُمْ رَجُلٌ وَمِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَلْفٌ**» مُتَّفقٌ عليه، خرَجوا في زمَنِ ذي القَرنَين، فبَنَىٰ عليهم سَدًّا مِن الحَديدِ وأذابَ عليه النُّحاسَ، يبقَونَ تَحتَه إلىٰ أن يشاءَ اللهُ خُروجَهم.

خُرُوجُهُمْ: يَخرُجونَ في زمَنِ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد مهلِكِ الدَّجَّالِ بسَبعِ سِنينَ، فيُعلِمُه اللهُ تَعالىٰ بخُروجِهم، ويأمرُه بأن يجمَعَ المُؤمِنينَ عندَ الطُّورِ، «**فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا**»، «**ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّىٰ يَنْتَهُوا إِلَىٰ جَبَلِ الْخَمَرِ**» ببَيتِ المَقدِسِ.

طُغْيَانُهُمْ: يَغتَرُّونَ بقُوَّتِهم فـ«**يَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا**».

هَلَاكُهُمْ: يَدعو عيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَن مَعه اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عندما يشتَدُّ حِصارُهم، «**فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**»، ثمَّ «**يُرْسِلُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ مَطَرًا**».

(٥) الْخُسُوفَاتُ:

أخرَجَ مسلمٌ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**» وعدَّ مِنها: «**وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»، واختُلِفَ هل وقَعَت أم لا؟

والَّذي يظهَرُ -واللَّهُ أعلَمُ- أنَّها تقَعُ في آخِرِ الزَّمانِ إذا كثُرَ الخبَثُ في النَّاسِ، وفشَتْ فيهم المَعاصي.

النَّغَفُ: دودٌ يكون في أنوفِ الإبلِ والغنمِ، واحدتُها نَغَفَةٌ. نُشَّابُهُم: جمعُ نُشَّابةٍ، وهي السَّهم.

(٦) الدُّخَانُ:

قالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ ﴾[الدُّخان]، تأوَّلها:

❑ ابنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بما أصابَ قُريشًا مِن الشِّدَّةِ لمَّا دعا عليهم النَّبيُّ ﷺ.

❑ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيرُه بدُخانٍ يَكونُ في آخِرِ الزَّمانِ، ويُؤَيِّدُه ما أخرَجَه مُسلمٌ: «**بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوِ الدُّخَانَ...**».

(٧) الشَّمْسُ:

قالَ تَعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ [الأنعام:١٥٨]، أخرَجَ الشَّيخانِ عن النَّبيِّ ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ:** ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾».

(٨) خُرُوجُ الدَّابَّةِ:

قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ﴾ أي: الوَعيدُ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾؛ لِتَماديهم في العِصيانِ والفُسوقِ والطُّغيانِ، ﴿أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ﴾[النمل:٨٢]، تَخرُجُ على النَّاسِ ضُحًى، أخرَجَ أحمَدُ والتِّرمِذيُّ عن النَّبيِّ ﷺ: «**تَخْرُجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا عَصَىٰ مُوسَىٰ وَخَاتَمُ سُلَيْمَانَ، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ بِالْعَصَىٰ، وَتَخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْخِوَانِ يَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُونَ لِهَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُونَ لِهَذَا: يَا كَافِرُ**»، وقيلَ: إنَّ هذه الدَّابَّةَ هي فَصيلُ ناقةِ صالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، واللَّهُ أعلَمُ.

(٩) النَّارُ:

هي آخِرُ أشراطِ السَّاعةِ الكُبرىٰ، ويَليها قِيامُ السَّاعةِ، أخرَجَ مسلمٌ: «**وَآخِرُ ذَلِكَ: نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ**»، وفي روايَةٍ: «**نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ**»، وعند أحمَدَ والتِّرمذيِّ: «**سَتَخْرُجُ نَارٌ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَحْرِ حَضْرَمَوْتَ -أَوْ مِنْ حَضْرَمَوْتَ- تَحْشُرُ النَّاسَ**»، وعند البُخاريِّ مُعلَّقًا عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**نَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ**».

مِنَ الْآيَاتِ الْوَارِدَةِ في أَشْرَاطِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا

متى السَّاعة؟

○ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[الأعراف].

○ ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ ﴾[النَّحل:٧٧].

○ ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[طه:١٥].

○ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[لقمان:٣٤].

○ ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ ﴾[الأحزاب].

○ ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ ﴾[فصِّلت].

○ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾[الشُّورىٰ].

○ ﴿ وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[الزُّخرف:٨٥].

○ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾[النَّازعات].

أشراط السَّاعة الصُّغرى:

○ ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةًۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾[محمَّد].

○ ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[الرُّوم].

○ ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ ﴾[القمر].

أشراط السَّاعة الكبرى:

- ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ﴾ جعل السَّدَّ الَّذي بناه ذو القرنين علىٰ يأجوج ومأجوج ﴿دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾[الكهف].
- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء].
- ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: نزول عيسىٰ عليه السلام ﴿لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾[الزُّخرف:٦١].
- ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ﴾ بعيسىٰ عليه السلام بعد نزوله و﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾[النِّساء].
- ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ﴾[الدُّخان].
- ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾[النَّمل].
- ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ وهو طلوع الشَّمس من مغربها ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾[الأنعام:١٥٨].

أهوال يوم القيامة:

- **مصير الأرض**:
  - ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤﴾[الانشقاق].
  - ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢﴾[الزَّلزلة].
  - ﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤﴾[الواقعة].
  - ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ﴾[المُزَّمِّل:١٤].
  - ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١﴾[الفجر].
  - ﴿وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤﴾[الحاقَّة].
- **مصير الجبال**:
  - ﴿وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣﴾[التَّكوير].
  - ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ١٠٥ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ١٠٦ لَّا

تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾[طه].

- ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾[المُزَّمِّل].
- ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾[القارعة].
- ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾[الواقعة].

❍ **مصير الشَّمس والقمر والنُّجوم:**

- ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾[التَّكوير].
- ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾[القيامة].
- ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾﴾[الانفطار].

❍ **مصير البحار:**

- ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾[الانفطار].
- ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾[التَّكوير].

❍ **مصير السَّماء:**

- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾[التَّكوير].
- ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾[الانفطار].
- ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾[الانشقاق].
- ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾[الرَّحمن].
- ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[الفرقان].
- ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾[الأنبياء:١٠٤].
- ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزُّمر:٦٧].
- ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾[النَّبأ].

أَهْوَالُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ

قيامُ القيامة أمرٌ عظيمٌ، ومن أعظم أهواله تغيُّر الكون العُلويِّ والسُّفليِّ؛ فالسَّماء والأرض وما فيهما من شمسٍ وقمرٍ ونجوم وجبالٍ وبحارٍ تتحوَّل تحوُّلاتٍ هائلةً، تكفي وحدها للعِظَةِ، فكيف بما بعدها من العرض والحساب؟!

تغيُّراتُ السَّماءِ يومَ القيامةِ:

[١] الانشقاق والانفطارُ والضَّعفُ:	[٢] التَّحوُّل إلى أبواب:	[٣] تغيُّرُ اللَّونِ والرِّقَّة والهشاشة:	[٤] إزالتُها من مكانِها:	[٥] الطَّيُّ:
﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾ [الانفطار]، ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ [الانشقاق].	أي: طرُقًا ومسالك لنزول الملائكة، ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ۝١٩﴾ [النَّبأ].	﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ [الرَّحمن]، وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**تَكُونُ أَلْوَانًا كَالْمُهْلِ، وَكَالدِّهَانِ، وَوَاهِيَةً، وَتَشَقَّقُ**».	﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾ [التَّكوير].	﴿يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ﴾ [الأنبياء:١٠٤]، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزُّمر:٦٩].

قال ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾» رواه التِّرمذيُّ وأحمد، وصحَّحه الألبانيُّ.

في «الصَّحيحين»: «**يَقْبِضُ اللهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟**»، ومعناه: ظهورُ سلطان الله عَزَّ وَجَلَّ وحده، وزوال سلطان المخلوقين، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر].

تغيُّراتُ الكَواكِبِ يومَ القيامةِ:

[١] الشَّمسُ:

تُلَفُّ، ويذهب ضوؤُها، ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ①﴾[التَّكوير]، «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاريُّ.

[٢] القمرُ:

يُكوَّر، ويذهب نوره، ويُجمَع إلىٰ الشَّمس، ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ⑧ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ⑨﴾ [القيامة].

[٣] الكواكِبُ والنُّجومُ:

تُظلم النُّجوم، وتتناثر، ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ②﴾[التَّكوير]، ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ②﴾ [الانفطار].

قال النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ» أخرجه أبو يعلىٰ والطَّيالسيُّ، وصحَّحه الألبانـيُّ، ليس عقوبةً لهما؛ لأنَّهما غير مُكلَّفين، ولكن تبكيتًا وخزيًا لعُبَّادهما.

تغيُّراتُ الأرضِ وما فيها يومَ القيامةِ:

[١] الأرضُ:

تُزلزل، وتُدكُّ، وتُسوَّىٰ، فتصير مُستويةً بعد أن كانت ذات جبالٍ وبُنيانٍ، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[الزَّلزلة:١]، ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق]، ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ㉑﴾[الفجر].

[٢] الجبالُ:

تسير، وتتفتَّت، ثمَّ تُنسَف حتَّىٰ لا يبقىٰ منها شيءٌ، ويصير مكانُها قاعًا صفصفًا، ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③﴾[التَّكوير]، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ⑤﴾[القارعة]، ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ⑭﴾[المُزَّمِّل]، ﴿يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ⑩⑤ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ⑩⑥﴾[طه].

[٣] البحارُ:

تُفجَّرُ، ويختلط بعضها ببعضٍ، ثمَّ تشتعل نارًا، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ③﴾ [الانفطار]، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ⑥﴾ [التَّكوير].

وهـذه التَّغيـرُّات تكون بعد قيام السَّـاعة، بعد نفخـة الصَّعق، وتسـتمرُّ إلىٰ أن يدخل أهـلُ الجنَّـةِ الجنَّـةَ، وأهـلُ النَّـارِ النَّـارَ -أعاذنـا الله منها-، ثمَّ تسـتقرُّ الأمـور، وهي تغيُّـراتٌ مُتواليـةٌ، وأشـياءُ هائلةٌ، فالشَّـمس والقمر مـع عظمهما ونورهمـا يعتريهما مـن التَّغيُّـرات العظيمـة، قـال تعالـىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ مـن هـول المشـهد، ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾﴾ فذهـب ضـوؤه وسـلطانه، ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾، علمـتِ النُّفوسُ أنَّ هـذا وعـدُ الله الحـقُّ، وأنَّها مُقبلـةٌ علـىٰ ربٍّ لا تخفىٰ عليـه خافيةٌ.

وحينئـذٍ يصـرُخ الإنسـانُ مذعـورًا: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾، فيأتيه الجـواب الَّذي يقطع كلَّ أمـلٍ في الهـروب: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾؛ لا حصـنَ يُعتصَـم بـه، ولا جبـلَ يُـلاذ به، ولا جـاهً ولا مـالَ ولا ولـدَ ينفـعُ، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾، هنـاك تنكشـف الحقائـق، وتسـقط الأقنعـة، وتضمحلُّ زخـارف الدُّنيا، ويظهـر للعبد كم كان غافـلًا حين كان يُؤخِّـر التَّوبـة، ويُؤمِّل طـول البقـاء، ويظنُّ أنَّ الأمـر يهونُ!

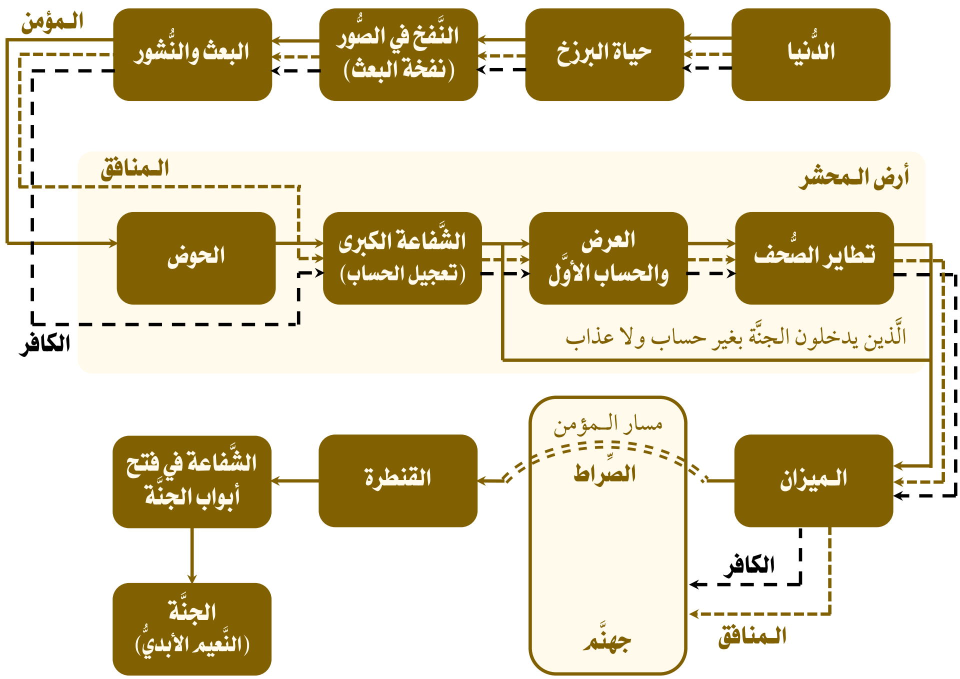
فيـا عبـدَ الله: إنَّ الَّـذي يُقلِّـبُ الشَّـمسَ والقمـرَ ويغيِّرُ نظـامَ السَّـماء والأرض، قادرٌ علـىٰ أن يَسـوقَك إلـىٰ موقـفٍ لا تملـك فيـه إلَّا عملك، فمـاذا أعددتَ ليـوم تُطوىٰ فيـه الصُّحـفُ وتُنشَـر، وتُعـرض فيـه الأعمـالُ علـىٰ العليم الخبيـر؟! مـاذا صنعتَ لسـاعةٍ يُقـال فيهـا: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[الإسـراء].

فبـادر إلـىٰ التَّوبـة النَّصوح، وأحسِـن فيما بقـي يُغفَر لك ما مضـىٰ، واعلـم أنَّ الدُّنيا مهمـا طالـت قصيـرةٌ، وأنَّ العمـر مهمـا امتـدَّ مَحـدودٌ، وأنَّ الفائـز مـن اتَّعـظ قبـل الصَّعقـة، واسـتعدَّ قبـل الفزع، ولـزم بابَ ربِّـه ذليلًا مُنكسـرًا؛ فمن كان مـع الله كان الله معـه، ومـن فـرَّ إلـىٰ الله آواه اللهُ، ومـن أصلـح سـريرَتَه أصلـح اللهُ علانيتـه، ومن صـدق في رجوعـه بدَّل الله سـيِّئاته حسَـناتٍ.

اللَّهمَّ اجعلنا ممَّن إذا ذُكِّر تذكَّر، وإذا وُعِظ اتَّعظ، ولا تجعلنا من الغافلين.

مَصِيرُ الْـمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ فِي الْآخِرَةِ

إذا كان اللهُ تعالىٰ قد أخبر عن اليوم الآخرِ بما يكون فيه من أهوالٍ ومواقفَ عِظامٍ، فإنَّ مصيرَ الخلقِ فيه ينقسمُ إلىٰ طريقين متباينين، يُفصَلُ بينهما بالعدلِ التَّامِّ والحكمةِ البالغة؛ طريقٍ ينتهي بالمؤمنين إلىٰ كرامةِ اللهِ ورضوانِه، وطريقٍ يؤولُ بالكافرين إلىٰ خذلانِه وعذابِه، وإنَّ ما يقعُ في ذلك اليوم من بعثٍ ونشورٍ، وعرضٍ وحسابٍ، وتطايُرِ صُحُفٍ، وميزانٍ، وصراطٍ، إنَّما هو مَظاهِرُ فاصلةٌ يُمحَّصُ بها أهلُ الإيمانِ، وتنقطعُ عندها الأعذارُ، ويظهرُ فيها أثرُ التَّصديقِ والتَّكذيبِ، فيكون ذِكرُ هذه المراحلِ تذكيرًا بحقيقة المصير، وزجرًا عن الغفلة، ودعوةً إلىٰ الاستعداد ليومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنونَ، إلَّا من أتىٰ اللهَ بقلبٍ سليمٍ.



المَحَطَّةُ الأولى: المَوْتُ

الموتُ حقٌّ ثابتٌ ويقينٌ محتومٌ، كتبه اللهُ تعالىٰ علىٰ جميع الخلائق، لا ينجو منه نبيٌّ ولا وليٌّ، ولا يتقدَّم عنه أحدٌ ولا يتأخَّر، قال تعالىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[الأنبياء:٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾[يس:١٩]، فسمَّاه حقًّا ويقينًا لا مِرية فيه، ومن هذا الباب قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[الحجر]، وقد أجمع المُفسِّرون من السَّلف علىٰ أنَّ المُراد باليقين هنا: الموت؛ لما فيه من انقطاع الشَّكِّ، وابتداء الانتقال من دار العمل إلىٰ دار الجزاء، فالموتُ عند أهل السُّنَّة ليس فناءً ولا عدمًا؛ بل انتقالٌ من مرحلةٍ إلىٰ مرحلةٍ، وبدايةٌ للجزاءِ والابتلاء في البرزخ.

ثمَّ إنَّ ذكرَ الموتِ والتَّهيُّؤَ له من أعظم أسباب صلاح القلوب واستقامة الأعمال، وقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ علىٰ الإكثار من ذكره، فقال في الحديث الَّذي أخرجه بعض أصحاب «السُّنن»: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»، أي: الموت؛ لأنَّه يقطعُ التَّعلُّق بالدُّنيا، ويُذكِّر بقِصَر الأمل، ويبعث علىٰ المبادرة بالتَّوبة، والاستعداد للقاء الله، ومن هنا كان الموتُ في معتقد أهل السُّنَّة بابَ عبورٍ إلىٰ الآخرة، وعلامةَ صدقٍ في الامتحان، يُكرم اللهُ به المؤمنَ الرَّاجي، ويكون علىٰ الكافر نذيرَ خسارةٍ وندم، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾[المؤمنون]، ولا رجوع بعد اليقين.

المَحَطَّةُ الثَّانية: القَبرُ ونعيمُه أو عذابُه

إذا مات ابنُ آدم وقُبِرَ انتقل إلىٰ حياة البرزخ بين الدُّنيا والآخرة، وفيها يكون النَّعيمُ أو العذابُ علىٰ حسبِ الإيمانِ والعمل، دلَّ علىٰ ذلك الكتابُ والسُّنَّةُ وإجماعُ السلَّف، قال تعالىٰ في آلِ فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وهذا العرضُ قبلَ قيامِ السَّاعة، وهو عذابُ البرزخ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾[غافر]، وثبت عن النَّبيِّ ﷺ في أحاديث

متواترةٍ إثباتُ سؤالِ المَلَكَيْنِ في القبر، ونعيمِ القبر للمؤمنين، وعذابِه للكافرين والمنافقين، حتَّىٰ كان ﷺ يستعيذُ باللهِ من عذابِ القبرِ في كلِّ صلاةٍ؛ ممَّا يدلُّ علىٰ عِظمِ شأنه وحقِّه.

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَنَّ الْكُفَّارَ فِي قُبُورِهِمْ يُعَذَّبُونَ، وَقَدْ أَجْمَعَ عَلَىٰ ذَلِكَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ)، وقال: (الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ عَلَىٰ النَّفْسِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، تَنْعَمُ النَّفْسُ وَتُعَذَّبُ مُنْفَرِدَةً عَنِ الْبَدَنِ، وَتُعَذَّبُ مُتَّصِلَةً بِالْبَدَنِ، وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِهَا)، ولا يمنع من هذا الاعتقاد عدم إدراك عقولنا لكيفيَّة النَّعيم والعذاب، فإنَّه ثابتٌ علىٰ الوجهِ الَّذي يُريده اللهُ، فإنَّ ما يقعُ في البرزخِ غيبٌ لا يُقاسُ علىٰ أحوالِ الدُّنيا ولا يُدرَك بالحسِّ.

وقال العلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: (العذاب، والنَّعيم، وسعة القبر وضيقه؛ إنَّما يُدركه الميِّت دون غيره)، وعدمُ شعورِ الأحياءِ بذلك لا ينفي ثبوتَه؛ كما لا يشعرُ النَّائمُ بمن حولَه مع وقوعِ ما يراه في منامِه.

فالإيمانُ بما يكون في القبر أصلٌ من أصولِ اعتقاد أهلِ السُّنَّة، يبعثُ علىٰ الاستعداد، ويزجرُ عن الغفلة، ويُظهِرُ عدلَ اللهِ وحكمتَه في عباده قبلَ يومِ الحسابِ الأكبر.

الـمَحطَّة الثَّالثة: النَّفخُ في الصُّور

الصُّور القرن أو البوق، فقد أخرج بعض أصحاب «السُّنن» أنَّه ﷺ قال: «**الصُّورُ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»، والنَّافخ فيه هو إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، أحد خيار الملائكة، أخرج الخطيب عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**صَاحِبُ الصُّورِ وَاضِعٌ الصُّورَ عَلَىٰ فِيهِ مُنْذُ خُلِقَ، يَنْتَظِرُ مَتَىٰ يُؤْمَرُ أَنْ يَنْفُخَ فِيهِ فَيَنْفُخُ**».

وقد ورد في القرآن ذكر ثلاث نفخاتٍ في الصُّور كما بيَّنه شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٦٠).

أَصْغَى لِيتًا ورَفَع لِيتًا: يُصْغِي جانبًا مِن عُنُقِه للسُّقوطِ على الأرضِ، ويَرفَعُ الجانِبَ الآخَرَ لاستماعِ النَّفخةِ.

النَّفخات الثَّلاثة في الصُّور:

[١] نفخَةُ الفزَعِ:

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾ [النَّمل]، وقال: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ١٥﴾ [ص] أي: ما لها من فتورٍ ولا انقطاعٍ.

[٢] نفخَةُ الصَّعقِ:

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزُّمر]، وفي «صحيح مسلم»: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ**»، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الَّذِي عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ، أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ يَمُوتُونَ، حَتَّىٰ الْمَلَائِكَةُ وَحَتَّىٰ عِزْرَائِيلُ مَلَكُ الْمَوْتِ، وَرُوِيَ فِي ذَلِكَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَالْمُسْلِمُونَ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ إِمْكَانِ ذَلِكَ وَقُدْرَةِ اللهِ عَلَيْهِ).

[٣] نفخَةُ البَعثِ:

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨﴾ [الزُّمر:٦٨]، قال ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَىٰ اللَّهُ**»، مُتَّفَقٌ عليه.

وجاء بيان مقدار ما بين نفختي الصَّعق والبعث في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند البخاريِّ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، قَالَ: أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ**».

الـمَحطَّة الرَّابعة: البَعثُ والنُّشورُ

قال النَّبيُّ ﷺ كما عند مسلم: «**فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ -أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ**»، والطَّلُّ هُوَ النَّدَىٰ الَّذِي يَنْزِل منَ السَّمَاءِ عندَ الصَّحْو فِي اللَّيل، أو الرَّذاذ الخفيفُ جدًّا، «**فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ**»،تنبت وهي فِي القبورِ، فإذَا تكاملَ نَباتُها نُفِخَ فِي الصُّور الثَّانِيَة، «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**»، فيخرجون من قبورهم، قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾[يس]، ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [ق:٤٤]، ومعنىٰ ذلك أَنَّهُم يُخْرَجُون منَ القبورِ وهم مُسْرِعون، فهم أحياءٌ، وهَذَا بعدَ تكامُل أجسادهمْ فِي القبورِ، «**ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ**، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[**الصَّافَّات**]».

وفي حديث البخاريِّ: «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ، لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، ثمَّ يُجمَع النَّاس في أرض المحشر حفاةً عراةً غرلًا -أي: غير مختونين-، قال ﷺ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَىٰ اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَالَ:** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾[**الأنبياء:١٠٤**] **إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ**» مُتَّفقٌ عليه، فيقفون في عرصات القيامة طويلًا جدًّا، ويصيبهم الكرب والغمُّ.

الـمَحطَّة الخامسة: الحَوضُ

إذا جُمِع النَّاس في عرصات يوم القيامة، وأصابتهم الشِّدَّة والكرب، ودنت الشَّمس حتَّىٰ تكون علىٰ قدر ميل منهم، وأصابهم منها الحرُّ الشَّديد، وعطشوا أشدَّ العطش، وقف النَّبيُّ ﷺ علىٰ حوضه الَّذي يُؤتاه يومها، فيسقي منه من آمن من أمَّته شربةً لا يظمؤون بعدها أبدًا، ولا يرد الحوض كافرٌ ولا مُنافقٌ ولا مُحدِثٌ.

ومِمَّا جاء في وصف الحوض الحديث المُتَّفق عليه: «**إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»، والغرَّة بياضٌ في الوجه، والتَّحجيل بياضٌ في السَّاقين، أصلهما في الفَرَس، وقوله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ**»، أخرجه مسلمٌ.

ومِمَّن يُمنع من ورود الحوض كلُّ من أحدث في دين اللَّه ما ليس منه، وكلَّما كان الإنسان أقوىٰ في اتِّباع الرَّسول ﷺ كان وروده الحوض أضمن، ففي الحديث المُتَّفق عليه: «**أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُصَيْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ**: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المائدة:١١٧]، **فَيُقَالُ: إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**».

وقد ورد في الحديث أنَّ المؤمنين يشربون من حوض النَّبيِّ ﷺ بعد مُجاوزتهم الصِّراط، وليس في هذا تعارضٌ؛ لأنَّه قد ثبت أنَّ من شرب منهم شربةً واحدةً لن يظمأ بعدها أبدًا، فيكون شُربُهم بعد الصِّراط إمَّا لظمأٍ يسيرٍ ليس فيه مشقَّةٌ؛ لأنَّهم عبروا النَّار وهي حارَّةٌ، أو أنَّهم يشربون منه تلذُّذًا لا عطشًا.

وجاء عند التِّرمذيِّ: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا، وَإِنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً**»، صحَّحه الألبانيُّ، ولا شكَّ أنَّ حوض النَّبيِّ ﷺ أعظمُ الأحواض، وأكملُها، وأكثرها ورودًا.

والحوض موجودٌ الآن، فقد جاء في الحديث: «**وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَىٰ حَوْضِي الْآنَ**» مُتَّفقٌ عليه.

ميزَابَانِ: الميزابُ أنبوبٌ أو قناةٌ يُصرَّف بها الماء من سطح بناء.

الـمَحطَّة السَّادسة: الشَّفاعةُ الكُبرى (الـمَقامُ الـمَحمودُ)

في «الصَّحيحين» من حديث أنسٍ رَضِحَالِلَّهُعَنْهُ: «يُجْمَعُ النَّاسُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ.

فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ؛ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي ، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ.

فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ -فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ-، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ.

فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ.

فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ؛ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ، أَوْ: كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ».

الـمَحطَّة السَّابعة: العَرضُ والحسابُ

الحسابُ هو إطلاع الله عباده علىٰ أعمالهم، وهو ثابتٌ بالكتاب، والسُّنَّة، وإجماع المسلمين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية]، وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: «اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا»، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: «أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ».

فأمَّا المؤمن فإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يخلو به فيُقرِّره بذنوبه، قال ﷺ في الحديث المُتَّفق عليه: «إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّىٰ إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَىٰ فِي

نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَىٰ كِتَابَ حَسَنَاتِهِ».

«وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾[هود]».

والحساب عامٌّ لجميع النَّاس، إلَّا من استثناهم النَّبيُّ ﷺ، وهم سبعون ألفًا من هذه الأمَّة، منهم عكَّاشة بن مِحصَنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فهؤلاء يدخلون الجنَّة بلا حسابٍ ولا عذابٍ، وهم: «الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» مُتَّفقٌ عليه، وعند أحمد: «مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا».

وأوَّل من يُحاسب هم هذه الأمَّة، ففي حديث مسلم: «نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»، وأوَّل شيءٍ يُحاسَب عليه المُؤمن من الأعمال الصَّلاة، فقد جاء عند بعض أصحاب «السُّنن»: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ».

الـمَحطَّة الثَّامنة: تطايُرُ الصُّحُفِ

تقدَّم بيان العرض والحساب، وأنَّ الإنسان يُؤتىٰ صحائف أعماله الَّتي عملها في الدُّنيا، تلك الصَّحائف الَّتي دوَّنتها الملائكة الحفظة عليه، فتتطاير الصُّحف إلىٰ الأيمان والشَّمائل، وهذا ثابتٌ بالكتاب، والسُّنَّة، وإجماع الأمَّة.

وهو أحد المواقف الثَّلاثة الشَّديدة الَّتي لا يذكر الإنسان فيها إلَّا نفسه، فقد أخرج أبو داود عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّهَا ذَكَرَتِ النَّارَ فَبَكَتْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا يُبْكِيكِ؟»، قَالَتْ: ذَكَرْتُ النَّارَ فَبَكَيْتُ، فَهَلْ تَذْكُرُونَ أَهْلِيكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا فِي ثَلَاثَةِ مَوَاطِنَ فَلَا يَذْكُرُ أَحَدٌ أَحَدًا، عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَوْ يَثْقُلُ، وَعِنْدَ الْكِتَابِ حِينَ يُقَالُ: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾[الحاقَّة] حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَيْنَ يَقَعُ كِتَابُهُ أَفِي يَمِينِهِ، أَمْ فِي شِمَالِهِ، أَمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إِذَا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ».

أقسامُ النَّاس في أخذِ الكِتابِ:

[١] الـمؤمنُ:

يأخذ كتابه بيمينه، ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾﴾[الإسراء]، فيقرأ المُؤمن كتابه، ويسرُّه ما فيه، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾[الحاقَّة]، ويكون حسابه يسيرًا ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾[الانشقاق].

[٣] الكافرُ والـمُنافقُ:

يأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره إذلالًا له، فيشُقُّ عليه ما يجد فيه، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾[الحاقَّة]، وينادي على نفسه بالهلاك، بأن يقول: واثُبوراهُ، واويلاهُ، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾[الانشقاق].

الـمَحطَّة التَّاسعةُ: الـميزانُ

الميزان يُنصب يوم القيامة لوزن أعمال العباد، دلَّ عليه الكتاب، والسُّنَّة، وإجماع السَّلف، قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[المؤمنون]، وهو ميزانٌ حقيقيٌّ له كفَّتان، فقد جاء عند بعض أصحاب السُّنن: «**فَتُخْرَجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**»، صحَّحه الألبانيُّ.

الَّذي يوزَنُ ثلاثةُ أمورٍ:

[٣] العاملُ:	[٢] الصَّحائفُ:	[١] العملُ:
لحديث: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنٗا ١٠٥﴾[الكهف]» مُتَّفقٌ عليه.	لحديث صاحب البطاقة السَّابق.	لحديث: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**» مُتَّفقٌ عليه.

الـمَحطَّةُ العاشرةُ: الصِّراطُ

الصِّـراط لغـةً: الطَّريـق، وشـرعًا: جسـرٌ ممدودٌ علـىٰ ظهر جهنَّـم ليعبر النَّـاس عليه إلـىٰ الجنَّـة، وهـو ثابـتٌ بالكتـاب، والسُّـنَّة، وإجمـاع السَّـلف، قـال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾[مريـم]، فسَّـرها ابن مسـعودٍ وقتادة وزيـد بـن أسـلم وغيرهـم بالمـرور علـىٰ الصِّـراط، وقـال النَّبـيُّ ﷺ: «**وَيُضْـرَبُ الصِّـرَاطُ بَيْـنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُـونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَـنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّـمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُـلُ، وَدَعْـوَىٰ الرُّسُـلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَـلِّمْ سَـلِّمْ، وَفِي جَهَنَّـمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَـوْكِ السَّـعْدَانِ، غَيْـرَ أَنَّـهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَـدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللهُ، تَخْطَـفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِـمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَـقُ بَقِـيَ بِعَمَلِـهِ، أَوِ الْمُوثَـقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُـمُ الْمُخَـرْدَلُ، أَوِ الْمُجَـازَىٰ، أَوْ نَحْوُهُ**» مُتَّفـقٌ عليه، وعند مسـلمٍ: قَـالَ أَبُو سَـعِيدٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْجِسْـرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّـعَرَةِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّـيْفِ.

ويمُـرُّ النَّـاس علىٰ الصِّراط سـرعتُهم بحسـب أعمالهم، قـال ﷺ: «**فَيَمُـرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَـرْفِ الْعَيْـنِ، وَكَالْبَـرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْـرِ، وَكَأَجَاوِيـدِ الْخَيْلِ وَالـرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَـلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَـلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِـي نَـارِ جَهَنَّـمَ**» مُتَّفـقٌ عليـه، وفي روايـةٍ

السَّعْدَان: نباتٌ ذو شوكٍ صلبٍ حديدٍ، من أفضل مراعي، يُضربُ به المثلُ.

لمسلم: «**تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّىٰ تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»، وللبخاريِّ: «**حَتَّىٰ يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا**».

وأوَّل من يمرُّ علىٰ الصِّراط هذه الأمَّة، ففي حديث البخاريِّ: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا**».

الـمَحطَّة الحادية عشرة: جهنَّم -نعوذ بالله منها-

جهنَّمُ هي دارُ العذابِ الأليم، أعدَّها اللهُ تعالىٰ للكافرين والمُنافقين والعصاةِ الَّذين لم يتداركهم عفوُه عَزَّوَجَلَّ، وهي دارُ الخزي والهوان، ومَظهرُ عدلِ اللهِ وانتقامِه ممَّن كفر به أو عصاه بعد قيام الحجَّة عليه.

وجهنَّمُ في اعتقاد أهل السُّنَّةِ والجماعةِ مخلوقةٌ موجودةٌ الآن، فقد جاء في الحديث المُتَّفق عليه: «**وَأُرِيتُ النَّارَ، فَلَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ**»، وهي باقيةٌ ببقاء الله عَزَّوَجَلَّ، لا تفنىٰ ولا تبيد، كما أنَّ نعيمَ الجنَّةِ باقٍ لا انقطاع له، وقد توعَّد اللهُ بها الكافرين في آياتٍ كثيرةٍ، وذكر أوصافَها وأهوالَها، تحذيرًا لعباده، وقطعًا للأعذار، قال تعالىٰ: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾﴾[آل عمران]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾[النَّبأ].

وجهنَّمُ دارُ سوء المصير، لا راحةَ فيها، ولا فَتْرة، عذابُ أهلها دائمٌ، ونارُها مُحرقةٌ، وأهلُها في حسرةٍ لا تنقضي، يطلبون الموتَ فلا يُقضىٰ عليهم، ويستغيثون فلا يُغاثون، وهي علىٰ شدَّةِ عذابِها لا تظلم أحدًا، بل هي جزاءٌ وفاقٌ، وعدلٌ محضٌ من اللهِ تعالىٰ.

ومن أهمِّ دعاء أهل النَّار:

- ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾[المؤمنون].
- ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾﴾[المؤمنون].
- ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾[السَّجدة].

○ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر].

○ ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزُّخرف].

وقد أخبرنا الله عَزَّوَجَلَّ ونبيُّه ﷺ بما في جهنَّم من العذاب الشَّديد، علىٰ اختلاف أنواعه وأشكاله، ومن ذلك:

○ **عذاب النَّار والإحراق**: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ﴾ [النِّساء:٥٦].

○ **الشَّراب الحميم والصَّديد**: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾ [محمَّد]، وقال: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾﴾ [إبراهيم].

○ **الطَّعام الخبيث**: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [الدُّخان]، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية].

○ **القيود والسَّلاسل والأغلال**: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾﴾ [غافر].

○ **السَّحب على الوجوه والإهانة**: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر].

○ **النَّدم والحسرة واليأس**: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر]، ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۖ﴾ [يونس:٥٤].

○ **الحرمان من رؤية الله**: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطفِّفين].

○ **دوام العذاب وعدم انقطاعه**: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة].

وقد سمَّىٰ اللهُ تعالىٰ جهنَّم في كتابه وعلىٰ لسانِ رسولِه ﷺ بأسماء مُتعدِّدةٍ، منها:

○ **جهنَّم**: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ [النَّبأ].

○ **النَّار**: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ﴾ [البقرة:٢٤].

○ **سَقَر**: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المُدَّثِّر].

○ **لَظَى**: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [المعارج].

- **الْحُطَمَة**: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤﴾[الهمزة].
- **الْجَحِيم**: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ۝٩١﴾[الشُّعراء].
- **السَّعِير**: ﴿فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ۝١٣﴾[الفتح].
- **دَارُ الْبَوَار**: ﴿وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ۝٢٨﴾[إبراهيم].
- **الْهَاوِيَة**: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾[القارعة].

ولجهنَّم سبعة أبوابٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ۝٤٤﴾[الحجر]، أي: لكلِّ بابٍ من الأبواب السَّبعة أهله الَّذين يدخلون منه.

والنَّار دركاتٌ، أسفلها وأشدُّها عذابًا للمُنافقين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾[النِّساء]، وأقلُّ النَّاس عذابًا فيها أبو طالبٍ، قال النَّبيُّ ﷺ: «**أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ**» أخرجه مسلمٌ، وذلك بفضل شفاعة النَّبيِّ ﷺ فيه الشَّفاعة الخاصَّة.

الـمَحطَّة الثَّانيةَ عشرةَ: القنطرةُ

إذا مرَّ أهل الجنَّة علىٰ الصِّراط وجاوزوا جهنَّم، وُقفوا علىٰ القنطرة، لتحصل لهم التَّنقية والتَّطهير الكامل قبل دخول الجنَّة، فيدخلوا الجنَّة وليس في قلوبهم غلٌّ مُطلقًا، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا﴾[الحجر:٤٧]، وفي حديث البخاريِّ: قال رسول الله ﷺ: «**يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَىٰ قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ**».

الـمَحطَّة الثَّالثةَ عشرةَ: شفاعته ﷺ في فتح أبواب الجنَّة

إذا نُقِّي المؤمنون من الحقد والغلِّ، وهُذِّبت نفوسهم، وقفوا علىٰ أبواب الجنَّة، ثمَّ يشفع النَّبيُّ ﷺ عند الله في فتح أبوابها، قال ﷺ: «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ فِي الْجَنَّةِ**»، وفي لفظٍ: «**أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ**»، وفي لفظٍ: «**آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ، لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ**» أخرجه مسلمٌ، وهذا من بركة نبيِّنا الكريم ﷺ، فإنَّ الشَّفاعة الأولىٰ الَّتي يشفعها في عرصات القيامة لإزالة الكروب والهموم والغموم، والشَّفاعة الثَّانية هذه لنيل الأفراح والسُّرور؛ فيكون ﷺ شافعًا للخلق في دفع ما يضرُّهم وجلب ما ينفعهم.

الـمَحطَّة الرَّابعة عشرةَ: الجنَّةُ

الجنَّةُ دارُ النَّعيمِ المقيم، أعدَّها اللهُ تعالىٰ لعبادِه المؤمنين جزاءً لإيمانهم وطاعتهم، وهي دارُ الكرامةِ والرِّضوان، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ علىٰ قلبِ بشرٍ، نعيمُها كاملٌ لا يشوبُه نقصٌ، وبقاؤها أبديٌّ لا انقطاعَ له، قال تعالىٰ: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾[النَّبأ]، وقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾[هود] أي: غير مُنقطع، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾[النِّساء]، وقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ لَهُمۡ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣١﴾[النَّحل].

والجنَّةُ في اعتقاد أهلِ السُّنَّةِ مخلوقةٌ موجودةٌ الآن، ففي حديث صلاة الكسوف المُتَّفق عليه أنَّه ﷺ قيل له: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ كَعْكَعْتَ؟ قَالَ ﷺ: «**إِنِّي رَأَيْتُ الْجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا**».

وجنَّة الخُلد هي أعلىٰ ما يُطمع فيه من الثَّواب، وأعظمُ نعيمِها رؤيةُ المؤمنين ربَّهم جلَّ وعلا، وهو الفوزُ الأكبر، ففي «صحيح مسلم» عنه ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَّ**»، ثُمَّ تَلَا هَـٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾[يونس:٢٦]، فالحسنىٰ هي الجنَّة، والزِّيادة هي رؤية وجه اللَّه عَزَّوَجَلَّ عيانًا جهارًا، قال تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة]، وفي حديث جرير المُتَّفق عليه: «**كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْقَمَرِ لَيْلَةً -يَعْنِي: الْبَدْرَ-، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، وأمَّا الكفَّار والمُنافقون فيُحجبون عنه، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾[المُطفِّفين].

وقد سمَّىٰ اللهُ تعالىٰ الجنَّةَ في كتابه وعلىٰ لسانِ رسولِه ﷺ بأسماء مُتعدِّدةٍ، كلُّ اسمٍ يدلُّ علىٰ وصفٍ من أوصافِها أو شرفٍ من أشرافِها؛ فمن أسمائها في القرآن:

- **دار السلَّام**: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ﴾[الأنعام:١٢٧].
- **جنَّة الخُلد**: ﴿قُلۡ أَذَٰلِكَ خَيۡرٌ أَمۡ جَنَّةُ ٱلۡخُلۡدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۚ﴾[الفرقان: ١٥].
- **دار المُقامة**: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[فاطر:٣٥].
- **جَنَّةُ المأوى**: ﴿فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾[النَّازعات].
- **جنَّاتُ عدنٍ**: ﴿جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾[البيِّنة:٨].
- **دارُ الحَيوانِ**: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾[العنكبوت:٦٤].
- **الفِرْدَوسُ**: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾[المؤمنون].
- **جَنَّاتُ النَّعيم**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾[لقمان].
- **المقامُ الأمينُ**: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١﴾[الدُّخان].
- **مقعد الصِّدق وقدم الصِّدق**: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾[القمر:٥٥]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾[يونس:٢].

وكلُّ هذه الأسماء تدلُّ علىٰ كمالِ الأمن، وتمامِ الإقامة، ودوامِ النَّعيم.

وجاء في السُّنَّةِ المُطهَّرة تسميتُها بالفردوس الأعلىٰ، وذِكرُ درجاتِها ومنازلِها، وأنَّ أهلَها يتفاوتون فيها بحسبِ إيمانهم وأعمالهم.

وللجنَّة ثمانية أبواب، قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللَّهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ**» مُتَّفقٌ عليه، ومنها باب الرَّيَّان، قال ﷺ: «**إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ**» مُتَّفقٌ عليه.

والجنَّة درجاتٌ، أعلاها وأوسطها الفردوس الأعلىٰ، فقد قال النَّبيُّ ﷺ لأمِّ حارثة بن سراقة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمَّا سألته عن مكان ابنها: «**أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟! إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ، وَإِنَّهُ فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ**» مُتَّفقٌ عليه، وعند أحمد: «**وَإِنَّ حَارِثَةَ لَفِي أَفْضَلِهَا، أَوْ قَالَ: فِي أَعْلَىٰ الْفِرْدَوْسِ**».

والإيمانُ بالجنَّةِ وأسمائِها وما أعدَّ اللهُ فيها لعبادِه أصلٌ عظيمٌ من أصولِ الإيمانِ باليومِ الآخر، يبعثُ علىٰ العملِ، ويهوِّن مشقَّةَ الطَّاعة، ويُرغِّب في المسابقةِ إلىٰ الخيرات، طمعًا في رحمةِ اللهِ وفضله.

أَسْئِلَةٌ لِلْقَارِئِ

[١] الإيمان باليوم الآخر يتضمَّن الإيمان بكلِّ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ ممَّا يكون بعد الموت: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٢] عذاب القبر ونعيمه يقعان علىٰ: ❍ الرُّوح. ❍ الجسد. ❍ الرُّوح والجسد.

[٣] انشقاق القمر يُعَدُّ من علامات السَّاعة الصُّغرىٰ الَّتي وقعت في عهد النَّبيِّ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٤] المهديُّ هو المسيح الدَّجَّال الَّذي يظهر في آخر الزَّمان: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥] يخرج الدَّجَّالُ في زمنٍ يكون فيه الدِّين قويًّا، والنَّاس مُتمسِّكون بالسُّنَّة: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦] ينزل عيسىٰ من السَّماء واضعًا كفَّيه علىٰ أجنحة ملكين: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٧] طلوع الشَّمس من مغربها هو الحدث الفاصل الَّذي يُغلَق عنده باب التَّوبة نهائيًّا: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٨] يوم القيامة يُسمَّىٰ يوم التَّغابُن؛ لأنَّ أهل الجنَّة يغبنون أهل النَّار بما نالوه من نعيم: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٩] تتطاير الصُّحف يوم القيامة، فمن النَّاس من يأخذ كتابه بيمينه، ومنهم من يأخذه بشماله من وراء ظهره: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٠] الصِّراط هو جسرٌ أدقُّ من الشَّعر وأحدُّ من السَّيف، يمُرُّ عليه النَّاس فوق جهنَّم: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١١] القنطرة هي مكانٌ بعد الصِّراط يُهذَّب فيه المُؤمنون ويُقتَصُّ بينهم حتَّىٰ يدخلوا الجنَّة طيِّبين: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٢] النَّار لها ثمانية أبوابٍ، والجنَّة لها سبعة أبوابٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٣] الشَّفاعة في خروج المُوحِّدين من النَّار هي شفاعةٌ خاصَّةٌ بالنَّبيِّ ﷺ وحده: ❍ صح. ❍ خطأ.

[١٤] ملك الموت هو المسؤول عن سؤال العبد في قبره عن ربِّه ودينه ونبيِّه:
❍ صح. ❍ خطأ.

[١٥] أوَّل علامات السَّاعة الكبرىٰ ظهورًا علىٰ وجه الأرض هي: ❍ خروج الدَّجَّال. ❍ طلوع الشَّمس من مغربها. ❍ خروج الدَّابَّة. ❍ النَّار الَّتي تسوق النَّاس.

[١٦] يمكث الدَّجَّال في الأرض أربعين يومًا، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهرٍ، ويومٌ كأسبوعٍ، وسائر أيَّامه كـ: ❍ أيَّامكم هذه. ❍ ساعاتكم. ❍ شهوركم. ❍ لمح البصر.

[١٧] يسكن يأجوج ومأجوج خلف السَّدِّ الَّذي بناه: ❍ سليمان عليه السلام. ❍ ذو القرنين. ❍ الإسكندر الأكبر. ❍ عيسىٰ عليه السلام.

[١٨] تُهدم الكعبة في آخر الزَّمان علىٰ يد رجلٍ من الحبشة يُسمَّىٰ: ❍ أبرهة. ❍ ذو السُّويقتين. ❍ القحطاني. ❍ الجهجاه.

[١٩] المدَّة بين نفخة الصَّعق ونفخة البعث: ❍ أربعون (يومًا أو شهرًا أو سنةً). ❍ عشر سنواتٍ. ❍ يومٌ واحدٌ. ❍ مئة عام.

[٢٠] أوَّل من ينشقُّ عنه القبر يوم القيامة هو: ❍ آدم عليه السلام. ❍ إبراهيم عليه السلام. ❍ محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم. ❍ نوحٌ عليه السلام.

[٢١] الكوثر هو نهرٌ أعطاه اللَّه لنبيِّه صلى الله عليه وسلم، مكانه في: ❍ أرض المحشر. ❍ الجنَّة. ❍ البرزخ. ❍ جهنَّم.

[٢٢] أدنىٰ أهل الجنَّة منزلةً هو من يملِكُ مثل مُلكِ مَلِكٍ من مُلوك الدُّنيا و: ❍ ضعفان. ❍ خمسة أضعافٍ. ❍ عشرة أمثاله. ❍ مئة ضعفٍ.

[٢٣] يفرُّ المرء يوم القيامة من: ❍ أمِّه وأبيه. ❍ ماله وتجارته. ❍ بيته وقصره.

[٢٤] يُحشَر النَّاس يوم القيامة علىٰ أرضٍ: ❍ خضراء. ❍ بيضاء عفراء كقرصة النقي. ❍ سوداء مظلمةٍ.

[٢٥] الشَّمس يوم القيامة تدنو من رؤوس الخلائق بمقدار: ❍ ميلٍ. ❍ فرسخٍ. ❍ كيلومترٍ.

[٢٦] يُذبح (❍ الموت، ❍ الشَّيطان، ❍ الدَّجَّال) علىٰ صورة كبشٍ أملح بين الجنَّة والنَّار تخليدًا لأهلهما.

[٢٧] الفئة الَّتي تظلُّ تحت ظلِّ عرش الرَّحمن يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه عددها (❍ ثلاثةُ، ❍ سبعةُ، ❍ عشرةُ) أصنافٍ.

[٢٨] اربط القائمة اليمنىٰ بما يناسبها من اليسرىٰ:

فتنة القبر		ريحٌ طيِّبةٌ تقبض روحَ كلِّ من في قلبه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمانٍ.
الحوض		سؤال الملكين (مُنكَرٍ ونكيرٍ) للعبد في قبره.
الهرج		مجمع ماءٍ في المحشر يرِدُه المؤمنون قبل دخول الجنَّة.
الرِّيح اللَّيِّنة		كثرة القتل واختلاط الأمور في آخر الزَّمان.
الصُّور		قرنٌ عظيم يُنفخ فيه لإماتة الخلق ثمَّ إحيائهم.

[٢٩] صنِّف العلامات الآتية إلىٰ صغرىٰ أو كبرىٰ:

العلامة	صغرى	كبرى
ضياع الأمانة وتوسيد الأمر إلىٰ غير أهله:		
خروج دخانٍ يغشىٰ النَّاس:		
ظهور مُدَّعِي النُّبوَّة (الكذَّابين):		
خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب:		
تطاول الحفاة العراة في البنيان:		

[٣٠] سُمِّي يوم القيامة بذلك لقيام النَّاس: ❍ من نومهم. ❍ من قبورهم. ❍ من مجالسهم.

[٣١] الإيمان بأشراط السَّاعة يزيد العبد: ❍ غفلةً. ❍ خوفًا واستعدادًا. ❍ شكًّا.

[٣٢] أشراط السَّاعة الصُّغرىٰ: ❍ لا تتكرَّر. ❍ غالبها مألوفٌ. ❍ كلُّها خارقةٌ.
[٣٣] أشراط السَّاعة الكبرىٰ: ❍ تقع في زمنٍ طويلٍ. ❍ تقع متفرِّقةً. ❍ تتتابع عند ظهورها.
[٣٤] من أشراط السَّاعة الصُّغرىٰ: ❍ انشقاق القمر. ❍ نزول عيسىٰ عليه السلام. ❍ خروج الدَّابَّة.
[٣٥] من أشراط السَّاعة الكبرىٰ: ❍ كثرة المال. ❍ خروج الدَّجَّال. ❍ ضياع الأمانة.
[٣٦] علم وقت السَّاعة: معلومٌ للأنبياء. ❍ اجتهاديٌّ. ❍ من الغيب المُختصِّ باللَّه.
[٣٧] الحشر يكون والنَّاس: ❍ حفاةٌ عراةٌ غرلٌ. ❍ بثيابهم. ❍ علىٰ دوابٍّ.
[٣٨] من يُعطىٰ كتابه بيمينه: ❍ كلُّ النَّاس. ❍ المؤمن. ❍ المنافق.
[٣٩] من يعطىٰ كتابه من وراء ظهره: ❍ المؤمن. ❍ الكافر. ❍ التَّائب.
[٤٠] الصِّراط أدقُّ من: ❍ الشَّعر. ❍ السَّيف. ❍ الخيط.
[٤١] الشَّفاعة تثبت بـ: ❍ العقل. ❍ الكتاب والسُّنَّة. ❍ الإجماع فقط.
[٤٢] الجنَّة دار: ❍ اختبارٍ. ❍ نعيمٍ. ❍ فناءٍ.
[٤٣] النَّار: ❍ دارٌ مؤقَّتةٌ للجميع. ❍ دار عذابٍ. ❍ دار عبورٍ فقط.
[٤٤] رؤية المؤمنين لربِّهم يوم القيامة: ❍ مجازيَّةٌ. ❍ حقيقيَّةٌ بلا كيفَ. ❍ مستحيلةٌ.
[٤٥] الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٤٦] جميع أشراط السَّاعة الكبرىٰ وقعت: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٤٧] أشراط السَّاعة الصُّغرىٰ قد تقع في مكانٍ دون آخر: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٤٨] أشراط السَّاعة الكبرىٰ تُؤثِّر في نظام الكون كلِّه: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٤٩] الموت هو بداية الآخرة: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥٠] سؤال الملكين حقٌّ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥١] نعيم القبر وعذابه ثابتان: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥٢] الميزان يوم القيامة مجازيٌّ لا حقيقيٌّ: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٥٣] الصِّراط يمرُّ عليه النَّاس بحسب أعمالهم: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥٤] الحوض خاصٌّ بالنَّبيِّ محمَّدٍ ﷺ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥٥] من شرب من الحوض لا يظمأ بعده أبدًا: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥٦] الجنَّة والنَّار تفنيان بعد مدَّةٍ: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥٧] الكفَّار يرون الله يوم القيامة: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥٨] أشراط السَّاعة الكبرىٰ لا تقبل التَّأويل: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٥٩] الإيمان باليوم الآخر يُؤثِّر في سلوك العبد: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٦٠] الغاية الأساسيَّة من ذكر أشراط السَّاعة: ❍ التَّسلية. ❍ التَّخويف فقط. ❍ التَّنبيه والاستعداد.
[٦١] أشراط السَّاعة الكبرىٰ إذا ظهرت: ❍ تتوقَّف. ❍ تتتابع. ❍ تتفرَّق.
[٦٢] الحوض ماؤه: ❍ كالماء العاديِّ. ❍ أبيض من اللَّبن، وأحلىٰ من العسل. ❍ مالحٌ.
[٦٣] «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّىٰ يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**» حديثٌ صحيحٌ يحثُّ علىٰ الاستمرار في عمل الخير والإنتاج حتَّىٰ آخر لحظةٍ في الحياة: ❍ صح. ❍ خطأ.
[٦٤] في سورة الزُّمر قال تعالىٰ عن أهل النَّار: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزُّمر:٧١]، وقال عن أهل الجنَّة: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾[الزُّمر]، وسبب وجود الواو في آية أهل الجنَّة دون آية أهل النَّار: ❍ لأنَّ أبواب الجنَّة تُفتح قبل وصولهم. ❍ لأنَّ أهل النَّار يدخلون النَّار فجأةً بلا انتظارٍ. ❍ لأنَّ أهل الجنَّة ينتظرون استفتاح النَّبيِّ ﷺ، ويُنقَّون من الغلِّ قبل دخولها. ❍ لأنَّ أبواب النَّار أقلُّ عددًا من أبواب الجنَّة. ❍ الثَّاني والثَّالث.

[٦٥] الشَّفاعة يوم القيامة: ❍ منفيَّةٌ مُطلقًا. ❍ تثبت بلا دليلٍ. ❍ تثبت بما ثبت في الكتاب والسُّنَّة.
[٦٦] ينزل عيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزَّمان: ❍ عند المسجد النَّبويِّ.

❍ عند الكعبة. ❍ في بيت المقدس. ❍ عند المنارة البيضاء شرقي دمشق.

[٦٧] الميزان الَّذي يُنصَب يوم القيامة هو ميزانٌ حقيقيٌّ، له كِفَّتان، تُوزن فيه الأعمال، والصُّحف، والأشخاص: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦٨] يأجوج ومأجوج يمتلكون قوَّةً لا قِبل لأحدٍ من البشر بقتالهم، فيلجأ عيسىٰ عليه السلام والمؤمنون إلىٰ الطُّور: ❍ صح. ❍ خطأ.

[٦٩] استعمال (إذا) بدل (إنْ) في آيات القيامة نحو: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ١﴾ [الواقعة]؛ يدلُّ علىٰ أنَّ أحداث القيامة: ❍ مُحتملة الوقوع. ❍ مَشكوكٌ في حدوثها. ❍ نادرةُ الوُقوعِ. ❍ مُتحقِّقةُ الوقوع يقينًا.

الكتاب السَّادس:

«سِلْسِلَةُ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ»

إعدادِ الفقير إلى عفو ربِّه:
هيثم بن محمَّد سرحان
المُدرِّس بمعهد الحرم بالمسجد النَّبويِّ -سابقًا-
والمُشرِف على معهد السُّنَّة

مُقَدِّمَـةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[النِّساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب].

أمَّا بعد؛ فإنَّ من أعظم ما يُلحَظُ في زماننا كثرةَ الأسئلة، وتنوُّع الشُّبُهات، وتسارُعَ تداوُلِ المعلومات دون تثبُّتٍ أو تأصيل، حتَّىٰ صار كثيرٌ من النَّاس يقف حائرًا أمام قضايا كان ينبغي أن تكون من الواضحات، لا من المُشتبهات، ولم تعد الشُّبهة تُعرَض في صورتها القديمة المحدودة؛ بل صارت تنتشر عبر وسائل مُتعدِّدةٍ، وتُطرَحُ بصيغٍ جديدةٍ تلبس الحقَّ بالباطل، وتُضعِف اليقين في النُّفوس، خصوصًا في أبواب العقيدة، وأحكام الحلال والحرام، ومنهج الدَّعوة إلىٰ الله.

ومن هنا جاءت هذه السِّلسلة لتكون حواراتٍ علميَّةً مختصرةً بأسلوب السُّؤال والجواب، تُقَرِّب المعاني إلىٰ الأذهان، وتُجيب عن أبرز ما يَرِد علىٰ القارئ من إشكالاتٍ بطريقةٍ واضحةٍ ومُباشرةٍ، معتمدةً علىٰ الدَّليل، ومبنيَّةً علىٰ فهم سلف الأمَّة، فهذا الأسلوب من أنفع الأساليب التَّعليميَّة؛ إذ يُحاكي طريقة التَّعلُّم الفطريِّ القائمة علىٰ السُّؤال والجواب، ويجعل القارئ مُشاركًا في بناء الفهم، لا مُجرَّد مُتلقٍّ للمعلومة.

وقد اشتملت هذه الحوارات علىٰ جملةٍ من الموضوعات الَّتي تمسُّ أصل دين المُسلم وفرعه، فبيَّنت حقيقة الدُّخول في الإسلام ويُسرَه، ووضَّحت ما ينقضُه ويُخرِج

منه، وعرَّفت بالكبائر وخطرها علىٰ القلب والدِّين، كما تناولت منهج الدَّعوة إلىٰ الله وضوابطها، وتطرَّقت إلىٰ بعض المسائل المُعاصرة الَّتي يكثر السُّؤال عنها؛ كأحكام الخمر والتَّدخين وما يتَّصل بهما من شُبهاتٍ، مع بيان ما يعين علىٰ فهم كتاب الله من خلال الوقوف مع سورٍ وآياتٍ عظيمةٍ، لها أثرٌ بالغ في ترسيخ الإيمان وتعظيم شأن التَّوحيد.

وليس المقصود من هذا الكتاب استيعاب جميع المسائل، ولا الإحاطة بكلِّ ما يُثار من شُبُهاتٍ، وإنَّما المقصود تأسيس منهجٍ صحيحٍ في الفهم، وتقريب العلم لطالبه، وفتح بابٍ يُعين علىٰ إدراك الأصول الَّتي يُرجَع إليها عند الاشتباه، حتَّىٰ يكون المسلم علىٰ بصيرةٍ من دينه، قادرًا علىٰ تمييز الحقِّ من الباطل، ودفع ما يَرِد عليه من إشكالاتٍ.

وقد رُوعي في هذه السِّلسلة الاختصارُ غيرُ المُخِلِّ، والوضوحُ في العبارة، وسهولةُ العرض، لتكون مناسبةً لعامَّة المسلمين، نافعةً للمُبتدئ في طلب العلم، ومعينةً للدَّاعية في تبليغ الحقِّ بأسلوبٍ قريبٍ مفهوم.

نسأل الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لعباده، سببًا في هداية من ضلَّ، وتثبيت من اهتدىٰ، وأن يبارك في الجهود، ويكتب لها القبول، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

الفصل ١: كَيْفَ أَدْعُوا إِلَى اللّهِ؟

السُّؤالُ [١]: ما هي أفضَلُ وَظيفَةٍ في العالَمِ؟

أفضَـلُ الوَظائِـفِ هـي وَظيفَةُ الدَّاعِيَـةِ إلىٰ اللهِ، فهـو يُعلِّمُ النَّاسَ مـا يُقيمونَ بـه دينَهُم، قال ﷺ: «**وَاللهِ لَأَنْ يَهْـدِيَ اللهُ بِـكَ رَجُـلًا خَيْرٌ لَـكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَـكَ حُمْرُ النَّعَـمِ**». مُتَّفَقٌ عليه.

السُّؤالُ [٢]: ما حُكمُ الدَّعوَةِ إلىٰ اللهِ؟

الدَّعـوَةُ إلـىٰ اللهِ فَـرضٌ علـىٰ الكِفايَـةِ، وقد تَكـونُ فَرضَ عَينٍ علـىٰ من هو أهلٌ لهـا إذا لم يوجَد غَيـرُه ممَّن يَقـومُ مَقامَهُ.

السُّؤالُ [٣]: هل الدَّعوَةُ إلىٰ اللهِ عِبادَةٌ؟

نعـم؛ بـل هي مِـن أعظَـمِ العِبـاداتِ وأجَلِّهـا، ولهذا فقـد وفَّـقَ اللهُ إلىٰ هـذهِ الوَظيفَـةِ خَيرَ الخَلـقِ أجمَـعَ وهُـم الأنبياءُ والمُرسَـلونَ.

السُّؤالُ [٤]: ما الدَّليلُ علىٰ أنَّ الدَّعوَةَ عِبادَةٌ؟

الدَّليـلُ قولُه تَعالـىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٣٣﴾ [فصِّلـت]، كمـا أنَّ الدَّعـوَةَ هـي طَريـقُ المُرسَـلينَ، قـالَ تعالـىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسـف:١٠٨].

السُّؤالُ [٥]: هل بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ طَريقَةَ الدَّعوَةِ؟

نعم؛ بل إنَّ سيرَتَه كُلَّها دَعوةٌ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ومِنها بَعثُه ﷺ لمُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإرشادُهُ له بقولِهِ: «**ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ...**». مُتَّفَقٌ عليه.

السُّؤالُ [٦]: هل للدَّعوَةِ أدِلَّةٌ مِن القُرآنِ؟

للدَّعوَةِ إلىٰ اللهِ أدِلَّةٌ كثيرَةٌ مِن القرآنِ، مِنها قَولُهُ تَعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[النَّحل:١٢٥]، وقولُه: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[يوسف:١٠٨].

السُّؤالُ [٧]: ما هي شُرُوطُ الدَّعوَةِ إلىٰ اللهِ؟

شُرُوطُ الدَّعوَةِ خَمسَةٌ:

١. **الإخلاصُ**: بأن يَكونَ قَصدُه في دَعوَتِه إقامَةَ دينِ اللهِ، وإصلاحَ عِبادِ اللهِ.
٢. **العِلمُ الشَّرعِيُّ**: لأنَّ العِلمَ هو السِّلاحُ، والدَّاعي إلىٰ اللهِ بلا عِلمٍ قد يُفسِدُ أكثَرَ ممَّا يُصلِحُ، وينبَغي أن يَكونَ عامِلًا بعِلمِهِ، فاعِلًا لما يَدعو إليه، فإنَّه أدعَىٰ لقَبولِ دَعوَتِهِ.
٣. **مَعرِفَةُ حالِ المَدعُوِّ**: ليَكونَ علىٰ استِعدادٍ لمُواجَهتِهم، وليُنزِّلَهم مَنزِلَتَهم اللَّائقة بما عِندَهم مِن العِلمِ.
٤. **الحِكمَةُ**: وهي وَضعُ الأُمورِ في مَوضِعِها المُناسِبِ.
٥. **الصَّبرُ**: فالدَّعوَةُ لها مَشقَّةٌ، والدَّاعي إلىٰ اللهِ قد يُصيبُهُ أذًىٰ مِن المَدعُوِّينَ.

السُّؤالُ [٨]: بماذا يَبدَأُ الدَّاعيَةُ إلىٰ اللهِ؟

يبدَأُ بالتَّوحيدِ وعدَمِ المُجادَلَةِ، وتقَدَّمَ قولُهُ ﷺ لمُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا**

إِلَـهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّـي رَسُـولُ اللهِ، فَـإِنْ هُمْ أَطَاعُـوا لِذَلِـكَ، فَأَعْلِمْهُـمْ...». مُتَّفَقٌ عليه.

السُّؤالُ [٩]: هل يُبيِّنُ الدَّاعي الباطِلَ الَّذي عليه المَدعُوُّ؟

لا؛ بـل يَدعوهُـم بالمَوعِظَـةِ الحَسَـنةِ، قالَ تَعالـىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[النَّحـل:١٢٥]، وذِكـرُ الباطِـلِ الَّـذي عليـهِ المَدعُوُّ قـد يَكونُ سـببًا لنُفـورِه وعدَمِ قَبولِـهِ الحَقَّ.

السُّؤالُ [١٠]: هل لقِيَ النَّبيُّ ﷺ مُشرِكًا ولم يَدعُهُ إلىٰ الإسلامِ؟

مَـن نظَـرَ في سـيرَتِهِ وجَـدَ أنَّـهُ ﷺ ما لقِـيَ مُشـرِكًا ولا عاصِيًـا إلَّا دَعـاهُ إلىٰ الإسـلام، قالَ مُعاوِيَـةُ بـنُ الحكَمِ السُّـلمِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**بِأَبِي هُوَ وَأُمِّـي، مَا رَأَيْـتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَـنَ تَعْلِيمًـا مِنْهُ، فَـوَاللهِ مَا كَهَرَنِـي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَـتَمَنِي**». أخرَجَهُ مسـلمٌ.

السُّؤالُ [١١]: هل كانَتِ وَسائِلُ الدَّعوَةِ مُتاحَةً في العُصورِ الأولىٰ؟

انتشَـرَ الإسـلامُ علـىٰ عَهدِ النَّبـيِّ ﷺ، ثمَّ علـىٰ عَهدِ الصَّحابَـةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ثمَّ علىٰ عَهدِ السَّـلَفِ الصَّالِـحِ، فبلَغَ الآفـاقَ، كلُّ هذا مع قِلَّةِ الوَسـائِلِ.

السُّؤالُ [١٢]: ما سبَبُ سُرعَةِ انتِشارِ الإسلامِ علىٰ عَهدِهم مع قِلَّةِ الوَسائِلِ؟

مـا ذلِـكَ إلَّا لكَثـرَةِ الإخـلاصِ فيهـم، ولاتِّباعِهـم سُـنَّةَ النَّبـيِّ ﷺ في الدَّعـوَةِ، فكانَـت دَعوَتُهُـم إلـىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ صادِقَـةً في مُحتَواهـا، ووَسـائِلِها، وأَهدافِهـا.

واجِبُ المُسـلِمينَ أن يجعَلوا مِن التَّطوُّراتِ الإسـلامِيَّةِ وَسـيلةً لنَشـرِ رِسـالَةِ الإسـلامِ، لا لنَشـرِ التَّسَـلُّطِ والبَغْيِ، فيَسـتغِلُّونَ كُلَّ حادِثَـةٍ لتَعليمِ النَّـاسِ دينَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

السُّؤالُ [١٣]: هل يَنبَغي للمُسلِم أن يَخافَ علىٰ الكافِرِ مِن النَّارِ؟

نعم؛ لابُدَّ أن يَخافَ المُسلِمُ علىٰ الكافِرِ مِن النَّار، وعلىٰ هذا كانَ الأنبياءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعلىٰ رأسِهم نبيُّنا ﷺ، وكذا أصحابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ثمَّ أتباعُهم مِن بَعدِهم، قال نوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومِه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥٩﴾[الأعراف]، وقالَ نبيُّنا ﷺ لقومِه: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ۝٣﴾[هود]، وأخرجَ البُخاريُّ عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**».

السُّؤالُ [١٤]: لماذا لا نترُكُ الكُفَّارَ يَدخُلونَ النَّارَ؟

لأنَّ دينَنا يأمُرُ بإنقاذِهم مِن النَّارِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ۝٢٧﴾[النِّساء].

السُّؤالُ [١٥]: أنا أعيشُ في بَلَدٍ مُسلِمٍ، فكيفَ أدعو إلىٰ الإسلامِ؟

تَجِدُ في كَثيرٍ مِن بِلادِ الإسلامِ مَن ليس مُسلِمًا أصلًا؛ كمن يَقدَمُ علىٰ بِلادِ المُسلِمينَ للسِّياحَةِ أو العَمَلِ، وتَجِدُ ممَّن يَحسَبُ نفسَهُ مُسلِمًا مَن يقَعُ في نَواقِضِ الإسلامِ، فيَخرُجُ بها مِن المِلَّةِ وهو لا يَدري، فيَدعو الإنسانُ الحَريصُ كُلَّ هؤُلاءِ إلىٰ الإسلامِ الحَقِّ الَّذي بُعِثَ به مُحمَّدٌ ﷺ.

السُّؤالُ [١٦]: ما مَعنىٰ وُضوحِ الدَّاعِيَةِ؟

المَقصودُ بوُضوحِ الدَّاعِيَةِ أن يُخاطِبَ النَّاسِ بالكَلامِ الَّذي يَفهَمونَه، قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[إبراهيم:٤]، فيَنبَغي للدَّاعِيَةِ أن يُقَدِّمَ تعريفًا واضحًا للإسلامِ لا لَبسَ فيهِ ولا غُموضَ.

السُّؤالُ [١٧]: هل مِن الحِكمَةِ أن يُخبِرَ الدَّاعِيَةُ المَدْعُوَّ بتَفاصيلِ الأحكامِ؛ كأن يُعرِّفَهُ أنَّ عليه خِتانًا، أو زَكاةً، أو صِيامًا؟

مِن الفِقهِ والحِكمَةِ في الدَّعوَةِ أن يبدَأَ الدَّاعِيَةُ بالأهَمِّ فالمُهِمِّ، قالَ ﷺ لمُعاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَىٰ قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ فَأَخْبِرْهُمْ: أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ...**». مُتَّفَقٌ عليه.

ولَيسَ مِن الحِكمَةِ أن يبدَأَ الدَّاعي بتَفاصيلِ الأحكامِ قبلَ أُصولِ الدِّينِ وأركانِ الإسلامِ.

السُّؤالُ [١٨]: هل للدَّاعِيَةِ إسقاطُ بَعضِ الأحكامِ عن المَدعُوِّينَ؟

ليسَ للدَّاعِيَةِ إسقاطُ شَيءٍ مِن أحكامِ الدِّينِ عن المَدعُوِّ، فإنَّ الشَّارِعُ هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، والدِّينُ قد كَمُلَ فلا زِيادَةَ فيه ولا نُقصانَ، لكنَّ الواجِبَ علىٰ الدَّاعِي إلىٰ اللهِ -كما سبَقَ- هو البَدءُ بالأهَمِّ فالمُهِمِّ، والسُّكوتُ عمَّا كانَ دونَ ذلِكَ إلىٰ أن يَأتِيَ حينُهُ، لكنَّهُ إذا سُئِلَ عن شَيءٍ لم يَجُز له أن يُفتِيَ بغَيرِ ما يَدينُ به اللهَ عَزَّ وَجَلَّ.

السُّؤالُ [١٩]: ما هي قِصَّةُ الضَّحَّاكِ؟

قالَ أبو حيَّانَ التَّوحيديُّ في «البَصائِرِ والذَّخائِرِ» (٥/ ٤٧): (كانَ نَصرانِيٌّ يَختلِفُ إلىٰ الضَّحَّاكِ بنِ مُزاحِمٍ) أحَدِ التَّابِعينَ، (فقالَ يَومًا: مازِلتُ مُعجَبًا بالإسلامِ مُذ عرَفتُكَ، قالَ: فما يَمنَعُكَ مِنهُ؟ قالَ: حُبِّي الخَمرَ، قالَ: فأسلِمْ واشرَبْها، قالَ: فلَمَّا أسلَمَ قالَ له الضَّحَّاكُ: إنَّكَ قد أسلَمتَ، فإنْ شَرِبتَ الخَمرَ حَدَدناكَ، وإن رَجعتَ عن الإسلامِ قَتَلناكَ! فترَكَ الخَمرَ وحَسُنَ إسلامُهُ).

السُّؤالُ [٢٠]: هل تتَعارَضُ الدَّعوَةُ مع العِلمِ؟

ثَمـرَةُ العِلـمِ هـي: العَمـلُ والدَّعـوَةُ، والعِلمُ -كما سـبَقَ- شَـرطٌ مِن شُـروطِ الدَّعـوَةِ، فلا تَعـارُضَ بينهما.

السُّؤالُ [٢١]: بماذا أوصىٰ النَّبيُّ ﷺ مُعاذًا وأبا موسىٰ الأشعَرِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؟

أوصاهُمـا ﷺ وصِيَّـةً جامِعَةً شـامِلَةً فقالَ: «**بَشِّـرَا وَيَسِّـرَا، وَعَلِّمَا وَلَا تُنَفِّرَا**»، قـالَ الرَّاوي: وَأُرَاهُ قَـالَ: «**وَتَطَاوَعَـا**». مُتَّفقٌ عليه.

السُّؤالُ [٢٢]: هل للدَّعوَةِ مُدَّةٌ مُعَيَّنَةٌ كثلاثةِ أيَّامٍ أو أكثرَ؟ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؟

ليـسَ للدَّعـوَةِ مُدَّةٌ مُعيَّنةٌ، وإنَّما يَدعو المُسـلِمُ حسَـبَ الحاجَةِ، وكُلَّمـا كان في دَعوَتِهِ أدوَمَ كانَ ذلِـكَ لأثَرِها أوقَـعَ، ولثَوابِهِ أعظَمَ.

السُّؤالُ [٢٣]: هل وَسائِلُ الدَّعوَةِ تَوقيفِيَّةٌ؟

وَسـائِلُ الدَّعـوَةِ اجتِهادِيَّـةٌ وليسـت تَوقيفِيَّـةً، فيَدعـو الإنسـانُ بـكُلِّ مـا مِـن شَـأنِهِ إيصالُ الدَّعـوَةِ إلـىٰ المَدعُـوِّ، سَـواءٌ كانَ ذلِـكَ مِـن الوَسـائِلِ القَديمَـةِ أو الحادِثَةِ، فيَشـمَلُ ذلِكَ: الهاتِـفَ، والشَّـبكَةَ العَنكَبوتِيَّـةَ، ووسـائِلَ التَّواصُـلِ الاجتِماعِيَّـةَ، وغيرَها.
لكِنَ يُشتَرَطُ في كُلِّ ذلِكَ أن لا يَقَع مَحذورٍ شَرعِيٍّ كالاختِلاطِ ونحوِهِ.

السُّؤالُ [٢٤]: هل الدَّعوَةُ لابُدَّ فيها مِن الإخلاصِ والمُتابَعَةِ؟

الدَّعـوَةُ إلـىٰ الله عِبـادَةٌ مِـن العِباداتِ كمـا تقدَّمَ؛ بل هـي مِن أجَـلِّ العِباداتِ، فيُشـتَرَطُ لها ما يُشـتَرَطُ لسـائِرِ العِباداتِ وهو:

١. **الإخلاصُ**: لله عَزَّوَجَلَّ، قالَ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**». مُتَّفقٌ عليه.

٢. **المُتابَعَةُ**: للنَّبيِّ ﷺ في أوصافِ العِبادَةِ وكَيفيَّتِها؛ لأنَّهُ هو المُبَلِّغُ عن اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قالَ تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[الشُّورىٰ:١٣]، فمَن تَعَبَّدَ اللهَ بغيرِ ما شَرَعَ فقد شارَكَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ في تَشريعِهِ.

السُّؤالُ [٢٥]: يَحتَجُّ النَّاسُ إذا دُعُوا إلىٰ اللهِ بما كانَ عليهِ الآباءُ، والأجدادُ، والأقوامُ، فما جَوابُ ذلِكَ؟؟

جَوابُهُ قولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝١٧٠﴾[البقرة]؟! وقولُهُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٢١﴾[لقمان]؟! ونَحوِها مِن الآياتِ، وهي كَثيرةٌ في القرآنِ.

السُّؤالُ [٢٦]: هل يُشرَعُ للدَّاعِيَةِ أن يَدعُوَ إلىٰ التَّفَكُّرِ في خَلقِ اللهِ؟

نعم، فإنَّ هذا مِن طريقةِ القُرآنِ والسُّنَّةِ في الدَّعوَةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۝٢٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝٢٨﴾[فاطر].

السُّؤالُ [٢٧]: ما الَّذي ينبَغي للداَّعِيَةِ بَيانُهُ فيما يتعلَّقُ بِنِعَمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟

يَنبَغي للدَّاعِيَةِ التَّذكيرُ بنِعَمِ اللهِ علىٰ العِبادِ، فإنَّ ذلِكَ مِن طَريقَةِ الأنبياءِ في الدَّعوَةِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[إبراهيم:٦].

السُّؤالُ [٢٨]: هل مِن الحِكمَةِ في الدَّعوَةِ استِعمالُ التَّرغيبِ والتَّرهيبِ؟

نعم، فإنَّما يَحمِلُ الإنسانَ علىٰ لُزوم الحقِّ الرَّغبَةُ في ثوابِ اللهِ والخَشيَةُ مِن عِقابِهِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٨﴾[المائدة].

السُّؤالُ [٢٩]: هل مِن الوَسائِلِ الصَّحيحَةِ في الدَّعوَةِ ذِكرُ القَصَصِ؟

نعم، قالَ تعالىٰ بعد أن قصَّ قصَّة يوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾[يوسف:١١١]، وأمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ نبيَّهُ ﷺ أن يستَعمِلَ القَصَصَ في تَبليغ الرِّسالَةِ فقالَ: ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾[الأعراف]، قالَ الطَّبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تَفسيرِهِ» (١٣/ ٢٧٤): (فاقصُص علىٰ قَومِكَ مِن قُريشٍ، ومَنْ قِبَلَك من يَهودِ بَني إسرائيلَ، ليتفكَّروا في ذلِكَ، فيَعتبِروا ويُنيبوا إلىٰ طاعَتِنا، لِئلَّا يحِلَّ بهم مِثلُ الَّذي حلَّ بمَن قبلَهم مِن النِّقَمِ والمَثُلاتِ، ويتدبَّره اليَهودُ مِن بَني إسرائيلَ، فيَعلَموا حَقيقَةَ أمرِكَ وصِحَّةَ نُبُوَّتِكَ)، لكن يُنبَّهُ إلىٰ أنَّ الاقتِصارَ علىٰ القَصَصِ غيرُ كافٍ، لأنَّ المَدعُوَّ قد يَنشَغِلُ بالقِصَّةِ عن المَقصَدِ، وقد يَمنعُهُ استِمتاعُهُ بالقِصَّةِ مِن الاستِفادَةِ مِنها، قالَ ابنُ الجَوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «تَلبيسِ إبليسَ» (ص١٣٤): (ذُمَّ القُصَّاصُ لأنَّ الغالِبَ مِنهم الاتِّساعُ بذِكرِ القَصَصِ دونَ ذِكرِ العِلمِ المُفيدِ، ثمَّ غالِبُهم يُخَلِّطُ فيما يُورِدُه، وربَّما اعتمَدَ علىٰ ما أكثَرُه مُحالٌ).

السُّؤالُ [٣٠]: هل ينبَغي للدَّاعِيَةِ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بيانُ مَحاسِنِ الإسلامِ؟

نعم، فإنَّ هذا ممَّا يَحمِلُ المَدعُوَّ علىٰ قَبولِ دينِ الإسلامِ، ومِن أمثِلَةِ ذلِكَ قَولُ جعفرِ بنِ أبي طالبٍ للنَّجاشيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَىٰ اللهِ لِتَوْحِيدِهِ، وَلِنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَنْ نَعْبُدَ اللهَ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ**». أخرجهُ أحمَدُ.

السُّؤالُ [٣١]: هل يَنبَغي للدَّاعِيَةِ مُراعاةُ حالِ المَدعُوِّ؟

نعم، فإنَّ مُراعاةَ حالِ المَدعُوِّينَ مِن الحِكمَةِ في الدَّعوَةِ، قالَ مالِكُ بنُ الحُوَيرِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَتَيْنَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا، سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ...**». مُتَّفقٌ عليه.

فيَنبغي للدَّاعيَةِ أن يُراعِيَ حالَ المَدعُوِّ مِن وُجوهٍ مِنها:

١. **السِّنُّ**: فلا يُخاطِبُ الصَبيَّ بما يُخاطِبُ به الشَّابَّ، ولا الشَّابَّ بما يُخاطِبُ به الكَهلَ أو الشَّيخَ.

٢. **المُستَوىٰ التَّعليميُّ والثَّقافيُّ**: قال عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟». أخرجَهُ البُخاريُّ.

٣. **المَنطِقَةُ الَّتي هو مِنها**: فلكُلِّ مَنطِقَةٍ أعرافُها، وما يسهُلُ الدُّخولُ علىٰ أهلِها مِنه، ومِن الأمورِ المُعاصِرَةِ في هذا البابِ وَسائِلُ التَّواصُلِ، فلكُلِّ بلَدٍ وسائِلُ للتَّواصُلِ هي أجدىٰ وأكثرُ انتِشارًا مِن غيرِها، فينبَغي للدَّاعِيَّةِ أن يَطرُقَها.

السُّؤالُ [٣٢]: هل يُمكِنُ المَدعُوَّ أن يَدخُلَ في الإسلامِ ثُمَّ يَرجِعَ عنه ولا يَستمِرَّ؟

لا يَجوزُ لمَن صارَ مُسلِمًا واستَقَرَّ الإسلامُ في قَلبِه أن يَرجِعَ مِنه إلىٰ الكُفرِ، ولهذا وجَبَ التَّحقُّقُ مِن معرِفَةِ المَدعُوِّ لأُصولِ الإسلامِ وإقرارِه بها قبلَ دُخولِهِ في الإسلامِ، وأمَّا التَّفاصيلُ فمِن الحِكمَةِ تأجيلُها إلىٰ الوَقتِ المُناسِبِ لها، وليس مِن الحِكمَةِ أن يُقالَ للمَدعُوِّ: (إذا دَخلتَ في الإسلامِ فلا يَجوزُ لك الخُروجُ مِنه)؛ لأنَّ ذلِكَ ممَّا يُنَفِّرُهُ عن قَبولِ الإسلامِ.

السُّؤالُ [٣٣]: هل يُمكِنُ أن أكونَ داعِيَةً إلىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟

نعم، استَعن باللهِ، ولا تعجَزْ، وعليك بالعِلمِ والعَملِ، فإنَّ العِلمَ مِن شُروطِ الدَّعوَةِ، وإنَّ العَملَ به مِن آدابِ الدَّعوَةِ، فيَنبَغي للدَّاعِيَةِ أن يَكونَ عامِلًا بما يَدعو إليه؛ لأنَّ ذلِكَ أدعىٰ لاستِجابَةِ المَدعُوِّ.

السُّؤالُ [٣٤]: هل الدَّعوَةُ تَكونُ بالقَولِ فقط؟

لا، تكونُ بالقَولِ وبالفِعل؛ بل أحيانًا تَكونُ الدَّعوَةُ بالفِعل أعلىٰ وأفيَدَ مِن الدَّعوَةِ بالقَولِ، ومِن الدَّعوَةِ بالفِعل أن يلتَزِمَ أوامِرَ اللهِ ويَجتَنِبَ نَواهِيَهُ، فَلا يَقولُ إلَّا ما يُرضي اللهَ عَزَّوَجَلَّ، ولا يَفعَلُ إلَّا ما يُقرِّبُه إليه، وأن يبدأَ بنَفسِه فيفعَلَ ما يَدعو إليه، وأن يتحلَّىٰ بالأخلاقِ الحسنَةِ والصِّفاتِ الحَميدَةِ، وأن يكون ذا رِفقٍ، ولينٍ، وحِلمٍ، وأناةٍ... وغيرِ ذلِكَ مِن الصِّفاتِ.

السُّؤالُ [٣٥]: هل مَعنىٰ هذا أنَّ كُلَّ مُسلِمٍ داعِيَةٌ إلىٰ اللهِ؟

نعم، كلُّ مُسلِمٍ داعِيَةٌ إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ شاءَ أم أبىٰ، فقد جعَلَ اللهُ التَّواصِيَ بالحَقِّ مِن صِفاتِ عِبادِهِ المُؤمِنينَ النَّاجينَ في الآخِرَةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[العصر].

السُّؤالُ [٣٦]: كيف أكونُ داعِيَةً إلىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ؟

تَوَكَّلْ علىٰ اللهِ، وعليكَ بالعِلمِ، ثمَّ العَملِ، ثمَّ الدَّعوةِ، وعليكَ بالصَّبرِ في ذلِكَ كُلِّه، ولا تنسَ شُروطَ الدَّعوَةِ فاسعَ في تَحصيلِها، وادرُسِ السِّيرَةَ النَّبوِيَّةَ، وانظُر في سِيَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِن الصَّحابةِ والتَّابِعينَ والعُلماءِ المَتبوعينَ، وفَّقَكَ اللهُ لِما يُحِبُّ ويَرضىٰ.

ويُمكِنُكَ الدِّراسَةُ معنا مجَّانًا عن بُعدٍ في مَعهَدِنا مَعهَدِ السُّنَّةِ علىٰ الرَّابطِ المَوجودِ في آخِرِ الرِّسالَةِ.

وخِتامًا أوصيك بقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الفصل ٢: كَيْفَ أَدْخُلُ في الإِسْلَامِ؟

السُّؤالُ [١]: هل الدُّخولُ في الإسلامِ مُيَسَّرٌ؟

نعم؛ فإنَّه لا يحتاجُ إلىٰ واسطةٍ، ولا إلىٰ طُقوسٍ.

السُّؤالُ [٢]: هل أُبادِرُ بالدُّخولِ في الإسلامِ، أم أنتظِرُ الوقتَ المُناسِبَ، أو إنهاءَ بعضِ المَشاكِلِ؟

لابُدَّ مِن المُبادرةِ؛ لأنَّ تأخيرَ الإسلامِ قد يُؤدِّي إلىٰ آفاتٍ؛ فقد تموتُ في أيِّ وقتٍ، كما أنَّ الدُّخولَ في الإسلامِ تِجارَةٌ رابِحَةٌ، وكُلَّما بادرتَ بالتِّجارَةِ كانَ رِبحُكَ فيها أكثَرَ.

السُّؤالُ [٣]: ماذا يَصنَعُ مَن أرادَ الدُّخولَ في الإسلامِ؟

يحتاجُ فقط إلىٰ أن ينطِقَ بالشَّهادتَينِ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

السُّؤالُ [٤]: بأيِّ لُغةٍ ينطِقُ بها؟

يستَطيعُ أن يقولَها بأيِّ لُغَةٍ يُحسِنُ النُّطقَ بها، ولا يُشتَرَطُ الإتيانُ بها باللُّغةِ العربيَّةِ.

السُّؤالُ [٥]: هل يقولُها بدونِ أن يفهَمَ مَعناها؟

لا؛ بل لابُدَّ مِن أن يفهَمَ مَعناها، ويَعتقِدَ ما تتضمَّنُهُ، ويعمَلَ بمُقتَضاها.

السُّؤالُ [٦]: ما مَعنىٰ «**أَشْهَدُ**»؟

مَعناها: أُقِرُّ وأعترِفُ بقَلبي، وأقولُ بلِساني، عامِلًا بجَوارِحِي.

السُّؤالُ [٧]: ما معنىٰ «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؟

مَعناها: لا مَعبودَ بحَقٍّ إلَّا اللهُ.

السُّؤالُ [٨]: ما مَعنىٰ «**أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**»؟

مَعناها: أنَّه عبدٌ لا يُعبَدُ، ورَسولٌ لا يُكَذَّبُ.
ويَلزَمُ مِن هذه الشَّهادَةِ: أن يُصدِّقَهُ فيما أخبَرَ، وأن يُطيعَهُ فيما أمَرَ، وأن ينتهِيَ عمَّا نهىٰ عنه وزجَرَ، وأن يتَّبِعَ سُنَّتَهُ ويَقتَدِيَ به.

السُّؤالُ [٩]: فهِمتُ جيِّدًا، ماذا عليَّ أن أفعَلَ الآنَ؟

رَدِّدْ خَلفي: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

السُّؤالُ [١٠]: هل أنا الآنَ مُسلِمٌ؟

نعم، والحَمدُ للهِ، هذا مِن فَضلِ الله عليكَ.

السُّؤالُ [١١]: بماذا توصِيني الآنَ كمُسلِمٍ؟

أوصيكَ بأن تَدعُوَ اللهَ أن يُثَبِّتَكَ علىٰ دينِه، وأن تتخيَّرَ الصُّحبَةَ الصَّالِحَةَ الَّتي تُعينُكَ علىٰ ذلِكَ، وأن تتعلَّمَ الإسلامَ، وأن تُخفِيَ إسلامَكَ حتَّىٰ يَقوىٰ بإذنِ اللهِ.

السُّؤالُ [١٢]: ما هو أفضَلُ الدُّعاءِ؟

أفضَلُ الدُّعاءِ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾[الفاتحة].

السُّؤالُ [١٣]: ما هو أسهَلُ الذِّكرِ؟

أسهَلُ ذِكرٍ هو: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾، تُقالُ عِندَ دُخولِ المَسجِدِ والمَنزِلِ، والخُروجِ مِنهُما، وعِندَ قِراءَةِ القُرآنِ، وقَبلَ دُخولِ الحَمَّامِ، وقَبلَ خَلعِ المَلابِسِ، وقَبلَ الوُضوءِ، وقَبلَ الطَّعامِ والشَّرابِ... وغَيرِ ذلِكَ مِن المَواضِعِ.

السُّؤالُ [١٤]: ما حُكمُ الخَطايا الَّتي كانَت مِنِّي قبلَ الدُّخولِ في الإسلامِ؟

الإسلامُ يَهدِمُ ما كانَ قبلَه مِن ذُنوبٍ، إلَّا ما كانَ مِن حُقوقِ العِبادِ الواجبِ آداؤُها، فيَجِبُ أداؤُها إلىٰ مُستَحِقِّيها.

السُّؤالُ [١٥]: ما الَّذي عليَّ فِعلُهُ بعدَ الشَّهادَةِ؟

عليكَ أن تَغتَسِلَ.

السُّؤالُ [١٦]: لماذا أغتَسِلُ؟

أوَّلًا: المُسلِمُ لا يَقولُ: لماذا؟ وإنَّما يقولُ: ﴿سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ﴾[النُّور:٥١].
ثانيًا: تغتَسِلُ حتَّىٰ تُطَهِّرَ ظاهِرَ بَدَنِك كما طهَّرتَ باطِنَك.

السُّؤالُ [١٧]: حسنًا، كيفَ أغتَسِلُ؟

بأن تَنوِيَ بقَلبِكَ الاغتِسالَ، وتقولَ: «بِسْمِ اللهِ»، وتُعمِّمَ جميعَ البَدَنِ بالماءِ.

السُّؤالُ [١٨]: ماذا بعدَ الاغتِسالِ؟

إذا دخَلَ وَقتُ الصَّلاةِ فإنَّك تُصَلِّي بإذنِ اللهِ.

السُّؤالُ [١٩]: يَصعُبُ علَيَّ أداءُ الصَّلاةِ؛ لأنَّ فيها أقوالًا وأفعالًا لا أُحسِنُها؟

الإسلامُ دِينُ يُسرٍ، وليسَ دينَ عُسرٍ، فالحَمدُ والمِنَّةُ للهِ.

السُّؤالُ [٢٠]: كيفَ أُصَلِّي؟

عليكَ أن تُتابِعَ الصَّلاةَ مَعي، أو تُشاهِدَ مَقاطِعَ تَعليمِ الصَّلاةِ، وستَجِدُ مَقاطِعَ بعِدَّةِ لُغاتٍ في قَنواتِ مَعهَدِ السُّنَّةِ حسَبَ الرَّوابِطِ المُدرَجَةِ في آخِرِ هذه الرِّسالَةِ.

السُّؤالُ [٢١]: ثمَّ ماذا بعدَ الصَّلاةِ؟

عليكَ أن تتعلَّمَ أركانَ الإسلامِ الخَمسَةِ الَّتي بُنِيَ عليها، ثمَّ أركانَ الإيمانِ، وهكذا... حتَّىٰ تستكمِلَ كلَّ ما يصِحُّ به إسلامُكَ وإيمانُكَ.

السُّؤالُ [٢٢]: ما هي المَواقِعُ الَّتي تنصَحُني بالدُّخولِ عليها حتَّىٰ أتعلَّمَ الإسلامَ؟

أنصَحُكَ بمَواقِعِ كِبارِ العُلَماءِ، وجَمعِيَّاتِ دَعوَةِ الجالِياتِ بالمَملَكَةِ السُّعودِيَّةِ.

السُّؤالُ [٢٣]: كيفَ أتعامَلُ مع أقرِبائِي مِن غَيرِ المُسلِمينَ؟

تتعامَلُ معهُم كما تعامَلَ النَّبِيُّ ﷺ مع غَيرِ المُسلِمينَ، فقد كانَ داعِيًا إلىٰ الإسلامِ بلِسانِه، وبأَخلاقِه، وبمُعامَلاتِه.

السُّؤالُ [٢٤]: هُنـاكَ مَن يُريدُ الدُّخولَ في الإسلامِ، لكنَّهُ لا يُريـدُ إخبارَ أهلِهِ بإسلامِهِ، فما حُكمُهُ؟

لا يَلزَمُ مَن أسلَمَ أن يُخبِرَ أحدًا بإسلامِهِ، فإسلامُهُ بينَهُ وبينَ اللهِ.

السُّؤالُ [٢٥]: ما هو أفضَلُ كِتابٍ في الإسلامِ؟

أفضَلُ كِتابٍ هو القُرآنُ الكَريمُ، فهو كلامُ اللهِ تعالَىٰ.

السُّؤالُ [٢٦]: ما هي أهَمُّ سورَةٍ في القُرآنِ الكَريمِ؟

أهَمُّ سورَةٍ هي الْفاتِحَةُ، ولهذا فإنَّنا نقرأُها في كلِّ رَكعَةٍ مِن الصَّلاةِ.

السُّؤالُ [٢٧]: مـا هي أعظَمُ آيَةٍ في القُرآنِ الكَريمِ؟

أعظَمُ آيَةٍ في القُرآنِ هي آيَةُ الكُرسِيِّ.

السُّؤالُ [٢٨]: كيفَ أستَطيعُ قِراءَةَ القُرآنِ؟

عن طَريقِ تَعَلُّمِ القُرآنِ، وسَماعِ التِّلاوَةِ؛ كتِلاوَةِ الشَّيخِ الحُـذَيفِيِّ، والحُصَرِيِّ، وغيرِهما.

السُّؤالُ [٢٩]: كيفَ أفهَمُ القُرآنَ؟

تفهَمُهُ بالقِراءَةِ في كُتُبِ التَّفسيرِ الَّتي ألَّفها عُلَماءُ الأُمَّةِ المَشهودُ لهُم.

السُّؤالُ [٣٠]: أينَ أجِدُ تَفسيرَ القُرآنِ؟

أنصَحُكَ بمُجمَّعِ طِباعَةِ المُصحَفِ بالمَدينَةِ النَّبَوِيَّةِ.

السُّؤالُ [٣١]: وما الَّذي تَنصَحُنِي بقِراءَتِهِ بعدَ القُرآنِ؟

أنصَحُكَ بأحَاديثِ النَّبيِّ ﷺ الصَّحيحَةِ.

السُّؤالُ [٣٢]: ما هو أفضَلُ كِتابٍ في الأحاديثِ النَّبَويَّةِ؟

أفضَلُ كُتُبِ الحَديثِ وأصَحُّها هو كِتابُ «صَحيحِ البُخاريِّ»، فقد اجتَمَعَتْ عليهِ الأُمَّةُ، ورَضِيَهُ عُلَماؤُها الأجِلَّاءُ، وأنصَحُكَ بمُراجَعَةِ رابِطِ تَحميلِ الكُتُبِ في آخِرِ هذه الرِّسالَةِ.

السُّؤالُ [٣٣]: ما هو أهَمُّ حَديثٍ في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؟

أهَمُّها هو حَديثُ جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في بَيانِ مَراتِبِ الدِّينِ الثَّلاثَةِ: الإسلامِ، والإيمانِ، والإحسانِ.

السُّؤالُ [٣٤]: أنا أخافُ أن لا أقدِرَ علىٰ تعَلُّمِ الإسلامِ!

لا تخَفْ؛ بل تَوَكَّلْ علىٰ اللهِ، واللهُ يُعينُكَ في مَسعاكَ، فالدِّينُ يُسرٌ، وفَّقَكَ اللهُ لِما يُحِبُّ ويَرضىٰ.

ويُمكِنُكَ الدِّراسَةُ معنا مجَّانًا عن بُعدٍ في مَعهَدِنا مَعهَدِ السُّنَّةِ علىٰ الرَّابطِ المَوجودِ في آخِرِ الرِّسالَةِ.

وخِتامًا أوصيكَ بقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الفصل ٣: نَوَاقِضُ الْإِسْلَامِ

السُّؤالُ [١]: ما مَعنىٰ نَواقِضِ الإسلامِ؟

نَواقِضُ الإسلامِ هي مُفسِداتُهُ، أو ما يَخرُجُ به الإنسانُ مِن الإسلامِ إلىٰ الكُفرِ الأكبَرِ.

السُّؤالُ [٢]: لماذا يُعبِّرُ العُلماءُ تارَةً بالنَّواقِضِ، وتارَةً بالمُفسِداتِ، وتارَةً المُبطِلاتِ؟

مِن بابِ التَّنويعِ في الألفاظِ، وإلَّا فمَعنىٰ هذه الألفاظِ كُلِّها واحدٌ، وللتَّنوعِ فَوائدُ منها أن لا يَمَلَّ الطَّالِبُ، وهي طَريقَةٌ ورَدَت في الكتابِ والسُّنَّةِ كثيرًا.

السُّؤالُ [٣]: هل بُيِّنَت النَّواقِضُ في الكِتابِ والسُّنَّةِ؟

نعم، ومِن ذلك قَولُهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النِّساء:٤٨]، وقَولُه ﷺ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ**». أخرجَهُ أحمَدُ.

السُّؤالُ [١]: هل يُمكِنُ السُّؤالُ عن الشِّركِ حتَّىٰ لا نقَعَ فيه؟

نعم، عن حُذيفَةَ بنِ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: «**كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي**». مُتَّفَقٌ عليه.

السُّؤالُ [٥]: هل هي مِن المُتَّفَقِ عليهِ؟

نَواقِضُ الإسلامِ الَّتي ذكَرَها شيخُ الإسلامِ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ في رِسالَتِهِ مُتَّفَقٌ عليها بينَ العُلَماءِ، ولا يُعلَمُ فيها خِلَافٌ.

السُّؤالُ [٦]: هل يَلزَمُ مِن ذِكرِ النَّاقِضِ ذِكرُ الدَّليلِ علىٰ أنَّه ناقِضٌ؟

نعم ولا شَكَّ، فالميزانُ الَّذي توزَنُ به الأُمورُ هو الكِتابُ والسُّنَّةُ علىٰ فهم سَلَفِ الأُمَّةِ.

السُّؤالُ [٧]: هل ألَّفَ في النَّواقِضِ أحدٌ غيرُ المُؤلِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ؟

نعم، فلا تجِدُ كِتابًا مِن كُتُبِ الفُقَهاءِ مِن أربابِ المَذاهِبِ الأربَعَةِ ومِن غَيرِها إلَّا ويذكُرُ أشياءَ تُخرِج مِن الدِّينِ في «بابِ حُكمِ المُرتَدِّ».

السُّؤالُ [٨]: هل يُفرَّقُ في النَّواقِضِ بينَ الفِعلِ والفاعِلِ؟

نعم؛ لأنَّهُ لابُدَّ في تَكفيرِ المُعَيَّنِ مِن إقامَةِ الحُجَّةِ وإزالَةِ الشُّبهَةِ، ويُرجَعُ في هذا للمَحاكِمِ الشَّرعِيَّةِ الَّتي ينصِبُها وليُّ أمرِ المُسلِمينَ، وليسَ لآحادِ النَّاسِ الخَوضُ في هذه المَسائِلِ.

السُّؤالُ [٩]: ما هو سَبَبُ التَّفريقِ في النَّواقِضِ بينَ الفِعلِ والفاعِلِ؟

سبَبُ ذلِكَ أنَّه ليسَ كُلُّ مَن وقَعَ في الكُفرِ وقَعَ الكُفرُ عليهِ؛ لأنَّه قد يُعذَرُ في ذلِكَ بأُمورٍ يعلَمُها أهلُ العلمِ الرَّاسِخونَ والقُضاةُ الشَّرعِيُّونَ.

السُّؤالُ [١٠]: ما الَّذي يَلزَمُ مَن يقولُ بأنَّه لا حاجَةَ لِدراسَةِ النَّواقِضِ؟

مَن يقولُ ذلِكَ يَلزَمُهُ أن يَقولَ كذلِكَ بعدَمِ الحاجَةِ لِدراسَةِ نَواقِضِ الوُضوءِ، ومُبطِلاتِ الصَّلاةِ، ومُفسِداتِ الصَّومِ والحجِّ، وغيرِ ذلِكَ.

السُّؤالُ [١١]: ماذا يَنبَغِي علىٰ مَن درَسَ النَّواقِضَ؟

يَنبَغِي للمُسلِمِ أن يَحذرَها، وأن يخافَ منها علىٰ نَفسِه، وأن يُحَذِّرَ مِنها غَيرَهُ، ولاسيَما مَن تحتَ يَدِهِ.

السُّؤالُ [١٢]: لماذا ندرُسُ النَّواقِضَ؟

ندرُسُها حتَّىٰ نتجنَّب الوُقوعَ فيها فيسلَمَ لنا إيمانُنا وإسلامُنا.

السُّؤالُ [١٣]: هل الغَرَضُ مِن النَّواقِضِ تكفيرُ النَّاسِ؟

لا؛ بل إنَّ الغَرَضَ مِن مَعرِفَتِها هو الحَذَرُ والتَّحذيرُ مِنها، مِثلُها مِثلُ نَواقِضِ الوُضوءِ وغيرِها.

السُّؤالُ [١٤]: هل نَواقِضُ الإسلامِ مَحصورَةٌ في العشرةِ؟

ليسَت مَحصورَةٍ في العشرةِ الَّتي ذكَرَها شيخُ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ؛ بل هي أكثَرُ مِن ذلِكَ، وإنَّما تُعلَمُ بدَلالَةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ، وبإجماعِ عُلماءِ الأُمَّةِ.

السُّؤالُ [١٥]: لماذا ذَكَرَ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ عشرةً؟

ذكَرَ عشرةً ليسهُلَ حِفظُها، وسارَ في هذا علىٰ الطَّريقِ النَّبوِيَّةِ في التَّعليمِ بذِكرِ العَدَدِ وإن كانَ ذلِكَ لا علىٰ سَبيلِ الحَصرِ والتَّحديدِ، وإنَّما ليَسهُلَ الحِفظُ والضَّبطُ.

السُّؤالُ [١٦]: هل يرَىٰ المُؤلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ الزِّيادَةِ علىٰ عشرةِ نَواقِضَ؟

نعم؛ فقد قالَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن العشرةِ الَّتي أورَدَها في رِسالَتِهِ: (كُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا)، فدلَّ ذلِكَ علىٰ أنَّه لا يَحصُرُ النَّواقِضَ في هذه العشرةِ.

السُّؤالُ [١٦]: إذا ذُكِرَ العَددُ فِي الكِتابِ والسُّنَّةِ فهل يجوزُ أن يُزادَ عليه؟

إذا وَجَدنا في نُصوصِ الكِتابِ والسُّنَّةِ ما يُزادُ علىٰ العددِ المَذكورِ صارَ العَددُ لا مَفهومَ له، أي أنَّه لا يُفيدُ الحَصرَ، فيُزادُ بما دلَّ عليهِ الدَّليلُ، وإن لم نجِد في النُّصوصِ ما يُزادُ عليه فإنَّنا نقتَصِرُ عليهِ.

السُّؤالُ [١٧]: لماذا يُذكَرُ العَددُ أحيانًا ولا يَكونُ له مَفهومٌ؟

هذا مِن حُسن التَّعليم؛ للأنَّ العدَدَ يُسهِّلُ ضَبطَ المَعدودِ وحِفظَهُ.

السُّؤالُ [١٨]: كيفَ تُحصَرُ النَّواقِضُ إن لم تُحصَر بالعَددِ؟

يُمكِنُ حَصرُها في أربعةِ أُمورٍ: نَواقِضُ بالقَولِ، وبالفِعلِ، وبالاعتِقادِ، وبالشَّكِّ.

السُّؤالُ [١٩]: الحَمدُ للهِ، عَرَفتُ الآنَ أَهمِّيَةَ دِراسَةِ النَّواقِضِ، فكَيفُ يُمكِنُني دِراسَتُها؟

يُمكِنُكَ الدِّراسَةُ معنا مجَّانًا عن بُعدٍ في مَعهَدِنا مَعهَدِ السُّنَّةِ علىٰ الرَّابطِ المَوجودِ في آخِرِ الرِّسالَةِ.

وخِتامًا أوصيكَ بقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الفصل ٤: الْكَبَائِر

السُّؤالُ [١]: ما هي الكَبيرَةُ؟

الكَبيرَةُ هي: (كلُّ ما رُتِّبَ عليه عُقوبَةٌ خاصَّةٌ).

السُّؤالُ [٢]: هل لي بمِثالٍ علىٰ ما رُتِّبَ عليه عُقوبَةٌ خاصَّةٌ؟

مِن العُقوباتِ الخاصَّةِ الَّتي وردَت في نُصوصِ الوَحيَين: الوَعيدُ بالنَّارِ، والغَضَبُ، واللَّعنةُ، والطَّردُ مِن الرَّحمَةِ، والإبعادُ، والبَراءَةُ مِن فاعلِ الكَبيرَةِ، وكَونُهُ مِن الكافِرينَ، أو المُشرِكينَ، أو المُنافِقينَ، وتَشبيهُهُ بأقبَحِ الحَيَواناتِ، وكَونُهُ ليس مِن المُؤمِنينَ، وجَعلُ حَدٍّ لهُ في الدُّنيا.

السُّؤالُ [٣]: هل مِن أمثِلَةٍ علىٰ الكَبائِرِ؟

مِن الكَبائِرِ: الفِرارُ مِنَ الزَّحفِ، وأكلُ مالِ اليَتيمِ، وأكلُ الرِّبا، وعُقوقُ الوالِدَينِ، واليَمينُ الغَموسُ، وشَهادةُ الزُّورِ، وغيرُها.

السُّؤالُ [٤]: هل تَتَفاوَتُ الكَبائِرُ أم هي علىٰ مَرتَبَةٍ واحِدَةٍ؟

الكَبائِرُ تَتَفاوَتُ مِن حيثُ إثمُ فاعِلِها، والدَّليل علىٰ تَفاوُتِها قولُهُ ﷺ: «**أَكْبَرُ الْكَبَائِرِ: الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ**». مُتَّفقٌ عليه.

السُّؤالُ [٥]: هل الكَبائِرُ أكبَرُ مِن الشِّركِ الأصغَرِ؟

لا إشكالَ أنَّ الشِّركَ الأكبَرَ المُخرِجَ مِن المِلَّةِ أكبَرُ مِن الكَبائرِ، وكذلِكَ فإنَّ الشِّركَ

الأصغَرَ أكبَرُ مِنها؛ لأنَّ الشِّركَ لا يُغفَرُ ولو كانَ أصغَرَ؛ بخِلافِ الكَبائِرِ.
والدَّليلُ علىٰ هذا قولُهُ ﷺ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**». أخرَجَهُ مسلمٌ. وفي الحَديثِ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**». أخرجَهُ مسلمٌ. وقالَ ابنُ مَسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللهِ كَاذِبًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ صَادِقًا). أخرَجَهُ عبدُ الرَّزَّاقِ.
والحَلِفُ باللهِ كاذِبًا كَبيرَةٌ، والحَلِفُ بغَيرِه ولو صادِقًا شِركٌ أصغَرُ.

السُّؤالُ [٦]: رَتِّبْ لي المُحَرَّماتِ.

المُحَرَّماتُ علىٰ أربعةِ أقسامٍ:
- أقلُّها الصَّغائِرُ: وهي كُلُّ ما كانَ دونَ الكَبائِرِ، أي: ما حرَّمَهُ الشَّارِعُ ولم يُرتِّب عليه عُقوبةً خاصَّةً؛ كالنَّظرةِ المُحرَّمَةِ.
- وأشدُّ مِنها الكَبائِرُ: وهي مَوضوعُنا.
- وأشدُّ مِنها الشِّركُ الأصغَرُ: وهو غير مُخرِجٍ مِن المِلَّةِ؛ كقولِ: (مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ).
- وأشدُّ مِنهُ الشِّركُ الأكبَرُ: وهو المُخرِجُ مِن المِلَّةِ؛ كالذَّبحِ لغَيرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَحبَّةً وتَعظيمًا.

السُّؤالُ [٧]: هل الكَبائِرُ مَحصورَةٌ بعددٍ مُعيَّنٍ؟

لا يُمكِنُ حَصرُ الكَبائِرِ في عَدَدٍ مُعيَّنٍ، لكِن يُمكِنُ حَصرُها وضَبطُها بالحَدِّ والتَّعريفِ كما سبَقَ.

السُّؤالُ [٨]: هل هي سَبعونَ كَبيرَةً؟

لا؛ لكنَّها -والعِلمُ عندَ اللهِ- قَريبةٌ مِن هذا العَدَدِ؛ كما في أثَرِ ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عند عَبدِ الرَّزَّاقِ في «المُصنَّفِ».

السُّؤالُ [٩]: ما حُكمُ فاعلِ الكَبيرَةِ؟

هو مُؤمِنٌ ناقِصُ الإيمانِ، أو مُؤمِنٌ بإيمانِهِ فاسِقٌ بكَبيرَتِهِ.
وفاعِلُ الكَبيرَةِ تحتَ مَشيئَةِ اللهِ يومَ القِيامَةِ؛ إن شاءَ عذَّبَهُ بعَدلِهِ، وإن شاءَ غَفَرَ لهُ بفَضلِهِ .

السُّؤالُ [١٠]: هل يُجالَسُ فاعِلُ الكَبيرَةِ حالَ ارتِكابِهِ لها؟

لا يُجالَسُ فاعِلُ الكَبيرَةِ حالَ ارتكابِهِ للكَبيرَةِ؛ لأنَّ مَن جلَسَ مَجلِسًا يُعصىٰ فيه اللهُ ولم يُنكِر كانَ وِزرُهُ كوِزرِ فاعِلِ الكَبيرَةِ سَواءً، قالَ تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ [النِّساء:١٤٠].

السُّؤالُ [١١]: هل تُغفَرُ الكَبيرَةُ بالأعمالِ الصَّالِحَةِ، أم لابُدَّ لها مِن تَوبَةٍ خاصَّةٍ؟

لابُدَّ لها مِن تَوبَةٍ خاصَّةٍ؛ للحَديثَينِ المُتقدِّمَينِ: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا...**»، «... **مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»، ولقولِهِ تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النِّساء].

السُّؤالُ [١٢]: هل يصِحُّ التَّوبَةُ مِن بَعضِ الكَبائِرِ دونَ بَعضٍ؟

نعم، تصِحُّ التَّوبةُ مِن بَعضِها، ويَنبَغي إرشادُ صاحِبِها إلىٰ التَّوبَةِ مِن كُلِّ المَعاصي كَبائِرَ كانَت أو صَغائِرَ، وتَخويفُهُ مِن عاقِبَةِ الكَبائِرِ، وأنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قد يُعَذِّبُهُ بها في الآخِرَةِ.

السُّؤالُ [١٣]: هل أَلَّفَ العُلَماءُ في الكَبائِرِ؟

نعم، ومِن أشهَرِ المُؤَلَّفاتِ فيها:
- «الكَبائِرُ»: للحافِظِ الذَّهبِيِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت ٧٤٨هـ).

- «الزَّواجِرُ عن اقتِرافِ الكَبائِرِ»: لشِهاب الدِّين ابن حجرٍ الهيتَميِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت ٩٧٤هـ).
- «الكَبائِرُ»: لشيخِ الإسلامِ مُحمَّدِ بن عبدِ الوَهَّابِ التَّميميِّ رَحِمَهُ اللهُ (ت ١٢٠٦هـ).

السُّؤالُ [١٤]: لماذا ندرُسُ الكَبائِرَ ونتعَلَّمُها؟

لنحذَرَ ونُحَذِّرَ مِنها، فأمرُها عظيمٌ.

قالَ الهيتميُّ رَحِمَهُ اللهُ في مُقدِّمَةِ «الزَّواجِرِ» في سِياقِ ذِكرِ سببِ تأليفِ الكِتابِ: (مَا تَفَاحَشَ مِنْ ظُهُورِ الْكَبَائِرِ، وَعَدَمِ أَنَفَةِ الْأَكْثَرِ عَنْهَا فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، لِمَا أَنَّ أَبْنَاءَ الزَّمَانِ وَإِخْوَانَ اللَّهْوِ وَالنِّسْيَانِ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ دَوَاعِي الْفُسُوقِ، وَالْخُلُودِ إِلَىٰ أَرْضِ الشَّهَوَاتِ، وَالْعُقُوقِ، وَالرُّكُونِ إِلَىٰ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ دَارِ الْخُلُودِ، وَنِسْيَانِ الْعَوَاقِبِ، وَعَدَمِ الْمُبَالَاةِ بِالْمَعَايِبِ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُمْ أَمِنُوا عِقَابَ اللهِ وَمَكْرَهُ، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ ذَلِكَ الْإِمْهَالَ إِنَّمَا هُوَ لِيَحِقَّ عَلَيْهِمْ قَهْرُهُ!)، فكيفَ لو رأىٰ أهلَ زَمانِنا؟!

السُّؤالُ [١٥]: كيفَ يُمكِنُنِي تَعَلُّمُ الكَبائِرِ؟

يُمكِنُكَ الدِّراسَةُ معنا مجَّانًا عن بُعدٍ في مَعهَدِنا مَعهَدِ السُّنَّةِ علىٰ الرَّابطِ المَوجودِ في آخِرِ الرِّسالَةِ.

وختامًا أوصيكَ بقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الفصل ٥: سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

السُّؤالُ [١]: ما هي سورَةُ الفاتِحَةِ؟

هي قولُهُ تعالىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾[الفاتحة].

السُّؤالُ [٢]: هل لهذه السُّورَةِ أسماءٌ أخرىٰ؟

نعم، ذكر السُّيوطيُّ رَحِمَهُ اللهُ في «أحكام القرآن» خمسَةً وعشرينَ اسمًا لها، أغلَبُها أسماءٌ اجتِهادِيَّةٌ، وجاء مِنها في نُصوصِ الوَحيَين:

- **فاتحةُ الكتابِ**: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ**». مُتَّفقٌ عليه.
- **السَّبعُ المَثاني، والقُرآنُ العَظيمُ**: قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[الحجر]، وقالَ ﷺ: «**هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**». أخرجه البُخاريُّ.
- **أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب**: أخرج مسلمٌ أنَّه ﷺ قالَ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأُمِّ الْقُرْآنِ**»، وأخرج البُخاريُّ عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ: «**كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ فِي الْأُولَيَيْنِ بِأُمِّ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ، وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ بِأُمِّ الْكِتَابِ**».
- **الصَّلاةُ**: لما جاء في الحَديثِ القُدسيِّ: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾...». أخرَجه مسلمٌ.

السُّؤالُ [٣]: لماذا كلُّ هذه الأسماءِ لسورَةِ الفاتِحَةِ؟

كثرَةُ الأسماءِ تدُلُّ علىٰ شرَفِ المُسمَّىٰ ومَكانَتِه، فلمَّا كانَت الفاتِحَةُ أعظَمَ سورَةٍ في القرآنِ تعدَّدت أسماؤُها.

السُّؤالُ [٤]: ما سبب تسمِيَتِها بفاتِحَةِ الكِتابِ؟

لأنَّها أوَّلُ سورَةٌ في تَرتيبِ المُصحَفِ، وبها يفتَتِحُ القارئُ للقرآن، وكذا المُصَلِّي، وبها يفتَتِحُ الخُطَباءُ خُطَبَهُم، وغيرُ ذلِكَ.

السُّؤالُ [٥]: ما سبب تسمِيَتِها بالسَّبعِ المَثاني؟

سُمِّيت سبعًا لأنَّ عدد آياتِها سبعٌ بالإجماع، وأمَّا تسمِيَتُها مَثانِيَ فلوُجوهٍ، مِنها:

- أنَّها مُستَثناةٌ مِن الكُتبِ الأخرىٰ المُنَزَّلة، أخرج أحمدُ والتِّرمذِيُّ أنَّه ﷺ قالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا**».
- أنَّها إذا قُرِئَت في الصَّلاةِ ثُنِّيَت بسورَةٍ أُخرىٰ.
- أنَّها تُثَنَّىٰ -أي: تُكَرَّرُ- في كلِّ ركعَةٍ مِن القرآنِ.
- أنَّه قيل بأنَّها أُنزِلت مرَّتين: مرَّةً بمكَّة، ومرَّةً بالمدينة.
- أنَّه كلَّما قرأَ المُصَلِّي مِنها آيةً ثنَّاه اللهُ بالإخبار عن فِعلِه؛ كما جاء في الحَديث القُدسيِّ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي...**». أخرَجه مسلمٌ.

السُّؤالُ [٦]: ما سبب تسمِيَتِها بأُمِّ القرآنِ؟

سُمِّيت بذلِكَ لوُجوهٍ، مِنها:

- أنَّها اشتمَلَت علىٰ مُجمَلِ ما في القُرآنِ مِن مَعانٍ ومَقاصِدٍ.
- أنَّها تقدَّمَت علىٰ سائِرِ سُوَرِ القرآنِ، فأَمَّت سائِرَ القرآنِ، وصارَ ما بعدَها تبَعًا لها.
- أنَّها مَفزَعُ أهلِ الإيمانِ؛ كما أنَّ الأُمَّ في الحَربِ -وهي الرَّايَةُ- مَفزَعٌ للعَسكَرِ.

السُّؤالُ [٧]: هل يُشرَعُ قِراءَتُها في مَواضِعَ غيرِ الصَّلاةِ؟

نعم، مِن ذلِكَ الرُّقيَةُ، فقد جاءَ في «الصَّحيحين» عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رجلًا مِن الصَّحابَةِ رقىٰ سيِّدَ أحَدِ الأحياءِ بالفاتِحَةِ، فبَرِئَ الرَّجُلُ، فلمَّا بلَغَ ذلِكَ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟!**»، ثُمَّ قَالَ: «قَدْ أَصَبْتُمْ».

السُّؤالُ [٨]: هل البسمَلَةُ آيَةٌ مِن الفاتِحَةِ؟

الصَّحيحُ مِن أقوالِ أهلِ العِلمِ أنَّها ليست آيَةً مِن الفاتِحَةِ، ولكنَّها آيَةٌ مُستَقِلَّةٌ مِن القرآنِ، والدَّليلُ علىٰ أنَّها ليست آيَةً مِن الفاتِحَةِ أنَّها لم تُذكَر في الحَديثِ القُدسِيِّ: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾...». أخرَجَه مسلمٌ.

السُّؤالُ [٩]: لماذا جُعِلَ للبسملَةِ الرَّقم (١) في بعضِ المَصاحِفِ؟

لأنَّ روايَةَ القِراءَةِ الَّتي كُتِبَ بها المُصحَفُ تُرَجِّحُ أنَّ البَسمَلَةَ آيَةٌ مِن الفاتِحَةِ، والمسألَةُ مَحلُّ خِلافٍ بينَ أهلِ العِلمِ، لكنَّ الصَّحيحَ ما ذُكِرَ.

السُّؤالُ [١٠]: ما مَعنىٰ البسمَلَةِ؟

البسمَلَةُ هي قَولُ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾، وتَقديرُها هنا: (باسمِ اللهِ أقرَأُ)، وتأخيرُ الفعلِ (أقرأُ) يُفيدُ التَّبرُّكَ بتَقديمِ اسمِ اللهِ، والحصرَ، فلا أبدَأُ إلَّا باسمِهِ.

واسمُ (ٱللَّهِ) هو أصلُ الأسماءِ الحُسنىٰ كُلِّها، وكلُّها تابعٌ له، وهو دالٌّ علىٰ ذاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، ومَعناهُ: المَعبودُ مَحبَّةً وتَعظيمًا، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمانِ مِن أسماءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يتضمَّنان صفةَ الرَّحمَةِ فـ:

- **الرَّحمنُ**: ذو الرَّحمَةِ الواسِعَةِ الَّتي شمِلَت كلَّ الخَلقِ، فيتضمَّنُ الرَّحمَةَ مِن جهةِ كَونِها صفَةً ذاتِيَّةً للهِ عَزَّ وَجَلَّ.

○ **الرَّحيمُ**: الموصِلُ للرَّحمَةِ إلىٰ مَن يشاءُ مِن عِبادِه، فيتضمَّنُ الرَّحمَةَ مِن جِهةِ كَونِها صفَةً فعليَّةً لله عَزَّوَجَلَّ.

السُّؤالُ [١١]: بماذا افتُتِحت سورَةُ الفاتِحَةِ؟

افتُتِحت بالحمدِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، والحَمدُ هو: (وَصفُ المَحمودِ بالكَمالِ مع المَحبَّةِ والتَّعظيمِ)، ويشمَلُ الكَمالَ الذَّاتيَّ، والوَصفيَّ، والفِعليَّ.
و(أل) في ﴿ٱلْحَمْدُ﴾ للاستِغراقِ، فيشمَلُ جَميعَ المَحامِدِ، واللَّام في ﴿لِلَّهِ﴾ للاختِصاص والاستِحقاقِ.

السُّؤالُ [١٢]: لماذا قيلَ: ﴿ٱلْحَمْدُ﴾، ولم يُقَل: (الشُّكرُ)؟

لأنَّ الحَمدَ أعَمُّ مِن الشُّكرِ، فالحَمدُ يتضمَّنُ الوصَفَ بالكَمالِ بخلاف والشُّكر.

السُّؤالُ [١٣]: هل الحَمدُ هو الثَّناءُ؟

الحَمدُ ليس هو الثَّناءَ، لكنَّه إذا تكرَّرَ أصبَحَ ثَناءً، والدَّليلُ هو الحَديث القُدسيُّ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي...**». أخرَجَه مسلمٌ.

السُّؤالُ [١٤]: ما مَعنىٰ قَولِه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾؟

الرَّبُّ هو المُتَّصِفُ بـ: الخَلقِ، والرِّزقِ، والتَّدبيرِ، وهو الله عَزَّوَجَلَّ، والعالَمونَ جمعُ عالَمٍ، وهو كلُّ ما سِوىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، سُمِّي بذلِك لأنَّه علَمٌ يدُلُّ علىٰ اللهِ، والرُّبوبيَّةُ قِسمانِ:
○ **عامَّةٌ لجَميعِ الخلقِ**: فاللهُ عَزَّوَجَلَّ يَخلُقُ ويرزُقُ البَرَّ والفاجِرَ.
○ **خاصَّةٌ بالمُؤمنين**: وهي تَربيَتُه عَزَّوَجَلَّ لهم، يُرَبِّيهم بالإيمانِ، ويُوَفِّقُهم له، ويُكَمِّلُهم،

ويَدفَعُ عنهم كلَّ ما يصرِفُهم عنه، قالَ بَعضُ أهلِ العِلمِ: هذا هو السِّرُّ في كَونِ أغلَبِ دُعاءِ الأنبياءِ بلَفظِ (رَبِّ).

السُّؤالُ [١٥]: لماذا ذكَرَ الرُّبوبِيَّةَ هنا؟

قالَ تَعالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾، واللهُ هو المَألوهُ المَعبودُ، ثمَّ قالَ: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ليُبيِّنَ أنَّ اللهَ استَحقَّ الألوهيَّةَ والعِبادَةَ وانفَرَدَ بها؛ لأنَّه هو المُنفَرِدُ بالرُّبوبِيَّةِ، فالرُّبوبيَّةُ دالَّةٌ علىٰ الأُلوهِيَّةِ وموصِلَةٌ إليها.

السُّؤالُ [١٦]: كم اسمًا للهِ ذُكِرَ في الفاتِحَةِ؟

ذُكِرَ فيها أربعةُ أسماءٍ حُسنىٰ: اللهُ، والرَّبُّ، والرَّحمنُ، والرَّحيمُ.

السُّؤالُ [١٧]: لماذا بُدِئَت الفاتِحَةُ بالحَمدِ؟

لأنَّ الفاتِحَةَ دُعاءٌ، ومِن آدابِ الدُّعاءِ أن يُبدَأَ فيه بالثَّناءِ علىٰ المَدعُوِّ، وهو اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فكانَ في الفاتِحَةِ تَعليمٌ لنا أن نبدَأَ في سائِرِ دُعائِنا بالحَمدِ للهِ.

السُّؤالُ [١٨]: هل هُناكَ سُوَرٌ أُخرىٰ بُدِئت بالحَمدِ؟

افْتَتَحَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ خَمسَ سُوَرٍ بالحَمدِ أولاهُنَّ الفاتحة، ثمَّ الأنعامُ، والكَهفُ، وسبَأٌ، وفاطِرٌ، ويَجمَعُ هذه الأربعَةَ أنَّها تُفَصِّلُ معنىٰ ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾، فهي تُفَصِّلُ افتِتاحِيَّةَ سورَةِ (الفاتِحَةِ)!

السُّؤالُ [١٩]: ما مَعنىٰ قَولِهِ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾؟

هي صِفَةٌ للهِ عَزَّوَجَلَّ، ويَومُ الدِّينِ هو يَومُ الجَزاءِ الَّذي يُجازىٰ فيه الخلائِقُ ويُدانونَ بأعمالِهم، وفي الآيَةِ قِراءَتانِ سَبعِيَّتانِ: (مَلِكِ) و(مَالِكِ)، وباجتِماعِهما يَحصُلُ الكمالُ

والمُلكُ الحَقيقيُّ للهِ عَزَّوَجَلَّ، وأمَّا المَخلوقونَ فمِنهُم مالِكٌ ليس بمَلِكٍ؛ كعامَّةِ النَّاسِ، ومِنهُم مَلِكٌ غيرُ مالِكٍ لشيءٍ مِن التَّدبيرِ.

وفي الحَديثِ القُدسيِّ: «**وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي**».

السُّؤالُ [٢٠]: لماذا خَصَّ يومَ الدِّينِ، أليسَ اللهُ يملِكُ الأيَّامَ كلَّها؟!

بلىٰ؛ للهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما فيهِنَّ، وإنَّما خصَّ يومَ الدِّينِ لأنَّه اليومُ الَّذي يتجلَّىٰ فيه مُلكُ اللهِ للخَلائِقِ كلِّها، ويقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فيه مُتَحَدِّيًا الخَلقَ: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾[غافر].

السُّؤالُ [٢١]: لماذا قدَّمَ المَفعولَ في قَولِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾؟

مَعلومٌ أنَّ تَقديمَ المَعمولِ علىٰ العامِلِ يُفيدُ الحَصرَ والقَصرَ، فيَكونُ مَعناه: (لا نعبُدُ إلَّا إيَّاكَ، ولا نَستَعينُ إلىٰ إيَّاكَ).

وفي الحَديثِ القُدسيِّ: «**فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

السُّؤالُ [٢٢]: ما مَعنىٰ العِبادَةِ؟

العِبادَةُ هي: (**اسمٌ جامِعٌ لكُلِّ ما يُحبُّه اللهُ ويَرضاه مِن الأقوالِ والأعمالِ الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ**).

السُّؤالُ [٢٣]: ما المَقصودُ بالاستِعانَةِ هنا؟

الاستِعانَةُ هي طلَبُ العَونِ مِن اللهِ في العِبادَةِ وغَيرِها، وهي مُتعَلِّقَةٌ بالتَّوكُّلِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[هود:١٢٣].

السُّؤالُ [٢٤]: لماذا جمَعَ بين العِبادَةِ والاستِعانَةِ؟

لأنَّـه لا قِيـامَ بالعبـادَةِ علىٰ الوَجهِ الأكمَـلِ إلَّا بمَعونَـةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، والتَّفويضِ إليـه، والتَّوكُّلِ عليـه، وقـد ألَّفَ الإمـامُ ابنُ القَيِّـمِ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتابًـا كَبيرًا سـمَّاهُ: «مَدارجَ السَّـالِكينَ بيـنَ مَنازِلِ إيَّـاكَ نعبُدُ وإيَّاكَ نسـتَعينُ».

السُّؤالُ [٢٥]: ما الَّذي يتضمَّنَه قَولُ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾؟

والمُرادُ بالهِدايَةِ: هِدايَةُ العِلمِ والإرشادِ إلىٰ الحَقِّ، وهِدايَةُ التَّوفيقِ والعمَلِ، والمُرادُ بالصِّراطِ المُستَقيم: الطَّريقُ الَّذي لا اعوِجاجَ فيه، وهو الطَّريقُ الموصِلُ إلىٰ رِضىٰ اللهِ والجنَّةِ، وهو شَريعَةُ النَّبيِّ مُحمَّدٍ ﷺ الَّتي بُعِثَ بها. وهذا هو أفضَلُ دُعاءٍ في القُرآنِ الكَريم وأعظَمُهُ، وفيه مِن المَعاني الشَّيءُ الكَثيرُ جِدًّا، وهو الدُّعاءُ الوَحيدُ الواجِبُ علىٰ كُلِّ مُسلِمٍ!

السُّؤالُ [٢٦]: لماذا قالَ: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ ولم يقُل: (الطَّريقَ)؟

لأنَّ الصِّراطَ مُذلَّلٌ وواسِعٌ، والطَّريقُ قد يَكونُ كذلِكَ وقد لا يَكونُ.

السُّؤالُ [٢٧]: إلىٰ مَن يُنسَبُ الصِّراطُ؟

يُنسَـبُ إلـىٰ اللهِ تَعالـىٰ باعتِبـارِ أنَّه هـو خالِقُه ومالِكُه، ويُنسَـبُ إلـىٰ الَّذين أنعَـمَ اللهُ عليهم وهداهُـم إليـه باعتِبـارِ أنَّهم هم سـالِكوهُ، ولهذا قـالَ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾.

السُّؤالُ [٢٨]: لماذا قالَ: ﴿أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ ولم يقُل: (المُنعَمِ عليهم)؟

جاءَ بالفِعل لأمرين:

- ليشمَلَ كلَّ مَن أنعَمَ اللهُ عليهم مِن لدُن آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إلىٰ يوم القِيامَةِ.
- لأنَّ الفِعلَ (أنعَـمَ) يُذكَـرُ معه الفاعِـلُ المُنعِـمُ، وهـو اللهُ عَزَّوَجَلَّ، بينما (المُنعَـم عليهم) اسـمُ مَفعـولٍ أُبهِـمَ فاعِلُهُ فـلا يُعلَـمُ مَن هو.

السُّؤالُ [٢٩]: مَن هم الَّذين أنعَمَ اللهُ عليهم؟

هـم الَّذين ذكَرَهُـم اللهُ عَزَّوَجَلَّ في قولِـهِ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾[النِّسـاء].

السُّؤالُ [٣٠]: مَن هم المَغضوبُ عليهم؟

المَغضـوبُ عليهـم هم اليَهـودِ، الَّذين عِلِمـوا الحَقَّ ولم يَعمَلوا به، ويشـمَلُ هـذا الوَصفُ كلَّ مَـن كانَ علىٰ شـاكِلَتِهم في ذلِك.

السُّؤالُ [٣١]: مَن هم الضَّالُّونَ؟

الضَّالُّـون هـم النَّصـارىٰ الَّذيـن كانـوا قبلَ بِعثَـةِ النَّبـيِّ ﷺ، الَّذين عمِلـوا بغَيـرِ الحَقِّ وهم جاهِلـونَ به، ويشـمَلُ الوَصـفُ كذلِـكَ كلَّ مَن شـابَهَهُم في ذلِك.

السُّؤالُ [٣٢]: لماذا قدَّمَ المَغضوبَ عليهم علىٰ الضَّالِّينَ؟

قـدَّمَ اليَهـودَ علـىٰ النَّصـارىٰ لأنَّهم أقـدَمُ مِنهُم شَـريعَةً، ولأنَّهـم أشَـدُّ مِنهُم كُفـرًا وعَداوَةً للمُؤمِنيـنَ، قـالَ تَعالـىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾[المائـدة:٨٢].

السُّؤالُ [٣٣]: لماذا كرَّرَ (لا) في الآيَةِ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾؟

كـرَّرَ أداةَ النَّفـيِ ليشـمَلَ النَّفيُ الوَصفيـنِ مُجتَمِعَيـنِ ومُنفَرِدَيـنِ، فمَن جمَـعَ الوصفَينِ معًا أواتَّصَـفَ بأحَدِهمـا دون الآخَـرِ فهـو علىٰ غَيـرِ سَـبيلِ الَّذين أنعَـمَ اللهُ عليهم.

السُّؤالُ [٣٤]: هل قَولُ (آمينَ) مِن الفاتِحَةِ؟

ليسَت مِن الفاتِحَةِ بالإجماعِ، وهي دُعاءٌ مَعناه: (اللَّهُمَّ استَجِب)، ويُستَحَبُّ الدُّعاءُ بها سواءٌ في الصَّلاةِ أو خارِجَها، لكنَّ استِحبابَها في الصَّلاةِ أوكَدُ.

السُّؤالُ [٣٥]: هل هناكَ أُمورٌ تختَصُّ بها الفاتِحَةُ دونَ باقي سُوَرِ القرآنِ؟

نعم، ومِن ذلِكَ أنَّها لا تَقبَلُ التَّنصيفَ، فكُلُّ سورَةٍ مِن القُرآنِ لو قُرِئَ نِصفُها في رَكعَةٍ والنِّصفُ الثَّاني في رَكعَةٍ أُخرىٰ جازَ، بخِلافِ الفاتِحَةِ.

السُّؤالُ [٣٦]: هل صحيحٌ أنَّ في الفاتِحَةِ أنواعَ التَّوحيدِ الثَّلاثَةِ؟

نعم، وبَيانُ ذلِكَ بما يأتي:

- ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾: فيها تَوحيدُ الرُّبوبِيَّةِ.
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾: فيها تَوحيدُ الأُلوهيَّةِ.
- ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾: فيها تَوحيدُ الأسماءِ والصِّفاتِ.

السُّؤالُ [٣٧]: هل صَحيحٌ أنَّ فيها إثباتَ القَدَرِ؟

نعم، فإذا قَرأتَ قولَهُ تَعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، تَعلَمُ أنَّ فيهِ إيمانًا بالقَدَرِ؛ فإنَّكَ تَرجُو رَحمَةَ اللهِ تعالىٰ، ومِن خِلالِ هذا الرَّجاءِ تعرِفُ أنَّكَ فَقيرٌ إلىٰ اللهِ مُحتاجٌ إليه.

السُّؤالُ [٣٨]: هل صَحيحٌ أنَّ فيها إثباتَ الشَّرعِ؟

نعم، وذلِكَ في قولِهِ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾، وهو الصِّراطُ الَّذي أتىٰ به النَّبيُّ ﷺ وهو شَريعَتُهُ.

السُّؤالُ [٣٩]: هل في سورَةِ الفاتِحَةِ إشاراتٌ إلىٰ أُمورٍ أُخرىٰ؟

نعم، فيها مَعانٍ وإشاراتٌ كَثيرَةٌ جِدًّا لا يستَطيعُ أحَدٌ أن يُحيطَ بها عِلمًا، وقد ألَّف بَعضُهم المُجَلَّداتِ في تَفسيرِ الفاتِحَةِ واستِنباطِ المَعاني مِنها.

ومِن عَجيبِ الاستِنباطاتِ استِدلالُهم بالفاتِحَةِ علىٰ صِحَّةِ خِلافَةِ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وذلِك مِن قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾، وقَولِهِ: ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾[النِّساء:٦٩]، والنَّبيُّ ﷺ سمَّاهُ صِدِّيقًا، فدَخَلَ فيمَن أُمِرنا باتِّباعِ صِراطِهِم، فدَلَّ ذلِكَ علىٰ أنَّ إمامَتَه حَقٌّ!

السُّؤالُ [٤٠]: كيف لي أن أتعَلَّمَ أكثَرَ عن باقي أبوابِ دينِ الإسلامِ؟

يُمكِنُكَ الدِّراسَةُ معنا مجّانًا عن بُعدٍ في مَعهَدِنا «مَعهَدِ السُّنَّةِ» علىٰ الرَّابطِ المَوجودِ في آخِرِ هذه الرِّسالَةِ.

فتَوَكَّلْ علىٰ اللهِ، واللهُ يُعينُكَ في مَسعاكَ، فالدِّينُ يُسرٌ، وفَّقَكَ اللهُ لِما يُحِبُّ ويَرضىٰ، وخِتامًا أوصيكَ بقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الفصل ٦: آيَةُ الْكُرْسِيِّ

السُّؤالُ [١]: ما هي آيَةُ الكُرسِيِّ؟

هي قولُ اللهِ تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة].

السُّؤالُ [٢]: في أيِّ سورَةٍ هي؟

هي الآية ٢٥٥ من سورَةِ البقرَةِ.

السُّؤالُ [٣]: لماذا سُمِّيت بآيَةِ الكُرسِيِّ؟

لأنَّ فيها ذِكرَ الكُرسِيِّ، ولم يُذكَر في غَيرِها، وجاءَت تَسمِيتُها بهذا في السُّنَّةِ، ففي «صحيح البخاريِّ» من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قصَّةِ الشَّيطانِ أنَّه قال له: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ**»، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**».

السُّؤالُ [٤]: ما هو الكُرسِيُّ؟

أخرج عبدُ الرَّزَّاق وغيرُه بسندٍ ثابتٍ عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّه قالَ: «**الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ**»، أي: قدمي الله عَزَّوَجَلَّ، وصحَّ كذلِكَ عن أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو مَوقوفٌ عليهما، لكنَّ له حُكمَ الرَّفعِ؛ لأنَّه ممَّا لا يُقالُ بالرَّأيِ، والكُرسِيُّ بين يدي العرش كالمُقدِّمَةِ له.

والقَدَمُ صفةٌ ثابتةٌ لله ﷿، فقد جاء في «الصَّحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه مَرفوعًا: «**فأمَّا النَّارُ فلا تمتلئُ حتَّىٰ يضعَ اللهُ تبارَك وتعالىٰ رِجْلَه**»، وعند مُسلِم: «**قَدَمَه**»، «**فتقولُ: قَطْ قَطْ**»، فنُثبِتُ صِفةَ القَدَمِ والرِّجلِ علىٰ الحَقيقةِ، ولا نَقولُ: كيفَ؟ فإنَّ صِفاتِ اللهِ ﷿ لا تُدرَكُ بالعُقولِ.

والكُرسِيُّ مَخلوقٌ عَظيمٌ، ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ﴾ أي: شمِلَ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ وأحاطَ بهما.

السُّؤالُ [٥]: ما مَنزِلَةُ آيَةِ الكُرسِيِّ بين آياتِ القرآنِ؟

هي أعظَمُ آيةٍ في كتابِ اللهِ ﷿، جاءَ ذلِكَ في السُّنَّةِ، ففي «صحيح مسلم» عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟**»، قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[البقرة:٢٥٥]، قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**»، أي: ليَكُن العلمُ هَنيئًا لك.

وفي هذا الحديث إقرارٌ مِن النَّبيِّ ﷺ لأُبَيٍّ رضي الله عنه علىٰ أنَّ آيَةِ الكُرسيِّ هي أعظَمُ آيَةٍ في كِتابِ الله ﷿، ويَحتَمِلُ أنَّ أُبيًّا كانَ قد سمِعَ ذلِكَ مِن النَّبيِّ ﷺ قبلَها.

السُّؤالُ [٦]: وهل القُرآنُ يتفاضَلُ؟

إذا نظَرنا باعتِبارِ المُتكَلِّمِ بالقُرآنِ فإنَّه لا يتفاضَلُ؛ لأنَّ المُتكلِّم به واحِدٌ وهو اللهُ ﷿.

لكِنَّ القُرآنَ يتفاضَلُ بدلالَةِ حَديثِ أُبَيٍّ رضي الله عنه مِن حيثُ:

- **المَوضوعُ والمَدلولُ**: فَسورَةُ الإخلاصِ الَّتي فيها الثَّناءُ علىٰ الله ﷿ بما تضمَّنَته مِن الأسماءِ والصِّفاتِ ليست كسورَةِ المَسَدِ الَّتي فيها بَيانُ حالِ أبي لهبٍ.
- **التَّأثيرُ وقُوَّةُ الأُسلوبِ**: فإنَّ مِن الآياتِ ما تجِدها آيةً قصيرةً، لكن فيها رَدعٌ قَوِيٌّ للقَلبِ ومَوعِظَةٌ؛ كآيَةِ الكُرسِيِّ، وتجِدُ آيةً أُخرىٰ أطوَلَ مِنها بكَثيرٍ لكن لا تشتَمِلُ علىٰ ما تشتَمِلُ عليه الأُولىٰ؛ كآيَةِ الدَّينِ.

السُّؤالُ [٧]: بماذا بدأت آيةُ الكُرسِيِّ؟

بدأت بالتَّوحيدِ ونَفيِ الشِّركِ، وذلِكَ قَولُهُ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، ومَعلومٌ أنَّ كلمةَ التَّوحيدِ (لا إلهَ إلَّا اللهُ) لها رُكنانِ هما: النَّفيُ (لا إلهَ)، والإثباتُ (إلَّا اللهُ).

السُّؤالُ [٨]: هل هُناك أوقاتٌ مَخصوصَةٌ تُشرَعُ فيها قِراءةُ آيَةِ الكُرسيِّ؟

نعم، يُشرَعُ قِراءَتُها في اللَّيلِ قبلَ النَّومِ، وكذلِكَ بعدَ كُلِّ صَلاةٍ مَفروضَةٍ.

السُّؤالُ [٩]: ما ثَمَرَةُ قِراءَتِها قبلَ النَّومِ؟

تقدَّم ذِكرُ حديثِ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قصَّةِ الشَّيطانِ أنَّه قال له: «**إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ، لَنْ يَزَالَ مَعَكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ**»، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ**»، والحَديثُ في «صحيح البخاريِّ».

السُّؤالُ [١٠]: ما ثمرةُ قِراءَتِها بعدَ الصَّلواتِ المَفروضةِ؟

هي سببٌ لدُخولِ الجنَّةِ، أخرَجَ النَّسائيُّ في «الكُبرىٰ» والطَّبرانيُّ عن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**».

السُّؤالُ [١١]: كم عدَدُ أسماءِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتي ذُكِرَت في آيَةِ الكُرسيِّ؟

خمَسَةُ أسماءٍ هي: اللهُ، والحَيُّ، والقَيُّومُ، والعَلِيُّ، والعَظيمُ.

السُّؤالُ [١٢]: كم عدَدُ صِفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّتي ذُكِرَت في آيَةِ الكُرسيِّ؟

ذكرَ العلَّامَةُ ابنُ عُثيمينَ رَحِمَهُ اللهُ فيها ستًّا وعشرينَ صِفَةً، مِنها: الحَياةُ، والقَيُّوميَّةُ، والغِنىٰ

عمَّا سِواهُ، ونَفيُ السِّنَةِ، ونَفيُ النَّومِ، ونَفيُ التَّعَبِ والثِّقَلِ بحِفظِ المَخلوقاتِ، وعُمومُ مُلكِه عَزَّوَجَلَّ، وكمالُ سُلطانِه، والعِلمُ، وأنَّه لا يُحيطُ أحَدٌ بعِلمِه، والمَشيئَةُ، والقُوَّةُ، والعُلوُّ، والعظَمَةُ، وغيرُ ذلِكَ.

السُّؤالُ [١٣]: هل الآيَةُ جُملَةٌ إسمِيَّةٌ أم فِعلِيَّةٌ؟

هي جُملَةٌ إسمِيَّةٌ، وكلُّ جُملَةٍ فيها يصِحُّ أن تكونَ خبرًا للمُبتَدإ: ﴿ٱللَّهُ﴾ أو ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾.

السُّؤالُ [١٤]: كم مرَّة قُرِنَ اسمُ الحَيِّ مع القَيُّومِ في القرآنِ؟

قُرِنَ هذانِ الاسمانِ في القرآنِ في ثَلاثَةِ مَواضِعَ: هنا في آيَةِ الكُرسيِّ مِن سورَةِ البقرَةِ، وفي سورَةِ آل عِمرانَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾، وفي سورَةِ طه: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾.

السُّؤالُ [١٥]: ماذا قالَ العُلماءُ عن هذينِ الاسمَينِ إذا قُرِنا؟

قالَ بَعضُ أهلِ العِلمِ: إنَّ هذا هو اسمُ اللهِ الأعظَمُ؛ لما أخرجَهُ ابنُ ماجه عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اسمُ اللهِ الأعظَمُ فِي سُوَرٍ مِنَ القُرآنِ ثَلاثٍ: فِي البَقَرَةِ، وَآلِ عِمرَانَ، وَطَهَ**».

وكذلِكَ ما أخرَجَهُ أصحابُ «السُّننِ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي ثُمَّ دَعَا: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**»، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى**».

وهذا أحَدُ أقوالِ أهلِ العِلمِ في تَحديدِ الاسمِ الأعظَمِ لله تَعالىٰ، وقيلَ غيرُه.

السُّؤالُ [١٦]: لماذا قيلَ بأنَّهما اسمُ اللهِ الأعظَمُ؟

قالَ العلَّامةُ ابنُ عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قالَ أهلُ العلمِ: وإنَّما كانَ الاسمُ الأعظَمُ في اجتِماعِ هذينِ الاسمَين؛ لأنَّهما تضَمَّنا جميعَ الأسماءِ الحُسنىٰ؛ فصِفةُ الكَمالِ في الحيِّ؛ وصِفةُ الإحسانِ والسُّلطانِ في القَيُّوم).

السُّؤالُ [١٧]: ما مَعنىٰ اسمِ الحَيِّ؟

الحَيُّ هو ذو الحَياةِ الكامِلَةِ الَّتي لا نَقصَ فيها، والَّتي لم تُسبَق بعَدَمٍ (أزَلِيَّةٌ)، ولا يَلحَقُها فَناءٌ (أبَدِيَّةٌ).

السُّؤالُ [١٨]: ما مَعنىٰ اسمِ القَيُّومِ؟

القَيُّومُ صيغة مُبالَغَةٍ مِن القِيام، وهو الَّذي قامَ بنَفسِه، وقامَ غَيرُه به، مُستَغنٍ عن كُلِّ شَيءٍ سِواهُ، وكلُّ شَيءٍ مُفتَقِرٌ إليه.

السُّؤالُ [١٩]: ما مَعنىٰ اسمِ العَلِيِّ؟

العَلِيُّ هو ذو العُلُوِّ المُطلَقِ، وهو الارتِفاعُ فَوقَ كُلِّ شَيءٍ، فهو تَعالىٰ عَلِيٌّ عُلُوَّ ذاتٍ، وعُلُوَّ قَهرٍ وسُلطانٍ، وعُلُوَّ كَمالٍ في الأسماءِ والصِّفاتِ.

السُّؤالُ [٢٠]: ما مَعنىٰ اسمِ العَظيمِ؟

العَظيمُ هو ذو العظَمَةِ في ذاتِه، وسُلطانِه، وصِفاتِه.

السُّؤالُ [٢١]: ما الفرقُ بين السِّنَةِ والنَّومِ؟

السِّنَةُ والنَّومُ صِفتان مَنفِيَّتانِ عن الله ، وعَزَّوَجَلَّ السِّنَةُ هي النُّعاسُ، وهو مُقَدِّمَةُ النَّومِ، وفي نَفيِهما تأكيدٌ لكمالِ حَياةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وقَيُّومِيَّتِه.

السُّؤالُ [٢٢]: ما الَّذي يَلزَمُ في الصِّفاتِ المَنفيَّةِ؟

قالَ العلَّامةُ ابنُ عُثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (الإيمانُ بالصِّفاتِ المَنفيَّةِ يتضمَّنُ شيئين؛ أحدُهما: الإيمانُ بانتِفاءِ الصِّفَةِ المَذكورَةِ؛ والثَّاني: إثباتُ كَمالِ ضِدِّها؛ لأنَّ الكَمالَ قد يُطلَقُ باعتبارِ الأغلَبِ الأكثَرِ، وإن كانَ يَرِدُ عليه النَّقصُ مِن بَعضِ الوُجوهِ؛ لكن إذا نُفِي النَّقصُ فمَعناه أنَّ الكَمالَ كَمالٌ مُطلَقٌ لا يَرِدُ عليه نَقصٌ أبدًا بوَجهٍ مِن الوُجوهِ).

السُّؤالُ [٢٣]: هل في الآيَةِ إثباتٌ للشَّفاعَةِ؟

نعم، في الآيَةِ إثباتُ الشَّفاعَةِ، يُفهَمُ ذلِكَ مِن الاستِثناءِ في قَولِه: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وقيَّدَها بالإذنِ، فالشَّفاعَةُ لا تَحصُلُ مِن مَخلوقٍ لمَخلوقٍ إلَّا بإذنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وشرطُ إذنِه تَعالىٰ في الشَّفاعَةِ: رِضاهُ عن الشَّافِعِ، والمَشفوعِ له، والشَّفاعَةُ إكرامٌ مِن اللهِ للشَّافِعِ.

السُّؤالُ [٢٤]: ما مَعنىٰ قَولِه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾؟

لها مَعنيانِ صَحيحانِ:

- أنَّ المَخلوقينَ لا يَعلَمونَ شَيئًا مِن أسماءِ اللهِ وصِفاتِه وأفعالِه إلَّا بتَعليمِه إيَّاهُم، ولهذا فإنَّه لا يَجوزُ أن يُسأَلَ عن كيفيَّةِ الصِّفاتِ.
- أنَّ المَخلوقينَ لا يَعلَمونَ شيئًا ممَّا يعلَمُه اللهُ إلَّا ما شاءَ أن يُعلِّمَهم إيَّاه.

السُّؤالُ [٢٥]: ما مَعنىٰ قَولِه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾؟

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي: لا يُثقِلُهُ، ولا يَشُقُّ عليه، ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السَّمواتُ والأرضُ.

السُّؤالُ [٢٦]: كيف لي أن أتعَلَّمَ أكثَرَ عن باقي أبوابِ دينِ الإسلامِ؟

يُمكِنُكَ الدِّراسَةُ معنا مجَّانًا عن بُعدٍ في مَعهَدِنا «مَعهَدِ السُّنَّةِ» علىٰ الرَّابطِ المَوجودِ في آخِرِ هذه الرِّسالَةِ.

فتَوَكَّلْ علىٰ اللهِ، واللهُ يُعينُكَ في مَسعاكَ، فالدِّينُ يُسرٌ، وفَّقَكَ اللهُ لِما يُحِبُّ ويَرضىٰ، وخِتامًا أوصيكَ بقَولِ النَّبِيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الفصل ٧: سُؤَالَاتٌ فِي الْفَرَائِضِ

السُّؤالُ [١]: ما هو عِلمُ الفَرائِضِ؟

هو: (العِلمُ بقِسمَةِ المَواريثِ فِقهًا وحِسابًا)، والمَواريثُ هي التَّرِكاتُ، وهي كلُّ ما يُخلِّفُه الميِّتُ مِن أموالٍ، وحقوقٍ، واختِصاصاتٍ.
وهو عِلمٌ جَليلٌ، له أهمِّيَّةٌ كبيرَةٌ جدًّا، فبه نَستطيعُ أن نوصِلَ إلىٰ كلِّ وارِثٍ ما يستَحِقُّه مِن التَّرِكَةِ.

السُّؤالُ [٢]: مَن هو الَّذي وضَعَ عِلمَ الفَرائِضِ؟

الَّذي وضَعَ عِلمَ الفَرائِضِ هو اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فقد تولَّىٰ ذلِكَ بنفسِهِ فقال بعد أن ذكَرَ جملَةً مِن أحكامِ المَواريثِ: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأحوالِ عِبادِهِ ﴿حَكِيمًا ۝١١﴾[النِّساء] يختارُ لهُم ما يُصلِحُهم.

السُّؤالُ [٣]: هل صحَّ في عِلمِ الفَرائضِ أنَّه أوَّلُ عِلمٍ يُفقَدُ؟

رُوِيَ ذلِكَ في حَديثٍ عن النَّبيِّ ﷺ بلَفظِ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، تَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ وَعَلِّمُوهُ، فَإِنَّهُ نِصْفُ الْعِلْمِ، وَهُوَ يُنْسَىٰ، وَهُوَ أَوَّلُ شَيْءٍ يُنْزَعُ مِنْ أُمَّتِي**». أخرجَهُ ابنُ ماجَهْ وغيرُهُ.
لكنَّه حَديثٌ ضعيفٌ جدًّا، ضعَّفَه البيهقيُّ، وابنُ كثيرٍ، وابنُ المُلقِّنِ، والبوصيريُّ، والذَّهبيُّ، وابنُ حجرٍ، والألبانيُّ، وغيرُهم.

السُّؤالُ [٤]: ما هو حُكمُ تَعلُّمِ عِلمِ الفَرائِضِ؟

تَعلُّمُه فرضٌ علىٰ الكِفايَةِ، فإذا قامَ به مَن يَكفي صارَ في حَقِّ الباقينَ سُنَّةً، وإذا لم يقُم به مَن تحصُلُ بهم الكِفايَةُ أثِمَ التَّارِكونَ علىٰ ترْكِهِ.

السُّؤالُ [٥]: ما هي المَصادِرُ الَّتي يُبنىٰ عليها عِلمُ الفَرائِضِ؟

عِلمُ الفَرائِضِ كسائِرِ عُلوم الشَّريعَةِ مُستَمَدٌّ أصالةً مِن القُرآنِ، والسُّنَّةِ، وإجماعِ عُلماءِ المُسلِمينَ، ونظرًا لما أَولَاهُ الشَّرعُ مِن الاهتِمامِ فإنَّ مسائِلَ الإجماعِ فيه مِن أكثَرِ ما تكونُ في أبوابِ الشَّريعة.

السُّؤالُ [٦]: هل تَعلُّمُ الفَرائِضِ صَعبٌ أم سَهلٌ؟

تَعلُّمُ الفَرائِضِ سَهلٌ بالاستِعانَةِ باللهِ سُبحانَهُ، ثمَّ بالسَّيرِ علىٰ ما كانَ عليه السَّلفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم.

السُّؤالُ [٧]: هل هو نِصفُ العِلمِ؟

نعم، هو نِصفُ العِلمِ؛ لأنَّ العِلمَ إمَّا عِلمُ أحياءٍ أو عِلمُ أَمواتٍ، وعِلمُ الفَرائِضِ يتعلَّقُ بالأَمواتِ.

ويَنبغي التَّنبيهُ إلىٰ أنَّ كَونَهُ نِصفُ العِلمِ مِن بابِ الاجتِهادِ، وما رُوِيَ في ذلِكَ مِن أحاديثَ كلُّها ضعيفَةٌ لا تَقومُ بها حُجَّةٌ.

السُّؤالُ [٨]: مَن أكثَرُ مَن بَرَزَ في عِلمِ الفَرائِضِ مِن الصَّحابةِ؟

بَرَزَ فيه كَثيرٌ مِن الصَّحابَةِ، علىٰ رأسِهم الخُلَفاءُ الرَّاشِدونُ، وابنُ مَسعودٍ، وزيدُ بنُ ثابتٍ، وأبو موسَىٰ الأشعرِيُّ، وأُبيُّ بنُ كَعبٍ، ومُعاذُ بنُ جبَلٍ، وابنُ عبَّاسٍ، وعائشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم جميعًا.

السُّؤالُ [٩]: بماذا يُلقَّبُ العالِمُ المُتقِنُ للفَرائِضِ؟

يُلقَّبُ بالفَرَضِيِّ، وهي مَنقبَةٌ كَبيرَةٌ يُعتَزُّ بها.

السُّؤالُ [١٠]: ما هي أهمِّيَّةُ عِلمِ الفَرائِضِ في وَقتِنا؟

لو يكُن لعِلمِ الفَرائِضِ أهمِّيَّةٌ كَبيرَةٌ لَما تولَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ تَفصيلَ مسائِلِهِ في كِتابِه العَزيز، والمُشاهِدُ لحالِ كَثيرٍ مِن العَوائلِ اليومَ يُدرِكُ أنَّ أكثَرَ الاختِلافاتِ الحاصِلَةِ وقَضايا المَحاكِمِ إنَّما هي بسبَبِ الخِلافِ في مَسائِلِ الإرثِ، فتوَلَّىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قِسمَةَ التَّرِكةِ بنَفسِه قطعًا للنِّزاعِ بينَ الأقرَبينَ وحِفظًا لأرحامِهم.

السُّؤالُ [١١]: هل مَسائِلُ الفَرائِضِ تَوقيفيَّةٌ أم اجتِهادِيَّةٌ؟

مسائِلُ المَواريثِ مِن قَبيلِ العِباداتِ، ومَعلومٌ أنَّ العِبادَاتِ تَوقيفِيَّةٌ، لا مَدخَلَ للعَقلِ فيها، فيُتوَقَّفُ فيها علىٰ ما جاء في الكِتابِ والسُّنَّةِ وأجمَعَت عليه الأُمَّةُ، قالَ تَعالىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾[الشُّورىٰ:٢١]، وهذا سُؤالٌ استِنكارِيٌّ، فإنَّ التَّشريعَ للهِ عَزَّوَجَلَّ وحدَهُ، وقالَ عَزَّوَجَلَّ في خُصوصِ الفَرائِضِ بعدَ أن ذكَرَ نَصيبَ الأبناءِ والوالِدينِ مِن الإرثِ: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ [النِّساء:١١]؛ بل اللهُ عَزَّوَجَلَّ هو الَّذي يعلَمُ أيَّهم أنفَعُ وأيَّ الأُمورِ يُصلِحُ أحوالَ النَّاسِ.

السُّؤالُ [١٢]: ما الجَوابُ علىٰ مَن يَدعو إلىٰ المُساواةِ في الإرثِ بين الذُّكورِ والإناثِ؟

يُجابُ علىٰ هذا بعدَّةِ أجوِبَةٍ:

- **الأوَّلُ**: أنَّ العِباداتِ -كما سبَقَ- تَوقيفِيَّةٌ، فلا يُعتَرَضُ فيها علىٰ حُكمِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قالَ تَعالىٰ: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾[الأنبياء]، وإنَّما نقولُ: (سمِعنا وأطَعنا)، قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥١﴾ [النُّور].
- **الثَّاني**: أنَّه لا أحَدَ أعلَمُ مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ بما تَصلُحُ به أحوالُ النَّاسِ، ولهذا قالَ تعالىٰ بعدَ أن ذكَرَ جُملَةً مِن أحكامِ المَواريثِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١﴾[النِّساء]، وقالَ في المَوضِعِ الثَّاني: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾[النِّساء]، وقالَ في المَوضِعِ الثَّالثِ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ [النِّساء].

○ **الثَّالث**: أنَّ الشَّارِعَ الحَكيمَ لا ينظُرُ إلىٰ الأمورِ مِن جانِبٍ واحِدٍ فقط، وإنَّما مِن عِدَّةِ جَوانِبَ، فالَّذي جعَلَ للذَّكرِ مِن الأبناءِ في المِيراثِ مِثلَ حَظِّ الأُنثَيَينِ هو عَينُهُ الَّذي أوجَبَ علىٰ الرَّجُلِ النَّفقَةَ علىٰ زَوجَتِهِ ولو غَنِيَّةً، وهو الَّذي أوجَبَ الدِّيَةَ علىٰ ذُكورِ العاقِلَةِ في القَتلِ الخَطَإِ ولم يوجِبها علىٰ إناثِهم، وغَيرِ ذلِكَ مِن الأحكام.

○ **الرَّابع**: أنَّ الأُنثىٰ تَرِثُ أكثَرَ مِن الذَّكرِ في عِدَّةِ مَسائِلَ، ولعلَّ عِدَّتَها أكثَرُ مِن تِلكَ الَّتي يَرِثُ الذَّكَرُ فيها أكثَرَ.

السُّؤالُ [١٣]: ما هي الأسبابُ الَّتي يحصُلُ بها الإرثُ؟

يحصُلُ الإرثُ بثلاثةِ أُمورٍ:

○ **القَرابَةُ**: مِن الأُصولِ، والفُروعِ، والحَواشي.

○ **الزَّوجِيَّةُ**: فيَرِثُ الزَّوجُ الزَّوجَةَ وتَرِثُه.

○ **الوَلاءُ**: فيَرِثُ المُعتِقُ وعصبَتُهُ المُعتَقَ.

السُّؤالُ [١٤]: ما هي القاعِدَةُ الَّتي يَرجِعُ إليها عِلمُ المَواريثِ؟

الأصلُ في المَواريثِ ثلاثُ آياتٍ مِن سورَةِ النِّساءِ، جاءَ فيها تَفصيلُ أَنصِبَةِ أَهَمِّ أصحابِ الفَرائِضِ، بالإضافَةِ إلىٰ قَولِ النَّبيِّ ﷺ في الحَديثِ المُتَّفقِ عليه: «**أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَلِأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ**»، فيُبدَأُ في الإرثِ بأصحابِ الفُروضِ المُقَدَّرَةِ، ثمَّ يَكونُ ما بَقِيَ لأولىٰ رَجُلٍ ذكَرٍ، وأولاهُم الابنُ، ثمَّ الأبُ، ثمَّ الجدُّ وإن علا، ثمَّ الأخُ... وهكذا.

السُّؤالُ [١٥]: هل يوجَدُ خِلافٌ كَثيرٌ في مَسائِلِ المَواريثِ؟

لا؛ بل إنَّه قَليلٌ جِدًّا، وكما تقدَّمَ فإنَّ مسائِلَ الإجماعِ في باب الفَرائِضِ مِن أكثَرِ ما تَكونُ في أبوابِ الشَّريعةِ.

السُّؤالُ [١٦]: ما الَّذي يَحتاجُهُ طالِبُ العِلمِ لِيَستَطيعَ حلَّ مَسائِلِ المَواريثِ؟

يَحتاجُ طالِبُ العِلمِ أوَّلًا إلىٰ مَعرِفَةِ مَقاديرِ الفرائِضِ حسَبَ ما جاءَ في الشَّرعِ، ثمَّ إلىٰ مَعرِفَةِ الحَجبِ، والتَّعصيبِ، والعَولِ، والرَّدِّ، وغيرِ ذلِكَ مِن المَسائِلِ.
ثمَّ بعد ذلِكَ كلِّه يَحتاجُ إلىٰ مَعرِفَةِ طُرُقِ حِسابِ الكُسورِ، والتَّوفيقِ بينَ المَقاديرِ، وهذا مِن أيسَرِ الأمورِ اليَومَ مع ما يدرُسُه الطُّلَّابُ في المَدارِسِ مِن مَسائِلِ الرِّياضِيَّاتِ.

السُّؤالُ [١٧]: هل توجَدُ مَسائِلُ في الفَرائِضِ ليسَ لها حَلٌّ، أو مُستَحيلَةُ الحَلِّ؟

لا، كلُّ مَسائِلِ المَواريثِ يُمكِنُ حلُّها، ولعلَّ مِن أصعَبِها ما كانَ فيه مُناسَخاتٌ، وهي مَوتُ أحَدِ الوَرَثَةِ فأكثَرَ قبل قِسمَةِ التَّرِكَةِ، ومِن أصعَبِ مَسائِلِ الإرثِ كذلِكَ ما كانَ فيه جَنينٌ أو مَفقودٌ لا يُدرىٰ حالُهما.

السُّؤالُ [١٨]: هل يَنبَغي السُّؤال عن بَعضِ المَسائِلِ في بِدايَةِ الدِّراسَةِ؟

لا يَنبَغي السُّؤالُ في بِدايَةِ الطَّلَبِ؛ لأنَّ عِلمَ المَواريثِ -كغَيرِه مِن العُلومِ- يُبنىٰ علىٰ التَّدرُّجِ، فكُلَّما تقدَّمَ في الطَّلَبِ كُلَّما عرَفَ أكثَرَ.

السُّؤالُ [١٩]: متىٰ يَستَطيعُ الطَّالبُ السُّؤالَ؟

عِندَما يَنتَهي مِن دِراسَةِ هذا العِلمِ المُبارَكِ، وحينَها لن يجِدَ سُؤالًا ليس له جَوابٌ.

السُّؤالُ [٢٠]: هل يُمكِنُ لطالِبِ العلمِ والعامِّيِّ أن يستَعمِلَ التَّطبيقاتِ المَوجودَةَ لِحسابِ أَنصِبَةِ الورَثَةِ؟

البَرامِجُ والتَّطبيقاتُ المَوجودَةُ في غالِبِها جيِّدَةٌ ومُفيدَةٌ، إلَّا أنَّه لا ينبَغي أن يستعمِلَها إلَّا طالِبُ العِلمِ المُنتَهي والعالِمُ؛ لأنَّ هناكَ مَسائِلَ خِلافِيَّةً في المَواريثِ، ولابُدَّ مِن مَعرِفَةِ الرَّاجِحِ مِنها للعَمَلِ به، وخاصَّةً فيما يتعلَّقُ بميراثِ الإخوَةِ مع الجَدِّ، ومَسائِلِ الرَّدِّ، وغيرِها.

السُّؤالُ [٢١]: ما هي أفضَلُ المَنظوماتِ في بابِ المَواريثِ؟

المَنظوماتُ كَثيرَةٌ، وأفضَلُها:

- مَنظومَةُ «بُغْيَةِ الْبَاحِثِ عَنْ جُمَلِ الْمَوَارِثِ» المشهورةُ بـ: «الرَّحبيَّةِ» للشَّيخِ محمَّد بن عليٍّ ابن المتَقِّنة الرَّحْبيِّ الشَّافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت٥٧٧هـ).
- منظومَةُ «الْقَلائِدِ الْبُرْهَانِيَّةِ فِي الْفَرَائِضِ» للشَّيخِ محمَّد بن حجازي بن محمَّد الحلبيِّ البرهانيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٠٥هـ).

وعلىٰ كُلٍّ مِنهُما شُروحٌ وتَطريزاتٌ جَميلةٌ ومُفيدَةٌ ينبَغي لمَن أرادَ هاتَين المَنظومَتَينِ الرُّجوعُ إليها.

السُّؤالُ [٢٢]: أيُّه هاتَينِ المَنظومَتينِ أفضَلُ؟

مَنظومَةُ «القَلائِدِ البُرهانِيَّةِ» أفضَلُ، والمَنظومَةُ «الرَّحبِيَّةُ» أسهَلُ وإن كانَت أطوَلَ، وقد وضَعَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لها القَبولُ بين العُلَماءِ وطَلَبَةِ العِلمِ.

السُّؤالُ [٢٣]: لماذا يَخافُ الطُّلَّابُ مِن الفَرائِضِ؟

خَوفُ الطُّلَّابِ مِن هذا العِلمِ المُبارَكِ مِن تَلبيسِ إبليسَ عليهِم، وإلَّا فإنَّ مَن توكَّلَ علىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، ولم يَخَف، ولم يَعجَز، وأخلَصَ الدُّعاءَ للهِ، وصدَقَ معه، وتابَ إليه تَوبَةً نَصوحًا، واجتَهَدَ في الطَّلَبِ = فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُعينُه في مَسعاهُ ولا يُخَيِّبُه.

السُّؤالُ [٢٤]: كيفَ لي أن أتعَلَّمَ عِلمَ الفَرائِضِ؟

عِلمُ الفَرائِضِ كغَيرِهِ مِن العُلومِ، يُضبَطُ بالحِفظِ والتَّدريباتِ، فيبدَأُ الطَّالِبُ بتَصوُّرِ المَسائِلِ، ومَعرِفَةِ الحُكمِ الرَّاجِحِ فيها، مُستَعينًا في ذلِكَ بشَيخٍ فتَّاحٍ وكُتُبٍ صِحاحٍ، ثمَّ يبدأُ بالمُمارَسَةِ، فيَحُلُّ المَسائِلَ ويُقارِنُ حلَّهُ بحُلولِ الكُتُبِ، أو يَعرِضُها علىٰ مَن يُقوِّمُها.

السُّؤالُ [٢٥]: هل تكفي الدِّراسَةُ النَّظرِيَّةُ دونَ التَّدريبِ علىٰ حَلِّ المَسائِلِ؟

الدِّراسَـةُ النَّظرِيَّـةُ مُهمَّـةٌ -كمـا تقـدَّمَ-، لكنَّهـا غيـرُ كافِيَـةٍ لضَبطِ هـذا العِلمِ؛ لأنَّ مَسـائِلَ الحِسـابِ تَحتـاجُ إلـىٰ تَدريـبٍ مُستَمِرٍّ، ولـذا فإنَّـه حتَّـىٰ العالِـمُ يَحتـاجُ في الغالِـبِ إلـىٰ تَصَـوُّرِ مَسـائِلَ وحَلِّهـا لئـلَّا يَنسـىٰ الأنصِبَـةَ وطُرُقَ الحِسـابِ.

السُّؤالُ [٢٦]: دُلَّني علىٰ طَريقٍ عمَلِيٍّ مُختَصَرٍ أتعلَّمُ به عِلمَ الفَرائِضِ، مع إمكانِيَّةِ تَصحيحِ المَسائِلِ؟

يُمكِنُـكَ الدِّراسَـةُ معنا مجَّـانًا عـن بُعدٍ في مَعهَدِنـا «مَعهَدِ السُّـنَّةِ»، ثمَّ المُشـارَكَةُ في «دَورَةِ الفَرائِـضِ»، وفيهـا تَصحيحُ المَسـائِلِ، وستَحصُلُ بعد إتمـامِ الدِّراسَـةِ علىٰ شَـهادَةٍ تُثبِتُ بها دِراسَـتَكَ.

السُّؤالُ [٢٧]: كيف لي أن أتعَلَّمَ أكثَرَ عن باقي أبوابِ دينِ الإسلامِ؟

يُمكِنُـكَ الدِّراسَـةُ معنا مجَّـانًا عن بُعـدٍ في مَعهَدِنا «مَعهَدِ السُّـنَّةِ» علىٰ الرَّابـطِ المَوجودِ في آخِرِ هذه الرِّسـالَةِ.

فتَـوَكَّلْ علـىٰ اللهِ، واللهُ يُعينُـكَ في مَسـعاكَ، فالدِّيـنُ يُسـرٌ، وفَّقَـكَ اللهُ لِما يُحِـبُّ ويَرضىٰ، وخِتامًـا أوصيـكَ بقَولِ النَّبِـيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَـا يَنْفَعُكَ، وَاسْـتَعِنْ بِـاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الفصل ٨: سُؤَالَاتٌ عَنِ التَّدْخِينِ

السُّؤالُ [١]: ما هو الدُّخانُ؟

الدُّخانُ اسمٌ للسَّجائِرِ الَّتي تُصنَعُ مِن التِّبغِ، وهي نبتَةٌ تُزرَعُ للحُصولِ علىٰ أوراقِها، وتحتَوي أوراقُها علىٰ مادَّةِ النِّيكوتين المُخدِّرةُ الَّتي تُسبِّبُ الإدمانَ وتُضِرُّ بالصِّحَّةِ.

السُّؤالُ [٢]: لماذا هذا الحِوارُ؟

الدُّخانُ مُضِرٌّ بالصِّحَّةِ باتِّفاقِ الأطِبَّاءِ والباحِثينَ، ومع ذلِكَ فإنَّ عددَ المُدَخِّنينَ مِن المُسلِمينَ ومِن غَيرِهم كَبيرٌ جِدًّا، بل إنَّهُ يُعتبَرُ أكبَرَ قاتِلٍ في هذا العَصرِ حسَبَ بَعضِ الإحصائِيَّاتِ الحَديثَةِ لمُنظَّماتِ الصِّحَّةِ! ولهذا وجَبَ الكلامُ عنه، وبَيانُ حُكمِهِ الشَّرعِيِّ، وطُرُقِ الوِقايَةِ مِنهُ.

السُّؤالُ [٣]: ما حُكمُ شُربِ الدُّخانِ، والشِّيشَةِ، والمُعسَّلِ؟

شُربُ الدُّخانِ حَرامٌ قَطعًا؛ لما فيه مِن الإضرارِ بالنَّفسِ الَّتي أمرَ الشَّرعُ بحِفظِها، فهي إحدىٰ الضَّروراتِ الخَمسِ الَّتي اتَّفقَت فيها الشَّرائِعُ كلُّها، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[البقرة:١٩٥]، وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**». أخرَجَهُ مالِكٌ وابنُ ماجَهْ.

ويُلحَقُ بالدُّخان مُنتَجاتُ التِّبغِ الأُخرىٰ، كالمَضغَةِ، والشِّيشَةِ، والمُعسَّلِ... وغَيرِها، وتسمِيَةُ المُعسَّلُ مِن تَسمِيَةِ الأُمورِ بغَيرِ اسمِها!

السُّؤالُ [٤]: لماذا تَقولُ في المُعسَّلِ: (يُسَمُّونَها بغَيرِ اسمِها)؟

لأنَّ هذا الاسمَ مُشتَقٌّ مِن العسَلِ، وهو أمرٌ حَميدٌ، كما أنَّه دَواءٌ بنَصِّ القُرآنِ، فقد قالَ تَعالىٰ عن النَّحلِ: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[النَّحل:٦٩]، وهذا ضِدُّ المُعسَّلِ الَّذي هو في حَقيقَتِه صِنفٌ مِن أصنافِ الدُّخانِ، وهو سببٌ للدَّاءِ باتِّفاقِ الأطبَّاءِ كما تقدَّمَ.

السُّؤالُ [٥]: ما هو أفضَلُ الأماكِنِ لشُربِ الدُّخانِ؟

أفضَلُ الأماكِنِ لشُربِ الدُّخانِ هو الكَنيفُ والحُشُّ، أي: مَحلُّ قضاءِ الحاجَةِ، ومَحَلُّ النَّجاسَةِ.

السُّؤالُ [٦]: ما هو سببُ ذلِكَ؟

إنَّما قُلنا ذلِكَ لأنَّ الكَنيفَ مَحَلٌّ للنَّجاسَةِ، ومحَلٌّ لاجتماع شَياطينِ الجنِّ والإنسِ، ولاجتِماعِ الرَّوائِحِ الكَريهَةِ.

السُّؤالُ [٧]: ما الَّذي يَقتَرِبُ مِن شارِبِ الدُّخانِ؟

تَقتَرِبُ مِنه الشَّياطينُ احتِفاءً به؛ لأنَّها تقتَرِبُ مِن مَحالِّ النَّجاسَاتِ والرَّوائِحِ الكَريهَةِ.
ولهذا شُرِعَ لنا الاستِعاذَةُ مِن الشَّياطينِ عند دُخولِ الكَنيفِ، فعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**». مُتَّفقٌ عليه. والخُبثُ والخَبائِثُ هما ذُكورُ الشَّياطينِ وإناثُها.

السُّؤالُ [٨]: وما الَّذي يبتَعِدُ عنه؟

تبتَعِدُ عنه المَلائِكَةُ، قالَ النَّبيُّ ﷺ في ما أخرجَهُ مُسلمٌ: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْمُنْتِنَةِ**» يعني: البصَلَ، والكُرَّاثَ، وفي حُكمِهما الثُّومُ، «**فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ**

الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ الْإِنْسُ»، وذلِكَ لأنَّ لها ريحًا كَريهًا يتأذَّىٰ مِنه النَّاسُ، وتتأذَّىٰ منه الملائكَةُ.

وقد صرَّحَ كَثيرٌ مِن الفُقهاءِ بأنَّ الدُّخانَ أولىٰ بالنَّهيِ مِن الثُّومِ والبصَلِ والكُرَّاثِ، قالَ الفقيهُ محمَّد علِّيش المالكيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٢٩٩هـ): (البصَلُ والكُرَّاثُ ريحُها مَكروهٌ وليس مُنتِنًا، والدُّخانُ ريحُه مُنتِنٌ كَريحِ الجيفَةِ والعَذِرَةِ، والوِجدانُ شاهِدُ صِدقٍ بذلِكَ).

السُّؤالُ [٩]: هل التَّدخينُ مِن صِفاتِ الرُّجولَةِ؟

التَّدخينُ ليسَ مِن صِفاتِ الرُّجولَةِ في شيءٍ، ولهذا لو دخَّنَتِ المَرأةُ لم تُصبِح رَجُلًا! وإنَّما تَحصُلُ الرُّجولَةُ بِفعلِ الأوامِرِ واجِبِها ومُستَحَبِّها، وباجتِنابِ النَّواهي مُحرَّمِها ومَكروهِها، واجتِنابِ كلِّ ما يَشينُ ويُدَنِّسُ، ومِن ذلِكَ الدُّخانُ.

السُّؤالُ [١٠]: مَن هو المُدخِّنُ الَّذي لا يُدخِّنُ؟

هو مَن يُجالِسُ المُدخِّنينَ، وهذا يُسمَّىٰ التَّدخينَ السَّلبِيَّ، وقد ثبَتَ عند الأطبَّاءِ والباحِثينَ أنَّ التَّدخينَ يُضِرُّ بالمُجالَسَةَ كما يُضِرُّ بالمُباشَرَةِ.

كما أنَّ مَن يَجلِسُ مع المُدخِّنِ أو قريبًا مِنه فهو مُدخِّنٌ دونَ أن يشعُرَ، ويوشِكُ أن يُدمِنَ التَّدخينَ إذا استمرَّ علىٰ المُجالسَةِ فَترَةً مِن الزَّمنِ.

السُّؤالُ [١١]: هل ينبَغي قَولُ: (التَّدخينُ لا يَصلُحُ للصِّغارِ)؟

إنَّما يَقولون هذا مِن أجلِ أن يَشرَبَ الصِّغارُ الدُّخانَ، فإنَّ الصِّغارَ ينجَذِبونَ إلىٰ ما يُنهَونَ عنه.

السُّؤالُ [١٢]: ما ذَنبُ الأَولادِ في تدَخينِ الآباءِ؟

لا ذَنبَ لهم، لكن كما قالَ القائلُ:

غَيْرِي جَنَىٰ وَأَنَا الْمُعَاقَبُ فِيكُمُ .... فَكَأَنَّنِي سَبَّابَةُ الْمُتَنَدِّمِ

فيتضَرَّرُ الأولادُ بالدُّخانِ بالمُجالَسَةِ مِن جانبٍ، ومِن جانبٍ آخَرَ قد يَحمِلُهم ذلِكَ علىٰ تصَوُّرِ كَونِ الدُّخانَ مِن صِفاتِ الرُّجولَةِ فيَتعلَّمونَه ويُدمِنونَه، فيَقعُ عليهم الضَّررُ بالمُباشَرَةِ أيضًا!

السُّؤالُ [١٣]: هل يتجَرَّأُ المُدَخِّنُ علىٰ أن يُدَخِّنَ أمامَ وَالِدَيهِ؟

نعم، هذا حاصِلٌ واللهُ المُستعانُ، وهذا مِن عُقوقِ الوالِدَينِ؛ لأنَّ فيه أذِيَّةً حِسِّيَّةً لهم مِن حيثُ ضررُ الدُّخانِ بالمُجالَسَةِ، وفيه أذِيَّةٌ مَعنويَّةٌ لهم لما في ذلِكَ مِن قِلَّةِ الاحتِرامِ والتَّوقيرِ لهم.

السُّؤالُ [١٤]: ما هو أكثَرُ سببٍ يحمِلُ النَّاسَ علىٰ تعلُّمِ التَّدخينِ؟

أكثَرُ ما يحمِلُ النَّاسَ علىٰ تعلُّمِ التَّدخينِ هو الصُّحبَةُ الطَّالِحَةُ، فإنَّ رُفَقاءَ السُّوءِ يُحاوِلونَ جرَّ مَن جالسَهم إلىٰ ما هم فيه مِن الغِوايَةِ والعِصيانِ.

السُّؤالُ [١٥]: مَن الَّذي لا يَنساهُ المُدخِّنُ مِن النَّاسِ؟

المُدخِّنُ غالبًا ما يذكُرُ الشَّخصَ الَّذي علَّمَهُ التَّدخينَ أو رغَّبَهُ فيه ولا يَنساهُ، فإذا حصَلَ له الضَّررُ مِن الدُّخانِ فإنَّه يذُمُّه ويَدعو عليه.

السُّؤالُ [١٦]: هل يُعتبرُ المُدخِّنُ قد سنَّ سُنَّةً سيِّئَةً؟

نعم ولا شكَّ، فإنَّ التَّدخينَ ممَّا يقتَدِي فيه النَّاسُ بعضُهم ببعضٍ، ولا شكَّ أنَّ الدَّالَّ علىٰ السُّوءِ له وِزرُ المَدلولِ، فقد قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**». أخرَجَهُ مُسلمٌ.

السُّؤالُ [١٧]: هل يَحمِلُ مَن علَّمَ غيرَهُ الدُّخانَ وِزرَ المُعلِّمِ فقط أم وِزرَ كُلِّ مَن تعلَّمَ مِن المُعلِّمِ كذلِكَ؟

ظاهِرُ الحَديثِ المُتقدِّمِ أنَّه يَحمِلُ أوزارَ كُلِّ مَن كانَ سببًا في تعلُّمِه الدُّخانَ، سواءٌ كانَ ذلِكَ بصِفَةٍ مُباشِرَةٍ، أو عن طَريقِ واسِطَةٍ، فقد قالَ ﷺ: «**كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ**»، قالَ الشَّيخُ العُثيمينُ رَحِمَهُ اللهُ في «شرحِ رِياضِ الصَّالِحينَ» (ص١٩٩): (فيه التَّحذيرُ مِن السُّننِ السَّيِّئةِ، وأنَّ مَن سنَّ سُنَّةً سيِّئةً فعليه وِزرُها ووِزرُ مَن عمِلَ بها إلىٰ يومِ القِيامَةِ!).

السُّؤالُ [١٨]: إذا طلَبَ مِنكَ أحَدٌ أن تشترِيَ له سيجارَةً، فهل يَجوزُ لك إجابَتُهُ؟

شِراءُ الدُّخانِ للمُدخِّنِ مِن بابِ الإعانَةِ علىٰ المُنكَرِ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[المائدة:٢]، وأخرَجَ بعضُ أصحابِ «السُّننِ» عن النَّبيِّ ﷺ في الخمرِ: «**لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَايِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ**»، وذلِكَ لأنَّهُم تعاوَنوا فيها واستَفادوا مِنها.

قالَ الشَّيخُ ابنُ بازٍ رَحِمَهُ اللهُ: (لا يَجوزُ للوَلَدِ أن يُعينَ والِدَه علىٰ ما حرَّمَ اللهُ، لا علىٰ الخَمرِ، ولا علىٰ الدُّخانِ، ولا علىٰ الزِّنا، ولا علىٰ القِمارِ، ولا علىٰ غيرِ ذلِكَ).

السُّؤالُ [١٩]: هل مِن العادَةِ أن يَكونَ الدُّخانُ طَريقًا إلىٰ ما هو أسوَأُ مِنهُ؟

نعم، فكثيرًا ما يَقودُ الدُّخانُ صاحِبَهُ إلىٰ ما هو أشَدُّ مِنه ضررًا وحُرمَةً؛ كالحَشيشِ، والمُخدِّراتِ، والخَمرِ.

السُّؤالُ [٢٠]: قد يَقولُ القائِلُ: أنا قَوِيٌّ، وأعرِفُ مِن نَفسِي أنِّي لن أتعاطَىٰ المُخدِّراتِ.

الاعتِمادُ علىٰ النَّفسِ والثِّقةُ فيها مَزلَقٌ خَطيرٌ، فقد قالَ إمامُ الحُنَفاءِ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾[إبراهيم]، وهو الَّذي كسَّرَ الأصنامَ بيَدِه! قالَ

إبراهيمُ التَّيميُّ رَحِمَهُ اللهُ: (مَن يأمَنُ مِن البَلاءِ بعدَ خَليل اللهِ إبراهيمَ؟!)، فالإنسانُ ضعيفٌ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النِّساء].

السُّؤالُ [٢١]: أليسَت شَرِكاتُ التِّبغِ ممَّا ينفَعُ اقتِصادَ البِلادِ؟

مَن يَقولُ هذا يَنقُصُه التَّدقيقُ والتَّمحيصُ، كَونُ هذه الشَّرِكاتِ تُساهِمُ في اقتِصادِ البِلادِ حقٌّ، لكنَّها مِن جانِبٍ آخَرَ تُضِرُّ بصِحَّةِ المُواطِنينَ، وتكلُفَةِ عِلاجِهم وإعادَةِ تأهيلِهم في العادَةِ أعلىٰ مِن ذلِكَ، وقد قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مُجيبًا عن هذه الحُجَّةِ في حَقِّ الخَمرِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة:٢١٩].

السُّؤالُ [٢٢]: ما هو السُّؤالُ الَّذي لا يُحِبُّ المُدخِّنُ أن يُسألَهُ؟

المُدَخِّنُ لا يُحِبُّ أن يُسأَلَ: (لماذا لا تترُكُ الدُّخانَ؟)، وذلِكَ لأنَّه لا يَجِدُ له جَوابًا مُقنِعًا، فهو في قَرارِ نَفسِهِ يَعلَمُ أنَّه علىٰ باطِلٍ، وأنَّه يضُرُّ نفسَهُ، وأنَّه ينبَغي له ويُمكِنُهُ أن يَترُكَه ببَعضِ الإرادَةِ، فقد تَرَكَ الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم الخَمرَ بمُجرَّدِ أن أُمِروا بتركِها، وهي أشدُّ في ذلِكَ مِن الدُّخانِ، فعن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ الْخَمْرَ، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ وَلَا يَبِعْ**»، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَسَفَكُوهَا. أخرجَهُ مُسلمٌ.

السُّؤالُ [٢٣]: ما هو عِلاجُ التَّدخينِ؟

عِلاجُه الاستِعانَةُ باللهِ، وعدَمُ الخَوفِ والعَجزِ، وإخلاصُ الدُّعاءِ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، والصِّدقُ معه، والتَّوبَةُ إليهِ، والنَّظرُ إلىٰ تَحريمِ الخَمرِ في أوَّلِ الإسلامِ، وكيفَ أنَّ الصَّحابَةَ التَزَموا أمرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن حينِهم مع أنَّ بعضَهم كانَ مُدمِنًا لها، وما هذا إلَّا بقُوَّةِ الإيمانِ، والحِرصِ علىٰ الانقِيادِ، وتَوفيقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فيَنبَغي للمُدخِّنِ أن لا يخَافَ؛ بل يتَوكَّلُ علىٰ اللهِ، واللهُ يُعينُهُ في مَسعاهُ، وليعلَمْ أنَّ الدِّينَ يُسرٌ، نسألُ اللهُ أن يُوَفِّقَ كُلَّ مَن ابتُلِيَ بهذه الآفَةِ لِما يُحِبُّه ويَرضاه.

السُّؤالُ [٢٤]: هل هُناكَ أمورٌ أُخرىٰ تُعينُ علىٰ تَركِ الدُّخانِ؟

نعم، لابُدَّ مِن تَركِ مُجالَسَةِ المُدخِّنينَ، فإنَّ ذلِكَ ممَّا يُحيي في نَفسِه الحاجَةِ إلىٰ الدُّخانِ، فإذا وجَدَ مِن نَفسِهِ مَيلًا إلىٰ الدُّخانِ فعليهِ بالهِجرَةِ والانتِقالِ مِن المَكانِ الَّذي هو فيه، ولعلَّ ممَّا يُساعِدُه في مَسعاهُ أن يُسافِرَ للحَجِّ أو العُمرةِ.

السُّؤالُ [٢٥]: هل يُمكِنُ التَّدرُّجُ في تَركِ التَّدخينِ؟

لا؛ لأنَّ الغالِبَ فيمَن يفعَلُ هذا أنَّه لا يترُكُه، فإنَّ النَّفس تبقىٰ مُتعلِّقَةً بالدُّخانِ، كما أنَّ هذا خِلافُ عَمَلِ الصَّحابَةِ لمَّا أُمِروا بتَركِ الخَمرِ، ولو كانَ التَّقليلُ طريقًا صحيحًا لأرشَدَهم النَّبيُّ ﷺ إليه، خاصَّةً مَن كانَ مِنهم مُدمِنًا للخَمرِ.

السُّؤالُ [٢٦]: هل السِّيجارَةُ الإلِكترونيَّةُ تنفَعُ في تَركِ التَّدخينِ؟

لا تَنفَعُ؛ بل تَزيدُ الطِّينَ بِلَّةً، فهي أشَدُّ مِن التَّدخينِ، واتِّخاذُها لتَركِ التَّدخينِ مِن بابِ (دَاوِني بالَّتي كانَتْ هي الدَّاءُ)!، فبدَلَ أن كانَ يُدخِّنُ فقط زادَ عليه بالسِّيجارَةِ الإلِكترونيَّةِ!

وإنَّما الَّذي ينبَغي هو أن يَحمِلَ الإنسانَ نَفسَهُ علىٰ تَركِ ما حرَّمَ اللهُ دُفعَةً واحِدةً، وأن يَحتَسِبَ الأجرَ في ذلِكَ علىٰ اللهِ، ويَستَعينَ به فيه، فإنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ لا يُضيعُ عملَهُ، ويُوفِّقُه في مُبتَغاهُ.

السُّؤالُ [٢٧]: هل مَعنىٰ هذا أنَّ السِّيجارَةَ الإلِكترونيَّةَ أخطَرُ مِن الدُّخانِ؟!

نعم، هي أخطَرُ؛ لأنَّها أسهَلُ، ولأنَّ الشَّيطانَ يُلبِّسُ بها علىٰ النَّاس، فيُقنِعُهم أنَّه لا بأسَ بها، وأنَّه لا ضرَرَ فيها، وإنَّما هي وَسيلةٌ للتَّدخينِ لا لتَركِهِ.

السُّؤالُ [٢٨]: هل ينبَغي علىٰ المُسلِمِ تَحذيرُ مَن لم يُبتَلىٰ بالتَّدخينِ مِن أضرارِه؟

نعـم، لابُدَّ مِـن تَوعيَةِ المُجتمَـعِ بأضرارِ التَّدخيـنِ؛ لأنَّ الوِقايَةَ خَيرٌ مِن العِـلاجِ، ولأنَّ دفعَ المَفسَـدَةِ قبـلَ حُصولِها أسـهَلُ وأنجَعُ مِن رفعِها بعـد حُصولِها.

السُّؤالُ [٢٩]: كيف لي أن أتعَلَّمَ أكثَرَ عن دينِ الإسلامِ؟

يُمكِنُـكَ الدِّراسَـةُ معنا مجّـانًا عـن بُعـدٍ في مَعهَدِنا مَعهَدِ السُّـنَّةِ علـىٰ الرَّابـطِ المَوجودِ في آخِرِ الرِّسـالَةِ.

وخِتامًـا أوصيكَ بقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الفصل ٩: سُؤَالَاتٌ عَنِ الْخَمْرِ

السُّؤالُ [١]: ما هي الخَمرُ؟

الخَمرُ هو كلُّ ما أسكَرَ وأذهَبَ العقلَ، سَواءٌ كانَ مَشروبًا أم مَأكولًا، وسَواءٌ صُنِعَ مِن عِنَبٍ، أو رُطَبٍ، أو شَعيرٍ، أو ذُرَةٍ، أو بُرٍّ، أو غَيرِها، قالَ ﷺ: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ**». أخرجه مُسلمٌ.

السُّؤالُ [٢]: لماذا سُمِّيَ المُسكِرُ خَمرًا؟

سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّه يُخَامِرُ الْعَقْلَ، أي: يُغَطِّيهِ؛ كتَغطِيَةِ خِمارِ المرأةِ لشَعرِها.

السُّؤالُ [٣]: هل للخَمرِ أسماءٌ أُخرىٰ؟

للخَمرِ أسماءٌ كَثيرةٌ جدًّا، جمعَها بعضُهم فبلَغت أكثرَ من مائةٍ، ومنها تسمِيَتُها في هذا العَصرِ مَشروباتٍ رُوحِيَّةً.

السُّؤالُ [٤]: لماذا يُسَمُّونَها بغَيرِ اسمِها؟

يُسَمُّونَها بغَيرِ اسمِها حتَّىٰ يُرَوِّجوا لها فلا تُنكَرَ، وهذا مِن الاستِحلالِ لها، قالَ ﷺ: «**لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ**» أي: يفعَلونَ هذه الأُمور بدَعوىٰ أنَّها حلالٌ، وهذا بالتَّأويلِ الفاسِدِ، «**الْحِرَ**» أي: الزِّنا، «**وَالْحَرِيرَ**» وهو القُماشُ المَعروفُ، وهو مُحرَّمٌ علىٰ الذُّكور حلالٌ للإناثِ، «**وَالْخَمْرَ، وَالْمَعَازِفَ**» أي: الآلات الموسيقيَّة. اخرجَهُ البُخاريُّ.

السُّؤالُ [٥]: ما هي كُنيَةُ الخَمرِ؟

تُكنَىٰ الخَمرُ بأُمِّ الخَبائِثِ، وبأُمِّ الكَبائِرِ.

وفي الحَديثِ: «**الْخَمْرُ أُمُّ الْخَبَائِثِ، وَمَنْ شَرِبَهَا لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَإِنْ مَاتَ وَهِيَ فِي بَطْنِهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**». أخرجَهُ النَّسائِيُّ.

السُّؤالُ [٦]: لماذا تُكنى الخَمرُ بهذا؟

تُكنىٰ أُمَّ الخَبائِثِ لاجتِماعِ كُلِّ الذُّنوبِ فيها، فإنَّها تجمَعُ الخَبائِثَ الدِّينيَّةَ والدُّنيَوِيَّةَ، فالخَمرُ مِفتاحُ كُلِّ شرٍّ ومَنفَذُ كلِّ بَلاءٍ.

السُّؤالُ [٧]: ما هو حُكمُ شُربِ الخَمرِ؟

الخَمرُ مِن أكبَرِ الكَبائِرِ، ومَعلومٌ أنَّ الكَبيرَةَ هي كُلُّ ذَنبٍ توعَّدَ اللهُ صاحِبَهُ وعيدًا خاصًّا، ومِن الوَعيدِ الوارِدِ في الخَمرِ قَولُه ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَايِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ**». أخرجَهُ بعضُ أصحابِ «السُّنن».

السُّؤالُ [٨]: ما حُكمُ شارِبِ الخَمرِ؟

حُكمُ شارِبِها اللَّعنُ كما في الحَديثِ المُتقَدِّمِ، واللَّعنُ هو الطَّردُ مِن الرَّحمَةِ، وهو فاعِلٌ لكَبيرَةٍ يَفسُقُ بها، فيُحَبُّ بقَدرِ ما فيهِ مِن إيمانٍ، ويُبغَضُ بقَدرِ ما فيهِ مِن مَعصِيَةٍ.

كما أنَّ شُربَ الخَمرِ موجِبٌ للحَدِّ في الدُّنيا، فيُقيمُ عليه السُّلطانُ الحَدَّ تَعزيرًا له ورَدعًا لغَيرِه، وأقلُّه أربَعونَ جَلدَةً، وللإمامِ أن يَزيدَ عليها بالاجتِهادِ، وقد جَلَدَ عُمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثَمانينَ جَلدَةً، وأقرَّهُ الصَّحابَةُ علىٰ ذلِكَ.

السُّؤالُ [٩]: هل الخَمرُ نجِسَةٌ؟

نعم، هي نَجِسَةٌ، وهو قَولُ جَماهيرِ أهلِ العِلمِ، فقد قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾[المائدة]، والرِّجسُ هو النَّجِسُ.

السُّؤالُ [١٠]: هل الخَمرُ أخطَرُ مِن المُخَدِّراتِ؟

نعم، هي أخطَرُ؛ لتَهاوُنِ كَثيرٍ مِن النَّاسِ فيها، وفي بَيعِها، ولتَوَفُّرِها والسَّماحِ ببَيعِها في كَثيرٍ مِن البِلادِ، بخِلافِ المُخَدِّراتِ فإنَّ النَّاسَ مُسلِمَهم وكافِرَهم يعلَمُ شَرَّها، والدُّوَلُ تضَعُ القَوانينَ الصَّارِمَةَ لمَنعِها وتُعاقِبُ عليها.

السُّؤالُ [١١]: هل مِن طُرُقِ تَركِ الخَمرِ شُربُ البيرَةِ عِوَضًا عن الخَمرِ؟

لا؛ لأنَّه سيَشعُرُ أنَّه يشرَبُ شَيئًا بدون تلك اللَّمسَةِ الَّتي تمنَحُ البيرَةَ نكهَتَها الخاصَّةَ، وتدعُوهُ لشُربِ الخَمرِ.

السُّؤالُ [١٢]: هل يُساعِدُ في تَركِ الخَمرِ التَّقليلُ مِن شُربِها شيئًا فشيئًا؟

التَّقليلُ شيئًا فشيئًا لا يُفيدُ في تَركِ الخَمرِ؛ فإنَّ النَّفس تبقىٰ مُتعلِّقَةً بها، كما أنَّ هذا خِلافُ عَمَلِ الصَّحابَةِ، ولو كانَ التَّقليلُ طريقًا صحيحًا لأرشَدَهم النَّبيُّ ﷺ إليه، خاصَّةً مَن كانَ مِنهم مُدمِنًا للخَمرِ.

السُّؤالُ [١٣]: ما الَّذي توقِعُه الخَمرُ بينَ النَّاسِ؟

توقِعُ العَداوَةَ والبَغضاءَ بينَ النَّاسِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾ [المائدة:٩١].

السُّؤالُ [١٤]: ما الَّذي تصُدُّ الخَمرُ عنهُ؟

تصُدُّ عن ذِكرِ اللهِ ﷻ وعن الصَّلاةِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة:٩١].

السُّؤالُ [١٥]: إلىٰ ماذا تَدعُو الخَمرُ؟

تَدعو إلىٰ الزِّنا، فقد جاءَ في الحَديثِ عند النَّسائيِّ أنَّ رجلًا عابِدًا شرِبَ الخَمرَ حتَّىٰ سكِرَ، فواقَعَ امرأةً، وقتَلَ نَفسًا.

السُّؤالُ [١٦]: بِمَ شبَّهَ النَّبيُّ ﷺ مَن لقِيَ اللهَ ﷻ وهو مُدمِنٌ للخَمرِ لم يتُب مِنها؟

قالَ النَّبيُّ ﷺ فيما أخرَجَهُ أحمَدُ: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ مُدْمِنَ خَمْرٍ لَقِيَهُ كَعَابِدِ وَثَنٍ**»، وليسَ مَعناهُ أنَّه يخلُدُ في النَّارِ؛ لأنَّه ليس بكافِرٍ، وإنَّما هذا مِن بابِ الوَعيدِ والزَّجرِ الشَّديدِ، كما أنَّ بينِ الشِّركِ وشُربِ الخَمرِ تَشابُهًا مِن أوجُهٍ، مِنها: العَذابُ في الآخِرَةِ، وعدَمُ قَبولِ الصَّلاةِ.

السُّؤالُ [١٧]: هل يَجتمِعُ الإيمانُ والخَمرُ في شَخصٍ؟

قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ؛ فَإِنَّهَا وَاللهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ**». أخرجَهُ النَّسائيُّ.

السُّؤالُ [١٨]: كم شَخصًا لُعِنَ في الخَمرِ؟

تقدَّمَ حَديثُ أصحابِ «السُّنن» بلَفظِ: «لَعَنَ اللهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَايِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ»، وهؤلاء تسعةٌ.

وجاء عند أحمدَ: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ ﷻ لَعَنَ الْخَمْرَ، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَشَارِبَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَمُسْتَقِيَهَا**»، وهؤلاء عشرةٌ.

السُّؤالُ [١٩]: أيُّهما أفضَلُ: المَجنونُ أم السَّكرانُ؟

لا شكَّ أنَّ المَجنونَ مَعذورٌ؛ لأنَّ ذهابَ عَقلِه ليسَ باختِيارِه، بخِلافِ السَّكرانِ فإنَّ سُكرَهُ مِن فِعلِ نَفسِه، ولهذا فرَّق العُلماء بينَهُما في عددٍ مِن المَسائِلِ.

السُّؤالُ [٢٠]: هل يَجوزُ أن أُصادِقَ شارِبَ الخَمرِ؟

لا يَجوزُ ذلِكَ؛ بل إنَّ المُسلِمَ مَأمورٌ أن يَختارَ لنَفسِهِ الصُّحبَةَ الصَّالِحَةَ الَّتي تُعينُه علىٰ الخَيرِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾[الفرقان]، وقالَ قائلٌ: (قُل لي مَن تُصاحِبُ أَقُلْ لك مَن أنتَ).

السُّؤالُ [٢١]: هل يَجوزُ أن أُجالِسَ شارِبَ الخَمرِ؟

لا يَجوزُ ذلِكَ؛ بل لا بُدَّ مِن الإنكارِ عليه، وإعانَتِه علىٰ تَركِها، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النِّساء:١٤٠]، ويُقاسُ علىٰ هذا سائِرُ المَعاصي.

السُّؤالُ [٢٢]: ما حُكمُ مَن جلَسَ علىٰ مائِدَةٍ يُدارُ عليها الخَمرُ؟

مَن فعَلَ ذلِك وقعَ في الإثمِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَجْلِسْ عَلَىٰ مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالْخَمْرِ**». أخرجَهُ أحمَدُ والتِّرمِذيُّ.

السُّؤالُ [٢٣]: لماذا لا تَجوزُ مُجالَسَتُه ولا مُصاحَبَتُه إذا كُنتُ أَثِقُ في نَفسِي؟

الاعتِمادُ علىٰ النَّفسِ والثِّقةُ فيها مَزلَقٌ خَطيرٌ، فقد قالَ إمامُ الحُنَفاء إبراهيمُ عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾[إبراهيم]، وهو الَّذي كسَّرَ الأصنامَ بيَدِه! قالَ إبراهيمُ التَّيميُّ رَحِمَهُ اللهُ: (مَن يأمَنُ مِن البَلاءِ بعدَ خَليلِ اللهِ إبراهيمَ؟!)، فالإنسانُ ضعيفٌ، قالَ تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[النِّساء].

السُّؤالُ [٢٤]: كيف نتخلَّصُ ممَّن يُشجِّعونَ علىٰ شُربِ الخَمرِ؟

ينبَغي لكُلِّ مُسلِمٍ غَيورٍ أن يتَعاوَنَ مع الجمعِيَّاتِ، وأن يَجتَهِدَ عبرَ وَسائِلِ التَّواصُلِ في نَشرِ حُكمِ وضَرَرِ الْخَمْرِ علىٰ الفَردِ والمُجتمَعِ.

السُّؤالُ [٢٥]: هل ينبَغي أن أُبلِّغَ عن مُتَعاطِي الخَمرِ وبائِعِها؟

نعم، فالواجِبُ علىٰ المُسلِمِ تَغييرُ المُنكَرِ كُلٌّ علىٰ ما يَستَطيعُه، ومَن كَتَمَ فلم يُبَلِّغ فقد وقَعَ في قولِ النَّبيِّ ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَىٰ مُحْدِثًا**». أخرجَه مُسلمٌ.

السُّؤالُ [٢٦]: هل يُطالَبُ الأب والأُمّ والأَقارِب بالإبلاغِ كذلِكَ؟

نعم؛ لأنَّ الإبلاغَ عنه أفضَلُ له، حتَّىٰ يتَعالَجَ، وإذا تُرِكَ فإنَّه قد يَفعَلُ ما لا تُحمَدُ عُقباهُ.

السُّؤالُ [٢٧]: لماذا لا أدَعُ شارِبَ الخَمرِ في حالِه وأترُكُه يَضيعُ؟

المُسلِمُ مَأمورٌ بأن يُحِبَّ الخَيرَ لأخيهِ المُسلِمِ، قالَ ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». مُتَّفقٌ عليه. كما أنَّ المُسلِمَ مَأمورٌ بأن يأمُرَ بالمَعروفِ وينهىٰ عنِ المُنكَرِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠].

السُّؤالُ [٢٨]: هل يَنبَغي أن أعطِيَ مُدمِنَ الخَمرِ مالًا ليأكُلَ؟

لا؛ بل يَنبَغي أن تأخُذَه إلىٰ عِيادَةِ الإدمانِ، أو أن تُبلِّغَ عنه مَن يَنصَحُ له مِن أهلِهِ، أو الجَمعِيَّاتِ والجِهاتِ المُختَصَّةِ برِعايَةِ المُدمِنينَ.

السُّؤالُ [٢٩]: ما الَّذي ينبَغي فِعلُهُ بالخَمرِ الَّتي لدَيَّ؟

ينبَغي لكَ أن تُتلِفَها؛ كما فعَلَ الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وأقرَّهُم النَّبيُّ ﷺ، فعن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ حَرَّمَ الْخَمْرَ، فَمَنْ أَدْرَكَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ وَعِنْدَهُ مِنْهَا شَيْءٌ فَلَا يَشْرَبْ وَلَا يَبِعْ**»، قَالَ: فَاسْتَقْبَلَ النَّاسُ بِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْهَا فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ فَسَفَكُوهَا. أخرجَهُ مُسلمٌ.

وعن أنسٍ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَيْتَامٍ وَرِثُوا خَمْرًا، قَالَ: «**أَهْرِقْهَا**»، قَالَ: أَفَلَا أَجْعَلُهَا خَلًّا؟ قَالَ: «**لَا**». أخرجَهُ بعضُ أصحابِ «السُّنن».

السُّؤالُ [٣٠]: ألا يُعَدُّ هذا مِن إتلافِ المالِ الَّذي أُمِرنا بحِفظِهِ؟

نعم، هذا إتلافٌ للمالِ؛ لكنَّه جائزٌ ومَشروعٌ لما فيه مِن جَلبِ المَصالِحِ ودَرءِ المَفاسِدِ.

السُّؤالُ [٣١]: ما هي أهمُّ طُرُقِ الوِقايَةِ مِن الخَمرِ؟

مِن أهَمِّ طُرُقِ الوِقايَةِ مِن الخَمرِ:

- التَّوبَةُ الصَّادِقَةُ، فإنَّ مَن تابَ تَوبَةً صادِقَةً فازَ بتَوفيقِ اللهِ لـه في الدُّنيا، وبمَغفِرَةِ ذُنوبه في الآخِرَةِ، قالَ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[التَّحريم:٨].
- اجتِنابُ أصدِقاءِ السُّوءِ، واستِبدالُهم بالصُّحبَةِ الصَّالِحَةِ الَّتي تُعينُ علىٰ الحَقِّ.
- دعاءُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ التَّوفيقَ في اجتِنابِ الخَمرِ، والإلحاحُ في الدُّعاءِ، فإنَّ اللهَ يُجيبُ دُعاءَ الصَّادِقِ المُلِحِّ.
- القِراءَةُ في قَصصِ الصَّحابَةِ، وما كانَ مِن امتِثالِهم أمرَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لمَّا حرَّمَ عليهم الخَمرَ، وكذا الاطِّلاعُ علىٰ قَصصِ بعضِ التَّائِبينَ مِن شُربِ الخَمرِ مِن السَّلفِ والخَلَفِ.
- الهِجرَةُ والانتِقالُ مِن المَكانِ الَّذي يَكثُرُ فيه الخَمرُ إن عجَزَ عن هَجرِ الخَمرِ فيه، ولعلَّ ممَّا يُساعِدُ علىٰ تَركِ شُربِ الخَمرِ أن يُسافِرَ الحَجَّ أو العُمرةَ.

السُّؤالُ [٣٢]: أخشىٰ أنِّي لا أستَطيعُ تَركَ الخَمرِ!

استَعِن بالله، ولا تَخَف، ولا تَعجَز، وعليك بإخلاصِ الدُّعاءِ، وبالصِّدقِ مع اللهِ ﷻ، والتَّوبَةِ، وانظُر إلىٰ تَحريمِ الخَمرِ في أوَّلِ الإسلامِ، وكيف أنَّ الصَّحابَةَ التَزَموا أمرَ اللهِ ﷻ مِن حينِهم مع أنَّ بعضَهم كانَ مُدمِنًا لها، وما هذا إلَّا بقُوَّةِ الإيمانِ، والحِرصِ علىٰ الانقِيادِ، وتَوفيقِ اللهِ ﷻ.

فلا تخَفْ؛ بل تَوَكَّلْ علىٰ اللهِ، واللهُ يُعينُكَ في مَسعاكَ، واعلَم أنَّ الدِّينَ يُسرٌ، وفَّقَكَ اللهُ لِما يُحِبُّ ويَرضىٰ.

السُّؤالُ [٣٣]: كيف لي أن أتعَلَّمَ أكثَرَ عن دينِ الإسلامِ؟

يُمكِنُكَ الدِّراسَةُ معنا مجَّانًا عن بُعدٍ في مَعهَدِنا مَعهَدِ السُّنَّةِ علىٰ الرَّابطِ المَوجودِ في آخِرِ الرِّسالَةِ.

وخِتامًا أوصيكَ بقَولِ النَّبيِّ ﷺ: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَلَا تَعْجِزْ**».

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ.

الكتاب السَّابع:

تَهْذِيبُ:
«الْـمُذَكِّرَةِ عَلَى الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»

لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ

إعدادِ الفقير إلى عفو ربِّه:
هيثم بن محمَّد سرحان
المُدرِّس بمعهد الحرم بالمسجد النَّبويِّ -سابقًا-
والمُشرِف على معهد السُّنَّة

مُقَدِّمَةُ الْكِتَابِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسِنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ﷺ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عمران]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾[النِّساء]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب].

أمَّا بعد؛ فإنَّ أهمَّ ما يعتني به المسلم عمومًا وطالب العلم خصوصًا ضبط مسائل التَّوحيد والاعتقاد، إذ إنَّ الاعتقاد هو أساس الدِّين الَّذي بعث الله به المُرسلين، وقد كتب أهل العلم من أهل السُّنَّة والجماعة المُتقدِّمين والمُتأخِّرين في الاعتقاد كتبًا كثيرةً، ومن أكثر ما انتفع به النَّاس في هذا الباب كتب شيخ الإسلام أبي العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة الحفيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد تلقَّاها أهل العلم بالقبول، واعتنوا بتدريسها للطلَّاب، وتحفيظهم إيَّاها، ومن أخصر هذه الكتب رسالة «العقيدة الواسطيَّة» هذه الَّتي بين أيدينا، والَّتي قال فيها شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٦٤): (**كَانَ سَبَبُ كِتَابَتِهَا أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيَّ مِنْ أَرْضِ وَاسِطٍ بَعْضُ قُضَاةِ نَوَاحِيهَا، شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ رَضِيُّ الدِّينِ الواسطيُّ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّافِعِيِّ، قَدِمَ عَلَيْنَا حَاجًّا، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالدِّينِ، وَشَكَا مَا النَّاسُ فِيهِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ وَفِي دَوْلَةِ التَّتَرِ مِنْ غَلَبَةِ الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، وَدُرُوسِ الدِّينِ وَالْعِلْمِ، وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ عَقِيدَةً تَكُونُ عُمْدَةً لَهُ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ، فَاسْتَعْفَيْتُ مِنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ: قَدْ كَتَبَ النَّاسُ عَقَائِدَ مُتَعَدِّدَةً؛ فَخُذْ بَعْضَ عَقَائِدِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ، فَأَلَحَّ فِي السُّؤَالِ وَقَالَ: مَا أُحِبُّ إلَّا عَقِيدَةً تَكْتُبُهَا أَنْتَ، فَكَتَبْتُ لَهُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَأَنَا قَاعِدٌ بَعْدَ الْعَصْرِ، وَقَدْ انْتَشَرَتْ بِهَا نُسَخٌ كَثِيرَةٌ فِي مِصْرَ، وَالْعِرَاقِ، وَغَيْرِهِمَا**)،

فانظر يا رعاك الله كيف لرسالةٍ يكتبها في جلسةٍ واحدةٍ بعد صلاة العصر أن يجعل الله فيها من النَّفع ما لا يُعدُّ ولا يُحصىٰ، ويقيِّض لها الخلق الكثير من أهل العلم يشرحونها، ويعلِّقون علىٰ مسائلها، ويحفِّظونها لطلَّابهم، فاللَّهمَّ اجز شيخ الإسلام خير ما جزيت عالمًا ربَّانيًّا ناصحًا، وبالإضافة إلىٰ كون السَّائل الَّذي أجابه شيخ الإسلام إلىٰ كتابة هذه الرِّسالة من واسطٍ، فإنَّ لتسمية «الواسطيَّة» مُناسباتٍ أخرىٰ نلخِّصها فيما يلي:

سبب تسمية هذه الرِّسالة بالواسطيَّة:

[١] كون السَّائل من واسطٍ بالشَّام.

[٢] أنَّه ذكر فيها وسطيَّة أهل السُّنَّة في أمورٍ مُتفرِّقةٍ.

[٣] أنَّه رَحِمَهُ اللَّهُ كتبها في وسط عمره.

[٤] أنَّ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ توسَّط فيها، ويُقال: إنَّه توسَّط بالواسطيَّة، ثمَّ حمَّىٰ بالحمويَّة، ثمَّ دمَّر بالتَّدمُريَّة.

[٥] أنَّه كتبها عند الصَّلاة الوُسطىٰ -صلاة العصر-، وانتهىٰ منها قبل المغرب، وهذا من تمام بركة هذه الرِّسالة.

سبب دراسة العقيدة الواسطيَّة:

[١] نصيحة العلماء بها.

[٢] التَّدرُّج في الدِّراسة، فهي تلي كتاب التَّوحيد.

[٣] أنَّها من أسهل كتب شيخ الإسلام.

[٤] أنَّها تضبط مُعتقد أهل السُّنَّة في أمورٍ مُتفرِّقةٍ.

[٥] أنَّها مدخلٌ لفهم كتب العقيدة.

[٦] أنَّ الله وضع لها القبول.

[٧] عناية العلماء بها وكثرة شروحها.

ونُنبِّه هنا إلىٰ أنَّ كلام شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ في كثيرٍ من كتبه صعب الفهم لطالب العلم المُبتدئ، ولهذا يُنصح بالتَّدرُّج في قراءة كتبه، فنبدأ بالكتب السَّهلة مثل «رفع الملام عن الأئمَّة الأعلام» و«العقيدة الواسطيَّة»، فإذا أشكلت هذه الكتب علىٰ الطَّالب وما استطاع أن يفهم كلام شيخ الإسلام فيها فلابدَّ أن يطلب تُرجمانًا يُترجم له، فكأنَّ شيخ الإسلام يتكلَّم بغير اللُّغة العربيَّة الَّتي يفهمها عامَّة النَّاس، وخير تُرجمانٍ له هو تلميذه العلَّامة ابن قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللهُ؛ لأنَّ الطَّالب إذا تتلمذ علىٰ ابن القيِّم فإنَّه بإذن الله يوصله إلىٰ شيخ الإسلام، فإذا أشكل علىٰ الطَّالب فهم كلام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ فليتتلمذ علىٰ كتب العلَّامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ، فإنَّ كلامه سهل العبارة كثير الفائدة، والله تعالىٰ أعلم.

وقد كتب الشَّيخ العلَّامة محمَّد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ مُذكِّرةً علىٰ «العقيدة الواسطيَّة» لطلَّاب المعاهد العلميَّة، وهي مذكِّرةٍ قيِّمةٌ رتَّب فيها أبواب الرِّسالة، وشرحها شرحًا مُختصرًا يبيِّن مقصود شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ، كما أنَّه رَحِمَهُ اللهُ شرح العقيدة الواسطيَّة شرحًا مبسوطًا عرض فيه لدقائق مسائلِها، فرأينا أن نخرج المُذكِّرة في حُلَّةٍ جديدةٍ عن طريق جدولة المُحتوىٰ، وتوضيح ما يحتاج إلىٰ توضيحٍ بشيءٍ من الاختصار، وألحقنا بها اختبارًا يتمكَّن الطَّالب من خلاله من مُراجعة مَقروئِه، وتقييمِ تحصيله.

نسأل الله الحيَّ القيُّوم أن يجزي الشَّيخين خير الجزاء، وأن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به القارئ والكاتب والمُساهم، إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه، وصلَّىٰ الله وسلَّم وبارك علىٰ محمَّدٍ النَّبيِّ الأمِّيِّ، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين، والحمد لله ربِّ العالمين، قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ في «مجموع الفتاوىٰ» (٣/ ١٢٨): (**نَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَهْدِيَنَا وَسَائِرَ إِخْوَانِنَا صِرَاطَهُ الْمُسْتَقِيمَ؛ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا**).

فِهْرِسُ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ

قسّم المؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرِّسالة إلى ستَّة أقسامٍ:

- **[١] المُقدِّمة:** من قوله: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) إلىٰ: (مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ).
- **[٢] الأدلَّة من القرآن:** ساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلَّةً كثيرةً من القرآن في إثبات الأسماء والصِّفات.
- **[٣] الأدلَّة من السُّنَّة:** ساق رَحِمَهُ ٱللَّهُ أدلَّةً كثيرةً من السُّنَّة الصَّحيحة في إثبات الأسماء والصِّفات.
- **[٤] وسطيَّة أهل السُّنَّة:** ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وسطيَّة أهل السُّنَّة والجماعة بين الأمم في أمورٍ خمسةٍ.
- **[٥] فصولٌ متفرِّقةٌ في باب الاعتقاد:** ذكر المُصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددًا من الفصول في:
- **[٦] الخاتمة:** دعا فيها الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعله ومن يقرأ الكتاب من أهل السُّنَّة الَّذين ذكر اعتقادهم.

معيَّة الله عَزَّوَجَلَّ، وقربه، وإجابته، والإيمان بأنَّ القرآن كلام الله مُنزَّلٌ غير مخلوقٍ، ورؤية المؤمنين ربَّهم عيانًا بأبصارهم، والإيمان باليوم الآخر، وبالقدر، وحقيقة الإيمان، واعتقاد أهل السُّنَّة في الصَّحابة، وكرامات الأولياء، وطريقة أهل السُّنَّة والجماعة العمليَّة.

تَـرْجَمَةُ شَيْخِ الإِسْلاَمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هذه التَّرجمة مُختصرةٌ من مَداخل الشَّيخ بكر بن عبد الله أبو زيدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مُلخَّص حياتُه رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هو تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمدُ بنُ عبد الحليم بنِ عبدِ السَّلامِ ابنُ تيميَّةَ، الحَرَّانيُّ نسبةً إلىٰ حَرَّانَ، وهي مدينةٌ تقع بتركيَّا اليوم.

[١] **مَولدُه**: وُلد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عاشر ربيع الأوَّل سنة ٦٦١هـ.

[٢] **أوصافُه**: كان جَهورِيَّ الصَّوتِ، فصيحًا، سريعَ القراءةِ، تعتريه حِدَّةٌ ثمَّ يقهرها بحِلمٍ وصَفحٍ، كأنَّ عينيه لسانان ناطقان، إذا أخذ يتكلَّمُ ازدحمت العبارة في فَمِه، نشأ في تَصوُّنٍ تامٍّ، وعفافٍ، وتألُّهٍ، واقتصادٍ في المَأكل والمَلبسِ، بَرًّا بوالدَيه، تقِيًّا، وَرِعًا، عابدًا، ناسكًا، صوَّامًا، قوَّامًا.

[٣] **وفاتُه**: تُوفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، عن ٦٧ عامًا و٨ أشهرٍ و١٠ أيَّامٍ.

نُبوغه فـي العلم:

[١] حَفِظ القُرآنَ في الصِّغَرِ.

[٢] أتقن العلوم مِن: التَّفسير، والحديث، والفقه، والأصول، والعربيَّة، والتَّاريخ، والجبر، والمُقابلة، والمنطق، وغيرها.

[٣] ناظر وهو دون البُلوغِ.

[٤] أفتىٰ وبدأ في التَّأليف في ١٧ من عُمُرِه.

[٥] درَّس في ٢١ من عُمُرِه، وبدأ درس التَّفسير وعُمُرُه ٣٠ سنةً.

مِن مَواطن القوَّة لديه رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١] التَّوحيد، والثَّبات، واللَّهج بذكر الله، وطاعة رسوله ﷺ، والاتِّفاق مع أنصار الإسلام والسُّنَّة، والصَّبر.

[٢] ما رزقه الله من قوَّة البدن، واعتداله، وقوَّة الأداء في صوته، فكان جهوريًّا يستولي القلوب.

[٣] قوَّةُ الحفظ، فكان قلَّما حفظ شيئًا فنسيه، وفرطُ الذَّكاء، وسيلان الذِّهن، وسرعة الإدراك.

[٤] قُوَّته في الطَّلب والتَّلقِّي، والأخذ عن الشُّيوخ، حتَّىٰ دار في دمشق علىٰ أكثر من مائتي شيخٍ.

[٥] قوَّةُ الحفظ، فكان قلَّما حفظ شيئًا فنسيه، وفرطُ الذَّكاء، وسيلان الذِّهن، وسرعة الإدراك.

[٦] قُوَّتُه في تفجير دلالات النُّصوص، وشقِّ الأنهار منها، واستخراج كنوزها.

[٧] قُوَّتُه في البحث والقراءة والمُطالعة.

[٨] قُوَّتُه في مَواقِفِه الجهاديَّة، والمَغازي الإسلاميَّة، وكسر شوكة المَلاحِدة والباطنيَّة.

[٩] قُوَّتُه في ضبط النَّفس، فلا لذَّة له أكبر من نشر العلم، وتدوينه، والعمل به، والدَّعوة إليه، والوقوف أمام المفسدين. رفض الأُعطِيات، وقنع بما يأتيه من أخيه ممَّا يسُدُّ حاجته، ما تزوَّج ولا تسرَّىٰ قطُّ؛ لا رغبةً عن هذه السُّنَّة؛ ولكنَّه مُثقَلُ الظَّهر بهموم الدَّعوة والجهاد.

[١٠] قُوَّتُه في حياته الجادَّة، الَّتي لا تعرف الهزل، فضلًا عن سافل الأخلاق من الغيبة والنَّميمة، مَجالِسُه عامِرةٌ بالخير.

[١١] قُوَّتُه في تَعبُّدِه، وتَألُّهِه، ومُداومة الذِّكر والأوراد، لا يشغله عنها شاغلٌ.

[١٢] قُوَّتُه في مَواقِفِه مع الوُلاة، في النُّصح والأمر والنَّهي.

[١٣] قُوَّتُه في التَّأليف (كتب جُلَّ مُؤلَّفاتِه من حفظِه).

سَبقُه العِلميُّ رَحِمَهُ اللهُ:

[١] **التَّجديد في تحقيق التَّوحيد:** بعد طول غيابٍ، وحمايةِ جنابه، وحماية حِمَاه بدقائق أصبحت نورًا يقتدي به المُصلِحون.

[٢] **التَّجديد في الفقهيَّات:** وهي لا تُحصىٰ كثرةً.

[٣] **التَّجديد في علوم الـمَنطق والفلسفة:** هدم من خلالها أقوالَهم وقواعدَهم.

التَّأليفُ:

تأليفه أَلْفِيٌّ عن اجتهادٍ مُطلَقٍ، وتعدُّدِ مَعارفَ، وتجديدٍ، بقلمٍ مَطبوعٍ قائلٍ لا ناقلٍ، فلا يُعرَف مثلُه في كثرة التَّأليف.

مَوضوعُ تآليفه رَحِمَهُ اللهُ:

[١] لم يُؤلِّف ابتداءً مُتونًا علىٰ الجادَّة المَعهودة في الفقه مثلًا علىٰ الأبواب، وإنَّما هي فتاوىٰ وأجوبةٌ وردودٌ وبحوثٌ في مسائلَ حقَّق فيها.

[٢] جُلُّ تآليفه في دائرة الرُّدودِ -وهي غيرُ مَردودةٍ-، والفتاوىٰ وأجوبة السَّائلين والمُعترضين -وهي أجوبةٌ مُسدَّدةٌ مَحمودةٌ-.

[٣] ربَّما كتب تأليفًا للتَّذكُّر.

[٤] كتب ابتداءً رسائله وهو في السِّجن (مُناصحَتُه للوُلاة، ووَصاياهُ للعُلَماءِ).

[٥] كتب ابتداءً بعض الشُّروح.

[٦] بلغت فتاويه مَبلغًا عظيمًا في الفقهيَّات، وتحرير الخلاف فيها؛ ممَّا شمِلَ جميع أبوابِ الفقهِ.

مَزايا مُؤلَّفاته رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١] هو في تآليفه قائلٌ لا ناقلٌ، إنَّما النَّقل عنده للتَّدليل والإسنادِ، لا أنَّه مادَّة الكتاب. وليس له فيها علىٰ غير الدَّليل مُعوَّلٌ.

[٢] تقديم أقوال الصَّحابة علىٰ مَن سواهم، وعِنايتُه بعلل الأحكام، وأوصافِها المُناسبةِ، ومَدارِكِها ووُجوهِ الاستدلالِ مِنها.

[٣] تميزُّها بالفقه المَقاصِدِيِّ للتَّشريع، ونشرِ مَحاسن الشَّريعة، وحِكمِها، والسِّعةِ والشُّمولِ مِن ذكر الخلاف، وأدلَّته، ووُجوهِ الاستدلالِ.

[٤] تنوُّع الفَوائِدِ في بحث المسألةِ الواحدةِ بالاستِطرادِ التناسُبِيِّ، وحُسنُ التَّرتيب، وجَودةُ التَّصنيفِ، ومَزيَّةُ التَّكرارِ.

[٥] العدلُ، والإنصافُ، والدِّقَّة في بحث المَسائل، وحالَ مُقارَعَةِ الخُصومِ، وعدمُ الافتراء عليهم، نفسُه تَوَّاقَةٌ إلىٰ إصلاح أحوال النَّاس.

[٦] السَّجِيَّةُ المُتدفِّقةُ بالجاذبيَّة في صياغته وأُسلوبه؛ لما فيها من الجَزالَةِ مِن جهةٍ، والعُذوبةِ من جهةٍ أُخرىٰ، وإحياءُ الألفاظ المَوروثةِ أصالةً عن صَدر هذه الأمَّةِ.

ممَّا أُوذِيَ بسببه رَحِمَهُ اللَّهُ:

[١] «الواسطيَّة».

[٢] «الحمويَّة».

[٣] مسألة منع شدِّ الرِّحال إلىٰ القبور.

[٤] فتاواه في الطَّلاق، لاسيما جعلُ الطَّلاق الثَّلاث بلفظٍ واحدٍ واحدةً.

مَكان تأليفه رَحِمَهُ اللهُ:

[١] بعضُها في دِمشق.

[٢] بعضُها في مِصرَ.

[٣] بعضُها في السِّجن فيهما، وكانت أكثرَ سَجنةٍ ألَّف فيها السَّجنةُ الأخيرةُ.

هل رجعَ رَحِمَهُ اللهُ عن شيءٍ من كُتُبه؟

لا يُعلَم أنَّه ألَّف شيئًا ورجع عنه؛ سوىٰ ما أشار إليه في مَنسَكِه الأخير بقوله: (كنتُ كتبتُ مَنسكًا في أوائلِ عُمري، فذكرتُ فيه أدعيةً كثيرةً، وقلَّدتُ في الأحكام من اتَّبعتُه قبلي مِن العلماء، وكتبتُ في هذا ما تبيَّنَ لي مِن سُنَّة رسولِ الله ﷺ). «مجموع الفتاوىٰ» (٢٦/ ٩٨).

من أهمِّ مُؤلَّفاته رَحِمَهُ اللهُ:

[١] **في بيان اعتقاد أهل السُّنَّة والرَّدِّ على أهل الزَّيغ:**
«الواسطيَّة»، «الحمويَّة»، «التَّدمريَّة»، «الفرقان بين أولياء الرَّحمن وأولياء الشَّيطان»، «الرَّدُّ علىٰ المَنطق»، «منهاج السُّنَّة النَّبويَّة»، «درء تعارض العقل والنَّقل»، «الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المَسيح»، «اقتضاء الصِّراط المُستقيم مُخالفة أصحاب الجحيم»، «تلبيس الجهميَّة»، «الصَّارم المَسلول علىٰ شاتم الرَّسول»، «الوسيلة»، وغيرها كثيرٌ...

[٢] **في الفقه والأصول:**
«شرح عمدة الفقه»، «شرح المُحرَّر»، «السِّياسة الشَّرعيَّة»، «رفع المَلام عن الأئمَّة الأعلام»...

[٣] **عددٌ كبيرٌ من الرَّسائل والفتاوىٰ:**
جمع أكثرها الشَّيخ عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم العاصميُّ رَحِمَهُ اللهُ في «مَجموع الفتاوىٰ» الَّذي طُبع في ٣٥ مُجلَّدًا.

له تلاميذُ كثيرٌ جدًّا، برزوا في علومٍ شتَّى من علوم الشَّريعة، وأشهرُهم:

- شمسُ الدِّين أبو عبد الله مُحمَّدُ بنُ أبي بكرٍ ابنُ قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٥١هـ).
- شمسُ الدين أبو عبد الله مُحمَّدُ بنُ أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٤٨هـ).
- شمسُ الدِّين أبو عبد الله مُحمَّد بنُ أحمد بنِ عبد الهادي المَقدسيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٤٤هـ).
- عمادُ الدِّين أبو الفداء إسماعيلُ بنُ عمر بنِ كثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٧٤هـ).
- جمالُ الدِّين أبو الحجَّاج يوسفُ بنُ الزَّكيِّ عبد الرَّحمن بن يوسفَ المِزِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٤٢هـ).
- شمسُ الدِّين أبو عبد الله مُحمَّدُ بنُ مُفلحٍ المَقدسيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (٧٦٣هـ).
- علم الدين القاسم بن محمد بن يوسف البرزليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ٧٣٩هـ).

مِمَّا قاله في مَدحه تلميذُه ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

فَاقْــرَأْ تَصَانِيــفَ الْإِمَــامِ حَقِيقَــةً ... شَــيْخِ الْوُجُــودِ الْعَالِــمِ الرَّبَّانِــي
أَعْنِـي أَبَـا الْعَبَّـاسِ أَحْمَـدَ ذَلِـكَ الْـ ... ـبَحْـرِ الْمُحِيـطِ بِسَـائِرِ الْخُلْجَـانِ

.....

وَلَـهُ الْمَقَامَـاتُ الشَّـهِيرَةُ فِـي الْوَرَىٰ ... قَــدْ قَامَهَــا لِلَّــهِ غَيْــرَ جَبَــانِ
نَصَــرَ الْإِلَــهَ وَدِينَــهُ وَكِتَابَــهُ ... وَرَسُــولَهُ بِالسَّــيْفِ وَالْبُرْهَــانِ
أَبْـدَىٰ فَضَائِحَهُـمْ وَبَيَّـنَ جَهْلَهُـمْ ... وَأَرَىٰ تَنَاقُضَهُــمْ بِــكُلِّ زَمَــانِ
وَمِــنَ الْعَجَائِــبِ أَنْ بِسِــلَاحِهِمْ ... أَرْدَاهُـمُ تَحْـتَ الْحَضِيضِ الدَّانِـي
كَانَــتْ نَوَاصِينَــا بِأَيْدِيهِــمْ فَمَـا ... مِنَّــا لَهُــمْ إِلَّا أَسِــيرٌ عَــانِ
فَغَـدَتْ نَوَاصِيهِـمْ بِأَيْدِينَـا فَمَـا ... يَلْقَوْنَنَــا إِلَّا بِحَبْــلِ أَمَــانِ
وَغَـدَتْ مُلُوكُهُـمْ مَمَالِيـكًا لِأَنْـ ... ـصَارِ الرَّسُـولِ بِمِنَّـةِ الرَّحْمَـنِ

مُقَدِّمَة الـمُذَكِّرة

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ:

(الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد؛ فهذه مُذكِّرةٌ للمُهمِّ من مُقرَّر السَّنة الثَّانية الثَّانويَّة في المعاهد العلميَّة في التَّوحيد علىٰ «العقيدة الواسطيَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ، نسأل الله أن ينفع بها كما نفع بأصلها إنَّه جوادٌ كريمٌ.

شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَةَ:

هو العالم العلَّامة شيخ الإسلام تقيُّ الدِّين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة، وُلد في حرَّان في العاشر من ربيع الأوَّل سنة ٦٦١هـ، ثمَّ تحوَّلت عائلته إلىٰ دمشقَ فكانت مَوطن إقامته، وقد كان رَحِمَهُ اللهُ عالمًا كبيرًا، وعَلَمًا مُنيرًا، ومُجاهدًا شهيرًا، جاهد في الله بعقله وفِكره، وعلمِه وجسمِه، وكان قويَّ الحُجَّة لا يصمد أحدٌ لمُحاجَّته، ولا تأخذه في الله لومة لائم إذا بان له الحقُّ أن يقول به؛ ومِن ثمَّ حصلت له مِحَنٌ من ذوي السُّلطان والجاهِ، فحُبِس مِرارًا، وتُوفِّي مَحبوسًا في قلعة دمشق في ٢٠ من شوَّالٍ ٧٢٨هـ.

«الْعَقِيدَةُ الْوَاسِطِيَّةُ»:

كتابٌ مُختصرٌ جامعٌ لخلاصة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة من أسماء الله وصفاته، وأمر الإيمان بالله واليوم الآخر، وما يتَّصل بذلك من طريقة أهل السُّنَّة العمليَّة، وسبب تأليفها أنَّ بعض قضاة واسطٍ شكوا إلىٰ شيخ الإسلام ما كان عليه النَّاس من بدع وضلالٍ، وطُلب منه أن يَكتب عقيدةً مُختصرةً تُبيِّن طريقة أهل السُّنَّة والجماعة فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته، وغير ذلك ممَّا سيُذكَر في تلك العقيدة؛ ولذلك سُمِّيت «العقيدة الواسطيَّة»).

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

هم من كان علىٰ مثل ما عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابه:

- [١] اعتقادًا.
- [٢] وقولًا.
- [٣] وعملًا.

لـماذا سُمُّوا أهل السُّنَّة والجماعة؟

- [١] لتَمسُّكِهم بالسُّنَّة.
- [٢] ولاجتماعهم عليها.

اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

هو الإيمان بـ:

- [١] اللهِ.
- [٢] وملائكتِه.
- [٣] وكُتُبِه.
- [٤] ورُسلِه.
- [٥] واليومِ الآخرِ.
- [٦] والقدرِ خيرِه وشرِّه.

[١] الإيمان بالله يتضمَّن الإيمان بـ:

- [أ] وُجودِه.
- [ب] ورُبوبيَّته.
- [ج] وأُلوهيَّته.
- [د] وأسمائِه وصفاتِه.

[٢] الإيمان بالـملائكة يتضمَّن الإيمان بـ:

- [أ] وُجودِهم.
- [ب] اسم من عُلِمَ اسمُه؛ كجبريلَ.
- [ج] صفةِ من عُلِم وَصفُه؛ كجبريلَ.
- [د] أعمالهم ووظائفهم؛ فجبريلُ مُكلَّفٌ بالوحي، ومالكٌ خازن النَّار.

[٣] الإيمان بالكتب يتضمَّن:

- [أ] تصديقَ كونِها مِن عند الله.
- [ب] تصديقَ ما أخبرت به.
- [ج] الإيمان بأسماءِ ما عُلم مِنها؛ كالتَّوراة، وما لم يُعلَم فيُؤمن به إجمالًا.
- [د] التزامَ أحكامِها، إذا لم تُنسَخْ.

[٤] الإيمان بالرُّسل يتضمَّن:

[أ] الإيمانَ بأنَّهم صادقون في رسالتهم.

[ب] الإيمانَ بأسماء من عُلِمَت أسماؤُه منهم، وما لم يُعلَم فيُؤمن به إجمالًا.

[ج] تصديقَ ما أَخبَروا به.

[د] التزامَ أحكام شرائعهم غير المَنسوخة.
والشَّرائع السَّابقة كلُّها مَنسوخةٌ بشريعة محمَّدٍ ﷺ.

[٥] الإيمان باليوم الآخر يتضمَّن:

الإيمانَ بكُلِّ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ ممَّا يكون بعد الموت.

[٦] الإيمان بالقدر يتضمَّن:

الإيمانَ بأنَّ كلَّ شيءٍ واقعٌ بقضاء الله وقدرِه.

طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ

طريقتهم:

إثباتُ ما أثبتَه اللهُ لنفسه في كتابه، أو علىٰ لسان رسوله ﷺ، من غير:

[١] تحريفٍ: وهو **لغةً:** التَّغيير، **واصطلاحًا:** (تغيير لفظ النَّصِّ أو معناه).

[٢] ولا تعطيلٍ: وهو **لغةً:** التَّرك والتَّخلية، **واصطلاحًا:** (إنكار ما يجب لله من الأسماء والصِّفات).

[٣] ولا تكييفٍ: وهو: (إثبات كيفيَّة الصِّفة)؛ كقول: استواء الله علىٰ عرشه كيفيَّته كذا وكذا!

[٤] ولا تمثيلٍ: وهو: (إثبات مُماثل للشَّيء)؛ كقول: يدُ الله مثل يد الإنسان.

الفرق بينهما: أنَّ التَّمثيلَ ذكر الصِّفة مُقيَّدةً بمُماثلٍ، والتَّكييفَ ذكرُها غيرَ مُقيَّدةٍ به.

أقسام التحريف:

[أ] تغيير اللَّفظ: تغيير قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّساء] من رفع الجلالة إلىٰ نصبها؛ ليكون التَّكليمُ من موسىٰ لا من الله.

[ب] تغيير المعنى: تغيير معنىٰ استواء الله علىٰ عرشه من العُلُوِّ والاستقرار إلىٰ الاستيلاء والملك؛ لينتفي عنه معنىٰ الاستواءِ الحقيقيِّ.

أقسام التعطيل:

[أ] تعطيلٌ كُلِّيٌّ: كتعطيل الجهميَّةِ.

[ب] تعطيلٌ جزئيٌّ: كتعطيل الأشعريَّة، الَّذين لم يثبتوا من صفات الله إلَّا سبع صفاتٍ.

حَيٌّ عَلِيمٌ قَدِيرٌ وَالْكَلَامُ لَهُ
إِرَادَةٌ وَكَذَاكَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

هذه الأربعة المُتقدِّمة: كلُّها حرامٌ، ومنها ما هو كفرٌ أو شركٌ، ومن ثَمَّ كان أهل السُّنَّة والجماعة مُتبرِّئين من جميعِها.

الْوَاجِبُ فِي نُصُوصِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

الواجِبُ:

إجراؤُها علىٰ ظاهِرِها، وإثباتُ حقيقتِها لله علىٰ الوجه اللَّائق به، وذلك لوجهين:

[١] أنَّ صرفها عن ظاهرها مُخالفٌ لطريقة النَّبيِّ ﷺ وأصحابه.

[٢] أنَّ صرفها إلىٰ المجاز قولٌ علىٰ الله بلا علمٍ، وهو حرامٌ.

أَسْمَاءُ اللَّهِ وَصِفَاتُه تَوْقِيفِيَّةٌ:

والتَّوقيفيُّ: (ما توقَّف إثباتُه أو نفيُه علىٰ الكتاب والسُّنَّة)، بحيث لا يجوز إثباتُه ولا نفيُه إلَّا بدليلٍ منهما، فليس للعقل في ذلك مَجالٌ؛ لأنَّه شيءٌ وراء ذلك.

أَسْمَاءُ اللَّهِ وَصِفَاتُه:

[١] **مُحكَمةٌ:**
في معناها؛ فإنَّ مَعناها معلومٌ، والمُحكَم ما كان واضحًا.

[٢] **مُتشابهةٌ:**
في حقيقتِها؛ لأنَّ حقائقها لا يعلمها إلَّا اللهُ، والمُتشابهُ ما ليس واضحًا.

أَسْمَاءُ اللّٰهِ تَعَالَىٰ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ [بِعَدَدٍ مُعَيَّنٍ]

أسماءُ الله تعالىٰ غيرُ مَحصورةٍ بعددٍ مُعيَّنٍ؛ لقوله ﷺ في الدُّعاء المَأثور: «**أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**». أخرجه أحمد.

وما استأثر اللهُ عَزَّوَجَلَّ بعلمِه فلا سبيل إلىٰ حصرِه والإحاطةِ به.

كيف الجمع بين هذا وما جاء في السُّنَّة من أنَّها تسعةٌ وتسعون؟

جاء في الحديث: «**إِنَّ لِلهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». مُتَّفقٌ عليه.

معنىٰ الحديث: أنَّ مِن أسماء الله تسعةً وتسعين اختُصَّت بأنَّ من أحصاها دخل الجنَّة، فلا يُنافي أن يكون له أسماءُ أخرىٰ غيرُها، ونظيرُ ذلك أن تقولَ: عندي خمسون درعًا أعددتها للجهاد، فلا ينافي أن يكون عندك دُروعٌ أخرىٰ.

ومعنىٰ إحصاء أسماء الله أن يُعرَف لفظُها ومعناها، ويُتعبَّدَ لله بمُقتضاها.

القاعدة أنَّ العدد إذا ذُكر في الكتاب أو السُّنَّة أو كلام أهل العلم:

[١] ولم نجدْ في نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ ما يزيدُ علىٰ هذا العددِ؛ صارَ العددُ له مَفهومٌ، أي: لا يُزادُ عليه، مثلَ: أركانِ الإسلام، وأركانِ الإيمانِ؛ كما في حديث جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

[٢] وإنْ وجدْنا في نُصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ ما يزيدُ علىٰ هذا العددِ؛ صارَ العددُ ليس له مفهومٌ، أي: يُزادُ عليه بما وردَ في الكتابِ والسُّنَّةِ، مثلَ قوله ﷺ: «**خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ...**»، وقولِه: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ...**».

كَيْفَ يَتِمُّ الإِيمَانُ بِأَسْمَاءِ اللّهِ؟

إذا كان الاسمُ الأحسَنُ:

[١] **مُتعدِّيًا**: فتمامُ الإيمان به إثباتُ:

[أ] الاسمِ.

[ب] الصِّفةِ الَّتي تضمَّنها.

[ج] الأثرِ الَّذي يترتَّبُ عليه.

مثل: (**الرَّحيم**)، فتثبتُ الاسم وهو الرَّحيمُ، والصِّفةَ وهي الرَّحمةُ، والأثرَ وهو أنَّه سبحانه يرحمُ بهذه الرَّحمة.

[٢] **لازمًا**: فتمامُ الإيمان به إثباتُ:

[أ] الاسم.

[ب] الصِّفةِ الَّتي تضمَّنها.

[٢] مثل: (**الحيِّ**)، تثبت الاسمَ وهو الحيُّ، والصِّفةَ وهي الحياةُ.

وعلىٰ هذا فكلُّ اسمٍ مُتضمِّنٌ لصفةٍ، ولا عكسَ.

صِفَاتُ اللّهِ تَعَالَى بِاعْتِبَارِ الثُّبُوتِ وَعَدَمِهِ

تنقسم إلى:

[١] **ثبوتيَّة:**
وهي الَّتي أثبتها الله لنفسه؛ كالحياة، والعلم.

[٢] **سَلبيَّة:**
وهي الَّتي نفاها الله عن نفسه؛ كالإعياء، والظُّلم.

الصِّفة السَّلبيَّة يجب فيها:

[١] الإيمان بما دلَّت عليه من نفيٍ.

[٢] وإثبات ضدِّه.

فقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف]، يجب الإيمان بانتفاء الظُّلم عن الله، وثبوت ضدِّه وهو العدل الَّذي لا ظُلمَ فيه.

صِفَاتُ اللهِ بِاعْتِبَارِ الدَّوَامِ وَالْحُدُوثِ

تنقسمُ الصِّفاتُ إلى:

[١] صفاتٍ دائمةٍ:
لم يزل الله عَزَّوَجَلَّ ولا يزالُ مُتَّصفًا بها؛ كالعلم، والقدرة.
وتُسمَّىٰ: **(صفاتٍ ذاتيَّةً)**.

[٢] صفاتٍ تتعلَّق بالـمَشيئةِ:
إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها؛ كنزوله إلىٰ السَّماء الدُّنيا.
وتُسمَّىٰ: **(صفاتٍ فعليَّةً)**.

وربَّما تكون الصِّفةُ ذاتيَّةً وفعليَّةً معًا؛ كالكلام فإنَّه:

[١] صفةٌ ذاتيَّةٌ:
بالنَّظر إلىٰ أصله؛ لأنَّ الله لم يزل ولا يزال مُتكلِّمًا.

[٢] صفةٌ فعليَّةٌ:
باعتبار آحاده وأفراده الَّتي يتكلَّم بها شيئًا فشيئًا؛ لأنَّه يتعلَّق بمَشيئتِه.

الإِلْحَادُ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ

تعريفُه:

[١] **لغةً**: الميل.

[٢] **اصطلاحًا**: (الميل عمَّا يجب اعتقادُه أو عملُه).

يكون الإلحادُ في:

[١] **أسماء الله**: لقوله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَـٰٓئِهِۦۚ﴾[الأعراف:١٨٠].

[٢] **وآياته**: لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾[فصِّلت:٤٠].

أنواعُ الإلحادِ في أسماءِ اللّه:

[١] أن يُنكر شيئًا منها، أو ممَّا تضمَّنته من الصِّفات؛ كما فعل الجَهميَّة.

[٢] أن يُسمِّي الله بما لم يُسمِّ به نفسَه؛ كما سمَّاه النَّصارىٰ أبًا.

[٣] أن يَعتقد دَلالتَها علىٰ مُماثلة الله لخلقه؛ كما فعل المُشبِّهة.

[٤] أن يشتقَّ منها أسماء للأصنام؛ كاشتقاق المُشركين العُزَّىٰ من العزيز.

أنواعُ الإلحادِ في آياتِ اللّه:

[١] **الكونيَّة (المخلوقاتُ)**: وهو إنكارُ انفراد الله بها، بأن يعتقد أنَّ أحدًا انفرد بها أو ببعضها دونَه، وأنَّ معه مُشاركًا في الخلق أو مُعِينًا.

[٢] **الشَّرعيَّة (الوحيُ النَّازل على الأنبياء)**: وهو تحريفُها، أو تكذيبُها، أو مُخالفتُها.

طَرِيقَةُ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ في صِفَاتِ اللّهِ [مِنْ حَيْثُ الإِجْمَالُ وَالتَّفْصِيلُ]

طريقتُهما غالبًا:

[١] الإجمالُ في النَّفي:
لأنَّ الإجمالَ في النَّفي أكملُ وأعمُّ في التَّنزيه من التَّفصيل.

[٢] والتَّفصيلُ في الإثبات:
لأنَّ التَّفصيلَ في الإثباتِ أبلغُ وأكثرُ في المَدح من الإجمالِ.

هل الصِّفات الثُّبوتيَّة أكثر في القرآن والسُّنَّة أم السَّلبيَّة؟

[١] الصِّفات الثُّبوتيَّة:
كثيرةٌ في الكتاب والسُّنَّة؛ كالسميع البصير، والعليم القدير، والغفور الرَّحيم... إلخ.

[٢] الصِّفات السَّلبيَّة:
قليلةٌ، مثل نفي: الظُّلم، والتَّعب، والغفلة، والولادة، والمُماثل، والنِّدِّ، والمُكافِئ.

سُورَةُ الإِخْلاصِ

هي: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

لماذا سُمِّيت سورةَ الإخلاص؟

[١] لأنَّ الله أخلصَها لنفسه، فلم يذكر فيها إلَّا ما يتعلَّق بأسمائِه وصفاتِه.

[٢] لأنَّها تُخلِّصُ قارئها من الشِّركِ والتَّعطيلِ.

سببُ نُزولِها:

أنَّ المشركين قالوا للنَّبيِّ ﷺ: انسُب لنا ربَّك من أيِّ شيءٍ هو! أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ.

صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّها «تَعدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»؛ وذلك لأنَّ القرآن يتضمَّن:

[١] الإخبارَ عن الله عَزَّوَجَلَّ **(وهو ما تضمنَّته سورة الإخلاص)**.

[٢] والإخبارَ عن مَخلوقاتِه.

[٣] والأحكامَ -وهي: الأوامرُ والنَّواهي-.

ما تضمَّنته سورةُ الإخلاصِ مِن أسماءِ اللَّه عَزَّوَجَلَّ:

[١] **الله**: المَألوهُ المَعبودُ حُبًّا وتعظيمًا.

[٢] **الأحد**: المُنفرِدُ عن كلِّ شريكٍ ومُماثِلٍ.

[٣] **الصَّمد**: الكاملُ في صِفاتِه، الَّذي افتقرت إليه جميعُ مَخلوقاتِه.

ما تضمَّنته سورة الإخلاص من صِّفات الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] الألوهيَّة.

[٢] الأحديَّة.

[٣] الصَّمديَّة.

[٤] نفي الولد منه؛ لأنَّه غنيٌّ عن الولد، ولا مثيل له.

[٥] نفي أن يكون مولودًا؛ لأنَّه خالق كلِّ شيءٍ، وهو الأوَّل الَّذي ليس قبله شيءٌ.

[٦] نفي المُكافئ له، وهو المُماثل له في الصِّفات؛ لأنَّ الله ليس كمثله شيءٌ لكمال صفاتِه.

آية الكُرسيِّ

هي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة].

لـماذا سُمِّيت آية الكُرسيِّ؟

لذكر الكُرسِيِّ فيها، ولم يُذكَر في غيرِها من آيِ القرآنِ.

مِن فَضلِـــــــها:

[١] أنَّها أعظم آيةٍ في كتاب الله؛ لحديث أُبيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مُسلمٍ.

[٢] أنَّ من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظٌ، ولا يقربه شيطانٌ حتَّىٰ يُصبح. أخرجه البخاريُّ.

ما تضمَّنته آية الكُرسيِّ من أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ:

[١] **الله:** تقدَّم معناه.

[٢] **الحيُّ:** ذو الحياةِ الكاملةِ، المُتضمِّنةِ لأكملِ الصِّفاتِ الَّتي لم تُسبَق بعدم، ولا يَلحَقُها زَوالٌ.

[٣] **القَيُّومُ:** القائمُ بنفسِه القائمُ علىٰ غيرِه، فهو غنيٌّ عن كلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ مُحتاجٌ إليه.

[٤] **العَليُّ:** العالي بذاته فوق كلِّ شيءٍ، العالي بصفاته كمالًا، فلا يَلحَقُه عيبٌ ولا نقصٌ.

[٥] **العَظيمُ:** ذو العظمة، وهي: الجلالُ، والكِبرِياءُ.

ما تضمَّنته آية الكُرسيِّ من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ:

[١] انفرادُ الله بالأُلوهيَّة.

[٢] المَشيئةُ.

[٣] انفرادُه بالمُلك الشَّامل لكُلِّ شيءٍ: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾.

[٤] كمالُ قُدرَتِه بعِظَمِ مَخلوقاتِه: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾.

[٥] كمالُ عَظَمَتِه وسُلطانِه، حيث لا يشفعُ أحدٌ عنده إلَّا بإذنِه.

[٦] نفيُ النَّومِ والسِّنَةِ -وهي: النُّعاس- عنه؛ لكمالِ حياتِه وقَيُّوميَّتِه.

[٧] كمالُ عِلمِه، وشُمولُه لكلِّ شيءٍ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ وهو الحاضر والمُستقبل، ﴿وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾ وهو الماضي.

[٨] كمالُ عِلمِه، وقُدرَتِه، وحِفظِه، ورَحمَتِه؛ من قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ﴾، أي: لا يُثقِلُه ولا يُعجِزُه.

الكُرسيُّ وعِظَمُه:

الكُرسِيُّ مَوضِعُ قَدَمي الرَّحمن سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

وهو مِن أعظم المَخلوقاتِ؛ كما جاء في الحديث: «**مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلَقَةِ**».

وهذا يدلُّ علىٰ عظمة الخالق سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ.

والكُرسِيُّ غيرُ العرشِ؛ لأنَّ الكُرسِيَّ مَوضِعُ القدمين، والعرش هو الَّذي استوىٰ عليه اللهُ، ولأنَّ النُّصوصَ دلَّت علىٰ المُغايَرَةِ بينهما.

الأوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ

قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد].

هذه الأسماءُ الأربعةُ فسَّرَها النَّبيُّ ﷺ كما في «صحيح مسلمٍ»:

[١] **الأوَّلُ:** «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ».

[٢] **الآخِرُ:** «وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ».

[٣] **الظَّاهِرُ:** «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ».

[٤] **الباطِنُ:** «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ».

معنى قوله ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾:

أي: محيطٌ عِلمُه بكُلِّ شيءٍ جملةً وتفصيلًا.

عِلْمُ اللّهِ عَزَّوَجَلَّ

معنى العلم:

[١] **العلمُ في اللُّغة:** (إدراكُ الشَّيءِ علىٰ حقيقتِه).

[٢] **علمُ الله تعالى:** كاملٌ، محيطٌ بكلِّ شيءٍ:

[أ] جملةً.

[ب] وتفصيلًا.

الأدلَّة من القرآن على العلم:

[١] **الإجماليِّ:** أقولُه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ [النِّساء].

[٢] **التَّفصيليِّ:** أقولُه تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾[الأنعام].
ومن أدلَّة علم الله بأحوال خلقه قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨٣﴾[البقرة]، وقولُه: ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود].

مَفاتِحُ الغَيبِ: خَزائنُه أو مَفاتيحُه، وهي:

[١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾.

[٢] ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾.

[٣] ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾.

[٤] ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾.

[٥] ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾[لقمان]، **والخَبيرُ** هو: (**العليمُ ببَواطِنِ الأُمورِ**).

قُدْرَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَقُوَّتُه

مَعنى القُدرةِ والقُوَّةِ لُغةً:

[١] القُدرةُ:
هي التَّمكُّن من الفعلِ بلا عجزٍ.

[٢] القُوَّةُ:
هي التَّمكُّن من الفعلِ بلا ضعفٍ.

قُدرةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ شاملةٌ كلَّ شيءٍ:

قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾[البقرة].

قُوَّةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ شاملةٌ كلَّ شيءٍ:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ٥٨﴾[الذَّاريات]، واسم الله (**الـمَتِينُ**) معناه: (الشَّديدُ القُوَّة).

الفرقُ بينَ القُدرةِ والقُوَّة:

[١] أنَّ القوَّةَ أخصُّ من القُدرةِ من وجهٍ:
القُوَّة بالنِّسبة للقادر ذي الشُّعور أخصُّ؛ لأنَّها قُدرَةٌ وزيادةٌ.

[٢] وأعمُّ منها من وجهٍ:
بالنِّسبة لعموم مكانها؛ لأنَّها يوصف بها ذو الشُّعور وغيرُه، فيُقال للحديد مثلًا: قويٌّ، ولا يُقال له: قادرٌ.

الحِكمةُ والحَكيمُ

مَعنى كلٍّ منهما:

[١] الحكمة:
هي: (وضعُ الأشياء في مَواضِعِها علىٰ وجهٍ مُتقَنٍ)، ودليل اتِّصاف الله عَزَّوَجَلَّ بها قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٢﴾ [التَّحريم].

[٢] الحكيم: له معنيان:

[أ] ذو الحِكمة: فلا يأمرُ بشيءٍ ولا يخلق شيئًا إلَّا لحكمةٍ، ولا ينهىٰ عن شيءٍ إلَّا لحكمةٍ.

[ب] الحاكمُ: الَّذي يحكم بما أراد، ولا مُعقِّب لحُكمِه.

أنواعُ حِكمة اللّٰه عَزَّوَجَلَّ:

[١] الشَّرعيَّة:
مَحِلُّها الشَّرعُ، وهو ما جاءت به الرُّسل من الوحي؛ فكلُّه في غاية الإتقانِ والمَصلحةِ.

[٢] الكونيَّة:
مَحِلُّها الكونُ، أي: مخلوقات الله، فكلُّ ما خلقه الله فهو في غاية الإتقانِ والمَصلحةِ.

أنواعُ حُكم اللّٰه عَزَّوَجَلَّ:

[١] الشَّرعيُّ:
ما يقضي به الله شرعًا، ودليله قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [المُمتحنة:١٠].

[٢] الكونيُّ:
ما يقضي به الله تقديرًا وخلقًا، ودليله قوله تعالىٰ عن أحد إخوة يوسف: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ [يوسف:٨٠].

الرِّزق

الرِّزقُ:

[١] تعريفُه:
(إعطاءُ المَرزوقِ ما ينفعُه).

[٢] دليلُه:
قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ [الذَّاريات: ٥٨]، وقولُه: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦].

الرِّزقُ نوعان:

[١] عامٌّ:
ما يقوم به البدن من طعام وغيره، وهو شاملٌ لكلِّ مَخلوقٍ.

[٢] خاصٌّ:
ما يصلُحُ به القلبُ من الإيمان، والعلم، والعمل الصَّالح.

مَشِيئَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَإِرَادَتُه

مَشِيئَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ هي إرادتُه الكونيَّة، وهي عامَّةٌ في:

[١] أفعال الله عَزَّوَجَلَّ:
لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[السَّجدة:١٣].

[٢] أفعال العباد:
لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١٣٧].

إِرَادَةُ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ صفةٌ من صفاتِه، وتنقسمُ إلى:

[١] إرادةٍ كونيَّةٍ:
وهي الَّتي بمعنىٰ المَشيئة.
ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥].

[٢] إرادةٍ شرعيَّةٍ:
وهي الَّتي بمعنىٰ المَحبَّة.
ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[النِّساء: ٢٧].

الفرقُ بين إِرَادَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ الكونيَّةِ وإرادته الشَّرعيَّة:

[١] الكونيَّةُ:
لابدَّ فيها من وُقوع المُرادِ.
وقد يكون المُرادُ فيها مَحبوبًا إلىٰ الله، وقد يكون غير مَحبوبٍ.

[٢] الشَّرعيَّةُ:
لا يلزم فيها وُقوعُ المُرادِ.
ولا يكون المُرادُ فيها إلَّا مَحبوبًا لله.

الـمَحَبَّةُ وَالـمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَة

من صفات الله عَزَّوَجَلَّ: (**الـمَحبَّة**)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]، ولا يجوز تفسير المَحبَّة بالثَّوابِ؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ.

ومن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: (**الْوَدُودُ**)؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾[البروج]، والوُدُّ: (**خالصُ المَحبَّة**).

قالَ تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾[**النِّساء**:٩٦]، **فيها صِفتَانِ**:

[١] **الـمغفرة**: هي: (**سَترُ الذَّنب والتَّجاوُزُ عنه**).

[٢] **الرَّحمة**: وهي صفةٌ تقتضي الإحسان والإنعام، وتنقسم إلىٰ:

[أ] **عامَّةٍ**: وهي الشَّاملة لكلِّ أحدٍ، ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الأعراف:١٥٦]، وقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

[ب] **خاصَّةٍ**: وهي الَّتي تختصُّ بالمُؤمنين، ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب].

تنبيهٌ: ولا يصحُّ تفسير الرَّحمة بالإحسان؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، ولا دليل عليه.

الرِّضَا وَالْغَضَبُ وَالْكَرَاهَةُ وَالْـمَقْتُ وَالْأَسَفُ [وَالانْتِقَامُ]

من صفات اللَّه عَزَّوَجَلَّ:

[١] الرِّضا: مُقتَضاها: مَحبَّة المَرضِيِّ عنه، والإحسان إليه، ودليلُها: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [المائدة:١١٩].

[٢] الغضب: مُقتَضاها: كراهةُ المَغضوبِ عليه، والانتقامُ منه، ودليلُها: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النِّساء:٩٣].

[٣] السُّخط: معناها قريبٌ من صفة الغضب، ودليلُها: ﴿ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ﴾ [محمَّد:٢٨].

[٤] الكراهة: من صفات الله الفعليَّة، مُقتَضاها: إبعادُ المَكروه، ومُعاداتُه، والدَّليل عليها: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ﴾ [التَّوبة:٤٦].

[٥] المقت: وهو أشدُّ البُغض، والبُغضُ قريبٌ من معنىٰ الكراهية، ودليل المقت: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصَّفّ].

ومن صِفات اللَّه عَزَّوَجَلَّ الأسفُ، وله في اللُّغة مَعنيان:

[١] الغضب: وهذا جائزٌ علىٰ الله، والدَّليل قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ [الزُّخرُف:٥٥]، أي: أغضبونا.

[٢] الحُزن: وهذا لا يجوز علىٰ الله، ولا يصحُّ أن يُوصَف به؛ لأنَّ الحُزن صفة نقصٍ، والله عَزَّوَجَلَّ مُنزَّهٌ عن النَّقص.

تنبيهٌ: ولا يجوز تفسير الرِّضا بالثَّواب، والغضبِ بالانتقام، والكَراهةِ والمَقتِ بالعُقوبةِ؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ.

الـمَجِيءُ وَالإِتْيَان

من صِفات الله عَزَّوَجَلَّ الفعليَّة الثَّابتة له على الوجه اللائق به:

[١] الرِّضا:
لقوله تعالىٰ: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾[الفجر].

[٢] الرِّضا:
لقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة:٢١٠].

ولا يصحُّ تفسير هاتين الصِّفتين بمَجيءِ أو إتيانِ أمره عَزَّوَجَلَّ، لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، ولا دليل عليه.
والمُراد بقوله تعالىٰ: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾[الأنعام:١٥٨] = طُلوعُ الشَّمس من مَغرِبها الَّذي به تنقطع التَّوبة؛ كما جاء تفسيره بذلك مَرفوعًا إلىٰ النَّبيِّ ﷺ. أخرجه أحمد والتِّرمذيُّ.

ما وجه ذكر المُؤلِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أدلَّة مَجيء الله عَزَّوَجَلَّ قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٢٥﴾[الفرقان]، مع أنَّه ليس في الآية ذكرُ المَجيء؟
وجه ذلك أنَّ تشقُّق السَّماء بالغمام وتنزيلَ المَلائكة إنَّما يكونان عند مَجيءِ الله عَزَّوَجَلَّ للقضاء بين عباده؛ فيكون من باب الاستدلال بأحد الأمرين علىٰ الآخر لما بينهما من التَّلازُم.

بعض الصِّفات الذَّاتيَّةِ

من صِفات الله عَزَّوَجَلَّ الوجهُ:

[١] ثبوتُها: من صفات الله الذَّاتيَّة الثَّابتة له حقيقةً على الوجه اللَّائق به.

[٢] دليلُها: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرَّحمن]:

[أ] الجلالُ: العظمةُ.

[ب] الإكرامُ: إعطاءُ الطَّائعين ما أُعِدَّ لهم من الكرامة.

ومن صِفات الله عَزَّوَجَلَّ اليدان:

[١] ثبوتُها: من صفاته الذَّاتيَّة الثَّابتة له حقيقةً على الوجه اللَّائق به، يَبسُطُهما كيف يشاء، ويقبِضُ بهما ما شاءَ.

[٢] دليلُها: قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقولُه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص:٧٥].

ولا يجوز تفسير اليدين بالقوَّة؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ، وفي السِّياق ما يمنعه وهو التَّثنية؛ لأنَّ القُوَّة لا يُوصَف اللهُ بها بصيغةِ التَّثنية.

ومن صِفات الله عَزَّوَجَلَّ العينا:

[١] ثبوتُها: من صفاتِه الذَّاتيَّةِ الثَّابتة له حقيقةً على الوجه اللَّائق به، ينظُرُ بهما ويُبصِرُ ويرى.

[٢] دليلُها: قوله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه]، وقوله: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].

ولا يجوز تفسيرُ العينين بالعلم ولا بالرُّؤية مع نفي العين؛ لأنَّه مُخالِفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف علىٰ ثبوتِ العين لله، ولا دليل عليه.
والجواب عن تفسير بعض السَّلف قوله تعالىٰ: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾[القمر:١٤] أي: بمرأىٰ منَّا = أنَّهم لم يُريدوا بذلك نفي حقيقة مَعنىٰ العينِ، وإنَّما فسَّروها باللَّازم مع إثباتِهم العينَ، وهذا لا بأس به، بخلاف الَّذين يُفسِّرون العين بالرُّؤية ويُنكرون حقيقة العين.

الوجوه الَّتي وردت عليها صفتا اليدين والعينين ثلاثةٌ:

[١] الإفراد:
- ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك:١].
- ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه].

[٢] التَّثنية:
- ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].
- «إذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَإِنَّهُ بَيْنَ عَيْنَي الرَّحْمَنِ». أخرجه ابن نصرٍ والأصبهانيُّ.

[٣] الجمع:
- ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس:٧١].
- ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ [القمر:١٤].

والجمع بين هذه الوجوه بأنَّه:

- أنَّه لا مُنافاة بين الإفراد والتَّثنية؛ لأنَّ المُفرد المُضاف يَعُمُّ، فإذا قيل: (يد الله وعين الله) شمل كلَّ ما ثبت له من يدٍ أو عينٍ.
- وأمَّا التَّثنية والجمع فلا مُنافاة بينهما أيضًا؛ لأنَّ المَقصود بالجمع هنا التَّعظيم، وهو لا يُنافي التَّثنية.

السَّمع

صفة السَّمع لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] ثبوتُها: من الصِّفات الثَّابتة لله عَزَّوَجَلَّ حقيقةً علىٰ الوجه اللَّائق به.

[٢] دليلُها: قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾ [البقرة].

لسمع الله عَزَّوَجَلَّ معنيان:

[١] الإجابة: من الصِّفات الفعليَّة، ومثالُه: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ [إبراهيم:٣٩].

[٢] إدراك المَسموع: من الصِّفات الذاتيَّة، مثاله: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا﴾ [المجادلة:١]، وقد يُراد به:

[أ] النَّصر والتَّأييد: كقوله تعالىٰ لموسىٰ وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه].

[ب] التَّهديد: كقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ﴾[الزُّخرف:٨٠].

الرُّؤْيَةُ

الرُّؤية صفةٌ ثابتةٌ لله عَزَّوَجَلَّ حقيقةً على الوجه اللاَّئق به، ولها مَعنيان:

[١] العلم:
ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ [المعارج]، أي: نَعلَمُه.

[٢] البصر:
وهو: (إدراكُ المَرئيَّاتِ والمُبصَراتِ)، ودليلها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشُّورىٰ]، وقد يُرادُ به:

[أ] النَّصر والتَّأييد: مثل قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾ [طه].

[ب] التَّهديد: كقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤﴾ [العلق].

العَفُوُّ

اسم الله العَفُوُّ:

[١] مَعناه:
هو: (المُتجاوِزُ عن سيِّئاتِ الغَيرِ).

[٢] دليلُه:
قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝٩٩﴾ [النِّساء].

الْـمَكْرُ وَالْكَيْدُ وَالْـمِحَالُ

معنىٰ هذه الكلمات مُتقاربٌ، وهو: (التَّوصُّل بالأسباب الخفيَّة إلىٰ الانتقام من العَدُوِّ).

حكمُ إطلاقِها على الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] **عند الإطلاق**: لا يجوز وصف الله بها وصفًا مُطلقًا؛ لأنَّها تحتمل المَدح والذَّمَّ، والله سبحانه مُنزَّهٌ عن الوصف بما يحتمل الذَّمَّ.

[٢] **عند الإطلاق**: يجوز وصفُه عَزَّوَجَلَّ بها مُقيَّدةً، فيوصَفُ الله بها علىٰ وجهٍ تكون مدحًا لا يحتمل الذَّمَّ دالًّا علىٰ علمِه، وقُدرته، وقُوَّته، فهذا جائزٌ؛ لأنَّه يدلُّ علىٰ كمال الله عَزَّوَجَلَّ.

دليلُ هذه الصِّفات:

[١] **الـمَكرُ**: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال].

[٢] **الكَيدُ**: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝١٥ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝١٦﴾ [الطَّارق].

[٣] **الـمِحالُ**: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ [الرَّعد].

الـمَكرُ والكَيدُ والـمِحالُ صفاتٌ:

[١] **مدحٍ**: إذا كانت لإثبات الحقِّ، وإبطال الباطل.

[٢] **ذمٍّ**: فيما عدا ذلك.

تنبيهٌ: لا يجوز أن يُشتقَّ من هذه الصِّفات أسماءُ لله فيُقال: الماكر، والكائد؛ لأنَّ أسماء الله الحُسنىٰ لا تحتمل الذَّمَّ بأيِّ وجهٍ، وهذه عند إطلاقِها تحتمل الذَّمَّ كما سبق.

مِنْ نُصُوصِ الصِّفَاتِ السَّلْبِيَّةِ

ذكر المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ آياتٍ كثيرةً في الصِّفات السَّلبيَّة، منها ما نذكره هنا:

نفى اللهُ عَزَّوَجَلَّ عن نفسِه:

[١] **السَّمِيّ**: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [مريم].

[٢] **الكُفْءَ**: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

[٣] **النِّدّ**: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢].

معنىٰ هذه الألفاظ الثَّلاثةِ مُتقاربٌ، وهو: (الشَّبيه والنَّظير)، ونفيُ ذلك عن الله يتضمَّن: انتفاءَ ما ذُكر، وإثباتَ كمالِه؛ حيثُ لا يُشابِهُه أحدٌ لكمالِه.

نفيُ الولدِ والشَّريكِ والوَليِّ عن اللهِ عَزَّوَجَلَّ:

قال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ۝١١١﴾ [الإسراء]، فأمر اللهُ بحمدِه لانتفاءِ صفاتِ النَّقصِ عنه، وهي:

[١] **الولدُ**: ونفيُه عن الله عَزَّوَجَلَّ يتضمَّن مع انتفائِه كمالَ غِناه.

[٢] **الشَّريك**: ويتضمَّنُ كمالَ وَحدانيَّتِه وقُدرَتِه.

[٣] **الوليُّ من الذُّلّ**: ويتضمَّنُ كمالَ عِزِّه وقَهرِه.

تنبيهٌ: نفي الوليِّ هنا لا ينافي إثباتَه في مَوضعٍ آخرَ؛ كقولِه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة:٢٥٧]، وقولِه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢﴾ [يونس]؛ لأنَّ المَنفيَّ هو الَّذي سببُه الذُّلُّ، أمَّا الوليُّ بمعنىٰ الوَلايَةِ فليس بمَنفِيٍّ.

الأمرُ بتسبيحِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وتنزيهِه عن كلِّ نقصٍ:

قاله تعالىٰ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الجمعة:١]، والتَّسبيحُ: (تنزيهُ الله عن النَّقصِ والعيب)، وذلك يتضمَّن كمال صِفاتِه.
وفي الآية دليلٌ علىٰ أنَّ كلَّ شيءٍ يُسبِّح الله تسبيحًا حقيقيًّا بلسانِ الحالِ والمَقالِ؛ إلَّا الكافرَ، فإنَّ تسبيحَه بلسانِ الحالِ فقط؛ لأنَّه يصفُ الله بلسانِه بما لا يليقُ باللهِ عَزَّوَجَلَّ.

نفيُ الولدِ وتعدُّد الآلهة والأمر بتنزيه الله:

قال تعالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾[المؤمنون]، ففي هذه الآية.

[١] نفيُ اتِّخاذِ الولدِ.

[٢] نفيُ تعدُّدِ الآلهةِ.

[٣] تنزيه الله عمَّا وصفه به المُشركون.

وهذا يتضمَّن مع انتفاءِ ما ذُكِرَ: كمالَ الله، وانفرادَه بما هو من خصائصِه.

برهن اللهُ على امتناعِ تعدُّدِ الآلهةِ ببُرهانَين عقليَّين:

[١] لو كان معه إلهٌ لانفرَدَ عن الله بما خلق، ومن المَعلوم عقلًا وحِسًّا أنَّ نظامَ العالَم واحدٌ، لا يتصادَمُ ولا يتناقَضُ، وهو دليلٌ علىٰ أنَّ مُدبِّرَه واحدٌ.

[٢] لو كان مع الله إلهٌ آخرُ لطلبَ أن يكون العُلُوُّ له، وحينئذٍ: إمَّا أن يغلب أحدهما الآخر فيكون هو الإله، وإمَّا أن يعجز كلٌّ منهما عن الآخر فلا يستحقّ واحدٌ منهما أن يكون إلهًا؛ لأنَّه عاجزٌ.

تحريم الفواحش:

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف].

وهذه المُحرَّماتُ الخمسُ أجمعت عليها الشَّرائع.

وفي تحريم الله عَزَّوَجَلَّ لهذه المُحرَّمات الخمس إثبات صفتين لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] **الحكمة**.

[٢] **الغيرة**.

ومعنىٰ قوله: ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: ما لم يُنزِّل به دليلًا، وهو قيدٌ لبيان الواقع؛ لأنَّه لا يمكن أن يقوم الدَّليل علىٰ الإشراك باللهِ، وعلىٰ هذا فلا مَفهومَ له.

وفي هذه الآية ردٌّ علىٰ:

[١] **الـمُشبِّهة**:

في قوله: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ لأنَّ المُشبِّهة أشركوا به حيث شبَّهوه بخلقِه.

[٢] **الـمُعطِّلة**:

في قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾؛ لأنَّ المُعطِّلة قالوا علىٰ الله ما لا يعلمون، حيث نَفَوا صفاتِه عنه بحُجَجٍ باطلةٍ.

وهذا هو وجهُ مُناسبةِ ذِكرِ هذه الآيةِ في العقيدةِ.

العُلُوُّ وَأَقْسَامُهُ

العُلُوُّ هو الارتفاع، وأقسامُ عُلُوِّ الله تعالى ثلاثةٌ:

[١] عُلُوُّ الذَّاتِ: ومَعناهُ أنَّ الله بذاتِه فوقَ خلقِه.

[٢] عُلُوُّ القَدْرِ: ومَعناهُ أنَّ الله ذو قدرٍ عظيمٍ، لا يُساويه فيه أحدٌ من خَلقِه، ولا يعتريه معه نقصٌ.

[٣] عُلُوُّ القَهْرِ: ومَعناهُ أنَّ الله تعالىٰ قهَرَ جميع المَخلوقاتِ، فلا يَخرُجُ أحدٌ منهم عن سُلطانِه وقَهرِه.

أدلَّة عُلُوِّ الله عَزَّوَجَلَّ:

[١] الكتاب: قولُه تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة].

[٢] السُّنَّة: قولُه ﷺ: «**رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ**». أخرجه أحمد وأبو داود. وإقرارُه الجارية حين سألها: «**أَيْنَ اللهُ؟**»، قالت: في السَّماء، فلم يُنكر عليها، بل قال لسيِّدها: «**أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**». أخرجه مسلمٌ. وفي حجَّة الوداع أشهدَ النَّبيُّ ﷺ ربَّه علىٰ إقرار أمَّته بالبَلاغ، وجعل يرفع إصبعه إلىٰ السَّماء ثمَّ ينكُتُها إلىٰ النَّاس وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». مُتَّفقٌ عليه.

[٣] الإجماع: فهو مَعلومٌ بين السَّلف، ولم يُعلَم أنَّ أحدًا منهم قال بخلافِه.

[٤] العقل: لأنَّ العُلُوَّ صفةُ كمالٍ، واللهُ سبحانه مُتَّصِفٌ بكلِّ كمالٍ، فوجب ثبوتُ العُلُوِّ له.

[٥] الفطرة: فإنَّ كلَّ إنسانٍ مَفطورٌ علىٰ الإيمان بعُلُوِّ الله، ولذلك إذا دعا ربَّه وقال: يا ربِّ؛ لم ينصرف قلبُه إلَّا إلىٰ السَّماء.

تنبيهٌ: الَّذي أنكرَه الجهميَّةُ من أقسام العُلُوِّ عُلُوُّ الذَّات، ونرُدُّ عليهم بما سبقَ في الأدلَّة.

اسْتِوَاءُ اللّهِ عَلَى عَرْشِهِ

الاستواء:

[١] **مَعناه:**
عُلُوُّه واستقرارُه عليه، وقد جاء عن السَّلف تفسيرُه بـ: العُلُوِّ، والاستقرارِ، والصُّعودِ، والارتفاع، والصُّعودُ والارتفاعُ يرجعان إلىٰ مَعنىٰ العُلُوِّ.

[٢] **دليلُه:**
قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، وقد ذُكِرَ في سبعة مَواضِعَ من القرآنِ، في: سورة الأعراف، ويونس، والرَّعد، وطه، والفرقان، وتنزيل السَّجدة، والحديد.

يُرَدُّ على من فسَّرَ الاستِواءَ بالاستيلاءِ والـمُلكِ بأمورٍ:

[١] أنَّه خلافُ ظاهرِ النَّصِّ.

[٢] أنَّه خلافُ ما فسَّرَه به السَّلفُ.

[٣] أنَّه يلزم عليه لوازمُ باطلةٌ.

العرشُ:

[١] **لغةً:** سريرُ المُلكِ الخاصُّ به.

[٢] **شرعًا:** ما استوىٰ اللهُ عليه.

وهو من أعظم مَخلوقاتِ الله، بل أعظم ما علمنا منها، فقد جاء عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلَقَةِ**». أخرجه ابن حبَّان. فتبارك الله ربُّ العالمين.

الْـمَعِيَّةُ وَالْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعُلُوِّ

الـمَعيَّة:

[١] مَعناها لغةً:
المُقارَنَةُ والمُصاحبةُ.

[٢] دليلُ ثبوتِها لله عَزَّوَجَلَّ:
قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

تنقسم الـمعيَّة إلى قسمين:

[١] عامَّةٍ:
هي: الشَّاملة لجميع الخلق؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].
ومُقتَضاها: الإحاطةُ بالخلقِ علمًا، وقُدرةً، وسُلطانًا، وتدبيرًا.

[٢] وخاصَّةٍ:
هي: الَّتي تختصُّ بالرُّسل وأتباعهم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التَّوبة:٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النَّحل].
ومُقتَضاها مع الإحاطةِ: النَّصرُ، والتَّأييدُ.

الجمعُ بين الـمَعِيَّة والعُلُوِّ من وجهين:

[١] أنَّه لا مُنافاةَ بينهما في الواقع، فقد يجتمعان في شيءٍ واحدس، ولذلك تقول: (ما زلنا نسيرُ والقمرُ معنا)؛ مع أنَّه في السَّماءِ.

[٢] أنَّه لو فُرِضَ أنَّ بينهما مُنافاةً في حقِّ المَخلوقِ لم يلزم أن يكون بينهما مُنافاةٌ في حقِّ الخالقِ؛ لأنَّه ليس كمثله شيءٌ، وهو بكلِّ شيءٍ مُحيطٌ.

لا يصحُّ تفسيرُ مَعِيَّةِ اللهِ بكونِه معنا بذاتِه في الـمَكانِ؛ لأمورٍ:

[١] أنَّه مُستحيلٌ علىٰ الله، حيث يُنافي عُلُوَّه، وعُلُوُّه مِن صِفاتِه الذَّاتيَّةِ الَّتي لا ينفكُّ عنها.

[٢] أنَّه خلافُ ما فسَّرَها به السَّلفُ.

[٣] أنَّه يلزَمُ علىٰ هذا التَّفسيرِ لوازمُ باطلةٌ.

مَعْنَى كَوْنِ اللهِ فِي السَّمَاءِ

يحتمل أنَّ (في) بمعنى:

[١] **(على)**: فتكون بمعنىٰ (علىٰ السَّماء) أي: فوقها؛ كما جاءت بهذا المعنىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١١]، أي: عليها.

[٢] **الظَّرفيَّة**: له معنيان:

[أ] **العلُوّ**: فيكون المعنىٰ أنَّ اللهَ في العُلُوِّ، وقد جاءت السَّماء بمعنىٰ العُلُوِّ في قوله تعالىٰ: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾[الرَّعد:١٧].

[ب] **الأجرامُ الـمَحسوسةُ**: وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّه يوهم أنَّ السَّماء تحيطُ بالله، وهذا مَعنًىٰ باطلٌ؛ لأنَّ اللهَ أعظمُ من أن يُحيطَ به شيءٌ من مَخلوقاتِه.

قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ في كَلَامِ اللّهِ تَعَالَى

قولُهم: أنَّه صفةٌ من صفاته، لم يزل ولا يزال يتكلَّم بكلامٍ حقيقيٍّ، بصوتٍ لا يُشبه أصواتَ المَخلوقينَ، وحروفٍ، يتكلَّمُ بما شاءَ، ومتىٰ شاءَ، وكيف شاءَ.

أدلَّة أهل السُّنَّة على إثبات:

[١] **صفة الكلام:** كثيرةٌ، منها قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النِّساء]. وقوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣].

[٢] **أنَّه بصوتٍ:** قولُه تعالىٰ: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ [مريم]. وقولُه ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّي، وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟...**». مُتَّفقٌ عليه.

[٣] **أنَّه بحروفٍ:** قولُه تعالىٰ: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]، فمقولُ القولِ هنا حُروفٌ.

[٤] **أنَّ كلامه عَزَّ وَجَلَّ بمشيئته:** قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فالتَّكليمُ حصل بعد مَجيءِ موسىٰ عليه الصَّلاة والسَّلام.

كلامُ اللّهِ تعالى:

[١] **صفةُ ذاتٍ**: باعتبار أصلِه، فإنَّ الله لم يزلْ ولا يزالُ قادرًا علىٰ الكلام مُتكلِّمًا.

[٢] **صفةُ فعلٍ**: باعتبار آحادِه؛ لأنَّ آحاد الكلام تتعلَّق بمَشيئتِه، متىٰ شاء تكلَّم.

أكثَرَ المُؤلِّفُ من ذِكر أدلَّةِ الكلامِ؛ لأنَّه أكثرُ ما حصلت فيه الخُصومةُ ووقعت به الفتنة.

قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

القرآنُ الكريمُ:

[١] كلامُ اللهِ: دليلُهم قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التَّوبة:٦]، يعني: القرآنَ.

[٢] مُنزَّلٌ: ودليلُهم قولُه تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان:١]. وقولُه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأنعام].

[٣] غيرُ مَخلوقٍ: والدَّليلُ قولُه تعالىٰ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤]، فجعل الأمرَ غيرَ الخلقِ، والقرآنُ من الأمرِ؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشُّورىٰ:٥٢]، ولأنَّ القُرآنَ من كلامِ اللهِ؛ وكلامُ اللهِ صفةٌ من صِفاتِه؛ وصِفاتُ اللهِ غيرُ مَخلوقةٍ.

[٤] منه بدأ: ومَعناهُ: أنَّ اللهَ تكلَّم به ابتداءً.

[٥] وإليه يعود: ومَعناهُ: أنَّه يرجعُ إلىٰ اللهِ في آخرِ الزَّمانِ حينما يُرفَعُ من المَصاحفِ والصُّدورِ؛ تكريمًا له إذا اتَّخذه النَّاسُ هُزُوًا ولَهْوًا.

السُّنَّةُ

وَقَدْ وَرَدَ فِيهَا صِفَاتٌ لَيْسَتْ فِي الْقُرْآنِ

معنى السُّنَّة:

[١] **لغةً:**
الطَّريقة.

[٢] **اصطلاحًا:**
(شريعة النَّبيِّ ﷺ من: قوله، أو فعله، أو إقراره؛ خبرًا كانت أو طلبًا).

الواجبُ تجاه سنَّة النَّبيِّ ﷺ:

[١] **الواجب:**
الإيمانُ بما جاء فيها واجبٌ؛ كالإيمان بما جاء في القرآن، سواءٌ في أسماء الله وصفاته، أو في غيرها.

[٢] **الدَّليل:**
قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر:٧]، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النِّساء:٨٠].

صِفَةُ النُّزُولِ

نزولُ اللّهِ إلى السَّماءِ الدُّنيا:

[١] **دليلُه:**
قوله ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ؛ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟». مُتَّفَقٌ عليه.

[٢] **مَعناه عند أهل السُّنّة:**
أنَّه ينزلُ بنفسِه سُبحانَه نُزولًا حقيقيًّا يليقُ بجَلالِه، ولا يَعلَمُ كيفيَّتَه إلَّا هو.

[٣] **علاقتُه بالعُلُوِّ:**
نزولُه سُبحانَه إلىٰ السَّماء الدُّنيا لا يُنافي عُلُوَّه؛ لأنَّ اللهَ سُبحانَه ليس كمثلِه شيءٌ، ولا يُقاسُ نُزولُه بنُزولِ مَخلوقاتِه.

ذهبَ أهلُ التَّأويلِ إلى أنَّه نزولُ أمرِه، ونردُّ عليهم بما يأتي:

[١] أنَّه خلافُ ظاهرِ النَّصِّ، وإجماعِ السَّلف.

[٢] أنَّ أمرَ اللهِ ينزلُ كلَّ وقتٍ، وليس خاصًّا بثُلُثِ اللَّيلِ الآخرِ.

[٣] أنَّ الأمرَ لا يُمكنُ أن يقول: (مَن يدعوني فأستجيب له؟) إلخ.

الْفَرَحُ وَالضَّحِكُ

الفرح صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] معناها:
فرحٌ حقيقيٌّ يليقُ بالله، ولا يصحُّ تفسيرُه بالثَّوابِ؛ لأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ، وإجماع السَّلف.

[٢] دليلُها:
قوله ﷺ: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...**». أخرجه مسلمٌ.

الضَّحك صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] معناها:
ضحكٌ حقيقيٌّ يليق بالله، وفسَّره أهلُ التَّأويل بالثَّواب، ونردُّ عليهم بأنَّه مُخالفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف.

[٢] دليلُها:
قوله ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، كِلَاهُمَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ**». مُتَّفقٌ عليه.

صورة المسألة الَّتي في الحديث: أنَّ كافرًا يقتُلُ مُسلمًا في الجهادِ، ثمَّ يُسلِم ذلك الكافرُ، ويموتُ علىٰ الإسلامِ، فيَدخُلانِ الجنَّةَ كلاهما.

الْعَجَبُ

العَجَبُ صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] معنى العَجَبِ في حقِّه عَزَّوَجَلَّ:

[أ] الـمُثبَتُ: عجبٌ حقيقيٌّ يليقُ بالله، سببُه خروجُ الشَّيءِ عن نظائرِه، أو عمَّا ينبغي أن يكونَ عليه.

[ب] الـمَنفيُّ: ما كان سببُه الجهلُ بسبَبِ المُتعجَّبِ منه؛ لأنَّ اللهَ لا يخفىٰ عليه شيءٌ.

[٢] دليلُه من الكتابِ: قولُه تعالىٰ: ﴿بَلْ عَجِبْتُ﴾ علىٰ قراءة ضمِّ التَّاء.

[٣] دليلُه من السُّنَّةِ: قولُه ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ**». أخرجه أحمد وابن ماجه.

وفسَّر أهلُ التَّأويل العَجَبَ بثوابِ الله أو عُقوبَتِه، ويُرَدُّ عليهم بأنَّه خلافُ ظاهرِ النَّصِّ وإجماعِ السَّلفِ.

الْقَدَمُ

الْقَدَمُ صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] مَعناها:

فسَّر أهلُ السُّنَّة الرِّجْلَ والقَدَمَ بأنَّها حقيقيَّةٌ علىٰ الوجه اللَّائق بالله.

وفسَّر أهلُ التَّأويل الرِّجلَ بالطَّائفة -أي: الطَّائفةُ الَّذين يضعُهم اللهُ في النَّار-، والقدم بالمُقدَّمين إلىٰ النَّار.

ونردُّ عليهم بأنَّ تفسيرَهم مُخالِفٌ لظاهر اللَّفظ وإجماع السَّلف، وليس عليه دليلٌ.

[٢] دليلُها:

قولُه ﷺ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ** -وفي روايةٍ: **عَلَيْهَا قَدَمَهُ**-؛ **فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ!**». مُتَّفقٌ عليه.

حَدِيثَانِ فِي الصِّفَاتِ

الحديث الأوَّل:

قال ﷺ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ».

أخرجه أبو داود.

وفيه إثبات جملةٍ من صفات الله عَزَّوَجَلَّ:

- [١] ربوبيَّةُ الله عَزَّوَجَلَّ.
- [٢] عُلُوُّه في السَّماءِ.
- [٣] تَقَدُّسُ أسمائِه عن كلِّ نقصٍ.
- [٤] الرَّحمة.
- [٥] أنَّ له الأمر في السَّماءِ والأرضِ، فحكمُه فيهما نافِذٌ.
- [٦] الشِّفاءُ، وهو رفعُ المَرضِ.

الحديث الثَّاني:

قَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟»، قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «مَنْ أَنَا؟»، قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وفيه إثبات صفتين من صفات الله عَزَّوَجَلَّ:

- [١] إثباتُ المكانِ لله.
- [٢] أنَّه في السَّماء.

كَوْنُ اللّهِ تَعَالَى قِبَلَ وَجْهِ الْـمُصَلِّي

الـمُقابلةُ صفةٌ لله عَزَّوَجَلَّ:

[١] إثباتها:
ثابتةٌ لله حقيقةً علىٰ الوجه اللّائق به، ولا تُنافي عُلُوَّه.

[٢] دليلُها:
قولُه ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ...». مُتَّفَقٌ عليه.

الجمعُ بين الـمُقابلة والعُلُوِّ من وجهين:

[١] الوجهُ الأوَّلُ:
أنَّ الاجتماعَ بينهما مُمكنٌ في حقِّ المَخلوق؛ كما لو كانت الشَّمسُ عند طُلوعِها، فإنَّها قِبَلَ وجهِ مَن استقبلَ المَشرِقَ، وهي في السَّماءِ، فإذا جاز اجتماعُها في المَخلوقِ فالخالقُ أَولىٰ.

[٢] الوجهُ الثَّاني:
أنَّه لو لم يُمكنِ اجتماعُها في حقِّ المَخلوقِ، فلا يَلزَمُ أن يمتنعَ في حقِّ الخالقِ؛ لأنَّ الله ليس كمثلِه شيءٌ.

الْقُرْبُ

قُربُ الله تعالى من عِباده:

[١] مَعناهُ:
هو دُنُوُّه منهم، وهو قُربٌ حقيقيٌّ يليق بالله تعالىٰ، ولا يُنافي عُلُوَّه؛ لأنَّه تعالىٰ بكلِّ شيءٍ مُحيطٌ، ولا يُقاسُ بخَلقِه؛ لأنَّه ليس كمثلِه شيءٌ.

[٢] دَليلُه من القرآنِ:
قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦].

[٣] دَليلُه من السُّنَّةِ:
قوله ﷺ: «**إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا**». مُتَّفَقٌ عليه.

رُؤْيَةُ الْعِبَادِ لِرَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ

رُؤية الـمُؤمنين لله عَزَّ وَجَلَّ ثابتةٌ بـ:

[١] الكتاب:

: قال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦]، وقد فسَّر النَّبيُّ ﷺ الزِّيادة بالنَّظر إلىٰ وجهِ الله. أخرجه مسلمٌ.

[٢] السُّنَّة:

قال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا». مُتَّفَقٌ عليه.

تنبيهٌ: التَّشبيهُ في هذا الحديث للرُؤيَةِ بالرُّؤيَةِ، لا للمَرْئِيِّ بالمَرْئِيِّ؛ لأنَّ كافَ التَّشبيه داخلةٌ علىٰ فِعلِ الرُّؤيةِ المُؤوَّلِ بالمَصدرِ، ولأنَّ اللهَ ليس كمِثلِه شيءٌ.
والمُرادُ بالصَّلاتين المَذكورَتَين صلاتا الفَجرِ والعَصرِ.

رُؤية الله عَزَّ وَجَلَّ خاصَّةٌ بـ:

[١] الآخرة:

ولا تكونُ في الدُّنيا؛ لقولِه تعالىٰ لمُوسىٰ حينَ سأله رُؤيته ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[الأعراف:١٤٣]، وقولِه ﷺ: «وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّىٰ تَمُوتُوا». أخرجه ابن ماجه والحاكم.

[٢] المُؤمنِين:

ولا تشمَلُ الكُفَّارَ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ١٥﴾ [المُطففِّين].

دَليلُ كَونِ الرُّؤية بالعين:

[١] أنَّ اللهَ أضافَ النَّظرَ إلىٰ الوجهِ الَّذي هو مَحلُّ العين؛ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة].

[٢] أنَّه جاء عن البخاريِّ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا**».

وفسَّره أهلُ التَّأويلِ برُؤيةِ الثَّواب، أي: إنَّكم سترون ثوابَ ربِّكم، ونرُدُّ عليهم بأنَّه خلافُ ظاهرِ اللَّفظ وإجماعِ السَّلف، وليس عليه دليلٌ.

مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ وَالأَشْعَرِيَّةِ وَالْكُلابِيَّةِ فِي الكَلَامِ

مَذاهب الفِرق الثَّلاث في كلامِ الله:

[١] الجهميَّة:
أنَّه خلقٌ مِن مَخلوقاتِه، لا صفةٌ من صِفاتِه، وإنَّما أضافَهُ الله إليه تشريفًا وتكريمًا؛ كما أضاف إليه البيتَ والنَّاقة في قولِه: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ [الحج:٢٦]، وقولِه: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:٧٣].

[٢] الأشعريَّة:
أنَّ الكلام صِفةٌ من صِفاتِه، لكنَّه هو المَعنىٰ القائمُ بالنَّفس، وهذه الحُروفُ مَخلوقةٌ لتُعَبِّر عنه.

[٣] الكُلَّابيَّة:
مثل قول الأشعريَّة، إلَّا أنَّهم سَمَّوُا الألفاظَ حكايةً لا عبارةً.

وعلىٰ مَذهبيهما: ليس كلامُ الله تعالىٰ بحَرفٍ وصوتٍ، وإنَّما هو المَعنىٰ القائمُ بنفسِه.

وَسَطِيَّةُ هَذِهِ الأُمَّةِ بينَ الأُمَمِ

هذه الأُمَّةُ وسطٌ بينَ الأُمَمِ:

ودليل ذلكَ قولُه تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾[البقرة:١٤٣]، وقولُه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران:١١٠].
ومثال وسطيَّتها في:

[١] العِبادات:
ما رفعَه اللهُ عن هذه الأمَّة من الحرجِ والمشقَّة اللَّذَين كانا علىٰ مَن قبلها، فهذه الأمَّة إذا عَدِموا الماءَ تيمَّموا وصَلَّوْا في أيِّ مَكانٍ، بينما الأممُ الأخرىٰ لا يُصَلُّون حتَّىٰ يجدوا الماءَ، ولا يُصَلُّون إلَّا في أمكِنَةٍ مُعيَّنةٍ.

[٢] غيرِ العِبادات:
القصاصُ في القتلِ كان مَفروضًا علىٰ اليَهودِ، ومَمنوعًا عند النَّصارىٰ، ومُخيَّرًا بينه وبين العَفوِ أو الدِّية عند هذه الأمَّة.

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَسَطٌ بَيْنَ فِرَقِ الأُمَّةِ

فِرَقُ هذه الأُمَّةِ:

فِرَقُ هذه الأمَّةِ ثلاثٌ وسبعونَ فرقةً، والنَّاجي مِنها مَن كانَ علىٰ مِثلِ ما عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابُه، وكلُّها في النَّارِ إلَّا النَّاجيةُ؛ لقوله ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي». [حديثٌ مُلفَّقٌ - يُنظر «العرش» للذَّهبيِّ.]

أهلُ السُّنَّةِ والجَماعَةِ وسطٌ بين فِرَقِ الأمَّةِ في أُصولٍ خَمسَةٍ:

- [١] أسماءِ الله وصِفاتِه.
- [٢] القضاءِ والقَدرِ.
- [٣] الوَعيدِ بالعَذابِ.
- [٤] أسماءِ الإيمانِ والدِّينِ.
- [٥] أصحابِ النَّبيِّ ﷺ.

[١] في بابِ أسماءِ اللهِ وصِفاتِه:

- [أ] **أهل التَّعطيل:** يُنكِرونَ صِفاتِ اللهِ.
- [ب] **أهلُ السُّنَّة:** يُثبِتونَها بلا تشبيهٍ.
- [ج] **أهل التَّشبيه:** يُثبِتونَها مع التَّشبيهِ.

[٢] في بابِ القضاءِ والقَدرِ (الَّذي عبَّرَ عنه الـمُؤلِّفُ بأفعالِ اللّهِ):

[أ] الجَبريَّة: يُثبِتونَ قضاءَ الله في أفعالِ العبدِ، ويقولون: إنَّه مُجبَرٌ لا قُدرةَ له، ولا اختيارَ.

[ب] أهلُ السُّنَّة: يُثبِتونَ قضاءَ اللهِ في أفعالِ العَبدِ، ويقولون: إنَّ له قُدرَةً واختيارًا أودَعَهُما اللهُ فيه، مُتعلِّقَينِ بقضاءِ اللهِ.

[ج] القَدَريَّة: يُنكِرونَ قضاءَ الله في أفعالِ العبدِ، ويقولون: إنَّ العبدَ قادرٌ مُختارٌ، لا يتعلَّق فِعلُه بقضاءِ اللهِ.

[٣] في بابِ الوَعيدِ بالعَذابِ:

[أ] الوَعيديَّة: يقولونَ: فاعلُ الكَبيرةِ مُخلَّدٌ في النَّارِ.

[ب] أهلُ السُّنَّة: يقولونَ: مُستحِقٌّ لدُخولِ النَّار دونَ الخُلودِ فيها.

[ج] الـمُرجِئة: يقولونَ: لا يدخُلُ النَّارَ، ولا يستحِقُّ ذلكَ.

[٤] في بابِ أسماءِ الإيمانِ والدِّينِ:

[أ] الـمُرجِئة: يُسَمُّون فاعلَ الكَبيرةِ مُؤمنًا كاملَ الإيمانِ.

[ب] أهلُ السُّنَّة: يقولون: إنَّه مُؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو: مُؤمنٌ بإيمانِه فاسقٌ بكَبيرَتِه.

[ج] الـمُعتَزلة والحَروريَّة: يُسَمُّون فاعلَ الكَبيرةِ غيرَ مُؤمنٍ، لكنَّ:

- **الـمُعتَزلة:** يقولونَ: لا مُؤمِنٌ ولا كافرٌ، في مَنزلةٍ بين مَنزلتين.
- **الحَروريَّة:** يقولونَ: إنَّه كافرٌ.

[٥] في بابِ أصحابِ النَّبيِّ ﷺ:

[أ] الرَّوافض:
بالَغوا في حُبِّ آلِ النَّبيِّ ﷺ، وغَلَوْا فيهم حتَّىٰ أنزَلوهُم فوقَ مَنزلَتِهم.

[ب] أهلُ السُّنَّة:
يُحبُّونَ الصَّحابة جميعَهم، ويُنَزِّلون كلَّ واحدٍ مَنزلَتَه الَّتي يستحقُّها من غير غُلُوٍّ ولا تَقصيرٍ.

[ج] الخَوارج:
يُبغِضون آلَ النَّبيِّ ﷺ ويَسُبُّونَهم.

طَوَائِفُ الْـمُبْتَدِعَة
الَّذِينَ أَشَارَ إِلَيْهِمُ الْـمُؤَلِّفُ فِي هَذِهِ الأُصُولِ السَّابِقَة

ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ أربع طوائف:

[١] **الجهميَّة:** وهم أتباعُ الجهم بن صفوان، الَّذي أخذ التَّعطيل عن الجعد بن درهم، وقُتِل في خُراسان سنة ١٢٨هـ.

[٢] **الـمُعتزلة:** وهم أتباعُ واصل ابن عطاءَ، الَّذي اعتزل مجلس الحسن البصريِّ حين كان الحسنُ يُقرِّر أنَّ فاعل الكبيرة مُؤمنٌ ناقص الإيمان، فاعتزله واصلٌ وجعل يُقرِّر أنَّ فاعلَ الكبيرةِ في منزلةٍ بين مَنزلتينِ.

[٣] **الخوارج:** سُمُّوا بذلك لخُروجهم علىٰ إمام المسلمين، ويُقال لهم: الحَروريَّة؛ نسبةً إلىٰ حَروراء، مَوضعٌ بالعراق قرب الكوفة، خرجوا فيه علىٰ عليِّ بن أبىٰ طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كانوا من أشدِّ النَّاس تَديُّنًا في الظَّاهر، حتَّىٰ قال فيهم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ**»، «**يَقْرَءُونَ الْقُرْءَانَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». مُتَّفقٌ عليهما.

[٤] **الرَّوافض:** سُمُّوا شيعةً لتَشيُّعِهم لآل البيتِ، وسُمُّوا روافض لأنَّهم رفضوا زيد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبىٰ طالب، حين سألوه عن أبي بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فأثنىٰ عليهما، وقال: (هما وزيرا جدِّي)، يعني: النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فانصرفوا عنه ورفضوه.

[١] مذهبُ الجهميَّة:

[١] في الصِّفات: إنكارُ صفاتِ الله، وغُلاتُهم يُنكِرون حتَّىٰ الأسماءَ، ولذلك سُمُّوا بالمُعطِّلة.

[٢] في أفعالِ العباد: أنَّ العبدَ مَجبورٌ علىٰ عمله، ليس له قُدرةٌ ولا اختيارٌ، ومِن ثَمَّ سُمُّوا جَبريَّةً.

[٣] في الوعيد وأسماءِ الإيمانِ والدِّين: أنَّ فاعل الكبيرةِ مُؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، ولا يدخل النَّارَ، ولذلك سُمُّوا مُرجِئَةً.

فهم أهلُ **الجيماتِ الثَّلاث**: تجهُّمٌ، وجَبرٌ، وإرجاءٌ.

[٢] مذهبُ الـمُعتزلة:

[١] في الصِّفات: إنكارُ صفاتِ الله كالجهميَّة.

[٢] في أفعالِ العباد: أنَّ العبد مُستقِلٌّ بفعلِه، يفعل بإرادةٍ وقُدرةٍ مُستقِلًا عن قضاء الله وقدره، عكس الجهميَّة؛ ولذلك سُمُّوا قدريَّةً.

[٣] في الوعيد: أنَّ فاعل الكبيرة مُخلَّدٌ في النَّار، عكس الجهميَّة القائلين بأنَّه لا يدخلُ النَّارَ، ولذلك سُمُّوا الوَعيديَّةَ.

[٤] في أسماءِ الإيمانِ والدِّين: أنَّ فاعل الكبيرة فِي مَنزلةٍ بين مَنزلتين، ليس مُؤمنًا ولا كافرًا، عكس الجهميَّة القائلين بأنَّه مُؤمنٌ كامل الإيمان، ولذلك سُمُّوا أصحاب المَنزلة بين مَنزلتينِ.

[٣] مذهبُ الخَوارجِ:

في الوعيدِ: أنَّ فاعلَ الكبيرةِ مُخلَّدٌ في النَّار، كافرٌ يحِلُّ دمُه ومالُه، ومِن ثَمَّ استباحوا الخُروجَ علىٰ الأئمَّة إذا فسقوا.

[٤] مذهبُ الرَّوافضِ:

في الصَّحابة رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ: أنَّهم يغلُونَ في آلِ بيت النَّبيِّ ﷺ، ويُفضِّلون عليَّ بن أبىٰ طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ علىٰ جميع الصَّحابةِ، ومنهم من يُفضِّلُه علىٰ النَّبيِّ ﷺ، ومنهم من يجعله ربًّا.

الْيَوْمُ الآخِرُ

الْيَوْمُ الآخِرُ:

هو يومُ القيامةِ.

ويدخلُ في الإيمان به: كلُّ ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ ممَّا يكونُ بعد الموتِ؛ كفتنة القبرِ، وعذابه، ونعيمه، وغير ذلك.

والإيمانُ به واجبٌ.

ومَنزِلتُه من الدِّين أنَّه أحدُ أركان الإيمانِ السِّتَّةِ.

فِتْنَةُ الْقَبْرِ

فِتْنَةُ القَبْرِ: سُؤالُ الملَكين (مُنكَرٍ ونكيرٍ) الميِّتَ عن: ربِّه، ودينِه، ونبيِّه:

[١] **جوابُ المُؤمنِ:** يُثبِّتُ الله الَّذين آمنوا بالقول الثَّابت، فيقول المُؤمن: (ربِّي اللهُ، وديني الإسلامُ، ونبيِّي مُحمَّدٌ ﷺ).

[٢] **جوابُ المُرتاب أو الكافر:** يقول: (هاه هاه، لا أدري، سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئًا فقُلْتُه).

فِتنةُ القبرِ عامَّةٌ لكلِّ ميِّتٍ إلَّا:

[١] الشَّهيدُ.

[٢] من مات مُرابطًا في سبيلِ اللهِ.

[٣] الرُّسل لا يُسألُونَ؛ لأنَّهم المَسؤولُ عنهم.

واختُلِفَ في غير المُكلَّفِ؛ كالصَّغير:

[١] فقيلَ: يُسألُ؛ لعُمومِ الأدلَّةِ.

[٢] وقيلَ: لا؛ لعدمِ تكليفِهِ.

قَولُ أهلِ السُّنَّةِ في نعيمِ القبرِ وعَذابِه:

أنَّه حقٌّ ثابتٌ؛ لقولِه تعالىٰ في آلِ فِرعونَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]، وقولِه في المُؤمِنينَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصِّلت].

ولقولِه ﷺ في الكافر حين يُسأَلُ في قبره فيُجيبُ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَىٰ النَّارِ**»، وقولِه في المُؤمن إذا سُئِلَ في قبره فأجابَ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا مِنَ الْجَنَّةِ**». أخرجه أحمد وأبو داود.

هل عذابُ القبرِ ونعيمُه على الرُّوحِ أم البَدَنِ؟

[١] علىٰ الرُّوحِ فقط.

[٢] وقد تتَّصلُ بالبدن أحيانًا.

هل عذابُ القبرِ ونعيمُه يستمرَّان؟

[١] العذاب:

[أ] **على الكافرين**: مُستمِرٌّ.

[ب] **على الـمُؤمنين**: بحسبِ ذُنوبِهم.

[٢] النَّعيم:

للمُؤمِنين خاصَّةً.
والظَّاهرُ استمرارُه.

الجمعُ بين ما ثبت من توسيع قبر الـمُؤمن وتضييق قبر الكافر، وأنَّه لو فُتِح لوُجِد بحاله:

[١] أنَّ ما ثبتَ في الكتاب والسُّنَّة وجب تصديقُه والإيمانُ به، سواءٌ أدركته عقولُنا وحَواسُّنا أم لا؛ لأنَّه لا يُعارَضُ الشَّرعُ بالعقل، لا سيما في الأمور الَّتي لا مجالَ للعقلِ فيها.

[٢] أنَّ أحوالَ القبرِ مِن أمورِ الآخرة الَّتي اقتضَت حكمةُ الله أن يَحجُبَها عن حواسِّ الخلقِ وعقولِهم امتحانًا لهم، ولا يجوز أن تُقاسَ بأحوالِ الدُّنيا؛ لتَبايُنِ ما بين الدُّنيا والآخرةِ.

القِيامَةُ

القِيامةُ نوعان:

[١] **صُغرى:** كالموت، فكلُّ مَن ماتَ فقد قامت قِيامَتُه.

[٢] **كُبرى:** وهي المَقصودة هنا، وهي: (قيامُ النَّاس بعد البعثِ للحسابِ والجزاءِ)، وسُمِّيت بذلك:

[١] لِقيامِ النَّاسِ فيها.

[٢] وقيامِ العَدلِ.

[٣] وقيامِ الأشهادِ.

أدلَّة ثُبوتِ القِيامة:

[١] **الكتابُ:** قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المُطفِّفين].

[٢] **السُّنَّة:** قوله ﷺ «**إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». مُتَّفقٌ عليه. وفيه ذِكرُ ثلاثِ صفاتٍ للنَّاس يوم الحشَّر:

[٣] **الإجماع:** فقد أجمعَ المُسلمونَ وجميعُ أهل الأديان السَّماويَّةِ علىٰ إثباتِ يوم القيامةِ، فمَن أنكرَه أو شكَّ فيه فهو كافرٌ.

[١] **حُفَاةً:** غيرَ مُنتَعِلينَ.

[٢] **عُرَاةً:** غيرَ مُكتَسِينَ.

[٣] **غُرْلاً:** غيرَ مَختونينَ.

أشراطُ السَّاعة:

للقِيامةِ عَلاماتٌ تُسمَّىٰ الأشراطَ؛ كخُروجِ الدَّجَّال، ويَأجوجَ ومَأجوجَ، وطُلوعِ الشَّمس من مَغرِبِها، وجُعِلت لها هذه الأشراطُ؛ لأنَّها يومٌ عظيمٌ وهامٌّ، فكان لها تلك المُقدِّماتُ.

مَا ذَكَرَهُ الْـمُؤَلِّفُ مِمَّا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

ذكر المُؤلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ سبعة أمورٍ تكون يوم القِيامةِ:

الأوَّل: دُنُوُّ الشَّمس مِن الخَلق

بقَدرِ ميلٍ أو ميلَينِ، فيَعرقُ النَّاس بقَدرِ أعمالِهم، فمنهم:

[١] مَن يَصِلُ عرقُه إلىٰ كعبيه.

[٢] مَن يُلجِمُه.

[٣] مَن بينَ ذلِكَ.

[٤] مَن يسلَمُ مِن الشَّمس، فيُظِلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلَّا ظلُّه؛ مثل: الشَّابِّ إذا نشأ في طاعةِ الله، والرَّجلِ المُعلَّقِ قلبُه بالمَساجِدِ.

الثَّاني: وضعُ الـمَوازين (جمعُ ميزانٍ)

[١] **عملُها**: يضعُها اللهُ لتُوزَنَ فيها أعمالُ العِبادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾[المؤمنون].

[٢] **حقيقةُ الـميزان**: حقيقيٌّ، له كِفَّتان، خلافًا للمُعتزلة القائلين بأنَّه العدل لا ميزانٌ حقيقيٌّ.

[٣] **تعدُّدها**: ذُكر في القرآن مجموعًا، وفي السُّنَّة مَجموعًا ومُفردًا:

- [أ] **فقيلَ**: إنَّه ميزانٌ واحدٌ، وجُمِع باعتبارِ المَوزونِ.
- [ب] **وقيلَ**: مُتعدِّدٌ بحسب الأمم أو الأفراد، وأُفرِدَ باعتبارِ الجنسِ.

الثَّالث: نشرُ الدَّواوينِ

أي: فتحُها وتوزيعُها، وهي: (صحائف الأعمال الَّتي كتبتها المَلائكةُ علىٰ الإنسانِ)، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[الإسراء].

[١] **فالـمُؤمن**: يأخذُ كتابَه بيمينه، قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾[الانشقاق].

[٢] **والكافرُ**: يأخذ كتابه:

[أ] **من وراء ظهره**: قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾[الانشقاق].

[ب] **بشماله**: قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾[الحاقَّة].

الرَّابع: الحسابُ، وهو مُحاسَبةُ الخَلائقِ على أعمالِهم، وكيفيَّته:

[١] **للمُؤمنِ**:
أنَّ الله يخلو به فيُقَرِّره بذُنوبه، ثمَّ يقول: «**قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ**». مُتَّفقٌ عليه.

[٢] **للكافرِ**:
أنَّه يُوقَفُ علىٰ عملِه، ويُقرَّرُ به، ثمَّ يُنادىٰ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[هود].

وأوَّل ما يُحاسَبُ عليه العبدُ من حُقوقِ الله الصَّلاةُ.
وأوَّل ما يُقضىٰ بينَ النَّاس الدِّماءُ.
ومن النَّاسِ من يدخُلُ الجنَّة بلا حساب، وهم الَّذين «**لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». مُتَّفقٌ عليه. ومنهم عُكاشة بن مِحصَنٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الخامسُ: الحَوضُ الـمَورودُ

يُعطَىٰ للنَّبيِّ ﷺ في عَرَصاتِ القِيامةِ -أي: مَواقِفِها-، يَرِدُه المُؤمنون من أمَّته، ومن شرب منه لم يظمأ أبدًا، طولُه شهرٌ وعَرضُه شهرٌ، وآنيتُه كنُجوم السَّماءِ، وماؤُه أشدُّ بياضًا من اللَّبَنِ، وأحلىٰ من العسل، وأطيب من رائحة المِسكِ.
ولكلِّ نبيٍّ حوضٌ يرِدُه المُؤمنون من أُمَّتِه، لكنَّ الحوضَ الأعظمَ حوضُ النَّبيِّ ﷺ.
وقد أنكر المعتزلةُ وُجودَ الحَوضِ، وقَولُهم مَردودٌ بما تواترت به الأحاديثُ من إثباتِه.

السَّادس: الصِّراطُ

وهو الجسرُ المَنصوبُ علىٰ جهنَّمَ، أدقُّ من الشَّعر وأحدُّ من السَّيف، عليه كلاليبُ تخطِفُ النَّاس بأعمالِهم.
يمرُّون عليه علىٰ قدر أعمالهم: فمنهم من يمُرُّ كلَمحِ البصرِ، ومنهم من يمُرُّ كالبَرقِ، ومنهم من يمُرُّ كالرِّيحِ، ومنهم من يمُرُّ كالفرسِ الجَوادِ، ومنهم من يمُرُّ كرَكائبِ الإبلِ، ومنهم من يَعدو عَدْوًا، ومنهم من يَمشي مَشيًا، ومنهم من يزحَفُ زَحفًا، ومنهم من يُخطَفُ فيُلقىٰ في النَّارِ فيُعَذَّبُ بقَدرِ عَمَلِه.
فإذا عبروا الصِّراطَ وُقِفوا علىٰ قنطرةٍ بين الجنَّةِ والنَّارِ، فيُقتَصُّ لبَعضِهم من بعضٍ قصاصًا تزولُ به الأحقادُ والبغضاءُ؛ ليدخلوا الجنَّةَ إخوانًا مُتَصافِّينَ.

السَّابع: الشَّفاعة

وهي: (التَّوسُّطُ للغيرِ بجلبِ المَنفعَةِ، أو دَفعِ المَضرَّةِ)، ولا تكون إلَّا:

[١] بإذنِ الله للشَّافع.

[٢] ورِضاهُ عن المَشفوعِ له.

أقسامُ الشَّفاعةِ:

[١] خاصَّةٌ بالنَّبيِّ ﷺ:

[أ] الشَّفاعةُ العُظمى: حيثُ يشفعُ في أهلِ الموقفِ إلىٰ الله ليقضِيَ بينهم، بعد أن تُطلَبَ الشَّفاعةُ من آدمَ، فنوحٍ، فإبراهيم، فموسىٰ، فعيسىٰ عليهم السلام؛ فلا يَشفعونَ، حتَّىٰ تنتهي إلىٰ النَّبيِّ ﷺ فيَشفعَ، فيَقبلَ اللهُ منه.

وهذا من المَقامِ المَحمودِ الَّذي وعدَهُ اللهُ بقولِه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[الإسراء].

[ب] شفاعتُه ﷺ في أهل الجنَّة: أن يَدخُلوها.

[٢] عامَّةٌ:

له ﷺ، ولغيره من: النَّبيِّينَ، والصِّدِّيقينَ، والشُّهداءِ، والصَّالحينَ.

[أ] الشَّفاعةُ فيمن استحقَّ النَّارَ: من المُؤمنينَ ألَّا يدخُلَها.

[ب] الشَّفاعة فيمن دخلها: من المُؤمنينَ أن يَخرجَ منها.

وهذان النَّوعان يُنكرُهما المُعتزلةُ والخَوارجُ؛ بناءً علىٰ قولهم: إنَّ فاعلَ الكَبيرةِ مُخلَّدٌ في النَّارِ، فلا تنفعُه الشَّفاعةُ.

تنبيهٌ: ويُخرِجُ الله أقوامًا من النَّارِ بغير شَفاعةٍ؛ بل بفضلِه ورحمَتِه، ويبقىٰ في الجنَّة فضلٌ عمَّن دخلَها من أهل الدُّنيا، فيُنشئُ اللهُ لها أقوامًا، فيُدخِلُهم الجنَّةَ.

الإِيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

الإيمَانُ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ:

[١] حُكمُه:
الإيمانُ بالقضاءِ والقَدَرِ واجبٌ، ومَنزلَتُه مِن الدِّين أنَّه أحدُ أركانِ الإيمانِ السِّتَّةِ؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». أخرجه مسلمٌ.

[٢] مَعناهُ:
أن تُؤمِنَ بأنَّ كُلَّ ما في الكَونِ من مَوجوداتٍ ومَعدوماتٍ، عامَّةٍ وخاصَّةٍ = فإنَّه بمَشيئة اللهِ وخَلقِه، وتعلَمَ أنَّ ما أصابكَ لم يكُن لِيُخطِئَكَ، وما أخطأكَ لم يكُن لِيُصيبَكَ.

درجاتُ الإيمانِ بالقَدَرِ:

[١] درجةُ العلمِ والكتابةِ:
دليلها قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج].

- **[أ] العلمُ:** أن تُؤمِنَ بعلمِ اللهِ المُحيطِ بكُلِّ شيءٍ جُملةً وتفصيلًا.
- **[ب] الكتابةُ:** أن تُؤمِنَ بأنَّ اللهَ كتب مَقاديرَ كلِّ شيءٍ في اللَّوحِ المَحفوظِ بحسب علمِه.

[٢] درجةُ المَشيئةِ والخَلقِ:
دليلُ المَشيئةِ قولُه تعالىٰ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۝٢٧﴾ [إبراهيم]، ودليلُ الخلقِ قولُه تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الرَّعد:١٦].

- **[ج] المَشيئةُ:** أن تُؤمِنَ بمَشيئةِ اللهِ العامَّةِ، وأنَّ ما شاء كانَ وما لم يشأ لم يكُن، سواءٌ في أفعالِه أو أفعالِ الخَلقِ.
- **[د] الخَلقُ:** أن تُؤمِنَ أنَّ اللهَ خالقُ كلِّ شيءٍ سواءٌ ممَّا فعلَه أو فعلَه عبادُه.

أنواعُ الكِتابةِ:

[١] الكِتابةُ في اللَّوحِ المَحفوظِ:
قبلَ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ بخمسين ألف سنةٍ، ودليلُها قولُه ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَمَّا خَلَقَ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». أخرجه بنحوه أصحاب «السُّنن».

[٢] الكِتابةُ العُمريَّةُ:
وهي ما يكتُبُه الملَكُ المُوكَّلُ بالأرحام علىٰ الجنين في بطن أمِّه إذا تمَّ له أربعة أشهرٍ، فيُؤمَرُ المَلَكُ بكتب رِزقِه، وأجلِه، وعملِه، وشقيٌّ أم سعيدٌ، ودليله حديث ابن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الثَّابتُ في «الصَّحيحين».
وهذه الدَّرجة يُنكرها غُلاةُ القَدريَّةِ قديمًا.

المَشيئةُ والخَلقُ ثابتان في أفعالِ اللهِ وأفعالِ الخَلقِ:

دليلُ المَشيئةِ:

[١] في فعل الله:
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السَّجدة:١٣].

[٢] في فعل العبد:
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام:١١٢].

دليلُ الخَلقِ:

[١] في فعل الله:
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف:٥٤].

[٢] في فعل العبد:
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافَّات٩٦].

مَشِيئَةُ الْعَبْدِ وَقُدْرَتُهُ:

[١] ثبوتُهما:
أثبت الله للعبد مَشيئةً وإرادةً، وهي القُدرةُ.

[٢] دليلُهما:
لقوله تعالىٰ: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التَّغابن:١٦].

[٣] علاقتُهما بمَشيئة الله:
تابعتان لمشيئة الله تعالىٰ؛ لقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التَّكوير].

ضلَّ في درجةِ الـمَشيئةِ والخَلقِ طائفتانِ:

[١] القدريَّةُ:
زعموا أنَّ العبد مُستقِلٌّ بإرادتِه وقُدرَتِه، ليس لله في فِعلِه مَشيئةٌ ولا خَلقٌ.

والرَّدُّ عليهم:
بقولِه تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التَّكوير]، وقولِه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾[الأنعام:١١٢].

[٢] الجبريَّةُ:
زعموا أنَّ العبدَ مَجبورٌ علىٰ فِعلِه، ليس له فيه إرادةٌ ولا قُدرةٌ.

والرَّدُّ عليهم:
بقولِه تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾[التَّكوير]، وقولِه: ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[البقرة:٢٢٣].

الاعْتِمَادُ عَلَى الْقَضَاءِ السَّابِقِ وَتَرْكِ الْعَمَلِ:

لا يجوزُ الاعتمادُ علىٰ القضاءِ السَّابقِ وتركُ العملِ؛ لأنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم قالوا: يا رسولَ الله؛ أفلا نتَّكلُ علىٰ الكتاب الأوَّلِ وندعُ العملَ؟ فقال رسول الله ﷺ: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، وتلا قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾[اللَّيل].

مَجوسُ هذه الأمَّةِ القَدريَّةُ:

الَّذين يَقولونُ: إنَّ العبدَ مُستقِلٌّ بِفِعلِه.
سُمُّوا بذلكَ لأنَّهم يُشبِهون المَجوسَ القائلين بأنَّ للعالَمِ خالِقَينِ: النُّور يخلُقُ الخيرَ، والظُّلمَةُ تخلُقُ الشَّرَّ.
وكذلك القدريَّة قالوا: إنَّ للحَوادِثِ خالِقَينِ، فالحَوادِثُ الَّتي مِن فعلِ العبدِ يخلُقُها العبدُ، والحَوادِثُ الَّتي مِن فعلِ الله يخلُقُها اللهُ.

الْجَبْرِيَّةُ يُخْرِجُونَ عَنْ أَحْكَامِ اللهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا، فَمَا وَجْهُ ذَلِكَ؟

وجه ذلك أنَّ الجبريَّة لا يُفرِّقون بين فعلِ العبد اختيارًا وفعلِه بدون اختيارٍ، كلاهُما عندهم مُجبَرٌ عليه كما سبق، وإذا كان كَذلك صارَ ثوابُه علىٰ الطَّاعةِ وعقابُه علىٰ المَعصيةِ لا حِكمةَ له، إذ الفعلُ جاءَ بدون اختيارِه، وما كان كذلك فإنَّ صاحبَه لا يُمدَحُ عليه فيَسْتحِقُّ الثَّوابَ، ولا يُذَمُّ عليه فيستحِقُّ العِقابَ.

الإِيمَانُ

الإِيمَانُ:

[١] **لغةً:** التَّصديق.

[٢] **اصطلاحًا:** (قولُ القلبِ واللِّسانِ، وعملُ القلبِ والجَوارحِ).

[أ] **قولُ القلبِ:** تصديقُه وإقرارُه.

الدَّليل: قولُه ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ... إلخ». أخرجه مسلمٌ.

[ب] **قولُ اللِّسان:** إرادتُه، وتوكُّلُه، ونحوُ ذلك من حَركاتِه.

[ج] **عملُ القلبِ:** نُطقُه.

[د] **عملُ الجَوارح:** الفعلُ والتَّركُ.

الدَّليل: قولُه ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ». أخرجه مسلمٌ. فقولُ: (لا إله إلَّا اللهُ) قولُ اللِّسانِ، وإماطةُ الأذىٰ عن الطَّريقِ عملُ الجَوارحِ، والحياءُ عملُ القلبِ.

زيادةُ الإيمانِ ونُقصانُه:

الإيمانُ يزيدُ وينقُصُ؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾[الفتح:٤]، وقولِ النَّبيِّ ﷺ في النِّساء: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ!». أخرجه البخاريُّ.

[١] **سببُ زيادتِه:** الطَّاعةُ، وهي: (امتثالُ أمرِ اللهِ، واجتنابُ نَهيِه).

[٢] **سببُ نَقصِه:** مَعصيةُ اللهِ بالخُروجِ عن طاعَتِه.

الكَبيرةُ:

[١] تعريفُها:

(كلُّ ذنبٍ قُرِنَ بعُقوبةٍ خاصَّةٍ)؛ كـ: الزِّنىٰ، والسَّرقة، وعُقوق الوالِدَين، والغشِّ، ومحبَّة السُّوء للمُسلمين، وغيرِ ذلك.

[٢] حُكم فاعلها:

[أ] من حيثُ الاسمُ:

أنَّه مُؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مُؤمنٌ بإيمانِه فاسقٌ بكبيرتِه، وليسَ خارجًا من الإيمان.

لقولِه تعالىٰ في القاتلِ عمدًا: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:١٧٨]، فجعلَ اللهُ المَقتولَ أخًا للقاتلِ، ولو كان خارجًا من الإيمان ما كانَ المَقتولُ أخًا له.

ولقوله تعالىٰ في الطَّائفتين المُقتَتِلَتَين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:٩] إلىٰ قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[الحجرات:١٠]، فجعلَ اللهُ الطَّائفتين المُقتَتِلَتَين مع فعلِهما الكبيرةَ إخوةً للطَّائفةِ الثَّالثةِ المُصلِحَةِ بينهما.

[ب] من حيثُ الجزاءُ:

أنَّه مُستحِقٌّ للجَزاءِ المُرتَّبِ عليها، ولا يُخلَّدُ في النَّارِ، وأمرُه إلىٰ اللهِ؛ إن شاءَ عذَّبه بما يستحِقُّ، وإن شاء غفر له.

لقولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء:٤٨].

خَالَفَ أَهْلَ السُّنَّةِ فِي فَاعِلِ الْكَبِيرَةِ ثَلَاثُ طَوَائِفَ:

[١] الـمُرجئةُ:

قالوا: إنَّهُ مُؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، ولا عقابَ عليه.

[٢] الخَوارجُ:

قالوا: إنَّه كافرٌ مُخلَّدٌ في النَّارِ.

[٣] الـمُعتزلةُ:

قالوا: لا مُؤمنٌ ولا كافرٌ، في مَنزلةٍ بين مَنزِلَتَينِ، وهو مُخلَّدٌ في النَّارِ.

هَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الإِيمَانِ؟

[١] الإيمانُ المُطلَقُ:

الفاسقُ لا يدخُلُ في اسمِ الإيمانِ المُطلَقِ -أي: الكامل-؛ كما في قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾[الأنفال].

[٢] مُطلَقُ الإيمانِ:

وإنَّما يدخُلُ في مُطلَقِ الإيمانِ -أي: في أقلِّ ما يقعُ عليه الاسمُ-؛ كما في قولِه تعالىٰ: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[النِّساء:٩٢]، فالمُؤمنُ هنا يشمَلُ الفاسِقَ وغيرَه.

الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَآلُ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ

من هو الصَّحابيُّ؟

(من اجتمعَ مع النَّبيِّ ﷺ أو رآهُ -ولو لحظةً- مُؤمِنًا، وماتَ علىٰ ذلك).

مَوقِفُ أهلِ السُّنَّةِ مِن الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

[١] مَحبَّتُهم.

[٢] والثَّناءُ عليهم بما يَستحِقُّونَ.

[٣] سلامةُ قُلوبِهم من البَغضاءِ والحِقدِ عليهم.

[٤] وسلامةُ ألسنتِهم من قولِ ما فيه نقصٌ أو شتمٌ للصَّحابةِ.

كما وصفَهم اللهُ بقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر]، وقالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ». مُتَّفقٌ عليه.

اختِلافُ مَراتِبِ الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

تختلفُ مَراتِبُ الصَّحابةِ؛ لقولِه تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾[الحديد:١٠].

وسببُ اختلافِ مَراتِبِهم:

[١] قوَّةُ الإيمانِ.

[٢] العلمُ.

[٣] العملُ الصَّالحُ.

[٤] السَّبقُ إلىٰ الإسلامِ.

أفضل الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

[١] جِنسًا:

أفضلهم جنسًا المُهاجرونَ ثمَّ الأنصارُ؛ لأنَّ الله قدَّمَ المُهاجرين عليهم، فقال تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[التَّوبة:١١٧]، ولأنَّهم جمعوا بين الهِجرةِ من دِيارِهم وأموالِهم والنُّصرةِ.

[٢] عَينًا:

أفضلُهم عينًا: أبو بكرٍ ثمَّ عمرُ بالإجماع، ثمَّ عثمانُ ثمَّ عليٌّ علىٰ رأيِ جمهورِ أهلِ السُّنَّةِ الَّذي استقرَّ عليه أمرُهم، بعدما وقعَ الخلافُ في المُفاضَلَةِ بين عليٍّ وعُثمانَ، فقدَّمَ قومٌ عُثمانَ وسكتوا، وقدَّم قومٌ عليًّا ثمَّ عُثمانَ، وتوقَّفَ قومٌ في التَّفضيل.

ولا يُضلَّلُ من قال بأنَّ عليًّا أفضلُ من عُثمانَ؛ لأنَّه قد قالَ به بعضُ أهلِ السُّنَّةِ.

الْخُلَفَاءُ الأَرْبَعَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالتَّرْتِيبِ:

[١] أبو بكرٍ:

ثَبَتَتْ خلافته بإشارةٍ من النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها، حيث قدَّمَه في الصَّلاة، وفي إمارةِ الحجِّ، وبكونِه أفضلَ الصَّحابة فكانَ أحقَّهم بالخِلافَةِ.

[٢] ثمَّ عمر:

ثبتَتْ خلافتُه بعهدِ أبي بكرٍ إليه بها، وبكونِه أفضلَ الصَّحابةِ بعد أبي بكرٍ.

[٣] ثمَّ عثمان:

ثبتت خلافتُه باتِّفاقِ أهلِ الشُّورىٰ عليهِ.

[٤] ثمَّ عليٌّ:

ثبتت خلافتُه بمُبايَعَةِ أهلِ الحلِّ والعَقدِ له، وبكَونِه أفضلَ الصَّحابةِ بعد عُثمانَ.

أَهْلُ بَدْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

هم الَّذين قاتلوا في غزوةِ بدرٍ مِن المُسلمينَ، وعددُهم ثلاثمائةٍ وبضعةَ عشرَ رجلًا.
والفضيلةُ الَّتي حصلت لهم أنَّ الله اطَّلع عليهم وقال: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**». مُتَّفَقٌ عليه.
ومَعناهُ أنَّ ما يحصُلُ منهم من المَعاصي يغفِرُه اللهُ بسبب الحسنةِ الكبيرةِ الَّتي نالوها في غزوة بدرٍ، ويتضمَّنُ هذا بِشارةً بأنَّه لن يَرتَدَّ أحدٌ مِنهم عن الإسلامِ.

أَهْلُ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ:

هم الَّذين بايعوا النَّبيَّ ﷺ عام الحُدَيبيَةِ علىٰ قِتالِ قُريشٍ، وألَّا يفِرُّوا حتَّىٰ المَوت، وسببُها ما أُشيعَ مِن أنَّ عثمانَ قتلته قُرَيشٌ حين أرسله النَّبيُّ ﷺ إليهم للمُفاوضَةِ.
وسُمِّيَتْ بيعةَ الرِّضوان لأنَّ اللهَ رضيَ عنهم بها، وعددُهم نحوُ ألفٍ وأربَعِمائةٍ.
والفضيلةُ الَّتي حصلت لهم هي:

[١] رِضَا اللهِ عنهُم:
لقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨].

[٢] سَلامَتُهم مِن دُخولِ النَّارِ:
لأنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبر أنَّه: «**لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**». أخرجه أحمد وأصحاب «السُّنن».

آلُ بَيْت النَّبيِّ ﷺ:

[١] **مَن هم؟** هم: زوجاتُه، وكلُّ مَن تحرُمُ عليه الزَّكاةُ مِن أقارِبه المُؤمِنينَ؛ كآل عليٍّ، وجعفرٍ، والعبَّاسِ، ونحوِهم.

[٢] **الواجبُ نحوَهم**: المَحبَّةُ والتَّوقيرُ والاحتِرامُ:

[أ] لإيمانِهم بالله.

[ب] ولقَرابتِهم من النَّبيِّ ﷺ.

[ج] ولتنفيذِ الوَصيَّةِ الَّتي عَهِدَ بها رسولُ الله ﷺ، حيثُ قال: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». أخرجه مسلمٌ.

[د] ولأنَّ ذلك مِن كمالِ الإيمانِ؛ لقولِه ﷺ: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحِبُّوكُمْ لِلهِ وَلِقَرَابَتِي**». [أخرجه أحمد بمعناه.]

ضَلَّ فِي آلِ بَيْت النَّبيِّ ﷺ طَائِفَتَانِ:

[١] **الرَّوافِضُ**: حيثُ غَلَوْا فيهم، وأنزلوهُم فوقَ مَنزِلَتِهم، حتَّى ادَّعىٰ بعضُهم أنَّ عليًّا إلهٌ.

[٢] **النَّواصِبُ**: وهم الخَوارجُ الَّذين نصَبُوا العداوةَ لآلِ البيتِ، وآذَوْهُم بالقَولِ والفِعلِ.

زوجاتُ النَّبيِّ ﷺ أفضلُ نساءِ هذه الأمَّةِ:

[١] لمَكانتهنَّ عند رسولِ الله ﷺ.

[٢] ولأنهنَّ أمَّهاتُ المُؤمنينَ.

[٣] ولأنَّهنَّ زوجاتُ النَّبيِّ ﷺ في الآخرة.

[٤] ولطَهارتِهنَّ مِن الرِّجسِ.

ولذلك يَكفُرُ من قذَفَ واحدةً منهنَّ؛ لأنَّ ذلك يستلزِمُ نقصَ النَّبيِّ ﷺ وتدنيسَ فِراشِه.

مَن أفضلُ زوجاتِ النَّبيِّ ﷺ؟

أفضلُهُنَّ خديجةُ وعائشةُ، وكلٌّ واحدةٍ منهما أفضلُ من الأخرىٰ من جهةٍ:

[١] مزيَّةُ خديجةَ:

- أنَّها أوَّلُ من آمن بالرَّسولِ ﷺ.
- وأنَّها عاضَدَتهُ علىٰ أمره في أوَّل رسالتِه.
- وأنَّها أمُّ أكثرِ أولادِه، بل كلِّهم إلَّا إبراهيمَ.
- وأنَّ لها منزلةً عاليةً عندَه، فكان يذكُرُها دائمًا.
- أنَّه لم يتزوَّج عليها حتَّىٰ ماتَتْ.

[٢] مزيَّةُ عائشةَ:

- حُسنُ عِشرتِها مع النَّبيِّ ﷺ في آخرِ أمرِه.
- وأنَّ اللهَ برَّأها في كتابِه ممَّا رماها به أهلُ الإفكِ، وأنزل فيها آياتٍ تُتلىٰ إلىٰ يوم القِيامَةِ.
- وأنَّها حَفِظتْ مِن هديِ النَّبيِّ ﷺ وسُنَّتِه ما لم تحفظهُ امرأةٌ سِواها.
- وأنَّها نشرتِ العلمَ الكثيرَ بين الأُمَّةِ.
- وأنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يتزوَّج بكرًا سواها، فكانت تربيتُها الزَّوجيَّةُ علىٰ يدِه.
- وأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال فيها: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**». مُتَّفَقٌ عليه.

مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْخِلَافِ وَالْفِتَنِ الَّتِي حَصَلَتْ بَيْنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم:

مَوقفُهم في ذلكَ أنَّ ما جرىٰ بينهم فإنَّه باجتهادٍ من الطَّرفين، وليسَ عن سوءِ قَصدٍ، والمُجتهِدُ إن أصابَ فله أجرانِ، وإن أخطأَ فله أجرٌ واحدٌ، وليسَ ما جرىٰ بينهُم صادرًا عن إرادةِ عُلُوٍّ ولا فسادٍ في الأرض؛ لأنَّ حال الصَّحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم تأبىٰ ذلك، فإنَّهم أوفرُ النَّاسِ عُقولًا، وأقواهُم إيمانًا، وأشدُّهُم طلبًا للحقِّ، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي**». مُتَّفَقٌ عليه. وعلىٰ هذا فطريقُ السَّلامةِ أن نسكُتَ عن الخَوضِ فيما جرىٰ بينهُم، ونرُدَّ أمرَهم إلىٰ اللهِ؛ لأنَّ ذلك أسلَمُ مِن وُقوعِ عَداوةٍ أو حِقدٍ علىٰ أحدِهم.

مَوْقِفُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الآثَارَ الْوَارِدَةَ في مَسَاوِئِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

[١] **صحيحٌ**: لكنَّهم مَعذورونَ فيه؛ لأنَّه واقعٌ عن اجتهادٍ، والمُجتهِدِ إذا أخطأ فله أجرٌ، وإذا أصابَ فله أجرانِ.

[٢] **غيرُ صحيحٍ**: إمَّا لكَونِه كذبًا من أصلِه، وإمَّا لكَونِه زيدَ فيه، أو نُقِصَ، أو غُيِّرَ عن وجهِه، وهذا القسمُ لا يَقدحُ فيهم؛ لأنَّه مَردودٌ.

الصَّحابةُ لَيسُوا مَعصومينَ من الذُّنوبِ، فإنَّهم يُمكنُ أن تقعَ منهم الـمَعصيةُ كما تقعُ مِن غيرِهم، لكنَّهم أقربُ النَّاس إلى الـمَغفرةِ لعدَّة أسبابٍ:

[١] تحقيقُ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ.

[٢] السَّبقُ إلى الإسلامِ والفَضيلةُ، وقد ثبتَ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهم خيرُ القُرونِ.

[٣] الأعمالُ الجَليلةُ الَّتي لم تَحصُل لغيرِهم؛ كغزوةِ بدرٍ، وبيعةِ الرِّضوانِ.

[٤] التَّوبةُ من الذَّنبِ، فإنَّ التَّوبةَ تجُبُّ ما قبلَها.

[٥] الحَسَناتُ الَّتي تَمحو السَّيِّئاتِ.

[٦] البلاءُ، وهي المَكارِهُ الَّتي تُصيبُ الإنسانَ؛ فإنَّ البلاءَ يُكفِّرُ الذُّنوبَ.

[٧] دُعاءُ المُؤمنينَ لهُم.

[٨] شفاعةُ النَّبيِّ ﷺ الَّتي هم أحقُّ النَّاسِ بها.

وعلى هذا فالَّذي يُنكَرُ مِن فعلِ بعضِهم قليلٌ مُنغمِرٌ في مَحاسِنِهم؛ لأنَّهم خيرُ الخَلقِ بعد الأنبياءِ، وصَفوةُ هذه الأمَّةِ الَّتي هي خَيرُ الأُمَمِ، ما كانَ ولا يكونُ مِثلُهم.

الشَّهَادَةُ بِالْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ

الشَّهادةُ بالجنَّةِ على نَوعينِ:

[١] عامَّةٌ:
أن نشهَدَ لعُمومِ المُؤمنينَ بالجنَّةِ دونَ شخصٍ بعَينِه، ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف].

[٢] خاصَّةٌ:
أن نشهَدَ لشخصٍ مُعيَّنٍ بالجنَّةِ، وهذا يتوقَّفُ علىٰ دليل مِن الكتابِ والسُّنَّةِ، فمَن شهِدَ له النَّبيُّ ﷺ شهدنا له؛ مثل: العشرة، وثابتِ بن قيسِ بن شمَّاسٍ، وعُكاشة بن مِحصَنٍ، وغيرِهم مِن الصَّحابةِ.

الشَّهادةُ بالنَّارِ على نَوعينِ:

[١] عامَّةٌ:
أن نشهَدَ علىٰ عُموم الكُفَّارِ بأنَّهم في النَّارِ، ودليلُها قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارًا﴾ [النِّساء:٥٦].

[٢] خاصَّةٌ:
أن نشهَدَ لشَخصٍ مُعيَّنٍ بالنَّارِ، وهذا يتوقَّفُ علىٰ دليل من الكتابِ والسُّنَّةِ؛ مثل: أبي لهبٍ وامرأتِه، ومثلَ: أبي طالبٍ، وعَمرِو بن لُحَيٍّ الخُزاعِيِّ.

قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي كَرَامَاتِ الأَوْلِيَاء

القولُ في الكَرامات:

[١] **قولُ أهلِ السُّنَّة**: أنَّها ثابتةٌ واقعةٌ، ودليلُهم في ذلك ما ذكَرَه اللهُ في القُرآنِ عن أصحابِ الكهفِ وغَيرِهم، وما يُشاهِدُه النَّاسُ في كُلِّ زَمانٍ ومَكانٍ.

[٢] **قولُ المُعتَزلة**: خالف فيها المُعتزلَةُ مُحتَجِّينَ بأنَّ إثباتَها يوجِبُ اشتباهَ الوَلِيِّ بالنَّبيِّ، والسَّاحرِ بالوليِّ.

والرَّدُّ عليهم بأمرين:

[أ] أنَّ الكرامَةَ ثابتةٌ بالشَّرعِ والمُشاهدَةِ، فإنكارُها مُكابَرَةٌ.

[٢] أنَّ ما ادَّعَوْهُ:

من اشتباهِ الوَلِيِّ بالنَّبيِّ: غيرُ صَحيحٍ؛ لأنَّه لا نبيَّ بعد مُحمَّدٍ ﷺ، ولأنَّ النَّبيَّ يقولُ: إنَّه نبيٌّ، فيُؤيِّدُه اللهُ بالمُعجزةِ، والوَلِيُّ لا يَقُولُ: إنَّه نبيٌّ.

من اشتباهِ السَّاحرِ بالوَليِّ: غير صحيحٍ؛ لأنَّ الوَلِيَّ مُؤمنٌ تقيٌّ، تأتيه الكَرامَةُ مِن اللهِ بدونِ عمل لها، ولا يُمكنُ مُعارضَتُها، أمَّا السَّاحرُ فكافرٌ مُنحرِفٌ يحصُلُ له أثرُ سِحرِه بما يتعاطاهُ مِن أسبابِه، ويُمكِنُ أن يُعارَضَ بسِحرٍ آخرَ.

مَعنى الوَليِّ والكَرامة:

[١] **الوَليُّ**: كلُّ مُؤمِنٍ تقِيٍّ، قائم بطاعةِ الله تعالىٰ علىٰ الوَجهِ المَطلوبِ شَرعًا.

[٢] **الكَرامَةُ**: أمرٌ خارقٌ للعادةِ، يُظهِرُه اللهُ علىٰ يدِ وليٍّ مِن أوليائِه تكريمًا له أو نُصرةً لدينِ اللهِ.

فوائدُ الكَرامةِ:

[١] بيانُ قُدرَةِ اللهِ.

[٢] نُصرَةُ الدِّينِ، أو تكريمُ الوَليِّ.

[٣] زِيادَةُ الإيمانِ والتَّثبيتِ للوليِّ الَّذي ظهرَت علىٰ يدِه وغيرِه.

[٤] أنَّها مِن البُشرىٰ لذلك الوليِّ.

[٥] أنَّها مُعجزةٌ للرَّسولِ الَّذي تمسَّكَ الوليُّ بدينِه؛ لأنَّها كالشَّهادةِ للوليِّ بأنَّهُ علىٰ حقٍّ.

الفرقُ بينَ الكَرامةِ والـمُعجِزةِ:

أنَّ الكَرامةَ تحصُلُ للوَلِيِّ، والمُعجزةَ للنَّبيِّ.

الكَرامةُ نوعانِ:

[١] **في العُلومِ والـمُكاشَفاتِ:** بأن يحصُلَ للوليِّ مِن العلمِ ما لا يحصُلُ لغَيرِه، أو يُكشَفَ له من الأمورِ الغائبةِ عنه ما لا يُكشَفُ لغَيرِه؛ كما حصلَ لعُمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينَ كُشِفَ له وهو يخطُبُ في المَدينةِ عن إحدىٰ السَّرايا المَحصورةِ في العِراقِ، فقال لقائدها -واسمُه: ساريةُ بنُ زُنَيم-: (الجبلَ يا ساريةُ)، فسمِعَه القائدُ فاعتصمَ بالجبلِ.

[٢] **في القُدرةِ والتَّأثيرِ:** بأن يَحصُلَّ للولِيِّ مِن القُدرةِ والتَّأثيراتِ ما لا يحصُلُ لغَيرِه؛ كما وقع للعلاءِ بن الحَضرمِيِّ حين عبَرَ البحرَ يمشي علىٰ مَتنِ الماءِ.

طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَة

طَرِيقَتُهُمْ فِي سِيرَتِهِم وَعِلْمِهِم:

[١] اتِّباعُ آثارِ النَّبِيِّ ﷺ وآثارِ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

[٢] الأمرُ بالمَعروفِ والنَّهيُ عن المُنكَرِ، علىٰ ما توجِبُه الشَّريعةُ.

[٣] النُّصحُ لوُلاةِ الأُمورِ.

[٤] النُّصحُ لجَميعِ الأُمَّةِ.

[٥] الدَّعوَةُ إلىٰ مَكارِمِ الأخلاقِ ومَحاسِنِ الأعمالِ.

[٦] النَّهيُ عن مَساوِئِ الأخلاقِ.

الصِّفةُ الأولى: الاتِّباعُ

اتِّباعُ آثارِ النَّبِيِّ ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وآثارِ الأوَّلينَ السَّابقينَ مِن المُهاجِرينَ والأنصارِ؛ امتثالًا لقولِه ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي...**».

الحديثُ أخرجه بعض أصحاب «السُّنن». والخُلَفاءُ الرَّاشدون هم الَّذين خَلَفوا النَّبيَّ ﷺ في أُمَّتِه في: العلم، والإيمانِ، والدَّعوةِ إلىٰ الحقِّ.

وأولىٰ النَّاس بهذا الوَصفِ الخُلفاءُ الأربعةُ: أبو بكرٍ، وعمرُ، وعثمانُ، وعليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

الصِّفةُ الثَّانيةُ: الأمرُ بالـمَعروفِ والنَّهيُ عن الـمُنكرِ

[١] **الـمَعروفُ:** ما عُرِفَ حُسْنُه شَرعًا.

[٢] **الـمُنكَرُ:** ما عُرِفَ قُبحُه شَرعًا.

فما به أمرَ الشَّارعُ به فهو مَعروفٌ، وما نَهىٰ عنه فهو مُنكَرٌ.

شُروطُ الأمرِ بالـمَعروفِ والنَّهيِ عن الـمُنكَرِ:

[١] أن يكونَ المُتولِّي لذلك عالمًا بالمَعروفِ وبالمُنكَرِ.

[٢] ألَّا يخافَ ضررًا علىٰ نفسِه.

[٣] ألَّا يترتَّبَ علىٰ ذلك مَفسدَةٌ أكبَرُ.

الصِّفةُ الثَّالثةُ: النُّصحُ لوُلاةِ الأُمورِ

طريقتُهم النُّصحُ لوُلاةِ الأُمورِ، وإقامةُ الحجِّ، والجِهادِ، والجُمَعِ، والأعيادِ معهم، سواءٌ كانوا أبرارًا أو فُجَّارًا، والتزامُ السَّمعِ والطَّاعةِ لهم؛ ما لم يَأمُرُوا بمَعصيَةِ اللهِ.

الصِّفةُ الرَّابعةُ: النُّصحُ لجَميعِ الأُمَّةِ

طريقتُهم النُّصحُ لجميعِ الأُمَّةِ، وبَثُّ المَحبَّةِ، والأُلفَةِ، والتَّعاوُنِ بين المُسلمينَ، مُطَبِّقينَ في ذلك قولَ النَّبيِّ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**». مُتَّفقٌ عليه. وقولَه: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ = كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ**». مُتَّفقٌ عليه.

الصِّفةُ الخامسةُ: الدَّعوَةُ إلى مَكارِمِ الأخلاقِ

الدَّعوَةُ إلىٰ مَكارِمِ الأخلاقِ، ومَحاسِنِ الأعمالِ؛ كالصِّدقِ، والبرِّ، والإحسانِ إلىٰ الخَلقِ، والشُّكرِ عند النِّعَمِ، والصَّبرِ علىٰ البَلاءِ، وحُسنِ الْجِوارِ والصُّحبَةِ، وغيرِ ذلك من الأخلاقِ المَحمودةِ شرعًا وعُرفًا.

الصِّفةُ السَّادسةُ: النَّهيُّ عن مَساوِئِ الأخلاقِ

النَّهيُ عن مَساوئِ الأخلاقِ؛ كالكذبِ، والعُقوقِ، والإساءةِ إلىٰ الخَلقِ، والتَّسخُّطِ مِن القَضاءِ، والكُفرِ بالنِّعمَةِ، والإساءةِ إلىٰ الجيرانِ والأصحابِ، وغيرِ ذلك من الأخلاقِ المَذمومَةِ شرعًا أو عُرفًا.

الأُمُورُ التِي يَزِنُ بِهَا أَهْلُ السُّنَّةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالأَعْمَالِ وَالأَخْلاَقِ:

[١] **الكِتابُ**: وهو القُرآنُ.

[٢] **السُّنَّةُ**: وهي: (قولُ النَّبيِّ ﷺ، وفعلُه، وإقرارُه).

[٣] **الإجماعُ**: وهو: (اتِّفاقُ العُلماءِ المُجتَهِدينَ مِن هذه الأُمَّةِ بعد النَّبيِّ ﷺ علىٰ حُكمٍ شَرعِيٍّ)، والإجماعُ الَّذي ينضبِطُ ما كان عليه السَّلفُ الصَّالحُ؛ إذ بعدَهُم كثُرَ الاختِلافُ، وانتَشرَتِ الأُمَّةُ.

تنبيهٌ: لم يَذكُرِ المُؤلِّفُ القياسَ؛ لأنَّ مَرَدَّهُ إلىٰ هذه الأصولِ الثَّلاثةِ.

الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ وَالأَبْدَالُ:

[١] **الصِّدِّيقونَ**: الصَّادقونَ باعتقادِهم، وقولِهم، وعملِهم، والمُصدِّقونَ بالحقِّ.

[٢] **الشُّهَداءُ**: الَّذين قُتِلوا في سبيلِ الله، وقيلَ:

[٣] **الصَّالحونَ**: الَّذين صَلُحَتْ قُلوبُهم وجَوارِحُهم بما قاموا به مِن الأعمالِ الصَّالحةِ.

[٤] **الأَبْدَالُ**: الَّذين يخلُفُ بعضُهم بعضًا في نصرِ الدِّينِ، والدِّفاعِ عنهُ، كلَّما ذهب منهُم واحدٌ خلفَه آخرُ بدَلَهُ.

تنبيهٌ: كلُّ هؤلاءِ الأصنافِ الأربعةِ مَوجودونَ في أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.

الطَّائِفَةُ الـمَنْصُورَةُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ:

[١] الطَّائِفَةُ الـمَنْصُورَةُ:

هم: أهلُ السُّنَّةِ والجَماعةِ الَّذين قال فيهم النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ**»، وفي روايةٍ: «**حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**». أخرجه الشَّيخان بنحوه.

[٢] الـمُرَادُ بِقِيَامِ السَّاعَةِ:

قُربُ قِيامِها، وإنَّما أوَّلناهُ بذلك لأجل أن يصِحَّ الجمعُ بينه وبين حديث: «**إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ**». أخرجه البخاريُّ. وأهلُ السُّنَّةِ والجماعةِ هم خِيارُ الخَلقِ بعد الأنبياءِ، فلا يمكنُ أن تُدرِكَهُم السَّاعةُ.

قالَ المُصنِّف رَحِمَهُ اللهُ ختامًا:

(نسألُ اللهَ أن يجعلَنا من أهلِ السُّنَّة والجماعةِ، وألَّا يُزيغَ قُلوبَنا بعد إذ هدانا، وأن يهبَ لنا مِنه رحمةً؛ إنَّهُ هو الوَهَّابُ.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمَّدٍ، وعلىٰ آلِه وصَحبِه أجمعينَ).

اختبارٌ على الواسطيَّة

[١] اختر الإجابة الصَّحيحة:

۞ لماذا ندرس قواعد الأسماء والصِّفات الَّتي وردت في «العقيدة الواسطيَّة»؟

❍ لأنَّها طريقة أهل السُّنَّة والجماعة في دراسة الأسماء والصِّفات.

❍ لأنَّ القواعد تجمع أمورًا كثيرةً مُتفرِّقةً في كلامٍ مُوجَزٍ مُختصرٍ.

❍ لأنَّنا بهذه القواعدِ نستطيع الرَّدَّ علىٰ أهل البدعِ. ❍ الجميع.

۞ من وضع هذه القواعدَ؟

❍ شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللَّهُ. ❍ قِسمٌ منها في الأصل نصٌّ من الكتاب والسُّنَّة.

❍ قسمٌ ثانٍ وضعه أهلُ السُّنَّةِ والجماعة. ❍ القسم الثَّاني وُضع عن طريق الاجتهاد.

❍ الجميعُ إلَّا الأوَّل.

۞ لماذا وُضِعت هذه القواعدُ؟

❍ حتَّىٰ يجمعوا مسائل شوارد قي قاعدةٍ موجزةٍ.

❍ لأنَّ هذه هي طريقة السَّلف في دراسة الأسماء والصِّفاتِ. ❍ كلاهما.

۞ ما الَّذي نفعلُه إذا خالفت هذه القواعدُ النَّصَّ؟

❍ المقصود بها القسم الأوَّل. ❍ المقصود بها القسم الثَّاني. ❍ العبرة بالنَّصِّ.

❍ العبرة بالقاعدة. ❍ الأوَّل والثَّالث.

۞ لماذا؟

❍ لقوله تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[النِّساء:٥٩]. ❍ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾[آل عمران:٧]. ❍ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾[النُّور]. ❍ الأوَّل والثَّالث.

۞ خلاصة هذه القواعد:

❍ إثبات كلِّ ما أثبته اللَّه لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ. ❍ تنزيه اللَّه عن مُماثلة المخلوقين. ❍ أنَّ المعانيَ معلومةٌ، والكيفيَّةَ عند اللَّه، والسُّؤالَ عنها بدعةٌ.

❍ الجميعُ.

۞ هل اختلف الصَّحابة في هذه القواعد؟ ❍ نعم. ❍ لا.
۞ هل التَّفويض هو طريقة الصَّحابة؟ ❍ نعم. ❍ لا.
۞ ينبني علىٰ القول بالتَّفويض:
❍ تكذيب القرآن. ❍ تجهيل النَّبيِّ ﷺ والصَّحابة، والسَّلف الصَّالح.
❍ استطالة الفلاسفة. ❍ الجميع.
۞ هل تُنسخ الأسماء والصِّفات؟ ❍ نعم. ❍ لا.
۞ ما هي الحكمة من المُتشابه؟
❍ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الأنبياء]، ونحن عبيدٌ، والعبد ليس له إلَّا السَّمع والطَّاعة و الرِّضا والتَّسليم. ❍ حتَّىٰ يُعلَم الَّذين في قلوبهم زيغٌ. ❍ حتَّىٰ يجتهد العلماء ويردُّوا الآيات المُتشابهة إلىٰ الآيات المُحكمة، ويحصل لهم بهذا الأجر. ❍ حتَّىٰ يُعلَم أنَّ القرآن لا يمكن أن يكون فيه تعارضٌ أو اختلافٌ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النِّساء]. ❍ الجميع.
۞ هل آياتُ الأسماء والصِّفات من المُحكم أم من المُتشابه؟
❍ من المُحكم البيِّن الواضح من حيث المعنىٰ. ❍ من المُتشابه تشابُهًا مُطلقًا، لا يعلمها إلَّا الله عَزَّوَجَلَّ من حيث الكيفيَّةُ. ❍ الأوَّل والثَّاني.
۞ هل في القرآن ما لا يمكن الوصول إلىٰ معناه؟ ❍ نعم. ❍ لا.
۞ لماذا؟
❍ لأنَّ الله خاطبنا لما نعقل ونفهم. ❍ لأنَّ الله أمرنا بتدبُّر كلامه، ولم يستثن شيئًا.
❍ الجميع.
۞ أقسام النَّاس في المجاز: ❍ ثلاثةٌ. ❍ أربعةٌ. ❍ اثنان.
۞ والرَّاجح منها: ❍ القسم الأوَّل. ❍ القسم الثَّالث.
۞ هل يجوز أن نشير باليد عند الكلام عن الصِّفات؟
❍ العبرة بالمُخاطب. ❍ يجوز بما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أشار.
❍ لا يجوز؛ خوفًا من أن يتوهَّم المُخاطب التَّمثيل.
❍ الإلحاد يكون في: ❍ الآيات. ❍ الأسماء والصِّفات. ❍ الجميع.

❁ وسبب ذلك:

❍ حتَّىٰ تكون القاعدة مُطَّردةً. ❍ لأنَّ شيخ الإسلام قال بأنَّه اصطلاحٌ حادثٌ، حدث بعد انقراض القرون الثَّلاثة المُفضَّلة، ولم يقل به الصَّحابة والتَّابعون وأتباعهم. ❍ أنَّه سلاح أهل البدع. ❍ أنَّه يفتح باب شرٍّ علىٰ النَّاس؛ لأنَّه من فتح هذا الباب يبدا في التَّلاعب في نصوص الكتاب والسُّنَّة. ❍ أنَّ من أنكر المجاز لا يلحق اسمٌ، بخلاف من أنكر حرفًا واحدًا من القرآن فإنَّه قد يكفر. ❍ الجميع.

❁ سبب دراسة الأسماء والصِّفات:

❍ حتَّىٰ نحقِّق التَّوحيد؛ بل لا يكون موحِّدًا حتَّىٰ يُفرد اللَّه بأنواع التَّوحيد الثَّلاثة.

❍ تعظيم اللَّه ﷿؛ لأنَّ فيها حياة القلوب، وأعظم شيءٍ لحياتها وأشرف العلوم التَّعرُّف علىٰ اللَّه. ❍ دخول الجنَّة؛ لقوله ﷺ: «**لِلَّهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». ❍ لأنَّ هذا هو الأصل الَّذي كان عليه السَّلف. ❍ حتَّىٰ لا نقع فيما وقعت فيه الفرق الضَّالَّة من التَّمثيل والتَّعطيل. ❍ لندعو الله تعالىٰ بها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[الأعراف:١٨٠]. ❍ الجميع.

❁ طريقة دراسة الأسماء والصِّفات:

❍ العلم عبادةٌ، ولابدَّ أن نسير علىٰ النَّهج الَّذي سار عليه النَّبيُّ ﷺ والصَّحابة ﭫ.

❍ أن يكون الغرض من الدِّراسة تعظيم الله ﷿، ولهذا لمَّا سُئل الإمام مالكٌ ~ عن الاستواء طأطأ رأسه وعلاه العرق؛ لأنَّه سُئل عن عظيم. ❍ ذكر الدَّليل أوَّلًا، ثمَّ الاعتقاد ثانيًا، والمُخالفون لأهل السُّنَّة يعتقدون أشياء ثمَّ يبحثون لها عن أدلَّةٍ فلا يجدونن فيتخبَّطون ويقعون في البدع. ❍ نطبِّق طريقة الشَّافعيِّ ~: (آمن تهتد)، فنؤمن بما جاء عن الله ﷿ علىٰ مُراد الله ﷿، ونؤمن بما جاء عن رسول الله ﷺ علىٰ مُراد رسول الله ﷺ. ❍ الجميع.

❁ كيف نُدرِّس الأسماء والصِّفات للعَوامِّ؟

❍ ندرِّسهم كلَّ الأمور، ونفصِّل لهم، ونذكر لهم الرُّدود وأقوال أهل البدع.

❍ لا ندرِّسهم شيئًا. ❍ نتدرَّج بهم حتَّىٰ نصل إلىٰ الكمال.

❁ ينقسم الإلحاد في ... إلىٰ قسمين: ❍ الآيات. ❍ الأسماء والصِّفات. ❍ الجميع.

❁ والقسمان: ❍ شرعيٌّ. ❍ كونيٌّ. ❍ إنكاريٌّ. ❍ الأوَّل والثَّاني. ❍ الأوَّل والثَّالث.
❁ وينقسم الإلحاد في ... إلىٰ خمسة أقسامٍ: ❍ الآيات. ❍ الأسماء والصِّفات.
❁ ينقسم التَّحريف إلىٰ: ❍ أربعة أقسام. ❍ ثلاثة أقسام. ❍ قسمين.
❁ في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾[النِّساء]؛ هناك من جعل المُتكلِّم هو موسىٰ ﷺ، وهذا تحريفٌ في: ❍ الألفاظ. ❍ المعاني.
❁ التَّعبير بالتَّحريف أولىٰ من التَّعبير بالتَّأويل:
❍ لأنَّ هذا هو الَّذي جاء في القرآن فلا نعدل عنه. ❍ لأنَّه أقرب للعدل، فهم أهل تحريفٍ وليسوا أهل تأويل. ❍ تنفيرًا للنَّاس منهم؛ لأنَّ أهل التَّحريف لو وصفتهم بالتَّأويل فرحوا. ❍ لأنَّ التَّاويل ليس كلُّه مذمومًا، فما دلَّ عليه دليلٌ فهو صحيحٌ مقبولٌ، وما لم يدلَّ عليه دليلٌ فهو فاسدٌ مردودٌ، أمَّا التَّحريف فكلُّه مذمومٌ. ❍ الجميع.
❁ التَّعبير بالتَّمثيل أولىٰ من التَّعبير بالتَّشبيه:
❍ لأنَّ التَّمثيل هو الَّذي جاء به القرآن، وهو منفيٌّ مُطلقًا؛ بخلاف التَّشبيه.
❍ لأنَّ نفي التَّشبيع علىٰ الإطلاق لا يصحُّ، فكلُّ مَوجودَين لابدَّ أن يكون بينهما قدرٌ مُشتركٌ يشتبهان فيه، ويتميَّز كلُّ واحدٍ بما يختصُّ به. ❍ لأنَّ النَّاس اختلفوا في مُسمَّىٰ التَّشبيه، فجعل بعضهم إثبات الصِّفات تشبيهًا. ❍ الجميع.
❁ التَّكييف يكون بـ: ❍ اللِّسان. ❍ القلب. ❍ البَنَان. ❍ الجميع.
❁ تُعلم كيفيَّة الصِّفة بـ: ❍ الرُّؤية بالعين. ❍ وجود المثيل. ❍ إخبار الصَّادق. ❍ الكلِّ.
❁ أقسام التَّعطيل: ❍ اثنان. ❍ ثلاثةٌ. ❍ أربعةٌ.
❁ أقسام الإنكار: ❍ اثنان. ❍ ثلاثةٌ. ❍ أربعةٌ.
❁ ينقسم إنكار التَّأويل إلىٰ:
❍ تأويلٍ له مُسوِّغٌ في اللُّغة. ❍ تأويلٍ ليس له مُسوِّغٌ في اللُّغة.
❍ إنكارٍ تكذيبٍ. ❍ إنكار جحودٍ. ❍ الأوَّل والثَّاني. ❍ الثَّالث والرَّابع.
❁ دلالات الاسم: ❍ دلالة المُطابقة. ❍ دلالة التَّضمُّن. ❍ دلالة الالتزام. ❍ الجميع.
❁ الاسم مُشتقٌّ من:
❍ السُّمُوِّ وهو الارتفاع؛ فالمُسمَّىٰ يرتفع باسمه ويتبيَّن ويظهر.
❍ السِّمة وهي العلامة؛ فهو علامةٌ علىٰ مُسمَّاه. ❍ الجميع.

❁ الدَّليل علىٰ أنَّ أسماء اللَّه عَزَّوَجَلَّ غير محصورةٍ بعددٍ:
❍ قوله ﷺ: «**أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ**».
❍ قوله ﷺ: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ**».
❁ معنىٰ «مَنْ أَحْصَاهَا»:
❍ أحصاها عدًّا. ❍ أحصاها حفظًا. ❍ آمن بها وعمل بمُقتَضاها. ❍ الجميع.
❁ يتحقَّق الإيمان بالاسم:
❍ بإثباته. ❍ بتنزيه اللَّه تعالىٰ عن مُشابهة المَخلوقين.
❍ بقاعدة: (المعنىٰ معلومٌ، والكيف مَجهولٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ). ❍ الجميع.
❁ لا يتحقَّق الإيمان بالاسم إلَّا بـ:
❍ الإيمان به اسمًا من الأسماء الحسنىٰ. ❍ الإيمان بما تضمَّنه من صفةٍ.
❍ الإيمان بما تدلُّ عليه الصِّفة من الأثر والحكم إذا كان الاسم مُتعدِّيًا. ❍ الجميع.
❁ يُعرَف الاسم بأنَّه مُتعدٍّ: ❍ إذا اشتُقَّ منه مصدرٌ. ❍ إذا اشتُقَّ منه فعلٌ. ❍ الجميع.
❁ من أمثلة الاسم المُتعدِّي: ❍ السَّميع. ❍ النَّصير. ❍ الحيُّ. ❍ الحفيظ. ❍ القيُّوم.
❁ يُعرَف الاسم بأنَّه لازمٌ إذا: ❍ لم يُشتَقَّ منه مصدرٌ. ❍ لم يُشتَقَّ منه فعلٌ. ❍ الجميع.
❁ من أمثلة الاسم اللَّازم: ❍ الحيُّ. ❍ العظيم. ❍ العليُّ. ❍ البارئ. ❍ الخالق.
❍ الأوَّل. ❍ القويُّ.
❁ دعاء الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه من: ❍ دعاء المسألة. ❍ دعاء العبادة. ❍ الجميع.
❁ من أمثلة دعاء المسألة: ❍ يا غفورُ اغفر لي. ❍ يا رحيم ارحمني. ❍ الجميع.
❁ من أمثلة دعاء العبادة:
❍ خوف الله عَزَّوَجَلَّ لأنَّه رقيبٌ، فلا يفعل ولا يقول إلَّا من يرضي الله عَزَّوَجَلَّ.
❍ التَّوكُّل علىٰ الله عَزَّوَجَلَّ في كلِّ الأمور؛ لأنَّه هو العزيز الرَّحيم. ❍ الجميع.
❁ أسماء اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ❍ منها ما هو مُختصٌّ. ❍ منها ما هو غير مُختصٍّ. ❍ الجميع.
❁ حكم التَّسمِّي بأسماء الله عَزَّوَجَلَّ:
❍ جائزٌ. ❍ مُحرَّمٌ. ❍ فيه تفصيلٌ. ❍ المُختصَّة لا يصحُّ التَّسمِّي بها إطلاقًا؛ مثل الرَّحمن، وربِّ العالمين. ❍ غير المُختصَّة يصحُّ التَّسمِّي بها علىٰ أنَّها أعلامٌ محضةٌ، فإن قُصد الوصف الَّذي لا يكون إلَّا للَّه مُنع. ❍ الجميع إلَّا الأوَّل والثَّاني.

❁ هل أسماء الله عَزَّوَجَلَّ أعلامٌ أم أوصافٌ؟ ❍ أعلامٌ. ❍ أوصافٌ. ❍ أعلامٌ وأوصافٌ.

❁ طرق عدِّ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ:

❍ الاعتماد علىٰ العدِّ الوارد في الحديث، والزِّيادة فيه ضعيفةٌ. ❍ طريقة المُقتصرين علىٰ ما ورد بصيغة الاسم، وهو مذهب الظَّاهريَّة. ❍ طريقة المُتوسِّعين الَّذين أثبتوا كلَّ الأسماء، واشتقُّوا من كلِّ صفةٍ اسمًا. ❍ طريقة المُتوسِّطين أو المُعتدلين، وهي طريقة أهل السُّنَّة والجماعة، أثبتوا كلَّ الأسماء الواردة بصيغة الاسم في الكتاب والسُّنَّة، وأخذوا من بعض الصِّفات أسناء بشركين: أن تتضمَّن الصِّفة المدح والكمال، وأن تثبت من الكتاب أو السُّنَّة الصَّحيحة. ❍ الجميع.

❁ هل يُشتقُّ من الصِّفة اسمٌ؟ ❍ نعم. ❍ لا. ❍ يُؤخذ بشروطٍ، فإن اختلَّت لم يُؤخذ.

❁ ما هي شروط اشتقاق الاسم من الصِّفة؟

❍ أن تتضمَّن مدحًا وكمالًا. ❍ أن تثبت من الكتاب أو السُّنَّة الصَّحيحة. ❍ الجميع.

❁ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ: ❍ مُشتقَّةٌ. ❍ جامدةٌ.

❁ معنىٰ ذلك أنَّ كلَّ: ❍ اسم لابدَّ أن يتضمَّن صفةً. ❍ صفةٍ لابدَّ أن تتضمَّن اسمًا.

❁ هل أسماء اللَّه عَزَّوَجَلَّ مُترادفةٌ أم مُتباينةٌ:

❍ مُترادفةٌ باعتبار دلالتها علىٰ ذات الله عَزَّوَجَلَّ. ❍ مُتباينةٌ باعتبار معانيها. ❍ الجميع.

❁ وضِّح ذلك: ....

....

....

❁ معنىٰ كون أسماء الله عَزَّوَجَلَّ توقيفيَّةً:

❍ أنَّه لا مجال للعقل والاجتهاد فيها. ❍ أن نتوقَّف فيها علىٰ ما ورد في الكتاب والسُّنَّة. ❍ الجميع.

❁ والدَّليل علىٰ كونها توقيفيَّةً: ....

....

....

❁ هل الأسماء أكثر أم الصِّفات؟ ❍ الأسماء أكثر. ❍ الصِّفات أكثر.

❁ لماذا؟ ❍ لأنَّ كلَّ اسمٍ مُتضمِّنٌ لصفةٍ. ❍ لأنَّ كلَّ صفةٍ يُشتقُّ منها اسمٌ.

❁ أقسام الأسماء الحسنىٰ باعتبار إطلاقها علىٰ اللَّه: ❍ اثنان. ❍ أربعةٌ. ❍ ثلاثةٌ.
❁ الحُسن في الأسماء معناه: ❍ الكمال. ❍ بلوغ الحسن غايته. ❍ الجميع.
❁ يكون الحسن في: ❍ كلِّ اسمٍ مُنفردٍ. ❍ جمع الاسم إلىٰ غيره. ❍ الجميع.
❁ والدَّليل علىٰ ذلك: ....
....
....
❁ أقسام الصِّفات: ❍ اثنان. ❍ ثلاثةٌ. ❍ أربعةٌ.
❁ القول في الصِّفات المَنفيَّة:
❍ نفيُها عن الله عَزَّوَجَلَّ كما نفاها عن نفسه، وكما نفاها عنه رسوله ﷺ.
❍ إثبات كمال ضدِّها. ❍ الجميع.
❁ الفرق بين الصِّفة والخبر أنَّ:
❍ باب الأخبار أوسع من باب الصِّفات. ❍ باب الصِّفات أوسع من باب الأخبار.
❁ القول في الجهة والمكان لله عَزَّوَجَلَّ:
❍ نسأل عن المُراد من السُّؤال لتعليهم اللَّفظ الوارد في الكتاب والسُّنَّة، أو لإبطال قولهم. ❍ لم يردا في الكتاب والسُّنَّة؛ فلا نثبت ولا ننفي. ❍ الأوَّل والثَّاني.
❁ القول في الجسم لله عَزَّوَجَلَّ:
❍ نثبته. ❍ ننفيه. ❍ لم يرد ذكره في الكتاب والسُّنَّة، فلا نثبته ولا ننفيه.
❁ هل ظاهر الأسماء والصِّفات مُرادٌ أم لا:
❍ هذا السُّؤال لم يرد عن السَّلف. ❍ نقول: ماذا تريد بهذا السُّؤال، لتوقعنا في التَّعطيل أم في التَّمثيل؟ ❍ إذا أردت به ظاهر آيات الأسماء والصِّفات فظاهرها معلوم المعنىٰ، ونؤمن أنَّ لها كيفيَّةً ليق بجلال الله وعظمته، لكنَّنا لا نعلمها، هذا الظَّاهر المُراد.
❍ إذا أردت انَّ ظاهر نصوص الأسماء والصِّفات التَّمثيل فهذا غير مُرادٍ. ❍ الجميع.
❁ سبب تسمية هذه الرِّسالة بـ«العقيدة الواسطيَّة»:
❍ أنَّ الشَّيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ذكر فيها وسطيَّة أهل السُّنَّة والجماعة بين الفرق الأخرىٰ.
❍ أنَّ الرِّسالة كانت إجابةً لسؤال أحد قضاة بلدة واسط. ❍ الجميع.

۞ مدَّة كتابة شيخ الإسلام لـ«العقيدة الواسطيَّة»:

❍ شهرٌ. ❍ أسبوعٌ. ❍ من بعد العصر إلىٰ قبل المغرب.

۞ الانتقادات علىٰ «العقيدة الواسطيَّة»:

❍ أنَّ مُؤلِّف الرِّسالة معصومٌ، ولا يمكنه الوقع في الخطأ. ❍ فيها أخطاءٌ، لكن يردُّ عليها الشَّارح بلطفٍ أثناء الشَّرح حتَّىٰ لا تكون سلاحًا لأهل البدع.

۞ أقسام «العقيدة الواسطيَّة»: ❍ ثلاثةٌ. ❍ تسعةٌ. ❍ اثنا عشر.

۞ من مُميِّزات «العقيدة الواسطيَّة»:

❍ أنَّها وجيزةٌ مُختصرةٌ، ومع ذلك تشمل مُعظم مباحث الاعتقاد عند أهل السُّنَّة.

❍ أنَّ مُؤلِّفها تحرَّىٰ ذكر ألفاظ النُّصوص؛ كـ(التَّحريف) بدل التَّأويل.

❍ أنَّها مُدعَّمةٌ بنصوص الكتاب والسُّنَّة. ❍ الجميع.

۞ سبب دراسة «العقيدة الواسطيَّة»:

❍ نصيحة العلماء بها؛ لأنَّنا طلَّابٌ، وليس لنا أن نبتدع طريقةً جديدةً في طلبنا للعلم.

❍ أنَّها من أسهل كتب شيخ الإسلام وأحسنها. ❍ أنَّها من أحسن ما كُتب في مُجمل اعتقاد أهل السُّنَّة. ❍ كثرة شروحات العلماء عليها. ❍ أنَّ فيها الكثير من نصوص الكتاب والسُّنَّة. ❍ الجميع.

[٢] حدِّد نوع الإلحاد في الأمثلة التَّاليَّة:

السُّؤال	إلحادٌ في الآيات	إلحادٌ في الأسماء والصِّفات
۞ شرعيٌّ:	❍	❍
۞ كونيٌّ:	❍	❍
۞ إنكار الأسماء كلِّها أو بعضها، أو إنكار ما دلَّت عليه من المعاني:	❍	❍
۞ إثبات الاسم وإنكار الصِّفة:	❍	❍
۞ تسمية الأصنام باللَّات والعُزَّىٰ:	❍	❍

السُّؤال	إلحادٌ في الآيات	إلحادٌ في الأسماء والصِّفات
۞ تسمية اللَّه بما لم يُسمِّ به نفسه؛ مثل: العلَّة الفاعلة، وثالث ثلاثةٍ، والقادر علىٰ الاختراع:	○	○
۞ قول: (الطَّبيعة تخلق الأشياء):	○	○
۞ قول: (القرآن مخلوقٌ):	○	○
۞ قول: (خداي) باللُّغة الفارسيَّة:	○	○

[٣] **اربط الأسماء الحسنى بنوعها**:

الاسم	الأسماء الـمُفردة	الأسماء الـمُقترنة	الأسماء الـمُزدوجة
العزيز:	○	○	○
الرَّحمن:	○	○	○
الرَّحيم:	○	○	○
السَّميع:	○	○	○
البصير:	○	○	○
الأوَّل والآخر:	○	○	○
الظَّاهر والباطن:	○	○	○

[٤] **اربط الصِّفات بنوعها**:

الاسم	ذاتيَّةٌ	فعليَّةٌ	خبريَّةٌ
صفة اليدين:	○	○	○
صفة الكلام:	○	○	○
خلق آدم:	○	○	○

[٥] اربط السَّبب بدليله:

السَّبب	دفع ما ادَّعاه الكاذبون في حقِّه عَزَّوَجَلَّ:	دفع توهُّم النَّقص	العموم
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشُّورى].	❍	❍	❍
﴿أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم].	❍	❍	❍
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء].	❍	❍	❍

[٦] أجب بـ «صح» أو «خطأ»:

السُّؤال	صح	خطأ
۞ نردُّ على من جعل المُتكلِّم في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النِّساء] هو موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣].	❍	❍
۞ جعل لفظ (استوىٰ) في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه] بمعنىٰ (استولىٰ) من تحريف المعاني.	❍	❍
۞ الجواب الصَّحيح لمن سأل عن الكيفيَّة هو: (الكيف مجهولٌ، والسُّؤال عنه بدعةٌ).	❍	❍
۞ أسماء الله عَزَّوَجَلَّ محصورةٌ بعددٍ.	❍	❍
۞ معنىٰ (القول في الذَّات كالقول في الصِّفات) أنَّ إثبات ذاتٍ للَّه تعالىٰ ليست كذوات المخلوقين يلزم منه إثبات صفاتٍ للَّه ليست كصفات المخلوقين.	❍	❍
۞ القول في بعض الصِّفات كالقول في البعض الآخر إذ لا فرق.	❍	❍

خطأ	صح	السُّؤال
❍	❍	۞ كلُّ كمالٍ للمخلوق يكون كمالًا للخالق.

[٧] **اذكر قواعد الأسماء والصِّفات**:

....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....
....

مَتن:

«الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ»

لِشَيْخِ الإِسْلَامِ:

أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْحَلِيمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ

ت ٧٢٨هـ

مَتْنُ: «العقيدة الواسطية»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ للهِ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيدًا.

وأَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ [وَعَلَىٰ آلِهِ] وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا.

اعْتِقَادُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ الْمَنْصُورَةِ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ -أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:
الْإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ: الْإِيمَانُ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ بَلْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[الشُّورى].

فَلَا يَنْفُونَ عَنْهُ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَلَا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلَا يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ وَآيَاتِهِ، وَلَا يُكَيِّفُونَ وَلَا يُمَثِّلُونَ صِفَاتِهِ بِصِفَاتِ خَلْقِهِ؛ لأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: لَا سَمِيَّ لَهُ، وَلَا كُفُوَ لَهُ، وَلَا نِدَّ لَهُ، ولَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ، وَأَصْدَقُ قِيلًا، وَأَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْ خَلْقِهِ.

ثُمَّ رُسُلُهُ صَادِقُونَ مُصَدَّقُونَ؛ بِخِلَافِ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[الصَّافَّات]، فَسَبَّحَ نَفْسَهُ عَمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْمُخَالِفُونَ لِلرُّسُلِ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ الْمُرْسَلِينَ؛ لِسَلَامَةِ مَا قَالُوهُ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَيْبِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَمَعَ فِيمَا وَصَفَ وَسَمَّىٰ بِهِ نَفْسَهُ: بينَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ.

فَلَا عُدُولَ لأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَمَّا جَاءَتْ بِهِ الْمُرْسَلُونَ؛ فَإِنَّهُ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِينَ.

وَقَدْ دَخَلَ فِي هذِهِ الْجُمْلَةِ:

مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي سُورَةِ «الإِخْلَاصِ» الَّتِي تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ٤﴾[الإخلاص].

وَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي أَعْظَمِ آيَةٍ فِي كِتَابِهِ؛ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ٢٥٥﴾[البقرة]. أَيْ: لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ، وَلِهَذَا كَانَ مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ يُصْبِحَ.

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾[الفرقان:٥٨].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣﴾[الحديد].

وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ٢﴾[التَّحريم].

﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ٣﴾[التَّحريم].

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ﴾[سبأ:٢].

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٥٩﴾[الأنعام].

﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ﴾[فاطر:١١].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ١٢﴾[الطَّلاق].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨﴾[الذَّاريات].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾[الشُّورى].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ٥٨﴾[النِّساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[الكهف:٣٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾[البقرة].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾[المائدة].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا

حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ ﴾[الأنعام:١٢٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة].

﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ٩﴾[الحجرات].

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ٧﴾[التَّوبة].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢﴾[البقرة].

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[المائدة:٥٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ٤﴾[الصَّفّ].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٣١﴾[آل عمران].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾[المائدة:١١٩].

وَقَوْلُهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾[النمل].

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر:٧].

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾[الأحزاب].

وَقَالَ: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ﴾[الأنعام:٥٤].

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يونس:١٠٧].

﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤﴾[يوسف].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النِّساء:٩٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ٢٨﴾ [محمَّد].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ﴾[الزُّخرف:٥٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التَّوبة:٤٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ٣﴾[الصَّفّ].

وَقَوْلُهُ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُۚ﴾ [البقرة:٢١٠].

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ

رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾[الأنعام:١٥٨].
﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[الفجر].
﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[الفرقان].
وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرَّحمٰن].
وَقَوْلُهُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص:٧٧].
وَقَوْلُهُ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص:٧٥].
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].
وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطُّور:٤٨].
﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾[القمر].
﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾[طه].
وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة:١].
وَقَوْلُهُ: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران:١٨١].
﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه].
وَقَوْلُهُ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾[الزُّخرف].
وَقَوْلُهُ: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾[العلق].
وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[الشُّعراء] .
وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التَّوبة:١٠٥].
وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾[الرَّعد].
وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾[آل عمران].
وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[النَّمل].
وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾[الطَّارق].
وَقَوْلُهُ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾[النِّساء].
وَقَوْلُهُ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[النّور].
وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾[المنافقون:٨].

وَقَوْلُهُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾[ص].
وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾[الرَّحمٰن].
وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾[مريم].
﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص].
وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾[البقرة].
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ﴾[البقرة:١٦٥].
﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا ﴿١١١﴾﴾[الإسراء].
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾[التَّغابن].
وَقَوْلُهُ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان].
وَقَوْلُهُ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾[المؤمنون].
وَقَوْلُهُ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النَّحل].
وَقَوْلُهُ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف].
وَقَوْلُهُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾[طه].
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾[الأعراف:٥٤] فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ.
وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[آل عمران:٥٥].
﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ﴾[النِّساء:١٥٨].
وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ﴾[فاطر:١٠].
وَقَوْلُهُ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ﴾[غافر].
وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن

يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾[الملك].

وَقَوْلُهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وَقَوْلُهُ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [المجادلة].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التَّوبة:٤٠].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾[طه].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[النَّحل].

﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾[الأنفال].

وَقَوْلُهُ: ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴿٨٧﴾﴾[النِّساء].

﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾[النِّساء:١٢٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾[المائدة:١١٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾[الأنعام:١١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾﴾[النِّساء].

وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾[البقرة:٢٥٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف:١٤٣].

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾﴾[مريم].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾[الشُّعراء].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[القصص].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[القصص].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التَّوبة:٦].

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾[البقرة:٧٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾[الفتح:١٥].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[الكهف:٢٧].

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾[النَّمل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾[الأنعام:٩٢].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[الحشر:٢١].

﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[النَّحل].

وَقَوْلُهُ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[القيامة].

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾[المطفِّفين:٢٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس:٢٦].

وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾[ق].

وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبَ الْهُدَىٰ مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ.

ثُمَّ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: تُفَسِّرُ الْقُرْآنَ، وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ= وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِكَ.

مِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ...**» الْحَدِيثُ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**يَضْحَكُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غِيَرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ أَزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ يَضْحَكُ؛ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ**». حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ -وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ- فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَتَقُولُ: قَطٍ قَطٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا آدَمُ؛ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادَىٰ بِصَوْتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَىٰ النَّارِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَاجِبٌ وَلَا تُرْجُمَانٌ».

وَقَوْلِهِ ﷺ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: «رَبَّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَىٰ هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ». حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَوْلِهِ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلِهِ: «وَالْعَرْشُ فَوْقَ ذَلِكَ، وَاللهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ». حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَوْلِهِ لِلْجَارِيَةِ: «أَيْنَ اللهُ؟». قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «مَنْ أَنَا؟». قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ» حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَلَا يَبْصُقَنَّ قِبَلَ وَجْهِهِ، وَلَا عَنْ يَمِينِهِ؛ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْأَرْضِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَوْلِهِ لَمَّا رَفَعَ أَصْحَابُهُ أَصْوَاتَهُمْ بِالذِّكْرِ: «أَيُّهَا النَّاسُ؛ ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَىٰ صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا؛ فَافْعَلُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إِلَىٰ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي يُخْبِرُ فِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ رَبِّهِ بِمَا يُخْبِرُ بِهِ؛ **فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ**؛ كَمَا يُؤْمِنُونَ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ؛ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ؛ بَلْ هُمُ الْوَسَطُ فِي فِرَقِ الْأُمَّةِ؛ كَمَا أَنَّ الأُمَّةَ هِيَ الْوَسَطُ فِي الأُمَمِ،

فَهُمْ:

- وَسَطٌ فِي بَابِ صِفَاتِ اللهِ ﷻ: بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ «**الْجَهْمِيَّةِ**»، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّمْثِيلِ «**الْمُشَبِّهَةِ**».
- وَهُمْ وَسَطٌ فِي بَابِ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالَىٰ: بَيْنَ «**الْقَدَرِيَّةِ**» وَ«**الْجَبْرِيَّةِ**».
- وَفِي بَابِ وَعِيدِ اللهِ: بَيْنَ «**الْمُرْجِئَةِ**» وَبَيْنَ الْوَعِيدِيَّةِ مِنَ «**الْقَدَرِيَّةِ**» وَغَيْرِهِمْ.
- وَفِي بَابِ الإِيمَانِ والدِّينِ: بَيْنَ «**الْحَرُورِيَّةِ**» وَ«**الْمُعْتَزِلَةِ**»، وَبَيْنَ «**الْمُرْجِئَةِ**» وَ«**الْجَهْمِيَّةِ**».
- وَفِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: بَيْنَ «**الرَّوَافِضِ**» وَبَيْنَ «**الْخَوَارِجِ**».

وَقَدْ دَخَلَ فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ: الْإِيمَانُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ فِي كِتَابِهِ، وَتَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ مِنْ أَنَّهُ ﷻ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، عَلَىٰ عَرْشِهِ، عَلِيٌّ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا، يَعْلَمُ مَا هُمْ عَامِلُونَ؛ كَمَا جَمَعَ بَيْنَ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد].

وَلَيْسَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أَنَّهُ مُخْتَلِطٌ بِالْخَلْقِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا تُوجِبُهُ اللُّغَةُ، وَهُوَ خِلَافُ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَخِلَافُ مَا فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ الْخَلْقَ؛ بَلِ الْقَمَرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهُوَ مَوْضُوعٌ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ مَعَ الْمُسَافِرِ أَيْنَمَا كَانَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، رَقِيبٌ عَلَىٰ خَلْقِهِ، مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِمْ، مُطَّلِعٌ إِلَيْهِم، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكُلُّ هَذَا الْكَلامِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ -مِنْ أَنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ مَعَنَا- حَقٌّ عَلَىٰ حَقِيقَتِهِ،

لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ تَحْرِيفٍ، وَلَكِنْ يُصَانُ عَنِ الظُّنُونِ الْكَاذِبَةِ.

وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾[البقرة]، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُم مِن عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**».

وَمَا ذُكِرَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ قُرْبِهِ وَمَعِيَّتِهِ لَا يُنَافِي مَا ذُكِرَ مِنْ عُلُوِّهِ وَفَوْقِيَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نُعُوتِهِ، وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ ﷻ، مُنَزَّلٌ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَأَنَّ اللهَ تَكَلَّمَ بِهِ حَقِيقَةً، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ كَلَامُ اللهِ حَقِيقَةً، لَا كَلَامَ غَيْرِهِ.

وَلَا يَجُوزُ إِطْلَاقُ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حِكَايَةٌ عَنْ كَلَامِ اللهِ، أَوْ عِبَارَةٌ عَنْهُ؛ بَلْ إِذَا قَرَأَهُ النَّاسُ أَوْ كَتَبُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ؛ لَمْ يَخْرُجْ بِذَلِكَ عَنْ أَنْ يَكُونَ كَلَامَ اللهِ ﷻ حَقِيقَةً، فَإِنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَىٰ مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ مُبْتَدِئًا، لَا إِلَىٰ مَنْ قَالَهُ مُبَلِّغًا مُؤَدِّيًا.

وَقَدْ دَخَلَ أَيْضًا فِيمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِرُسُلِهِ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِيَانًا بِأَبْصَارِهِمْ كَمَا يَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا يَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ.

يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَهُمْ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَرَوْنَهُ بَعْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ؛ كَمَا يَشَاءُ اللهُ ﷻ.

وَمِنَ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ: الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَيُؤْمِنُونَ بِفِتْنَةِ الْقَبْرِ، وَبِعَذَابِ الْقَبْرِ وَنَعِيمِهِ.

فَأَمَّا الْفِتْنَةُ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَيُقَالُ لِلرَّجُلِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: اللهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي. وَأَمَّا الْمُرْتَابُ؛ فَيَقُولُ: آهْ، آهْ؛ لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ، فَيُضْرَبُ بِمِرْزَبَةٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا كُلُّ شَيْءٍ؛ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَهَا الْإِنْسَانُ؛ لَصَعِقَ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ إِمَّا نَعِيمٌ وَإِمَّا عَذَابٌ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَىٰ، فَتُعَادُ الْأَرْوَاحُ إِلَىٰ الْأَجْسَادِ.

وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ الَّتِي أَخْبَرَ اللهُ بِهَا فِي كِتَابِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ؛ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، وَيُلْجِمُهُمُ الْعَرَقُ.

وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ، فَتُوزَنُ فِيهَا أَعْمَالُ الْعِبَادِ، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون].

وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ، وَهِيَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، فَآخِذٌ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وآخِذٌ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ أَوْ مِن وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

وَيُحَاسِبُ اللهُ الْخَلَائِقَ، وَيَخْلُو بِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ؛ كَمَا وُصِفَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَأَمَّا الْكُفَّارُ؛ فَلَا يُحَاسَبُونَ مُحَاسَبَةَ مَنْ تُوزَنُ حَسَنَاتُهُ وَسَيِّئَاتُهُ؛ فَإِنَّهُ لَا حَسَنَاتِ لَهُمْ، وَلَكِنْ تُعَدَّدُ أَعْمَالُهُمْ، وَتُحْصَىٰ، فَيُوقَفُونَ عَلَيْهَا وَيُقَرَّرُونَ بِهَا وَيُجْزَوْنَ بِهَا.

وَفِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ:

«**الْحَوْضُ**» الْمَوْرُودُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، طُولُهُ شَهْرٌ، وَعَرْضُهُ شَهْرٌ، آنِيَتُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً؛ لَم يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

وَ«**الصِّرَاطُ**» مَنْصُوبٌ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَهُوَ الْجِسْرُ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْهِ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالْبَرْقِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَالرِّيحِ، ومِنهُم مَن يَمُرُّ كَالْفَرَسِ الْجَوَادِ، وَمِنْهُم مَن يَمُرُّ كَرِكَابِ الْإِبِلِ، ومِنْهُم مَن يَعْدُو عَدْوًا، وَمِنْهُم مَن يَمْشِي مَشْيًا، وَمِنْهُم مَن يَزْحَفُ زَحْفًا، وَمِنْهُم مَنْ يُخْطَفُ فَيُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ؛ فَإِنَّ الْجِسْرَ عَلَيْهِ كَلَالِيبُ تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم.

فَمَنْ مَرَّ عَلَىٰ الصِّرَاطِ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

فَإِذَا عَبَرُوا عَلَيْهِ؛ وُقِفُوا عَلَىٰ **قَنْطَرَةٍ** بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا؛ أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ.

وَأَوَّلُ مَنْ يَسْتَفْتِحُ بَابَ الْجَنَّةِ مُحَمَّدٌ ﷺ، **وَأَوَّلُ مَن يَدْخُلُ الْجَنَّةَ** مِنَ الأُمَمِ أُمَّتُهُ ﷺ.

وَلَهُ ﷺ فِي الْقِيَامَةِ ثَلَاثُ شَفَاعَاتٍ:

أَمَّا «**الشَّفَاعَةُ الْأُولَىٰ**»: فَيَشْفَعُ لِأَهْلِ الْمَوْقِفِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَتَرَاجَعَ الْأَنْبِيَاءُ؛

آدَمُ، وَنُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ السَّلَامُ = الشَّفَاعَةَ حَتَّىٰ تَنْتَهِي إِلَيْهِ.

وَأَمَّا «**الشَّفَاعَةُ الثَّانِيَةُ**»: فَيَشْفَعُ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ أَن يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ.

وَهَاتَانَ الشَّفَاعَتَانِ خَاصَّتَانِ لَهُ.

وَأَمَّا «**الشَّفَاعَةُ الثَّالِثَةُ**»: فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ، وَهَذِهِ الشَّفَاعَةُ لَهُ وَلِسَائِرِ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَغَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ النَّارَ أَلَّا يَدْخُلَهَا، وَيَشْفَعُ فِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا.

وَيُخْرِجُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ النَّارِ أَقْوَامًا بِغَيْرِ شَفَاعَةٍ؛ بَلْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ، وَيَبْقَىٰ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ عَمَّنْ دَخَلَهَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، فَيُنْشِئُ اللهُ لَهَا أَقْوَامًا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ.

وَأَصْنَافُ مَا تَتَضَمَّنُهُ الدَّارُ الْآخِرَةُ مِنَ الْحِسَابِ وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَتَفَاصِيلِ ذَلِكَ = مَذْكُورَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَالْآثَارَةِ مِنَ الْعِلْمِ الْمَأْثُورِ عَنِ الْأَنْبِيَاءِ، وَفِي الْعِلْمِ الْمَوْرُوثِ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشْفِي وَيَكْفِي، فَمَنِ ابْتَغَاهُ وَجَدَهُ.

وَتُؤْمِنُ «الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»: بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ دَرَجَتَيْنِ؛ كُلُّ دَرَجَةٍ تَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

فَالدَّرَجَةُ الْأُولَىٰ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ عَلِمَ مَا الْخَلْقُ عَامِلُونَ بِعِلْمِهِ الْقَدِيمِ الَّذِي هُوَ مَوْصُوفٌ بِهِ أَزَلًا وَأَبَدًا، وَعَلِمَ جَمِيعَ أَحْوَالِهِم مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالْأَرْزَاقِ وَالْآجَالِ.

ثُمَّ كَتَبَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ.

فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. فقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. فَمَا أَصَابَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ؛ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾[الحج]، وَقَالَ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾[الحديد]، وَهَذَا التَّقْدِيرُ التَّابِعُ لِعِلْمِهِ ﷻ يَكُونُ فِي مَوَاضِعَ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا:

فَقَدْ كَتَبَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مَا شَاءَ.

فَإِذَا خَلَقَ جَسَدَ الْجَنِينِ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ؛ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكًا، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، بِكَتْبِ: رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ.. وَنَحْوَ ذَلِكَ.

فَهَذَا الْقَدَرُ قَدْ كَانَ يُنْكِرُهُ غُلَاةُ الْقَدَرِيَّةِ قَدِيمًا، وَمُنْكِرُهُ الْيَوْمَ قَلِيلٌ.

وَأَمَّا الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ؛ فَهِيَ مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ، وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ، وَهُوَ: الْإِيمَانُ بِأَنَّ مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ مِنْ حَرَكَةٍ وَلَا سُكُونٍ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللهِ ﷻ، لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، وَأَنَّهُ ﷻ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ، فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا اللهُ خَالِقُهُ سُبْحَانَهُ، لَا خَالِقَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ.

وَمَعَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ أَمَرَ الْعِبَادَ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رُسُلِهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَالْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْسِطِينَ، وَيَرْضَىٰ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَلَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَلَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، وَلَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ، وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ، وَلَا يُحِبُّ الْفَسَادَ.

وَالْعِبَادُ فَاعِلُونَ حَقِيقَةً، وَاللهُ خَالِقُ أَفْعَالِهِمْ.

وَالْعَبْدُ هُوَ: الْمُؤْمِنُ، وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ، وَالْفَاجِرُ، وَالْمُصَلِّي، وَالصَّائِمُ.

وَلِلْعِبَادِ قُدْرَةٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ وَلَهُمْ إِرَادَةٌ، وَاللهُ خَالِقُهُمْ وَخَالِقُ قُدْرَتِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ؛ كَمَا قَالَ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[التَّكوير].

وَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنَ الْقَدَرِ يُكَذِّبُ بِهَا عَامَّةُ الْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ السَّلَفُ: مَجُوسَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَيَغْلُو فِيهَا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ، حَتَّىٰ سَلَبُوا الْعَبْدَ قُدْرَتَهُ وَاخْتِيَارَهُ، وَيُخْرِجُونَ عَنْ أَفْعَالِ اللهِ وَأَحْكَامِهِ حِكَمَهَا وَمَصَالِحَهَا.

وَمِنْ أُصُولِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ: لَا يُكَفِّرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ؛ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلِ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي؛ كَمَا قَالَ ﷻ فِي آيَةِ الْقِصَاصِ: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[البقرة:١٧٨]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ

فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحُجرات].

وَلَا يَسْلُبُونَ «الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ» اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يُخَلِّدُونَهُ فِي النَّارِ؛ كَمَا تَقُولُ الْمُعْتَزِلَةُ؛ بَلِ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ؛ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [النِّساء:٩٢]، وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾[الأنفال:٢]، وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ، أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكَبِيرَتِهِ، فَلَا يُعْطَىٰ الِاسْمَ الْمُطْلَقَ، وَلَا يُسْلَبُ مُطْلَقَ الِاسْمِ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾[الحشر]، وَطَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**».

وَيَقْبَلُونَ مَا جَاءَ بِهِ «الْكِتَابُ» وَ«السُّنَّةُ» وَ«الْإِجْمَاعُ» مِنْ فَضَائِلِهِمْ وَمَرَاتِبِهِمْ.

فَيُفَضِّلُونَ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ -وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ- وَقَاتَلَ عَلَىٰ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدِهِ وَقَاتَلَ.

وَيُقَدِّمُونَ الْمُهَاجِرِينَ عَلَىٰ الْأَنْصَارِ.

وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ لِأَهْلِ بَدْرٍ -وَكَانُوا ثَلَاثَمِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ-: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُم، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**».

وَبِأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ؛ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ بَلْ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ.

وَيَشْهَدُونَ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ كَالْعَشَرَةِ، وَكَثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ، وَغَيْرِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَيُقِرُّونَ بِمَا تَوَاتَرَ بِهِ النَّقْلُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ.

وَيُثَلِّثُونَ بِعُثْمَانَ، وَيُرَبِّعُونَ بِعَلِيٍّ؛ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ، وَكَمَا أَجْمَعَتِ الصَّحَابَةُ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ فِي الْبَيْعَةِ.

مَعَ أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَانُوا قَدِ اخْتَلَفُوا فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ -بَعْدَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَىٰ تَقْدِيمِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ- أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَدَّمَ قَوْمٌ عُثْمَانَ: وَسَكَتُوا، أَوْ رَبَّعُوا بِعَلِيٍّ، وَقَدَّمَ قَوْمٌ عَلِيًّا، وَقَوْمٌ تَوَقَّفُوا.

لَكِنِ اسْتَقَرَّ أَمْرُ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، ثُمَّ عَلِيٍّ.

وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ -مَسْأَلَةُ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ- لَيْسَتْ مِنَ الْأُصُولِ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا عِنْدَ جُمْهُورِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنَّ الْمَسْأَلَةَ الَّتِي يُضَلَّلُ الْمُخَالِفُ فِيهَا مَسْأَلَةُ الْخِلَافَةِ.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ.

وَيُحِبُّونَ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ، وَيَحْفَظُونَ فِيهِمْ وَصِيَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: حَيْثُ قَالَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ: «**أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**».

وَقَدْ قَالَ أَيْضًا لِلْعَبَّاسِ عَمِّهِ -وَقَدْ شَكَا إِلَيْهِ أَنَّ بَعْضَ قُرَيْشٍ يَجْفُو بَنِي هَاشِمٍ- فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحِبُّوكُمْ؛ للهِ وَلِقَرَابَتِي**».

وَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

وَيَتَوَلَّوْنَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ؛ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُنَّ أَزْوَاجُهُ فِي الْآخِرَةِ: خُصُوصًا خَدِيجَةَ أُمَّ أَكْثَرِ أَوْلَادِهِ، وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ وَعَاضَدَهُ عَلَىٰ أَمْرِهِ، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ الْمَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ. وَالصِّدِّيقَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ، الَّتِي قَالَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**».

وَيَتَبَرَّؤُونَ مِنْ طَرِيقَةِ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ الصَّحَابَةَ وَيَسُبُّونَهُمْ. وَطَرِيقَةِ النَّوَاصِبِ الَّذِينَ يُؤْذُونَ أَهْلَ الْبَيْتِ بِقَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

وَيُمْسِكُونَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذِهِ الآثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِئِهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ، وَمَنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغُيِّرَ عَنْ وَجْهِهِ، وَعَامَّةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ هُمْ فِيهِ مَعْذُورُونَ: إِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ، وَإِمَّا مُجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ.

وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كَبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ.

وَلَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةَ مَا صَدَرَ مِنْهُمْ -إِنْ صَدَرَ-، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ثَبَتَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ، وَأَنَّ الْمُدَّ مِنْ أَحَدِهِمْ إِذَا تَصَدَّقَ بِهِ كَانَ أَفْضَلَ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ ذَهَبًا مِمَّنْ بَعْدَهُمْ.

ثُمَّ إِذَا كَانَ قَدْ صَدَرَ عَنْ أَحَدِهِمْ ذَنْبٌ؛ فَيَكُونُ قَدْ تَابَ مِنْهُ، أَوْ أَتَىٰ بِحَسَنَاتٍ تَمْحُوهُ، أَو غُفِرَ لَهُ؛ بِفَضْلِ سَابِقَتِهِ، أَوْ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِشَفَاعَتِهِ، أَوْ ابْتُلِيَ بِبَلَاءٍ فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ بِهِ عَنْهُ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا فِي الذُّنُوبِ الْمُحَقَّقَةِ؛ فَكَيْفَ بِالْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا مُجْتَهِدِينَ: إِنْ أَصَابُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرَانِ، وَإِنْ أَخْطَؤُوا؛ فَلَهُمْ أَجْرٌ وَاحِدٌ، وَالْخَطَأُ مَغْفُورٌ لَهُمْ.

ثُمَّ الْقَدْرُ الَّذِي يُنْكَرُ مِنْ فِعْلِ بَعْضِهِمْ قَلِيلٌ نَزْرٌ مَغْمُورٌ فِي جَنْبِ فَضَائِلِ الْقَوْمِ وَمَحَاسِنِهِمْ؛ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْهِجْرَةِ، وَالنُّصْرَةِ، وَالْعِلْمِ النَّافِعِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَعَدْلٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْهِم مِنَ الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ؛ لَا كَانَ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمْ هُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَمِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: التَّصْدِيقُ بِكَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَا يُجْرِي اللهُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ فِي أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَالْمُكَاشَفَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ وَالتَّأْثِيرَاتِ، كَالْمَأْثُورِ عَنْ سَالِفِ الْأُمَمِ فِي سُورَةِ الْكَهْفِ وَغَيْرِهَا، وَعَنْ صَدْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَسَائِرِ قُرُونِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ثُمَّ مِنْ طَرِيقِ «أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ»: اتِّبَاعُ آثَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَاطِنًا وَظَاهِرًا، وَاتِّبَاعُ

سَبِيلِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَاتِّبَاعُ وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، حَيثُ قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَيُؤْثِرُونَ كَلَامَ اللهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ مِنْ كَلَامِ أَصْنَافِ النَّاسِ، وَيُقَدِّمُونَ هَدْيَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَىٰ هَدْيِ كُلِّ أَحَدٍ. وَلِهَذَا سُمُّوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

وَسُمُّوا أَهْلَ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّ الْجَمَاعَةَ هِيَ الِاجْتِمَاعُ، وَضِدُّهَا الْفُرْقَةُ، وَإِنْ كَانَ لَفْظُ الْجَمَاعَةِ قَدْ صَارَ اسْمًا لِنَفْسِ الْقَوْمِ الْمُجْتَمِعِينَ.

وَالْإِجْمَاعُ هُوَ الْأَصْلُ الثَّالِثُ الَّذِي يُعْتَمَدُ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ.

وَهُمْ يَزِنُونَ بِهَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ جَمِيعَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ أَقْوَالٍ وَأَعْمَالٍ بَاطِنَةٍ أَوْ ظَاهِرَةٍ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِالدِّينِ.

وَالْإِجْمَاعُ الَّذِي يَنْضَبِطُ: هُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ؛ إِذْ بَعْدَهُمْ كَثُرَ الِاخْتِلَافُ، وَانْتَشَرَتِ الْأُمَّةُ.

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذِهِ الْأُصُولِ: يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ عَلَىٰ مَا تُوجِبُهُ الشَّرِيعَةُ.

وَيَرَوْنَ إِقَامَةَ الْحَجِّ وَالْجِهَادِ وَالْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ مَعَ الْأُمَرَاءِ أَبْرَارًا كَانُوا أَوْ فُجَّارًا، وَيُحَافِظُونَ عَلَىٰ الْجَمَاعَاتِ.

وَيَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ لِلْأُمَّةِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ.

وَقَوْلِهِ ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ؛ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ**».

وَيَأْمُرُونَ بِالصَّبْرِ عِنْدَ الْبَلَاءِ، وَالشُّكْرِ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ.

وَيَدْعُونَ إِلَىٰ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**».

وَيَنْدُبُونَ إِلَىٰ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

وَيَأْمُرُونَ بِبِرِّ الْوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَىٰ الْيَتَامَىٰ

وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالرِّفْقِ بِالْمَمْلُوكِ.
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْفَخْرِ، وَالْخُيَلَاءِ، وَالْبَغْيِ، وَالِاسْتِطَالَةِ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِحَقٍّ أَوْ بِغَيْرِ حَقٍّ.
وَيَأْمُرُونَ بِمَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ سَفْسَافِهَا.
وَكُلُّ مَا يَقُولُونَهُ وَيَفْعَلُونَهُ مِنْ هَذَا أَوْ غَيْرِهِ؛ فَإِنَّمَا هُمْ فِيهِ مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.
وَطَرِيقَتُهُمْ: هِيَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ؛ لَكِنْ لَمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً؛ كُلُّهَا فِي النَّارِ؛ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ.
وَفِي حَدِيثٍ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَىٰ مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**»، صَارَ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْإِسْلَامِ الْمَحْضِ الْخَالِصِ عَنِ الشَّوْبِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.
وَفِيهِمُ: الصِّدِّيقُونَ، وَالشُّهَدَاءُ، وَالصَّالِحُونَ، **وَمِنْهُمُ** أَعْلَامُ الْهُدَىٰ، وَمَصَابِيحُ الدُّجَىٰ، أُولُو الْمَنَاقِبِ الْمَأْثُورَةِ، وَالْفَضَائِلِ الْمَذْكُورَةِ.
وَفِيهِمُ: الْأَبْدَالُ، **وَمِنْهُمُ** الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ.
وَهُمُ الطَّائِفَةُ الْمَنْصُورَةُ الَّتِي قَالَ فِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، وَلَا مَنْ خَذَلَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**».
فَنَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ، وَأَلَّا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِن لَّدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ.
وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

فِهْرِسُ الْـمَوْضُوعَاتِ

رَوابِطُ قَنَواتِ مَعْهَدِ السُّنَّةِ:

مَوقِعُ مَعهَدُ السُّنَّةِ:

رابِطُ الفيس بوك:

رابِطُ التِّلجرام:

رابِطُ الانستغرام:

رابِطُ التويتر (X):

رابِطُ الواتساب:

قَناةُ اليوتوب:

رابِطُ تَحميلِ الكُتُبِ: